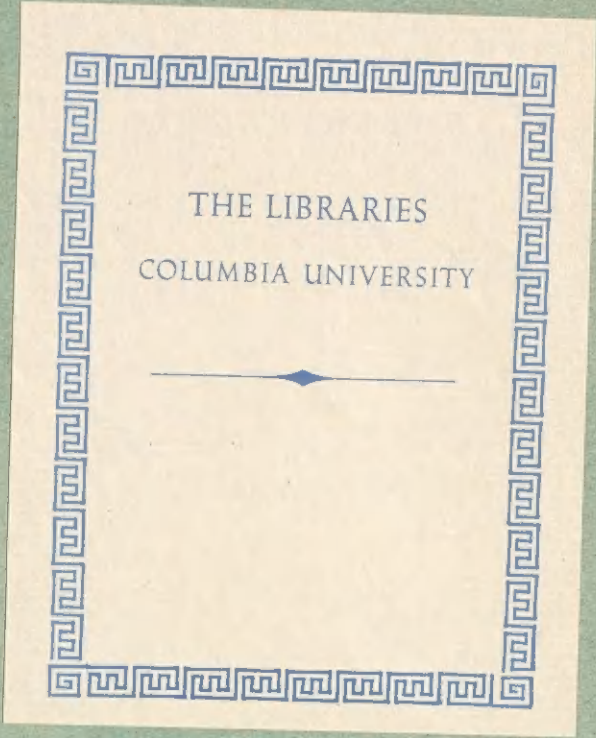


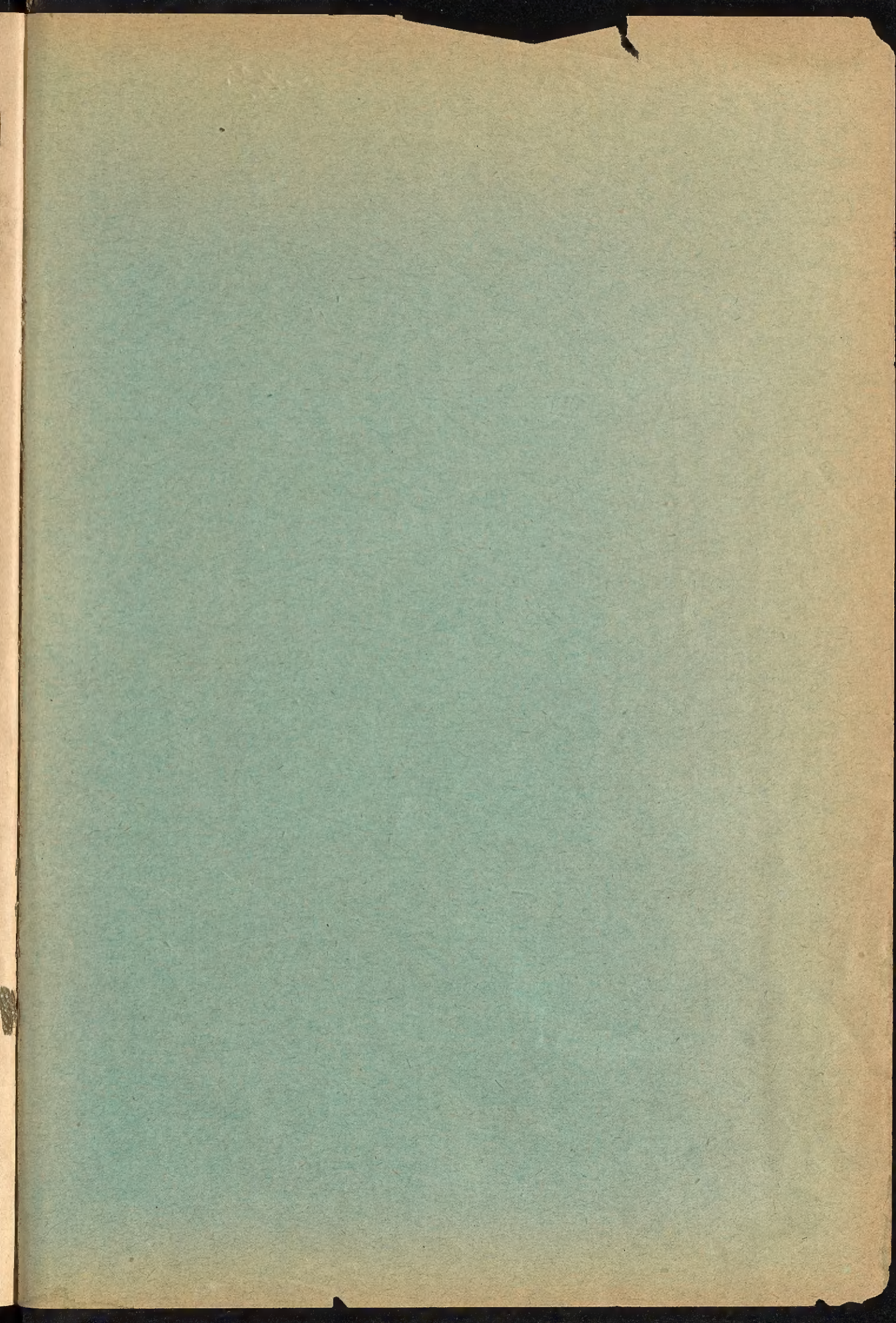


893



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

492



* (فهرسة مقدمة العلامة ابن خلدون) *

صفحة	مقدمة	صفحة
٤	المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للأورخين من المغالط والاهام وذكر شي من أسبابها الكتاب الاول في طبيعة العمران في الخليفة	٢٢
٢٢	وما يعرض فيهما من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب (وفيها ست فصول كبار)	٧٣
٢٦	الفصل الاول من الكتاب الاول في العمران البشري على الجملة وفيها مقدمات المقدمة الاولى في أن الاجتماع الانساني ضروري	٧٤
٢٧	المقدمة الثانية في قسمة العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه من الاشجار والانهار والاقاليم	٧٥
٣٠	تكملة لهذه المقدمة الثانية في أن الربع النعماني من الارض أكثر عراة من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك	٧٦
٣٢	تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا	٧٧
٣٣	الاقليم الاول	٧٨
٣٥	الاقليم الثاني	٧٩
٤٠	الاقليم الرابع	٧٩
٤٧	الاقليم السادس	٧٩
٥٠	المقدمة الثالثة في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم	٧٩
٥٢	المقدمة الرابعة في أثر الهواء في أخلاق البشر	٨٠
٥٣	المقدمة الخامسة في اختلاف أحوال العمران في المنصب والمجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم	٨١
٥٦	المقدمة السادسة في أصناف المدركين للغيب من البشر بالفترة او بالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا	٨٢
٥٧	حققة النبوة والكهانة والرؤيا وشأن العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب	٨٣
	الفصل الثاني من الكتاب الاول في العمران البدوي والام الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه اصول وتهميدات	٧٣
	فصل في أن أجيال البدو والحضر طبعية	٧٣
	فصل في أن حيل العرب في الخلقة طبعية	٧٤
	فصل في أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وان البادية أصل العمران والامصار مدنها	٧٤
	فصل في أن أهل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضر	٧٥
	فصل في أن أهل البدو أقرب الى الشجاعة من أهل الحضر	٧٦
	فصل في أن معاناة أهل الحضر للاحكام مقسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم	٧٧
	فصل في أن سكنى البدو لا يكون الا للقبائل أهل العصبية	٧٧
	فصل في أن العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه	٧٨
	فصل في أن الصريح من النسب انما يوجد للوحشين في القفر من العرب ومن في معناتهم	٧٩
	فصل في اختلاط الانساب كيف يقع	٧٩
	فصل في أن الرياسة لا تزال في نصابها الخصوص من أهل العصبية	٧٩
	فصل في أن الرياسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم	٨٠
	فصل في أن البيت والشرف بالاصالة والمحقة لاهل العصبية ويكون لغيرهم بالجواز والشبه	٨١
	فصل في أن البيت والشرف للوالى وأهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم	٨٢
	فصل في أن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء	٨٣
	فصل في أن الام الوحشية اقدر على التغلب	٨٣

صحيحة

من سواها

٨٤ فصل في ان الغاية التي تجرى اليها العصبية

هي الملك

٨٤ فصل في ان من عوائق الملك حصول

الترف وانغماس القبيل في النعيم

٨٥ فصل في أن من عوائق الملك حصول المذلة

للقبيل والانتقاد الى سواهم

٨٥ فصل في أن من علامات الملك التنافس في

الحلال الحميدة وبالعكس

٨٧ فصل في أنه اذا كانت الامة وحشية كان

ملكها أوسع

٨٧ فصل في أن الملك اذا ذهب عن بعض

الشعوب من أمة فلا بد من عودته الى

شعب آخر منها مادامت لهم العصبية

٨٨ فصل في أن المغلوب مولع أبدا باقتدائه

بالتغالب في شجاره وزيه وتخلته وسائر

أحواله وعوائده

٨٨ فصل في أن الامة اذا غلبت وصارت في

ملك غيرها أسرع اليها الفناء

٨٩ فصل في أن العرب لا يتغلبون الا على

البسائط

٨٩ فصل في أن العرب اذا تغلبوا على اوطان

أسرع اليها الخراب

٩٠ فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك الا

بصبغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم

من الدين على الجملة

٩١ فصل في أن العرب ابعد الامم عن سياسة

الملك

٩١ فصل في أن البدو ادى من القبائل

والعصائب مغلوبون لاهل الامصار

٩٢ الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول

العامية والملك والمخالفة والمراتب السلطانية

وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه

قواعد ومتممات

٩٢ فصل في أن الملك والدولة العامة انما

يحصل بالقبيل والعصبية

صحيحة

٩٢ فصل في أنه اذا استقرت الدولة وتهدت

فقد تستغني عن العصبية

٩٣ فصل في أنه قد يحدث لبعض اهل النصاب

الملك دولة تستغني عن العصبية

٩٤ فصل في أن الدول العامة الاستيلاء

العظيمة الملك اصلها الدين اما من نبوة

او دعوة حق

٩٤ فصل في أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في

اصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها

من عدد

٩٥ فصل في أن الدعوة الدينية من غير عصبية

لا تتم

٩٦ فصل في أن كل دولة لها حصة من الممالك

والاوطان لا تزد عليها

٩٧ فصل في أن عظم الدولة واتساع نطاقها

وطول امدها على نسبة القائمين بها في القلة

والكثرة

٩٨ فصل في أن الاوطان الكثيرة القبائل

والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة

٩٩ فصل في أن من طبيعة الملك الانفراد بالحد

٩٩ فصل في أن من طبيعة الملك الترف

٩٩ فصل في أن من طبيعة الملك الدعة

والسكون

١٠٠ فصل في أنه اذا استحكمت طبيعة الملك من

الانفراد بالحد وحصول الترف والدعة

أقبلت الدولة على الهرم

١٠١ فصل في أن الدولة لها اعمار وطبيعة كما

للشخص

١٠٢ فصل في انتقال الدولة من البدوة الى

الحضارة

١٠٤ فصل في أن الترف يزيد الدولة في أولها

قوة الى قوتها

١٠٤ فصل في أطوار الدولة واختلاف أحوالها

وخلق أهلها باختلاف الأطوار

١٠٥ فصل في أن آثار الدولة كلها على نسبة

قوتها في أصلها

893.71456
T13

صحيحة	صحيحة
١٠٩ فصل في استظهار صاحب الدولة على قومه وأهل عصبيته بالموالي والمصطنعين	١٦٢ فصل ولما ذكروا من ضرب المصاف وراء
١٠٩ فصل في أحوال الموالي والمصطنعين في الدول	١٦٣ فصل وكان من مذاهب الأول في حروبهم
١١٠ فصل فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه	١٦٣ فصل في الجباية وسبب قتلها وكثرتها
١١١ فصل في أن المنتقلين على السلطان لا يشاركون في اللقب الخاص بالملك	١٦٦ فصل في ضرب المكوس أو آخر الدولة
١١١ فصل في حقيقة الملك وأصنافه	١٦٧ فصل في أن التجارة من السلطان مضرة
١١٢ فصل في أن رهاق المحرم بالملك ومفسد له في الأكثر	١٦٨ فصل في أن ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون في وسط الدولة
١١٣ فصل في معنى الخلافة والامامة	١٦٩ فصل ولما يتوقعه أهل الدولة من أمثال هذه المعاطب صار الكثير منهم ينزعون إلى الفرار عن الرتب والتخلص من رتبة السلطان
١١٣ فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه	١٧٠ فصل في أن نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية
١١٦ فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة	١٧٠ فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران
١٢٠ فصل في انقلاب الخلافة إلى الملك	١٧٢ فصل ومن أشد الظلمات وأعظم مهافي فساد العمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق
١٢٤ فصل في معنى البيعة	١٧٢ فصل وأعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة التسلط على أموال الناس بشراء ما بين أيديهم بالخمس الاثمان
١٢٤ فصل في ولاية العهد	١٧٢ فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وأنه يعظم عند الهرم
١٣٠ فصل في الخطط الدينية الخلاقية	١٧٣ فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين
١٣٤ فصل في اللقب بأمير المؤمنين وأنه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء	١٧٤ فصل في أن الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع
١٣٧ فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود	١٧٥ فصل في كيفية طروق الخلل للدولة
١٣٩ فصل في مراتب الملك والسلطان وألقابها	١٧٧ فصل في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع
١٤٤ ديوان الاعمال والجبايات	١٧٧ فصل في أن الدولة المستعدة إنما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاول لا بالمناجزة
١٤٦ ديوان الرسائل والكتابة	١٧٩ فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع
١٤٩ قيادة الاساطيل (وهي سفائن الحرب)	
١٥٢ فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول	
١٥٣ فصل في شارات الملوك والسلطان الخاصة به	
١٥٤ السريرو المنبر والتخت والكرسي	
١٥٤ السكة ١٥٦ الخاتم ١٥٨ الطراز	
١٥٨ القساطيط والسياج	
١٥٩ المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة	
١٦٠ فصل في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها	
١٦٢ فصل ومن مذاهب أهل السكر والقر في الحروب ضرب المصاف وراء عسكرهم الخ	

صحيحة	صحيحة
٢١٧ فصل في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران	فيها من كثرة الموتان والمجاعات
٢١٧ فصل في أن الاقطار في اختلاف احوالها بالرفق والفقير مثل الامصار	١٨٠ فصل في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينظم بها أمره
٢١٨ فصل في تأثر العقار والضياع في الامصار وحال فوائدها ومستغلاتها	١٨٥ فصل في أمر القاطن وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك
٢١٩ فصل في حاجات المتولين من أهل الامصار الى الجاه والمدافعة	١٩٦ فصل في ابتداء الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن معنى المحفر
٢١٩ فصل في أن الحضارة في الامصار من قبل الدول وأنها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها	٢٠٤ الفصل الرابع من الكتاب الأول في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه مسوابع ولو احق
٢٢١ فصل في أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وانها مؤذنة بفساده	٢٠٤ فصل في أن الدول أقدم من المدن والامصار وانها انما توجد ثانية عن الملك
٢٢٣ فصل في أن الامصار التي تكون كراسي للملأ تخرب بخراب الدولة وانتهاقها	٢٠٥ فصل في أن الملك يدعو الى تزول الامصار
٢٢٤ فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض	٢٠٥ فصل في أن المدن العظيمة والهيأ كل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير
٢٢٤ فصل في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض	٢٠٦ فصل في أن الهيأ كل العظيمة جدا لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة
٢٢٥ فصل في لغات أهل الامصار	٢٠٦ فصل فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن تلك المراجعة
٢٢٦ الفصل الخامس من الكتاب الأول في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع	٢٠٨ فصل وما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جيل أو تكون بين أمة من الامم الخ
٢٢٦ فصل في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية	٢٠٨ فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم
٢٢٧ فصل في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه	٢١٢ فصل في أن المدن والامصار بافريقية والمغرب قليلة
٢٢٨ فصل في أن الخدمة ليست من المعاش الطبيعي	٢١٣ فصل في أن المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول
٢٢٩ فصل في أن ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي	٢١٣ فصل في أن المباني التي كانت تحتطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل
٢٣١ فصل في أن الجاه مقيد للمال	٢١٣ فصل في مبادئ الخراب في الامصار
٢٣٤ فصل في أن السعادة والكسب انما يحصل غالبا لأهل الخضوع والتألق وان هذا الخفاق من أسباب السعادة	٢١٣ فصل في أن تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفق لاهلها ونفاق الاسواق انما هو في تفاضل عمرانها في السكينة والقلعة
٢٣٤ فصل في أن القائلين بامور الدين من القضاء والقبول والتدريس والامامة والخطابة	٢١٦ فصل في أسعار المدن

صفحة	صفحة
والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب	٢٣٤
فصل في أن الفلاحة من معاش المستضعفين وأهل العاقبة من البدو	٢٣٤
فصل في معنى التجارة ومذاهبها وأصنافها	٢٣٥
فصل في أي أصناف الناس يحترف بالتجارة وأيهم ينبغي له اجتناب حرفها	٢٣٥
فصل في أن خلق التجار نازلة عن خلق الأشراف والملوك	٢٣٥
فصل في نقل التاجر لسلع	٢٣٦
فصل في الاحتكار	٢٣٦
فصل في أن رخص الأسعار مضر بالمحترفين بالرخص	٢٣٧
فصل في أن خلق التجارة نازلة عن خلص الرؤساء وبعده من المرواة	٢٣٧
فصل في أن الصنائع لا بد لها من المعلم	٢٣٨
فصل في أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران المحضى وكثرته	٢٣٨
فصل في أن رسوم الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها	٢٣٩
فصل في أن الصنائع إنما تستجد وتكثر إذا كثر طلبها	٢٤٠
فصل في أن الأمصار إذا قاربت الخراب انتقضت منها الصنائع	٢٤٠
فصل في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع	٢٤٠
فصل في أن من حصلت له ملكة في صناعة فقل أن يجيد بعدها ملكة أخرى	٢٤١
فصل في الإشارة إلى أمهات الصنائع	٢٤١
فصل في صناعة الفلاحة	٢٤١
فصل في صناعة البناء	٢٤٣
فصل في صناعة التجارة	٢٤٤
فصل في صناعة الخياطة	٢٤٥
فصل في صناعة التوليد	٢٤٦
فصل في صناعة الطب وأنها محتاج إليها في الحواضر والأمصار دون البادية	٢٤٨
فصل في أن الخط والسكبة من عداد الصنائع الإنسانية	
فصل في صناعة الوراقة	٢٥٠
فصل في صناعة الغناء	٢٥١
فصل في أن الصنائع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا السكبة والحساب	٢٥٤
الفصل السادس من السكيب الأول في العلوم وأصنافها والتعلم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الأحوال وفيه مقدمة ولواحق	٢٥٥
فصل في أن العلم والتعلم طبع في العمران البشري	٢٥٥
فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع	٢٥٥
فصل في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعلم الحضارة	٢٥٧
فصل في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد	٢٥٨
علوم القرآن من التفسير والقراآت	٢٥٩
علوم الحديث	٢٦١
علوم الفقه وما يتبعه من الفرائض	٢٦٤
علم الفرائض	٢٦٨
أصول الفقه وما يتعلق به من المجدل والخلافات	٢٦٨
علم الكلام	٢٧٢
علم تعبير الرؤيا	٢٨٣
العلوم العقلية وأصنافها	٢٨٧
ومن فروع علم العدد صناعة الحساب	٢٨٧
ومن فروعه الجبر والمقابلة	٢٨٨
ومن فروعه أيضا المعاملات	٢٨٨
ومن فروعه أيضا الفرائض	٢٨٨
العلوم الهندسية	٢٨٩
ومن فروعها هذا الفن الهندسة المخصوصة	٢٩٠
بالاشكال الكربة والخروطات	٢٩٠
المنظر من فروع الهندسة	٢٩٠
ومن فروع الهندسة المساحة	٢٩٠
ومن فروعها علم الأزياج	٢٩١
علم المنطق	٢٩٣
الطبيعات	٢٩٤
علم الطب	٢٩٤
فصل في البادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على	

بعض الاشخاص الخ ٢٩٤ الفلاحه	٢٩٥
علم الالهيات ٢٩٦ علم السحر والطلسمات	٢٩٥
فصل ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية	٣٠٠
الاصابة بالعين ٣٠٠ علم اسرار الحروف	٣٠٣
ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج	٣٠٥
الاحوية من الاسئلة	٣٠٥
الكلام على استخراج نسبة الاوزان	٣٠٥
وكيفياتها ومقادير المقابل منها وقوة	٣٠٦
الدرجة المتميزة بالنسبة الى موضع المعاني	٣٠٦
من امتزاج طبائع وعلم طب اوصناعة	٣٠٦
الكيمياء ٣٠٥ الطب الروحاني	٣٠٥
مطارح الشعاعات في موايد الملوك وبنينهم	٣٠٦
الانفعال الروحاني والانقياد الرباني	٣٠٦
اتصال انوار الكواكب	٣٠٦
مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة	٣٠٧
والطاعة والعبادة وحب وتعشيق وفناء	٣٠٧
الغناء وتوجه وراقبة وخلة دائمة	٣٠٧
فصل في المقامات والنهاية	٣٠٧
الوصية والتختم والايمان والاسلام والتخريم	٣٠٨
والانجيلية	٣٠٨
كيفية العمل في استخراج اجوبة المسائل	٣١٥
من زايرة جنة العالم بحول الله منقولا عن	٣١٧
لقيناه من القائلين عليها	٣١٧
فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من	٣٢٥
جهة الارتباطات الحرفية	٣٢٩
فصل في الاستدلال على ما في الضعائر	٣٢٣
الخفية بالقوانين الحرفية ٣١٩ علم الكيمياء	٣٢٥
فصل في ابطال الفلسفة وفساد منحلها	٣٢٩
فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف	٣٢٣
مداركها وفساد غايتها	٣٢٣
فصل في انكار ضرورة الكيمياء واسئخالة	٣٢٣
وجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتحالها	٣٢٨
فصل في أن كثرة التاليف في العلوم	٣٢٩
عائقة عن التحصيل	٣٢٩
فصل في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في	٣٢٩
العلوم منحلّة بالتعليم	٣٢٩
فصل في توجيه الصواب في تعليم العلوم	٣٢٩
وطريق افادته ٣٤١ واعلم ايها المتعلم الخ	٣٤٢
فصل في أن العلوم الالهية لا توسع فيها	٣٤٢
الانظار ولا تفرع المسائل	٣٤٣
فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب	٣٤٥
الامصار الاسلامية في طريقه	٣٤٦
فصل في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم	٣٤٦
فصل في أن الرحلة في طاب العلوم ولقاء	٣٤٦
المشيخة يزيد كمال في التعلم	٣٤٦
فصل في أن العلماء من بين البشر ابعدهن	٣٤٧
السياسة ومذاهبها	٣٤٩
فصل في أن جملة العلم في الاسلام أكثرهم	٣٤٩
الجمع ٣٤٩ فصل في علم اللسان العربي	٣٤٩
علم النحو ٣٥١ علم اللغة ٣٥٣ علم البيان	٣٥٥
علم الادب ٣٥٦ فصل في أن اللغة ملكة صناعية	٣٥٧
فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة	٣٥٩
مستقلة مغايرة للغة مضروحة	٣٥٩
فصل في أن لغة الحضرة الامصار رقاعة	٣٦٠
بنفسها بخلاف لغة مضرة	٣٦٠
فصل في تعليم اللسان المضري	٣٦٠
فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة	٣٦٢
العربية ومستغنة عنها في التعليم	٣٦٢
فصل في تفسير الذوق في مصطلح اهل	٣٦٤
البيان وتحقيق معناه وبيان أنه لا يحصل	٣٦٤
غالب المستعرب من العجم	٣٦٤
فصل في أن اهل الامصار على الاطلاق	٣٦٥
قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية	٣٦٥
التي تستغنى بالتعليم ومن كان منهم ابعدهن	٣٦٧
اللسان العربي كان حصوله اصعب واعسر	٣٦٧
فصل في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر	٣٦٧
فصل في أنه لا تنفق الاجادة في فني المنظوم	٣٦٧
والمنشور مع الاطلاق	٣٦٧
فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه	٣٦٧
فصل في أن صناعة النظم والنثر انما هي في	٣٦٧
الالفاظ لا في المعاني	٣٦٧
فصل في أن حصول هذه الملكة بكثرة المحفوظ	٣٦٧
وجودها بجودة المحفوظ	٣٦٧
فصل في ترفع اهل المراتب عن انتحال الشعر	٣٦٧
فصل في اشعار العرب واهل الامصار لهذا	٣٦٧
العهد (وفيها اشعار الهلالية والزناية)	٣٦٧
الموشحات والازجال للاندلس	٣٦٧

صحيحة	صحيحة
١٢٨ الباب الموقفي عشرين في الخصال التي هي أركان السلطان	١٠ الباب الاول في مواعظ الملوك
١٢٩ الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم	٥٥ الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء والسلاطين
١٣٣ الباب الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب	٧٨ الباب الثالث فيما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من الغرر والخطر
١٣٤ الباب الثالث والعشرون في العقل والدهاء والخبث	٨٦ الباب الرابع في بيان معرفة ملك سليمان بن داود عليهم السلام ووجه طلبه الملك وسؤاله أن لا يؤتى لاحد من بعده
١٤٣ الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم والجلساء وآدابهم	٨٨ الباب الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا
١٤٩ الباب الخامس والعشرون في المجلساء وآدابهم	٩٤ الباب السادس في أن السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير راجح
١٥٣ الباب السادس والعشرون في بيان معرفة الخصال التي هي جمال السلطان	٩٧ الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض
١٦١ الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة ١٦٥ فصل في النصيحة	٩٩ الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره
١٦٨ الباب الثامن والعشرون في الحلم	١٠٠ الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية
١٨٠ الباب التاسع والعشرون فيما يسكن الغضب	١٠٢ الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد الشرع بها فيها نظام الملك والدول
١٨٣ الباب الثلاثون في الجود والسخاء الخ	١٠٥ الباب الحادي عشر في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا ثبات له دونها
١٩٨ الباب الحادي والثلاثون في بيان الشج والبخل وما يتعلق بهما	١١٢ الباب الثاني عشر في التخصيص على الخصال التي زعم الملوك انها انزلت دولتهم وهدمت سلطانهم
٢٠٠ الباب الثاني والثلاثون في الصبر	١١٥ الباب الثالث عشر في الصفات الرتبة التي زعم الحكماء أنه لا تدام معها ملكة
٢٠٣ فصل في أقسام الصبر	١١٨ الباب الرابع عشر في الخصال المحمودة في السلطان
٢١٤ الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر	١٢٠ الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان
٢١٨ الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن بسائر الخصال وزعيم بالمزيد من النعماء والآلاء من ذي الجلال	١٢٢ الباب السادس عشر في ملأ أمور السلطان
٢٢٠ فصل في شكر اللسان	١٢٣ الباب السابع عشر في خير السلطان وشر السلطان
٢٢١ فصل في الشكر على الجوارح	١٢٥ الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن
٢٢٣ فصل في الكلام على الزيادة	١٢٥ الباب التاسع عشر في خصال جامعة لآمر السلطان
٢٣٠ الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة التي يصلح عليها الأمير والمأمور ويستريح اليها الرئيس والمرؤس مستخرجة من القرآن العظيم	
٢٣٤ الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وشفاء الصدور	

صحيحة

صحيحة

٢٨٧ الباب الثاني والخمسون في بيان الصفات
المعتبرة في الولاة

٢٩١ الباب الثالث والخمسون في بيان الشروط
والعهود التي تؤخذ على العمال

٢٩٦ الباب الرابع والخمسون في هدايا العمال
والرشا على الشفاعات

٢٩٨ الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن
المخلق

٣٠٧ فصل في الفرق بين المداينة والمداواة

٣٠٨ الباب السادس والخمسون في الظلم
وشؤمه وسوء عاقبته

٣١٦ الباب السابع والخمسون في تحريم
السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤل إليهما

أمرهما من الأفعال الرديئة والعواقب
الذميمة

٣٢٢ الباب الثامن والخمسون في القصاص
وحكمته

٣٢٧ الباب التاسع والخمسون في القرح بعد
الشدة

٣٤٢ الباب الستون في بيان الخصلة التي هي أم
المخصال وينبوع الفضائل ومن فقد هالم

يكمل فيه خصلة وهي الشجاعة ويعبر
عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس

٣٤٥ الباب الحادي والستون في ذكر الحروب
وتدبيرها وحيلها وأحكامها

٣٥٦ الباب الثاني والستون في القضاء والقدر
والتوكل والطالب

٣٦٢ الباب الثالث والستون وهو جامع من
أخبار ملوك العجم وحكاياتهم الخ

٣٦٩ فصل من نوادر برزجهم الخ

٣٧٠ فصل من حكم شايان السندى الخ

٣٧٣ فصل قال غيره لا ينبغي للمالك أن يكون له
أيام معلومة يظهر فيها الخ

٣٧٣ فصل من نوادر كلام العرب من حكم
أكثم بن صيفي الخ

٣٧٦ الباب الرابع والستون مشتمل على حكم
مشهورة

وراحة القلوب وطبيعة النقوس

٢٣٦ الباب السابع والثلاثون في بيان الخصلة
التي فيها ملجأ الملوك عند الشدائد ومعقل

السلامين عند اضطراب الأمور وتغير الوجوه
والاحوال

٢٣٧ الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصال
الموجبة لذم الرعية للسلطان

٢٣٨ الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان
العادل والمخائر

٢٣٩ الباب المو في أربعين فيما يجب على الرعية
إذا جاز السلطان

٢٤٢ الباب الحادي والأربعون في كذا تكونوا يولى
عليكم

٢٤٣ الباب الثاني والأربعون في بيان الخصلة التي
تصلح بها الرعية

٢٤٦ الباب الثالث والأربعون فيما يملك السلطان
من الرعية

٢٤٧ الباب الرابع والأربعون في التحذير من
صحة السلطان

٢٥٠ الباب الخامس والأربعون في صحة
السلطان

٢٥٤ الباب السادس والأربعون في سيرة
السلطان مع الخند

٢٥٦ الباب السابع والأربعون في سيرة السلطان
في استجابة الخراج

٢٥٨ الباب الثامن والأربعون في سيرة السلطان
في بيت المال

٢٦٣ فصل يتضمن مباح ما كان يستخرج
رعيون يوسف من أوال مصر

٢٧٠ الباب التاسع والأربعون في سيرة السلطان
في الانفاق من بيت المال وسيرة العمال

٢٧٧ الباب المو في خمسين في سيرة السلطان في
تدوين الدواوين وفرض الأرزاق وسيرة

العمال

٢٨٢ الباب الحادي والخمسون في أحكام أهل
الذمة ٢٨٥ فصل في نقض الذمة العهد

٢٨٥ فصل في تقدير الجزية

(المقدمة)
(للعامة ابن خلدون)

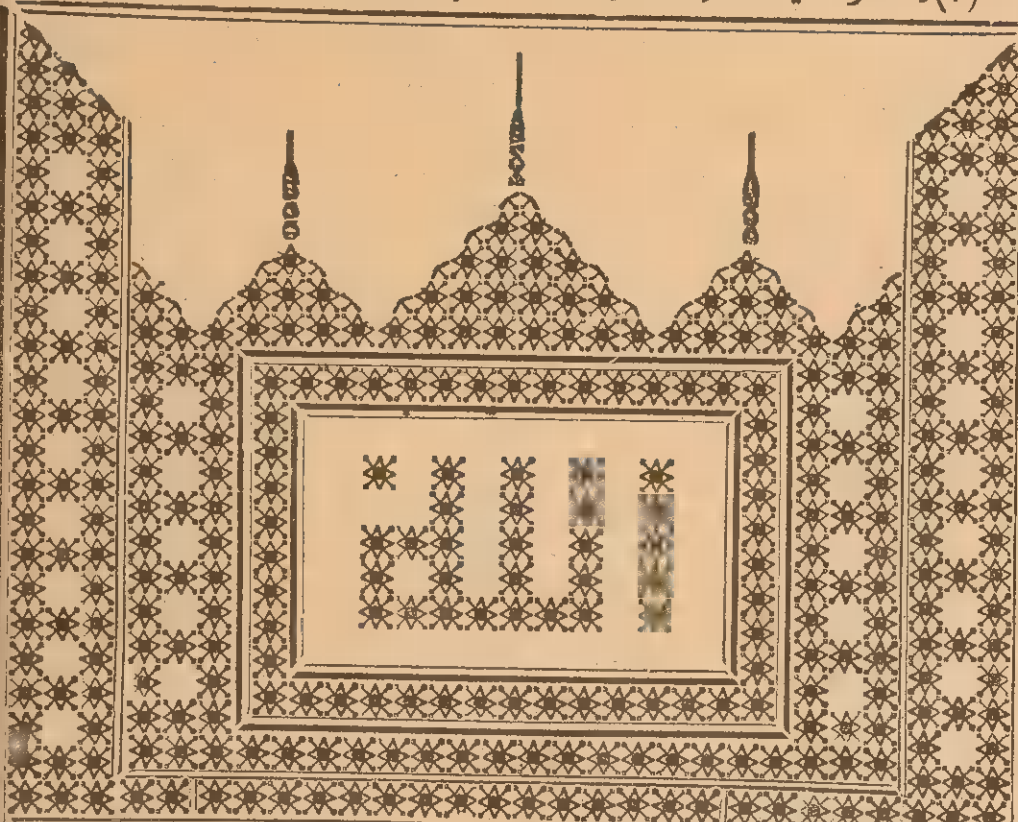
(الجزء الاول)
من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في
أيام العرب والجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوى السطان الاكبر وهو
تاريخ وحيد عصره العلامة
عبد الرحمن بن خلدون
المغربي رحمه الله
آمين

*(وبها مشه سراج الملوك للعلامة ابى بكر
محمد بن محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى
المالكي رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين)*

(محل مبيعه بالمطبعة الازهرية)
(ادارة الراعى من الله العفوان)
(حضرة السيد محمد رمضان)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣١١ هجرية)

الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الاعيان والا^٢ نار ومكورا النار على الليل
والليل على النهار العالم بالحقائق (٢) وما تنطوي عليه الارضون والسموات سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستوف بالليل وسار



بالنهار الا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير خالق
الخلق بقدرته واحكمهم
بعلمه وخصصهم بمشيئته
ودبرهم بحكمته لم يكن له
في خلقهم - م معين ولا في
تدبيرهم - م مشير وظهير
وكيف يستعين من لم يزل
يمن لم يكن اورستظهر من
تقدس عن الذل بمن دخل
تحت ذل التكوين ثم
كافهم - م معرفته وجعل
علم العالمين بعجزه عن
ادراكه ادراكا لهم ومعرفة
العارفين بتقصيرهم عن
شكره شكرهم كما جعل
اقرار المقرين بوقوف
عقولهم عن الاحاطة
بحقيقته ايمانا لهم لا يلزمه
لم ولا يجاوز ابن ولا
يلاصقه حدث ولا يحده ما
ولا يبعده كم ولا يحصره متى
ولا يحيط به كف ولا يناله
اي ولا يظله فوق ولا يقله
تحت ولا يقابله حد ولا
يزاحه عند ولا يأخذه
خلف ولا يحده امام ولم
يظهره قبل ولم يعينه بعد
ولم يحمه كل ولم يوجد له
كان ولم يفقده ليس وصفه
لاصقة له وكونه لا امده
ولا تخاطبه الاشكال
والصور ولا تغيره الايام
والغير ولا تجوز عليه
الماسة والمقاربة وتستحيل

الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الاعيان والا^٢ نار ومكورا النار على الليل
والليل على النهار العالم بالحقائق (٢) وما تنطوي عليه الارضون والسموات سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستوف بالليل وسار

الحمد لله الذي له العزة والجبروت * ويده الملك والملايكوت * وله الاسماء الحسنى والنعوت * العالم فلا
يعزب عنه ما تظهره التجوى او يخفيه السكوت * القادر فلا يجزه شئ في السموات والارض ولا يقوت *
انسانا من الارض نسما * واستعمرنا فيها احيالا واما * وبسر لنا منها ارزاقا وقسما * تكفينا الارحام
والبيوت * ويكفلنا الرزق والقوت * وتبلينا الايام والوقوت * وتعتونا الاجال التي خط علينا كتابها
الموقوت * وله البقاء والثبوت * وهو الحى الذى لا يموت * والصلاة والسلام على سيدنا وولانا محمد * والنبى
الامى العربى المكتوب فى التوراة والانجيل والمنعوت * الذى تمخض لفصله السكون قبل ان تتعاقب
الاتحاد والسبوت * ويتبين زحل واليه موت (١) * وشهد بصدقه الحما والعنكبوت * وعلى آله واصحابه
الذين لهم فى محبته واتباعه الاثر البعيد والصيت * والشمل الجميع فى مظاهرتة ولعدوهم الشمل الشيت *
صلى الله عليه وعليهم ما اتصل بالاسلام جده المبحوت * وانقطع بالكفر جرحه المبتوت * وسلم كثيرا
* (اما بعد) * فان فن التاريخ من القنون التى يتداولها الامم والاجيال * ونشدا اليه الركائب والرحال *
(١) قوله اليه موت هو النون اى الحوت الذى على ظهره الارض السابعة ويسمى ايضا لوتيا كفى المزهر
وروح البيان والالهجة ومعلوم ان بينه وبين زحل الذى هو فى القللك السابع يوناعية ذاق الشهاب
الحقاجى فى حاشيته على البيضاء فى اول سورة نون اليه موت بفتح المنة التحيبة وسكون الهاء وما اشهر
من انه بالباء الموحدة غلط على ما ذكره الفاضل الحشى اه ومثله فى روح البيان قاله نصر المودى

عليه المحاذاة والمقابلة ان قلت لم كان فقد سبق العلل ذاته ومن كان معلولا كان له غيره عليه يساوقه فى الوجود
وهو قبل جميع الاعيان بلا علة فقدرة الله فى الاشياء بلا مزاج وصنعه فيها بلا علاج وعله كل شئ صنعه ولا علة اصنعه فان قلت اين هو فقد

سبق المـكان وجوده في اين الاين لم يقتصر وجوده الى اين هو بعد خلق المـكان غنى بنفسه كما كان قبل خلق المـكان وكيف يحل
فيما منه بدو يعود اليه ما هو انشاوان قلت ما هو فلا مائة لو وجوده وماه وضوءة (٣) لسؤال عن الجنس والقديم تعالى

لاجنس له لان الجنس
مخصوص بمعنى داخل تحت
المائية وان قلت كم هو
فهو واحد في ذاته منفرد
بصفاته وان قلت متى كان
فقد سبق الوقت كونه
وان قلت كيف هو فمن
كيف الكيف لا يقال له
كيف ومن جازت عليه
الكيفية جازها به النعت
وان قلت هو فلهاء
والواو خلقه بل الزم الكل
الحديث كما قال بعض
الاشياخ لان القدم له فالذي
بالجسم ظهوره فالعرض
يلزمه والذي بالاداة
اجتماعه فقواها تمسكه
والذي يؤلفه وقت يفرقه
وقت والذي يقيمه غيره
فالضرورة تمسكه والذي
الوهم يطرده فالتصور
يرتقي اليه ومن آواه محل
ادركه اين ومن كان له
جنس طلبه كيف وجوده
اثباته ومعرفته توحيد
وتوحيد تميزه من خلقه
ما تصور في الاوهام فهو
بخلافه لا تخالفيه العيون
ولا تخالط الظنون ولا
تصوره الاوهام ولا تحيط
به الافهام ولا يقدّر قدره
الانام ولا يحويه مكان
ولا يقاربه زمان ولا يحصره
امد ولا يسعه ولد ولا يحجمه

وتسمو الى معرفته السوقة والافعال وتتنافس فيه الملوك والاقبال ويتساوى في فهمه العلماء
والجهال اذ هو في ظاهره لا يز يدعى اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الاول تنفي فيها
الاقوال وتضرب فيها الامثال وتطرف بها الاندية اذا غصم الاحتفال وتؤدي اليها شأن الخلدية
كيف تغلبت بها الاحوال واتسع للدول في النطاق والجمال وعمر والارض حتى نادى بهم الارواح
وكان منهم الزوال وفي باطنه نظر وتحديق وتعليل للكائنات ومبادئ دقيق وعلم بكميات
الوقائع واسبابها عتيق فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق وجدير بان يعد في علومها وخلق وان
في قول المؤرخين في الاسلام قداسة وتعبوا اخبار الايام وجوهها وسطروها في صفحات الدفاتر
واودعوها وخلفها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها او ابتدعوها وزخارف من الروايات
المضغقة لفقوها ووضعوها واقتفى تلك الاثار الكثر من بعدهم واتبعوها وادوها اليها كما
سموها ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها ولا رفضوا اثرها في الاحاديث ولا دفعوها
فالتحقيق قليل وطرف التفتيح في الغالب كليل والغلط والوهم نسب للاخبار وخيل والنقل يد
عريق في الاكديمين وسليد والتطفل على القنون عرض وطويل ومرعى الجهل بين الانام وخيم
بيل والحق لا يقاوم سلطانه والباطل يذف بشهاب النظر شيطانه والنقل انما هو عيلى وينقل
والبصيرة تتقدح الصحيح اذا تململ والعلم يحلوا صفحات الصواب ويصقل (هذا) وقد دون الناس في
الاخباروا كثر واوجعوا وتوارى في الامم والدول في العالم وسطروا والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامانة
المعتبرة واستقر غوادوا ومن قبلهم في صحفهم المتأخرة هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل
ولا حركات العوامل مثل ابن اسحق والطبري وابن الكلبى ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر
الاسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير المتميزين عن الجاهلير وان كان في كتب المسعودي
والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الالباب ومشهور بين المفضلة الثقات الا ان الكفاية
اختصتهم بقبول اخبارهم واقفاء سننهم في التصنيف واتباع آثارهم والناقد البصير قسطاس نفسه في
ترتيبهم فيما يتقنون او اعتبارهم فلا مـر ان طبائع في احواله ترجع اليها الاخبار وتعمل عليها
الروايات والآثار ثم ان اكثر التواريخ لم تؤولا لعامة المناهج والمسالك لعموم الدولتين صدر الاسلام
في الآفاق والممالك وتناولها البعيد من الغايات في المسأخذ والمآثر ومن هؤلاء من استوعب ما
قبل الملة من الدول والامم والامم كالمسعودي ومن نخا منحه وجاء من بعدهم من عدل عن الاطلاق
الى التقييد ووقف في العموم والاحاطة عن الشا والبعد فقيد شوارد عصره واستوعب اخبار افعه
وقطره واقتصر على احاديث دولته ومصره كما فعل ابو حيان مؤرخ الاندلس والدولة الاموية بها وابن
الرفيق مؤرخ افرقيقة والدول التي كانت بالقير وان ثم لم يأت من بعده هؤلاء الا مقلدوهم وبلد الطبع
والعقل اومتبلد ينسج على ذلك المنوال ويحتذى منه بالمال ويذهل عما حالته الايام من الاحوال
واسئبت دلت به من عوائد الامم والاحوال فيجلبون الاخبار عن الدول وحكايات الوقائع في الصور
الاول صور اقد تجردت عن موادها وصفحات انتضت من انماها ومعارف تستنكر للجهل بطارفها
وتلادها انما هي حوادث لم تعلم اصولها وانواع لم تتهـ برأجناسها ولا لتحقق فصولها يكررون في
موضوعاتهم الاخبار المتداولة باعيانها اتبعا لمن عني من المتقدمين بشأنها ويعقلون أمر الاجيال
الناشئة في ديوانها بما عوز عليهم من ترجمانها فتستجهم صحفهم عن بيانها ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة

عند قربه كرامته بعدد ما انته علومه من غير قول ومحيته من غير نقل هو الاول والاخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذي
ليس كمثل شئ وهو السميع البصير واشهد له بالربوبية والوحدة الدانية وعاشه به لنفسه من الاسماء الحسنى والصفات العلى والنعت

الاول في آلاله الخلق والامر ببارك الله رب العالمين واومن بالله وما لا نكته وكتبه ورسله لا تفرق بين احد من رسله ونحن له مسلمون
واشهد ان محمدا عبده المصطفى وامينه (٤) المرتضى ارسله الى كافة الورى بشير او نذير او داعي الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله

نشقوا اخبارها نسقا * محافطين على نقلها واهما اوصدقا * لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب
الذي رفع من رايها * وظهر من آيتها * ولا علة الوقوف عند غايتها * فيبقى الناظر متطلعا بعد الى افتقار
احوال مبادئ الدول وحرابها * مفتشاعن اسباب نزاجها او تعاقبها * باحثاعن المقنع في تباينها او تناسبها *
حسبان ذلك كله في مقدمة الكتاب * ثم جاء آخرون بافراط الاختصار * وذهبوا الى الاكتفاء باسماء
الملوك والاقطار * مقتطوعة عن الانساب والاخبار * موضوعة عليهم اعدادا يامهم بحروف الغبار * كما
فعله ابن رشيقي في ميزان العمل * ومن اقتفى هذا الاثر من المل * وليس يعتبر هؤلاء بمقال * ولا يعلوهم
ثبوت ولا انتقال * لما اذهبوا من القوائد * واخلوها بالماذهب المعروفة للأورخين والعوائد (ولما طاعت)
كتب القوم * وسبرت غور الامس واليوم * نهت عين القرية من سنة الغلة والنوم * وسمعت
التصنيف من نفسي وانا المفلس احسن السوم * فأنشأت في التواريخ كتابا * رفعت به عن احوال الناشئة
من الاجيال حجابا * وفصلته في الاخبار والاعتبار بابا بابا * وابدت فيه لاولية الدول والعمران عللا
واسبابا * وبنيت على اخبار الامم الذين همروا المغرب في هذه الاغصان * ومما اكناف النواحي منه
والامصار * وما كان لهم من الدول الطوال والقصار * ومن سلف من الملوك والانصار * وهم العرب
والبربر * اذ هما الجبلان اللذان عرف بالمغرب ما واهما * وطال فيه على الاحقاب مشواهما * حتى لا يكاد
يتصور فيه ما عداهما * ولا يعرف اهله من اجيال الا دميمين سواهما * فهذه من ناحيته تهذيبا * وقربه
لافهام العلماء والخاصة تقريبا * وسلك في ترتيبه وتبويبه مسلكا غريبا * واختر عنه من بين المناحي
مذهبا عجيبا * وطريقة مبتدعة واسلوبا * وشرحت فيه من احوال العمران والتمدن وما يعرض في
الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ما يتعلق بعلم الكوائن واسبابها * ويعرفك كيف دخل اهل
الدول من ابوابها * حتى تنزع من التقليد يدك * وتقف على احوال من قبلك من الايام والاجيال وما
بعذك * (ورتبته) على مقدمة وثلاثة كتب

(المقدمة) في فضل علم التاريخ وتحقيق مذهبها والاماع بمعاط المؤرخين
(الكتاب الاول) في العمران وذكما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والاساطان والكسب
والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من الال والاسباب
(الكتاب الثاني) في اخبار العرب واجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة الى هذا العهد وفيه الاماع ببعض
من عاصرهم من الامم المشاهير ودولهم مثل النبط والعرب والفرس وبنى اسرائيل والقبط ويونان
والروم والترك والافرنجة

(الكتاب الثالث) في اخبار البربر ومن اليهم من زنة وذكراوليتهم واجيالهم وما كان لهم بديار المغرب
خاصة من الملك والدول ثم كانت الرحلة الى المشرق لاجتلاء انواره وقضاء الغرض والسنة في مطافه
وزاره * والوقوف على آثاره في دواوينه واسفاره * فافتت ما نقص من اخبار ملوك العرب * بتلك الديار *
ودول الترك فعماد كره من الاقطار * واتبعتهما ما كتبه في تلك الاسطار * وادرجتها في ذكر
المعاصر من تلك الاجيال من أم النواحي * وملوك الامصار والنواحي * سال الكاسيل الاختصار
والتلخيص * مقتديا بالمرام السهل من العويص * داخلا من باب الاسباب على العموم الى الاخبار على
الخصوص فاستوعب اخبار الخليقة استيعابا * وذلك من الحكم النافذة صاعبا * واعطى لمحوادث الدول
عللا واسبابا * واصبح للحكمة صونا وللناريج حجابا * (ولما كان) مشتغلا على اخبار العرب والبربر

عليه وعلى اهل بيته
الطاهرين واصحابه
المتحسين وازواجه
الطاهرات امهات المؤمنين
(اما بعد) فاني نظرت في
سير الامم الماضية والملوك
الحالية وما وضعوه من
السياسات في تدبير الدول
والترزوم من القوانين في
حفظ الخلق فوجدت ذلك
نوعين احكاما وسياسات
فاما الاحكام المشتقة على
ما اعتقه دونه من المحال
والحرام والبيع والاحكام
والانكسة والطلاق
والاجارات ونحوها والرسوم
الموضوعة لها والحدود
القائمة على من خالف شيئا
منها فاصطلحوا عليه
بمعقولهم ليس على شيء منه
برهان ولا انزل الله به من
سلطان ولا اخذوه عن
تدبير ولا تبعوا فيه رسولا
ولما هي صادرة عن خيرة
النيران وسنة نبوت
الاصنام وعبدة الانداد
والاوثان وليس يحجز احد
من خلق الله ان يصنع
من تلقاء نفسه امثالا
واشباها واما السياسات
التي وضعوها في التزام
تلك الاحكام والذبح عنها
والحماية لها وتعظيم من
عظمها واهانتها من استهان

بها وخالفها فقد ساروا في ذلك بسيرة العدل وحسن السياسة وجمع القلوب عليها
والترام النصفة فيما بينهم على ما توجه به تلك الاحكام وكذلك في تدبير الحروب وامن السبل وحفظ الاموال وصون الاعراض والحرم

كل ذلك فقد ساروا فيه بسيرة جميلة لا ينافي العقول شي منه لو كانت الاصول صحيحة والقواعد واجبة فكانوا في حسن سيرتهم يحفظ تلك الاصول الفاسدة كما نـ زخرف كنيهاً أو بني على ميت قصر (٥) مني قالوا ليس الجار شاب خـ *

لَقَالَ النَّاسُ بِاللَّهِ مِنْ جَارٍ

لَقَالَ النَّاسُ بِاللَّهِ مِنْ جَارٍ

فجعت محاسن ما انطوى

عليه سيرة خاصة من

ملوك الطوائف وحكام
الدول في سنة ١٢٨١ هـ

الدول فوجدت ذلك في
ست من الامم والعرب

والفرس والروم والهند

والسند والسند هـ ن ف ما

ملوك الصين وحكامهم

فلم يصل الى أرض العرب

من سیاستہم شیء کثیر

بعد الشقة وطول المسافة

وامام من عدا هؤلاء من الامم
فلا يكونوا لهم عونا

وقالوا يا ايها الذين آمنوا انزلوا ما ازهار

ناقية وانما صـ در عنبر

الشيء المسمى من الحمة

فمنظمت ما ألفت في كبره

من الحكمة البالغة والسير

المستحسنة والكامة الطيفة

والطريقة المألوفة والتوقيع

الحجیل والاسرائیلی الی
مادونہو جنتہون سے

الاندياع علم السلام وآثار

الأولاء وبراءة العلماء

وحكمة الخـ كما ونواد

الخلفاء وما انطوى عليه

القرآن العزيز الذي هو

بحر العلوم وينبع الحكيم

وَمَعْدَنَ السِّيَاسَاتِ وَمَعَاصِ
الْحُكْمِ الْكَتْمَانِيَّاتِ

اختتم فلمحة دالة وإشارة

خفية وان أطال فالعاط

بارعة وآيات معجزة هو

حاورية لقاص - دهانامقة

والى الله معكم يا عرض من

من أهل المدن والوبر ■ والاسماعين عاصرهم من الدول الكبير * وأفصح بالذكري والعبر * في مية - دال
الاحوال وما بعدهما من الخبر (سميته) كتاب العبر * وديوان المبتدأ والخبر * في أيام العرب والعجم والبربر *
ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر * ولم اترك شيئاً في أولية الاجيال والدول * وتعاصر الامم الاول *
واسباب التصرف والحول * في القرون الخالية والمال * وما يعرض في الممران من دولة وملة * ومدينة
وحدة * وعزة وذلة * وكثرة وقلة * وعلم وصناعة * وكسب واصناعة * واحوال متقلبة مشاعة * وبدو
وحضر * وواقع ومنظر * والاستوعبت جملة * وأوضحته برأيه وعلمه * في هذا الكتاب فذا بمضمونه
من العلوم الغريبة * والحكم المحجوبة القرينة * وأنام من بعدهما وقوف بالقصور * بين أهل العصور *
معترف بالحجز عن المضاعف * في مثل هذا القضاء * راغب من أهل البدل البيضاء * والمعارف المتسعة الفضاء *
النظر بعين الانتقاد لابعين الارتضاء * والتعمد لما يعثرون عليه بالاصلاح والاعضاء * فالبضاعة بين أهل
العلم عز جات * والاعتراف من اللوم منجاة * والحسنى من الاخوان مرغبات * والله أسأل أن يجعل عملنا
خاصة لوجهه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل (وبعد) أن استوفيت علاجه * وأنزلت مشكاته
للمستبصرين وأذ كيت سراجهم * وأوضحته بين العلوم طريقه ومنهاجه * وأوسعت في فضاء المعارف
نطاقه وأدرت سياجه * أتتبع بهذه النسخة منه (١) خزنة مولانا السلطان الامام المجاهد الفاتح
المجاهد المتحلى من ذخل التمام * ولوث العمام * بحلى القانت الزاهد * المتوشح من زكاه المناقب
والمجاهد * وكرم الشمايل والشواهد * باجل من القلائد * في بخور والولائد * المتناول بالعزم القوي الساعد
* والجدد الموائى المساعد * والجدد الطارف والتالد * ذواب مدكمهم الراسى القواعد * الكريم المعالى
والمصاعد * جامع أشتات العلوم والقوائد * وناظم شمل المعارف الشوارد * ومظهر الايات الربانية * ■

(١) قوله اتحقت بهذه النسخة منه الخ وجود في نسخة بخط بعض فضلاء المغاربة زيادة قبل قوله اتحقت وبعد قوله وأدرت سياجه ونصها التمس له السكف الذي يلعب بين الاستبصار فنونه * ويلفظ بمداركة الشريعة معياره الصحيح وقانونه * ويميز رتبته في المعارف عمادونه * فسرحت فكرى في قضاء الوجود * وأجلت نظرى ليل القمام والمجود * بين التهاشم والتجود * في العلماء الركن اليهود * والخلفاء أهل الكرم والمجود * حتى وقف الاختيار بساحة الكمال * وطافت الافكار بعوقف الآمال * وظفرت أيدي المساعي والاعمال * بمتدى المعارف مشرقة فيه غرر الجمال * وحدائق العلوم الوارفة الظلال عن العيون والنمال * فأنتجت مطى الافكار في عرصاتها * وجلوت محاسن الانظار على منصاتها * واتحقت بديوانها مقاصير ايوانها * وأطلعت كوكبا وقادا في أفق خزانها وصورها * ليكون آية للعقلانية بدون بماره يعرفون فضل المدارك الانسانية في آثاره * وهى خزانة مولانا السلطان الامام المجاهد الفاتح المهاد الى آخر النعوت المذكورة هنا ثم قال الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين ابو العباس احمد ابن مولانا الامير الطاهر المقدس ابي عبد الله محمد ابن مولانا الخليفة المقدس امير المؤمنين ابي يحيى الى بركاب الخلفاء الراشدين من أئمة الموحدين الذين جدوا الدين ونهجا السبل للمهتدين ومحو آثار البغاة المفسدين من المحسنة والمعتمدين سلاله الى حفص والفاروق والنبعة النامية على تلك المنابر الزاكية والعروق والنور الملائكى من تلك الاشعة والبروق فاوردته من مودعها العلى بحب مقرر الهدى ورياض المعارف خضلة الندى الى آخر ما ذكر هنا الا انه لم يقيّد الامامة بالفارسية لكن النسخة المذكورة مختصرة عن هذه النسخة المنقولة من خزانة الكتب الفاسية ولم يقل فيها ثم كانت الرحلة الى المشرق الخ

المسألة الخامسة في المحامى لحسن الدنيا وفضل الآخرة (وربته) ترتيباً أنيقاً وترجمته تراجم بارع
بحكمه ما هو مضمونها بلع الاذن من غير اذن ويتوكل التامور من غير استئذان الفاعل ما هو الباع ليعاينها ليس الفاعل

معانيها الى القلب فان نظم الكتاب بحمد الله وعونه واحسانه غاية في بابه غير بما في فنونه واسما به خفيف الحمل كثير الفائدة لم يسبق
الى مثله أقلام العلماء ولا جالت (٦) في نظمه أفكار الفضلاء ولا حوته خزائن الملوك والرؤساء فلا يسمع به ملك

في فضل المذارك الانسانية * بذكره الثاقب الناقد * ورأيه الصحيح المعاني * النير المذهب والعقائد * نور
الله الواضح المرشد * ونعمته العذبة الموارد * واطفه الحكام * بالمراد للشدائد * ورحمته الكريمة المعاليد *
التي وسعت صلاح الزمان الفاسد * واسبقا المائد من الاحوال والعوائد * وذهبت بالخطوب الاوابد *
* وخلعت على الزمان رونق الشباب العائد * وجمته التي لا يبطلها انكار الجاحد ولا شهوات المعاند *
(امير المؤمنين) ابو فارس عبد العزيز بن مولانا السلطان الكبير الجاهل المقدس امير المؤمنين * ابي
الحسن ابن السادة الاعلام من بني مري * الذين جددوا الدين * ونحووا السبل للمهتدين * ونحووا آثار
البيعة المقدسين * أفاء الله على الامة ظلاله * وبلغه في نصر دعوة الاسلام آماله * ويعتنه الى خراتهم
الموقفة لطيفة العلم بجامع القرويين من مدينة فاس حضرة ملاكهم * وكرسي سلطانهم * حيث مقر الهدى
ورياض المعارف خضلة الندى وقضاء الاسرار الربانية فسيح المدي * والامامة الكريمة الفارسية (١)
العزيزية ان شاء الله بنظرها الشريف وفضلها الغني عن التعريف * تبسط له من العناية مهادا * وتفتح
له في جانب القبول آما دافق وضحها ادلة على رسوخه واشهاد * في سوقها تنفق بضائع الكتاب * وعلى
حضرتها تعكف ركائب العلوم والآداب * ومن مدد بصائر المنيرة نتائج القرائح والالباب * والله
يوزعنا شكر نعمتها ويوفر لنا حظوظ المواهب من رحتها * ويعيننا على حقوق خدمتها * ويجعلنا من
السابقين في ميدانها المحلحين في حومتها * ويضفي على أهل اياتها وما أوى من الاسلام الى حرم عملاتها *
لبوس جاليتها وحرمتها * وهو سبحانه المسؤول ان يجعل اعمالنا خالصة في وجهتها * بريئة من شوائب
الغفلة وشبهتها وهو وحسبنا ونعم الوكيل

(١) المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض
للمؤرخين من المغالط والاهام وذكري من اسبابها *

(اعلم) ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم القوائد شريف الغاية اذهو يوقفنا على احوال الماضين
من الامم في اخلاقهم * والانبياء في سيرهم * والملوك في دولهم وسياساتهم * حتى تتم فائدة الاقتداء
في ذلك لمن ير ورمع في احوال الدين والديانة ومحتاج الى ما خدمت متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر
وتثبت يقضيان بصاحبها الى الحق وينسكان به عن المزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعمد فيها على مجرد
النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ولا في
الغائب منها بالشاهد والمحاضر بالذاهب فرمما لم يؤمن فيها من العتور ومزلة القصد والمحجب عن جادة
الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على
مجرد النقل غنا أو عينا لم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها باشباهها ولا سبروها بعيانها الى كمة والوقوف
على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلواعن الحق وتاهوا في بيدها الوهم والغلط
سما في احصاء الاعداد من الاموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات اذهي مظنة الكذب ومطية
التهذوب لا بد من ردها الى اصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في
جيوش بني اسرائيل وأن موسى عليه السلام احصاهم في التيه بعد ان أجاز من يطبق حمل السلاح خاصة
من ابن عشرين خافوقها فكانوا ستمائة ألف او يزيدون ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام
واتساعها مثل هذا العدد من الجيوش لكل ملكة من الممالك حصنة من الحماية تتسع لها وتقوم

(١) قوله الفارسية أي المنسوبة الى الامير أبي فارس المتقدم ذكره ام

الاستدراك به ولا وزير
الاستدراك به ولا رئيس الا
استحسنه واستوسده
عصمة لمن عمل به من الملوك
وأهل الرياسة وجنة لمن
تخصن به من أولى الامر
والسياسة وجمال لمن تحلى
من أهل الآداب
والخاضرة وعنوان لمن
فاوض به من أهل الجاهلية
والذاكرة (وسميته سراج
الملوك) يستغنى به الحكيم
بدراسة من مباحثه
الحكام والملوك عن
مشاورة الوزراء (واعلموا)
وفقهكم الله ان أحق من
أهديت اليه الحكم
وأوصلت اليه النصائح
وجلت اليه العلوم من آثاء
الله سلطانا فنفذ في الخلق
حكمه وجاز عليهم قوله
(ولما رأيت) الاجل
المأمون تاج الخلافة عز
الاسلام فخر الانام نظام
الدين خالصة أمير
المؤمنين أبابعد الله محمد
الاموي أدام الله لا عزاز
الدين نصره وأنفذ في
العالمين بالحق أمره وأوزع
كافة الخلق شكره وكفاهم
فيه محذور وضره فقد
تفضل الله تعالى به على
المسلمين فبسط طيفهم يده
ونشر في مصالح أحوالهم

بوظائفها

كلمته وعرف الخاص والعام بمنه وبركته وتقلد أمور الرعية وسار فيهم على أحسن قضية

متمحور بالصواب راغب في الثواب طالبا سبيل العدل ومنهاج الانصاف والفضل رغب في ان اخذ به هذا الكتاب رجاء لطف الله تعالى يوم

تجد كل نفس ما عملت من خير محضر او ما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا يبدا ولذا كرفضاؤه ومحاسنه ما بقي الدهر كما قيل
الناس يهدون على قدرهم ■ لكنني اهدي على قدرى يهدون ما يقنى وأهدى الذى (v) ينقى على الايام والدهر
فان العلم عصمة الملوك

والامراء ومعدل السلاطين
والوزراء لانه يمنهم من
الظلم ويردهم الى الحق
ويصدهم عن الاذية
ويعطهم على الرعية فن
حقهم ان يعرفوا حقهم
ويكرموا جلالته ويستبطنوا
أهله (وهذه) أبواب هذا
الكتاب وعدتها أربعة
وستون بابا الباب الاول
في مواضع الملوك الباب
الثاني في مقامات العلماء
والصالحين عند الامراء
والسلاطين الباب الثالث
في مجاهد في الولاة والقضاة
وما في ذلك من الغرر
والخطر الباب الرابع في
معرفة ملك سليمان بن
داود ووجه طلبه للملك
وسؤاله ان لا يؤتاه احد من
بعده الباب الخامس في
فضل الولاة والقضاة اذا
عدلوا الباب السادس في
ان السلطان مع رعيته
مغبون غير غائب وخاسر
غير راجع الباب السابع في
بيان الحكمة في كون
السلطان في الارض الباب
الثامن في منافع السلطان
ومضاره الباب التاسع في
معرفة منزلة السلطان من
الرعية الباب العاشر في
معرفة خصال ورد

بوظائفها وتضييق عما فوقها تشهد بذلك العوائد المعروفة والاحوال المألوفة ثم ان مثل هذه الجيوش
البالغة الى مثل هذا العدد يبعد ان يقع بينها زحف أو قتال لضيق ساحة الارض عنها وبعد ما اذا اصطفت
عن مدى البصر مرتين او ثلاثا وأزيد فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة احد الصقيين وشئ من
جوانبه لا يشعر بالجانب الاخر والحاضر يشهد لذلك فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء (ولقد كان)
ملك الفرس ودولتهم اعظم من ملك بني اسرائيل بكثير يشهد لذلك ما كان من غلب بخت نصر لهم والتمامه
بلادهم واستيلائه على احرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة مملكتهم وسلاطنتهم وهو من بعض عمال عمالة
فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت عمالكمهم بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والابواب
اوسع من عمال بني اسرائيل بكثير ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه
وأعظم ما كانت جوعهم بالقادسية مائة وعشرون ألفا كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا في
اتباعهم أكثر من مائتي ألف (وعن عائشة والزهرى) ان جوع رستم التي زحف بها السعد بالقادسية انما
كانوا ستمين ألفا كلهم متبوع وايضا فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لانتفع نطاق ملكهم وانسفع
مدى دولتهم فان العمالات والممالك في الدول على نسبة الحمامية والقبيل القاطنين بها في قتلها وكثرتها
حسب ما نسين في فصل الممالك من الكتاب الاول والقوم لم تتسع عمالكمهم الى غير الاردن وفلسطين من
الشام وبلاد يرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف وايضا فالذي بين موسى واسرائيل انما هو أربعة
آباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران بن بصهر بن قاهت بفتح الهاء كسر هاء ابن لاوى بكسر
الواو وفتحها ابن يعقوب وهو اسرائيل الله هكذا نسبة في التوراة والمدة بينهما على ما نقله المسعودى قال
دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط وأولادهم حين اتوا الى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم بمصر الى ان
خرجوا مع موسى عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة تعدوا لهم ملوك القبط من الفراعنة وبعدها
يتشعب النسل في أربعة أجيال الى مثل هذا العدد وان زعموا ان عدد تلك الجيوش انما كان في زمن
سليمان ومن بعده فبعيد دايس ايضا اذ ليس بين سليمان واسرائيل الا أحد عشر أبافانه سليمان بن داود
ابن ايشابن عوفيد ويقال بن عوف بن باعزو ويقال بعوز بن سلومون بن نحشون بن عيمين وذب ويقال
جيمين اذ ابن دم بن حصرون ويقال حسرون بن يارس ويقال بيرس بن يهوذا بن يعقوب ولا يتشعب
النسل في أحد عشر من الولد الى مثل هذا العدد الذي زعموه اللهم الى المئين والالاف فرما يكون وأما
ان يتجاوز الى ما بعده ما من عقود الاعداد فبعيد واعة بذلك في الحاضر المشاهد والقريب المعروف
تجد زعمهم باطلا لملقهم كاذبا (والذي ثبت في الاسرائيليات) ان جنود سليمان كانت اثنا عشر ألفا خاصة
وان مقر بانه كانت الفا واربع مائة فرس مرتبطة على أبوابه هذاهو الصحيح من اخبارهم ولا يلتفت الى
خرافات العامة منهم (وفي ايام سليمان عليه السلام وما كنه) كان عنة وان دولتهم واتساع ملكهم هذا وقد نجد
الكفاة من أهل العصر اذا أقاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعدهم هم أو قريمانه وتقاضوا
في الاخبار عن جيوش المسلمين وانصارى أو أخذوا في احصاء اموال الجبايات وخراج السلطان
ونفقات المترفين وبضائع الاغنياء المومنين توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وسوس
الاغراب (١) فاذا استشكلت أصحاب الدواوين عن عساكرهم واستتبعت أحوال اهل الثروة في
بضائعهم وفوايدهم واستجلبت عوائد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونه وما ذلك الا لولوع النفس
(١) قوله الاغراب بكسر الهمزة اه

الشرع بها فيها نظام الملك والدول الباب الحادى عشر في معرفة الخصال التي هي قواعدا لسلطان ولا تبات له دونها الباب الثاني عشر
في معرفة الخصال التي زعم الملوك انها أزال دولتهم وهدمت سلطنتهم الباب الثالث عشر في معرفة الصفات الراتبة التي زعم الحكام

انها لا تدوم معها ملكة الباب الرابع عشر في الخصال المحودة في السلطان وثلاثة عشر في الحكماء والعلماء عليهم السلام الباب الخامس عشر في معرفة الخصال التي يعز بها (٨) السلطان الباب السادس عشر في معرفة الخصال التي هي ملاك امور السلطان

بالغرائب وسهولة التجا وزعلي اللسان والغفلة على المتعقب والمتنقد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يطالبها في الخبر بتوسط ولا علة ولا رجعها الى بحث وتفتيش فبرسل عنانته ويسم في مراتع الكذب لسانه ويتخذ آيات الله هزوا ويشترى له الحديث ليضل عن سبيل الله وحسبك بها صفة خاسرة (ومن الاخبار الواهية للوزيرين) ما يعلقونه كافة في اخبار النبوة ملوك اليمن وجزيرة العرب انهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الى افريقية والبربر من بلاد المغرب وان افريقس بن قيس بن صيفي بن اعظم ملو كههم الاول وكان لعهد موسى عليه السلام اوقبله بقليل غزا افريقية وأثنى في البربر وأنه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال ماهذه البربر فآخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حيث شؤانه لما انصرف من المغرب فجزهنا لك قبائل من حمير فأقاموا بها واختلطوا باباها ومنهم صنهاجة وكتامة ومن هذا ذهب الطبري والبحر جاني والمسعودي وابن الكلبي والبيهقي الى ان صنهاجة وكتامة من حمير وتاباه نسبة البربر وهو الصحيح (وذكر المسعودي ايضا) ان ذالاذعار من ملو كههم قبل افريقس وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودوخه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وأنه بلغ وادي الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسل كما سكتة الرمل فرجع وكذلك يقولون في تبع الاخر وهو اسعد ابو كرب وكان على عهد يستأسف من ملوك الفرس الكيانية انه ملك الموصل وأذربيجان ولقي الترك فزهمهم وأثنى ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك وأنه بعد ذلك اغزى ثلاثة من بني بلاد فارس والى بلاد الصغد من بلاد ام الترك وراء النهر والى بلاد الروم فلك الاول البلاد الى سمرقند وقطع المغازاة الى الصين فوجد اخاه الثاني الذي غزا الى سمرقند قد سبقه اليها فاتخا في بلاد الصين ورجع جميعا بالغنائم وتركو ابيلا للصين قبائل من حمير فهم بها الى هذا العهد وبلغ الثالث الى قسطنطينية فدرسها ودوخ بلاد الروم ورجع (وهذه الاخبار) كلها بعدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط واشبه باحاديث القصص الموضوعة وذلك ان ملك التبايعات انما كان بجزيرة العرب وقراهم وكرسيهم بصنعاء اليمن وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها فبحر الهند من الجنوب وبحر فارس الهابط منه الى البصرة من المشرق وبحر السو يس الهابط منه الى السو يس من اعمال مصر من جهة المغرب كل تراه في مصورا للجغرافيا فلا يجد السالك كون من اليمن الى المغرب طريقا من غير السو يس والمسالك هناك ما بين بحر السو يس والبحر الشامي قد مرحت بين فها دونها وما بعد ان يمر بهذا المسالك ملك عظيم في عسا كرم وفيرة من غير ان تصير من اعماله هذا تمتع في العادة وقد كان بتلك الاعمال العمانية كنعان بالشام والقبط بمصر ثم ملك العمالة بمصر وملك بنو اسرائيل الشام ولم يقتل قط ان التبايعات حاربوا احد ادم من هؤلاء الامم ولا ملكا كواشيا من تلك الاعمال وايضا فالشقة من البحر الى المغرب بعدة والازود والوفة للعسا كرم كثيرة فاذا ساروا في غير اعمالهم احتاجوا الى اتهاب الزرع والتمع واتهاب البلاد فيعاصرون عليه ولا يكفي ذلك للازودة وللوفة عادة وان نقلوا كفايتهم من ذلك من اعمالهم فلا تقي لهم الرواحل بنقله فلا بد وان يمر في طريقهم كلها باعمال قد ملكوها ودوخوها لتكون الميرة منها وان قلنا ان تلك العسا كرم بهؤلاء الامم من غير ان يهيجهم فتحصل لهم الميرة بالمسألة فذلك ابعد واشد امتناعا فدل على ان هذه الاخبار رواهية او موضوعة (واما) وادي الرمل الذي يجز السالك فلم يسمع قط ذكره في المغرب على كثرة السالكه ومن يقص طريقه من الركب والقرى في كل عصر وكل جهة وهو على ما ذكره من القرابة تتوفر الدواعي على نقله وأما غزوهم بلاد الشرق وارض الترك وان كانت طريقه اوسع من مسالك السو يس الا ان الشقة هنا بعدة واعم فارس والروم معترضون

الباب السابع عشر في معرفة خير السلطان وشر السلطان الباب الثامن عشر في معرفة منزلة السلطان من القرآن الباب التاسع عشر في معرفة خصال جامعة لامر السلطان الباب العشرون في معرفة الخصال التي هي اركان السلطان الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم الباب الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل ابن زياد في العلم الباب الثالث والعشرون في معرفة العقل والدهاء والمكر الباب الرابع والعشرون في الوزراء واوصافهم الباب الخامس والعشرون في المجلسات وآدابهم الباب السادس والعشرون في معرفة الخصال التي هي جمال السلطان الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة الباب الثامن والعشرون في الحلم ومحاسنه ومجود عواقبه الباب التاسع والعشرون في ما يسكن به الغضب الباب الثلاثون في الجود والسخاء الباب الحادي والثلاثون في

معرفة الشج والبخل وما يتعلق بهما الباب الثاني والثلاثون في معرفة الصبر وجيل عواقبه الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر ومحاسنه الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن لسائر الخصال فيها

وزعم بالمرئى من الالة والنعماء من ذى الجلال وهى الشكر الباب الخامس والثلاثون فى بيان السيرة التى يصلح عليها الامير والمأمور
وتسهل صحة الخلائق اجمعين الباب السادس والثلاثون فى بيان الخصلة التى فيها غاية (٩) كمال السلطان وشقاء الصدور وراحة

القلوب وطيبة النفوس
الباب السابع والثلاثون
فى معرفة الخصلة التى هى
ملك الملوك عند الشدائد
ومعقل السلاطين عند
اضطراب الممالك الباب
الثامن والثلاثون فى بيان
الخصلة الموجبة لدم الرعية
للسلطان الباب التاسع
والثلاثون فى مثل السلطان
العادل والجارى الباب
الاربعون فى ما يجب على
الرعية اذا جاز السلطان
الباب الحادى والاربعون
فى كتابه ونوايى عليه
الباب الثانى والاربعون
فى بيان الخصلة التى بها
تصلح الرعية الباب الثالث
والاربعون فى ما يملك
السلطان من الرعية الباب
الرابع والاربعون فى
التحذير من صحة السلطان
الباب الخامس والاربعون
فى صحة السلطان الباب
السادس والاربعون فى
سيرة السلطان مع الجنود
الباب السابع والاربعون
فى سيرة السلطان فى استجباب
الخروج الباب الثامن
والاربعون فى سيرة السلطان
فى الاتفاق من بيت المال
الباب التاسع والاربعون
فى سيرة السلطان فى بيت
المال الباب العاشر فى

فيمادون الترك ولم ينقل قط أن التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم وانما كانوا يحاربون أهل فارس
على حدود بلاد العراق وما بين البحرين والمحيرة والمجزيرة بين دجلة والفرات وما بينهما ما فى الاعمال
وقد وقع ذلك بين ذى الادعاع منهم وكىكاوس من ملوك الكيانية وبين تبع الاصغر أبوكرب ويستأسف
منهم أيضا ومع ملوك الطوائف بعد الكيانية والساسانية من بعدهم بمجاورة أرض فارس بالغزو الى بلاد
الترك والتبت وهو مجتمع عادة من أجل الأمم المعترضة منهم والحاجة الى الأزودة والعلوفات مع بعد الشقة
كأمر فلاخبار بذلك واهبة مدخولة وهى لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قاذفا فاف كيف وهى لم
تنقل من وجه صحيح وقول ابن اسحق فى خبر يثرب والاوز والخزرج ان تبع الازخسار الى المشرق
محول على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم اليها بوجه مما تقرر فلا تنقن
بما يلقى اليك من ذلك وتأمل الاخبار واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تحبصها بأحسن وجه والله
المسدد الى الصواب

(فصل) وأبعد من ذلك واعرق فى الوهم ما ينقله المفسرون فى تقسيم صورة والفجر فى قوله تعالى
ألم تركب مع لريك بعد ارم ذات العماد فيحسبون لقطة ارم اسم المدينة وصفته بأنها ذات عماد أى
أساطين وينقلون أنه كان لعاد بن عوص بن ارم ابنان هما شديد وشداد ملكا من بعده وهما شديدي
نخاض الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف الجنة فقال لابن من مثلهافبنى مدينة ارم فى صحارى عدن
فى مدة ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب وأساطينها من
الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الشجر والانهار المطردة وما تم بناؤها سائر اليها أهل مملكته حتى اذا كان
منها على مسيرة يوم وليله بعث الله عليهم صيحة من السماء فهدمها وكاهم ذلك الطيرى والله تعالى
والزخشرى وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابه من العمارة انه خرج فى طلب ابل له
فوقع عليه اوجح من منها ما قدر عليه وبلغ خبره الى معاوية فاحضره ووقف عليه فبحث عن كعب الاخبار
وسأله عن ذلك فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أجرة أشقر قصير على حاجبه
خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابه فقال هذا والله ذلك الرجل وهذه
المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ فى شئ من بقاع الأرض وصحارى عدن التى زعموا انها بنيت فيها هى فى
وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا والادلاء تقص طرقه من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها
أحد من الاخباريين ولا من الأمم ولو قالوا انها درست فيما درس من الآثار لكان أشبهه الآن بظاهر
كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهى الهذيان ببعضهم
الى انها غائبة وانما يعتبر عليها أهل الرياضة والشعر فزعموها أشبه بالخرافات والذى جعل المفسرين على
ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب فى لفظة ذات العماد انها صفة ارم وجعلوا العماد على الاساطين فتعين أن
يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات
التي هى اشبه بالافاصيص الموضوعة التي هى اقرب الى الكذب المنقولة فى عداد المخفكات والافالعماد
هى عماد الاخبية بل الخيام وان اريد بها الاساطين فلا بدع فى وصفهم بانهم أهل بناء واساطين على
العموم بما لا شئ من قوتهم لانه بناء خاص فى مدينة معينة او غيرها وان اضيفت كفى قراءة ابن الزبير
فعلى اضافة الفصلة الى القبيلة كما تقول قريش كنانة والباس مضر وربيعة نزار وى ضرورة الى هذا المجل
البعيد الذى تحلت لتوجيهه لامثال هذه الحكايات الواهية التى ينزه كتاب الله عن مثلها بعد هذا من الحكمة

(٢ - ابن خلدون) سيرة السلطان فى تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال الباب الحادى والخمسون فى أحكام أهل
الذمة الباب الثانى والخمسون فى بيان الصفات المعبرة فى الولاة الباب الثالث والخمسون فى بيان الشروط والعهود التى تؤخذ على العمال

الباب الرابع والخمسون في هدايا العمال والرشا على الشفاعات الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق الباب السادس والخمسون في الظلم وشؤمه وسوءه (١٠) عاقبة الباب السابع والخمسون في السعاية والتنمية وقبحهما أو ما يؤل إليه أمرهما من

الافعال الرديئة والعواقب الذميمة الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته الباب التاسع والخمسون في الفرج بعد الشدة الباب الستون في التبجاعة وثمراتها الباب الحادي والستون في الحروب وتدابيرها الباب الثاني والستون في القضاء والقدر وأحكامهما الباب الثالث والستون وهو جامع من اخبار ملوك العجم وحكاياتهم الباب الرابع والستون يشمل على حكم مشهورة وهو آخر الكتاب وكما لا أبواب

(الباب الاول في مواظبة الملوك)

لقد خاب من كان حظه من الله الدنيا علم ايها الرجل وكلنا ذلك الرجل ان عقول الملوك وان كانت كبارا الا انها مشغوفة بكثرة الاشغال فيستدعي من الموعظة ما يتوجع على تلك الافكار ويتغافل في مكان تلك الاسرار فيرفع تلك الاستار ويفلت تلك الالكسة والاقفال ويصقل ذلك الصدور ان قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف الله تعالى جميع

(ومن الحكايات) المدخولة للأورخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد البرامكة من قصة العباسية اخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وأنه لكانه بمكانه ما من معاقرة اياها الخراج اذن لها في عقد النكاح دون الخلو حرضا على اجتماعهما في محاسنه وان العباسية تحيلت عليه في التماس الخلو به لما شغفها من حبها حتى واقعا زعوا في حالة سكر فقامت ووشى بذلك للرشيد فاستغضب وهيات ذلك من منصب العباسية في دينها وابوها واولادها وانها انت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه الا اربعة رجال هم اشرف الدين وعظماء الملة من بعده والعباسية بنت محمد المهدي ابن عبد الله أبي جعفر المنصور ابن محمد السجاد ابن علي ابني الخلفاء ابن عبد الله ترجان القرآن ابن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ابنة خليفته اخت خليفته محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومة وامامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهات اقر بية عهد بيد اوة العرو بية وسداحة الدين البعيدة عن عوائد الترف ومارع القوا حش فأين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها اواين توجد الطهارة والذكاء اذا فقد من بيتها او كيف يلحم نسبهم بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من موالي النجم على كفة جده من القرس او بولاء جدها من عمومة الرسول واشراف قريش وغاية ان جدها ذبت دوائهم بضبعه وضبع ابيه واستخلصتهم ورفقهم الى منازل الاشراف وكيف يسوغ من الرشيد ان يصهر الى موالي الاعاجم على بعد همته وعظم بائه ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المصنف وقاس العباسية بابنة ملك من عظماء ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالي دولتها وفي سلطان قومها واستنكره وخرج في تكذيبه واين قدر العباسية والرشيد من الناس وانما نكيب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الحماية حتى كان الرشيد يطلب السير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره وشاركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في امور ملكه فعظمت آثامهم وبعده صيتهم وعمرات اب الدولة وخططها بالارؤساء من ولدهم وصنائعهم واحنازوها عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وجباة وسيف وقلم يقال انه كان يداد الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاجوا فيها أهل الدولة بالملنا كب ودفعوهم عنها بالراح لا كان ابيهم يحيى من كفالة هرون ولي عهد وخليفة حتى شب في حجره ودرج من عشه وغاب على امره وكان يدعوه يا ابت فتوجه الا يثار من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانسبط الجاه عندهم وانصرف نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الامال وتخطت اليهم من اقصى النجوم هدايا الملوك وتحف الامراء وسيرت الى خزائنهم في سبيل الترف والاستمالة اموال الحماية واقاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العظام وطوقوه من المنى وكسبوا من بيوتات الاشراف المعدوم وفكروا لاني ومدحوا بالممدح به خليفتهم واسنوا لعفاتهم الجواهر والصلاة واستولوا على القرى والاضلاع من الضواحي والامصار في سائر الامالك حتى آسفوا البطانة واحقدوا الخاصة واغصوا اهل الولاية فكشفت لهم وجوه المنافسة والمسدودت الى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة اخوال جعفر من اعظم الساعين عليهم لم تعطفهم لما وقر في نفوسهم من المحسنة واطف الرحمة ولا وزعتهم اواصر القرابة وقارن ذلك عند خدومهم نواشي الغيرة والاستسكان من الحجر والائقة وكامن الحقود التي بعثت منهم صغائر الدالة وانتهى بها الاصرار على شأنهم الى كبرائهم الخلفة كقصتهم في يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخى محمد المهدي الملقب بالناس الزكية الخارج على المنصور ويحيى هذا هو الذي استنزل الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على امان الرشيد بخطه وبذل لهم

الدنيا بانها متاع قليل وانت تعلم انك ما اوتيت من ذلك القليل الا قليلا ثم ذلك القليل ان تمتعت به ولم تعص الله فيه فهو له ولعب قال الله تعالى انما الحياة الدنيا لهو ولعب ثم قال وان الدار الآخرة لى الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تتبع ايها العاقل لعبا قليلا

يقني بحياة الابدحية لا تقني وشباب لا يقني كما قال الفضيل رحمه الله لو كانت الدنيا ذهبا يقني وكانت الآخرة خزائني لوجب ان تختار خزائني على ذهب يقني فكيف وقد اخترنا خزائني على ذهب يقني تأمل بعقلك (١١) هل آتاك الله من الدنيا ما آتى سليمان بن

داود عليهم السلام حيث آتاه ملك جميع الدنيا والانس والجن والطير والوحش والريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ثم زاده الله ما هو أعظم منها فقال تعالى هـذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عـدها نعمة كما عدتوها ولا حسبها رفعة ومنزلة كما حسبتموها بل قال عند ذلك هذا من فضل ربّي ليسوا في الشكر أم أ كفو وهذا فصل الخطاب لمن تدبر أن يقول له ربه في معرض المنة هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ثم خاف سليمان عليه السلام ان يكون استدراجا من حيث لا يعلم هذا وقد قال لك وسائر أهل الدنيا فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين تأمل بعقلك ما روي عن النبي عليه السلام انه قال لو كانت الدنيا ترز عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء وأنت سمعت الى ما نزل به جبريل عليه السلام من عند الله تعالى على محمد عليه السلام فقال يا محمد ان الله

فيه ألف ألف درهم على ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بداره والى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالة على تخليعة سيدية والاستبداد بحل عقاله حرما لدماهل البيت بزعمه ودالة على السلطان في حكمه * وسأله الرشيد عنه لما وشى به اليه ففطن وقال أطلقته فأبدى له وجهه الاستحسان وأسر هافى نفسه فأوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى ثل عرشهم والقيت عليهم سماء وهم وخسفت الارض بهم وبدارهم وذهبت سلفا ومثالا لا تخرب ايامهم ومن تأمل اخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محققا لثمر هذا الاسباب (وانظر) ما نقله ابن عبدربه في مقاضاة الرشيد عم جده داود بن علي في شأن تكبته وما ذكره في باب الشعراء من كتاب العقد في محاوراة الاصمعي للرشيد وللفضل بن يحيى في سمرهم بتقهم انه انما قاتلهم الغيرة والمنافقة في الاستبداد من الخليفة فـن دونه وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة فيما دسوه للغنم من الشعر احتياالا على اسماعه للخليفة وتحريك حقائقه لهم وهو قوله ليت هند انجزت ما تعد * وشقت أنفسنا مما نجد واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

وان الرشيد لما سمعها قال اي والله اني عاجز حتى بعثوا بامثال هذه كامن غيرته وسطاوع عليهم بأس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال (وأما) ما تموه به الحـكـاية من معاقرة الرشيد الحجر واقتران سكره بسكر الزندمان فاش لله ما علمنا عليه من سوء وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعـدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاوراته للفضـيل بن عياض وابن السـمـالك والعمري ومكاتبته سفيان الثوري وبكائه من مواعظهم ودعائه بمكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لأول وقتها (حكى) الطبري وغيره انه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاموا ويحج عاموا ولقد زجر ابن أبي مريم مضحكة في سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعها يقرأ وما لي لا أعبد الذي فطرني وقال والله ما أدري لم فـتـمـالك الرشيد ان ضحك ثم التفت اليه مغضبا وقال يا ابن أبي مريم في الصلاة أيضا اياك اياك والقرآن والدين وتلك ماشئت بعدهما وايضا فقد كان من العلم والسذاجة فكان لقرب عهده من سلفه المتبحرين لذلك ولم يكن بينه وبين جده ابي جعفر بعيد من انما خلفه غلاما وقد كان ابو جعفر مرمك من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها وهو القائل مالك حين اشار عليه بتأليف الموطأ يا أبا عبد الله انه لم يبق على وجه الارض اعلم مني ومنك وانى قد شغلني الخلافة فضع أنت للناس كتابا يتقون به تجنب فيه رخص ابن عباس وشـدائد ابن عمر ووطئه للناس قوطئة قال مالك فوالله لقد علمني التصنيف يومئذ ولقد أدركك ابنه المهدي ابو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال ودخل عليه يوم ما هو بمجلسه يباشر الخياطين في ارقاع الخلقان من ثياب عماله فاستنكف المهدي من ذلك وقال يا أمير المؤمنين على كسوة العمال عامنا هذا من عطائي فقال له لك ذلك ولم يصد عنه ولا سمح بالانفاق من أموال المسلمين فكيف يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخلافة وأبوته وما ربي عليه من امثال هذه السير في أهل بيته والتخاق بها ان يعاقر الخمر او يجاهر بها وقد كانت حالة الاشراف من العرب الجاهلية في اجتناب الخمر معلومة ولم يكن السكر شجرتهم وكان شربها مذمة عند الكثير منهم والرشيد وآبؤه كانوا على نهج من اجتناب المذمومات في دينهم ودنياهم والتخاق بالحامد ووصاف السكـال ونزعات العرب (وانظر) ما نقله الطبري والمسعودي في قصة جبريل بن بختيشوع الطبيب حين أحضر له السمك في مأثنته فخماه عنه ثم امر صاحب المائدة

يقول لك عش ماشئت فانك ميت وأحب من شئت فانك مفارقة وعامل ماشئت فانك محزى به فانظر ما شئت عليه هذه الكلمات من تصرف العمر وفراق الاحبة والمجازاة على الاعمال فلولم ينزل من السماء غير هـا كانت كافية انظر بفهمك الى ما رواه الحسين ان

النبي عليه السلام من منزل قوم قد ارتحلوا عنه واذا طامطروا ح فقال آتون هذا ما على اهل فقلوا من هو انه عليهم القوه قال فوالذي نفسي بيده لا الدنيا لهمون على الله من هذا (١٢) على اهل فعمل الدنيا لهمون على الله من الجبهة المطروحة وقال ابو هريرة قال لي النبي

بجمله الى منزله ووطن الرشيد وارتاب به ودس خادمه حتى عاينه يتناول فاعدا بن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك في ثلاثة اقداح خلط احداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والوارد والحموى وصب على الثانية ماء من الحما وعلى الثالثة خمر اصر فاقول في الاول والثاني هذا طعام امير المؤمنين ان خلط السمك بغيره ولم يخلطه وقال في الثالث هذا طعام ابن بختيشوع ودفعها الى صاحب المساندة حتى اذا انتبه الرشيد واحضره للتوبخ احضره الثلاثة الاقداح فوجد صاحب الخمر قد اختلط واماع وتفتت ووجد الاخرين قد فسدوا وتغيرت رائحتهم فاكانت له في ذلك معذرة وتبين من ذلك ان حال الرشيد في اجتنب الخمر كانت معروفة عند بطائنه واهل مائنته ولقد ثبت عنه انه عهد بحبس ابني نواس لما بلغه من انهما اكه في المعاقرة حتى تاب واقبل وانما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب اهل العراق وقتاويهم فيها معروفة واما الخمر الصرفة فلا سبيل الى اتهامه به ولا تقليد الاخبار والواهيية فيها فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرمان اكبر الكبائر عند اهل الملة ولقد كان اولئك القوم كلهم بمنجاة من ارتكاب السرف والترف في ملاسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم كانوا عليه من خشونة البداوة وسذاجة الدين التي لم يفارقوها بعد فظنك بما يخرج عن الاباحة الى المحظور عن الحلية الى الحرمة ولقد اتفق المؤرخون الطبري والمسعودي وغيرهم على ان جميع من سلف من خلفاء بني امية وبني العباس انما كانوا يربكون بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف واللحج والسروج وان اول خليفة احدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم ايضا في ملاسهم فظنك بمشاربهم ويتبين ذلك باتم من هذا اذا فهمت طبيعة الدولة في اولها من البداوة والعضاضة كما نشرح في مسائل الكتاب الاول ان شاء الله والله الهادي الى الصواب (ويناسب) هذا او قريب منه ما يبقونه كافة عن يحيى بن اكنم قاضي المأمون وصاحبه وانه كان يعاقب المأمون المخروانه سكر ليلة معشر به فدفن في الريحان حتى افاق وينشدون على لسانه

يا سيدي وأمير الناس كلهم * قد جارفى حكمه من كان يسقيني
أنى غفلت عن الساقى فصيرنى * كلما ترى سليل العقل والدين

وحال ابن اكنم والمأمون في ذلك من حال الرشيد وشرايهم انما كان النبيذ ولم يكن محظورا عندهم واما السكر فليس من شأنهم وصحابته للمأمون انما كانت خلة في الدين واقدم ثبت انه كان ينام معه في البيت ونقل من فضائل المأمون وحسن عشرته انه انبته ذات ليلة عطشان فقام يتحسس ويلتمس الاناء مخافة ان يوقظ يحيى بن اكنم وثبت انهما كانا يصليان الصبح جميعا فابن هذا من المعاقرة وايضا فان يحيى بن اكنم كان من عائلة اهل الحديث وقد اثني عليه الامام احمد بن حنبل واسماعيل القاضي وخرج عنه الترمذي كتابه الجامع وذكر المزي في الحفاظ ان البخاري روى عنه في غير الجامع فالقدح فيه قدح في جميعهم وكذلك ما ينزهه الجحان بالميل الى العلم انما على الله وقرية على العلماء ويستمدون في ذلك الى اخبار القصاص الواهيية التي لعلماء من اقراء اعدائه فانه كان محسودا في كماله وخلته للسلطان وكان مقامه من العلم والدين منزها عن مثل ذلك ولقد ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا وانكر ذلك انكارا شديدا واثني عليه اسمعيل القاضي فقيل له ما كان يقال فيه فقال معاذ الله ان تزول عدالة مثله بتكذب باغ وحاسد وقال ايضا يحيى بن اكنم ابرأ الى الله من أن يكون فيه شيء مما كان يرمى به من أمر العلمان ولقد كنت اقف على سرائره فأجده شديدا الخوف من الله لانه كانت فيه دعاية وحسن خلق فرمى بما يرمى به وذكروه ابن حبان في الثقات وقال لا يشتغل بما يحكى عنه لان كثرة الايصاح عنه (ومن

عليه السلام الاريلك
الدنيا جمعاً بما فيها قلت
بلى قال فاحذبيدي واتى في
الى وادم من اودية المدينة
فاذا خربلة فيهارؤس الناس
وعذرات وخرق بالية
وعظام البهاثم ثم قال يا ابا
هريرة هذه الرؤس كانت
تحرص على الدنيا كحرصكم
وتأمل آمالكم ثم هي اليوم
تساقط جلدا بلا عظم ثم
هي صائرة رما دارمدا
وهذه العذرات الوان
اطعمتهم اكنسوها
من حيث اكنسوها ثم
قد فوها في بطونهم فاصبحت
والناس يتحامونها وهذه
الخرق البالية رياشهم
ولباسهم ثم اصبحت
والرياح تصفحها وهذه
العظام عظام دوابهم التي
كانوا ينتجعون عليها اطراف
البلاذ فمن كان باكي على
الدنيا فليبك قال فما
برحتا حتى اشتد بكأؤنا
(وقال ابن عمر) اخذ
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ببعض جسدي فقال
يا عبد الله كن في الدنيا
كأنك غريب او كعابر
سبيل واعدد نفسك في
الموتى يا ايها الرجل ان
كنت لا تدري متى يفتكوك
الاجل فلا تعتر بطول الامل

فانه يسمى القلب ويقسد العمل وقد عير الله اقواما مدغم في الاجل فقسمت منهم القلوب وطال منهم الامل
فقال تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يذكروا كالدنيا اتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد

فقتلوا بهم وكثير منهم فاسقون احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر وسألتك الليالي فاعتررت بها
وعند صفا الليالي يحدث الكدر يا ايها الرجل اني الى سمعتك وادعني ليلك (١٣) فان كنت لا تدري متى الموت فاعلمن

بانك لا تبقى الى آخر الدهر

ابن آدم ابن آدم ابو
الاولين والاخرين ابن
نوح شيخ المرسلين ابن
ادريس رفيع العالمين
ابن ابراهيم خليل الرحمن
ابن موسى الحكيم من
بين النبيين والمرسلين ابن
عيسى روح الله وكلمته رأس
الزاهدين وامام السائحين
ابن محمد دعاتم النبيين
وحبيب رب العالمين وسيد
الاولين والاخرين ابن
اصحابه الابرار المنتجبون
ابن الامم الماضية ابن
الملوك السالفة ابن القرون
الحالية ابن الذين نصبت
على مفارقهم التيجان ابن
الذين اغتروا بالاجناد
والسلطان ابن اصحاب
السطوة والولايات ابن
الذين خفقت على رؤسهم
الاولوية والرايات ابن
الذين قادوا الجيوش
والعساكر ابن الذين
عمروا القصور والديار
ابن الذين أعطوا النصر
في مواطن الحرب
والمواقف ابن الذين دانت
لهم المشارق والمغارب ابن
الذين تمتعوا في اللذات
والمنازل ابن الذين
اسرفوا على الخلائق كبرا
وعتيا ابن الذين راوحوا

أمثال هذه الحكايات) مائة له ابن عبد رب صاحب العقد من حديث الزنيل في سبب اصهار المأمون
الى الحسن بن سهل في بستان بوران وانه عثر في بعض الليالي في تطوافه بسكك بغداد في زنبيل مدلى من
بعض السطوح بمعلق وجدل مغارة القتل من الحرير فاعتقه وتناول المعالي فاهتزت وذهب به صعدا الى
مجلس شأنه كذا ووصف من زينة فرشه وتنصدا بدينه وجال رؤيته ما يستوقف الطرف ويملك النفس
وان امرأة برزت له من خلل السور في ذلك المجلس رائقة الجمال فتانة الحسن فحبته ودعته الى المنادمة
فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع الى اصحابه بمكانهم من منظره وقد شغفته حبا به على
الاصهار الى ايها وابن هذا كله من حال المأمون المعروفة في دينه وعلمه وافتقائه من الخلفاء الراشدين
من آياته وأخذه بسير الخلفاء الاربعة اركان الملة ومناظرته للعلماء وحفظه للحدود والله تعالى في صلواته
وأحكامه فكيف تصح عنه احوال القساق (١) المستهترين في التطواف بالليل وطروق المنازل وغشيان
السمر سبيل عشاق الاعراب وابن ذلك من منصب ابنة الحسن بن سهل وشرفها وما كان يداريها من
الصور والعقاف وأمثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين معروفة وانما يبعث على وضعها
والمحدث بها الانهمالك في اللذات المحرمة وهتك فتاح المخدرات ويتعلمون بالناسي بالقوم فيما يأتونه من
طاعة لذاتهم فلذلك تراهم كثيرا ما يلجئون باشباه هذه الاخبار وينقرون عنها عند تصفحهم لا وراق
الدواوين ولواثسوا بهم في غير هذا من احوالهم وصفات الكمال اللانقة بهم المشهورة عنهم لكان خير لهم
لو كانوا يعلمون ولقد عدلت يوما بعض الامراء من ابناء الملوك في كلفه بتعلم الغناء ولوعه بالانوار وقلت
له انيس هذا من شأنك ولا يليق بمنصبك فقال لي افلاترى الى ابراهيم بن المهدي كيف كان امام هذه
الصناعة ورئيس المغنين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا تأسيت بأبيه واخيه او ما رأيت كيف قعد
ذلك يا ابراهيم عن مناصبهم فصم عن عزلي واعرض والله يهدي من يشاء (ومن الاخبار الواهية)
ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والاثبات في العميد بين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفهم
عن اهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم الى اسمعيل الامام ابن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك
على احاديث افقت للسنة ضعفين من خلفاء بني العباس ترلفا اليهم بالقدح فيمن ناصبهم وتفننوا في السمات
بعدوهم حسب ما نذكر بعض هذه الاحاديث في اخبارهم ويغفلون عن التفتن لشواهد الواقعات وادلة
الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فانهم متفقون في حديثهم عن مبدأ
دولة الشيعة ان ابا عبد الله المحتسب لما دعي بكامة للرضي من آل محمد واشتهر خبره وعلم تحويجه على عبيد الله
المهدي وابنه الى القاسم خشيما على نفسه ما فخر بامن المشرق محل الخلافة واحتار بامصر وانها خراج
الاسكندرية في ذي التجار ونفي خبرهما الى عيسى النوسري عامل مصر والاسكندرية فصرح في طلبهما
الخيالة حتى اذا أدركا خفي خالهما على تابعهما ما عبالسوا به من الشارة والزى فافلتوا الى المغرب وأن
المعتضدا وعز الى الاغلبة امرأه افر يقية بالقيروان وبني مدرار امرأه مجلماسة باخذ الافاق عليهم ما واذ كاه
العيون في طلبهما فعثر السبع صاحب مجلماسة من آل مدرار على خفي مكانهما ببلده واعتقلهما مرضاة
للخليفة فذا قبل أن تظهر الشيعة على الاغلبة بالقيروان ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب
وافر يقية ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بني العباس في عمالك الاسلام في
الابله وكادوا يلجون عليهم موطنهم ويزيلون من أمرهم ولقد اظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الامير
(١) قوله المستهتر باشي بالفتح المولع به لا يبالى بما فعل به وشتم له والذي كثرت ابا طيله اه قاموس

الحمل بكرة وعشما ابن الذين استلوا الملايس اثنا وريا ابن الذين ملكوا ما بين الحافقين فخر اوعز ابن الذين فرشوا القصور وخرزوا
ابن الذين تضععت لهم الارض هيبة وهز ابن الذين استذلوا العباد قهرا ولزاهل فحس منهم من أحد أو سمع لهم ذكر أفناهم والله مقني

الامم وأبادهم بميد الرمح وأخرجهم من سعة القصور واسكنهم في ضئلك القبور تحت الجنادل والصخور فاصبحوا لا ترى الامساكنهم
فكان الدود في اجسادهم واتخذهم قايلا في ابدانهم (١٤) فسالت العيون على الحدود وامتلأت تلك الافواه بالدود وتساقطت

الاعضاء وتمزقت الجلود
وتناثرت اللحوم وتقطعت
البطون فلم ينفعهم ما جمعوا
ولا أغنى عنهم ما كسبوا
اسمك الاحبة والاولياء
وهجرتك الاخوان
والاصفياء ونسيك القرباء
والبعداء فأمسيت ولو
نطقت لا نشدت قولنا في
سكان الثرى ورهائن
الترب والبلبي

فقد اتصت دولتهم بخوامن مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم عليه السلام ومصلاه وموطن
الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ثم انقض امرهم وشيعتهم في ذلك
كاه على اتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والمحبة فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسمعيل بن جعفر الصادق
ولقد خرجوا احرارا بعد ذهاب الدولة ودروس اثرها داعين الى بدعتهم هاتقين باسماء صبيان من اعقابهم
يرعون استحقاقهم للخلافة ويذهبون الى تعيينهم بالوصية من سلف قبلهم من الائمة ولوارثا بوافى نسبهم
تسار كبروا عن انظار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبس في امره ولا يشبهه في بدعته ولا يكذب
نفسه فيما ينتقله (والعجب) من القاضي ابى بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين يجنح الى هذه المقالة
المرجوحة ويرى هذا الرأي الضعيف فان كان ذلك لما كانوا عليه من الاحاد في الدين والتعمق في
الرافضة فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس اثبات منسبهم بالذي يعني عنهم من الله شيئا في كفرهم
فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك
به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظمها فاطمة اعلم فلان أغنى عنك من الله شيئا ومتى عرف امرؤ
قضية او استيقن امر او جب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم كانوا في مجال
الظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطاعة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في القاصية بدعتهم وتكرار خروجهم
مرة بعد أخرى فلا ذلت رجالهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل

فلو تسأل الايام ما سمى مادرت ■ وابن مكاني ما عرفن مكانيا
حتى لقد سمى محمد بن اسمعيل الامام جده عبيد الله المهدي بالملكوت سمته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من
اخفائه حذر امن المتغلبين عليهم فتوصل شيعته بنى العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم
وازدلقوا بهذا الرأي القائل للضعفين من خلفائهم وأوجب به اولياؤهم وامراء دولتهم المتولون محروبوهم
مع الاعداء يدفعون به عن انفسهم وساطانهم معرفة العجز عن المقاومة والادفاع لمن غلبهم على الشام
ومصر والحجاز من البربر الكنتميين شيعه العبيديين واهل دعوتهم حتى لقد اسجل القضاء ببغداد بغيرهم
عن هذا النسب وشهد بذلك عنه دهم من اعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضي واخوه المرتضى
وابن البطحاوي ومن العلماء ابو حامد الاسفرايني والقنوري والصيرفي وابن الاكفاني والابو وردى وابو
عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من اعلام الامة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ستين واربعمائة
في ايام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعه بنى
العباس الطاعنون في هذا النسب فقله الاخباريون كما سمعوه ورووه حسب ما وعدهم الحق من وراثته وفي
كتاب المعتضد في شأن عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بجلماسة اصدق شاهد وأوضح
دليل على صحة نسبهم فالمعتضد اقدم بنسب اهل البيت من كل احد والدولة والسلطان سوق للعالم تحجب

مقيم بالحجون رهين رمس
واهل را تحون بكل واد
كافى لم اكن لهم حبيبا
ولا كانوا الاحبة في السواد
فخرجوا الاسلام فان ابيتهم
قاوموا بالسلام على يعاد
فان طال المدى وصفنا خليل
سوانا فاذا كروا صفو الوداد
وذلك اقل مالك من حبيب
واخره الى يوم التناد

فلو انما وقفكم وقفنا
سقينا الترب من مهج القواد
(وقال) مكرم بن يوسف
العايد أوحى الله الى نبي
من انبياء بني اسرائيل ان
قف على المدائن والحصون
وأبلغهم عنى حرفين لا
تأكلوا الا طيبا ولا تسكاهوا
الا بالحق ولما دخل يزيد
الرقاشي على عمر بن عبد
العزيز قال عفاي يا يزيد
قال يا امير المؤمنين اعلم

انك اول خليفة تموت فيكي عمرو قال زدني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين آدم الاب
هيت فيكي وقال زدني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا اليها الرجل لا تغفلان عن تذكرة ما تقيانه من

خوف الغنا وتضي المسار بذهاب الازادات وانقضاء الشهوات وبقاء التبعات وانقلابها حشرات وان الدنيا ادار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له (١٥) من صح فيها اسقم ومن سلم فيها مر

ومن افترق فيها خزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من ساعاها فاته ومن قعد عنها آتته ومن نظر اليها اعمته ومن بصر بها بصرتة لاخيرها يدوم ولا شرها يبقى ولا فيها مخلوق بقاء يا أيها الرجل لا تخدع من قبلك فان الذى أصبحت فيه من النعم انما صار اليك يموت من كان قبلك وهو خارج من يدك بمثل ما صار اليك فلو بقيت الدنيا للعالم لم تصر للجاهل ولو بقيت للاول لم تنتقل الى الآخر يا أيها الرجل لو كانت الدنيا كلها ذهبا وفضة ثم سلمت عليك بالخلافة وألقت اليك مقاليدها وأفلاذ كبدتها ثم كنت طريفة للوت ما كان ينبغي لك أن تنهنا بعيش لا نغرفها يزول ولا غناء فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كمال الاول قدر رقتى وكيف يلا وكما قال الشاعر ولقد سألت الدار عن أخبارهم فتدعيت عجا ولم تبدي حتى مررت على الكنيف فقال لى

اليه بضائع العلوم والصنائع وتلمس فيه ضوال الحسك وتحدى اليه ركائب الروايات والاخبار وما نطق فيها نطق عند الكفاة فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل والافن والسفسفة وسلكت النهج الامم ولم تجر (١) عن قصد السبيل نطق في سوقها الا بيز الخالص واللجين المصطفى وان ذهبت مع الاغراض والمخفود وما جت به عاصرة البغي والباطل نطق البهرج والزائف والنقاد البصير قسطاس نظره وميزان بحشه وملتمسه (ومثل هذا) وابعد منه كثير اما يتناجى به الطاعنون في نسب ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين الامام بعد ابيه به بالمغرب الاقصي ويعرضون تعريض الحد بالثقاتن في المحل المختلف عن ادريس الا كبرانه لراشد مولا لهم فبجهم الله وابعدهم ما جهم اما يعلمون ان ادريس الا كبر كان امهارة في البربر وانه منذ دخل المغرب الى ان توفاه الله عز وجل غريق في البعد وان حال البادية في مثل ذلك غير خافية اذ لا مكان لهم يتأوى فيها الريب واحوال حرمهم اجمعين بما رأى من جاراتهم ومسمع من جيرانهم لتلاصق الجدران وتطامن البذيان وعدم الفواصل بين المساكن وقد كان راشديتولى خدمة الحرم اجمع من بعدهم ولا يشهد من اوليائهم وشيعتهم ومراقبة من كافتهم وقد اتفق برابرة المغرب الاقصي عامة على دية ادريس الا صغر من بعده ابيه وآقوه طاعتهم عن رضا واصفاق وبايعوه على الموت الاحمر وخاضوا دونه بحار المنايا في حروبه وغزواته ولو حدثوا انفسهم بمثل هذه الريبة او قرعت اسمعاهم ولو من عدو كان من اموافق مراتب لتخاف عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات من بنى العباس اقاتلهم ومن بنى الاغلب عمالهم كانوا بافر يقية ولا تهم وذلك انه لما سافر ادريس الا كبر الى المغرب من وقعة مج او عزله سادى الى الاغلبة انية عدو له بالمراسد وديك كوا عليه العيون فلم يظفروا به وخلص الى المغرب فتم امره وظهرت دعوته وظهر الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضح مولا لهم وعالمهم على الاسكندرية من دسيسة التشيع للعلوية واذا هابه في نجاته ادريس الى المغرب فقتله ودس الشماخ من موالى المهدي ابيه للتخيل على قتل ادريس فاطهر اللحاق به والبراة من بنى العباس مواليه فاشتمل عليه ادريس وخطبه نفسه وناولوه الشماخ في بعض خلواته سماء استهلكه ووقع خبر مهلكه من بنى العباس احسن المواقع لمارجوه من قطع اسباب الدعوة العلوية بالمغرب واقترع لاجر ثومتها ولما نادى اليهم خبر الجمل الخائف لادريس فلم يكن لهم الا كلا ولا واذا بالدعوة قد هادت والشريعة بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادر يس بن ادريس قد تجددت فكان ذلك عليهم انكى من وقع السهام وكان القشل والهزم قد نزل بدولة الغرب عن أن يسما الى القاصية فلم يكن منتهى قدرة الرشيد على ادريس الا كبر بكانه من قاصية المغرب واشتمال البربر عليه الا التخيل في اهلا كهابالسموم فعند ذلك فزهوا الى اوليائهم من الاغلبة بافر يقية في سد تلك الفرجة من ناحيتهم وحسم الداء المنوقع بالدولة من قبلهم واقترع تلك العروق قبل ان تخرج منهم مخاطبهم بذلك المؤمن ومن بعده من خلفائهم فكان الاغلبة عن برابرة المغرب الاقصي اعجز واثلمها من الذين على ملو كهم احوج لسا طرق الخلافة من انتزاع عمالك العجم على سادتها وامتناعهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم احكامها طرعا اغراضهم في رجالها وجبايتها واهل خطتها وسائر نقضها وابرامها كما قال شاعرهم خلفة في قصص بين وصف وبغا يقول ما قاله كما تقول البيضا فخشى هؤلاء الامراء الاغلبة بواد السعيات وتلوا بالماذير فطورا باحتقار المغرب واهله وطورا بالارهاب

(١) قوله ولم تجر بضم الجيم مضارع جارى لم عمل اه

مواهم ونواهم عندي ولقد أصاب ابن السماك لما قال له الرشيد يا ابن السماك عظمي وبه شر به من ماء فقال يا امير المؤمنين اريدت لو حدثت عنك هذه الشبهة اكملت تفديها لى جم قال يكاف قال تأمير المؤمنين فلو جئست عنك خروجها كنت تفديها بملكك

قال نعم قال فلا خير في ملك لا يساوي شربة ولا بولة ليه الشارب لا تغتر بشبابك فان اكثر من يموت الشباب والدليل عليه ان اقل الناس الشيوخ يا ليه الشارب كم من جل (١٦) في التنوير وابوه يرمي وكم من طفل في الغراب وجدته يحكي وقال علي بن ابي طالب

بشأن ادريس الخارج به ومن قام مقامه من اعقابهم يخاطبونهم بتجاوز حدود الغفوم من عمله وينفذون سكرته في تحفههم وهذا ما هم ومرفع جباياتهم تعريضاً باستحقاقه وتهدوا بالاشتداد شوكتهم وتعظيماً لما دفعوا اليه من مطالبته ومراسه وتهديداً لقلب الدعوة ان الحو اليه وطورا يطعنون في نسب ادريس بمنزل ذلك الطعن الكاذب تخفيضاً لشأنه لا يبالون بصدقه من كذبه لبعده المسافة وافن عقول من خلف من صبية بني العباس ومما يليهم العجم في القبول من كل قائل والسمع لكل ناعق ولم يزل هذا دأبهم حتى انقضى امر الاغلبة فقرعت هذه الحكمة الشنعاء اسماع الغوغاه وصر عليها بعض الطاعنين اذنه واعتدها ذريعة الى النيل من خلفهم عند المفاصلة ومالهم قبحهم الله والعدول عن مقاصد الشريعة فلا تعارض فيها بين المقطوع والمظنون وادريس ولد علي فراش ابيه والولد لا فراش علي أن تنزيه اهل البيت عن مثل هذا من عقائد اهل الايمان قاله سبحانه قد اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقرأش ادريس طاهر من الدنس ومنزه عن الرجس يحكم القرآن ومن اعقده دخلاف هذا فقد باء بائمه ووج الكفر عن بابيه وانما اظننت في هذا الردس دال ابواب الريب ودفعاً في صدور الحاسد لما سمعته اذ نأى من قائله المعتدي عليهم به القادح في نسبهم بقرينته ويغلبه بزعمه عن بعض مؤرخي المغرب عن اهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم والافالح من مزعمه عن ذلك معصوم منه وفي العيب حيث يستحيل العيب عيب لكني جادلت عنهم في الحياة الدنيا وارحوا ان يجادلوا عني يوم القيامة (ولتعلم) ان اكثر الطاعنين في نسبهم انما هم الحسد لا لعقاب ادريس هذا من منتم الى اهل البيت او دخيل فيهم فان ادعاه هذا النسب الكريم دعوى شرف عريض على الامم والاجيال من اهل الاتفاقيات تعرض التهمة فيه ولما كان نسب بني ادريس هؤلاء عجموا طعنهم من فاس وسائر ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغاً لا يكاد يلحق ولا يطمع احد في ذكره اذ هو نقل الامة والجمية ل من الخلف عن الامة والجمية ل من السلف وبيت جددهم ادريس مختطف فاس ومؤسسه اباين بيوتهم ومسجده لصق محتاتم ودر وبهم وسيفه منقضى برأس المأذنة العظمى من قرار بلادهم وغير ذلك من آثار التي جاوزت اخبارها حدود التواتر مرات وكادت تلحق بالعبان فاذا نظر غيرهم من اهل هذا النسب الى ما آتاهم الله من امثالها وما عاضد شرفهم النبوي من جلال الملك الذي كان اسلفهم بالمغرب واستيقن انه بمنزل ذلك وأنه لا يبلغ مدادهم ولا نصيحه وان غاية امر المنتمين الى البيت الكريم عن لم يحصل له امثال هذه الشواهد ان يسلم لهم حالهم لان الناس مضدقون في انسابهم وبون ما بين العلم والظن واليقين والتسليم فاذا علم ذلك من نفسه غص بريقه وود كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعهاء حسداً من عند انفسهم فيرجعون الى العناد وارتيكاب التجاج والبهت بمنزل هذا الطعن القائل والقول المكذوب تعال بالاساواة في الظنة والمشابهة في طرق الاحتمال وهيئات لهم ذلك فليس في المغرب فيما تعلم من اهل هذا البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبهم ووضوحه مبالغ اعقاب ادريس هذا من آل الحسن وكبرأؤهم لهذا العهد بنو عمران بقاس من ولد يحيى الحوطي ابن محمد بن يحيى العوام ابن القاسم بن ادريس بن ادريس وهم نقيب اهل البيت هناك والسالكون بيت جددهم ادريس ولهم السيادة على اهل المغرب كافة حسب ما نذكرهم عند ذكر الادارسة ان شاء الله تعالى (ويلحق) بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب القائلة ما يتناولوه ضعة الراي من فقهاء المغرب من القدر في الامام المهدي صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشريعة والتبليس فيما آناه من القيام بالتوحيد الحق والنبي على اهل البغي قبله وتكذيبهم بجميع مدعياته في ذلك حتى فيما يزعم

رضوان الله عليه لاسقف قد اسلم عظمي قال يا امير المؤمنين ان كان الله عليك فمن ترجو قال احسنت فزدني قال ان الله معك فمن تخاف قال احسنت فزدني قال احسب ان الله قد غفر ذنب المذنبين اليس قد غفرتهم ثواب الحسنين قال حسبي حسبي وبكي اربعين صباحا وقال الحسن قدم صعصعة يعني عم الفزدق على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه يقرأ في يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال حسبي حسبي لا ابالي ان لا اسمع آية غيرهما وقال سليمان بن عبد الملك محمد الطويل عظمي فقال ان كنت اذ اعصت الله ظننت انه يراك فلو قد اجترأت على رب عظيم وان كنت تظن انه لا يراك فلو قد كفرت برب عظيم وكتب علي بن الحسين رضي الله عنه الى سلمان انما مثل الدنيا كمثل الحمة المسهالين ويقل سمها فاعرض عنها وما يحبك من القلة ما يحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها

وكن أسرها تكون فيها أحذرها تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور اشخص منها الى الموحدون مكرهه وقال أبو العتاهية هي الدار دار الازي والقذا ودار القناء ودار الغير ولولا انما يحذر افيها لمات ولم تقص منها وطير

أيام من يؤمل طول الحياة * وطول الحياة عليه ضرر
ولما بلغ مراده من الدنيا افضل ما سمت اليه نفسه و رقت اليه همته ورفضها ونبذها

(١٧)

اذا ما كبرت وبان الشباب ■ فلا خير في العيش بعد الكبر

وقال هذا سرور لولا انه غرور

ونعيم لولا انه عديم وملاك
لولا انه هلاك وغنا لولا انه
فناء وجسج لولا انه ذميم
ومجد لولا انه مفقود ودغني
لولا انه منى وارتفاع لولا انه
اتضاع وعلاء لولا انه بلاء
وحسن لولا انه خزن وهو
يوم لو وثق له بغداياها
الرجل لا تكن كالنخل
يرسل اطيب ما فيه ويسلك
الحالة واعلم ان من قسا
قلبه لا يقبل الحق وان
كثرت رذائله قال الله تعالى
فقلنا اضربوه ببعضها
كذلك يحيي الله الموتى
ويريكم آياته لعلكم
تعقلون ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة
واشد قسوة وذلك ان كثرة
الذنوب مانعة من قبول
الحق القلوب وولوج
المواعظ فيها قال الله تعالى
كلابل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون أى غطاها
وغشما فلا تقبل خيرا ولا
تصيح لموعظة جاء في التفسير
اذا اذنب العبد نسكت متعاقبا
قلبه نكتة سوداء ثم اذا اذنب
نكتت نكتة سوداء حتى
يسود القلب وقال حذيفة
القلب كالسكف فاذا
اُذنب العبد انقبض
وقبض اصبعها ثم اذا اذنب
انقبض وقبض اصبعها اخرى

الموحدون اتباعه من انتسابه في اهل البيت وانما اجل الفقهاء على تكذيبه ما يمكن في نفوسهم من حسده
على شأنه فانهم لما رأوا من أنفسهم مناهضة في العلم والفتيا وفي الدين برعهم ثم امتاز عنهم بانه متبعوع
الرأى مسموع القول موطن العقب نفوا ذلك عليه وغضوا منه بالقدح في مذاهبه والتكذيب لمذاهبه
وأياضا فكانوا يؤنسونه من ملوك المتنوعة أعدائه تحب له وكرامة لم تكن لهم من غيرهم لما كانوا عليه من
السذاجة واتحال الديانة فكان محبة العلم بدواتهم مكان من الوجهة والانتصاب للشورى كل في بلده وعلى
قدره في قومه فاصبحوا بذلك شيعة لهم وحر بالعدوهم ونقموا على المهدي ما جاء به من خلافهم والتشريب
عليهم والمناسبة لهم شيعة المتنوعة وتعصب الدولتهم ومكان الرجل غير ممكنهم وحاله على غير معتقداتهم وما
ظنك برجل نقيم على اهل الدولة ما نقيم من أحوالهم وخالف اجتهاده فقهاءهم فسادى في قومه ودعا الى
جهادهم بنفسه فاقبلع الدولة من أصولها وجعل عاليها سافلها اعظم ما كانت قوة واشد شوكة وأعز أنصارا
وحامية وتساقطت في ذلك من اتباعه نفوس لا يحصى الا خالقها قدبا يعوده على الموت وقوه بانفسهم من
الملكة تقربوا الى الله تعالى بتلاف مذهبهم في اظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على
الكلم ودالت بالعدوتين من الدول وهو بحالة من التشعب والحصر والصبر على المكاره والانتقال من
الدينا حتى قبضه الله وليس على شيء من الحظ والمنازع في دنياه حتى الولد الذي ربما تجنح اليه النفوس
وتخادع عن غيبه فليت شعري ما الذي قصد بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من الدنيا في
عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تم أمره وانما سبحت دعوته سنة الله التي قد خلت في عباده
(وأما) انكارهم نسبه في اهل البيت فلا تعضده حجة لهم مع انه ان ثبت انه ادعاه وانتسب اليه فلا دليل
يقوم على بطلانه لان الناس مصدقون في أنسابهم وان قالوا ان الرياسة لا تكون على قوم في غير اهل
جلالتهم كما هو الصحيح حسب ما يأتي في الفصل الاول من هذا الكتاب والرجل قد رأس سائر المصامدة ودانوا
باتباعه والافتاد اليه والى عصابته من هرغة حتى تم امر الله في دعوته فاعلم ان هذا النسب القاطم لم يكن
أمر الله الذي يتوقف عليه ولا اتبعه الناس بسببه وانما كان اتباعهم له بعصبة المرغية والمصمودية
ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها وكان ذلك النسب القاطم خفيا قد درس عند الناس وبقي عنده وعند
عشيرته ينفقونه بينهم فيكون النسب الاول كانه انسلخ منه وليس جلدة هؤلاء وظهور فيهم فلا يضره
الانتساب الاول في عصبيته اذ هو مجهول عند اهل العصبة ومثل هذا واقع كثيرا اذ كان النسب الاول
خفيا (وانظر) قصة عرجة وجرير في رياسة بيجية وكيف كان عرجة من الازدوليس جلدة بيجية حتى
تنازع مع جرير رياستهم عند عمر رضي الله عنه كما هو مذكور تفقههم منه وجه الحق والله الهادي للصواب
(وقد) كدنا ان نخرج عن غرض الكتاب بالاطناب في هذه المغالط فقد زلت أقدام كثير من الاثبات
والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الاحاديث والآراء وعالقت بأفكارهم ونقلها عنهم الكافة من ضعفة
النظر والعقلة عن القياس ونقوهم ايم ايضا كذلك من غير بحث ولا روية واندرجت في محفوظاتهم حتى
صار فن التاريخ واهيا مختلطاً وناظره مرتبكاً وعدم من مناحي العامة فاذا احتاج صاحب هذا الفن الى العلم
بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الامم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوائد
والنحل والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطة بالماض من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الواقع أو
بون ما بينه ما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على اصول الدول والمال ومبادئ ظهورها
واسباب حدوثها ودواعي كونها وحوال القائمين بها وأخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب كل حادث

(٣ - ابن خلدون) ثم كذلك في الثالث والرابع حتى يتقبض الكف كما ثم يطبع الله عليه فذلك هو الران وقال بكر بن عبد الله
اذا اذنب العبد صار في قلبه كوخ الابرة ثم كلما اذنب صار فيه كوخ الابرة حتى يعود القلب كالنخل

وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيماً لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرمًا بحيث
الدنيا لم تنفعه الموعظة وفيه قبل
(١٨) ولا أرى أثر الذنوب في خادى * والحبل في الصخرة الصماء أثر

اذا قسا القلب لم تنفعه
موعظة

كالارض ان سبخت لم ينفع
المطر

و يروى ان ابا العتاهية
مر بدارك الوراق واذا

كتب فيه بيت من الشعر
لن ترجع الانفس عن غيرها

ما لم يكن منها لها زاجر
فقال لمن هذا فقيل لاني

نؤاس قال وددت انه في
بنصف شعري قال الاصمعي

ان النعمان الذي هو امرؤ
القيس الا كبر الذي بنى

الخندق ورتق اشرف على
الخندق يوم ما عجب ما اوتي

من الملك والسعة ونفذ الامر
واقبال الوجوه فحواه فقال

لا صحابه هل اوتي أحد مثل
ما اوتيت فقال له حكيم من

حكاه اصحابه أهذا الذي
اوتيت شي لم يزل ولا يزال ام

شي كان لمن كان قبلك زال
عنه وصار اليك قال بل شي

كان لمن قبلي زال عنه وصار
الي وسيزول عني قال فسررت

بشي تذهب عنك لذته وتبقى
تبعته قال فابن المهر ب قال

اما ان تقيم وتعمل بطاعة
الله او تلبس امساك وتلحق

بجبل وتعبدر بك فيه وتقر
من الناس حتى يأتيتك

أجلال قال فاذا كان ذلك
في الخالي قال حياة لا موت فيها

واقفا على اصول كل خبر وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والاصول فان وافقها
وجرى على مقتضاها كان صحيحا والا زيفه واستغنى عنه وما استكبر القداماء على التاريخ الا لذلك
حتى انحله الطبري والبخاري وابن اسحق من قبلهما وامثالهم من علماء الامة وقد ذهل الكثير عن هذا
السرفه حتى صار ان تحاله مجهولة واستغف العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعته وجهله والخوض
فيه والتطفل عليه فاخطل المرعي بالهمل واللباب بالقتل والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور
(ومن الغلط) الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاجيال بنسب بدل الاعصار ومرور
الايام وهو داء دوى شديد الخفاء لا يقع الا بعد احقاب متطاولة فلا يكاد ينفطن له الا الا حاد من اهل
الحقيقة (وذلك) ان احوال العالم والامم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومحتاج مستقر انما
هو اختلاف على الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال وكلما يكون ذلك في الاشخاص والاوقات
والامصار فكذلك يقع في الاقاليم والاقطار والازمنة والدول سنة الله التي قد خلت في عباده وقد كانت في
العالم اتم الفرس الاولى والسريريون والنبط والتبابعة وبنو اسرائيل والقبط وكانوا على احوال خاصة بهم
في دولهم وعما لكهم وسياساتهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم مع ابناء جندهم واهوال
اعمارهم للعالم تشهد بها آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب فتبدلت تلك الاحوال
وانقلبت بها العوائد الى ما يجانسها او يشابهها والى ما يباينها او يباينها ثم جاء الاسلام بدولة مضرة فانقلبت
تلك الاحوال اجمع انقلابة اخرى وصارت الى ما اكثره متعارف لهذا العهد ياخذ الخلف عن السلف ثم
درست دولة العرب وايامهم وذهب الاسلاف الذين شيدوا عزمهم ومهدوا املهم وصار الامر في ايدي
سواهم من الخم مثل الترك بالشرق والبربر بالمغرب والفرنجية بالشمال فذهبت بذهابهم املهم وانقلبت
أحوال وعوائدهم شيئا غفلا غفلا امرها (والسبب) الشائع في تبدل الاحوال والعوائد ان عوائد كل جيل
تابعة لعوائد سلطانه كما يقال في الامثال الحكمة الناس على دين الملك واهل الملك والسلطان اذا استولوا
على الدولة والامر فلا بد وان يفرعوا الى عوائد من قبلهم وياخذوا الكثير منها ولا يغفلوا عوائد جيلهم مع
ذلك فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الاول فاذا جاءت دولة اخرى من بعدهم وخرجت
من عوائدهم وعوائد هانقاقت ايضا بعض الشيء وكانت للاولى اشد مخالفة ثم لا يزال التدرج في
المخالفة حتى ينتهي الى المباشرة بالجملة فسادت الامم والاجيال تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال
المخالفة في العوائد والاحوال واقعة والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير ما مونة
تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده وتعوجه عن مراده فربما يسمع السامع كثيرا من اخبار الماضين
ولا ينفطن لما وقع من تغير الاحوال وانقلابها فيجزئها الاول وهلة على ما عرف ويقسمها ما شهد وقد
يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع في مهواة من الغلط (في هذا الباب) ما ينقله المؤرخون من احوال
الحجاج وان اباه كان من المعلمين مع ان التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشية البعيدة من اعتزاز اهل
العصبة والمع لم يستضعف مسكين منقطع الجذم (١) فينشوف الكثير من المستضعفين اهل الحرف
والصنائع المعاشية الى نيل الرتب التي ليسوا لها باهل ويعدونهم من المهكات لهم فذهب بهم وسواهم
المطامع ووربما انقطع جيلهم من ايديهم فسقطوا في مهواة الحكمة والتلف ولا يعلمون استحقاقهم وانهم
اهل حرف وصنائع المعاش وان التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة

(١) قوله الجذم الاصل اه قاموس

وشباب لا هم فيه وصحة لا سقم فيه او ملك جديد لا يملى قال فاي خير فيما يقني والله لا طلبة عيشا لا يزال ابدا انما
وملكا جديدا فانخلع من ملكه وليس الامساك وسار في الارض وتبعه الحكيم وجعل لا يعبد ان الله حتى مات وفيه يقول عدى بن زيد

وتبين رب الخو رنق اذ فكريز يوم اوله دى تذ كبر سره ماله وكثرة مائه * للوالجبره مقرر صا والسدير فارعوى قلبه وقد قال
ماغب طقة الى الممات يصير ابن كسرى كسرى الملوك انوشى * وان أم اين قبله سابور (١٩) وبنو الاصفى الكرام ملوك الز

روم لم يبق منهم مذكور
لم يبقه ريب المتون فبادا
ملك عنه فبابه مهجور
وفيه يقول الاسود بن يعفر
ولقد علمت سوى الذى
انباتنى

ان السبيل سبيل لذى
الاعدا

ماذا اؤمل بعد آل محرق
تركوامنا ظم وبعدا ياد

ارض الخو رنق والسدير
وبارق

والقصر ذى الشرفات من
سنداد

نزلوا بانقرة تسيل عليهم
ماء القرات يحى عن أطواد

ارض مجبوا الطيب مقبلاها
كعب بن مالك وابن أم دواد

جرت الرياح على محل ديارهم
فكانهم كانوا على ميعاد

فارى النعم وكل ما يلهم به
يوما يصير الى بلاؤنفاد

(وقال) وهب بن منبه
أصيب على غمدان وهو

قصر سيف بن ذى يزن
بارض صنعاء اليمن وكان

من الملوك الاجلة مكتوبا
بالقلم المسند فترجم بالعربية

واذا هي أبيات جلييلة
وموعظة عظيمة

ياقوا على قلل الاجبال
تجرهم

غاب الرجال فلم تنفعهم
القلل

انما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعلما لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان اهل الانساب
والعصبية الذين قاموا بالملامة لهم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ
الخبرى لا على وجه التعليم الصناعي اذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه هدايتهم والاسلام دينهم فانتلوا
عليه وقتلوا واختصوا به من بين الامم وشرفوا فيحصر صون على تبليغ ذلك وتفهمه لامة لا تصدهم عنه
لائمة الكبر ولا ترعهم عاذل الانفة ويشهد لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم كبار اصحابه مع وفود العرب
يعلمونهم حدود الاسلام وما جاء به من شرائع الدين بعث في ذلك من اصحابه العشرة فبن بعدهم فلما استقر
الاسلام وشجبت عروق الملة حتى تناولها الامم البعيدة من ايدي اهلها واستحالت بمرور الايام احوالها
وكثرت استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لعدد الوقائع وتلاحقها فاحتاج ذلك لقانون يحفظه من
الخطا وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم فاصبح من جملة الصنائع والحرف كما ياتي ذكره في فصل العلم
والتعليم واشتغل اهل العصبية بالقيام بالمالك والسلطان فدفع للعلم من قام به من سواهم واصبح حرفة
للعاش وشمخت انوف المترفين واهل السلطان عن التصدى للتعليم واختص انتحاله بالمستضعفين وصار
منتحله محقرة عند اهل العصبية والملوك والحجاج بن يوسف كان ابوه من سادات ثقيف واشرافهم ومكانهم
من عصبية العرب ومنافضة قرش في الشرف ما علمت ولم يكن تعليمه للقرآن على ما هو الامر عليه لهذا
العهد من انه حرفة للعاش وانما كان على ما وصفناه من الامر الاول في الاسلام (ومن هذا الباب) ايضا
ما يتوهمه المتصفون لكتب التاريخ اذ اسمعوا احوال القضاة وما كانوا عليه من الرياسة في الحروب
وفود العساكر فتراعى بهم وساوس المهم الى مثل تلك الرتب يحسبون ان الشأن في خطة القضاء لهذا
العهد على ما كان عليه من قبل ويطنون بابن ابي عامر صاحب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك
الطوائف باشبيلية اذ اسمعوا ان آباءهم كانوا قضاة انهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتقنون لما وقع في
رتبة القضاة من مخالفة العوائد كما ينبغي في فصل القضاء من الكتاب الاول وابن ابي عامر وابن عباد كانا من
قبائل العرب القائلين بالدولة الاموية بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن نيلهم
لما نالوه من الرياسة والمالك لمحة القضاء كما هي لهذا العهد بل انما كان القضاء في الامر القديم لاهل
(١) العصبية من قبيل الدولة ومواليها كاهل الوزارة لهذا العهد بالمغرب وانظر خروجهم بالعساكر في الطوائف
وتقليد هم عظام الامور التي لا تقلد الا لمن له الغنى فيها بالعصبية فغط السامع في ذلك ويحمل الاحوال
على غير ما هي واكثر ما يقع في هذا الغلط ضعف البصائر من اهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في
مواطنهم منذ اعصار بعيدة لقضاء العرب ودوائهم بها وخروجهم عن ملكة اهل العصبية من البر برفقتهم

(١) العصبية بفتح العين التعصب وهو ان يذب الرجل عن حريم صاحبه ويشمر عن ساق الجدي نصره منسوبة
الى العصبية محرمة وهم أقارب الرجل من قبل أبيه لانهم هم الذابون عن حريم من هو منتهاهم وهي بهذا
المعنى مدوحة واما العصبية المذمومة في حديث الجامع الصغير ليس منامن دعا الى عصبية وليس منامن
قاتل على عصبية وليس منامن مات على عصبية فهي تعصب رجال لقبيلة على رجال قبيلة أخرى لغیر
ديانة كما كان يقع من قيام سعد على حرام نسبة الى العصبية بمعنى قوم الرجل الذين يتعصبون له ولو من غير
اقاربه ظالمسا كان أو مظلوما في الفتاوى الخيرية من موانع قبول الشهادة العصبية وهي ان يمنع الرجل
الرجل لانه من بني فلان او من قبيلة كذا والوجه في ذلك ظاهر وهو ان كتاب الحرم في الحديث ليس منامن
من دعا الى عصبية وهو موجب للفسق ولا شهادة لمرتكبه قاله الاستاذ ابو الوفاء اه

واستزوا بعد عز من معاقلم * فاسد كذا وحرقا يابس ما نزلوا ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * ابن الاسرة والتيجان والحمال
ابن الوجوه التي كانت محجة * من دونها تضرب الاسار والكلال فافصح القبر عنهم حين ساء لهم * تلك الوجوه عليهم الدود يقتل

قد طال ما كوا يوما وما شربوا * فأصبحوا بعد ذلك الا كل قد اكوا
لبعض الشعراء **يحمل يا اسماء ما شاني** (٢٠) **اضللتني والله ما شاني** الموت حق فاعلمى نازل * قرب لي لحدي واكفاني

قد كنت ذامال فلا والذي
اعطاني العيش واغواني
ما قرت العين به ساعة
الا تذكري فاشجاني
على بانى صائر للبللى
وفاقد اهلى وجيرانى
وتارك مالى على حاله
نهم الشيطان بن شيطان
لامرأة ابني اول زوج ابنتي
يا لك من غي وخسران
يسعدنى مالى واشقى به
قوم ذوو غل وشنان
ان احسنوا كان لهم اجره
وخف من ذلك ميزانى
ومن استبصر من ابناء الملوك
فراى عيب الدنيا وفناءها
ونقصها وزوالها ابراهيم
ابن ادهم بن منصور من ابناء
الملوك ملوك خراسان من
كورة بلخ ولسافه فى
الديار همدان عن ثمانين
سيرا قال ابراهيم بن بشار
سألت ابراهيم بن ادهم
كيف كان بده امرك حتى
صرت الى هذا قال غير هذا
اولى بك قلت يرحمك الله
لعل الله ينفعنى به يوم مات
سأله ثانية فقال ويحك
اشتغل بالله تعالى ثم سأله
ثالثة فقالت ان رايت
يرحمك الله ان تخبرنى لعل
الله ان ينفعنى فقال كان
ابى من ملوك خراسان
وكان من المياسير وكان

انسابهم العربية محفوظة والذرية الى العزم العصبية والتناصر مفعودة بل صاروا من جملة الرعايا
المتخاذلين الذين تعبدتهم القهر ورتعوا المذلة يحسبون ان انسابهم مع مخالفة الدولة هي التي يكون لهم بها
الغلب والتحكيم فتجد اهل الحرف والصنائع منهم متصددين لذلك ساعين في نياله فاما من باشر احوال
القبائل والعصبية ودولهم بالعروة الغربية وكيف يكون التغلب بين الامم والعشائر فلما يغلبون
في ذلك ويخطئون في اعتباره (ومن هذا الباب) ايضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسب ملوكها
فيذكرون اسمهم ونسبه واباء وامه ونساء ولقبه وخاتمه وقاضيه وطاحبه ووزيره كل ذلك تقليد لمؤرخي
الدولة من غير تيقن لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا ايضا يعنون تواريخهم لاهل الدولة
وابنائهم مشوفون الى سير اسلافهم ومعرفة احوالهم ليقنعوا آئثارهم وينسجوا على منوالهم حتى في
اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطط والمراتب لابناء صنائعهم وذويهم والقضاة ايضا كانوا
من اهل عصبية الدولة وفي عداد الوزراء كذا كرهنا لك فيحتاجون الى ذلك كله واما حين تبانيت
الدول وتباعد ما بين العصور ووقف الغرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول بعضها
من بعض في قوتها وغلبتها ومن كان يناهضهم من الامم او يقصر عنها في الفائدة المصنف في هذا العهد في
ذكر الابناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها
اصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم انما جعلهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤرخين الاقدمين
والذهول عن تحري الاغراض من التاريخ اللهم الا ذكر الوزراء الذين عظمت آئثارهم وعقدت على
الملوك اخبارهم كالحجاج وبنو المهلب والبرامكة وبنو سهل بن نو بخت وكافور الاخشيدي وابن ابى
عامر واما ملوكهم فغير تكبير الاماع باآبائهم والاشارة الى احوالهم لا تتظامهم في عداد الملوك (ولنذكر) هنا
فائدة نتختم كلامنا في هذا الفصل بها وهي ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل (فاما)
ذكر الاحوال العامة للآفاق والاجيال والاعصار فهو أس للتأريخ تنبني عليه أكثر مقاصده وتبين به
اخباره وقد كان الناس يقدرونه بالتأليف كما فعله المسعودي في كتابه عروج الذهب شرح فيه احوال الامم
والآفاق في عهده في عصر الثلاثين والثلاثمائة غر يا وشرقا وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والجبال
والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصارا ماما للمؤرخين يرجعون اليه واصلا يعولون
في تحقيق الكثير من اخبارهم عليه ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة
دون غيرهما من الاحوال لان الامم والاجيال لعهد لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير واما لهذا العهد وهو
آخر المائة الثامنة فقد انقلبت احوال المغرب الذي نحن شاهده وتبدلت بالجملة واعتاض من اجيال
البربر اهله على القدمين طرافه من لدن المائة الخامسة من اجيال العرب بما كسر وهم وغلبوه
وانتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فيما بقي من البلدان الملكهم هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في
منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تخيف الامم وذهب باهل الجبل وطوى كثير من
محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وقل من
حدها واوهن من سلطانها وتداعت الى التلاشي والاضمحلال احوالها وانتقص عمران الارض بانتقص
البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالج وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل
وتبدل السالكين وكأني بالمشرق قد تنزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه وكأني بما نادى
لسان الكون في العالم بالنجول والانتقاض فيبادر بالاجابة والله وارث الارض ومن عليها واذا تبدلت

الاحوال

قد حجب الى الصدف فينا انار كبر فرسا وكلي معي واثر ارضنا او نعلها فخر كت فرسي فسمعت
فدا من ورائي يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا لهذا امرت فوقفت انظر يمينته ويسرة فلم ارا احدا فقلت في نفسي لعن الله الشيطان ثم حركت

فرسى فسمعت نداء اقوى من الاول يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوفقت مشعرا انظر عنة ويسرة فلم ارشيا فقلت لعن الله
ابليس ثم حركت فرسى فسمعت من قربوس سرجي يا ابراهيم ليس لهذا خلقت (٢١) ولا بهذا امرت فوفقت وقالت هيئات

جاءنى النذير من رب
العالمين والله لاعصيت
ربى ما عصيت به يومى هذا
فتوجهت الى اهلى وخلقت
فرسى وجئت الى بعض
رعاه الى فأخذت جيته
وكساهه والقيت اليه ثيابى
فلم ازل ارض ثقلنى وارضى
نصفى حتى صرت الى العراق
فعملت بها اياما فلم يصف
لى شئ من الحلال فسألت
بعض المشايخ عن الحلال
فقال علمك بالشام قال
فانصرفت الى مدينة يقال
لها المنصورية وهى المصينة
فعملت بها اياما فلم يصف
لى شئ من الحلال فسألت
بعض المشايخ فقال ان
اردت الحلال فعملك
بطرسوس فان المباحات
بها والعمل كثير قال فيينا
انا قاعد على باب البحر اذ
جاءنى رجل فاكرانى
انظر له بسما فوجهت معه
فكنت فى البستان اياما
كثيرة فاذا انا بخادم قد اطل
ومعه اصحاب له ولوعلمت ان
البستان لخدم ما نظرنه
فقعده فى مجلسه ثم قال
يا ناطور فأجبتة قال فاذهب
فاتنا يا كبر رمان تقدر عليه
واما به فأتبه برمان فأخذ
الخادم رمانة فكسرها
فوجهدها حامضة فقال

الاحوال جلة فكما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم باسمه وكان خلقا جديدا ونشأة مستأنة وعالم
محدث فاحتاج لهذا العهد من يدون أحوال الخلق والافاق وأجاليها والحوادث والتحل التي تبدلت
لأهلها وبقوامها المسعودى لعصره ليهكون أصلا يقتدى به من يأتى من المؤرخين من بعده (وأنا ذا كر
فى كتابى) هذا ما لم يكنى منه فى هذا القطر المغربى اما صريحاً او مندرجاً فى أخباره وتلويحاً للاختصاص
قصدي فى التأليف بالمغرب وأحوال أجاليه وأعمه وذكره بالكمه ودوله دون ماسواه من الاقطار له دم
اطلاعى على احوال المشرق وأعمه وان الاخبار المتناقلة لا توفى كنه ما ريد منه والمسعودى انما استوفى
ذلك له بعد رحلته وتقبله فى البلاد كما ذكر فى كتابه مع انه لما ذكر المغرب قصر فى استيفاء احواله وفوق كل
ذى علم ما لم يرد العلم كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين واجب ومن كان الله فى عونته تسرت
عليه المذاهب وانجحت له المساعي والمطالب (ونحن) آخذون بعون الله فيما رماناه من أغراض التأليف
والله المسدد والمعين وعليه التكلان (وقد) بقى علينا ان نقدم مقدمة فى كيفية وضع الحروف التى ليست
من لغات العرب اذا عرضت فى كتابها هذا (اعلم) ان الحروف فى النطق كما أتى شرحه بعد هى كيفيات
الاصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة وأطراف اللسان مع الحركات
والخلق والاضراس او بقرع الشفتين أيضا فتتغير كيفيات الاصوات بتغير ذلك القرع وتجي الحروف
متتارة فى السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما فى الضمائر وليست الامم كلها متساوية فى النطق
بتلك الحروف فقد يكون لأمة من الحروف ما ليس لأمة أخرى والحروف التى نطقت بها العرب هى
ثمانية وعشرون حرفا كما عرفت ونجد للعبرانيين حروفا ليست فى لغتنا وفى لغتنا أيضا حروف ليست فى
لغتهم وكذلك الافرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم ثم ان أهل الكتاب من العرب اصطلحوا فى
الدلالة على حروفهم السبعة باوضاع حروف مكتوبة متميزة بأشخصها كوضع الف وباء وجيم وراء
وطاء الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم الحرف الذى ليس من حروف لغتهم بقى مهملا عن الدلالة
الكتابية مغفلا من البيان وربما رسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذى يليه من لغتنا قبله او بعده
وليس ذلك بكافى فى الدلالة بل هو تغيير للحرف من أصله (ولما) كان كتابنا مشتملا على اخبار البربر
وبعض العجم وكانت تعرض لنا فى أسمائهم او بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابنا ولا اصطلاح
أوضاعنا اضطررنا الى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذى يليه كما قلناه لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه
فاصلطحت فى كتابى هذا على ان أضع ذلك الحرف العجى بما يدل على الحرفين اللذين يكتمانه ليتوسط
القارئ بالنطق به بين مخارجي ذين الحرفين فتحصل تأديته وانما اقتبست ذلك من رسم أهل المكف
حروف الاشمام كالصراط فى قراءة خلف فان النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا
الصاد ورسموا فى داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم على المتوسط بين الحرفين فكذلك رسمت أنا كل
حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالسكاف المتوسط عند البربر بين السكاف المصرىحة عندنا والجيم
او القاف مثل اسم بلهين فأضعها كافا وانقطها بنقطة الجيم واحدة من أسفل او بنقطة القاف واحدة من
فوق او ثنتين فيدل ذلك على انه متوسط بين السكاف والجيم والقاف وهذا الحرف أكثر ما يجى فى لغة
البربر وما جاءه من غيره فعلى هذا القياس أضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين مع العلم القارئ
انه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبه لكان قد
صرفناه من مخارج الى مخارج الحرف الذى من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله الموفق للصواب

يا ناطور ما هذا انت منذ كذا وكذا فى بسمة اننا تأكل من فاكهتنا وورماننا لا تعرف الحلو من الحامض قلت والله ما كنت من فاكهتنا كمشاوما
أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم أصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لى لو كنت ابراهيم بن آدم ما زاد على هذا فلما كان من

الغد حدث الناس في المسجد بالصفة فجاء الناس عنقاً الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اخفيت والناس داخلون واناهاد بهم منهم وكان
ابراهيم بن ادهم يأكل من عمل يده (٢٢) مثل الحصاد وحفظ البساتين والعمل في الطين وكان يوماً يحفظ كراماً فمر به جندى فقال

عنه وفضله

*) (الكذب الاول في طبيعة العمران في الحقيقة وما يعرض فيها من البدو والمخضر والغلب
والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب) *

(اعلم) انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض
لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم
على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتج له البشر باعمالهم ومساعدتهم من الكسب
والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال (ولما كان) الكذب
متطرقاً للخبر بطبيعته وله اسباب تقتضيه فيها النشيعات للآراء والمذاهب فان النفس اذا كانت على
حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التمهيد والنظر حتى يتبين صدقه من كذبه واذا خاضعها
نشيغ لرأى او تخيلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك الميل والنشيغ غطاء على عين
يصيرتها عن الانتقاد والتحصيص فتقع في قبول الكذب ونقله (ومن الاسباب) المتضمنة للكذب في
الاخبار ايضا الثقة بالناس وتخصيص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح (ومنها) الذهول عن المقاصد
فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب
(ومنها) توهم الصدق وهو كثير وانما يجي في الاكثر من جهة الثقة بالناس (ومنها) الجهل بتطبيق
الاحوال على الوقائع لاجل ما يداخلها من التلبس والتصنع فينقل الخبر كما راها وهي بالتصنع على غير
الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجارة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال
واشاعة ذلك بذلك فيستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس
متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في
أهلها (ومن الاسباب) المتضمنة له ايضا وهي سابقة على جميع ما تقدم الجمل بطباع الاحوال في العمران
فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان او فعلا لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من احواله
فاذا كان السامع عارفا بطباع الحوادث والاحوال في الوجود ومقتضىياتها اعانه ذلك في تحصيل الخبر على
تمييز الصدق من الكذب وهذا ابلغ في التمهيد من كل وجه يعرض وكثير ما يعرض للسامعين قبول
الاخبار المستحيلة يتقوونها او تؤثر عنهم كما نقله المسعودي عن الاسكندر لما صدمته دواب البحر عن بناء
الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى كتب
صورتك الدواب الشبيهة التي راها وعمل تماثيلها من اجساد معدنية ونصبها حذاء البنين ففرت تلك
الدواب حين خرجت وعانيتها وتم له بناؤها في حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذ
التابوت الزجاجي ومصادمة البحر وأما واجهه بحمره ومن قبل ان المملوك لا تحمله انفسه على مثل هذا
الغرر ومن اعتمده منهم فقد عرض نفسه للهلاك وانتقاص العقدة واجتماع الناس الى غيره وفي ذلك
اتلافه ولا ينتظرون به رجوعه من غروره ذلك طرفه عين ومن قبل ان الجن لا يعرف لها صور ولا
تماثيل تختص بها انما هي قادرة على التشكيل وما يدكر من كثرة الرؤس لها فلما المراد به البشاعة
والتهويل لانه حقيقة (وهذه) كلها قاذحة في تلك الحكاية والقادح الحميل لها من طريق الوجود بين
من هو ذا كاه وهو ان النفس في المساء لو كان في الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعي وتسخن
روحها بسرعة تغلبه فيقع صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الروح القلي ويهلك مكانه وهو ذا هو

اعطاه من هذا العنب فقال
ما أمر به صاحبه فأخذ
يضربه بالسوط فطأ طأ رأسه
وقال اضرب رأسا طأ
عصى الله فأنجيز الرجل
ومضى وقال سهل بن
ابراهيم صحبت ابراهيم بن
أدهم فرضت فاتفق على
بقة فاشتهت شهوة فباع
جماره واتفق ثمنه على فلما
تمت قلت يا ابراهيم
ابن الحمار فقال بعناه فقلت
فعلام أركب قال يا أخي
على عنق قال فغماني ثلاث
منازل رجه الله وأنشدوا
شعرا

أيها المرءان دنياك بحر
طافح موجه فلا تأمنها
وسيدل النجاة فيها مبین
وهو أخذ الكفاف والقوت
منها

و بلغني ان بالهند يوم ما يخرج
الناس فيه الى البرية فلا
يبقى في البلد بشر من طين
لا شيخ كبير ولا مولود
صغير وهذا اليوم يكون
بعد انقراض مائة سنة من
يوم مثله فاذا اجتمع الخلق في
صعد واحد نادى منادى
الملك لا يصعدن هذا الحجر
فجر هناك منصوب الا
من حضر في الجمع الاول
الذي قد خلا من مائة سنة
فربما جاء الشيخ الهرم الذي

قد ذهبت قوته وعي بصره وفي شبابه وتجيء العجوز ترحف لم يبق منها الا راسها وقد اخنى الدهر عليها فيصعدان على الحجر السدب
الذي هناك ويقول الشيخ حضرت الجمع الاول منذ مائة سنة وانا طفل صغير وكان الملك فلانا ويصف الجيوش الماضية والامم الخالية

وكيف طعنهم البلى وصاروا تحت اطباق الثرى ويقوم خطيبهم فيعظ الناس وينذركم هم صرعة الموت وخسرة الفوت فيبكي القوم ويوبون من المظالم ويكثرون الصدقات ويخجلون عن التبعات ويصلحون على ذلك مدة (٢٣) وقال وهيب بن منبه صحب رجل بعض

الربمان سبعة ايام استقيده

منه شأفا فوجده مشغولا

عنه يذكرك الله تعالى والفكر

لا يفتر ثم التفت اليه في

اليوم السابع فقال يا هذا

قد علمت ماتر يدحب

الدينار اس كل خطيئة

والزهدي الدينار اس كل

خير والتوفيق نتاج كل خير

فاحذر رأس كل خطيئة

وارغب في رأس كل خير

وتضرع الى ربك ان يهب

لك نتاج كل خير قال فكيف

اعرف ذلك قال كان جدي

رجلا من الحكماء قد شبه

الدينار بسبعة اشياء فشمها

بالماء المسالج يغرو ولا يروى

ويضر ولا ينفع وبسحاب

الصيف يغرو ولا ينفع وبظل

الغمام يغرو ويخذل وبزهر

الربيع يضر ثم يصفر فيراه

هشعا ويا حلام النائم يرى

السرور في منامه فاذا استيقظ

لم يكن في يده الا حسرة

وبالعسل المشوب بالسم

الذعاف يغرو ويقتل

قد برت هذه الاحرف

السبعة سبعين سنة ثم زدت

حرفا واحدا فشمها بالغول

التي تهلك من اجابها وتترك

من اعرض عنها فرايت

جدي في المنام وقال يا بني

اشهد انك مني وانما مننت

هي والله الغول التي تهلك

من اجابها وتترك من

السبب في هلاك اهل الحمايات اذا اطاعت عليهم عن الهواء البارد والمتدين في الابار والمظالم العجيبة
المهوى اذا سخن هواؤها بالحر فونة ولم تدخلها الرياح فتخللها فان المتدلى فيها يهلك كمينه وبهذا السبب
يكون موت الحوت اذا فارق البحر فان الهواء لا ينفذ في تعديله رثته اذ هو حار بافراط والماء الذي يعدله
بارد والهواء الذي خرج اليه حار فيستولى الحمار على روحه الحيواني ويهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين
وامثال ذلك (ومن الاخبار) المستحيلة مائة له المسعودي ايضا في شمال الزرور الذي برومة تجتمع اليه
الزرار في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما ابعه ذلك عن المجري
الطبيعي في اتخاذ الزيت (ومنها) مائة له البكري في بناء المدينة المسماة ذات الابواب تحيط باكثر من
ثلاثين مرحلة وتشمل على عشرة آلاف باب والمدن انما اتخذت للتحصن والاعتصام كما ياتي وهذه خرجت
عن أن يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معتصم وكما نقله المسعودي ايضا في حديث مدينة التحاس وانها
مدينة كل بنائها التحاس بصحراء سجلماسة ظفر بها موسى بن نصير في غزوة الى المغرب وانها مغلقة
الابواب وان الصادق اليها من اسوارها اذا اشرف على الحائط صفق ورعى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر في
حديث مستحيل عادة من خرافات القصاص وصحراء سجلماسة قد نفخها الركب والادلاء ولم يبقوا له هذه
المدينة على خبر ثم ان هذه الاحوال التي ذكرها عنها كاهما مستحيل عادة منافي للامور الطبيعية في بناء
المدن واختطاطها وان المعادن غاية الوجود منها ان يصرف في الآنية (١) والخزفي واما شيعة مدينة منها
فكم تراه من الاستحالة والبعد وامثال ذلك كثير وتمحصه انما هو بمعرفة طبائع العرمان وهو احسن
الوجوه وأوثقها في تمحيص الاخبار وتميز صدقها من كذبها وهو سابق على التمهيص بتعديل الرواة ولا
يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم ان ذلك الخبر في نفسه ممكن او منقطع واما اذا كان مستحيلا فلا فائدة
للنظر في التعديل والتجريح ولقد عد اهل النظر من المطاعين في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتأويله ان
يؤول بما لا يقبله العقل وانما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحة الاخبار الشرعية لان معظمها
تكاليف انشائية اوجب الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة
بالعدالة والضبط (واما الاخبار) عن الواقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة لذلك ويجب
ان ينظر في امكان وقوعه وصار فيها ذلك اهم من التعديل ومقدم عليه اذ فائدة الانشاء مقدسة منه فقط
وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة واذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان
والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران وتميز ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى
طبيعته وما يكون خاضعا لاعتقده وما لا يمكن أن يعرض له واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق
من الباطل في الاخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحينئذ فاذا سمعنا عن شيء من
الاحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله عما نحكم بترجيحه وكان ذلك لنا معيارا صحيحا يتجرب به
المؤرخون طريق الصدق والاصواب فيما يقبلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الاول من تأليفنا وكان
هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الانساني وذو مسائل وهي بيان
ما يلحقه من العوارض والاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعها كان او عقليا
(واعلم) ان الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة عزيز الفائدة أعثر عليه البحث
وادى اليه الغوص وليس من علم الخطابة الذي هو أحد العلوم المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو

(١) قوله الخزفي بالضم اثاث البيت اه قاموس

اعرض عنها اوقات فبنى شيئا يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعين والعين بالفكر ثم وقف الرامب وقال خذها منا
لا اراك خلت الامتير دا بفعل دون قول فكان ذلك آخر العهد به (قلت) وقد وصى الله تعالى الدنيا واهلها بصفة اعم من هذه الصفة فقال

سبحانه اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراها
مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة (٢٤) عذاب شديد والفقار ههنا لزراع كما أن الزرع يكون أول نباته أخضر ناعما اهترت

الاقوال المقتنة النافعة في استعمال الجمهور الى رأى اوصدهم عنه ولا هو ايضا من علم السياسة المدنية اذ
السياسة المدنية هي تدبير المنزل او المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج
يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه فقد خالف موضوعه موضوع هذه الفنون اللذين ربما يشبهانه ولكنه علم
مستنبط الخشاة وله مرى لم اقف على الكلام في منحه لاحد من الخليفة ما أدري اغفلتهم عن ذلك وليس
الظن بهم أولعلمهم كتبوا في هذا الغرض واسستوفوه ولم يصل اليها فاعلموا كثيرة والحكمة في أمم النوع
الانسانى متعددون وما لم يصل اليها من العلوم أكثر مما وصل فابن علوم الفرس التي امر عزى الله عنه
بمحوها عند الفتح وابن علوم السككانيين والاسريانيين وأهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها ونائجها وابن
علوم القبط ومن قبلهم وانما وصل اليها علوم واحدة وهم يونان خاصة لكاف المأمون باخراجها من
اغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين بذل الاموال فيها ولم تقف على شيء من علوم غيرهم وإذا كانت
كل حقيقة متعقبة بطبيعة يصلح أن يبحث عنها بعرض لها من العوارض لذاتها وجب أن يكون باعتبار
كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يخصه لكن الحكماء اعلموا انما لاحظوا في ذلك العناية بالثمرات وهذا
انما أثرته في الاخبار فقط كما رأيت وان كانت مسائله في ذاتها وفي اختصاصها شريفة لكن ثمرته تخرج
الاخبار وهي ضمنية فلها هذا هجر وهوالله أعلم وما أوتيتم من العلم الا قليلا (وهذا الفن) الذي لاحظنا النظر
فيه نجده من مسائل تجري بالعرض لاهل العلوم في ابراهيم علومهم وهي من جنس مسائله بالموضوع
والطالب مثل ما يذكره الحكماء والعلماء في اثبات النبوة من ان البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون
فيه الى الحكم والوازع ومثل ما يذكر في أصول الفقه في باب اثبات اللغات أن الناس يحتاجون الى العبارة
عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وتبيان العبارات أخف ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الاحكام
الشرعية بالمقاصد في ان الزنا مخالط للانساب مفسد للنوع وأن القتل ايضا مفسد للنوع وان الظلم مؤذن
بخراب العمران المفضي لفساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية في الاحكام فانها كلها مبنية
على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسائل
الممثلة (وكذلك) ايضا قيم المينا القليل من مسائله في كلمات متفرقة للحكماء الخليفة لكنهم لم يستوفوه
(فن كلام) الموبدان بهرام بن بهرام في حكاية اليوم التي نقلها المسعودي أيها الملك ان الملك لا يتم عزه
الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهييه ولا قوام للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا
بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالاعادة ولا سبيل للامارة الا بالعدل والعدل
الميزان المنصوب بين الخليفة ونصبه الرب وجعل له قضاؤه والملك (ومن كلام أنوشروان) في هذا المعنى
بعينه الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل بالاح
العمال واصلاح العمال بابساقمة الوزراء ورأس الكل باقتداد الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على
تأديها حتى يملكها ولا تملكه (وفي السكك) المنسوب لارسطو في السياسة المنداول بين الناس جزء
صالح منه الا أنه غير مستوفى ولا معطى حقه من البراميين ومختلفا بغيره وقد أشار في ذلك السكك الى هذه
الكلمات التي نقلناها عن الموبدان وأنوشروان وجعلها في الدائرة القريبة التي أعظم القول فيها وهو
قوله العالم بستان سباجه الدولة الدولة سلطان تحياه السنة السنة سياسة يسوسها الملك الملك نظام
يعضده الجند الجند اعوان يكفلهم المال المال رزق تجمعه الرعية الرعية عبيد يكفهم العدل العدل
مألوف وبه قوام العالم العالم بستان ثم ترجع الى اول الكلام فهذه ثمان كلمات حكمية سياسية ارتبط

الارض به بعد يدسها
بغات في العيون كالمخ
ما يكون ثم يهيج فتراها
مصفرا أي يكبر ويستوى
فيحجف ويحترق ويتكسر
اعلاه ويستقل بسنبله
ثم يداس فيكون حطاما
أي تنبته تكسرا مقطعا
وهذا مثل ضرب به الله لبي
آدم اذ كانوا أطفالا أول
الولادة وفي حال الطفولية
كاحسن مرأى يحبون
الآباء ويفتنون ذوى
الاحلام والنهى ثم يكبرون
فيصرون شيوخا منكسة
رؤسهم مقوسة ظواهرهم
قد ذهب حسنهم ونعمتهم
وفي شبابهم وجالهم
وفوت غضارتهم ونضارتهم
واستولى عليهم الهرم
والشيب ثم يموتون
فيصرون حطاما في القبور
كالتبن في الحرير هذا
بعد ما وصفتها بخمس
صفات مذمومة لعب ولهو
وزينة وتفاخر وتكاثر
وكان الصدر الاول يسمى
الدنيا اختيرة ولولوجودها
اسما اقبلت له لموها به
وكانوا يسمونها ام ذفر
والذفر النتن وقال مالك بن
أنس بلغني ان ملكا من
ملوك بني اسرائيل ركب
يوما في زى عظيم فنشرت

له الناس ينظرون اليه أفواجا حتى مر رجل يعمل شيئا بكاعليه لم يلتفت اليه ولا رفع رأسه اليه فوقف الملك
عليه وقال كل الناس ينظرون الى الانث فقال الرجل اني رأيت ملكا مثلك وكان على هذه القرية فغارت هو ومسكين فذفن الى جنبه

في يوم واحد وكنانهم في الدنيا باجسادهم ما كننا نعرفهم ما بقبريهم ما ثم نسفت الريح قبريهم ما وكشفت عنهم ما فاختلطت عظامهما فلم أعرف الملك من المسكين فلذلك أقبلت على علي وتركت النظر اليك وروى ان داود (٢٥) عليه السلام بينما هو يسبح في الجبال

اذ وافى على غار فاذا فيه رجل عظيم الخلق من بني آدم واذا عند رأسه حجر مكتوب بكتاب محفور فيه أنا رستم الملك ملكك ألف عام وفطحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافترعت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ماترى فصار التراب فراشي والحجارة وسادي فن رأني فلا تعرفه الدنيا كما تعرفني وقال وهب بن منبه خرج عيسى بن مريم عليه السلام ذات يوم مع جماعة من أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قدام كن من القرى فقالوا يا بني الله انا جياع فأوحى الله اليه ان ائذن لهم في أوقاتهم فاذن لهم ففتقروا في الزرع يفركون ويأكلون فيناهم كذلك اذ جاء صاحب الزرع وهو يقول زرعى وأرضى ورثته عن آباءى باذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه فبعث الله تعالى جميع من ملك تلك الارض من لدن آدم الى ساعته فاذا عند كل سنة او ما شاء الله رجل أو امرأة كلهم ينادون زرعى وأرضى ورثته عن آباءى ففرع الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى

بعضها به بعض وارتدت اعجازها على صدورها واتصلت في دائرة لا يتعين طرفها تفر بعثوه عليها وعظم من فوائدها وانت اذا تأملت كلامنا في فصل الدول والملك واعطيتهم حقه من التصفيع والتفهم عثرت في اثباته الى تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجسامها مستوفى في بينا باوعب بيان واوضح دليل وبرهان اطعننا الله عليه من غير تعليم اوسط ولا افادة موبدان وكذلك تجد في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسالته من ذكر السياسات الكثير في مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهاننا في الجليل في الذكر على منحنى الخطاب في اسلوب الترسيل وبلاغة الكلام وكذلك حوم القاضي أبو بكر الطرطوشي في كتاب سراج الملوك وبوبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومساائله لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا أصاب الشاكاة ولا استوفى المسائل ولا أوضح الأدلة انما يوجب الباب للمسئلة ثم يستكثر من الاحاديث والاثر وينقل كلمات متفرقة لكما الفرس مثل بزرجهر والمو بذان وحكماء الهند والموثور عن دانيال وهرمس وغيرهم من اكابر الخليفة ولا يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حجابا انما هو نقل وترغيب شبيه بالمواعظ وكأنه حوم على الغرض ولم يصادف ولا يتحقق قصده ولا استوفى مسائله ونحن اللهمنا الله الى ذلك الها ما واثرتنا على علم جعلنا بين بكر وجهينة خبره فان كنت قد اسستوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع انظاره انحاءه فتوفيق من الله وهديته وان فاتني شيء في احصائه واشبهت بغيره مسائله فلما انظر المحقق اصلاحه والى الفضل لا في نهجت له السبيل وأوضحته له الطريق والله يهدي بنوره من يشاء (ونحن) الان نبين في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمران في الملك والكسب والعلوم والصنائع بوجوه برهانية يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة والعامية وتدفع بها الاوهام وترفع الشكوك (ونقول) لما كان الانسان متميزا عن سائر الحيوانات بخواص اختصاصها بالعلوم والصنائع التي هي نتيجة الفكر الذي تميز به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الحكم الوازع والسلطان القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها الا ما يقال عن النحل والجراد وهذه وان كان لها مثل ذلك فبظريق الهامى لا يفكر وروية ومنها السعي في المعاش والاعمال في تحصيله من وجوده واكتساب اسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار الى الغذاء في حياته وبقائه وهداية الى التماسه وطلبه قال تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو التماساكن والتنازل في مصر او حلة للناس بالعشير واقضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش كما سنبينه ومن هذا العمران ما يكون بدويا وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلال المستجمعة في القفار وأطراف الرمال ومنه ما يكون حضريا وهو الذي بالامصار والقرى والمدن والمداثر للاعتصام بها والتحسن بحذرانها وله في كل هذه الاحوال امور تعرض من حيث الاجتماع عروضا ذاتياله فلا جرم انحصر الكلام في هذا الكتاب في ستة فصول (الاول) في العمران البشري على الجملة واصنافه وقسطه من الارض (والثاني) في العمران البدوى وذكر القبائل والامم الوحشية (والثالث) في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية (والرابع) في العمران الحضري والبلدان والامصار (والخامس) في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه (والسادس) في العلوم واكتسابها وتعلمها (وقد) قدمت العمران البدوى لانه سابق على جميعها كما نبين لك بعد وكذا تقدم الملك على البلدان والامصار وما تقدم المعاش فلان المعاش ضروري طبيعي وتعلم العلم كمالى اوحاجى والطبيعى أقدم من الكمالى وجعلت الصنائع مع الكسب لانها منه بعض الوجوه ومن حيث العمران كما نبين لك بعد والله الموفق للصواب والمعين عليه

(٤ - ابن خلدون) عليه السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا رسول الله اني لم أعرفك زرعى ومالى لك حلال فيكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم قدوروا هذه الارض وعمروها ثم ارتحلوا عنها وانت مرتحل عنها بهم لاحق ليس لك ارض ولا مال

وقال ابو العنانه وعظمت أحداث صمت ■ ونعمتك ازمنة خفت وتكلمت عن أوجه * تبلى وعن صور سبت وارتك قبرك في القبر * رأت حتى لم تمت (٢٦) يا شامتا بمنيتي * ان المنية لم تمت ولربما انقلب السما *ت فحل بالقوم الشمت

(الفصل الاول من الكتاب الاول في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات)

(الاولى) في ان الاجتماع الانساني ضروري ويعبر الحـ كما عن هذا بقولهم الانسان مدني بالطبع اي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران وبيانه ان الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها الا بالغذاء وهذا الى التماسه بقطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله الا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمداة حياته منه ولو فرضنا منه اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الخنطة مثلا فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين وآلات لانتم الابصناعات متعة مدته من حداد ونجار وفاخوري هب أنه يأكله حيا من غير علاج فهو أيضا يحتاج في تحصيله أيضا حيا الى اعمال اخرى أكثر من هذه من الزراعة والمحصاد والدراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبيل ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعة مدته وصنائع كثيرة أكثر من الاولى بكثير ويستحيل ان توفي بذلك كله او ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدرة الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحسن بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لا أكثر منهم باضـ عاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا في الدفاع عن نفسه الى الاسـ تعانة بأبناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطباع في الحيوانات كلها وقسم القدر بينهن جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدره الفرس مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدر الاسد والذئب اعاف من قدرته ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بدفاعته ما يصل اليه من عادية غيره وجعل الانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهتمة بالصنائع بخدمة الفكر والصنائع تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النابتة عن الخالب الحارقة والتراس النابتة عن البشرات الحاسية الى غير ذلك مما ذكره جالينوس في كتاب منافع الاعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المقترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تنفي قدرته ايضا باسـ تعمال الآلات المعدة للدفاع لاكثر منها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذا ولا تتم حياته لما ركب الله تعالى عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر واذا كان التعاون حصل له القوة للغذاء والسلاح للدفاع وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الانساني والالم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعتمار العالم بهم واستخلافها يا هم وهـ ذاهو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع في فقه الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرر في الصناعة المنطقية أنه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس أيضا من المتنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بقضـ له ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قرناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لانها موجودة تحيـهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور

وروي ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما رأى فاطمة رضي الله عنها مسجدة بثوبها بكى حتى رثى له ثم قال لكل اجتماع من خليلين فرقة

وان الذي دون الممات قليل أرى عدل الدنيا على كثيرة وصاحبها احتي الممات قليل وان افتقادي واحد بعد واحد

دليل على ان لا يدوم خليل *(وقال)*
الا أيها الموت الذي ليس تاركى

أرختي فقد افنت كل خليل اراك يصير بالذين أحبهم كأنك تخون نحوهم بدليل ولما نقض يديه من ترابها تمثل بقول بعض بني أمية اقول وقد فاضت دموعي حسرة

ارى الارض تبقى والاخلاء تذهب
اخلاي لو غير الحماص أصابكم عتبت ولكن ماء على الموت معتب

(وقال العتبي)
قلت للفرقدين والليل ملق سودا كفافه على الآفاق ابقيا ما بقيتما فسيرى بين شخصيه كما بسهم الفراق غر من ظن أن يقوت المنايا وعراها فلائذ الاعناق

كم صغرين متعبا اجتماع * ثم صار الغربة واقتراق لا يدوم البقاء للخلق لكن دوام البقاء للخلق
وانشدني بعض الادباء اسعداني يا فتى حلوان * وارثيالي من ريب هذا الزمان واعمرى لو ذقتما حق الفرقة ابكا كما الذي ابكاني جميع

واعلم ان بقية ما ان نحسا سوف ياتيكم فتقتران **■** واما سافر الرشيد الى طوس وعك في طريقه من حراصاه فقال له الطبيب لا يريك الاجار النخل وكان تروله قريما من هاتين النخلتين فامر بقطع جارا حدى النخلتين (٢٧) فلما مثل بين يديه انشده بعض

الجلساء هذه الايات لبعض الشعراء في هاتين النخلتين فقال الرشيد لوسمعتهم ما امرت بقطعهما وما مات الاسد كندر قال ارسطا طليس ايها الملك لقد حررتك تاسد كونك وقال بعض الحكماء من اصحابه كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم او عظمه امس فنظمه ابو العتاهية فقال

كفى حزنا بذنك ثم انى نقضت تراب قبرك من يديا وكانت من حياتك لى عظات

فانت اليوم او عظم منك حيا ووجه دم مكتوب على قبر قهرنا من قهرنا فصرنا للناسطين عبدة (وقال عبد الله بن المعتز)

سير الى الآجال في كل ساعة واما مات طوى وهن مراحل ولم ار مثل الموت حقا كانه اذا مات تحطته الاماني باطل وما اقيع التفريط في زمن الصبا

فكيف به والشيب في الرأس شاعل ترحل من الدنيا بزاد من التقي

فعمر كأيام تعد قلائل ولما دخل أبو الدرداء الشام قال يا أهل الشام اسمعوا

قول أخاكم ناصح فاجتمعوا عليه فقال مالي اذا تم تبون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا واملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا وجمعهم بورا ومساكنهم قبورا وروى الجافظ قال وجدته مكتوبا في حجر ابن آدم لورأيت يسير

جميع الحيوانات عن مداركهم والهاماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان والبدا القاهرة حتى لا يصل احد الى غير بعدوان وهذا هو معنى الملك وقد تبين لك بهذا انه خاصة للانسان طبيعته ولا بد لهم منها وقديو جد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كفى النحل والحمار والجمال استقرى فيها من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنهم في خلقه وجماعته الان ذلك موجود لا غير الانسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلي وانها خاصة بطبيعة للانسان فيقررون هذا البرهان الى غاية وأنه لا بد للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله يأتي به واحد من البشر وأنه لا بد ان يكون متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزيف وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراه اذ الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يقرضه الحكماء لنفسه او بالعصبة التي يقتدر بها على قهرهم ووجدهم على جادته فاهل الكتاب والمتبعون للانباء قليلون بالنسبة الى الجحوش الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والا تار فضلا عن الحماية وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاقاليم المنخرقة في الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضي دون وازع لهم البتة فانه يتمتعون بهذا التميز للعلماء في وجوب النبوات وأنه ليس بعقلي وانما مدركه الشرع كما هو مذهب السلف من الامة والله ولي التوفيق والهداية

(المقدمة الثانية)

(في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما قبل من الاشجار والانهار والاقاليم)

(اعلم) انه قد تبين في كتب الحكماء النساظرين في احوال العالم ان شكل الارض كروي وانها محفوفة بعنصر الماء كأنها عنبية طافية عليه فانحصر الماء عن بعض جوانبها اراد الله من تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشري الذي له الخلاق على سايرها وقديتوه من ذلك ان الماء تحت الارض وليس بصحيح انما تحت الطبيعى قلب الارض ووسط كرتها الذي هو مركزها والكل يطلب به بما فيه من الثقل وما عدا ذلك من جوانبها واما الماء المحيط بها فهو فوق الارض وان قيل في شئ منها انه تحت الارض فبالاضافة الى جهة أخرى منه واما الذي انحصر عنه الماء من الارض فهو النصف من سطح كرتها في شكل دائرة أحاط العنصر المائى بها من جميع جهاتها البحر يسمى البحر المحيط ويسمى أيضا بالابيه بنعيم اللام الثانية ويسمى أوقيانوس اسماء أعجمية ويقال له البحر الاخضر والاسود ثم ان هذا المنكشف من الارض للعمران فيه القفار والحلاء اكثر من عمرانه والحالي من جهة الجنوب منه أكثر من جهة الشمال وانما المعمور منه قطعة أميل الى الجانب الشمال على شكل مسطح كرى ينتهى من جهة الجنوب الى خط الاستواء ومن جهة الشمال الى خط كرى ووراء الجبال القاصلة بينه وبين الماء العنصرى الذى بينهما سد ياجوج وما جوج وهذه الجبال مائلة الى جهة المشرق وينتهى من المشرق والمغرب الى عنصر الماء أيضا قطعة من الدائرة المحيطة وهذا المنكشف من الارض قالوا هو مقدار النصف من الكرة أو أقل والمعمور منه مقدار ربعه وهو المنقسم بالاقاليم السبعة وخط الاستواء يقسم الارض بنصفين من المغرب الى المشرق وهو مائل الى كبرى خط كرتها كما ان منطقة فلان البروج ودائرة معدل النهار أكبر خط في القلوك ومنطقة البروج منقسمة بثلاثمائة وستين درجة والدرجة من مسافة الارض خمسة وعشرون

قول أخاكم ناصح فاجتمعوا عليه فقال مالي اذا تم تبون مالا تسكنون وتجمعون مالا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا واملوا بعيدا وجمعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا وجمعهم بورا ومساكنهم قبورا وروى الجافظ قال وجدته مكتوبا في حجر ابن آدم لورأيت يسير

فما بقي من أجلك لزمه مدت في طول ما ترجو من أملاك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت عن حرصك وحملك وانما يلقاك غداندك
لوقد زلت بك قدمك واسلمك اهالك (٢٨) وحملك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت في عملك زائد ولا الى أهالك

فرسخا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع في ثلاثة أميال لان الميل اربعة آلاف ذراع والذراع اربعة وعشرون
أصبعاً والاصبع ست حبات شعير مصفوفة ماصق بعضها الى بعض ظهر البطن وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة
التي تقسم القللك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الارض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة
لكن العمارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء اربع وسبعون درجة والباقي منها خلا لاعمارة فيه
لشدة البرد والجود كما كانت الجهة الجنوبية خالية من خط الاستواء اربعة وسبعون درجة والله تعالى ثم ان
الخبرين عن هذا المعمور وحدوده وما فيه من الامصار والمدن والجبال والبحار والانهار والقفار والرمال
مثل بطليموس في كتاب الجغرافيا وما حب كتاب زجاري من بعده قسما وهذا المعمور بسبعة اقسام يسوونها
الاقليم السبعة محدود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية في العرض مختلفة في الطول فالاقليم الاول
أطول مما بعده وكذا الثاني الى آخرها فيكون السابع أقصرها اقتضاه وضع الدائرة الناشئة من انحسار الماء
عن كرة الارض وكل واحد من هذه الاقاليم عندهم منقسم بعشرة اجزاء من المغرب الى المشرق على التوالي
وفي كل جزء الخبر عن احواله واحوال عمارته (وذكروا) ان هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب في
الاقليم الرابع البحر الرومي المعروف ببداء في خليج متضيق في عرض اثني عشر ميلا ونحوها ما بين طنجة
وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقا وينقسم الى عرض ستمائة ميل ونهايته في آخر الجزء الرابع من
الاقليم الرابع على ألف فرسخ ومائة وستين فرسخا من مبدئه وعليه هنالك سواحل الشام وعليه من جهة
الجنوب سواحل المغرب اولها طنجة عند الخايج ثم افريقية ثم برقة الى الاسكندرية ومن جهة الشمال
سواحل القسطنطينية عند الخايج ثم البنادقة ثم رومة ثم الافرنجة ثم الاندلس الى طريف عند الزقاق قبالة
طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كبار مثل اقريطس وقبرص وصقلية وميورقة
وسردانية ودانية (قالوا) ويخرج منه في جهة الشمال بحران آخران من خليج بين أحدهما مسامت
للقسطنطينية يبدآن هذا البحر متضيقا في عرض مائة السهم ويمر ثلاثة بحار فيمتصل بالقسطنطينية
ثم ينقسم في عرض اربعة أميال ويمر في جريه ستين ميلا ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة
عرضها ستة أميال فيمد بحريطس وهو بحر ينحرف من هنالك في مذهبه الى ناحية الشرق فيمر بارض
هريقلية وينتهي الى بلاد الحخرية على ألف وثلاثمائة ميل من فوهته وعليه من الجانبين أهم من الروم
والترك وبرجان والروس والبحر الثاني من خليجي هذا البحر الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على
سمت الشمال فاذا انتهى الى سمت الجبل انحرف في سمت المغرب الى بلاد البنادقة وينتهي الى بلاد انكلابية
على ألف ومائة ميل من مبدئه وعلى حافته من البنادقة والروم وغربهم أمم ويسمى خليج البنادقة
(قالوا) وينساح من هذا البحر المحيط ايضا من الشرق على ثلاث عشرة درجة في الشمال من خط الاستواء
بحر عظيم متسع يمر الى الجنوب قليلا حتى ينتهي الى الاقاليم الاول ثم يعرفه مغربا الى ان ينتهي في الجزء
الخامس منه الى بلاد الحبشة والزينج والى بلاد باب المندب منه على اربعة آلاف فرسخ ونحوها مائة فرسخ من
مبدئه يسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة الجنوب بلاد الزنج وبلاد البر التي ذكرها
امرؤ القيس في شعره وليسوا من البر البر الذين هم قبائل المغرب ثم بلاد مقدشو ثم بلاد سقالة وارض الواق واق
وأهم آخر ليس بعدهم الا القفار والخلع وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبدئه ثم الهند ثم الهند ثم
سواحل اليمن من الاحقاف وزيد وغير هاتهما بلاد الرنجة عند نهايته وبعدهم الحبشة (قالوا) ويخرج من
هذا البحر الحبشي بحران آخران (أحدهما) يخرج من نهايته عند باب المندب فيمد متضيقا ثم يمر

عائدا قال مالك بن أنس
بلغني ان امرأتين اتتا عيسى
عليه السلام فقالتا يا روح
الله ادع الله لنا ان يخرج
لنا ابنا فاننا هلك ونحن
غائبتان عنه قال تعرفان
قبره فقالتا نعم فذهب
معهما فاتا قبره فقالتا هذا
هو فدعا الله فخرج لهما
فاذا هو ليس به فدعا فرد
ثم دلتاه على قبر آخر فدعا
ان يخرج فخرج فاذا هو
فلزمتاه وسلمتا عليه ثم قالتا
يا نبي الله يا معلم الخير ادع
الله ان يقيمه معنا فقال
وكيف ادعوله ولم يبق له
رزق يعيش به ثم رده
وانصرف وانشدني بعض
الادباء

والاسنى من فراق قوم
هم المصابيح والماصون
والمزن والمدن والرواسي
والخير والامن والسكون
لم تتغير بنا الاليالى
حتى توفهم المنون
فكل جمر لنا قلوب
وكل ماء لنا عيون
(وروى) ان النعمان بن
المنذر خرج متصيدا ومعه
هدي بن زيد فورا بشجرة
فقال عدي بن زيد ايها
الملأ ائدري ما تقول هذه
الشجرة قال لا قال انها
تقول

من را نافيحدث نفسه ■ أنه موف على قرب سؤال وصروف الدهر لا يبقى لها * ولما تأتى به صم الجبال مستبحرا
يركب قدانا خوا حولنا * يشربون الخمر بالماء الزلال عبروا الدهر بعيش حسن ■ آمى دهرهم غير عيال

عصف الدهر بهم فانقرضوا * وكذلك الدهر حالاً بعد حال
ما تقول هذه المقبرة قال لا قال انها تقول أيا الركب الخبونا ■ على الأرض الجحونا (٢٩) كما أنتم كذا كنا * كما نحن تكونونا

فقال النعمان قد علمت ان
الشجرة والمقبرة لا يتكلمان
وقد علمت انك انما أردت
تعطى فجزاك الله غنى خيرا
فالسيد الذي تدرك
به النجاة قال تدع عبادة
الأوثان وتعبد الله وحده
قال في هذه النجاة قال نعم
فترك عبادة الأوثان وتبصر
يومئذ واخذ في العبادة
والاجتهاد (وقال) عبد
الله بن المعلى خرجنا من
المدينة حجاجا فلما كنا
بالرويشة نزلنا فوق بني
رجل عليه ثياب رثة ليس
له منظر وهيئة فقال من
يبنى خادما من بني ساقيا
فقلت ذلك هذه القرية
فاخذها فانطلق فلم يلبس
الا سيرا حتى أقبل وقد
امتلات اثوابه طينا
فوضعها كالمسور واضحك
ثم قال لكم غير هذا قلنا لا
وأطعمناه قرصا باردا فآخذ
وحمد الله تعالى وشكره
ثم اعتزل وقعد فأكاه أكل
جائع فادركتني عليه الرافة
فقممت اليه بطعام طيب
كثير فقلت له قد علمت انه
لم يقع منك القرص بموقع
فدونك هذا الطعام فظفر
في وجهي وتبسم وقال
يا عبد الله انما هي فورة
جوع فابالي بأي شيء
رددتها رجعت عنه فقال لي رجل الى جنبى اتعرفه قلت لا قال انه من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن البصرة
فتاب فخرج منها فقدم فاعرف له انزلوا وقف له على خبر فاعجبني قوله ثم اجتمعت به وانسنته وقالت له هل لك ان تعادني فان معي

فصلامن راحتى فجزائى خبر اوقال لواردت هـ ذالكان لى معدا ثم انس الى فجعلى يحدثنى فقال انارجـل من ولد العباس كنت اسكن
البصرة وكنت ذا كبر شديد وبذخ (٣٠) وانى امرت خادمالى آن تكشفوا راشالى من حرير ومخدة بورند ثر ففعلت وانى لناقم اذا بجمع

من بلغ في الجزء الثامن من الاقليم الثالث من عيون هناك كثيرة وتجلب اليه انهار عظام ويذهب
من الجنوب الى الشمال فيمري به بلاد خراسان ثم يخرج منها الى بلاد خوارزم في الجزء الثامن من الاقليم
الخامس فيمصب في بحيرة البحر جانية التي باسفل مدينتها وهي مسيرة شهر في مثله واليها ينصب نهر
فرغانة والاشاش الاثني من بلاد الترك وعلى غربي نهر جيحون بلاد خراسان وخوارزم وعلى شرقيه بلاد
بخارى وترمز وهرقند ومن هنالك الى ماوراء بلاد الترك وفرغانة والخرجبة قوام الاعاجم وقد ذكر
ذلك كله بطليموس في كتابه والشرقي في كتاب زجار وصور وافي الجغرافيا جميع ما في الماء ومن الجبال
والبحار والادوية واستوفوا من ذلك ما لا حاجة لنا به اطوله ولان عنايتنا في الاكثر انما هي بالمغرب الذي
هو وطن البر وبالاوطان التي للعرب من المشرق والله الموفق

* (تكملة هذه المقدمة الثانية) *

﴿فَإِنَّ الرُّبْعَ الشَّمَالِيَّ مِنَ الْأَرْضِ أَكْثَرُ عَرَانًا مِنَ الرُّبْعِ الْغَنَوِيِّ وَذَكَرَ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ﴾ *

ونحن نرى بالمشاهدة والاعتماد المتواترة ان الاول والثاني من الاقاليم المعمورة اقل عمراناً عما بهما وما
وجد من عمرانها فيمنعنا الخلافة والقفار والرمال والبحر الهندي الذي في الشرق منهم ما وهم هذين الاقليمين
واناسيتهم ليست لهم الكثرة البالغة وامصارهم ومذنه كذلك والثالث والرابع وما بهما بخلاف ذلك
فالقفار فيها اقل ابلية والرمال كذلك اومدة واعماها واناسيتهم تجوز الحدم من الكثرة وامصارها ومذنها
تجاوز الحدم دعدا والعمارة فيها مندرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاء كله وقد ذكر كثير
من الحكماء ان ذلك لافراط الحروق لعمدة على الشمس فيها عن سمت الرأس فلو وضع ذلك بمرآة
ويبين منه سبب كثرة العمارة فيها بين الثالث والرابع من جانب الشمال الى الخامس والسابع
(فتقول) ان قطبي الفلك الجنوبي والشمالي اذا كانا على الافق فهناك دائرة عظيمة تقسم الفلك بنصفين
هي اعظم الدوائر المسماة من المشرق الى المغرب وتسمى دائرة معدل النهار وقد تبين في موضعه من الهيئة
ان الفلك الاعلى متحرك من المشرق الى المغرب حركة يومية يحرك بها سائر الافلاك التي في جوفه قهراً
وهذه الحركة محسوسة وكذلك تبين ان للكواكب في افلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة وهي من المغرب
الى المشرق ويختلف مؤداها باختلاف حركة الكواكب في السرعة والبطء وعمرات هذه الكواكب
في افلاكها توازيها كما هادئة عظيمة من الفلك الاعلى تقسمه بنصفين وهي دائرة فلك البروج مقسمة
باثني عشر برجاً وهي على ما تبين في موضعه مقاطعة لدائرة معدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج
هما اول الحمل وأول الميزان فتقسم هادئة معدل النهار بنصفين نصف مائل عن معدل النهار الى الشمال
وهو من اول الحمل الى آخر السنبلة ونصف مائل عنه الى الجنوب وهو من اول الميزان الى آخر الحوت
واذا وقع القطبان على الافق في جميع نواحي الارض كان على سطح الارض خط واحد يسامت دائرة
معدل النهار يمر من المغرب الى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا في مبدأ
الاقليم الاول من الاقاليم السبعة والعمارة ان كله في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالي يرتفع عن
آفاق هذا المعمور بالتدرج الى ان ينتهي ارتفاعه الى اربع وسنتين درجة وهنالك ينقطع العمارة
وهو آخر الاقليم السابع واذا ارتفع على الافق تسعين درجة وهي التي بين القطب ودائرة معدل النهار
صار القطب على سمت الرأس وصارت دائرة معدل النهار على الافق وبقية ستة من البروج فوق الافق
وهي الشمالية وستة تحت الافق وهي الجنوبية والعمارة في ما بين الاربعة والستين الى التسعين ممنوعة

وردة قد أغلقت الخادم
فقامت اليها فوجعتها ضربا
ثم عدت الى مضجعي بعد
اخراج القمع من الخدة
فأتاني آت في منامي في
صورة فظيعة فهرزني وقال
افق من غشيتك ابصر من
خيرتك ثم أنشأ يقول
يا خدانك ان توسد لينا
وسدت بعد الموت صم

الجندل
 فامهـ دل نفسك صاعدا
 تسعديه
 فلمنند من غدا اذ لم تفعل
 فانتهت فزعا فخرجت
 من ساعتى هارب الى ربى
 (وقال) عبد الواحد بن
 يذكر لى أن فى جوانب
 الابله جارية تجنونه تنطق
 بالحكمة فلم ازل اطلبها
 حتى وجدتھا فى خرابه جالسه
 على حجر وعلمها جبهه صوف
 وهى مخلوقه الرأس فلما
 نظرت الى قالت من غير
 ان أكلها امرحبايك يا عبد
 الواحد فقلت لها رحب
 الله بك وعجبت من معرفتها
 لى ولم ترنى قبل ذلك فقالت
 ما الذى جاء بك ههنا فقالت
 جئت لنعظيـنى فقالت
 واعجباه لواعظيوعظتم
 قالت يا عبد الواحد اعلم
 ان العبد اذا كان فى كفايه
 ثم مال الى الدنيا سلمه الله

جداوة الزهد في ظل حيران والمسا فان كان له نصيب عند الله عاقبه وحياتي سره فقال عبدی اردت ان ارفع
قدرك عند ملائكتي وجملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي واهل طاعتي في ارضي فأت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتي اورشليم

بذلك الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى عدى ارجح الى ما كنت عليه ارجح الى ما كنت تعرفه من نفسك ثم تركتني
ووات عني وانصرفت عنها وبقلي حسرة منها وانشدوا انك في دار لماسدة (٣١) يقبل فيها عمل العامل اما ترى الموت محيطة بها

يقطع فيها امل الامل
تعمل الذنب بما تشتهي
وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتي بعد ذا غفلة
ماذا يفعل المحازم العاقل
ولما نزل سعد بن أبي وقاص
الحيرة قيل له ههنا عجوز
من بنات الملوك يقال لها
الحرقبة بنت النعمان بن
المنذر وكانت من اجل
قبائل العرب وكانت اذا
خرجت الى بيتها اشترت
عليها الف قطعة حرير
وديباج ومعهما الف وصيف
ووصيفة فارسل اليها سعد
فجاءت كالشن البالي فقالت
يا سعد كذا ملوك هذا
المصر قبلك يحمل الينا
خراجا ويطينا اهلهم مدة
من المدة حتى صاح بنا
صائح الدهر فشت شملنا
والدهر ذنوبنا وصروف
فلورا يناني ايامنا لا رعدت
فرائصك فزعانا فقال
له سعد ما نفع ما نفعتم
به قالت سعة الدنيا علينا
وكثرة الاصوات اذا دعونا
ثم انشأت تقول
وبينا نسوس الناس والامر
امرنا
اذ نحن فيهم سوقة ليس
تنصف
فتب الدنيا لا يدوم نعيمها
تقلب تارات بنا وتصرف

لان الحر والبرد حينئذ لا يحصلان بمترجين بعد الزمان بينهما فلا يحصل التكوين فاذا الشمس تسامت
الرؤس على خط الاستواء في رأس الحمل والميزان ثم قبل عن المسامطة الى رأس السرطان ورأس الجدي
ويكون نهاية مياهها عن دائرة معدل النهار اربعا وعشرين درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالي عن الافق
مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس بمقدار ارتفاعه وانخفض القطب الجنوبي كذلك بمقدار نفسه او
في الثلاثة وهو المسمى عند أهل المواقيت عرض البلد واذا مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس
علت عليها البروج الشمالية مندرجة في مقدار علوها الى رأس السرطان وانخفضت البروج الجنوبية
من الافق كذلك الى رأس الجدي لانحرافها الى الجبانين في أفق الاستواء كما قلناه فلا يزال الافق
الشمالي يرتفع حتى يصير أبعد الشمالية وهو رأس السرطان في سمت الرأس وذلك حيث يكون عرض
البلاد اربعا وعشرين في المجاز وما يليه وهذا الميل الذي اذا مال رأس السرطان عن معدل النهار في
أفق الاستواء ارتفع بارتفاع القطب الشمالي حتى صار مسامتا فاذا ارتفع القطب أكثر من أربع وعشرين
نزلت الشمس عن المسامطة ولا تزال في الانخفاض الى أن يكون ارتفاع القطب اربعا وستين ويكون
انخفاض الشمس عن المسامطة كذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن الافق مثلها فينقطع التكوين
لاقراط البرد والجهد وطول زمانه غير مخرج بالحر ثم ان الشمس عند المسامطة وما يقاربها تبعث الاشعة
على الارض على زوايا قائمة وفيما تدور المسامطة على زوايا منقرجة واحدة واذا كانت زوايا الاشعة قائمة
عظم الضوء وانتشر بخلافه في المنقرجة والمحادة فلها يكون الحر عند المسامطة وما يقرب منها أكثر منه
فيما بعد لان الضوء سبب الحر والتسخين ثم ان المسامطة في خط الاستواء تكون مرتين في السنة عند
نقطتي الحمل والميزان واذا مالت فغير بعيد ولا يكاد الحر يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان والجدي
الا وقد صعدت الى المسامطة فبقيت الاشعة القائمة الزوايا تلح على ذلك الافق ويطول مكثها او يدوم
فيشتعل الهواء حرارة ويطرط في شدتها وكذا مادامت الشمس تسامت مرتين فيما بعد خط الاستواء الى
عرض اربعة وعشرين فان الاشعة الملتحمة على الافق في ذلك بقرب من المحاها في خط الاستواء واقرط
الحر يفعل في الهواء تجفيفا ويساعد على التكوين لانه اذا اقرط الحر جفت المياه والرطوبة وفسد
التكوين في المعدن والحجر والنبات اذا التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال رأس السرطان عن
سمت الرأس في عرض خمسة وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامطة فيصير الحر الى الاعتدال أو
يميل عنه ميلا قليلا فيكون التكوين ويتزايد على التدريج الى أن يقرط البرد في شدته لقلته الضوء وكون
الاشعة منقرجة الزوايا فينقص التكوين ويقسد الان فساد التكوين من جهة شدة الحر اعظم منه من
جهة شدة البرد لان الحر أسرع تأثيرا في التجفيف من تأثير البرد في الجهد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول
والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لا اعتدال الحر به قصان الضوء في السادس والسابع
كثيرا النقصان الحر وان كيفية البرد لا تؤثر عند أولها في فساد التكوين كما يفعل الحر اذا لا تجفيف فيها
الا عند الاقراط بما يعرض لها حينئذ من اليبس كما بعد السابع فلها كان العمران في الربع الشمالي
أكثر وأوفر والله أعلم ومن هنا اخذ الحكماء خلا خط الاستواء وما وراءه وأورد عليهم انه معمر
بالمشاهدة والاخبار المتواترة فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر انهم لم يريدوا امتناع العمران فيه
بالكلية انما اداهم البرهان الى أن فساد التكوين فيه قوي باقراط الحر والعمران فيه امامتنا أو يمكن
أقل وهو وكذلك فان خط الاستواء والذي وراءه وان كان فيه عمران كما نقل فهو قليل جدا (وقد زعم) ابن

ثم قالت يا سعد انه لم يكن أهل بيت خير الا والدمر يعقبهم غيره حتى يأتي امر الله عن الفريقين فامرهم سعد وأمر بردها فلما أرادت
القيام قالت يا سعد لا أزال الله عنك نعمة ولا جعل لك الى شيء حاجة ولا أزال عن كريم نعمة ولا أزال عن عبد صالح نعمة الا جعلك الله

سبيل الى ردها عليه ولبعثهم
يوم القيامة او ناستنصحه
لم يدرك ان المنايا سوف تزعم
(وروي) ان عيسى عليه
السلام كان مع صاحب له
يسمى اناصبا من الجوع
وقد انتهوا الى قرية فقال
عيسى لصاحبه اطلق
فاطاب لنا طعاما من هذه
القرية وقام عيسى يصلي
فجاء الرجل بثلاثة ارغفة
فأطأ عليه انصراف عيسى
فاكل رغيفا فانصرف عيسى
فقال ابن الرغيف الثالث
فقال ما كانا الارغفين قال
فرا على وجوههما حتى
مرابطا ترعى فدعا عيسى
عليه السلام فطيماها
فذا كاهن كلامه ثم قال
عيسى عليه السلام للظبي
قم يا ابن الله فاذا هو يشهد
فقال الرجل سبحان الله
فقال عيسى بالذي اراك
هذه الآية من صاحب
الرغيف قال ما كانا الا
اثنين قال فضياء على
وجوههم فابراهم رجلا
عظيم فاحذ عيسى عليه
السلام بيده فشي به على
الماء حتى جاوز الماء فقال
الرجل سبحان الله فقال
عيسى عليه السلام بالذي
اراك هذه الآية من صاحب
الرغيف قال ما كانا الا اثنين
فخر جادتي انا قرية
عظيمة خربة واذا قريب
منها ابن ثلاث من ذهب فقال الرجل هذا مال السلام عليه هذا مال واحدة في واحدة لان واحدة لصاحب الرغيف المسألة
فقال انا صاحب الرغيف فقال عليه السلام هي لك كاهن افارقة فاقام عليها ليس معه ما يحمله عليه فخر به ثلاثة نفر فقط له واخذوا

من كان يعلم ان الموت يدركه والقبر مسكنه والبعث مخبره وانه بين جنات سجنه
فكل شيء سوى التقوى به سيج * وما اقام عليه منه اسمجه ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا
رشد ان خط الاستواء معتدل وان ما وراه في الجنوب بمثابة ما وراه في الشمال فيعمر منه ما عمر من هذا
والذي قاله غير ممنوع من جهة فساد التكوين وانما امتنع فيما وراه خط الاستواء في الجنوب من جهة ان
العنصر المائي غمر وجه الارض هنالك الى الحد الذي كان مقابله من الجهة الشمالية قابلا للتكوين
ولما امتنع المعتدل لغلبة الماء تبعه ما سواه لان العمران متدرج وياخذ في التدرج من جهة الوجود
لان جهة الامتناع واما القول بامتناعه في خط الاستواء فيعده النقل المتواتر والله اعلم * وترسم بعد هذا
الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب زجارتهم تأخذ في تفصيل الكلام عليها الخ

(تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا)

اعلم ان الحكاء قسموا هذه المعمورة كما تقسم ذكروه على سبعة اقسام من الشمال الى الجنوب يسمون كل
قسم منها اقليما فانقسم المعمور من الارض كله على هذه السبعة الاقاليم كل واحد منها آخذ من الغرب
الى الشرق على طوله * فالاول منها مار من المغرب الى المشرق مع خط الاستواء بحده من جهة الجنوب
وليس وراه هنالك الا القفار والرمال وبعض عمارة ان صحت فهي كلاجرة ويليها من جهة شمالية
الاقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو آخرها - مران من جهة
الشمال وليس وراه السابغ الا الخلاء والقفار الى ان ينتهي الى البحر المحيط كالحال فيما وراه الاقليم
الاول في جهة الجنوب الا ان الخلاء في جهة الشمال اقل بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب * ثم ان
ازمنة الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب
الشمالي عن آفاقها في متفاوت قوس النهار والليل لذلك وينتهي طول الليل والنهار في آخر الاقاليم الاول
وذلك عند حلول الشمس برأس الجدي لليل وبرأس السرطان للنهار كل واحد منهما - ما الى ثلاث عشرة
ساعة وكذلك في آخر الاقاليم الثاني مما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند دخول الشمس برأس
السرطان وهو من قبلها الصيفي الى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة وهو مثله اطول الليل عند من قبلها الشتوي
برأس الجدي ويبقى للاقصر من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف من جملة اربع وعشرين
الساعات الزمانية للجوع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة وكذلك في آخر الاقاليم الثالث مما يلي
الشمال ايضا ينتهيان الى اربع عشرة ساعة وفي آخر الرابع الى اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر
الخامس الى خمس عشرة ساعة وفي آخر السادس الى خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر السابع الى ست
عشرة ساعة وهنالك ينقطع العمران فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الاطول من ليالها ونهارها بنصف
ساعة لكل اقليم يتزايد من اوله في ناحية الجنوب الى آخره في ناحية الشمال موزعة على اجزاء هذا البعد
* واما عرض البلدان في هذه الاقاليم فهو عبارة عن بعد ما بين سمت رأس البلد ودائرة معدل النهار الذي
هو سمت رأس خط الاستواء وبمجملة له سواء ينخفض القطب الجنوبي عن افق ذلك البلد ويرتفع القطب
الشمالي عنه وهو ثلاثة ابعاد متساوية تسمى عرض البلد كما مر ذلك قبل * والمتكلمون على هذه
الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة في طوله من المغرب الى المشرق بعشرة اجزاء متساوية
ويندكرون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجميال والانهار والمسافات بينها في المسالك
وتحسب الا ان نوجز القول في ذلك ونذكر مشاهير البلدان والانهار والبحار في كل جزء منها ونحاذي بذلك
ما وقع في كتاب نزهة المشتاق الذي ألفه العلوي الادريسي الجودي الملبصقة من الاقرب نيج وهو زجارتهم
زجارتهم ما كان نازلا عليه بصقلية بعد خروج صقلية من امارة مالقة وكان تاليفه للكتاب في منتصف

الابن فقال اثنان منهم لواحد انطلق الى القرية فأتنا بطعام فذهب فقال احد الباقيين تعال نقفل هذا اذا جاء ونقسم هذا بيننا قال الآخر نعم وقال الذي ذهب يشتري الطعام اجعل في الطعام سمفا قتلهم ما وأخذ الابن ففعل (٣٣) فلما جاء قتلاه وأكل من الطعام الذي

جاءه فأتنا ففر بهم عيسى عليه السلام وهم حولها منصرعين فقال هكذا تفعل الدنيا باهلها (وقال عبد الملك) بن عمر رأيت في هذا القصر عجبا رأيت رأس الحسين على ثوبين مصبوغين بين يدي ابن زياد ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ثم رأيت رأس المختارين بين يدي المصعب بن الزبير ثم رأيت رأس المصعب بن الزبير بين يدي عبد الملك بن مروان (وقال الاصمعي) لما زحف الرشيد بجباله وتحرم فيها وزقها أو صنع فيها طعاما كثيرا أرسل الى ابي العتاهية وقال صف لنا ما نحن فيه من نعم هذه الدنيا فقال عسى ما بئس ما سلمنا في ظل شاهقة القصور يسعي عليك بما اشتبهت لدى الروح وفي البكور واذا النفوس تقهقعت في ضيق حشرة الصدور فهناك تعلم موقنا ما كنت الا في غرور فبكى هرون فقال الفضل ابن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فاحزنته فقال هرون دعها فانه رأنا في ضلالة ونعمي فذكره ان يزيدنا عني (وبروي) ان

المائة السادسة وجسمه كنباجة للسعودي وابن خرداذية والحوقلي والقدرى وابن اسحق المنجم و بطليموس وغيرهم ونبدأ منها بالاقليم الاول الى آخرها والله سبحانه وتعالى يعصمنا عنه وفضله
(الاقليم الاول) وفيه من جهة غربيه الجزائر الخالدات التي منها يهابطليموس يأخذ أطوال البلد وليست في بسط الاقليم وانما هي في البحر المحيط جزيرته كثيرة كبرها وأشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة وقد بلغنا ان سقائن من الافرنج مرت بها في أواسط هذه المائة وقابلوهم فغفوا منهم وسبوا وباعوا بعض أسرارهم بسواحل المغرب الاقصى وصاروا الى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربي أخبروا عن حال جزائريهم وانهم يحفرون الارض للزراعة بالقرون وان الحديدي مذكور ديارضهم وعيشهم من الشجر وما شيتهم المعز وقتلهم بالحجارة يرمونها الى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت ولا يعرفون ديننا ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزائر الا بالعثور ولا بالقصد اليها الان - فمر السفن في البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات مهاجها والى أين يوصل اذا مرت على الاستقامة من البلد الذي في عمر ذلك المهاب اذا اختلف المهاب وعلم حيث يوصل على الاستقامة حوذى به القلم محاذاة يحمل السفينة بها على قوانين في ذلك محصلة عند النواتية والملاحين الذي هم رؤساء السفن في البحر والبلاد التي في حقا في البحر الرومي وفي عدوته مكتوبة كاه في صحيفة على شكل ماهي عليه في الوجود وفي وصفها في سواحل البحر على ترتيبها ومهاب الرياح وعمراتها على اختلافها مرسوم معها في تلك الحقيقة ويسمونها الكنباص وعليها يعتمدون في أسفارهم وهذا كله مذكور في البحر المحيط فلذلك لا تلج فيه السفن لانها ان غابت عن مرأى السواحل فقل ان تهتدي الى الرجوع اليها مع ما ينقد في جوه هذا البحر وعلى سطح مائه من الابخرة المانعة للسفن في مسيرها وهي ابعد ما لا تذكرها اضواء الشمس المنعكسة من سطح الارض فتكلمها فلذلك عسر الاهتداء اليها وصعب الوقوف على خبرها وأما الجزء الاول من هذا الاقليم ففيه مصب النيل الا في من مبدئه عند جبل القمر ركنا ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب الى البحر المحيط فيصب فيه عند جزيرة اوليك وعلى هذا النيل مدينة سلا وتكرور وغانة وكلها في هذا العهد في ملكه ملكا مالى من أمم السودان والى بلادهم تسافر تجار المغرب الاقصى وبالقرب منها من شمالها بلاد المنوتة وسائر طوائف المسلمين ومقاويز يجولون فيها وفي جنوبي هذا النيل قوم من السودان يقال لهم الملم وهم كفار ويكثرون في وجوههم وأصداعهم وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم الى المغرب وكلهم عامرة رميةهم وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتبر الاناسى أقرب الى الحيوان العجم من الناطق يسكنون القيا في والكهوف ويا كلون العشب والحبوب غير مهيا تور بما ياكل بعضهم بعضا وليسوا في عداد البشر وفوا كد بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدراوين ووركلان فكان في غانة فيما يقال ملك ودولة لقوم من العرب يعرفون ببني صالح وقال صاحب كتاب زجاراته صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة السلطان مالى وفي شرقي هذا البلد في الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص في رمال الجزء الثاني وكان ملك كوكو قاعا بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالى وأصبحت في ملكه وخربت لهذا العهد من أجل فتنة وقعت هنالك نذرها عند ذلك دولة مالى في محله امان تاريخ البر برو في جنوبي بلد كوكو بلاد كاتم من امم السودان وبعدهم ونغارة على ضفة النيل من شماله وفي شرقي بلاد ونغارة وكاتم بلاد زغاوة وتاجرة

(٥ - ابن خلدون) سليمان بن عبد الملك ليس آخر ثيابه ومس أطيب طيبه ونظر في مرآته فأعجبته نفسه وقال أنا الملك الشاب ونخرج الى الجمعة وقال لجاريته كيف ترين فقالت أنت نعم المتاع لو كنت تبتقي غير ان لابقاه للانسان ليس في ما يد الغافل عيب

عابه الناس غير انك فاني فاعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع آخر المسجد فركبته المحي فلم يزل صوته ينعص حتى ما سمع
من حوله فصلى ورجع بين (٣٤) اثنين يسحب رجليه فلما صار على فراشه قال للجارية ما الذي قلت لي في صحن الدار

المتصلة بارض النوبة في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفيه يمر نيل مصر ذاهبا من مبدئه عند خط الاستواء الى البحر الرومي في الشمال ويخرج هذا النيل من جبل القمر الذي فوق خط الاستواء بست عشرة درجة واختلافوا في ضبط هذه اللفظة فضبطها بعضهم بفتح القاف والميم نسبة الى قر السماء لشدة بياضه وكثرة ضوئه وفي كتاب المشترك لياقوت بضم القاف وسكون الميم نسبة الى قوم من اهل الهند وكذا ضبط ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشرة عيون تجتمع كل خمسة منها في بحيرة وبينها ستة أميال ويخرج من كل واحدة من البحريتين ثلاثة أنهار تجتمع كلها في بطيحة واحدة في أسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية الشمال وينقسم ماؤها بقسمين فيمر الغربي منه الى بلاد السودان مغربا حتى يصب في البحر المحيط ويخرج الشرقي منه ذاهبا الى الشمال على بلاد الحبشة والنوبة وفيها بينهما وينقسم في أعلى أرض مصر فيصعب ثلاثة من جداوله في البحر الرومي عند الاسكندرية ورشيد ودمايط ويصب واحدة في بحيرة ملحمة قبل أن ينصل بالبحر في وسط هذا الاقليم الاول وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد الواحات الى أسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وهي في غربي هذا النيل وبعدها ملوة وبلق وبعدهما جبل الجنادل على ستة مراحل من بلق في الشمال وهو جبل عال من جهة مصر ومنخفض من جهة النوبة فينقذ فيه النيل ويصب في مهبوى بعيد صمامها ولا يلا يمكن أن تسلكه المراكب بل يحول الوسق من مراكب السودان فيحمل على الظهر الى بلد أسوان قاعدة الصعيد وكذا وسيق مراكب الصعيد الى فوق الجنادل وبين الجنادل وأسوان اثنتا عشرة مرحلة والواحات في غربيها عداوة النيل وهي الآن خراب وبها آثار العمارة القديمة وفي وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس من بلاد الحبشة على وادي أقي من وراء خط الاستواء ذاهبا الى أرض النوبة فيصعب هناك في النيل الهابط الى مصر وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا أنه من نيل القمر وبطليموس ذكره في كتاب الجغرافيا وذكر أنه ليس من هذا النيل والى وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس ينتهي بحر الهند الذي يدخل من ناحية الصين ويغمر عاصمة هذا الاقليم الى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان في الجزائر التي في داخله وهي متعددة يقال تنتهي الى ألف جزيرة او فيما على سواحلها الجنوبية وهي آخر المعمور في الجنوب او فيما على سواحلها من جهة الشمال وليس منها في هذا الاقليم الاول الاطراف من بلاد الصين في جهة الشرق وفي بلاد اليمن وفي الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين الهابطين من هذا البحر الهندى الى جهة الشمال وهما بحر قلزم وبحر فارس وفيها بينهما جزيرة العرب وتشمل على بلاد اليمن وبلاد البحر في شريقها على ساحل هذا البحر الهندى وعلى بلاد الحجاز واليمامة وما اليها كما ذكره في الاقليم الثاني وما بعده فاما الذي على ساحل هذا البحر من غربيه قبل ذلك من اطراف بلاد الحبشة ومجالات البجة (١) في شمال الحبشة ما بين جبل العلاقي في أعلى الصعيد وبين بحر القلزم الهابط من البحر الهندى وتحت بلاد العراق من جهة الشمال في هذا الجزء خليج باب المندب يضيق البحر الهابط هناك بمزاجة جبل المندب الهابط في وسط البحر الهندى مما على ساحل اليمن من الجنوب الى الشمال في طول اثني عشر ميلا فيضيق البحر بسبب ذلك الى أن يصير في عرض ثلاثة أميال وانحوا ويسمى باب المندب وعليه تمر مراكب اليمن الى ساحل السويس قريما من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن ودهلال وقبالته من غربيه مجالات البجة من أمم السودان كما ذكرناه ومن شريقه في هذا الجزء هائم اليمن ومنها على ساحلها بلد على بن يعقوب وفي جهة

قالت ما رأيته ولا قلت شيئا وانى لي بالخروج الى صحن الدار قال ان الله وانا اليه راجعون نعت الى نفسي ثم عهد عهد وواصي وصيته فلم تدركه الجمعة الاخرى الا وهو في قبره (ووجد) مكتوبا على قصر سيف بن ذي يزن من كان لا يظا التراب برجله وطى التراب بناعم الخد من كان يبتك في التراب وبنه شبران كان بغاية البعد لو بعثت للناس أطباء الثرى لم يعرف المولى من العبد (وقال الميثم بن عدي) وجدوا غار في جبل لبنان زمان الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه بالرومية أنا سبأ بن نواس ابن سبأ خدمت عيصوبن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الديان المملأ الاكبر وعشت بعده عمر اطويلا ورايت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى صارع آبائه ويقف على قبر احبائه ويعلم انه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت

(١) قوله البجة بضم الباء وفتح الجيم ويقال أيضا البجاة وأما زاع فهي زيلع اه

ان الاجلاف الجفافة سينزلوني عن سريري ويقولونه وذلك حين يتغير الزمان وتناثر الصديان ويكثر الحدثان فن الجنوب أدرك هذا الزمان عاش قبل الاموات ذليلا (ويروى) ان الاسكندر مر بمدينة قدسها املاك سبعه وبادوا فقال هل بقي من نسل

الاملاك الذين ملكوا هذه المدينة احدثوا لورجل يكون في المقابر فدعاه وقال له مادعاك الى لزوم المقابر قال اردت ان اعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدت ذلك سواء قال فهل لك ان تبعني فأحيي بك شرف آبائك (٣٥) ان كانت المهمة قال ان همتي

العظيمة ان كانت بغيتي عندك قال وما بغيتك قال حياة لاموت فيها وشباب لا هرم فيه وغنى لا يبعه فقر ورور لا يعتره مكره قال ما اقدر على هذا قال فانفذ لشانك وخلي اطلب بغيتي عن هي عنده فقال الاسكندر هذا احكم من رأيت (وروى) في الاسرائيليات ان عيسى بن مريم عليه السلام يدعى هو في بعض سياحته اذ مر بحمجة نخرة فأمره ان تتكلم فقامت باروح الله اناب لوازم بن حنظل ملك اليمن عشت ألف سنة وولد لي ألف ذكروا قضاة ألف بكر وهزمت ألف عسكر وقتل ألف جبار وافتتحت ألف مدينة فن رأ في فلا يغتر بالدنيا كما غرتني فما كانت الا تحلم نائم فبكى عيسى عليه السلام (ووجد) مكنيا على قصر بعض الملوك وقد باداه له وأقمرت ساحته

هذي منازل أقوام عهدتهم يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذم تبكى عليهم ديار كان يطربها ترنم المجدين الحلم والكرم (وقال) عبد الله بن أبي

الجنوب من بلد زالع وعلى ساحل هذا البحر من غربه قري بر بر يتلو بعضها بعضا وينعطف مع جنوبيه الى آخر الجزء السادس ويليها هذا الك من جهة شرقها بلاد الزنج ثم بلاد سدالة على ساحل الجنوب في الجزء السابع من هذا الاقليم وفي شرق بلاد سدالة من ساحل الجنوب بلاد الواق واق متصلة الى آخر الجزء العاشر من هذا الاقليم عند مدخل هذا البحر من البحر المحيط وأما جزائر هذا البحر فكثيرة من أعظمها جزيرة سرينديب مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في الارض اعلى منه وهي قبالة سفالة ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبدأ من قبالة ارض سدالة وتذهب الى الشرق منحرفة بكثير الى الشمال الى ان تقرب من سواحل اعلى الصين ويختف بها في هذا البحر من جنوبها جزائر الواق واق ومن شرقها جزائر السيلان الى جزائر اخرى في هذا البحر كثيرة العدد وفيها انواع الطيب والافاويه وفيها يقال معادن الذهب والزمرد وعامة اهلها على دين الجوسية وفيهم ملوك متعددون وهذه الجزائر من احوال العربان عجائب ذكرها اهل الجغرافيا وعلى الضفة الشمالية من هذا البحر في الجزء السادس من هذا الاقليم بلاد اليمن كلها من جهة بحر القلزم بالذبيد والمهجم وتهامة اليمن وبعدها بلاد صعدة مقر الامامة الزيدية وهي بعيدة عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي وفيها بعد ذلك مدينة عدن وفي شمالها سماعو وبعدها الى المشرق ارض الاحقاف وظفار وبعدها ارض حضرموت ثم بلاد الشحر ما بين البحر الجنوبي وبحر فارس وهذه القطعة من الجزء السادس هي التي انكشف عنها البحر من اجزاء هذا الاقليم الوسطى وينكشف بعدها قليل من الجزء التاسع واكثر منه من العاشر في اعلى بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة خانكوك وقبالتان من جهة الشرق جزائر السيلان وقد تقدم ذكرها وهذا آخر الكلام في الاقليم الاول والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بحمده وفضله

(الاقليم الثاني) وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات التي مر ذكرها وفي الجزء الاول والثاني منه في الجانب الاعلى منهما ارض قنورية وبعدها في جهة المشرق اعلى ارض غانة ثم مجالات زغاوة من السودان وفي الجانب الاسفل منها ما سحره انيسر متصلة من الغرب الى الشرق ذات معاو ورسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات الملمين من صنهجة وهم شعوب كثيرة ما بين كزولة ولتونة ومسرنا وتولطة ووريكة وعلى سمت هذه المقاوز شرقا ارض فزان ثم مجالات اركار من قبائل البربر ذاهبة الى اعلى الجزء الثالث على سمتها في المشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من ام السودان ثم قطعة من ارض الباجوين وفي اسفل هذا الجزء الثالث وهي جهة الشمال منه بقية ارض ودان وعلى سمتها شرقا ارض سخرية وتسمى الواحات الداخلة وفي الجزء الرابع من اعلاه بقية ارض الباجوين ثم يعترض في وسط هذا الجزء بلاد الصعد حقا في النيل الذاهب من مبدئه في الاقليم الاول الى مصبه في البحر فيمر في هذا الجزء بين الجبلين المجازين وهما جبل الواحات من غربيه وجبل المقطم من شرقيه وعليه من اعلاه بلاد اسنا وارمنت ويتصل كذلك حقا في الى اسبوط وقوص ثم الى صول ويفترق النيل هنا الى شعينين يسمى الايمن منهما في هذا الجزء عند اللاهون والاسر عند دلاص وفيما بينهما ما اعلى ديار مصر وفي الشرق من جبل المقطم صحارى عذاب ذاهبة في الجزء الخامس الى ان تنتهي الى بحر السويس وهو بحر القلزم الهابط من البحر الهندي في الجنوب الى جهة الشمال وفي عدوته الشرقية من هذا الجزء ارض الحجاز من جبل يللم الى بلاد يثرب وفي وسط الحجاز مكة شرفها الله وفي ساحلها مدينة جدة تقابل بادعي ذاب في العدو الغر بية من هذا البحر

فوح نزل حى من العرب شعبان من شعاب اليمن قد شاحنوا فيه واختلقوا واستعدوا للقتال فاذا صاح يصيح ياهؤلاء على رسلكم علام القتال في قول الله لقد علمتني سبعون أعور كلهم اسمه عمر و (فصل) في الرجل اعتبر بن مضي من الملوك والاقبال واخلان الام والاحبال

وكيف بسطت لهم الدنيا وانست لهم الالـ جال وانفسح لهم في المني والالـ مال وامدوا بالالـ لات والعدد والاموال كيف طعنهم بكـ كـ
المنون واخذت منهم بزخرفه (٣٦) الدهر الخون واسكنوا بعدسة القصور بين الجنادل والصخور وعاد العـين أثر والـ

وفي الجزء السادس من غريبه بلاد نجد اءاعلاها في الجنوب وتباله وجرش الى عكاظ من الشمال وتحت
نجد من هذا الجزء بقية ارض الحجاز وعلى ستمها في الشرق بلاد نجران وخيبر وتحتها ارض الحماة وعلى
ستم نجران في الشرق ارض سبأ ومارب ثم ارض الشحر وبتنهي الى بحر فارس وهو البحر الثاني الهابط
من البحر الهندي الى الشمال كما رو يذهب في هذا الجزء بانحراف الى الغرب فيمر ما بين شرقيه وجوفيه
قطعة مثلية عليها من اعلاه مدينة قلهاة وهي ساحل الشجر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد
البحرين وهجر منها في آخر الجزء وفي الجزء السابع في الاعلى من غريبه قطعة من بحر فارس متصل
بالقطعة الاخرى في السادس ويغمر بحر الهند جانبها الى الاعلى كله وعليه هنالك بلاد الهند الى بلاد مكران
ويقالها بلاد الطوبران وهي من الهند ايضا فيصل الهند كله في الجانب الغربي من هذا الجزء وتحول
المفاوز بينه وبين ارض الهند ويمر فيه نهره الالـ في من ناحية بلاد الهند ويصب في البحر الهندي في الجنوب
وأول بلاد الهند على ساحل البحر الهندي وفي ستمها شرقا بلاد بلهار وتحتها الملتان بلاد الصنم المعظم عندهم
ثم الى اسفل من السند ثم الى اعلى بلاد سجنستان وفي الجزء الثامن من غريبه بقية بلاد بلهار من الهند
وعلى ستمها شرقا بلاد الهند هاد ثم بلاد منيما روفي الجانب الاعلى على ساحل البحر الهندي وتحتها في الجانب
الاسفل ارض كابل وبعد هاشرقا الى البحر المحيط ببلاد القنوج ما بين قشيمر الداخلية وقشيمر الخارجية عند آخر
الاقليم وفي الجزء التاسع ثم في الجانب الغربي منه بلاد الهند الاقصى ويتصل فيه الى الجانب الشرقي فيمتصل
من اعلاه الى العاشر وتبقى في اسفل ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيها مدينة شيغون ثم متصل بلاد
الصين في الجزء العاشر كله الى البحر المحيط والـ ورسوله أعلم وبه سبحانه التوفيق وهو ولي الفضل والكرم
* (الاقليم الثالث) * هو متصل بالثاني من جهة الشمال في الجزء الاول منه وعلى نحو الثالث من اعلاه
جبل درن معترض فيه من غريبه عند البحر المحيط الى الشرق عند آخره ويسكن هذا الجبل من البربر ارم
لا يخصهم الا خالقهم حسب ما يأتى ذكره وفي القطعة التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى البحر المحيط
منهاو باط ماسة ويتصل به شرقا بلاد سوس ونول وعلى ستمها شرقا بلاد درعة ثم بلاد سجن ماسة ثم قطعة
من صحرا نيسر المفازة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها في هذا الجزء وهو
قليل الثنايا والمسالك في هذه الناحية الغربية الى أن يسامت وادى ملوية فتكثر ثنايا ومسالكه الى
أن يشتم في هذه الناحية منه أم المصامدة ثم هناتانة ثم يذنه لك ثم كدميه ثم مشكورة وهم آخرا لمصامدة
فيه ثم قبائل صنهاكة وهم صنهاكة وفي آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناتة ويتصل به هنالك من جوفيه
جبل اوراس وهو جبل كامة وبعد ذلك ام أخرى من البرابرة تذكر هم في أما كنهم ثم ان جبل درن هذا من
جهة غريبه مطل على بلاد المغرب الاقصى وهي في جوفيه في الناحية الجنو بية منها بلاد مرا كش
واغماش وتادلا وعلى البحر المحيط منها رباط اسفي ومدينة سلا وفي الجوف عن بلاد مرا كش بلاد فاس
ومكاسة وتاذلا وقصر كامة وهذه هي التي تسمى المغرب الاقصى في عرف أهلها وعلى ساحل البحر المحيط منها
بلدان أصيلا والعرايش وفي ستم هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الاوسط وقاعدتها التسان وفي سواحلها على
البحر الرومي بلدهين وهران والجزائر لان هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجـ في
الناحية الغربية من الاقليم الرابع ويذهب مشرقا فينتهي الى بلاد الشام فاذا خرج من الخليج المتضائق
غير بعيد انفسح جنوبا وشمالا فدخل في الاقليم الثالث والخامس فلهذا كان على ساحله من هذا الاقليم
الثالث الكثير من بلاده ثم متصل ببلاد الجزائر من شرقها بلاد بجاية في ساحل البحر ثم قسنطينة في

خبر اقاما اليوم فقد ذهب
صفوا الزمان وبقي كدره
فالموت اليوم تحفة لكل
مسلم كان الخير أصبح خاملا
والشر أصبح ناظرا وكان
الغبي أصبح ضاحكا
والرشيد باكوا كأن العدل
أصبح غائرا وأصبح البحر
عاليا وكان العقل أصبح
مدفونا والجهل منشورا
وكان اللؤم أصبح باسقا
والكرم خاويا وكان الود
أصبح مقطوعا والبغضاء
موصولة وكان الكرامة قد
سلبت من الصالحين
وتوخى بها الاشرار وكان
الحب أصبح مسيئا قضا
والوفا نائما وكان الكذب
أصبح مثمرا والصدق ماحلا
وكان الاشرار أصبحوا
يسامون السما وأصبح
الاخيار يردون بطـن
الارض اما ترى الدنيا تقبل
اقبال الطالب وتدبر اذار
المهارب وتتصل وصال
المـلوك وتنفارق فراق
البحول فخيرها يسير وعيشها
قصير واقبالها خديعة
وادبارها خبيعة ولذا انها
قائمة وتبعاتها باقية فاغتنم
عقوة الزمان واتهنز فرصة
الامكان وخذ من نفسك
لنفسك وتزو من يومك
لعدك ولا تنافس أهل

الدنيا في خفض عيشهم واين رياشهم ولكن انظر الى سرعة قطعهم وسوء عنة عليهم قال الشاعر
رب مغرورس يعاش به * هدمته عين مغترسه وكذلك الدهر مائة * أقرب الاشياء من عرسه

الشرق
وقد قال الناهي

تنافس في الدنيا غرور وانما * قصارى غناها ان تؤل الى الفقر وانما في الدنيا كركب سفينة * تظن وقوفها الزمان بها يجري
وابعض الشعراء تروح الى الدنيا غير الذي غدت * وتحدث من بعد الامور امور (٣٨) وتجري الليالي باجمة ساع وفرة

وتطلع فيها النجوم وتغود
فمن ظن ان الدهر باق

سروره

فذاك محال لا يدوم سرور
عق الله عن صبر الهم واحدا
وايقن ان الدائرات تدور
(وقال وهب بن منبه)

قدرات في كتب بعض
الاتبياء عليهم السلام ان

المسيح احراز بجمعة هائلة
عظيمة نخرة فقال له اصحابه

يا روح الله لو سألت الله
تعالى ان يستنطق هذه

الجمعة فسي تخبرنا بما
واته من العائب ففعل

فأنطقها الله تعالى فقالت
يا روح الله اني عشت ألف

سنة واستولدت ألف ذكر
وافتحنت ألف مدينة

وهزمت ألف جيش
وقتل ألف جبار وصحبت

الدهر واختبرته وامتنعت
تقلبه وانقلابه فلم أر شيئا

أشد من طالح لي أمر صالح
ولم أجدهم ذا الدهر شيئا

أنفع من الصبر ومساملة
أهله ولم أر هلاك أهله الا في

الحرص والطمع ووجدت
العز في الرضا بالقسم (وقال

محمد بن أبي العناهيم آخر
شعره قاله أبي في مرضه الذي

توفي فيه رحمه الله
الهي لا تعذبني فاني

مقر بالذي قد كان مني
اذا فكرت في قديمي عليها

فما لي حيلة الا رجائي * وعفوك ان عفت وحسن ظني * كم من زلة لي في البرايا * وأنت على ذوق فضل ومن
عضضت أنامل وقرعت سني * أجن بزهر الدنيا جونا * وأظلم طول عمري بالتي * وبين يدي ميقات عظيم * كافي قد دعيت له كافي

الشرق منها وفي آخر الجزء الاول وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوب هذه البلاد ومرفقها الى جنوب المغرب
الاولى بلد اشير ثم بلد المسيلة ثم الزاب وقاعدتها سكرية تحت جبل اوراس المتصل بدرن كما مر ذلك عند
آخر هذا الجزء من جهة الشرق والجزء الثاني من هذا الاقليم على هيئة الجزء الاول ثم جبل درن على نحو
الثالث من جنوبه ذاهبا قيسه من غرب الى شرق فيسعه بقطعتين ويغمر البحر الرومي مسافة من شماله
فالقطة المحنو بية عن جبل درن غربا كلها مفاوز وفي الشرق منها بلد غدامس وفي سمتها شرقا ارض
ودان التي بقيتها في الاقليم الثاني كما مر والقطة الجوفية عن جبل درن ما بينه وبين البحر الرومي في الغرب
منها جبل اوراس وتيسه والاويس وعلى ساحل البحر بلاد بونة ثم في سمت هذه البلد شرقا بلاد افر بية
فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم سوسة ثم المهديّة وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجريد توزر
وقفصة ونقراوة وفيما بينهما وبين السواحل مدينة القيروان وجبل وسالات وسيطة وعلى سمت هذه
البلاد كلها شرقا بلد طرابا من على البحر الرومي وبازائها في الجنوب جبل درن وقرة من قبائل هواة متصلة
بجبل درن وفي مقابلة غدامس التي مر ذكرها في آخر القطة الجنوبية بية وأخر هذا الجزء في الشرق وسوية
ابن مشكورة على البحر وفي جنوبها بحالات العرب في ارض ودان وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم يمر
ايضا فيه جبل درن الا أنه ينقطع عند آخره الى الشمال ويذهب على سمتة الى أن يدخل في البحر الرومي
ويسمى هنا الك طرف أو ثان والبحر الرومي من شماله غمر طائفة منه الى أن يضاق ما بينه وبين جبل درن
فالذي وراءه الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بية ارض ودان وبحالات العرب فيها ثم زوية ابن خطاب ثم
رمال وقفا الى آخر الجزء في الشرق وفيما بين الجبل والبحر في الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلا وقفا
تجول فيها العرب ثم اجدا بية ثم مرة عند منعطف الجبل ثم طلوسة على البحر هناك ثم في شرق المنعطف من
الجبل بحالات هيب ورواحه الى آخر الجزء وفي الرابع من هذا الاقليم وفي الاعلى من غربيه صحارى
برقيق وأسفل منها بلاد هيب ورواحه ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيغمر طائفة منه الى الجنوب
حتى يزاحم طرفه الاعلى ويبقى بينه وبين آخر الجزء قفا وتجول فيها العرب وعلى سمتها شرقا بلاد القيوم وهي
على مصب أحد الشعبين من النيل الذي يمر على اللاهون من بلاد الصعيد في الجزء الرابع من الاقليم
الثاني ويصب في بحيرة قيوم وعلى سمتها شرقا ارض مصر ومدينتها الشهبيرة على الشعب الثاني الذي يمر
بداص من بلاد الصعيد عند آخر الجزء الثاني ويقترق هذا الشعب اقترقة ثانية من تحت مصر على
شعبين آخرين من شطونف وزنتي وينقسم الايمن منهما من قمرط بشعبين آخرين ويصب جميعها في البحر
الرومي فعلى مصب العربي من هذا الشعب بلاد الاسكندرية وعلى مصب الوسط بلد رشيد وعلى مصب
الشرقي بلد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية أسافل الديار المصرية كلها المحشوة
عمرانا وفلجا وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد الشام واكثرها على ما وصف وذلك لان بحر القلزم
ينتهي من الجنوب وفي الغرب منه عند السويس لانه في ممره مبدئ من البحر الهندي الى الشمال
ينعطف آخذا الى جهة الغرب فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء طوية فينتهي في الطرف الغربي
منه الى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس فاران ثم جبل الطور ثم ايلة مدين ثم الحو راء في آخرها
ومن هنالك ينعطف بساحله الى الجنوب في ارض الحجاز كما مر في الاقليم الثاني في الجزء الخامس منه وفي
الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثير من غربيه عليهم القمر والعرش
وقارب طرفها بلاد القلزم فيضاق ما بينهما من هنالك وبقي شبه الباب مفضيا الى ارض الشام وفي غربي

ولو اني صدقت الله فيها *
ايكم يعرف قس بن ساعدة

(٣٨)

قلت لاهلها اظهر الحق (وقال ابن عباس) لما ورد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال رجل لست انساه بعكاظ على جبل احمر وهو يخطب

الناس ويقول ايها الناس
اجتمعوا فاذا اجتمعتم
فاسمعوا فاذا سمعتم فعدوا
فاذا وعدتم فقولوا فاذا قلتم
فاصدقوا من عاشر مات
ومن مات فات وكل ما هو
آت آت ان في السماء لخبرا
وان في الارض لاهل امهاد
موضوع وسقف مرفوع
ونجوم تورد وبحر لا يبور
اقسم قس قسم حقيق لا
كذب فيه ولا اثم لئن كان
في الارض رضا لكونن
مخطا ان الله ديناهو
احب اليه من دينكم هذا
الذي انتم عليه مالي ارى
الناس يذهبون ولا
يرجعون ارضوا بالمقام
فقاموا اوتركو اعلیٰ حالهم
فناموا ثم قال ايكم يروى
شعره فاشدوه
في الذاهبين الاول
ن من القرون لنا بصائر
لما رايت موارد
للموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نخوها
تمضي الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضي الي
لكن ولا من الباقيين غابر
سكنوا البيوت فوطنوا
ان البيوت هي المقابر
ايقنت اني لاحيا

لما رايت صاير القوم صائر

هذا الباب فخص التيه ارض جرداء لا تنبت كانت مجالا لبني اسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم
الى الشام اربعين سنة كما قصه القرآن وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذه الجزع طائفة من خيرية
قبرس وبقيتها في الاقليم الرابع كما ذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند الطرف المتضيق للبحر
السويس بلد العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان وبينهما طرف هذه البحر ثم تخط هذه
القطعة في انعطافها من هنالك الى الاقليم الرابع عند طرابلس وغزة وهنالك ينتهي البحر الرومي في
جهة الشرق وعلى هذه القطعة أكثر سواحل الشام في شرقه عسقلان وبناحراف يسير عنها الى الشمال بلد
قيسارية ثم كذلك بلاد عكا ثم صور ثم صيدا ثم غزة ثم ينطفئ البحر الى الشمال في الاقليم الرابع
ويقابل هذه البلاد الساحلية من هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل ايلة من بحر القلزم
ويذهب في ناحية الشمال منحرفا الى الشرق الى أن يجاوز هذا الجزء يسمى جبل الاسكمان وكانه حاجز
بين ارض مصر والشام في طرفه عند ايلة العقبة التي يمر عليها الحجاج من مصر الى مكة ثم بعدها في
ناحية الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة والسلام عند جبل السراة يتصل من عند جبل الاسكمان المذکور
من شمال العقبة ذاهبا على سمت الشرق ثم ينطفئ قليلا وفي شرقه هنالك بلاد البحر وديار عمود وتيماء
ودومة الجندل وهي أسافل الحجاز وفوقها جبل رضوى وحصون خيبر في جهة الجنوب عنها وفيما بين
جبل السراة وبحر القلزم صحراء تبوك وفي شمال جبل السراة مدينة القدس عند جبل الاسكمان ثم الاردن
ثم طبرية وفي شرقها بلاد الغور الى اذرعاء وفي سمتها شرقا دومة الجندل آخر هذه الجزع وهي آخر الحجاز
وعند منطفئ جبل الاسكمان الى الشمال من آخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا وبيروت من
القطعة البحرية وجبل الاسكمان يعترض بينهما وبينها وعلى سمت دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم مدينة
حاص في الجهة الشمالية آخر الجزع عند منطفئ جبل الاسكمان وفي الشرق عن بعلبك وحاص بلد تدمر
ومجالات البادية الى آخر الجزع وفي الجزء السادس من أعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد نجد واليمامة
ما بين جبل العرج والهمسان الى البحرين وهجر على بحر فارس وفي أسافل هذا الجزء تحت المجالات بلد
الحيرة والقادسية ومغايض الفرات وفيما بعدها شرقا مدينة البصرة وفي هذا الجزء ينتهي بحر فارس
عند عبادان والابلة (١) من أسافل الجزع من شماله ويصب فيه عند عبادان نهر دجلة بعد أن ينقسم
بجداول كثيرة وتختلط به جداول أخرى من الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان وتصب في بحر فارس وهذه
القطعة من البحر متسعة في أعلاه متضيقة في آخره في شرقه وضيقه عند منتهاه مضيقه للحد الشمالي منه
وعلى مدونه الغرب منه أسافل البحرين وهجر والاحسا وفي غربها الخطب والصمان وبقيّة ارض
اليمامة وعلى مدونه الشرقية سواحل فارس من أعلاها وهو من عند آخر الجزع من الشرق على طرف قد
امتد من هذا البحر مشرقا ورواه الى الجنوب في هذا الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هرير على
الساحل بلديراف ونيجيرم على ساحل هذا البحر وفي شرقه الى آخر الجزع وتحت هرير بلاد فارس مثل
ابور ودارا بجر دونسا واصطخر والشاهجان وشيراز وهي قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس الى الشمال
عند طرف البحر بلاد خوزستان ومنها الاهواز وتستر وصدي وصابور والسوس ورام هرير وغيرها
وأرجان وهي حد ما بين فارس وخوزستان وفي شرق بلاد خوزستان جبال الاكرامة متصلة الى نواحي
اصبهان وبها مساكنهم ومجالاتهم وراعيها في ارض فارس وتسمى الرسوم وفي الجزء السابع في الاعلى منه

(١) قوله الابلة بضم الهمزة والباء وتشديد اللام اه

ثم قال الرجل لقد رايت منه عجايبا فاجتمعوا واديا فاذا انابعين

خارجة وروضة مدهامة وشجرة عادية واذا بقس بن ساعدة فاعد في أصل الشجرة ويده قضيب وقد ودعلى العين سباع كثيرة فكما

ورد سبع على صاحبه ضر به بالعصا وقال تنح حتى يشرب الذي ورد قبلك فلما رأيت ذلك ذهعت فعرشيد فالتفت الى وقال لا تخف
فالتفت فاذا بقبرين بينهما مسجد فقلت ما هذان القبران قال هما قبر اخوي كانا يعبدان الله (٣٩) تعالى معي في هذا الموضع وأنا أعبد

الله بينهما حتى ألحق بهم ما
فقلت له ألا تلحق بقومك
فتكون في جبرتهم فقال لي
تلك أمك أو ما علمت
ان ولدا سمعيل تركت دين
أبيه واتبعك الاصل نام
وعظمت الانداد ثم تركني
وأقبل على القبرين وقال
خليلي هب ابطا ما قدر قدما
أجد كما ما تقضيان كرا كما
أرى النوم بين الجملد والعظم
منكما

كان الذي يسقى العقار
سقا كما

ألم تعلم أني بسمعان مفرد
ومالي فيه من خليل سوا كما
مقيم على قبري كما است نازحا
طوال الليالي أو يجيب
صدا كما
أبكي كما طول الحياة وما
الذي

يرد على ذي غصة أن بكاء كما
كان كما والموت اقرب غابة
بروح في قبري كما قد اتانا كما
سلام وتسليم وروح ورجة
ومغفرة المولى على ساكني كما
فلو جعلت نفس لنفسي
وقاية

لمحت به نفسي أن تكون
فدا كما

وفي الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان
قس بن ساعدة يبعث أمة
وحده يعني ان كل أمة

من المغرب بقية جبال القفص ويلها من الجنوب والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها الرودان
والشهير جان وجيرفت ويزدشير واهرج وتحت أرض كرمان الى الشمال بقية بلاد فارس الى حدود
اصبهان ومدينة اصبهان في طرف هذا الجزء ما بين غربه وشماله ثم في المشرق عن بلاد كرمان وبلاد
فارس أرض سجستان وكوهستان في الجنوب وأرض كوهستان في الشمال عنها ويتوسط بين كرمان
وفارس وبين سجستان وكوهستان في وسط هذا الجزء المفاوز العظمى القابلة المسالك الصعبة بها ومن
مدن سجستان بست والطاق وأما كوهستان فهي من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها سمرخس
وقوهستان آخر الجزء وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبه بحالات الجبل من أم الترك متصلة ببارض
سجستان من غربها وبارض كابل الهند من جنوبها وفي الشمال عن هذه الحالات جبال الغورو وبلادها
وقاعدتها غزنة فرضة الهند وفي آخر الغورو من الشمال بلاد استراباذ ثم في الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد هراة
أوسط خراسان وبها السقران وقاشان وبوشنج وعرو الروذو الطالقان والجوزجان وتنتمي خراسان هنالك
الى نهر جيحون وعلى هذا النهر من بلاد خراسان من غربيه مدينة بلخ وفي شرقيه مدينة ترمذ ومدينة
بلخ كانت كرسى ملكة الترك وهذا النهر نهر جيحون يخرج من بلاد جارجي حدود بنديشان مما يلي الهند
ويخرج من جنوب هذا الجزء وعند آخره من الشرق فينعطف عن قرب مغربا الى وسط الجزء ويسمى
هنالك نهر خراب ثم ينعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمته الى أن يصب في بحيرة خوارزم
في الاقليم الخامس كما نذكره وبعده عند انعطافه في وسط الجزء من الجنوب الى الشمال خمسة أنهار عظيمة من
بلاد الختل والوخش من شرقيه وأنهار أخرى من جبال البتم من شرقيه أيضا وجوفي الجبل حتى يتسع
ويعظم بما لا كفاه له ومن هذه الأنهار الخمسة المدة له نهر وخشاب يخرج من بلاد التبت وهي بين الجنوب
والشرق من هذا الجزء فيمر مغربا بخراف الى الشمال الى أن يخرج الى الجزء التاسع قريبا من شمال
هذا الجزء يعترضه في طريقه جبل عظيم يمر من وسط الجنوب في هذا الجزء ويذهب مشرقا بخراف الى
الشمال الى أن يخرج الى الجزء التاسع قريبا من شمال هذا الجزء فيجوز بلاد التبت الى القطعة
الشرقية الجنوبية من هذا الجزء ويحول بين الترك وبين بلاد الختل وليس فيه الامسال واحد في وسط
الشرق من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سدا وبني فيه بابا كسديا جوج وما جوج فاذا خرج نهر
وخشاب من بلاد التبت واعترضه هذا الجبل فيمر تحته في مدى بعيد الى أن يمر في بلاد الوخش ويصب في
نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمر بها بطا الى الترمذ في الشمال الى بلاد الجوزجان وفي الشرق عن بلاد
الغور فيعاب منها وبين نهر جيحون بلاد الناسان من خراسان وفي العدو الشرقية هنالك من النهر بلاد
الختل وأكبرها جبال وبلاد الوخش ويحدها من جهة الشمال جبال البتم ثم يخرج من طرف خراسان
غربا في نهر جيحون وتذهب مشرقا الى أن يتصل طرفها بالجبل العظيم الذي خلفه بلاد التبت ويمر تحته
نهر وخشاب كما قلناه في متصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه الجبال وانهار أخرى
نصب فيه منها نهر بلاد الوخش يصب فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخ يخرج من
جبال البتم من مبدئه عند الجوزجان ويصب فيه من غربيه وعلى هذا النهر من غربيه بلاد آمد من
خراسان وفي شرقي النهر من هنالك أرض الصغد وأسر وشنة من بلاد الترك وفي شرقها أرض فرغانة أيضا
الى آخر الجزء شرقا وكل بلاد الترك تحوزها جبال البتم الى شمالها وفي الجزء التاسع من غربيه أرض
التبت الى وسط الجزء وفي جنوبها بلاد الهند وفي شرقها بلاد الصين الى آخر الجزء وفي أسفل هذا الجزء

أمنت بنبيها تبعث أمة وحدها لا يخاطها غيرها ويبعث قس أيضا وحده أمة ليس معه أحد (ويروي) ان المهدي نام يوما فأنشد في نومه
هذه الأبيات كلني هذا القصر قد باد أهله وواو حش منه ركنه ومنازله فلم يبق الا ذكره وحديثه ينادي بابل معولات نوا كله

فما أنت عليه عشرة عشرة حتى مات (وأنشدني) القاضي أبو العباس الجرجاني رحمه الله بالبصرة هذه الأبيات بالله ربك كم قصر مررت به
 قد كان يعمر بالذات والطرب (٤٠) طارت عقاب المنيا في جوانبه ■ فصاح من بعده بالويل والحرب وأنشدني أيضا

شمالا عن بلاد التبت بلاد الخزر لحيمة من بلاد الترك إلى آخر الجزر شرقا وشمالا ويتصل بها من غربها
 أرض فرغانة أيضا إلى آخر الجزر شرقا ومن شرقها أرض التغرغر من الترك إلى آخر الجزر شرقا وشمالا
 وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعا بقية الصين وأسافلها وفي الشمال بقية بلاد التغرغر ثم شرقا عنهم
 بلاد خرخيز من الترك أيضا إلى آخر الجزر شرقا وفي الشمال من أرض خرخيز بلاد كتمان من الترك
 وقبالتها في البحر المحيط جزيرة الباقوت في وسط جبل مستدير لا منفذ منه إليها ولا مسلك والصعود إلى
 أعلاه من خارجه صعب في الغاية وفي الجزيرة حياة قتالة وحصى من الباقوت كثيرة فيحتال أهل تلك
 الناحية في استخراجها بما يليهمهم الله إليه وأهل هذه البلاد في هذا الجزء التاسع والعاشر فيمورا وخراسان
 والجمال كلها بحالات للترك أم لا تحصى وهم طواغيت ورجال أهل ابل وشاه وبقرو خيل للنتاج والركوب
 والأكل وطوائفهم كثيرة لا يحصى منهم الا خاقهم وفيهم مسلمون مما يلي بلاد النهر نهر جيحون ويعزون
 الحكمة منهم الدائنين بالجوسية فيبيعون رقيقهم لمن يليهم ويخرجون إلى بلاد خراسان والهند والعراق
 (الاقليم الرابع) يتصل بالثالث من جهة الشمال والجزء الاول منه في غربيه قطعة من البحر المحيط
 مستطيلة من أوله جنوبا إلى آخره شمالا وفي الجنوب مدينة طنجة ومن هذه القطعة تحت طنجة من
 البحر المحيط إلى البحر الرومي في خليج متضيق بمقدار اثني عشر ميلا من طرف طرف الجزيرة الخضراء
 شمالا وقصر الحجاز وسبعة جند وبو يذهب مشرقا إلى ان ينتهي إلى وسط الجزء الخامس من هذا الاقليم
 وينفتح في ذهابه بتدرج إلى ان يغمر الاربعة اجزاء أكثر الخامس ويغمر عن جانبه طرفان من الاقليم
 الثالث والخامس كما سنذكره ويسمى هذا البحر البحر الشامي أيضا وفيه جزائر كثيرة أعظمها في جهة الغرب
 يابسة ثم ما يرقى ثم منقرة ثم سردانية ثم صقلية وهي أعظمها ثم بلونس ثم اقر بطش ثم قبرص كما نذكرها
 كلها في اجزائها التي وقعت فيها ويخرج من هذا البحر الرومي عند آخر الجزء الثالث منه وفي الجزء الثالث من
 الاقليم الخامس خليج البنادقة يذهب إلى ناحية الشمال ثم ينحرف عند وسط الجزء من جوفه ويمر مغربا
 إلى ان ينتهي في الجزء الثاني من الخامس ويخرج منه أيضا في آخر الجزء الرابع شرقا من الاقليم الخامس
 خليج القسطنطينية يمر في الشمال متضيقا في عرض رمية السهم إلى آخر الاقليم ثم يقضي إلى الجزء الرابع
 من الاقليم السادس وينحرف إلى بحر بطش ذاهبا إلى الشرق في الجزء الخامس كله ونصف السادس من
 الاقليم السادس كما نذكر ذلك في أماكنه وعند ما يخرج هذا البحر الرومي من البحر المحيط في خليج طنجة
 وينفتح إلى الاقليم الثالث يبقى في الجنوب عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على
 مجمع البحرين وبعدها مدينة سبته على البحر الرومي ثم طاقون ثم بادريس ثم يغمر هذا البحر بقية هذا
 الجزء شرقا ويخرج إلى الثالث وأكثر العمارة في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه وهي كلها بلاد
 الاندلس الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي وله ساطر يف عند مجمع البحرين وفي الشرق منها
 على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم المنكب ثم المريجة وتحت هذه من لدن البحر المحيط
 غربا وعلى مغربه منه شريش ثم لبلبة وقبالتها في جزيرة قادس وفي الشرق عن شريش وبلبله اشبيلية ثم
 اسبجة وقرطبة ومدية ثم غرناطة وجيان وأبدية ثم وادي اش وبسطة وتحت هذه شجرة وشلب على
 البحر المحيط غربا وفي الشرق عنهما بطليوس وماودة وبابة ثم غافق وبرزالة ثم قلعة رياح وتحت هذه
 اشبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر باجة وفي الشرق عنها شترين وموزية على النهر المذكور ثم قنطرة
 السيف ويسامت اشبونة من جهة الشرق جبل الشارات يمد من المغرب هنالك ويذهب مشرقا مع آخر

أيها الرافع البناء ويبدأ
 لن تذود المنون عنك المباني
 ان هذا البناء يبقى ويقف
 كل شيء ابقى من الانسان
 (وقال المحكم بن عمرو)
 قال ابو جعفر المنصور وعند
 موته اللهم ان كنت تعلم
 اني ارتكبت الامور العظام
 جرأة مني عليك فانك
 تعلم اني قد اطعتك في أحب
 الاشياء اليك شهادة ان
 لا اله الا الله منامك لا منا
 عليك * وكان سبب احرامه
 من الخضراء انه كان يوما
 نائما فأتاه آت في منامه
 فقال
 كافي بهذا القصر قد بادأه
 واوحش منه أهله ومنازل
 وصار عييد القصر من بعد
 بهجة
 إلى تربة تسقى عليه جنادله
 فاستيقظ مرعوبا ثم نام فأشدد
 أباجه فحانت وفاتك
 وانقضت
 سنوك وحر الله لا بد واقع
 فهل كاهن أعددته ومنجم
 أباجه فحانت وفاتك
 فقال يارب يع ائمتي
 بطه وري فقام واغتسل
 ولبى وتجهز للحج ثم قال
 يارب يع القتي في حرم الله
 تعالى (وأنشدني) القاضي أبو
 العباس الجرجاني بالبصرة

ان كنت تسعوا إلى الدنيا وزينتها ■ فانظر إلى ملك الاملاك قارون زم الامور فاعطته مقادتها * الجزء
 وسخر الناس بالتشديد واللين حتى اذا ظن ان لا شيء غلبه * ومكنت قدماء أي تمكين راحت عليه المنيا بروحة تركت

ذالملك والعز تحت الماء والطين وأنشد في أبو محمد التميمي ببغداد

إذا ما صار أخواني رفانا وصرت لقدمهم فردا وحيدا أعان معشر المهمل شكول * (٤١)

لمن أبني لمن أسم المطايا * لمن استأنف الشيء الجديدا

وأشكاله كالأقلام في القلما

(ومن زهد في الدنيا) وأصر

عبو بهام أنباء الملوك

أبو عقاب علوان بن الحسن

من بني الأغلب وهم ملوك

المغرب وكان ذا نعمة ومالك

وله فتوة طاهرة فتأب إلى

ربه ورجع عن ذلك رجوعا

فأرق نظاره فرفض المال

والأهل وهجر البناء والوطن

وبلغ من العبادة مبلغا ربي

فيه على المجتهدين وعرف

باجابة الدعوة وكان عالما أديبا

قد صبح عدة من أصحاب

سجنون وسمع منهم ثم انقطع

إلى بعض السواحل فصحب

رجلا يكنى أباهرون

الاندلسي منقطعا متبلا

إلى الله تعالى فلم ير منه

كبر احتداد في العمل فبينا

أبو عقاب يتحدث في بعض

الديالى وأبو هريرة ناثم

اذغالبه النوم فقال لنفسه

يا نفس هذا عابد جليل

القدر ينال الليل كله وأنا

أسهر الليل كله فلو أرحمت

نفسى فوضع جنبه فرأى

في منامه شخصا فتلا عليه

أم حسب الذين اجترحوا

السيئات أن نجهلهم كالذين

آمنوا وعملوا الصالحات

إلى آخر الآية فاستيقظ

فزعو علم أنه المراد فأيقظ

أباهرون وقال له سألتك

بالله هل أتيت كبيرة قط

قال لا يا ابن أخي ولا صغيرة

الجزء من شماليه فتمت إلى مدينة سالم فيما بعد النصف منه وتحت هذا الجبل طلبة برة في الشرق من
فوزنه ثم طلبة ثم وادي الحجاز ثم مدينة سالم وعند أول هذا الجبل فيما بينه وبين أشبونة بلد قريه
منه غربي الاندلس وأما شرقي الاندلس فعلى ساحل البحر الرومي منها بعد المرية قرطاجنة ثم لفتة
ثم دانية ثم بنسمة إلى طرطوشة آخر الجزء في الشرق وتحتها شمالا ليرة وشقورة تتأخران بسطة
وقلة رياح من غرب الاندلس ثم مرسة شرقا ثم شاطبة تحت بنسمة شمالا ثم شقورة ثم طرطوشة ثم
طركونة آخر الجزء ثم تحت هذه شمالا أرض منجالة وريدة متأخران لشقورة وطلبة من الغرب ثم
أفراغة شرقا تحت طرطوشة وشمالا عنها ثم في الشرق عن مدينة سالم قلعة أيوب ثم مرسة ثم
ثم لاردة آخر الجزء شرقا وشمالا والجزء الثاني من هذا الاقليم غربي الماء جميعه الاقطعة من غربيه
في الشمال فيها بقية جبل البرنات ومعناه جبل الثنايا والسالك يخرج اليه من آخر الجزء الاول من
الاقليم الخامس يبدأ من الطرف المنتهي من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنو بأوشرقا ويعرف
الجنوب بانحراف إلى الشرق فيخرج في هذا الاقليم الرابع منخرفا عن الجزء الاول منه إلى هذا الجزء الثاني
فيقع فيه قطعة منه تفضى ثناياها إلى البر المتصل وتسمى أرض غش كوني وفيه مدينة خريدة وقرقشونة
وعلى ساحل البحر الرومي من هذه القطعة مدينة برسة لونة ثم أربونة وفي هذا البحر الذي غمر الجزء جزائر
كثيرة والكثير منها غير مسكون أصغر هافي غربيه جزيرة سر دانية وفي شرقيه جزيرة صقلية متسعة
الافطار يقال ان دورها سبع مائة ميل وبها مدن كثيرة من مشاهيرها سر قوسه وبلرم وطرابغة
ومازرومسين وهذه الجزيرة تقابل أرض إفريقية وفيها بين ما جزيرة أعدوش ومالطة والجزء الثالث
من هذا الاقليم مغمورا أيضا بالبحر الاثلاث قطع من ناحية الشمال الغربية منها أرض قلوريه والوسطى
من أرض ابكرده والشرقية من بلاد البنادقة والجزء الرابع من هذا الاقليم مغمر أيضا بالبحر كما مر
و جزائره كثيرة وأكثرها غير مسكون كافي الثالث والمغمور منها جزيرة بلونس في الناحية الغربية الشمالية
و جزيرة أقر يطيش مسطوية من وسط الجزء إلى ما بين الجنوب والشرق منه والجزء الخامس من هذا
الاقليم غمر البحر منه مثله كبيرة بين الجنوب والغرب ينتهي الضلع الغربي منها إلى آخر الجزء في الشمال
وينتهي الضلع الجنوبي منها إلى نحو الثلثين من الجزء ويبقى في الجانب الشرقي من الجزء قطعة نحو
الثلث من الشمال إلى منها إلى الغرب منه طامع البحر كما قلناه وفي النصف الجنوبي منها أسافل الشام ويعرف
وسطها جبل اللكام إلى أن ينتهي إلى آخر الشام في الشمال فينعطف من هنالك ذاهبا إلى القطر الشرقي
الشمالى ويسمى بعد ذلك عظامه جبل السلسله ومن هنالك يخرج إلى الاقليم الخامس ويجوز من عند
منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة إلى جهة الشرق ويقوم من عند منعطفه من جهة المغرب جبال متصلة
بعضها بعض إلى أن ينتهي إلى طرف خارج من البحر الرومي متأخر إلى آخر الجزء من الشمالى وبين هذه
الجبال ثنايا تسمى الدروب وهى التي تفضى إلى بلاد الارمن وفي هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين
جبل السلسله فأما الجهة الجنوبية التي قدمنا فيها أسافل الشام وأن جبل اللكام معترض فيها بين
البحر الرومي وآخر الجزء من الجنوب إلى الشمال فعلى ساحل البحر منه بلاد أنطرطوس في أول الجزء من
الجنوب متأخرة لقرطوب إلى على ساحله من الاقليم الثالث وفي شمال أنطرطوس جبل ثم اللاذقية
ثم أسكندرونة ثم سلوقية وبعدها شمالا بلاد الروم وأما جبل اللكام المتعرض بين البحر وآخر الجزء
بحفافيه فيصاقيه من بلاد الشام من أعلى الجزء جنوبا من غربيه حصن الحوانى وهو الخشيشة

(٦ - ابن خلدون) عن تميم محمد الله فقال أبو عقاب لهذا انما أنت ولا يصلح لكى الا الكد والاجتهاد ثم دخل إلى مكة ولزم بيت
الله الحرام فوج مراروا ربي على عباد المشرق وكان يعمل بالقرب على ظهره بقوته ومات بمكة وهو ساجد في صلاة الفريضة بالمسجد

الحرام سنة ست وتسعين وما ثنتين وقال له رجل كان يحبه يومالي اليك حاجة فقال له بعد الجهد به حاجتك مقضية قال ان كان لك شهوة
أخبرني بها قال نعم أشتري أن آكل (٤٢) رأسا قال فاشتريته لرأسين ولققتهم في رفاق وجئته بهما ثم سأله بعد أيام هل طاب لك

الرأسان قال لا ما هو الا أن
فتحت ما فاذا هما محشوان
دود ليس فيه ما البتة
ثم الا الدود فابتت الرأس
فاخبرته فأطرق متجها ثم
قال ما ظننت أن في زماننا
احدا يحصى عن المحرام
هذه الحماية تلك الرؤس
كانت من غنم اتيها بعض
العمال ثم اعطاني رأسين
من غير تلك الغنم فابتت
بهما باعقال فاكلها ما
فاخبرته بما قال الرأس
فبكي ثم قال يارب ما كان
يستحق عبدك أبوعقال
مثل هذه الحماية ولا كنه
يارب فضلك وكرامك فلك
على يارب أن لا آكل طعاما
بشهوة أشتها حتى ألقاك
ان شاء الله تعالى وكانت
له أخت متعبدة فلما ماتت
لمحت قبره بمكة وبكت
عليه وكتبت عليه هذه
الآيات
ليت شعري ما الذي عاينته
بعد دوم الصوم مع نفي
الوسن
مع عزوف النفس عن
أوطارها
والتخلي عن حبيب وسكن
يا شقي ليس في وجدى به
علة تمنعني عن أن أجن
وكما تبلى وجوه في الثرى
فكذا يبلى عليهن الحزن

(و روى) ان رجلين تنازعا في أرض فانطق الله لينة من جدار تلك الأرض فتأت في كنت ملكا من الملوك والفرات
ملكك الدنيا الف سنة ثم وصرت رميا الف سنة فاخذني خراف واتخذني خرافا ثم اخذني وضر بني لبنا وانا في هذا الجدار كذا وكذا

سنة فلم تمتازعان في هذه الارض (ومن اعجب) ماروى في الاسماء ائليان ان ابنة من بنات الملوك تزهدت في الدنيا وتاب وتخرجت من ملكها ففقدت فلم يسمع لها خبر ولا علم لها اثر وكان هناك دير للمعتدين فلحق بهم شاب (٤٣) يتعبد فابصر وامنه من الاجتهاد والجد

في العمل وملازمة الاوراد
ومواصله الاعمال مافاق
به جميع من في الدير واقام
على ذلك ماشاء الله تعالى
الى ان انقضت ايامه ووافاه
جماعه ففقدوا القتي نجبه
فحزن له اهل الدير من
الزهاد والعباد والمنطقين
واذروا عليه الدموع ثم
أخذوا في غسله واذا هو
امرأة ففحصوا عن أمره واذا
هي بنت الملك فزادهم
ذلك إعجابا به وتعظيما له
وتشاوروا في أمره ماذا
يحدثون له من الكرامة ثم
اجتمعوا أمرهم ان لا يدفنوها
تحت الثرى وان يحملوها
فوق أكتفهم فغسلوها
وكفنوها وحضروها واصلوا
عليها ثم أقبلوا يحملونها
على الاكف والسواعد كلها
ضخيرة واحدة جاء واحد
يحمل مع من يحمل وكل
من انقطع في الدير لعبادة
ربه جعل يحمل معهم
الى ان بليت وتقطعت
أوصالهم مع طول الزمان
فدفنت حينئذ رجة الله
عليها (وكان في بلاد الروم
مما يلي أرض الاندلس
رجل نصراني قد بلغ في
التخلي من الدنيا مبلغا عظيما
واعترل الخاف والترم قال
الحبال والسباحة في الارض

والفرات قبل مجيئهم ما يبلغ داهي بلاد الجزيرة ويختلط بنهر دجلة بعد مفارقتها ببغداد نهر آخر يأتي من
الجهة الشرقية الشمالية منه وينتهي الى بلاد النهر وان قبالة بغداد شرقا ثم ينعطف جنوبا ويختلط بدجلة
قبل خروجه الى الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بلاد جلولاء وفي شرقها
عند الجبل بلاد حلوان وصميرة وأما القطعة الغربية من الجزء فيعترضها جبل يمد من جبل الاعاجم
مشرقا الى آخر الجزيرة يسمى جبل ش. هرزدرو يقسمها بقطعتين وفي الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلاد
خونجان في الغرب والاعمال عن اصبهان وتسمى هذه القطعة بلاد الملوس وفي وسطها بلدانها وندوف في شمالها
بلد شهرزور وعر باعند ملتقى الجبلين والدينور شرقا عند آخر الجزيرة وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من
بلاد ارمينية قاعدتها المراغة والذي يقابلها من جبل العراق يسمى بارياو وهو مسكن للكراد والزبان
الكبير والصغير الذي على دجلة من ورائه وفي آخر هذه القطعة من جهة الشرق بلاد اذربيجان ومنها تبريز
والبيلقان وفي الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر نبطش وهو بحر الخزر وفي الجزء
السابع من هذا الاقليم من غربه وجنوبه معظم بلاد الملوس وفيها همزان وقزوين وبقية في الاقليم
الثالث وفيها هنالك اصبهان ويحيط بها من الجنوب جبل يخرج من غربها ويمر بالاقليم الثالث ثم ينعطف
من الجزء السادس الى الاقليم الرابع ويتصل بجبل العراق في شرقيه الذي مر ذكره هنالك وأنه يحيط
ببلاد الملوس في القطعة الشرقية ويحيط هذا الجبل المحيط باصبهان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال
ويخرج الى هذا الجزء السابع فيحيط ببلاد الملوس من شرقها وتحت هنالك قاشان ثم قفم وينعطف في
قرب النصف من طريقه مغربا بعض الشيء ثم يرجع مستديرا فيذهب مشرقا ومنحرفا الى الشمال حتى
يخرج الى الاقليم الخامس ويشتمل على منطقة واسعة تدارته على بلد الري في شرقيه ويبدأ من منعطف
جبل آخر يمر غربا الى آخر الجزيرة ومن جنوبه من هنالك قزوين ومن جانبه الشمالي وجانب جبل الري
المتصل معه ذاهبا الى الشرق والشمال الى وسط الجزء ثم الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه
الجمال وبين قطعة من بحر طبرستان ويدخل من الاقليم الخامس في هذا الجزء في نحو النصف من غربه الى
شرقه ويعترض عند جبل الري وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل يمر على سمته مشرقا وبانحراف
قليلا الى الجنوب حتى يدخل في الجزء الثامن من غربه ويبقى بين جبل الري وهذا الجبل من عند
مبدهم ما بلاد جرجان فيما بين الجبلين ومنها بطام ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية المغارة
التي بين فارس وخراسان وهي في شرقي قاشان وفي آخرها عند هذا الجبل بلاد اس. تراباذ وحققا في هذا
الجبل من شرقيه الى آخر الجزء بلاد نيسابور ومن خراسان في جنوب الجبل وشرق المغارة بلاد نيسابور
ثم مرو والشاهجان آخر الجزء وفي شماله وشرقي جرجان بلد مهر جان وخازرون وطوس آخر الجزء مشرقا
وكل هذه تحت الجبل وفي الشمال عنها بلاد نسا ويحيط بها عند ذواوية الجزأين الشمال والشرق
مقارن معطلة وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم وفي غربيه من جرجان ذاهبا من الجنوب الى
الشمال في عدوته الغربية ثم وامل من بلاد خراسان والظاهرية والجرجانية من بلاد خوارزم ويحيط
بالزاوية الغربية الجنوبية منه جبل استراباذ المعترض في الجزء السابع قبله ويخرج في هذا الجزء من
غربيه ويحيط بهذه الزاوية وفيها بقية بلاد هراة ويمر الجبل في الاقليم الثالث بين هراة والجورجان حتى
يتصل بجبل البتم كذا ذكره هنالك وفي شرقي نهر جيحون من هذا الجزء وفي الجنوب منه بلاد بخاري ثم بلاد
الصغد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد اسروشة ومنها خجندة آخر الجزء شرقا وفي الشمال عن سمرقند واسروشة

الى الغاية القصوى فورد على المستعين بن هوذ في بعض الامر فامرهم ان يخذلوه وجعل يعرض عليه ذخائر ملكه وخرائ امواله
وما حوته من البضائع والمجرات والحجار الباقوت والجواهر وأمانها ونفائس الاعلاق والجواري والحشم والاجناد والكرعا والسلاح

فأقاموا في ذلك أياما فلما انتهت قال له كيف رأيت ما لي قال قد رأيت ما كاول لكنه يعوزك فيه خصلة ان أنت قدرت عليها فقاموا بنظام ملك وان لم تقدر عليها فهذا الملك (٤٤) لا شيء قال وما تطلب الخصلة قال تعمدت صنع عطاء عظيم احصينا قويا وتكون مساحته

قدر البلد ثم تكبه على البلد حتى لا يجد ملك الموت مدخلا اليك فقال المستعين سبحان الله او يقدر البشر على هذا فقال العلي يا هذا أنت خير بامر تتركه غدا ومثال من يقتخر بما يقوى كمن يقتخر بما يراه في النوم (ويروى) ان ملكا من الملوك بنى قصر او قال انظر وامرنا بعبادته شيئا فاصلى حوله وأعطوه درهمين فاناه رجل فقال ان في هذا القصر عيبين قال وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم اقبل على نفسه وترك الدنيا (ومن عجائب) أخبار الخضر عليه السلام قالوا سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شيء رأيته في الدنيا في طول سباحتك كثرة خلواتك وقطعتك القفار والقلوات قال أعجب ما رأيته انى حررت على مدينة لم أر على وجه الارض احسن منها فساأت بعضهم متى بنيت هذه المدينة قالوا سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا اجدادنا متى بنيت هذه المدينة وما زالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها نحن وامرنا بعبادته عام وعبرت عليها بعد ذلك

ارض يلاق ثم في الشمال عن يلاق ارض الشاش (١) الى آخر الجزء شرقا وياخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب تلك القطعة بقية ارض فرغانة ويخرج من تلك القطعة التي في الجزء التاسع نهر الشاش يمر معترضا في الجزء الثامن الى أن ينصب في نهر جيحون عند مخرجه من هذا الجزء الثامن في شماله الى الاقليم الخامس ويختلط معه في ارض يلاق نهر يأتى من الجزء التاسع من الاقليم الثالث من تخوم بلاد التبت ويختلط معه قبل مخرجه من الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جبراغون يمد من الاقليم الخامس ينحطف شرقا ومنحرفا الى الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع محيطا بارض الشاش ثم ينحطف في الجزء التاسع فيحيط بالشاش وفرغانة هناك الى جنوبه فيدخل في الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل في وسط الجزء بلاد فاراب وبينه وبين ارض بخارى وخوارزم مقار ومغلة وفي زاوية هذا الجزء من الشمال والشرق ارض خجندة وفيها بلد السنجاب وطراز وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في غربيه بعد ارض فرغانة والشاش ارض الخزجانية في الجنوب وارض الخليجية في الشمال وفي شرق الجزء كله ارض الكيمياء كية يتصل في الجزء العاشر كله الى جبل قوقيا آخر الجزء شرقا وعلى قطعة من البحر المحيط هناك وهو جبل أجوج وما أجوج وهذه الامم كلها من شعوب الترك انتهى

(الاقليم الخامس) * الجزء الاول منه أكثره مغرور بالماء الا قليلا من جنوبه وشرقه لان البحر المحيط بهذه الجهة الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس والسابع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فأما المنكشف من جنوبه فقطعة على شكل مثلث متصلة من هناك بالاندلس وعليها بقيتها ويحيط بها البحر من جهتين كأنهما ضلعان محيطان بزاوية المثلث ففيها من بقية غرب الاندلس سبعة وعشرون على البحر عند اول الجزء من الجنوب والغرب وسلسلة شرقا عنها وفي جوفها سمورة وفي الشرق عن سلسلة يلة آخر الجنوب وارض قسطنطينية شرقا عنها وفيها مدينة شقونية وفي شمالها ارض ليون وبرغشت ثم وراءها في الشمال ارض حلبقية الى زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في آخر الضلع الغربي بلد شنياف وومعنا يعقوب وفيها من شرق بلاد الاندلس مدينة شطلمية عند آخر الجزء في الجنوب وشرقاً عن قسطنطينية وفي شمالها وشرقها وشقة وينبلونة على سمتها شرقا وشمالا وفي غرب ينبلونة قسطنطينية ثم ناجرة فيها بينا وبين برغشت يعترض وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذ للبحر والضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به وبطرف البحر عند ينبلونة في جهة الشرق الذي ذكرنا من قبل ان يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الاقليم الرابع ويصير حجرا على بلاد الاندلس من جهة الشرق وثناياه ابواب لها تقضى الى بلاد غشكونية من ارض الفرنج فيها من الاقليم الرابع برشلونة واربونة على ساحل البحر الرومي وخر يدة وقرقشونة وراءها في الشمال ومنها من الاقليم الخامس طلوشة شمالا عن خريدة واما المنكشف في هذا الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مسطيل زاويته الحادة وراء البرنات شرقا وفيها على البحر المحيط على رأس القطعة التي يتصل بها جبل البرنات بلديونية وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء ارض بنطون الفرنج الى آخر الجزء وفي الجزء الثاني في الناحية الغربية منه ارض غشكونية وفي شمالها ارض بنطون وبرغشت وقد ذكرناهما في شرق بلاد غشكونية في شمالها قطعة ارض من البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالضرس مائلة الى الشرق قليلا واصارت بلاد غشكونية في غربها داخله في جون من البحر وعلى رأس هذه القطعة شمالا بلاد جنوة وعلى سمتها في الشمال جبل نيت جون وفي شماله وعلى سمتها ارض برغونة

(١) في المشترك اقليم يلاق متصل باقليم الشاش لافضل بينهم ما هو بكرهم الممزة وسكون الياء بعدها اه وفي

واذا منى خاوية على عروشها ولم أر احدا سألها واذا رعاة غنم قد نوت منهم فقلت أين المدينة التي كانت ههنا قالوا سبحان الله ما يدرك آباؤنا ولا اجدادنا أنه قط كانت ههنا مدينة فغبت عنها نحن وامرنا بعبادته عام ثم انتهت اليها فاذا موضع تلك

المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحبة فقط لبعض الغواصين منذ كان هذا البحر ههنا فقال سبحانه الله ما يدرك آباؤنا ولا آجدادنا الآن هذا البحر مذبح الله الطوفان ثم غبت عنها نحو من خمسمائة عام (٤٥) ثم انتهت اليها واذا ذلك البحر قد غاض ماءه واذا مكانه غبضة

وفي الشرق عن طرف جنوبه الخارج من البحر الرومي طرف آخر خارج منه يبق بينهما جون داخل من البر في البحر في غربيه بيش وفي شرقيه مدينة درومة العظمى كرسى ملك الافرنجية ومسكن البابا بتر كههم الاعظم وفيها من المبانى الضخمة والميا كل المهولة والسكنات العادية ما هو معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجارى في وسطها من المشرق الى المغرب مقروش قاعه بيلاط الخماس وفيها كنيسة بطرس وبولس من الحواريين وهما مدفونان بها وفي الشمال عن بلاد رومة بلاد افرنجية الى آخر الجزء وعلى هذا الطرف من البحر الذى في جنوبه رومة بلاد تابل في الجانب الشرقى منه متصلة ببلاد قلورية من بلاد الفرنج وفي شمالها طرف من خليج البنادقة دخل في هذا الجزء من الجزء الثالث مغربا ومحاذيا للشمال من هذا الجزء وانتهى الى نحو الثالث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة دخل في هذا الجزء من جنوبه فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد انكلالية في الاقليم السادس وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في غربيه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر الرومي يحيط بهما من شرقيه يوصل من برها في الاقليم الرابع في البحر الرومي في جون بين طرفين خرامن البحر على سمت الشمال الى هذا الجزء في شرقى بلاد قلورية بلاد انكلية في جون بين خليج البنادقة والبحر الرومي ويدخل طرف من هذا الجزء في الجون في الاقليم الرابع وفي البحر الرومي ويحيط به من شرقيه خليج البنادقة من البحر الرومي ذاهبا الى سمت الشمال ثم ينحطف الى الغرب محاذيا لآخر الجزء الشمالي ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يوازيه ويذهب معه في الشمال ثم يغرب معه في الاقليم السادس الى ان ينتهى قبالة خليج في شماليه وفي بلاد انكلالية من امم المانيين كمنذ كرو على هذا الخليج وبينه وبين هذا الجبل ما دامنا ذاهبين الى الشمال بلاد البنادقة فاذا ذهبنا الى المغرب فبينهم ما بلاد حروبا ثم بلاد الاسانيين عند طرف الخليج وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة من البحر الرومي خرجت اليه من الاقليم الرابع مضرسة كلها بقطع من البحر ويخرج منها الى الشمال وبين كل ضربين منها طرف من البحر في الجون بينهما وفي آخر الجزء شرقا قطع من البحر ويخرج منها الى الشمال خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي ويذهب على سمت الشمال الى ان يدخل في الاقليم السادس وينحطف من هنالك عن قرب مشرقا الى بحر نيظس في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من الاقليم السادس كما نذكر وبلاد القسطنطينية في شرقى هذا الخليج عند آخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسى القيصرية وبها من آثار البناء والضخامة ما كثرت عنه الاحاديث والقطعة التي ما بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية من هذا الجزء وفيها بلاد مقدونية التي كانت لابونانيين ومنها ابتداء ملوكهم وفي شرقى هذا الخليج الى آخر الجزء قطعة من ارض باطوس وأظنها لهذا العهد مجال للترك وبها ملك ابن عثمان وقاعدته بها برصة وكانت من قبلهم للروم وغابهم عليها الامم الى ان صارت للترك وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غربيه وجنوبه ارض باطوس وفي الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد عمورية وفي شرقى عمورية نهر قبايقب الذى يمد القرات يخرج من جبل هنالك ويذهب في الجنوب حتى يخاط القرات قبل وصوله من هذا الجزء الى ممره في الاقليم الرابع وهنالك في غربيه آخر الجزء في مبداء نهر سيجان ثم نهر جيحان غربيه الذاهبين على سمتهم وقد مر ذكرهما في شرقه هنالك مبداء نهر الدجلة الذاهب على سمتهم وفي موازاته حتى يخاطه عند بغداد وفي الزاوية التي بين الجنوب والشرق من هذا الجزء وراء الجبل الذى يسمونه نهر دجلة بلاد ميافارقين ونهر قبايقب الذى ذكرناه يقيمهم هذا الجزء بقطعتين احدها مغربية جنوبية وفيها ارض

ملاحة بالقصب والبردى والسباع واذا صيادون يصيدون السمك في زوارق صغار فقط لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقال سبحانه الله ما يدرك آباؤنا ولا آجدادنا انه كان ههنا قط بحر فغبت عنها نحو من خمسمائة عام ثم انتهت الى ذلك المكان فاذا هو مدينة على حاله الاولى والخصون والقصور والاسواق قائمة فقط لبعضهم أين الغبضة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحانه الله ما يدرك آباؤنا ولا آجدادنا ان هذه المدينة على حالها منذ بعث الله الطوفان فغبت عنها نحو من خمسمائة عام ثم انتهت اليها فاذا عاليها سافها وهي تدخن بدخان شديد فلم أر احدا أسأله ثم رأيت رعايا فسألتهم أين المدينة التي كانت ههنا ومتى حدث هذا الدخان فقال سبحانه الله ما يدرك آباؤنا ولا آجدادنا الآن هذا الموضع كان هكذا منذ كان فهذا اعجب شيء رأيته في سياحتي في الدنيا فسبحان مبيد العباد ومقني البالد ووارث

الارض ومن عليها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (قال الشاعر) قف بالديار فهذه آثارهم * تبكي الاحبة حسرة وتشوقا فاجاني داعي الهوى في رهها * فارقت من تهوى فعرز الملتقى كم قد وقعت بها أسائل مخبرا * عن أهلها واناطقا ومشققا

(ومن الشعر) المستحسن في هذه الابيات قول القائل رب ورفاءه نوفي بالضحى ذات شجوصدحت في فتن ذكرت القادوه راصالحا
فبكت حزنا فاجت حزن في بكائي ربما رفقها (٤٦) وبكاهار بما رقتي فاذا تسعدني أسعدها واذا اسعدها تسعدني ولقد تشكروا فافهمها

باطوس كما قلناه واسافلها الى آخر الجزء شمالا وراء الجبل الذي يد آمنه من قرب اقاب أرض عمورية كما
قلناه والقطعة الثانية شرقية شمالية على الثلث في الجنوب منها مبدأ الدجلة والفرات وفي الشمال بلاد
البيلقان متصلة بأرض عمورية من وراء جبل قباقيب وهي عريضة وفي آخرها عند مبدأ الفران بلاد
خرشنة وفي الزاوية الشرقية الشمالية قطعة من بحر نيطنس الذي يمد حليج القسطنطينية وفي الجزء
السادس من هذا الاقليم في جنوبه وغربه بلاد ارمينية متصلة الى ان يتجاوز وسط الجزء الى جانب الشرق
وفيها بلاد أردن في الجنوب والغرب وفي شمالها تقيس ودييل وفي شرق أردن مدينة خلاط ثم بردة وفي
جنوبها بانحراف الى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك مخرج بلاد ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك
بلاد المارعة في شرق جبل الاكراد المسمى بآرمي وقد مر ذكره في الجزء السادس منه ويتأخم بلاد ارمينية في
هذا الجزء وفي الاقليم الرابع قبله من جهة الشرق فيها بلاد اذربيجان وأخرها في هذا الجزء شرقا بلاد
أردبيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في الناحية الشرقية من الجزء السابع ويسمى بحر طبرستان
وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر وهم التركمان ويبدأ من عند آخر هذه القطعة البحرية
في الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت الغرب الى الجزء الخامس فقريبة منه منطقة ومحطة
يبدأ منها فارقين يخرج الى الاقليم الرابع عند آمد ويتصل بجبل السلسة في أسافل الشام ومن
هنالك يتصل بجبل الاسكاف كما مر بين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء ثانيا كالأبواب تقضي من
الجانبة بين في جنوبها بلاد الأبواب متصلة في الشرق الى بحر طبرستان وعليه من هذه البلاد مدينة
باب الأبواب وتتصل بلاد الأبواب في الغرب من ناحية جنوبها ببلاد ارمينية وبينها ما في الشرق
وبين بلاد اذربيجان الجنوبية بلاد الزاب متصلة الى بحر طبرستان وفي شمال هذه الجبال قطعة من
هذا الجزء في غربها مكة السري في الزاوية الغربية الشمالية منها وفي زاوية الجزء كله قطعة أيضا
من بحر نيطنس الذي يمد حليج القسطنطينية وقد مر ذكره ويحفر بهذه القطعة من نيطنس بلاد
السرير وعليها منها بلاد أطرابريده وتتصل بلاد السرير بين جبال الأبواب والجهة الشمالية من الجزء الى
ان ينتهي شرقا الى جبل حاجز بينهما وبين أرض الخزر وعند آخرها مدينة وصول ووراء هذا الجبل الحاجز
قطعة من أرض الخزر تنتهي الى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء من بحر طبرستان وأخر الجزء
شمالا والجزء السابع من هذا الاقليم غربيه كله مغموور بحر طبرستان وخرج من جنوبه في الاقليم
الرابع القطعة التي ذكرنا هنالك ان عليها بلاد طبرستان وجبال الديلم الى قزو وفي غربي تلك القطعة
متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من الاقليم الرابع ويتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء
السادس من شرقه أيضا وينكشف من هذا الجزء قطعة عند زاوية الشمالية الغربية يصب فيها نهرا ثل
في هذا البحر ويبقى من هذا الجزء على ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر هي مجالات لاغز من أم الترك
يحيط بها جبل من جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب الى مادون وسطه فينعطف
الى الشمال الى ان يلاقى بحر طبرستان فيحترف به ذاهبا معه الى بقيته في الاقليم السادس ثم ينعطف مع
طرفه ويفارقه يسمى هنالك جبل سياه ويذهب مغربا الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم يرجع
جنوبا الى الجزء السادس من الاقليم الخامس وهذا الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين أرض
السرير وأرض الخزر واتصلت أرض الخزر في الجزء السادس والسابع حقا في هذا الجبل المسمى بجبل
سياه كما سيأتي والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله مجالات لاغز من أم الترك وفي الجهة الجنوبية

ولقد أشكروا فافهمني
غير اني بالجوى أعرفها
وهي ايضا بالجوى تعرفني
(ونظر) جبل من العباد
الى باب ملك من الملوك
وقد شيدوا آتقنه وزوجه
فقال باب حديد وموت
عقيد ونزع شديدا وسفر
بعيد (ولما نقل) عبد
الملك بن مروان رأى غسالا
يلوى يبهده ثوبا فقال
وددت اني كنت غسالا
لا أعيش الا بما أكسبه
يوما فيوما فبلغ ذلك أبا
حازم فقال الحمد لله الذي
جعلهم يتقنون عند الموت
ما نحن فيه ولا نمتي عنده
ما هم فيه (وقال) رسول
الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اني اعوذ بك من علم
لا ينفع ونفس لا تشبع
وقلب لا يمشع وعين
لا تدمع هل يتوقع أحدكم
من الدنيا الا غنى مطعيا
او فقرا منسيا او مرضا مقسدا
او هراما مقننا او الدجال
والدجال شر غائب ينظر
او الساعة والساعة آدهي
وأمر (وقال) عيسى عليه
السلام أوحى الله الى الدنيا
من خدمني فاخدميه
ومن خدمك فاستخدميه
يا دنيا تمرري على أوليائي
ولا تحلولي لهم ففقتنهم

(وقال) مؤرق الجلي يا ابن آدم في كل يوم يثوب برزقك وتحزن وينقص عمرك وأنت لا تحزن تطالب ما يطغيك الغربة
وعندك ما يكفيك لا قبل لثوبك ولا بكثير تشبع (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) في خطبته أيها الناس ان الايام تطوى والاعمار

تبقى والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يترا كضان ترا كض البريدي يقر بان كل بعيدو يخلفان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما لمي
عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات (وقال) بعض الحكماء الدنيا كالماء المسالخ (٤٧) كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا

وكالكاس من العسل في

اسفله السم للذائق منه

حلاوة عاجلة وله في اسفله

لموت الذعاف وكالاحلام

للناثم التي تفرحه في منامه

فاذا استيقظ انقطع القرح

وكالبرق الذي يضيء قليلا

ويذهب وشيكو يبقى

رائبه في الظلام مقمعا

وكدودة الابريسم التي

لا يزداد الابريسم على

نفسه الا ازدادت من

الخروج بعدا (وفيه قال

القائل)

كدود كدود القز ينسج

دائما

ويهلك غما وسط ماهو

نامجه

ومثال من يستعجل زهرة

الدنيا ويعرض عن الدار

الاخرة مثال رجلاين لقطا

من الارض حتى غيب

فاما احدهما فدخل عص

الحبة التذاذ بها ثم بلعها

واما الاخر فزرع الحبة فلما

كان بعد زمان التقيما

فاما الذي زرع الحبة وجدها

قد صارت له كرما وكثرت

ثمرته وفكر الاخر في صنعه

في الحبة فوجدها قد صارت

عذرة وليس عنده منها شيء

الا الحسرة على تفریطه

والغبطة لصاحبه (وقال)

وهب بن منبه اوحى الله

الغربية منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها ثلثة مائة ميل ويصب فيها نهار كشميرة من
اوض هذه المجالات وفي الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة عرعون دورها اربعمائة ميل وماؤها حلو وفي
الناحية الشمالية من هذا الجزء جبل مرغار ومعناه جبل الثلج لانه لا يذوب فيه وهو متصل بالجزء
وفي الجنوب عن بحيرة عرعون جبل من الحجر الصلد لا يثبت شيأ يسمى عرعون وبه سميت البحيرة وينحلب
منه ومن جبل مرغار شمالي البحيرة انهار لا تنحصر عدتها فتصب فيها من الجانبين وفي الجزء التاسع من
هذا الاقليم بلاد اركس من ارض الترك في غرب بلاد الغزو وشرق بلاد الكيما كية ويحفر به من جهة
الشرق آخر الجزء جبل قوقيا المحيط بيا جوج وما جوج يعترض هنالك من الجنوب الى الشمال حتى
ينطفئ اول دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليه من آخر الجزء العاشر من الاقليم الرابع قبله
احتف هنالك بالبحر المحيط الى آخر الجزء في الشمال ثم انعطفت مغربا في الجزء العاشر من الاقليم الرابع
الى مادون نصفه واحاط من اوله الى منابه بلاد الكيما كية ثم خرج الى الجزء العاشر من الاقليم الخامس
فذهب فيه مغربا الى آخره وبقيت في جنوبه من هذا الجزء قطعة مستطيلة الى الغرب قبل آخر بلاد
الكيما كية ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقه وفي الاعلى منه وانعطفت قريبا الى الشمال وذهب على
سمته الى الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هنالك كما ذكره وبقيت منه القطعة التي احاط بها
جبل قوقيا عند الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء مستطيلة الى الجنوب وهي من بلاد يا جوج
وما جوج وفي الجزء العاشر من هذا الاقليم ارض يا جوج متصلة فيه كله الا قطعة من البحر المحيط غمرت
طراف في شرقه من جنوبه الى شماله والا القطعة التي يفصلها الى جهة الجنوب والغرب جبل قوقيا حين مر
فيه وما سوى ذلك فارض يا جوج وما جوج والله سبحانه وتعالى اعلم

(الاقليم السادس) فالجزء الاول منه غمر البحر اكثر من نصفه واستدار شرقا مع الناحية الشمالية ثم
ذهب مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية فبقيت قطعة من هذه
الارض في هذا الجزء داخلية بين طرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر المحيط كالجزء فيه وينقسم
طولا وعرضا وهي كلها ارض بر يطانية وفي باها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء
بلاد صاقس متصلة ببلاد بنطو التي مر ذكرها في الجزء الاول والثاني من الاقليم الخامس والجزء الثاني
من هذا الاقليم دخل البحر المحيط من غرب وشماله فبن غرب به قطعة مستطيلة اكبر من نصفه الشمالي من
شرق ارض بر يطانية في الجزء الاول واتصلت بها القطعة الاخرى في الشمال من غرب به الى شرقه
وانقسمت في النصف الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة انكسكاطرة وهي جزيرة عظيمة
مستعرة مشتملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها في الاقليم السابع وفي جنوب هذه القطعة وجزيرتها
في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد ارمندية وبلاد افلا دس متصليان بها ثم بلاد افرنسية جنوبا وغربا
من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقا منها وكلها الامم الا فرنجية وبلاد اللاتين في النصف الشرقي من الجزء
في جنوبه بلاد انكلاية ثم بلاد برغونية شمالا ثم ارض لوكية وشطونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية
الشمالية الشرقية ارض افريرة وكلها الامم اللاتين وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في الناحية
الغربية بلاد مراتية في الجنوب وبلاد شطونية في الشمال وفي الناحية الشرقية بلاد انكوية في الجنوب
وبلا ديلونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخل من الجزء الرابع ويمر مغربا بانجر راف الى
الشمال الى أن يقف في بلاد شطونية آخر النصف الغربي وفي الجزء الرابع في ناحية الجنوب ارض

تعالى الى نبي من انبياء بني اسرائيل ان اردت ان تسكن معي في حضرة القدس فكن في الدنيا اوجيدا فريداهم وما وحشيا بمنزلة الطير
الوحداني الذي يظل في الارض الفلاة يأكل من رؤس الشجر ويشرب من ماء العيون فاذا كان الليل اوى وحده ولم يأرمع الطير

استثناسا بر به (وابعضهم)
مالست اعلمه اليك بايب

كم للحوادث من صروف عجائب ونواب موصولة بنواب ولقد تقطع من شبايك وانقضى
(٤٨) تبغي من الدنيا الكثير وانما يكفيلك منها مثل زاد الراكب (وقال مالك بن انس)

بلغني ان عيسى عليه السلام
انتهى الى قرية قد خربت
حصونها وجفت أنهارها
وتشتت شجرها فنادى
يا خراب أين أهلك فلم يجبه
أحد ثم نادى يا خراب أين
أهلك فلم يجبه أحد فنودي
عيسى بن مريم بادوا
وتضمنتم الارض وعادت
أعمالهم فلا تذهبن أعناقهم
الى يوم القيامة فبكى عيسى
عليه السلام (قال مالك)
سئلت امرأة من بقية قوم
عادي قال لها هرمة أى
عذاب الله رأيت أشد قالت
كل عذاب الله شديد وسلام
الله ورجته على ليلة لا ربح
فيها ولقد رأيت العير تحملها
الريح بين السماء والارض
(وقال) مجاهد كان طعام
يحيى بن زكريا بالعشب
وان كان ليكي من خشية
الله تعالى ما لو كان القار
على عينيه لاحرقه ولقد
كانت الدموع اتخذت
مجرى في وجهه (ومر)
بعض الملوك بسقراط
الحكيم وهو نائم فركضه
برجله وقال قم فقام غير
مرتاع منه ولا انفت اليه
فقال له الملك ما تعرفني قال
لا ولكن أرى فيك طبع
الدواب فهو يتركض
بارجلها فغضب وقال أقول

جنولية وتحتها في الشمال بلاد الروسية وقيل بينهما جبل بلوط من اول الجزر غير بالي أن يقف في
النصف الشرقى وفي شرق ارض جنولية بلاد جرمانية وفي الزاوية الجنوبية الشرقية ارض القسطنطينية
ومدينتها عند آخر الخليج الخارج من البحر الرومى وعند مدفمه في بحر نيطس فيقع قطعة من بحر نيطس
في أعالي الناحية الشرقية من هذا الجزر ويمدها الخليج وبينهما في الزاوية بلاد مسنداه وفي الجزر
الخامس من الاقليم السادس ثم في الناحية الجنوبية عند بحر نيطس يتصل من الخليج في آخر الجزر
الرابع ويخرج على ستمه مشرقا في هذا الجزر كله وفي بعض السادس على طول ألف وثلاثمائة ميل
من مبدئه في عرض ستمائة ميل ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبية من هذا الجزر في غربها الى
شرقها بر مستطيل في غربها هرقلية على ساحل بحر نيطس متصلة بأرض البلقان من الاقليم الخامس وفي
شرقها بلاد الانية وقاعدتها سوتلى على بحر نيطس وفي شمال بحر نيطس في هذا الجزر غربا أرض ترخان
وشرقا بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية تحيط ببلاد ترخان من شرقها في هذا الجزر
من شمالها في الجزء الخامس من الاقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الجزء
السادس في غربيه بقية بحر نيطس ويحرف قليلا الى الشمال ويبقى بينهما هالك وبين آخر الجزء شمالا
بلاد قانية وفي جنوبه ومنفتح الى الشمال يحرف هو كذلك بقية بلاد الانية التي كانت آخر جنوبه
في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزر متصل ارض الخزر وفي شرقها أرض برطاس وفي
الزاوية الشرقية الشمالية ارض بلغار وفي الزاوية الشرقية الجنوبية أرض البحر يحوزها هناك قطعة
من جبل سياه كوه المنعطف مع بحر الخزر وفي الجزء السابع بعده ويذهب بعدمقارقه مغربا فيحوز
في هذه القطعة ويدخل الى الجزء السادس من الاقليم الخامس فيتصل هناك بجبل الابواب وعليه من
هناك ناحية بلاد الخزر وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في الناحية الجنوبية ماجازه جبل
سياه كوه بمقارقه بحر طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى آخر الجزر غربا وفي شرقها القطعة
من بحر طبرستان التي يحوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء جبل سياه في الناحية الغربية
الشمالية أرض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء أرض سحر وبوختاك وهم أمم الترك
وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها أرض الجوخ من الترك في الناحية الشمالية الغربية
والارض المنقنة وشرق الارض التي يقال ان يا جوج وما جوج خربوها قبل بناء السد وفي هذه الارض
المنقنة مبدأ نهر الاثل من اعظم أنهار العالم وعمره في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان في الاقليم
الخامس في الجزء السابع منه وهو كثير الانعطاف يخرج من جبل في الارض المنقنة من ثلاث ينابيع
تجتمع في نهر واحد ويمر على سمت الغرب الى آخر السابع من هذا الاقليم فينعطف شمالا الى الجزء
السابع من الاقليم السابع فيمر في طرفه بين الجنوب والمغرب فيخرج في الجزء السادس من السابع
ويذهب مغربا غير بعيد ثم ينعطف ثانية الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من الاقليم السادس
ويخرج منه جدول يذهب مغربا ويصب في بحر نيطس في ذلك الجزء ويمر في قطعة بين الشمال
والشرق في بلاد بلغار فيخرج في الجزء السابع من الاقليم السادس ثم ينعطف ثالثة الى الجنوب وينفذ
في جبل سياه ويمر في بلاد الخزر ويخرج الى الاقليم الخامس في الجزء السابع منه فصب هناك في
بحر طبرستان في القطعة التي انكشفت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية وفي الجزء التاسع من
هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خشاخ من الترك وهم قفجاق وبلاد التركس منهم أيضا وفي

الى هذا وانت عبدى فقال له سقراط بل انت عبد عبدى قال وكيف ذلك قال لان شهوتك قد ملكتك وأنا ملكك الشرق
الشهوات فقال أنا الملك ابن الاملاك السادة املك من البلاد كذا ومن الاموال والرجال كذا قال اراك تفخر على ما ليس من نفسك وانما

سيدك ان تخبر على نفسك ولا تكن تعال تخلم ثيابا ونلبس بجمعاثو بامن ماء في هذا النهر وتتكلم اذ يبين القاضل من المفضل
فانصرف الملك خيلا * وهانا انا حكى لك امرا صابني طيش عقلي وبلبل حرمي (٤٩) وقطع نياط قلبي فلا يزال مراة لي حتى

يواريني التراب وذلك اني
كنت يوما بالعراق وانا
اشرب ماء فقال لي صاحب
لي وكان له عقل يا فلان
لعل هذا السكوز الذي
تشرب فيه الماء قد كان
انسانا يوما من الدهر فات
فصار ترابا فانفق للبخاري
ان اخذ تراب القبر وضربه
خزفا وشواه بالنار فانظم
كوزا كما ترى وصار انية
يتمن ويستخدم بعد ان
كان بشرا سويا يا كل
ويشرب وينعم ويلذ
ويطرب فاذا الذي قاله من
الحائرات فان الانسان اذا
مات عاد ترابا كما كان في
النشأة الاولى ثم قد يتفق
ان يحفر لحده ويحجج بالماء
ترابه فيتحذ منه آنية فتمتن
في البيوت او لبنة فتبنى في
الجدار او طين به سطح
البيت او يقرش في البلد
فيومأ بالاقدام او يجعل
طينا على الجدار وقد يحوز
ان يغرس عند قبره شجرة
فيستحيل تراب الانسان
شجرة وورقا وثمره فترعى
البهاثم اوراقها ويا كل
الانسان عمرها فينبت منها
محجج وينشر منها عظمه او
تا كل تلك الثمرة المحشرات
والبهاثم فيبغما كان يقنات
صار قوتا ونبينا كان يا كل
صارما كولا ثم يعود في

الشرق منه بلاد يا جوج يفصل بينهما جبل قوقيا المحيط وقد مر ذكره يسد امان البحر المحيط في شرق الاقليم
الرابع ويذهب معه الى آخر الاقليم في الشمال ويفارقه مغربا بانحراف الى الشمال حتى يدخل في الجزء
التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمته الاول حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من الاقليم من جنوبه
الى شماله بانحراف الى المغرب وفي وسطه ههنا السد الذي بناه الاسكندر ثم يخرج على سمته الى الاقليم
السابع وفي الجزء التاسع منه فيمر فيه الى الجنوب الى ان يلقى البحر المحيط في شماله ثم ينعطف معه من
ههنا الى مغربا الى الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه فيتصل ههنا بالقطعة من البحر المحيط في غربيه وفي
وسط هذا الجزء التاسع هو السد الذي بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من خبره في القرآن وقد ذكر عبد
الله بن خرداذبه في كتابه في الجغرافيا ان الوثائق رأى في منامه كأن السد انفتح فانبه فزعا وبعث سلاما
الترجان فوق عليه وجاء بخبره ووصفه في حكاية طويلة است من مقاصد كتابنا وفي الجزء العاشر من
هذا الاقليم بلاد ما جوج متصلة فيه الى آخره على قطعة من ههنا الى البحر المحيط أحاطت به من شرقه
وشماله مستطيلة في الشمال وعريضة بعض الشيء في الشرق

(الاقليم السابع) والبحر المحيط قد غمر عامته من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل
قوقيا المحيط بيا جوج وما جوج فالجزء الاول والثاني مغموران بالماء الاما انكشف من جزيرة انكلاطرة
التي معظمها في الثاني وفي الاول منها طارف انعطف بانحراف الى الشمال وبقية مع قطعة من البحر
مستديرة عليه في الجزء الثاني من الاقليم السادس وهي مذكورة هناك والجزء منها الى البر في هذه القطعة
سبعة اثنى عشر ميلا وراعده الجزء في شمال الجزء الثاني جزيرة روس الاندلس مستطيلة من الغرب الى
الشرق والجزء الثالث من هذا الاقليم مغمورا كثره بالبحر الاقطعة مستطيلة في جنوبه وتوسع في شرقها
وفيه ههنا لك متصل ارض فلونية التي مر ذكرها في الثالث من الاقليم السادس وانها في شماله وفي القطعة
من البحر التي تغمر هذا الجزء ثم في الجانب الغربي منها مستديرة قسيحة وتتصل بالبر من باب في جنوبها
يقضى الى بلاد فلونية وفي شمالها جزيرة بوقاعة مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق والجزء
الرابع من هذا الاقليم شماله كله مغمور بالبحر المحيط من المغرب الى المشرق وجنوبه منه كشف وفي
غرب ارض قيمازك من الترك وفي شرقها بلاد طست ثم ارض روس لاند الى آخر الجزء شرقا وهي دائرة
الثلوج وعمرانها قليل ويتصل ببلاد الروسية في الاقليم السادس وفي الجزء الرابع والخامس منه وفي الجزء
الخامس من هذا الاقليم في الناحية الغربية منه بلاد الروسية وينتهي في الشمال الى القطعة من البحر
المحيط التي يتصل بها جبل قوقيا كما ذكرناه من قبل وفي الناحية الشرقية منه متصل ارض القمانية التي على
قطعة بحر نيطس من الجزء السادس من الاقليم السادس وينتهي الى بحيرة طرمي من هذا الجزء وهي
عذبة تنجلب اليها أنهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي شمال الناحية الشرقية من هذا الجزء
ارض التتارية من التركمان الى آخره وفي الجزء السادس من الناحية الغربية الجنوبية منه متصل بلاد
القمانية وفي وسط الناحية بحيرة عمو وعذبة تنجلب اليها الانهار من الجبال في النواحي الشرقية وهي جامدة
دائما شدة البرد الا قليلا في زمن الصيف وفي شرق بلاد القمانية بلاد الروسية التي كان مبدؤها في الاقليم
السادس في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء الخامس منه وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا
الجزء بقية ارض بلغار التي كان مبدؤها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء
السادس منه وفي وسط هذه القطعة من ارض بلغار منعطف نهر اثل القطعة الاولى الى الجنوب كما مر وفي

(٧ - ابن خلدون) بطن الانسان رجبيا فيعذق في بيت الرحاضة او يعراي بذبذبا لعراة ويجوز اذا حفر قبره ان تسقى الرياح ترابه
فتتفرق اجزؤه في بطون الاودية والثلوج والوهاد ليس في هذا ما اذهل العقول وطيش الحلو ومنع الازدات وهان عنده مفارقة الاهلين

والمال والحق بقال الجبل والانس بالوحوش حتى يأتي أمر الله أليس في هذا ما صغر الدنيا وما فيها أليس في هذا ما حقر المال عند من عظمه والمال عند من جمعه (٥٠) أليس في هذا ما زهد في اللذات وسلى عن الشهوات (وقال) كم من مستقبل يوم لا

آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوقيا متصل من غربه الى شرقه وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية أرض يخناك من أم الترك وكان مبدؤها من الناحية الشمالية الشرقية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هـ هذا الجزء يخرج الى الاقليم السادس من فوقه وفي الناحية الشرقية بقية أرض سحر ب ثم بقية الأرض المنمنة الى آخر الجزء ثم قاف في آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوقيا المحيط متصل من غربه الى شرقه وفي الجزء الثامن من هـ هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الأرض المنمنة وفي شرقها الأرض المحفورة وهي من الجانب خرق عظيم في الأرض بعيد المهوى فسيح الاقطار تمتع الوصول الى قعره يستدل على عمرانه بالدخان في النهار والانيان في الليل تضيء وتختفي ويرى ما رؤى فيها نهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب المناخلة للسد وفي آخر الشمال منه جبل قوقيا متصل من الشرق الى الغرب وفي الجزء التاسع من هـ هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفساخ وهـ م قفجق يجوزها جبل قوقيا حين ينعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب في وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الاقليم السادس ويمر معترضا فيه وفي وسطه هنالك سدا يأجوج وماجوج وقد ذكرناه وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء أرض يأجوج وراء جبل قوقيا على البحر قليلة العرض مسطوية أطاحت به من شرقه وشماله والجزء العاشر غمر البحر جمعه هذا آخر الكلام على الجغرافيا واقاليمها السبعة وفي خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لايات للعالمين

﴿المقدمة الثالثة﴾

﴿في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في الوان البشر والكثير من أحوالهم﴾

(قد بينا) ان المعمور من هذا المنكشف من الأرض انما هو وسطه لا قراط الحرف في الجنوب منه والبردي الشمال ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما الى الوسط فيكون معتدلا فالاقليم الرابع أعدل العمران والذي حقا فيه من الثالث والخامس أقرب الى الاعتدال والذي يليهما والثاني والسادس بعيدان من الاعتدال والاول والسابع أبعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والاقوات والقواكل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر اعدل اجساما واولا واخلاقا وادبانا حتى النبوات فالتواتر في الاكثر فيها ولم تنف على خبر بعثة في الاقاليم الجنوبية ولا الشمالية وذلك ان الانبياء والرسل انما يختص بهم أكل النوع في خلقهم وأخلاقهم قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وذلك لاتباع القبول لما يأتيهم به الانبياء من عند الله وأهل هذه الاقاليم أكل لوجود الاعتدال لهم فتجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم وملابسهم واقواتهم وصنائعهم يتخذون البيوت المنجدة بالحجارة المنمقة بالصناعة ويتناغون في استجادة الآلات والمواعين ويذهبون في ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ويتصرفون في معاملاتهم بالنقدين العريزين ويعدون عن الانحراف في عامة أحوالهم وهؤلاء اهل المغرب والشام والحجاز واليمن والعراقين والهند والسند والصين وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الفرنجة والحلقة والروم واليونانيين ومن كان مع هؤلاء أو قرى بامنتهم في هذه الاقاليم المعتدلة وهذا كان العراق والشام اعدل هذه كلها انها وسط من جميع الجهات واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الاول والثاني والسادس

يستكملها ومنظر غدا وليس من أجله انكم لو أبصرتم الاجل ومسيره لا بغضتم الامل وغروره (ولما) بنى المأمون بن ذى النون وكان من ملوك الاندلس قصره وانفق فيه بيوت الاموال جاء على كمل بنبان في الأرض وكان من عجائبه ان صنع فيه بركة ماء كأنها بحيرة وبنى في وسطها قبة وساق الماء من تحت الأرض حتى علا على رأس القبة على تدبير قد احكمه المهندسون وكان الماء ينزل من اعلى القبة حواشيها محيطا بها متصل ببعضه ببعض فكانت القبة في غلالة من ماء سبكا لا يفتقر المأمون قاعد فيها فروى عنه انه يمشي هو قائم اذ سمع من شدا يشدهذين البنتين أتبنى بناء الخالدين وانما بقاؤك فيها الوعقت قليل لعمد كان في ظل الاول كفاية لمن كل يوم يتنزه رحيل فلم يلبث بعدها الا سيرا حتى قضى نحبهم (ووجد) مكتوبا على قصر قد باد أهلها وأفقرت منازلها هذى منازل اقوام عهدهم في خفض عيش نفيس ماله خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فاقبلوا الى القبور فلا عين ولا أثر ولو قيل للدنيا صف نفسك لما عدت هذا البيت ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خائنه فزوج الاصابع (وروى) ان الحجاج قال في خطبته أيها الناس ان ما بقى من

الدنيا شبه عساه ضي من المساء بالما ولولا عطايت ما ضي من الدنيا بما شئ هذه ما قبلته فكيف آتني على ما بقي منها (وروي) ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة اخلاء فلما (٥١) حضره الموت قال لاحدهم قد كنت لي خيلا

مكرما وثرا وقد حضرني من امر الله تعالى ما ترى فاذا عندك فيقول هذا امر الله غابني عليك لا أستطيع ان أنفك كركبك ولا كن ها أنا بين يديك فخذني زادني فقلت ثم يقول للثاني قد كنت عندي أثر الثلاثة وقد نزل بي من امر الله تعالى ما ترى فما عندك قال هذا امر الله غابني عليك ولا أستطيع ان أنفك كركبك ولا كن ساقوم عليك في مرضك فاذا مات أتقنت غسلك وجودت بكسوتك وسترت جسدك وعورتك وقال للثالث قد نزل بي من امر الله ما ترى وكنت أهون الثلاثة على فماذا عندك قال اني قرينك وحليفك في الدنيا والاخرة أدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج معك حين تخرج منه ولا افارقك أبدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم الاول ماله والثاني اهله والثالث عمله (ولما) اتى ميمون بن مهران الحسن البصري قال له قد كنت أحب لقائك فعضني فقرأ الحسن أفرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون ما أغنى

والسابع فأهلها البعد من الاعتدال في جميع أحوالهم فبماؤهم بالطين والقصب وأقواتهم من الذرة والعشب وملابسهم من أوراق النجر يخصفونها عليهم أو الجلود أو أكثرهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وأدها غريبة السكون مماثلة الى الانحراف ومعاملاتهم بغير الحجر بن الشر يقين من نحاس او حديد او جلود يقدرونها للمعاملات واختلافهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات الجحيم حتى ينقل عن الكثير من السودان اهل الاقليم الاول انهم يسكنون الكهوف والغياض ويأكلون العشب وأنهم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضا وكذا السباعية والسبب في ذلك أنهم لم يدهم عن الاعتدال يقرب عرض اخرجتهم واختلافهم من عرض الحيوانات الجحيم ويبعدون عن الانسانية بمقدار ذلك وكذلك أحوالهم في الديانة ايضا فلا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة الامن قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو في الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية فيساقبل الاسلام وما بعده هذا العهد ومثل اهل مالي وكوكو والتكرور المجاورين لارض المغرب الدائنين بالاسلام لهذا العهد يقال انهم دائنوا به في المسألة السابعة ومثل من دان بالنصرانية من أم الصقالبة والافرنجة والترك من الشمال ومن سوى هؤلاء من اهل تلك الاقاليم المخترقة جنو باوشمالا فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم وجميع أحوالهم بعيدة من أحوال الاناسي قريبة من أحوال البهائم ويخلق ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود اليمن وحضر موت والاحقاف وبلاد الحجاز واليمامة وما اليها من جزيرة العرب في الاقليم الاول والثاني فان جزيرة العرب كلها احاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما ذكرنا فكان لرطوبتها أثر في رطوبة هوائها فنقص ذلك من البس والانحراف الذي يقتضيه المحرور صار فيها بعض الاعتدال بسبب رطوبة البحر وقد توهم بعض النساين ممن لا علم لديه بطبائع الكائنات ان السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا ببلون السواد لدعوة كانت عليه من ابيه مظهر اثرها في لونه وفيما جعل الله من الرق في عقبه وينقلون في ذلك حكاية من خرافات القصص ودعاء نوح على ابنه حام قد وقع في التوراة وليس فيه ذكر السواد وانما سادعا عليه بان يكون ولده عبيد الولد اخوته لا غيره وفي القول بنسبة السواد الى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد واثرهما في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات وذلك ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول والثاني من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فان الشمس تسامت رؤسهم مرتين في كل سنة قريبة احدهما من الاخرى فتطول المسامة عامة الفصول فيكثر الضوء لاجلها ويلح القيق الشديد عليهم وتسود جلودهم لافراط الحر ونظيره ذين الاقليمين مما يقابلهما من الشمال الاقليم السابع والسادس شمل سكانهما ايضا البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط بالشمال اذ الشمس لاتزال باقهم في دائرة مرتي العين أو ما قرب منها ولا ترتفع الى المسامة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشتد البرد عامة الفصول فتبيض الوان أهلها وتنتهي الى الزعورة وينتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور وتوسط بينهما الاقاليم الثلاثة الخامسة والرابع والثالث فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ وافر والرابع ابلغها في الاعتدال غاية انها في المتوسط كما قدمناه فكان لاهله من الاعتدال في خلقهم وخلقة ما تقتضاه مزاج اهو يتهم وتبعه عن جانبه الثالث والخامس وان لم يبلغ غاية المتوسط لاهل هذا اقليم الى الجنوب الحر وهذا اقليم الى الشمال البارد الا انهما لم ينتهيا الى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة متحرقة وأهلها كذلك في خلقهم وخلقتهم فالاول والثاني للحر والسواد والسابع

عنهم ما كانوا يتمتعون فقال عليك السلام ابا عبد الله وعظمت احسن موعظة واعجبا كل العجب لكذب بالنشأة الاخرى وهو يرى الاولى واعجبا كل العجب للشاك في قدرة الله تعالى وهو يرى خلقه واعجبا كل العجب لكذب بالنشور وهو يموت في كل يوم وليلة ويحيا واعجبا كل العجب للصدق بداء الخلود وهو يسعى لدار الغرور واعجبا كل العجب للمختال الفخور وانما خلق من نقطة ثم يعود حبيطة

وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به (وروي) ان الله تعالى اوحى الى آدم عليه السلام جماع الخير كله في أربع واحدة الى وواحدة الى وواحدة
بينى وبينك وواحدة بينك (٥٢) وبين الناس فاما التي الى قعبى لا تشرك بشيأ واما التي لك فاعمل ما شئت فانى اخريك به واما التي

والسادس للبرد والبياض ويسمى سكان الجنوب من الاقليم من الاول والثاني باسم الحبشة والزنج
والسودان اسماء مترادفة على الامم المتغيرة بالسواد وان كان اسم الحبشة مختصا منهم بن اتجاه مكة واليمن
والزنج بن اتجاه بحر الهند وليس هذه الاسماء لهم من أجل انتسابهم الى آدمى اسود لاحام ولا غيره وقد
نجد من السودان اهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل والسابع المنحرف الى البياض قديض ألوان
اعقابهم على التدريج مع الايام بالعكس فيمن يسكن من أهل الشمال والرابع بالجنوب تسود ألوان
اعقابهم وفي ذلك دليل على ان اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا فى ارجوزته فى الطب
بازنجر حرقه - ير الاجسادا * حتى كساد - لودها سوادا
والصقبا كتسبت البياضا * حتى غدت - لودها بياضا

وأما أهل الشمال فلم يسموا باعتبار ألوانهم لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضحة للاسماء فلم يكن
فيه غرابة تحمل على اعتباره فى التسمية لموافقة واعتاده ووجدنا سكانه من الترك والصقابة والطغرغر
والخزرو اللان والكثير من الافرنجة ويا جوج وما جوج اسماء متفرقة واجبا لا متعددة مسمين باسماء
متنوعة وأما اهل الاقاليم الثلاثة المتوسطة اهل الاعتدال فى خلقهم وخلقتهم وسيرهم وكافة الاحوال
الطبيعية للاعتدال لديهم من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرياسات والملك فكانت فيهم
النبوت والملك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والامصار والمباني والفراسة والصنائع الفائقة وسائر
الاحوال المعتدلة وأهل هذه الاقاليم التي وقفنا على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنى اسرائيل
اليونان وأهل الهند والصين وما رأى الناس من اختلاف هذه الامم بسماتهم وشعارها وحسبوا
ذلك لاجل الانساب فجعلوا اهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا فى ألوانهم فتكلفوا نقل تلك
الحكاية الواهية وجعلوا اهل الشمال كلهم اوا كثرهم من ولد يافث واكثر الامم المعتدلة وأهل الوسط
المنتحلين للعلوم والصنائع والمال والشرائع والسياسة والملك من ولد سام وهذا الزعم وان صادف الحق فى
انتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد دائما واخبار عن الواقع لان تسمية اهل الجنوب بالسودان
والحبشان من أجل انتسابهم الى حام الاسود وما أداهم الى هذا الغلط الاعتقادهم ان التمييز بين الامم انما
يقع بالانساب فقط وليس كذلك فان التمييز للجبل والامة يكون بالنسب فى بعضهم كاللغز وبنى اسرائيل
والفرس ويكون بالجهة والسمعة كالزنج والحبشة والصقابة والسودان ويكون بالعوائد والشعار والنسب كما
للغز ويكون بغير ذلك من احوال الامم وخواصهم وسماتهم فتعميم القول فى اهل جهة معينة من جنوب
او شمال بانهم من ولد فلان المعروف لما شغلهم من فحلة أولون أو سمعة وجدت لذلك الاب انما هو من الاغالب
التي اوقع فيها الغفلة عن طبائع الكوان والجهات وان هذه كلها تتبدل فى الاعقاب ولا يجب استمرارها
سنة الله فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا والله ورسوله اعلم بغيبه واحكم وهو المولى المنعم الرؤف الرحيم

(المقدمة الرابعة فى اثر الهواء فى اخلاق البشر)

(قد رأينا) من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرت الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على
كل توقيع موصوفين بالحق فى كل قطر والمسبب الصحيح فى ذلك انه تقر فى موضعه من الحكمة ان
طبيعة الفرح والسرور هى انتشار الروح الحيوانى وتتشبه وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتسكاته
وتقرر ان الحرارة مفسدة للهواء والبخار الخفيفة زائدة فى كبره ولهذ ايجد الممنشئ من الفرح والسرور
ملا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح فى القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة النحر فى

بينى وبينك فعليك الدعاء
وعلى الاجابة وأما التي
بينك وبين الناس فكن
لهم كما تحب ان يكونوا لك
(وقال) سليمان بن داود
عليه ما السلام اوتينا ما اوتى
الناس وما لم يؤتوا وعلمنا
ما علم الناس وما لم يعلموا فلم
نجد شيأ افضل من خشية
الله تعالى فى الغيب
والشهادة وكلمة الحق فى
الرضا والغضب والقصد فى
الغنى والفقر (وكتب)
معاوية الى عائشة رضى
الله عنها ان اكتبى لى كتابا
توصينى فيه ولا تكثرى
على فكتبت اليه سلاما عليك
أما بعد فانى سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول
من التمس رضا الناس بسخط
الله وكله الله الى الناس
والسلام (ولما) ضرب
ابن لمجم عيارضى الله عنه
دخل منزله فاعتريته غشية
ثم افاق ودعا الحسن
والحسين رضى الله عنهما
(فقال) اوصيكما بتقوى
الله والرغبة فى الآخرة
والزهد فى الدنيا ولا تأسفا
على شئ فاتك كما منها عملا
الخبر وكونا للاظالم خصما
وللظالم عونا ثم دعا محمدا
وقال له أما سمعت ما
أوصيت به أخوك قال
بلى قال فانى اوصيك به
وعليك ببر أخوك وتوقيرهم او معرفة فضلهم ما لا تقطع امرادونهم ثم اقبل عليهم فقال اوصيكما

ببر أخوك وتوقيرهم او معرفة فضلهم ما لا تقطع امرادونهم ثم اقبل عليهم فقال اوصيكما
خير افانه أخوك كما وابن أبيكما وانما تعلمان ان اباكما كان يحبه فاحباه ثم قال يا بنى اوصيكما بتقوى الله فى الغيب والشهادة وكلمة الحق

الروح

في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والسكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء
يا بني ما شئ بعده الجنة بشرو ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل (٥٣) بلا دون النار عافية يا بني من أبصر عيب

نفسه شغل عن عيب غيره
ومن رضي بقسم الله لم يحزن
على ما فاتة ومن سل سيف
البغي قتل به ومن حفر
لاخيه بئر اوقع فيها ومن
هتك حجاب اخيه انكشف
عورات بيته ومن نسي
خطيئته استغفم خطيئته
غيره ومن أعجب برأيه
ضل ومن استغنى
بعقله ذل ومن تكبر على
الناس ذل ومن خاظ
الانذال احتقر ومن جالس
العلماء وقرو من يحجب
صاحب السوء لا يسلم ومن
يحجب صاحب الحياء يغم
ومن دخل مداخل السوء
اتهم ومن لا يملك نفسه ندم
ومن فرج استخف به ومن
أكثر من شئ عرف به ومن
كثر كلامه كثر خطؤه ومن
كثر خطؤه قل حياؤه ومن
قل حياؤه قل ورعه ومن
قل ورعه مات قلبه ومن
مات قبل دخل النار
يا بني الادب خير ميراث
وحسن الخلق خير قرين
يا بني العافية عشرة أجزاء
تسعة منها في الصمت الاعن
ذكر الله تعالى والواحدة
في ترك مجالسة السفهاء
يا بني لا شرف اعلى من
الاسلام ولا كرم اعلى من
التقوى ولا عقل احقر من
الورع ولا شفيع انجح من

الروح من خراجة فينفث في الروح وتحت طيبة القرح وكذلك نجد المنة ميم بالجمامات اذا تنفسوا في
هوائها واتصلت حرارة الهوائ في ارواحهم فتنفخت لذلك حدث لهم فرح وورع انبعث الكثير منهم
بالغناء الناشئ عن السرور ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على اخرجتهم وفي
أصل تكويتهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة ابدانهم واقليمهم فتكون ارواحهم بالقياس
الى ارواح أهل الاقليم الرابع أشد حرا فتكون أكثر تنفيسا فتكون أسرع فرحاً وسروراً وأكثر انبساطاً
ويجى الطيب على أثره وهذا كذلك يلحق بهم قليلا لاهل البلاد البخرية لما كان هواؤه متضاعف
الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء بسط البحر وأشعته كانت حصصهم من توابع الحرارة في الفرح
والخفة وجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة وقد تجد يسير من ذلك في أهل البلاد الجزيرية
من الاقليم الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي هوائها الانهايرية في الجنوب عن الارياف والتلول واعتبر
ذلك أيضاً باهل مصر فانها في مثل عرض البلاد الجزيرية أو قريبا منها كيف غلب الفرح عليهم والخفة
والغفلة عن العواقب حتى انهم لا يدخرون أقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة ما تكلمهم من أسواقهم ولما
كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في التلول الباردة كيف ترى أهلها مطرقي أطراق
الحزن وكيف أفرطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل منهم لا يدخر قوت سنتين من جنوب الخنطة ويباكر
الاسواق لشراء قوته ليومه مخافة أن يرزأ شيئا من مدخره وتبع ذلك في الاقليم والبلدان تجدد في الاخلاق
أثر من كفيات الهوائ والله الخلاق العليم وقد تعرض المسعودي للبحث عن السبب في خفة السودان
وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول تعديله فلم يأت بشئ أكثر من أنه نقل عن جالينوس ويعقوب بن اسحق
الكندي ان ذلك لضعف أدمغتهم وما نشأ عنه من ضعف عقولهم وهذا كلام لا محصل له ولا برهان فيه
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(المقدمة الخامسة)

في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في ابدان البشر واخلاقهم
(اعلم) ان هذه الاقاليم المعتدلة لبس كلها يوجد بها الخصب ولا كل سكانها في ورع من العيش بل فيها
ما يوجد دلاله خصب العيش من المحبوب والادب والخنطة والقوا كذا كما المنايا واعتدال الطبيعة
ووفور العمران وفيها الارض الحرة التي لا تنبت زرعاً ولا عشباً بالجملة فسكانها في شطف من العيش مثل
أهل الحجاز وجنوب اليمن ومثل المثلثين من صنهاجة الساكنين ببحراء المغرب وأطراف الرمال فيما بين
البربر والسودان فان هؤلاء يفتقدون المحبوب والادب جملة وانما اغذيتهم وأقواتهم الالبان واللحوم ومثل
العرب أيضاً المجائلين في القفار فانهم وان كانوا يأخذون المحبوب والادب من التلول إلا أن ذلك في الاحايين
وتحت ربة من حاميته وعلى الاقلال لقلة وجودهم فلا يتوصلون منه الى سد الحاجة أو دونها فضلاً عن الرغد
والخصب وتجدهم يقتصرون في غالب احوالهم على الالبان وتعرضهم من الخنطة احسن معاض وتجيد
مع ذلك هؤلاء الغاقدون للمحبوب والادب من أهل القفار احسن حالاً في جسامهم واخلاقهم من أهل
التلول المنعمين في العيش فالوانهم اصفي وابدانهم انقى واشكالهم اتم واحسن واخلاقهم ابعد من
الانحراف واذهابهم أثق في المعارف والادراكات هذا أمر تشهد له التجربة في كل جيل منهم فكثير ما بين
العرب والبربر فيما وصفناه وبين المثلثين وأهل التلول يعرف ذلك من خبره والسبب في ذلك والله أعلم ان
كثرة الاغذية ورطوبتها تولد في الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها بعدا قار في غير نسبة وكثرة الاخلط

التوبة ولا لباس اجل من العافية المحرص مفتاح التعب ومغمة النصب التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم بشئ الزاد للاعداء العدوان
على العباد فطوبى لمن اخلص لله عمله وعمله وجبهه بغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله (وروى) عن عمر بن الخطاب رضي

الله عنه انه لما طعن دعا بلبن فشر به فخرج من طعنته فقال الله اكبر فعمل جلاساؤه يثنون عليه فقال وددت ان اخرج منها كفا فاكما
دخلت فيها الوان الى اليوم ما طعت عليه (٥٤) الشمس وغربت لا قديت به من هول الماطع (قال) ابن عمر وما حضرت الوفاة عمر

الفاسدة العفنة وينبع ذلك انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه وتغطي الرطوبات
على الازهان والافكار بما يصعد الى الدماغ من انجرها الرديئة فينجي البلاءة والغفلة والانحراف عن
الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجذب من الغزال والنعام والمهي والزرافة والحمر
الوحشية والبقر مع أمثالها من حيوان التلول والارياف والمراعي الخصة كيف تجدد بينها بونا بعيدا
في صفاء أديمها وحسن رونقها واشكالها وتناسب اعضائها وحده مداركها فالغزال اخو المعز والزرافة
اخو البعير والحمار والبقر اخو الحمار والبقر واليون بينهما ما رأيت وما زلت الا لاجل ان الخصب في التلول
فعل في ابدان هذه من الفضلات الرديئة والاخلط الفاسدة ما ظهر عليها اثره والجوع لمحيوان القفر حسن
في خلقها واشكالها ماشاء واعتبر ذلك في الادميين ايضا فانما يجد اهل الاقاليم الخصة بة العيش
الكثيرة الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف اهلها غابا بالبلاءة في اذهانهم والخشونة في اجسامهم
وهذا شأن البربر المنغمسين في الادم والخنطة مع المتقشفين في عيشهم المقتصرين على الشهيير والذرة
مثل المصامدة منهم واهل غمارة السوس فتجد هؤلاء احسن حالا في عقولهم وجسومهم وكذا اهل بلاد
المغرب على الجملة المنغمسون في الادم والبر مع اهل الاندلس المفقود بارضهم السمينة وغالب عيشهم
الذرة فتجد لاهل الاندلس من ذكاء العقول وخفة الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم وكذا اهل
الضواحي من المغرب بالجملة مع اهل الحضر والامصار فان اهل الامصار وان كانوا اكثر من مثلهم من
الادم ومخصبين في العيش الا ان استعمالهم اياها بعد العالج بالطبخ والتلطيف بما يختلطون معها
فيذهب لذلك غلظها ويرق قوامها وعامة ما كاهم لحوم الضأن والدجاج ولا يغبطون السمينة من بين
الادم اتفاهته فتقل الرطوبات لذلك في اغذيتهم ويخف ما تؤديه الى اجسامهم من الفضلات الرديئة
فذلك تجد جسوم اهل الامصار اللطيف من جسوم البادية الخشنة في العيش وكذلك تجد المعودين
بالجوع من اهل البادية لافضالات في جسومهم غليظة ولا طيفة وواعلم ان اثره هذا الخصب في البدن
واحواله يظهر حتى في حال الدين والعبادة فتجد المتقشفين من اهل البادية او الحاضرة ممن يأخذ نفسه
بالجوع والتجاني عن الملاذ احسن دينا واقبالا على العبادة من اهل الترف والخصب بل تجد اهل الدين
قايمين في المدن والامصار ما يعجزهم القساوة والغفلة المتصلة بالاكثر من اللحمان والادم وليس باب البر
ويختص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتقشفين في غذائهم من اهل البوادي وكذلك تجد حال اهل
المدينة الواحدة في ذلك مختلفا باختلاف حالها في الترف والخصب وكذلك تجد هؤلاء الخصبين في
العيش المنغمسين في طبيعته من اهل البادية واهل الحواضر والامصار اذا نزلت بهم السنون واخذتهم
المجاعات يسرع اليهم الهلاك اكثر من غيرهم مثل برابرة المغرب واهل مدينة فاس ومصر فيما يبلغنالا
مثل العرب اهل القفر والحراة ولا مثل اهل بلاد الفحل الذين غالب عيشهم القمح ولا مثل اهل افريقية
لهذا العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت واهل الاندلس الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان
هؤلاء وان اخذتهم السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال من أولئك ولا يكثر فيهم الهلاك بالجوع بل ولا
يندرو السبب في ذلك والله اعلم ان المنغمسين في الخصب المعودين للادم والسمينة خصوصا ان كتسب من
ذلك امة ما وهم رطوبية فوق رطوبتها الاصلية المزاجية حتى تجاوز حد ما فاذا خولف بها العادة بقلة
الاقوات وفقدان الادم واستعمال الخشن غير المألوف من الغذاء اسرع الى المعنى اليأس والانكماش
وهو عضو ضعيف في الغاية فيسرع اليه المرض ويهلك صاحبه دفعة لانه من المقاتل فلهذا يكون في

غشى عليه فاخذت راسه
فوضعتها في جري فقال ضع
راسي بالارض لعل الله
يرحمي فدمج خديه بالتراب
وقال ويل لعملي ويل لامة
ان لم يغفر له فقلت وهي
نفذي والارض الاسواء
يا ابتاه فقال ضع راسي
بالارض لأم لك كما أمرت
فاذا قضيت فأسرعوا بي
في حفرتي وانما هو خير
تقدموني اليه وشر تضعونه
عن رقابكم ثم بكى فقبل له
ما يبكيك قال خبر السماء
لا ادري الى جنة ينطلق بي
او الى نار (وما) حضرت
عمر بن عبد العزيز الوفاة قال
اللهم انك امرتني فقصرت
وتنهيتني فعصيت وانعمت
علي فافضلت فان عقوت
فقدمنت وان عاقبت
فما ظلمت الا اني اشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله
ثم قضى رحمه الله (وما)
حضرت هشام بن عبد الملك
الوفاة نظر الى امة لم يكن
حوله فقال حادكم هشام
بالدين اوجدتكم له بالبركوات ترك
لكم ما جمع وتركتم عليه
ما جل ما اعظم منقلب هشام
ان لم يغفر الله له (ودخل)
على المؤمنون في مرضه الذي
مات فيه فاذا هو قد امر ان

يقرب له جل الدابة ويسط عليه الرماد وهو راقده عليه يتضرع ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من يزول
ملكه (وروي) ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه مر على طائر واقع على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تطير فتقع على الشجرة وتاكل من الثمر

وليس عليك حساب ولا عقاب يا ليتني كنت مثلك والله لو ددت اني شجرة الى جنب طريق فرعلى بعير فاخذني فلا كني ثم ازددتني ثم
أخرجني بعرا ولم أك بشرا (وقال) عاصم بن عبد الله اخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٥٥) تبة من الارض فقال يا ليتني كنت مثل

هذه التبة يا ليتني لم تلدني

أي يا ليتني كنت نسيما من نسيما

(وقال) ابن مسعود وددت

اني طائر في منكب ريش

(وسمع) رجلا يقول يا ليتني

كنت من أصحاب اليمين

فقال ابن مسعود يا ليتني

اذامت لم أبعث (وقال)

عمران بن حسين لو ددت

اني رماد فتنسقي الرياح

في يوم عاصف (وقال) ابو

الدرداء يا ليتني كنت شجرة

تعصو وتؤكل ثمري ولم

أك بشرا (وروي) ان علي

ابن أبي طالب رضي الله

عنه لما رجع من صفين

فدخل اوائل الكوفة فاذا

هو بقبر فقال قبر من هذا

فقالوا قبر خباب بن الارت

فوقف عليه وقال رحم الله

خبابا أسلم راغبوا هاجر طائعا

وعاش مجاهدا واستبى في

جسمه آخر الاولن يضيع

الله أجركم احسن علام

مضى فاذا قبر ورفعا حتى

وقف عليها فقال السلام

عليكم اهل الديار الموحشة

والحال المفقرة انتم لنا سلف

ونحن لكم تبع وبكم عسا

قليل لاحقون اللهم اغفر

لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم

طوي لمن ذكر المعاد وعل

الحساب وقنع بال كفاف

ورضى عن الله تعالى ثم

المجاعات انما قتلهم الشبع المعتاد السابق لا الجوع الحادث اللاحق * وأما المتعودون لقلة الادم واليمن
فلا تزال رطوبتهم الاصلية واقفة عند حدها من غير زيادة وهي قابلة لجميع الاغذية الطبيعية فلا يقع في
معاهم تبدل الاغذية بيس ولا انحراف فيسلمون في الغالب من الهلاك الذي يعرض لغيرهم بالمحصب
وكثرة الادم في المساكين كل وأصل هذا كله ان تعلم ان الاغذية واثلاؤها اوتو كمالها هو بالعادة فنعود
نفسه غذاء ولا يمتنع تناوله كان له ما لو فاق صارا المحر وج عنه والتبدل به داء ما لم يخرج عن غرض الغذاء
بالجملة كاسموم واليتوع (١) وما أفرط في الانحراف فاما ما وجد فيه التغذية والملازمة فيصير غذاء ما لو فاق
بالعادة فاذا اخذ الانسان نفسه باستعمال اللبن والبقل عوضا عن الخنطة حتى صار له ديدنا فقد حصل له
ذلك غذاء واستغنى به عن الخنطة والمحسوب من غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء
عن الطعام كما ينقل عن اهل الرياضات فاننا نسمع عنهم في ذلك اخبارا غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها
والسبب في ذلك العادة فان النفس اذا الفت شيئا صار من جبلتها وطبيعتها لانها كثيرة التلون فاذا حصل
لها اعتياد الجوع بالتدريج والريضة فقد حصل ذلك عادة طبيعية لها وما يتوهمه الاطباء من ان الجوع
مهلك فليس على ما يتوهمونه الا اذا حلت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية فانه حينئذ
ينحسم المعنى ويناله المرض الذي يخشى معه الهلاك * وأما اذا كان ذلك القدر تدريجيا وريضة باقلال
الغذاء شيئا فشيئا كما يفعله المتصوفة فهو بمنزلة الهلاك وهذا التدريج ضروري حتى في الجوع عن
هذه الريضة فانه اذا رجع به الى الغذاء الاول دفعة خفيف عليه الهلاك وانما يرجع به كما بداني
الريضة بالتدريج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع اربعين يوما وصا الا وكثر * وحضر اشيا خنا بحاس
السلطان أبي الحسن وقد رفع اليه امراتان من اهل الجزيرة الخضراء ورندها حستتا أنفسهما عن الاكل
جملة منذ سنين وشاع أمرهما ووقع اختبارهما فصح شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى أن ماتتا ورأينا
كثيرا من اصحابنا ايضا من يقتصر على حليب شاة من المعز يلتمس ثديها في بعض النهار أو عند الافطار
ويكون ذلك غذاء واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا يستنكر ذلك * واعلم ان الجوع
اصح للبدن من اكثار الاغذية بكل وجه من قدر عليه أو على الاقلال منها وان له أثرا في الاجسام
والعقول في صفاتها وصلاحها كما قلناه واعتبر ذلك بانار الاغذية التي تحصل عنها في الجسم فقد رأينا
المتغذين بالجوع والمحبات الفاشرة العظيمة الجمعان تذشأ اجيالهم كذلك وهذا ما شاهد في اهل البادية مع
اهل الحاضرة وكذا المتغذون بالابل والحموم ايضا مع ما يؤثر في اخلاقهم من الصبر والاحتمال
والقدرة على حمل الاثقال الموجود ذلك الابل وتذشأ أمهاتهم ايضا على نسبة أمعاء الابل في الصحة والغلاظ
فلا يطرقها الوهن ولا الضعف ولا يناله من مضار الاغذية ما ينال غيرهم فيشربون اليتوعات
لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كما تفضل قبل طبخه والدرياس والفريون ولا ينال أمعاءهم من أضرر
وهي لو تناها اهل الحضرة الرقيقة أمهاتهم بما نشأت عليه من لطيف الاغذية لكان الهلاك أسرع
اليهم من طرفة العين لما فيها من السمية ومن تأثير الاغذية في الابدان ما ذكره اهل الفلاحة وشاهده
اهل التجربة ان الدجاج اذا غذي بالمحبوب المطبوخة في بعر الابل والتخذيض ثم حضنت عليه جاء
(١) قوله قال في القاموس اليتوع كصبر وأوتو وكل نبات له لبن دارم سهل محرق مقطوع والمشهور منه
سبعة الشبرم واللاعبة والعروطينا والمساودانه والماسازريون والفجاشات والعشرون وكل اليتوعات اذا
استعملت في غير وجهها اهلكت اه

قال يا اهل القبور أما الزواج فقد نكحت وأما الديار فقد سكنت وأما الاموال فقد قسمت فهذا خبر ما عندنا فاخبر ما عندكم ثم التفت
الى اصحابه وقال أما انهم لو تسكاهم والقالوا وجدنا ان خير الزاد التقوى (الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء

والسلاطين) دخل الاخنوف بن قيس على معاوية وعليه شعلة ومدرعة صوف فلما مثل بين يديه اقتحمته غيظه فأقبل عليه وقال له فقال الاخنوف يا امير المؤمنين اهل البصرة (٥٦) عديسبر وعظم كبير مع تبايع الحول واتصال من الدخول فلما اكثر منها قد اطرق

والمقل منها قد املق وبلغ به الخنق فان رأى امير المؤمنين ان ينعش الفقير ويجبر الكسير ويسهل العسير ويصقم عن الدخول ويدوى الحول ويأمر بالعطاء ليكشف البلاء وتزول الآلاء والوان السيد من يغمر ولا يخص ويدعو الجفلى ولا يدعو القفرى ان احسن اليه شكر وان اسيء اليه غفرتم يكون من وراء الرعية عماد ايدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال معاوية ها هنا يا ابا بجرثم قرأوا لعمرفهم في تحن القول (وقال) سفيان الثوري لما سمع المهدي قال لا بد لي من سفيان فوضعوا الى الرصد حول البيت فاخذوني بالليل فلما مثل بين يديه أدناى ثم قال لاى شي لا تأتينا فنستشيرك في أمرنا فأتى ثمان شي صرنا اليه وما نهيتنا عن شي انهم ناعته فقلت له كم أنفقت في سفرك هذا قال لا أدري لي امانة ووكلاء قلت فما عذر ذلك عدا اذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سمع قال ان الله

(المقدمة السادسة)

(في اصناف المدركين للغييب من البشر بالقطرة أو بالريضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا)

(اعلم ان الله سبحانه اصطفى من البشر اشخاصا فضلهم بخطابه ووطرهم على معرفته وجعلهم وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويخبرونهم على هدايتهم ويأخذون بحجزاتهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يليقهم اليهم من المعارف ويظهره على السنتهم من الخوارق والاخبار الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى الله عليه وسلم الا واني لا اعلم الا ما علمني الله واعلم ان خبرهم في ذلك من خاصيته وضروريته الصدق لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر ان توجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضر ين معهم مع غطيط كأنها غشايا وانما في رأى العين وليست منهم ما في شيء وانما هي في الحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني بادراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية ثم ينزل الى المدارك البشرية اما بسماع دوى من الكلام فيتمهه او يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله ثم تنجب الى عنه تلك الحال وقد وعى ما ألقى اليه قال صلى الله عليه وسلم وقد سمع من الوحي احيانا يا بني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفهم عنى وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعنى ما يقول ويدركه ان شاء ذلك من الشدة والغطى ما لا يعبر عنه في الحديث كان مما يعالج من التزليل شدة وقالت عائشة كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفهم عنه وان جبينه ليرقى فصدع عرقا وقال تعالى انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ولاجل هذه الحالة في تنزل الوحي كان المشركون يرمون الانبياء بالجنون ويقولون له رءى او تابيع من الجن وانما البس عليهم بما شاهدوه من ظاهرك تلك الأحوال ومن يضلل الله فما له من هاد ومن علاماتهم ايضا انه يوجد لهم قبل الوحي خلق الخير والشر كاهو بحجامة المذمومات والرجس اجمع وهذا هو معنى العصمة وكونه مغطى وعلى التنزه عن المذمومات والمنافرة لها وكونها منافية لجهلته وفي الصحيح انه جل الحجرة وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة فجعلها في ازاره فانكشف فسقط مغشيا عليه حتى استتر بازاره ودعى الى مجتمعه واجمة فيها عرس واهب فأصابه غشى النوم الى ان طلعت الشمس ولم يحضر شيأ من شأنهم بل نزهه الله عن ذلك كله حتى انه بجملته يتنزه عن المذمومات المستكرهه فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل والثوم فقبل له في ذلك فقال انى أنا حتى لا تتساجون (وانظر) لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها بحال الوحي اول ما فاجأه وارادت اخباره فقالت اجعاني بينك وبين ثوبك فلما فعل ذلك ذهب عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان ومعناه انه لا يقرب النساء وكذلك سأله عن أحب الثياب اليه ان يأتبه فيها فقال البياض والخضرة فقالت انه الملك بعنى ان البياض والخضرة من ألوان الخير والملائكة والسوداء من ألوان الشر والشياطين وامثال ذلك ومن علاماتهم ايضا دعاؤهم الى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف وقد استدل خديجة على صدقه صلى الله

عليه

أنفق في سفرنا هذا قال يا امير المؤمنين ثمانية عشر دينارا قال ويحك اجفنا بيت مال المسلمين (وقال)

الزهرى ما سمعت باحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين اسمع منى أربع كلمات فيهن صلاح

دينك ومالك وأخرك ودينك قال لا تعد اعداء وانت لا تريد انجازها ولا يغرنك مرتقي سهل اذا كان المتحدرو عراوا علم ان الاعمال
جزاء فاحذر العواقب والدهر تارات فيكن على حذر (ولما دخل) ابن السماك (٥٧) على هارون الرشيد قال له عظمي قال

يا امير المؤمنين ان الله لم
يرض لحلافته في عباده
غيرك فلا ترض من نفسك
الا عارضى الله به عنك
فانك ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانت
أولى الناس بذلك يا امير
المؤمنين من طلب فكلك
رقبة في مهلة من أجله
كان خليفان يعتق نفسه
يا امير المؤمنين من ذوقته
الدين اخلوا بها ركون منه
اليها اذا قته الاخرة مرارتها
بتجافه عنها يا امير المؤمنين
ناشدك الله ان تقدم الى
جنة عرضها السموات
والارض وقد دعيت اليها
وليس لك فيها نصيب
يا امير المؤمنين انك تموت
وحدك وتحاسب وحدك
وانك لا تقدم الا على نادم
مشغول ولا تخلف الامم فتونا
مغروا وانك واينا في دار
سفر وجيران طعم (ولما)
حج سليمان بن عبد الملك
استحضر ابا حازم فقال له
تسلكم يا ابا حازم فقال فيم
اتسلكم قال في الخروج من
هذا الامر قال يسيران أنت
فعلته قال وما ذلك قال
لا تأخذ الاشياء الا بحقة
ولا تضعها الا في أهلها قال
ومن يقوى على ذلك قال من
قلده الله من الامر ما قلده
قال عظمي يا ابا حازم قال

عليه وسلم بذلك وكذلك ابو بكر ولم يحتاج في امره الى دليل خارج عن حاله وخلفه وفي الصحيح ان هرقل
حين جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام احضر من وجد يبلده من قريش وفيهم ابو
سفيان ليسألهم عن حاله فكان فيما سأل ان قال سمى يا مكرم فقال ابو سفيان بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف
الى آخر ما سأل فأجابته فقال ان يكن ما تقول حقا فهو نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين والعفاف الذي (١)
اشار اليه هرقل هو العصمة فانظر كيف اخذ من العصمة والدعاء الى الدين والعبادة دليلا على صحة نبوته
ولم يحتاج الى معجزة فدل على ان ذلك من علامات النبوة (ومن علاماتهم) ايضا ان يكونوا ذوى حسب في
قومهم وفي الصحيح ما بعث الله نبي الا في منعة من قومه وفي رواية اخرى في ثروة من قومه استدركه الحاكم
على الصحيحين وفي مسأله هرقل لابي سفيان كما هو في الصحيح قال كيف هو فيكم فقال ابو سفيان هو فينا
ذو حسب فقال هرقل والرسول تبعث في احساب قومها ومناها ان تكون له عصبة وشوكة تمنعه عن اذى
الكل فارتد حتى يبلغ رساله ربه ويتم مراد الله من اكمال دينه ومملكته (ومن علاماتهم) ايضا وقوع
الخوارق لهم شاهد بصديقهم وهي افعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة وليست من جنس
مقدور العباد وانما تقع في غير محل قدرتهم ولاناس في كيفية وقوعها ودلائلها على تصديق الانبياء خلاف
فالتكلمون بناء على القول بالفاعل المختار قائلون بانها واقعة بقدرة الله لا بفعل النبي وان كانت افعال
العباد عند المعجزة صادرة عنهم الا ان المعجزة لا تكون من جنس افعالهم وليس للنبي فيها عند سائر
المتكلمين الا التحدي به باذن الله وهو ان يستدل به النبي صلى الله عليه وسلم لم قبل وقوعها على صدقه
في مدعاه فاذا وقعت تنزل منزلة القول الصريح من الله بانه صادق وتكون دلائلها حجة على الصدق
قطعية فالمعجزة الدالة بجموع المخارق والتحدي ولذلك كان التحدي جزءا منها (وعبارة المتكلمين) صدقة
نفسها وهو واحد لانه منى الذاتي عندهم والتحدي هو الفارق بينهما وبين الكرامة والسحر اذا لاحت
فيهما الى التصديق فلا وجود للتحدي الا ان وجد اتفاقا وان وقع التحدي في الكرامة عند من يجيزها
وكانت لها دلالة فانه هي على الولاية وهي غير النبوية ومن هنا منعت الاسماء ابا حازم وغيره وقوع
الخوارق كرامة فرار من الاتباس بالنبوة عند التحدي بالولاية وقد اربناك المغيرة بينهما وانما يتحدى
بغير ما يتحدى به النبي فلا يلبس على أن النقل عن الاسماء في ذلك ليس صريحا ورجعنا على انكار ان
تقع خوارق الانبياء لهم بناء على اختصاص كل من القرينين بخوارقه وأما المعجزة فالتامع من وقوع
الكرامة عندهم ان الخوارق ليست من افعال العباد وافعالهم معادة فلا فرق وأما وقوعها على يد الكاذب
فليسافه ومحال اما عند الاشعرية فلان نفس المعجزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك
انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة والتصديق كذبا واستحالت الحقائق وانقلبت صفات النفس وما يلزم
من فرض وقوعه المحال لا يكون ممكنا وأما عند المعتزلة فلان وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة فبيح فلا
يقع من الله وأما الحكماء فالمخارق عندهم من فعل النبي ولو كان في غير محل القدرة بناء على مذهبهم في
الاجاب الذي وقع الحوادث بعضها عن بعض متوقف على الاسباب والشروط المحاذة مستندة اخيرا
الى الواجب الفاعل بالذات لا بالاختيار وان النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه
الخوارق بقدرة وطاعة العناصر له في التكوين والنبي عندهم مجبول على النصر يف في الاكوان
مهما توجه اليها واستجيب لها بما جعل الله له من ذلك والمخارق عندهم يقع للنبي كان التحدي اولم يكن

(١) قوله الذي اشار اليه هرقل الظاهر ابو سفيان اه

(٨ - ابن خلدون) يا امير المؤمنين ان هذا الامر لم يصل اليك الا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمنل ماضا اليك ثم قال يا امير
المؤمنين نزهت بك في عظمتك ان يراك حيث نهك او يفقدك حيث أمرك يا امير المؤمنين انما انت سوق فما نقي عنك جل اليك

من خبر او شرفا خير لنفسك ايها مشئت قال فقالك لانا نينا قال وما اصنع باننا ان اذنتي فتنتي وان اقصيتي اخرنتي وليس عندي
ما اخافك عليه ولا عندك ما ارجوك (٥٨) له قال فارفع اليها حوائجك قال قدرتها الى من هو اقدر منك عليها فما اعطاني منها قبلت وما منعتني

وهو شاهد بصدقه من حيث دلالة على تصرف النبي في الاكوان الذي هو من خواص النفس النبوية
لا ياتيه تنزل منزلة القول الصريح بالصدق فلذلك لا تكون دلائلهم قطعية كما هي عند الملة كامين
ولا يكون التحدي جزا من المعجزة ولم يصح فارقالها عن البحر والكرامة وفارقها عندهم عن البحران
النبي مجبول على افعال الخير مصروف عن افعال الشر فلا يلزم الشرب بخوارقه والساحر على الضد فافعاله كلها
شروفي مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة ان خوارق النبي مخصوصة كالصعود الى السماء والنفوذ في
الاجسام الكثيفة واحياء الموتي وتكليم الملائكة والطيران في الهواء وخوارق الولي دون ذلك كتكثير
القليل والحديث عن بعض المستقبل وامثاله مما هو قاصر عن تصرف الانبياء وبأقوى النبي بجميع
خوارقه ولا يقدر هو على مثل خوارق الانبياء وقد قرر ذلك المتصوفة فيما كتبوه في طريقهم ولقنوه عن
اخبارهم واذا تقرر ذلك فاعلم ان اعظم المعجزات واشرفها واشهرها اذالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فان الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي وبأقوى بالمعجزة شاهدة
بصدقه والقرآن هو بنفسه الوحي المدعي وهو الخارق المعجز فشاهدة في عينه ولا يفتقر الى دليل مغايرة له
كسائر المعجزات مع الوحي فهو اوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم
ما من نبي من الانبياء الا واتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحى الى
فانا ارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة يشير الى ان المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة
الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصديق لها كثر لوضوحها فكثير المصدق المؤمن وهو التابع والامة

*(ولذلك لا تنفى حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من الحقه قين ثم نذكر
حقيقة الكهانة ثم الروايات ثم شأن العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول)*

*(اعلم) ارشدنا الله واياك اننا شاهد هذا العالم بما فيه من الخلقات كلها على هيئة من الترتيب والاحكام
وربط الاسباب بالمسببات واتصال الاكوان بالاكوان واستحالة بعض الموجودات الى بعض لا تنقضي
عجائبه في ذلك ولا تنتهي غايته وايدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجسماني والاول عالم العناصر المشاهدة
كيف تدرج صاعدا من الارض الى السماء ثم الى الهواء ثم الى النار متصلا بعضها ببعض وكل واحد منها
مستعد الا ان يستحيل الى ما يليه صاعدا او هابطا ويستحيل بعض الاوقات والصاعد منها اطفئ مما قبله
الى ان ينتهي الى عالم الافلاك وهو اطفئ من الكل على طبقات اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك
الحس منها الى الحركات فقط وبها يتبدى بعضهم الى معرفة مقاديرها واورضاعها وما بعد ذلك من وجود
الذوات التي لها هذه الآثار فيها ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النباتات ثم الحيوان
على هيئة بدية من التدريج آخر افاق المعادن متصل باول افاق النباتات مثل الحشائش وما لا بدركه وآخر افاق
النبات مثل النخل والكرم متصل باول افاق الحيوان مثل الحزوز والصدف ولم يوجد لهما الا قوة الحس
فقط ومعنى الاتصال في هذه المكنونات ان آخر افاق منها مستعد بالاستعداد الغريبي ان يصير اول افاق
الذي بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه وانتهى في تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكر
والروية ترتفع اليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل
وكان ذلك اول افاق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم اننا نجد في العوالم على اختلافها آثارا متنوعة
ففي عالم الحس آثار من حركات الافلاك والعناصر وفي عالم التكوين آثار من حركة النجوم والادراك تشهد
كلها بان لها مؤثرا مباينا للاجسام فهو روحاني ويتصل بالمكنونات لوجود اتصال هذا العالم في وجودها

منها رضى يت يقول الله تعالى
نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحياة الدنيا فن ذا الذي
يستطيع ان ينقص من
كثير ما قسم الله او يزيد
في قليل ما قسم الله قال فبكي
سليمان بكاء شديدا فقال
رجل من جلسائه اسأت
الى امير المؤمنين قال ابو
حازم اسكت فان الله تعالى
اخذ ميثاق العلماء بدينه
للناس ولا يكتمونه ثم خرج
من عنده فلما وصل الى
منزله بعث اليه بمال فردده
وقال للرسول قل له يا امير
المؤمنين والله ما ارضاه لك
فكيف ارضاه لنفسى
(وقال) الفضل بن الربيع
سج هرون الرشيد فبينما انا
نائم ليلة اذ سمعت قرع
الباب فقلت من هذا فقال
اجب امير المؤمنين
فخرجت مسرعا فاذا انا به
امير المؤمنين فقلت
يا امير المؤمنين لو ارسلت
الى آتيتك فقال ويحك
قد حاك في نفسي شيء
لا يخرج به الا عالم انظر لي
رجلا اسأله قلت له ههنا
سفيان بن عيينة قال امض
بنالسه فأتته فقرعت
عليه الباب فقال من هذا
فقلت اجب امير المؤمنين
فخرج مسرعا فقال يا امير

المؤمنين لو ارسلت الى آتيتك قال جدما جئنا له فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم قال يا عباسي اقض دينه ثم
انصم ففنا قال ما اغني عنى صاحبك شيئا فانظر لي رجلا اسأله فقلت ههنا عبد الرزاق بن همام قال امض بنالسه فأتته فقرعت عليه

الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعاً فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك فقال جدماً جئتاً له فحاده ساعة
ثم قال له عليك دين قال نعم فقال يا عباسي اقض دينه ثم انصر فنافق قال ما غني عني (٥٩) صاحبك شيئاً فانظري رجلاً أسأله

فقلت مهنا الفضيل بن
عباس قال امض بنا إليه
فأتيناه واذ هو قائم يصلي
في غرفة يتلو آية من كتاب الله
ورددنا فقرعت الباب
فقال من هذا فقلت أجب
أمير المؤمنين فقال مالي
ولا أمير المؤمنين فقلت
سبحان الله اما عليك طاعة
فقال اوليس قد روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ليس للأؤمن أن يذل
نفسه فقبل ففتح الباب ثم
ارتقى الغرفة فأطلق السراج
ثم التجأ إلى زاوية من
زواي الغرفة فجعلنا
نحول عليه بايدينا فسمعت
كف الرشيد كفي إليه فقال
أواه من كف ما اليه انان
نحت غدام عذاب الله
تعالى قال فقلت في نفسي
لكلمة الله بكلام نقي من
قاب نقي فقال جدماً جئتاً
له ربحك الله قال وفيم جئتاً
جئت على نفسك وجميع من
معك جملوا عليك حتى لو
سألهم عند انكشاف
الغطاء عنك وعنهم ان
يحملوا عنك شقصا من
ذنوب ما فعدوا لولا كان
أشدهم حباً لك أشدهم
هر بامك ثم قال ان عمر بن
عبد العزيز لما ولي الخلافة
دعا سالم بن عبد الله ومحمد

وذلك هو النفس المدركة والحركة ولا بد فوقهما وجود آخر يعطيهما قوى الادراك والحركة ويتصل
بها أيضاً ويكون ذاته ادراكاً كاصرفاً وتعلقاً محضاً وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك ان يكون للنفس
استعداد للانسالخ من البشرية إلى الملكية ليصير بالفعل من جنس الملائكة وتضمن الاوقات في لحظة
من الاممات وذلك بعد أن تسكمل ذاتها الروحية بالفعل كما نذكره بعد ويكون لها اتصال بالافق الذي
بعدها شأن الموجودات المرتبة كما قدمناه فلها في الاتصال جهنا العلوي والسفلي هي متصلة بالبدن من
أسفل منها ومكتسبة به المدارك الحسية التي تستعدها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من جهة
الاعلى منها بالافق الملائكة ومكتسبة به المدارك العلمية والغيبية فان عالم الحوادث موجود في تعلقاتهم من
غير زمان وهذا على ما قدمناه من الترتيب المحكم في الوجود باتصال ذواته وقواه بعضها ببعض ثم ان هذه
النفس الانسانية غائبة عن العيان وأثارها ظاهرة في البدن فكانه وجميع اجزائه محتمة ومفترقة
آلات للنفس ولقواها اما الفاعلية فاللبطش بالبدن والمشى بالرجل والكلام باللسان والحركة الملكية
بالبدن متدافعا وأما المدركة وان كانت قوى الادراك مرتبة ومرتبة إلى القوة العلمية او من المفكرة
التي يعبر عنها بالناتقة فقوى الحس الظاهرة بالآلة من السمع والبصر وسائر ما يرتقي إلى الباطن وأوله
الحس المشترك وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة ولموسة وغير هافي حالة واحدة وبذلك
فارتقت قوة الحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدحم عليها في الوقت الواحد ثم يؤديه الحس المشترك إلى
الخيال وهي قوة تمثل الشيء المحسوس في النفس كالمجرد عن المواد الخارجة فقط وآلة هاتين القوتين
في تصرفهما البطن الاول من الدماغ مدة للاولى ومؤخرة للثانية ثم يرتقي الخيال إلى الواهمة
والحافظة فالواهمة لا تدرك المعاني المتعلقة بالانخصيات كعداوة زيد وصدقة عمر وورثة الاب وافتراس
الذئب والحافظة لا يداع المدركات كلها متخيلة وغير متخيلة وهي لها كالمخزاة تحفظها الوقت الحاجة اليها
وآلة هاتين القوتين في تصرفهما البطن المؤخر من الدماغ أوله للاولى ومؤخرة للآخرى ثم ترتقي جميعها
إلى قوة الفكر وآلة البطن الاوسط من الدماغ وهي القوة التي يقع بها حركة الروية والتوجه نحو التعقل
فتحرك النفس بهادئاً لما ركب فيها من التزوع للتخلص من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية
وتخرج إلى الفعل في تعقلها مشبهة بالملا الأعلى الروحاني وتصير في اول مراتب الروحانيات في ادراكها غير
الات الحسية فهي متحركة دائماً وموجهة نحو ذلك وقد تنسلخ بالملكية من البشرية وروحانياتها
إلى الملكية من الافق الأعلى من غير اكتساب بل بما جعل الله فيها من الجملة والغطرة الاولى في ذلك
(والنفوس البشرية) على ثلاثة اصناف صنف عاجز بالطبع عن الوصول إلى الادراك الروحاني فينقطع
بالحركة إلى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركب المعاني من الحافظة والواهمة على قوانين
محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التي للفكر في البدن وكلها خيالي
منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدئه ينتهي إلى الاوليات ولا يتجاوزها وان فسد مداه وهذا هو
الاعلى نطاق الادراك البشري الجسماني واليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ اقدمهم وصنف
متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والادراك الذي لا يقتصر إلى الآلات البدنية بما جعل
فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق الادراك الاول البشري
يرسخ في فضاء المشاهدات الباطنية وهي وجدان كلها الانطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها وهذه
مدارك العلماء الاولياء أهل العلوم الدنية والمعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة في

ابن كعب القرظي رجاء بن مبرة فقال لهم اني قد ابتليت بهذه البلاء فاشيروا علي فعدا الخلافة بلا وعدتها انت واصحابك نعمة فقال له
سالم بن عبد الله ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب ان أردت النجاة من عذاب

الله غدا فليكن كبير المسلمين لك اباؤاوسطهم عندك انا واصغرهم ولد اغير اباك وارحم اخاك ونحن على ولدك وقال له رجاء من حيوة ان اردت النجاة من عذاب الله (٦٠) غدا فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم متى شئت مت واني

لا قول لك هذا واني لا خاف عليك اشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك رجلك الله مثل هذا القوم من يا اميرك بمثل هذا فيكي هرون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت ارفق يا امير المؤمنين فقال يا ابن ام الربيع قتلتك انت واصحابك وارفق به انا ثم افاق فقال زدني فقال يا امير المؤمنين بلغني ان عاملا لعمر بن عبد العزيز شكاليه سهر افكتب اليه عمر بن عبد العزيز يا اخي اذكر سهر اهل النار في النار وخالود الابدان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظان واياك ان تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما اقدمك قال لدخلت قدامي بكائك لاوليت لك ولاية ابدا حتى اتى الله تعالى فبكاه هرون بكاء شديدا ثم قال زدني فقال يا امير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء فقال يا رسول الله امرني على امانة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي فقبس تحييا خيرا من امانة

البرزخ وصنف مفاو على الانسلاخ من البشرية فجعله جسمانيا ثم اورد حواشيهم الى الملائكة من الاقنى الاعلى لصير في لحظة من اللحظات ملكا بالفعل ويحصل له شه هو دالملا الاعلى في افقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللحظة وهو لا الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللحظة وهي حالة الوحي فطرة فطرهم الله عليها وجعله صورهم فيها ونزهمهم عن موانع البدن وعوائقه مادام والاسباب لها بالبشرية بتمسك كعب في غرائزهم من القصد والاساس تقامة التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز في طبائعهم رغبة في العبادات تكشف بتلك الوجهة وتسيخ نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الاقنى بذات النوع من الانسلاخ متى شاؤوا وبذلك الفطرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة فلذا توجهوا وانسلخوا عن بشريةهم وتلقوا في ذلك الملا الاعلى ما يتلقونه عاجوا به على المدارك البشرية منزلا في قواها الحكمة التبليغ للعبادة فتارة يسمع دوايا كانه رزمن الكلام بأخذ منه المعنى الذي اتى الله فلا ينفذ في الدوى الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذي يلقي اليه رجلا فيكمه ويبي ما يقوله والتلقى من الملك والرجوع الى المدارك البشرية وفهمه ما اتى عليه كله كانه في لحظة واحدة بل اقرب من لمح البصر لانه ليس في زمان بل كلها تقع جميعا فيظهر كأنها سريرة ولذلك سميت وحيا لان الوحي في اللغة الاسراع (واعلم) ان الاولى وهي حالة الدوى هي رتبة الانبياء غير المرسلين على ما حققه والثانية وهي حالة تمثيل الملك رجلا لا يخاطب هي رتبة الانبياء والمرسلين ولذلك كانت اكمل من الاولى وهذا معنى الحديث الذي فسر فيه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي لما سألته الحرث بن هشام وقال كيف يأتيك الوحي فقال أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعني ما يقول وإنما كانت الاولى أشد دلالة مبدء الخروج في ذلك الاتصال من القوة الى الفعل فيعسر بعض العسر ولذلك لما عاج فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع وصعب ما سواه وعند ما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال فعند ما يعرج الى المدارك البشرية يأتي على جميعها وخصوصا الاوضح منها وهو مدارك البصر وفي العبارة عن الوحي في الاولى بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة وهي ان الكلام جاء مجي التمثيل لمحات الوحي فتدل الحالة الاولى بالدوى الذي هو في المتعارف غير كلام وأخبر أن الفهم والوحي يتبعه غيب انقضائه فتناسب عند تصوير انقضائه وانقصاله العبارة عن الوحي بالماضي المطابق للانقضاء والانقطاع ومثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم والكلام يساوقه الوحي فتناسب العبارة بالمضارع المقتضى للتجدد واعلم ان في حالة الوحي كلها صفة هو به على الجملة وشدة قد أشار اليها القرآن قال تعالى اناس لنقلق عليك قولا ثقيلا وقالت عائشة كان عياي على من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا ولذلك كان يحدث عنه في تلك الحالة من الغيبة والغبطة ما هو معروف وسبب ذلك ان الوحي كما قرزناه مفارقة البشرية الى المدارك الملكية وتلقى كلام النفس فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنهم ان أفقها الى ذلك الاقنى الاخر وهذا هو معنى القط الذي عبر به في مبدء الوحي في قوله فغطى حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا به اراي وكذا ثانية وثالثة كما في الحديث وقد يقضى الاعتماد بالتدريج فيه شيئا فشيئا الى بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القرآن وسوره وآيه حين كان بمكة أقصر منها وهو بالمدينة وتنازل الى ما نقل في ترول سورة براءة في غزوة تبوك وأنها نزلت كلها واكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد ان كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من

لا تحصى ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت ان لا تكون امير افافعل فبكي هرون الرشيد بكاء قصار شديدا ثم قال زدني برجلك الله قال يا حسن الوجه انت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان اسعد طمعت ان تقي هذا

الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح وتمسي وفي قبلك غش لرعبك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لهم غاش لم يرح رائحة
الجنة فيكي هرون بكاه شديد ثم قال عليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي (٦١) ان سألتني والويل لي ان نادشني

والويل لي ان لم يلهمني
حتى قال انما اعني
دين العباد قال ان ربي لم
يامرني بهذا امرني ان اصدق
وعده واطيع امره فقال
تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون
ما اريد منهم من رزق وما
اريد ان يطعمون ان الله
هو الرزاق ذو القوة المتين
فقال له هذه الف دينار
خذها فانفقها على عيالك
وتقربها على عبادة ربك
فقال سبحان الله انا ادلك
على النجاة وتكافئي بمن
هذا سلمك الله ووفقت ثم
صمت فلم يكلمنا فخر جنا
من عنده فقال لي هرون
اذ ادللتني على رجل فدلتني
على مثل هذا هذا سيد
المسلمين اليوم (وروى) ان
امراة من نسائه دخلت عليه
فقال له يا هذا قد ترى ما
نحن فيه من ضيق الحال
فلو قبلت هذا المال
فقر جنابه فقال انما مثلي
ومثلكم كمثل قوم كان لهم
بغير يا كلون من كسبه
فلما كبر فخره فأكوا
لحمه موتوا يا اهل جوعا ولا
تذبحوا فاضلنا سمع
الرشد ذلك قال ادخل
فعسى ان يقبل المال قال
فدخلنا فلما علم بنا الفضيل

قصارا لمفصل في وقت وينزل الباقي في حين آخر وكذلك كان آخر ما نزل بالمدينة آية الدين وهي ما هي في
الطول بعد ان كانت الآية تنزل بمكة مثل آيات الرحمن والذاريات والمدثر والضحي والقلق وأمثالها
واعتبر من ذلك علامة تميز بها بين المبكي والمدني من السور والآيات والله المرشد للصواب هذا محصل امر
النبوة (وأما الكهانة) فهي أيضا من خواص النفس الانسانية وذلك أنه قد تقدم لنا في جميع ما مران
لنفس الانسانية استعداد الاسلخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها وأنه يحصل من ذلك لحة للبشر في
صنف الانبياء بما فطر واعلمه من ذلك وتقرانه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشئ من المدارك ولا
من التصورات ولان الافعال البدنية كلاما او حركة ولا باع من الامور انما هو انسلخ من البشرية الى
الملكية بالفطرة في لحظة اقرب من لمح البصر واذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد موجودا في الطبيعة
البشرية فيعطى التقسيم العقلي ان هنا صنفا آخر من البشر ناقصا عن رتبة الصنف الاول نقصان الضد عن
ضده الكامل لان عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضد الاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذا أعطى تقسيم
الوجودان هنا صنفا آخر من البشر مقطورا على ان تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند ما
يبحثها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجملة فيكون لها بالجملة عند ما يعوقها العجز عن ذلك تشبث بامور
جزئية محسوسة او متخيلة كالأجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسجج الكلام وما سنج من طير او حيوان
فيستديم ذلك الاحساس او التخيل مستعينا به في ذلك الانسلخ الذي يقصده ويكون كالشمع له هذه القوة
التي فيهم مبدأ لذلك الادراك هي الكهانة ولكون هذه النفوس مقطورة على النقص والقصور عن الكمال
كان ادراكها في الجزئيات أكثر من الكليات ولذلك تكون الخيلة فيهم في غاية القوة لانها آلة الجزئيات
فتنفذ فيها نفوذات ما في ثوم أو يقطعة وتكون عندها حاضرة عديدة تحضرها الخيلة وتكون لها كرامة
تنظر فيها دائما ولا يقوى الكهان على الكمال في ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشيطان وأرفع
أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجج والموازنة ليشغل به عن الحواس ويقوى
بعض الشئ على ذلك الاتصال الناقص فيهم حس في قلبه عن تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الاجنبي
ما يقذفه على لسانه فربما صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتم نقصه بامر اجنبي عن ذاته المدركة
ومباين لها غير ملائم فيعرض له الصدق والكذب جميعا ولا يكون موثوقا به وربما يفرع الى الظنون
والتحمينات حرصا على الظفر بالادراك بزمعه وتمويهها على السائلين وأصحاب هذا السجج هم المخصوصون
باسم الكهان لانهم ارفع سائر اصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في مثله هذا من سجع الكهان فجعل
السجج مختصا بهم بمقتضى الاضافة وقد قال ابن صياد حين سأله كاشف غا عن حاله بالاختبار كيف يأتيك
هذا الامر قال يأتيني صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعني أن النبوة خاصتها الصدق فلا يعثر بها
الكذب بحال لانها اتصال من ذات النبي بالمالا الاعلى من غير مضيع ولا استعانة باجنبي والكهانة لما
احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية كانت داخلية في ادراكه والتبست بالادراك
الذي توجه اليه فصار مخنطاطا بها طرقة الكذب من هذه الجهة فامتنع ان تكون نبوة وانما قلنا ان ارفع
مراتب الكهانة حالة السجج لان معنى السجج أخف من سائر المغيبات من المراثيات والمسموعات وتدل خفة
المعنى على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن العجز بعض الشئ (وقد زعم) بعض الناس ان هذه
الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهاب بين يدي البعثة وان ذلك
كان لمنعهم من خبر السماء كما وقع في القرآن والكهان انما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطالت

خرج وجلس على التراب على السطح فجاء هرون الرشيد فجاس الى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينما كذلك اذ خرجت جارية سوداء
فقال يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف يرحل الله فانصرفنا (ووعظ) شبيب بن شبة المنصور فقال يا امير المؤمنين ان الله لم

يجعل فوقك أحد أقلائك جعل فوق شكر الله شكر (ودخل) عمر بن عبد الله على المنصور فقرأ الفجر ولبال عشر حتى بلغ ان ربك لهما مرصاد لمن فعل مثل فعلهم فاتق الله (٦٢) يا أمير المؤمنين فان يباليك غير اننا تاجح لا يعمل فيها بكباب الله ولا بسنة رسول الله وأنت

الكهانة من يومئذ ولا يقوم من ذلك دليل لان علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضا كما قررناه أيضا فالآية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من اخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا عما سوى ذلك وأيضا فانما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لان هذه المدارك كلها تخمد في زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسر ج عند وجود الشمس لان النبوة هي النور والاعظم الذي يخفي معه كل نور ويذهب وقد زعم بعض الحكماء انهم اتفقوا على ان يدين يدي النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لان وجود النبوة لا بد له من وضع فلا يكتفي بقتضيه وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضي وجود طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه ناقصة وهو معنى الكهان على ما قررناه فقبل ان يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضي وجود الكهان اما واحدا او متعددا فاذا تم ذلك الوضع تم وجود النبي بكامله وانقضت الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شيء بعد وهذا بناء على ان بعض الوضع الفلاني يقتضي بعض أثره وهو غير مسلم فاعل الوضع انما يقتضي ذلك الاثر بهيئته الخاصة ولو نقص بعض أجزائه فلا يقتضي شيئا لانه يقتضي ذلك الاثر ناقصا كما قالوه ثم ان هؤلاء الكهان اذا عاصر وا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته لان لهم بعض الوجدان من أمر النبوة كمال لكل انسان من أمر اليوم ومعرفة تلك النسبة موجودة فلا كهان باشد مما للناس ولا يصددهم عن ذلك ويوقعهم في التكذيب الا قوة المطامع في انها نبوة ولم يفتقروا في العناد كما وقع لامرأة بن أبي الصلت فانه كان بطمع أن يتنبأ وكذا وقع لابن صياد ومسلمة وغيرهم فاذا غلب الايمان وانقطعت تلك الاماني آمنوا أحسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدي وسواد بن قارب وكان لهما في الفتوحات الاسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الايمان (وأما الرؤيا) فحقيقة مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحانية المحضة من صور الواقعات فانها عند ما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بان تجرد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك المحضة بسبب النوم كما نذكر فتقتبس بها علم ما تشوف اليه من الامور المستقبلة وتعود به الى مداركها فان كان ذلك الاقتباس ضعيفا وغير جلي بالحس كات والمثال في الخيال لتخلطه فيحتاج الى تعبير لمخلصه من المثال والخيال والسبب في وقوع هذه المحضة للنفس انها ذات روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركها حتى تصير ذاتها تعلقا محضوا بكمال وجودها بالفعل فتكون حصة ذاتها روحانية مدركة بغير شيء من الآلات البدنية الا ان نوعها في الروحانيات دون نوع الملائكة اهل الافق الاعلى على الذين لم يستكملوا ذاتهم بشيء من مدارك البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لهما ما دامت في البدن ومنه خاص كالذي للاولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو أمر الرؤيا * وأما الذي للانبياء فهو استعداد بالانسلاخ من البشرية الى الملكة المحضة التي هي أعلى الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم مستكرافي حالات الوحي وهو عند ما يرجع على المدارك البدنية ويقع فيها ما يقع من الادراك شيئا بحال النوم شبها بينا وان كان حال النوم أدون منه بكثير فلاجل هذا شبهه عبر الشارع عن الرؤيا بانها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وفي رواية ثلاثة وأربعين وفي رواية ستة وأربعين وليس العدد في جميعها مقصود بالذات وانما المراد الكثرة في تفاوت هذه المراتب بدليل ذكر السبعين في

مسؤول عما اجترحوه وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم الا بفساد آخرتك أما والله لو علم عمالك أنه لا يرضيك منهم الا العدل لتقرب به اليك من لا يريده فقال له سلمان بن مجالد اسكت فقد غممت أمير المؤمنين فقال له عمرو وويلك يا ابن أم مجالد اما كفالك أنك خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت ان تحول بينه وبين من ينصحه اتق الله يا أمير المؤمنين فان هؤلاء قد اتخذوك سلبا الى شهواتهم فانت كالسالك بالقرون وغيرك كالحب وان هؤلاء لن يغفوا عنك من الله شيئا (وقال) الا واعي للأنصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما علمت انه كان يبدو رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المتأففين فانه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة بيدك اقدفها الا تملأ قلوبهم رعبا فكيف من سقت دماء المسلمين وشقق استارهم وانتبأ أموالهم ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا

الى القصاص من نفسه بخدشه خدشها اعرابا من غير تعمد فقال له جبريل عليه السلام ان الله لم يعملك جبارا تكسر قرون وعيكت يا أمير المؤمنين لو ان ثوبان النار شر على ما في الارض لاجتته فكيف بمن يتقصه ولو ان ذنوبان النار صب على ما في

الارض لاجته فكيف بمن يتجرعه ولوان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يسلسل فيها ويرد فضلها على عنقه
(ودخل) بعض العقلاء على سلطان فقال له ان احق الناس بالاحسان من احسن الله اليه واولاهم (٦٣) بالانصاف من بسط يديه بالقذرة

فاستدم ما اوتيت من النعم
بتأدية ما عليك من الحق
(وروي) ان اعرابيا قام
بين يدي هشام بن عبد
الملك فقال ايها الامير انت
على الناس سنون ثلاث اما
الاولى فأكلت اللحم وأما
الثانية فاذايت الشحيم
وأما الثالثة فهاضت اعظم
وعندك فضول اموال
فان كانت لله فاقصها بين
عباده وان كانت لهم فلم
تخصرها عليهم وان كانت
لكم فقصموا فان الله
يجزي المتصدقين فامر هشام
بمال فقسم بين الناس
وأمر للاعرابي بمال فقال
ألكل المسلمين منك مثل
هذا قال لا يقوم بذلك بيت
المال قال لا حاجة لي فيما
يبعث لائمة الناس على أمير
المؤمنين (وقال) رجل
لعمر بن عبد العزيز يا أمير
المؤمنين اذكر لما قمى هذا
لا يشغل الله منك كثرة
من يخاصم من الخلائق
يوم تلقاه بلائقة من
العمل ولا براءة من الذنب
فبكاعمر بكاعشديد اشتم
استرده الكلام فجعل
يردده وعمر يبكي ويتعجب
ثم قال ما حاجتك قال
عاملك باذربحجان اخذ
منى اثني عشر الف درهم

بعض طريقه وهولته كثير عند العرب وما ذهب اليه بعضهم في رواية ستة واربعين من ان الوحي كان في
مبتدئه بالرؤيا ستة أشهر وهي نصف سنة ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثين وعشرون سنة فنصف
السنة منها جزء من ستة واربعين فكلام بعيد من التحقيق لانه انما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ومن
أين انسان هذه المدة وقعت لغيره من الانبياء مع ان ذلك انما يعطى نسبة زمن الرؤيا من زمن النبوة ولا
يعطى نسبة حقيقة تمام حقيقة النبوة واذا تبين لك هذا اذكرناه أولا علمت أن معنى هذا الجزء نسبة
الاستعداد الاول الشامل للبشر الى الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبياء القطري لهم صلوات الله
عليهم اذ هو الاستعداد البعيد وان كان عاما في البشر ومعه عوائق وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن
أعظم تلك الموانع المحواس الظاهرة فقطر الله البشر على ارتفاع حجاب المحواس بالنوم الذي هو جيب لهم
فتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تنكشف اليه في عالم الحق فتدرك في بعض الاحيان منه لحظة
يكون فيها النظر بالمطلوب ولذلك جعلها الشارع من المبشرات فقال لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا
وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له (وأما سبب ارتفاع حجاب
المحواس) بالنوم فعلى ما أسفله لك وذلك ان النفس الناطقة انما ادراكها وأفعاله بالروح الحيواني
الجسماني وهو بخار لطيف مركزه بالتجويف الاسبر من القلب على ما في كذب النشربح الجالينوس وغيره
ويبعث مع الدم في الشريانات والروق فيعطى المحس والحركة وتساير الافعال البدنية ويرتفع لطيفه
الى الدماغ فيعدل من برده وتم أفعال القوى التي في بطونه فالنفس الناطقة انما تدرك وتقبل بهذا الروح
البخاري وهي متعلقة به لما اقتضته حكمته لتكون في ان اللطيف لا يؤثر في الكثيف ولما لطف هذا
الروح الحيواني من بين المواد البدنية صار محالالا ثار الذات الجبائية في جسمانيته وهي النفس
الناطقة وصارت آثارها حاصلة في البدن بواسطة وقد كنا قد مرنا ان ادراكها على نوعين ادراك بالظاهر
وهو بالمحواس الخمس وادراك بالباطن وهو بالقوى الدماغية وان هذا الادراك كله صار في الحواس
ادراكا مافوقها من ذواتها الروحانية التي هي مسندة له بالفطرة ولما كانت المحواس الظاهرة
جسمانية كانت معرضة للوسن والفشل بما يدركه من النعم والكلال وتعشى الروح بكثرة التصرف
خلق الله لمطالبا الاستحسان لتجرد الادراك على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانخس الروح
الحيواني من المحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى المحس الباطن ويعين على ذلك ما يغشى البدن من
البرذائل فتطلب الحرارة الغريزية أعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون مشبعة مركبا
وهو الروح الحيواني الى الباطن ولذلك كان النوم للبشر في الغالب انما هو بالليل فاذا انخس الروح عن
المحواس الظاهرة ورجع الى القوى الباطنة وخفت عن النفس شواغل المحس وموانعه ورجعت الى
الصورة التي في الحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل صور خيالية وأكثر ما تكون معتادة لانها من متعة
من المدركات المتعاهدة فريثا ثم ينزلها المحس المشترك الذي هو جامع المحواس الظاهرة فيدركها على
انحاء المحواس الخمس الظاهرة وربما التفقت النفس لقمة الى ذاتها الروحانية مع منازعة القوى الباطنية
فتدرك باذراكها الروحاني لانها مبطورة عليه وتقتبس من صور الاشياء التي صارت متعلقة في ذاتها
حينئذ ثم يأخذ الخيال تلك الصور المدركة فينقلها الى الحقيقة والحقاكة في القوالب المعهودة والحقاكة من
هذه هي المحتاجة للتعبير وتصرفها بالتركيب والتحليل في صور الحافظة قبل أن تدرك من تلك اللوحة
ما تدركه هي اصغاث أحلام (وفي الصحيح) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا

قال الاتكبتون له حتى يرد عليه ماله (ولما) دخل زياد على عمر بن عبد العزيز قال يا زيدا لا ترى ما ابتليت به من امرأة
محمد صلى الله عليه وسلم فقال زياد يا امير المؤمنين والله لو ان شعرة منك نطقت ما بلغت كنه ما انت فيه فاعمل لنفسك في

المخرج مما انت فيه يا امير المؤمنين كيف حال رجل له خصم الدفال سبي المال قال فان كان له خصم ان الدان قال اسواله قال فان كانوا ثلاثة قال لا يشته عيش (٦٤) قال فوالله ما احدث من امة محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو خصمك قال فبكي حتى تميت ان

من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلى من الله والمحا كاة الداعية الى التعبير من الملك واضغات الاحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينسج الباطل هذه حقيقة الرؤيا وما يسببها وبشيء مما من النوم وهي خواص للنفس الانسانية موجودة في البشر على العموم لا يخلو عنها أحد منهم بل كل واحد من الاناسي رأى في نومه ما صدر له في يقظته مراراً غير واحدة وحصل له على القطع ان النفس مدركة للغييب في النوم ولا بدوا اذا جاز ذلك في عالم النوم فلا يتعنى في غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال والله الهادي الى الحق بمنه وفضله

(فصل) ووقوع ما يقع للبشر من ذلك غالباً انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانما تكون النفس مثبوتة لذلك الشيء فيقيم لها تلك اللصحة في النوم لانها تقصد الى ذلك فتراه وقد وقع في كتاب الغاية وغيره من كتب أهل الرياضات ذكر اسماء منذ كرم عند النوم فتكون عنها الرؤيا فيما يشوف اليه ويسمونها المحالومية وذكر منها مسلمة في كتاب الغاية حالومية سماها حالومية الطباع التام وهو ان يقال عند النوم بعد فراغ السروحة التوجه هذه الكلمات الاعجمية وهي تماغس بعد ان يسود وغداس نون فاغادس ويذكر حاجته فانه يرى الكشف عما يسأل عنه في النوم (وحكى) ان رجلاً فعل ذلك بعد رياضة ليال في ما كره فتمثل له شخص يقول له انا طابعك التام فسأله واخبره عما كان يشوف اليه وقد وقع لي انا بهذه الاسماء رائى عجيبة واطلعت بها على أمور كنت اشوف اليها من أحوالي وليس ذلك بدليل على ان القصد للرؤيا بحدوثها وانما هذه الحالومات تحدث استعداداً في النفس لوقوع الرؤيا فاذا قوى الاستعداد كان أقرب الى حصول ما يستعد له وللشخص ان يفعل من الاستعداد ما أحب ولا يكون دليلاً على اي قاع المستعد له فالقدرة على الاستعداد غير القدرة على الشيء فاعلم ذلك وتدبر فيما تجد من أمثاله والله المحكم الخبير (فصل) ثم انما نجد في النوع الانساني أشخاصاً يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صفتهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك الى صناعة ولا يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا غيرها انما نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرتهم التي فطر واعلمها وذلك مثل العراقيين والناظرين في الاجسام الشفافة كالمرابيات وطساس الماء والناظرين في قلوب الحيوانات وكبادها وعظامها وأهل الزجر في الطير والسباع وأهل الطرق بالحصى والمحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها موجودة في عالم الانسان لا يسع أحداً بحدها ولا انكارها وكذلك الجنان ياتي على ألسنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت لأول موته او نومه يتكلم بالغيب كذلك أهل الرياضات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة ويؤمنون الاثن تنكلم على هذه الادراكات كلها وتنتدى منها بالكهانة ثم تأتي عليها واحدة واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة في ان النفس الانسانية كيف تستعد لادراك الغيب في جميع الاصناف التي ذكرناها وذلك انها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين سائر الروحانيات كما ذكرناه قبل وانما تخرج من القوة الى الفعل بالبدن وأحواله وهذا أمر مدرك لكل أحد وكل ما بالقوة فله مادة وصورة وصورة هذه النفس التي بها يتم وجودها وعين الادراك والتعقل فهي توجد أولاً بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشؤها ووجودها بالفعل بمصاحبة البدن وما يعودها بورد مدركاتها المحسوسة عليها وما تنتزع من تلك الادراكات من المعاني الكيانية فتتعقل الصور مرة بعد أخرى حتى يحصل لها الادراك والتعقل طوراً بالفضل فتم ذاتها وتسبق النفس كالمحلول والصور متعاقبة عليها بالادراك واحدة بعد واحدة ولذلك نجد الصبي في أول نشأته لا يقدر على الادراك الذي لها

لا كون قلت له ذلك (وقال) محمد بن كعب اعمر بن عبد العزيز يا امير المؤمنين انما الدنيا سوق فيها خرج الناس بمبارجها وفيها لا ختمهم وخرجوا بما يضرهم فكم من قوم غرهم مثل الذي اصبحنا فيه حتى اتاهم الموت فخرجوا من الدنيا مملين لم يأخذوا من الدنيا الا خرة فاقسم ما لهم من لا يحمدهم وصاروا الى من لا يعذرهم فانظر الى الذي تحب ان يكون معك مقدمه بين يديك حتى تخرج اليه وانظر الى الذي تكره ان يكون معك اذا قدمت فابتغ به البديل حيث يجوز البديل ولا تذهب الى ساحة قد بارت على غيرك ترجو جوازها عنك يا امير المؤمنين افتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المفاوهم (وحضر) رجل بين يدي بعض الملوك فأعاظ له السلطان فقال له الرجل انما انت كالسما عا اذا ارعدت وأرقت فقد قرب خبيراً نفسك غيظه واحسن اليه ولو لم احتاج المنصور بن ابي عامر ملك الاندلس ان يأخذ ارضا محبسة ويعاوض عنها خيراً

منها استحضرت الفقهاء في قصره فاقوا بان لا يجوز فغضب السلطان وارسل اليهم رجلاً من الوزراء مشهوراً بالحجة والجله فقال لهم يقول لكم امير المؤمنين يا مشيخة السوء يا مستحلي اموال الناس يا آكلى اموال البتامي ظلماً يا مشداه الزور يا آخذى

الرشا ومثل في الخصوم وملتقى الشر وزوم لم يسي الامور ولم يمتسى الروايات لا تباع الشهوات تباليكم ولا كرائكم فهو اعز الله واقف على فسوقكم قديما وخونكم لاماناكم معص ابر عليه ثم احتاج الى دقة نظركم في حاجة مرة (٦٥) واحدة في دهره فلم تسعوا ارادته ما كان هذا ظنه بكم والله ليعارضنكم

وليس كسفن ستورك
ولينا نحن الاسلام فيكم
واخس عليهم هذا ونحوه
فاجابه شيخ منهم ضعيف
المنة فقال تنوب الى الله ما
قاله امير المؤمنين ونسأله
الاقالة فرد عليه زعيم القوم
محمد بن ابراهيم بن حيويه
وكان جلد اصارما فقال
للكلام مم تنوب يا شيخ
السوء نحن برآء من متالك
ثم اقبل على الوزير فقال
يا وزير بئس المبلغ انت
وكما نسبته اليناعن امير
المؤمنين فهو وصفتمكم معاشر
خدمه فانتم الذين تأكلون
اموال الناس بالباطل
وتستحلون ظلمهم بغير حق
وتتحققون معاشهم بالرشا
والمصانعة وتبعون في
الارض بغير الحق واما نحن
فلمست هذه صفاتنا ولا
كرامة لا يقوله لنا الاثم
في الديانة فنحن اعداء لام
الهدى وسرج الظلمة بنا
يتخصن الاسلام ويفرق
بين الحلال والحرام وتنقذ
الاحكام وبناتقام
القراض وتثبت الحقوق
وتحقق الدماء وتستحل
الخرج فهل اذعيب
علينا سيدنا امير المؤمنين
بشي لا ذنب فيه لنا وقال

من ذاتها لا بنوم ولا بكشف ولا بغيره او ذلك لان صورتها التي هي عين ذاتها وهي الادراك والتعقل لم يتم
بعد بل لم يتم لها انتزاع الكلمات ثم اذامت ذاتها بالفعل حصل لها مادامت مع البدن نوعان من الادراك
ادراك بالآلات الجسم تؤديه اليها المدارك البدنية وادراك بذاتها من غير واسطة وهي محبوبة عنه بالاغناس
في البدن والحواس وبشواغلها لان الحواس ابدا جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه أولا من الادراك
الجسماني وربما تنفخ من الظاهر الى الباطن فيرفع حجاب البدن لمخنة ما بالخاصية التي هي للانسان
على الاطلاق مثل النوم او بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق او بالر ياضة مثل اهل
الكشف من الصوفية فلهذه حيث ذالى الذوات التي فوقها من المالا على ما بين آفاقها واقفهم من
الاتصال في الوجود كما قررناه قبل وتلك الذوات روحانية وهي ادراك محض وعقول بالفعول وفيها صور
الموجودات وحقائقها كما مر في تجلي فيها شيء من تلك الصور وتقدس منها علوما وربما دفعت تلك الصور
المدركة الى الخيال فيصرفه في القوالب المعتادة ثم يراجع الحس بما دركت اما مجردا وفي قوالبه
فتخبر به هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبي والرجوع الى ما وعدنا به من بيان اصنافه
(فأما) الناظرون في الاجسام الشفافة من المايا وطساس المياه وقلوب الحيوان وكبادها وعظامها واهل
الطرق بالحصى والنوى فيكاهم من قبيل السكان الا أنهم اضعف رتبة فيه في اصل خلقهم لان السكان
لا يحتاج في رفع حجاب الحس الى كثير معاناة وهؤلاء يعانونه بانحصار المدارك الحسية كلها في نوع واحد
منها واشرفها البصر فيعكف على المرقى البسيط حتى يبدوله مدركة الذي يخبر به عنه وربما يظن ان
مشاهدة هؤلاء ما يروونه هو في سطح المرأة وليس كذلك بل لا يرون ينظرون في سطح المرأة الى ان يغيب
عن البصر ويبدو فيما بينهم وبين سطح المرأة حجاب كانه غمام يتمثل فيه صور هي مداركهم فيشبهون
اليهم بالمقصود لما يتوجهون الى معرفته من نفى او اثبات فيخبرن بذلك على نحو ما أدركوه واما المرأة وما
يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في تلك الحال وانما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو
نفساني ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفساني للحس كما هو معروف ومثل ذلك ما يعرض
لناظرين في قلوب الحيوانات وكبادها ولناظرين في المايع والطساس وامثال ذلك وقد شاهدنا من
هؤلاء من يشغل الحس بالبحور فقط ثم بالعرائم للاستعداد ثم يخبر كما أدرك ويرجعون أنهم يرون الصور
متشخصة في الهواء تحكي لهم أحوال ما يتوجهون الى ادراكه بالمثال والاشارة وغيبة هؤلاء عن الحس
أخف من الاولين والعالم ابو الغرائب واما الزبر وهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند
سنوح طائر او حيوان والفكر فيه بعد مغيبه وهي قوة في النفس تبعث على الحرص والفكر فيما زجر فيه
من مرقى او مسموع وتكون قوته الخيلة كما قدمناه قوية فيبعثها في البحث مستعينا بما رآه او سمعه فيؤديه
ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة المتخيلة في النوم وعند ركود الحواس تتوسط بين الحسوس المرقى في يقظته
وتجمل به مع ما عقلته فيكون عنها الرؤيا واما المجانين فنفوسهم الناطقة ضعيفة التعلق بالبدن لفساد اخرجتهم
غالب اوضعف الروح الحيواني فيها فتكون نفسه غير مستغرقة في الحواس ولا منعوسة فيها بما شغلها في
نفسها من ألم النقص ومرضه وبما زجها على التعليق به روحانية اخرى شيطانية تشد به وتضعف هذه عن
ممانعتها فيكون عنه التخييل فاذا اصابه ذلك التخييل افساد فزاجه من فساد في ذاتها اولما زاجه من النفوس
الشيطنانية في تعلقه غاب عن حمله فادرك نحوه من عالم نفسه وانطبع فيها بعض الصور وصرفها الخيال
وربما نطق على لسانه في تلك الحال من غير ارادة النطق وادراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لانه

(٩ - ابن خلدون) بالغبط ما قاله تأنيث لا بلاغنا رسالتنا باهون من الخاشك وعرضت لنا بان كاره حتى فهمنا منك فاجبتك عنه بما يصلح الجواب عنه في كنت تزين على السلطان ولا نقشي نمره وتستعيدنا بما استقبلتنا به فنحن نعلم ان امير المؤمنين لا يتعدى على

والعياذ بالله من ذلك لابل

(٦٦)

هذا الرأي فينا ولا يفتقد هذا المعتقد في صفاتنا وانه سراج بصيرته في اثارنا وتغزيرنا فلو كنا عنده على هذه الحال التي وصفتها عنا عليه كل ما صنعته وعقدته من اول خلافته الى هذا الوقت فاشيدت له كتاب من حرب ولا

سلم ولا شرع ولا بيع ولا

صدقة ولا حدس ولا هبة

ولا عتق ولا غير ذلك الا

بشهادتنا هذا ما عندنا

والسلام ثم قام وانصرف

فلم يكادوا يبلغوا باب القصر

الا والرسل تناديهم فادخلوا

القصر فلما هم الازراء

بالاعظام ورفعوا منازلهم

واعتدروا اليهم مما كان

من صاحبهم وقالوا لهم امير

المؤمنين يعتذر اليكم من فرط

موجده ويستجير بالله من

الشیطان الرجيم ونزغته

التي حملته على الجفاء عليكم

ويعلمكم انه نادى على ما

كان منه اليكم وهو مستبصر

في تعظيمكم وقضاء حقوقكم

وقد امر كل واحد منكم

ما ترون من صلوة وكسوة

عامرة لرضاء عنكم فعدوا له

وقبضوا ما امرهم وانصرفوا

غالبين لم يسمعهم سوء (ولما)

نظر مالك بن دينار الى

المهلب بن ابي صفرة يجير

اذياله ويتجترى اثواب

خيلائه ناداه ان ارفع من

ثيابك فقال له المهلب اوما

تعرفني قال له مالك بلى اني

اعرفك اولك نطفة مذرة

واخره خيفة قذرة وانت

فيما بين ذلك تحمل العذرة

ويروي ان رجلا قال

لعبيد الله العمري هذا

وقال الاسخ

فقلت لعرف اليمامة داوئي ■ فأنك ان داوئي طبيب

جعلت لعرف اليمامة حكمه ■ وعرفي نجدان هما شقياني

فقالا شقاءك الله والله مالنا ■ بما حملت منك الضلوع يدان

وعرف اليمامة هور باح بن عجلة وعرف نجد الاباق الاسدي (ومن هذه المدارك الغيبية) ما يصدر

ابعض الناس عند مقارقة البقطة والتباسه بالنوم من الكلام على الشيء الذي يتشوف اليه بما يعطيه غيب

ذلك الامر كما يريد ولا يقع ذلك الا في مبادى النوم عند مقارقة البقطة وذهاب الاختيار في الكلام

فيتسكلم كأنه مجبول على النطق وغايته ان يسمع ويفهّم وكذلك يصدر عن المقتولين عند مقارقة رؤسهم

وأوساط ابدانهم كلام بمثل ذلك ولقد بلغنا عن بعض المجابرة الظالمين أنهم قتلوا من سجنهم اشخاصا

ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب امورهم في انفسهم فأعلموهم بما يستبشع وذكر مسئلة في كتاب

الغاية له في مثل ذلك ان آدميا اذا جعل في دن علمه يدهن السمسم ومكث فيه اربعين يوما يغذى بالثين

والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه الا العروقي وشؤون رأسه فيخرج من ذلك الدمن خفيين يحف عليه

الماء يجيب عن كل شيء يسئل عنه من عواقب الامور الخاصة والعامة وهذا فعل من منا كبر أفعال

السحرة لكن يفهم منه عجائب العالم الانساني ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالريضة

فيحاولون بالمجاهدة موانعها بما ماته جميع القوى البدنية ثم يحو نارها التي تلونت بها النفس ثم

تغذيتها بالذرة لترداد قوة في نشأتها ويحصل ذلك بجمع القـ. وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع انه اذا

نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع

لهم قبل الموت ما يقع لهم بعده وتطلع النفس على المغيبات ومن هؤلاء اهل الرياضة السحرية يرتاضون

بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المغيبات والتصرفات في العوالم واكثر هؤلاء في الاقاليم المنخرقة جنوبا

وشمالا خصوصا بلاد الهند ويسمون هنالك الحوكية ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة والاخبار

عنهم في ذلك غريبة وأما المتصوفة فرياضتهم دينية وعربية عن هذه المقاصد المذمومة وانما يقصدون

جمع

له ياهرون فلما نظر اليه قال لبيك يا عم قال كم ترى ههنا من خلق الله فقال لا يحصيهم الا الله عز وجل فقال اعلم ايها الرجل ان كل واحد

هر و ن الرشيد في الطواف قد اخلى له المسعى فقال له لا جزاك الله عني خيرا كلفني امرا كنت عنه غنيا ثم جاء اليه فقال

منهم يسئل عن خاصة نفسه أنت واحد تسئل عنهم كأنهم فانظر كيف تكون قال فبكي هرون وجاس وجعل يعطونه منديلا منديلا
لدموع ثم قال له فيما قال ان الرجل ليسر ع في مال نفسه فيسحق الحجر عليه فكيف (٦٧) فحين أسر ع في مال المسلمين فيقال

ان هرون كان يقول بعد ذلك اني أحب ان احج في كل عام وما يعني من ذلك الا عبيد الله العمري و يروي ان الحسن بن محمد ابن الحسين رضي الله عنهم دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان فقال له عمر ايه الرسالة وجئنا على ركبته فقال الحسن من اذ ارضي لم يدخله رضاه في باطل ومن اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ومن اذا قد لم يتناول ما ليس له (ولما) ولي عمر بن عبد العزيز وفدت الوفود من كل بلد فوفد عليه الحجازيون فقدم غلام منهم له كلام وكان حديث السن فقال له عمر لينطق من هو اسن منك فقال الغلام اصلى الله امير المؤمنين انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا منج الله عبيد السان لا فظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام وعرف فضله ومن سمع خطابه ولو ان الامري امير المؤمنين بالنس لكان في الامه من هو احق بمجلسك هذا منك فقال صدقت

جمع المهمة والاقبال على الله بالكيفية ليحصل لهم اذواق اهل العرفان والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى الجمع والجموع التغذية بالذكريات وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشأت النفس على الذكركانت اقرب الى العرفان بالله واذا عريت عن الذكركانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة الغيب والتصرف لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون مقصودا من اول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله وانما هي لتقصدا لتصرف والاطلاع على الغيب واخسر بها صفقة فانها في الحقيقة شرك قال بعضهم من اثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني فهم يقصدون بوجهتهم المعبود لا شيا سواه واذا حصل انشاء ذلك ما يحصل في العرض وغير مقصود لهم وكثير منهم يقرضه اذا عرض له ولا يحفل به وانما يريد الله لذاته لا لغيره وحصول ذلك لهم معروف ويسعون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فرائسهم وكشفوا ما يقع لهم من التصرف كرامة وليس شيء من ذلك ينكسر في حقهم وقد ذهب الى انكاره الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وابو محمد بن ابي زيد المالكي في آخرين فراد من التباس المجزأة بغيرها والمعمل عليه عند المتكلمين حصول التفرقة بالتعدي فهو كاف وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فيكم محدثين وان منهم عمر وقد وقع للحكاية من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية بن ذئب كان قائدا على بعض جيوش المسلمين بالعراق ايام الفتوحات وتورط مع المشركين في معتك وهم بالانضمام وكان يقر به جبل يتجهز اليه فرفع لهم ذلك وهو يخطب على المنبر بالمدينة فتاداه يا سارية الجبل وسمعه سارية وهو يما كانه وراى شخصه هنالك والقصة معروفة ووقع مثله ايضا لابي بكر في وصيته عائشة ابنته رضي الله عنهم في شأن ما نكحها من اوسى القر من حديثه ثم نبهها على جذاذة لتعوزه عن الورثة فقال في سياق كلامه وانما هما اخواك واخاتك فقالت انما هي اسماء بن الاخرى فقال ان ذابطن بنت خارجة اراها جارية في كانت جارية وقع في الموطا في باب ما لا يجوز من التحمل ومثل له هذه الوقائع كثيرة لهم ولما بعدهم من الصالحين واهل الاقنداء الا ان اهل التصوف يقولون انه يقد في زمن النبوة اذ لا يبقى للمريد حالة بحضرة النبي حتى انهم يقولون ان المر يد اذا جاء للمدينة النبوية يسلب حاله مادام فيها حتى يفارقها والله يرزقها الهداية ويرشدنا الى الحق (فصل) ومن هؤلاء المر يدين من المتصوفة قوم بهاليل معتموهون اشبه بالجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقيين وعلم ذلك من احوالهم من يفهم عنهم من اهل الذوق مع انهم غير مكافين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالجائبات وربما ينكر الفقهاء انهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فان فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غير ما اذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فالله تعالى يخصها بما شاء من مواهبه وهؤلاء القوم لم تعد نفوسهم الناطقة ولا فسدت تحال الجانين وانما فقد لهم العقل الذي ينط به التكليف وهي صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يشهد بها نظره ويعرف احوال معاشه واستقامة منزله وكأنه اذا ميز احوال معاشه استقامة منزله لم يبق له عذر في قبول التكليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بقاذا نفسه ولا ذاهل عن حقيقة فيكون موجودا الحقيقة معدوم العقل التكليفي الذي هو معرفة المعاش والاستحالة في ذلك ولا يتوقف اصطفا الله لعباده لمعرفة على شيء من التكليف واذا صح ذلك فاعلم انه ربما يلبس حال هؤلاء بالجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة ويلتحقون بالبهائم ولث

قل ما بدا لك فقال الغلام اصلى الله امير المؤمنين نحن وفدت منه لا وفدت من ذئب وقد اتيناك من الله الذي من علينا ولم يقدمنا اليك رغبة ولا رهبة اما الرغبة فقد اتيناك من بلادنا واما رهبة فقد انا جورك بعد ذلك فقال له عمر عظمي يا غلام فقال الغلام اصلى الله امير

المؤمنين ان ناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول املهم وكثرة ثناء الناس عليهم فنزلت بهم الاقدام فهو وافي النار فلا يغرنك حلم الله عنك وطول املك وكثرة ثناء الناس عليك فنزل بك قدمك فالحق بالقوم فلا جعلك الله منهم والحق بصالحى (٦٨)

في تمييزهم علامات منها ان هؤلاء البهائم لا تجد لهم وجهة ما لا يتخلون عنها اصلا من ذكر وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة اصلا ومنها انهم يخلقون على البهائم من اول نشأتهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدّة من العمر واوارض بدنية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالجنينة ومنها كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على اذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى بنا الكلام اليه والله المرشد للصواب (فصل) وقد نزع بعض الناس ان هنامدارك للغيب من دون غيبة عن الحس ففهم المنجمون القائلون بالدلالات النجومية ومقتضى اوضاعها في الفلك وآثارها في العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالنواظر ويتأدى من ذلك المزاج الى الهواء وهؤلاء المنجمون ليسوا من الغيب في شيء انما هي ظنون حدسية وتخمينات مبنية على التأثير النجومية وحصول المزاج من الهواء مع مزيج حدث يقف به الناظر على تفصيله في الشخصيات في العالم كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك في محله ان شاء الله وهو لو ثبت فغايبه حدس وتخمين وليس مما ذكرناه في شيء ومن هؤلاء قوم من العامة استنبطوا الاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعية سمعوا خط الرمل نسبة الى المسادة التي يصفون فيها اعمالهم وبحصول هذه الصناعات انهم صيروا من النقطة اشكالاً ذات اربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية واستوائها فيهم ما كانت ستة عشر شكلاً لانها ان كانت أزواجاً كلها أو فرداً كلها فاشكالان وان كان الفرد فيهم ما في مرتبة واحدة فقط فاربعة اشكال وان كان الفرد في مرتبتين فستة اشكال وان كان في ثلاثة مراتب فاربعة اشكال جاءت ستة عشر شكلاً ميزوها كلها باسمائها وانواعها الى سبعين ونحو سبعين شأن الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بينا طبيعية برزخية وكانها البروج الاثنا عشر التي للفلك والاوتاد الاربعه وجعلوا لكل شكل منها بيتا واحظوا طولاً له على نصف من موجودات عالم العناصر يختص به واستنبطوا من ذلك فنا حاذوا به فن النجامة ونوع قضائه الا ان احكام النجامة مستندة الى اوضاع طبيعية كما زعم بطليموس وهذه انما مستندة الى اوضاع فلكية واهواء اتعاقبية ولا دليل يقوم على شيء منها وينزعون ان اصل ذلك من النبوة القديمة في العالم وربما نسبوها الى دانيال او الى ادريس صلوات الله عليهم ما شأن الصنائع كلها وربما يدعون مشروعية او يحتجون بقوله صلى الله عليه وسلم كان نبي يخط فخن وافق خطه فذاك وليس في الحديث دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه بعض من لا تحصي لديه لان معنى الحديث كان نبي يخط فباتيه الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة في ان يكون ذلك عادة لبعض الانبياء فخن وافق خطه فذاك النبي فهو ذلك اي فهو صحيح من بين الخط بمساعدة من الوحي لذلك النبي الذي كانت عادته ان ياتيه الوحي عند الخط وأما اذا أخذ ذلك من الخط مجردا من غير موافقة وحي فلا وهذا معنى الحديث والله اعلم فاذا ارادوا استخراج مغيب برزخية عدوا الى قرطاس او رمل او دقيق فوضعوا النقطة سه طورا على عدد المراتب الاربعه ثم كرروا ذلك اربع مرات فتجيب ستة عشر سطران ثم يطرحون النقطة أزواجاً ويضعون ما بقي من كل سطر زوجاً كان أو فرداً في مرتبة على الترتيب فتجيب اربعة اشكال يضعونها في سطر متتالية ثم يولدون منها اربعة اشكال أخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة وما قبلها من الشكل الذي بازائه وما يجتمع منهما من زوج او فرد فتكون ثمانية اشكال موضوعة في سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلاً تحتها باعتبار ما يجتمع في كل مرتبة من مراتب الشكلين ايضاً من زوج او فرد فتكون اربعة اشكال أخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك تحتها ثم من الشكلين شكلاً

لهذه الامة ثم سكت فسأل عمر القلام من سنة فاذا هو ابن احدى عشرة سنة ثم سأل عنه فاذا هو من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فقتل عمر عند ذلك فقال تعلم فليس المرء يولد عالماً وليس أخوه علم كن هو جاهل وان كبير القوم لا علم عنده صغير اذا التفت عليه المحافل وفي مثل هذا قيل للعتابي وكان لا يسالي ما لبس مالك لا تجد الملبوس فقال انما يرفع الرجل اذبه وعقله لادبته وحلته فحي الله امر ايرضي ان ترفعه هيبته ومجاليه لا والله حتى يشرفه اصغراه لسانه وقلبه يعالوبه أكبراه هيبته ولبه ولما دخل ضمرة بن ضمرة على المنذر بن المنذر وهو ملك وكان ضمرة ذارياً وعقل احقرته عيناه لدما مته فقال لان تسمع بالمعيدي خير من أن تراه فقال ضمرة آيت اللعن ان القوم ليسوا بجزور تجزروا انما المرء باصغر به قلبه ولسانه فاذا نطق نطق ببيان واذا قاتل قاتل بخنان والرجال لا تكال بالفقران ولا توزن بالقيان فأعجب

المنذر بكلامه وروى ان روح بن زنباع وكان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع اصحابه فنزلوا فصرحت لهم الخيام والظلال وقدم اليهم الطعام والشراب المبرد فخبث ما هم كذلك اذ اهرام براع فدعاه للطعام فاني وقال اني صائم قال له روح في مثل ذلك

هذا اليوم الحارقال أفادع أيامي تذهب باطلا قال روح لقد طننت يا بامك يا راغي اذ جاد بهار روح بن زبناح وروى ان اغرايا قام بين
يدي سليمان بن عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين اني مكلمك بكلام فأحمله ان كرهته (٦٩) فان وراءه ما تحب ان قبلته قال هات

يا اعراني قال ساطق اساني
بما خست به اللسان اداء
لمحق الله ولمحق امانتك
انك قد اكنفتك رجال
أساؤا الاختيار لانفسهم
وابتاعوا دنياك بدينهم
و رضاك بسخط ربهم
خافوك في الله ولم يخافوا
الله فيك فلا تصلح دنياك
بقساد آخرتك فاعظم
الناس غبنايوم القيامة من
باع آخرته بدنائه فقل
له سليمان اما أنت فقد
نصحت وأرجو ان الله
سيعمننا على ما قلنا وقد
جرت لسانك فهو سبقت
فقال أجل يا أمير المؤمنين
وهو لك لاعليك وقال ابن
أبي عروبة حج الحجاج فنزل
بعض المياه بين مكة والمدينة
ودعا بالغاذا وقال لعا جنة
انظر من يتغدى معي وأسأله
عن بعض الامر فنظر نحو
المجل واذاهو براع بين
سختين نائم فضر به برجله
وقال له انت الامير فانه
فقال له الحجاج اغسل يدك
وتغدى معي فقال دعاني من
هو خير منك فاجبته قال
ومن هو قال الله تعالى
دعاني الى الصيام فصعته
قال في هذا الحر الشديد
قال نعم صمت ليوم هو أشد
منه خرا قال فاطر وصم

كذلك تحتم ما تم من هذا الشكل الخامس شمع الكل الاول شكلا يكون آخر الستة عشر ثم يحكمون
على الخط كله بما اقتضته أشكاه من السعودة والخوسة بالذات والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على
أصناف الموجودات وسائر ذلك تحكما غير يباو كثرت هذه الصناعة في العمران ووضعت فيها التاليف
واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين وهي كما رأيت تحكما وهو التحقيق الذي ينبغي ان يكون
نصب فكرك ان الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى تعرفها الا للخواص من البشر المقطورين
على الرجوع عن عالم المحس الى عالم الروح ولذلك يسمى المتبحرون هذا الصنف كلهم بالزهرين نسبة الى
ما تقتضيه دلالة الزهرة برزخهم في أصل ما ولد بهم على ادراك الغيب فالخط وغيره من هذه ان كان الناظر
فيه من أهل هذه الخاصة وقصد بهذه الامور التي يتظرفها من النقط او العظام او غيرها الشغال المحس
لترجيع النفس الى عالم الروحانيات لمحة ما فهم من باب الطرق بالخصي والنظر في قلوب الحيوانات والمرايا
الشفاقة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد معرفة الغيب بهذه الصناعة وانها تعبد ذلك فهد من
القول والاعمال والله يهدي من يشاء والعلامة لهذه القطرة التي فطر عليها اهل هذا الادراك الغيبي أنهم
عند توجهم الى تعرف الكائنات يعترف بهم خروج عن حائهم الطبيعية كالتثاؤب والتقطط ومبادئ الغيبة
عن المحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجه له هذه العلامة فليس
من ادراك الغيب في شيء وانما هو ساع في تنقيح كذبه

(فصل) ومنهم طوائف ايضا من قوانين لا استخراج الغيب ليست من الطور الاول الذي هو من مدارك
النفس الروحانية ولا من المحس المبني على تأثيرات النجوم كإزعمه بطليموس ولا من الظن والتخمين
الذي يحاول عليه العرافون وانما هي مغالط يجهلون بها كالمصايد لاهل العقول المستضعفة ولست أذكر
من ذلك الا ما ذكره المصنفون وواجه به الخواص من تلك القوانين الحساب الذي يسمونه حساب النجم
وهو مذكور في آخر كتاب السياسة المنسوب لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في المتحاربين من الملوك
وهو ان تحسب الحروف التي في اسم احدهما بحسب الجمل المصطلح عليه في حروف ابجد من الواحد الى
الالف آحادا وعشرات ومئين والوفافاذا حسبت الاسم وتوصل اليك منه عدد فاحسب اسم الآخر كذلك
ثم اطرح كل واحد منهما تسعة تسعة واحفظ بقية هذا وبقية هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب
الاسمين فان كان العددين مختلفين في الكمية وكانا معاز وجين او فردين معا فاحسب الاقل منهما ما هو
الغالب وان كان احدهما زوجا والاخر فردا فاحسب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية
وهو ما معاز وجان فالملوب هو الغالب وان كان معا فردين فالطالب هو الغالب ويقال هنالك بيتان في
هذا العمل اشتهر بين الناس وهما

أرى الزوج والافراد يسمو أقلاهما ■ وأكثرها عند التخالف غالب

ويغلب مطلوب اذا الزوج يستوى ■ وعند استواء الفرد يغلب طالب

ثم وضعوا المعرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها بتسعة قانونا معروفا عندهم في طرح تسعة وذلك أنهم
جمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الأربع وهي ا الدالة على الواحد و ي الدالة على
العشرة وهي واحدة في مرتبة العشرات و ق الدالة على المائة لانها واحدة في مرتبة المئين ■ ش
الدالة على الالف لانها واحدة في مرتبة الالف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي
آخر حروف ابجد ثم رتبوا هذه الحروف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية وهي أيقش

غدا قال ان ضمنت لي البقاء الى غدا قال ليس ذلك الى قال فكيف تسألني عاجلا باجل لا تقدر عليه قال لانه طيب قال لم تطيبه أنت ولا
الطباخ ولكن طيبه العافية ولما حج هرون الرشيد بعث الى مالك بن أنس بكيس فيه خمسة مائة دينار فلما قضى نسكه وانصرف ودخل

المدينة بعث الى مالك بن انس أن أمير المؤمنين يجب أن تنتقل معه الى مدينة السلام فقال للرسول قل له ان الكيس بخائه وقال الرسول عليه السلام والمدينة خير لهم (٧٠) لو كانوا يعلمون وقال وهب بن منبه ان ملكا كان يقن الناس ويحمله على كل لحم

ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث وأسقطوا مرتبة الالف منها لانها كانت آخر حروف ابجد فكان مجموع حروف الاثنين في المراتب الثلاث ثلاثة حروف وهي ب الدالة على اثنين في الالف واحد وك الدالة على اثنين في العشرات وهي عشرون و د الدالة على اثنين في المئات وهي مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي بكر ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على ثلاثة فنشأت عنها كلمة مجلس وكذلك الى آخر حروف ابجد وصارت تسع كلمات نهاية عدد الالف حاد وهي ايقش بكر مجلس دمت هنت و صغ زعد ح حفظ طضع مرتبة على توالي الاعداد ولكل كلمة منها عددها الذي هي في مرتبة فالواحد لكلمة ايقش والاثنان لكلمة بكر والثلاثة لكلمة مجلس وكذلك الى التاسعة التي هي طضع فتكون لها التسعة فإذا أرادوا طرح الاسم بسبعة نظروا كل حرف منه في أي كلمة هو من هذه الكلمات واخذوا عددها مكانه ثم جمعوا الاعداد التي يأخذونها بدلا من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة أخذوا ما فضل عنها والآخر هو ثم بقى مليون كذلك بالاسم الآخر وينظرون بين الخارجين بما قدمناه والسفر في هذا القانون بين وذلك ان الباقي من كل عدة من عقود الاعداد بطرح التسعة انما هو واحد ف كانه يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت اعداد العقود كانها آحاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والمائتين والالفين وكلها اثنان وكذلك الثلاثة والثلثون والثلثمائة والالف كلها ثلاثة ثلاثة فوضعت الاعداد على التوالي دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة على أصناف العقود في كل كلمة من الالف واحد والعشرات والمئين والالف (١) وصار عدد الكلمة الموضوع عليها نائبا عن كل حرف فيها سواء دل على الالف واحد والعشرات أو المئين فيؤخذ عدد كل كلمة عوضا من الحروف التي فيها وتجمع كلها الى آخرها كما قلناه هذا هو العمل المتداول بين الناس منذ الامم القديمة وكان بعض من لقيناه من شيوخنا يرى ان الصحيح فيها كلمات أخرى تسعة مكان هذه ومتوالية كتواليها ويقولون بها في الطرح تسعة مثل ما يقعونه بالآخرى سواء وهي هذه أرب يسقت جراط مدوص هف تحذن عش خغ نضظ تسع كلمات على التوالي العدد ولكل كلمة منها عددها الذي في مرتبة فيها الثلاثي والرابعي والثلاثي وليست جارية على أصل مطرد كما تراه لكن كان شيوخنا ينفونها عن شيخ المغرب في هذه المعارف من السجيا وأسرار الحروف والنجمة وهو أبو العباس بن البناء ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات في طرح حساب النجم أصح من العمل بكلمات ايقش والله أعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك للغيب غير مستندة الى برهان ولا تحقيق والكاتب الذي وجد فيه حساب النجم غير معزول الى ارسطو وعنده المحققين لما فيه من الايمان البعيدة عن التحقيق والبرهان يشهدك بذلك تصفحه ان كنت من أهل الرسوخ اه ومن هذه القوانين الصناعات لاستخراج الغيوب فيما يزعمون الزايرة المسماة بزايرة العالم المعزولة الى أبي العباس سيدي احمد السبتي من اعلام المتصوفة بالمغرب كان في آخر المائة السادسة عمرا كش ولعهد أبي يعقوب المنصور من ملوك الموحدين هي غريبة العمل صناعات وكثير من الخواص يولعون بافاد الغيب منها بلها المعروف بالمغزو فيحرضون بذلك على حل رزقه وكشف غامضه وصورتها التي يقع العمل منهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية للافلاك والعناصر والمكونات والروحانيات وغير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة مقسومة باقسام فلكها اما البروج واما العناصر أو غيرهما

الخزير فاني برجل أفضل أهل زمانه فأعظم الناس مكانه وهالهم أمره فراوده على كل لحم الخزير فلم يفعل فرقه له صاحب الشرطة الملك فقال له أنا آت بك بحدي نذبحه بما يحل لك أكله فاذا دعا الملك بالحكم خبزير آتيتك به ففعل ثم أتى به الملك فدعا بالحكم الخزير فاني صاحب الشرطة بذلك المجدي فأمر به الملك أن يأكله فاني ان يأكله فاجعل صاحب الشرطة يغمزه ان يأكله فاني ان يأكله فأمر الملك صاحب الشرطة ان يقتله فلما ذهب به قال ما منعتك ان تأكل وهو اللحم الذي دبحته أنت أظننت اني جئت بغيره قال لا قد علمت انه هو ولكني خفت أن يقتل الناس بي فان أكرهوا على أكل الخزير قالوا قد أكله فلان فيستبيح فأكون فتنة لهم فقتل رجه الله روى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفا قال اوليس فيكم كتاب الله وسنة رسوله قال بلى يا كعب ولكن خوفا قال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت يوم

القيامه بعمل سبعين نبيا لا زدريت عملهم مما ترى فندكس عمر وأطرق مليا ثم أفاق ثم قال يا كعب خوفا فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر من خنزير نور بالشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرقه فندكس عمر ثم أفاق

فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر ذرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خضع على ركبتيه حتى يختر
ابراهيم خليل الرحمن على ركبتيه يقول يا رب لا أسألك اليوم لانفسى واستأذن أبودهمان (٧١) على بعض الامراء فخبه ثم أذن له

فلم يدخل قال ان هذا الامر

الذي صار اليك قد كان في

يد غيرك فامسوا والله

حديثان خير الخيروان

شرا فشر فتجيب الى عباد

الله بحسن البشرولين

الجانبي وتسهل الحجاب

فان حب عباد الله موصول

بحب الله وبغضهم موصول

يبغضه لانهم شهداء الله

على خلقه (ولما) دخل

محمد بن واسع سيد العباد

في زمانه على بلال بن أبي

بردة أمير البصرة وكان

ثوبه الى نصف ساقه فقال

له بلال ما هذه الشهرة

يا ابن واسع فقال له ابن

واسع انتم شهرتمونا هكذا

كان لباس من مضى وانما

انتم طولتم ذيلكم فصارت

السنة بدينكم بدعا وشهرة

وأما أنا فلما دخلت على

ملك مصر وهو الافضل بن

امير الجيوش فقلت سلام

عليكم ورحمة الله وبركاته

فرد السلام على نحو ما سلمت

ردا جميلا واكرم اكراما جريلا

وأمرني بدخول مجلسه

وأمرني بالجلوس فيه فقلت

أيها الملك ان الله سبحانه

وتعالى قد أحلك مجلا

عاليا شامخا وأنت لك منزلا

شريفا باذنا وملا مكان

طاغية من ملكه وأشر كاب

وخطوط كل قسم مارة الى المركز ويسمونها الاوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة فنها برشوم (١)
الزمام التي هي أشكال الاعداد عند أهل الدواوين والحساب بالمغرب لم يذاع هذا العهد ومنها برشوم الغبار
المتعارفة في داخل الزاير جوة وبين الدوائر أسماء العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظاهر الدوائر جدول
متذكر البيوت المتقاطعة طولا وعرضا يشتمل على خمسة وخمسين بيتا في العرض ومائة واحد وثلاثين في
الطول وجوانب منه معمورة البيوت تارة بالاعداد وأخرى بالحروف وجوانب خالية البيوت ولا تعلم نسبة تلك
الاعداد في أوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت العائرة من الخالية وحققا في الزاير جوة أبيات من
عروض الطويل على روى اللام المنصوبة تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزاير جوة
الانها من قبيل الانعاز في عدم الوضوح والجلال في بعض جوانب الزاير جوة بيت من الشعر منسوب
لبعض أكابر أهل المحدثان بالمغرب وهو مالك بن وهيب من علماء أشبيلية كان في الدولة المملوكية ونص
البيت سؤال عظيم الخلق خرت فصن اذن * غرائب شك ضبطه الحمد مثلا

وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه الزاير جوة وغيره فاذا أرادوا
استخراج الجواب عما يسئل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حروفا ثم أخذوا الطالع لذلك
الوقت من بروج الفلك ودرجها وعمدوا الى الزاير جوة ثم أتت الى الوراء المكنف فيها بالبرج الطالع من أوله
مارا الى المركز ثم الى محيط الدائرة قبالة الطالع فبدأ خذون جميع الحروف المكتوبة عليه من أوله الى آخره
والاعداد المرسومة بينهما ما يصير ونها حروفا بحساب الجمل وقد ينقلون أحادها الى العشرات وعشراتها
الى المئين وبالعكس فيها كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون الى
ذلك جميع ما على الوراء المكنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والاعداد من أوله الى المركز فقط
لا يتجاوزونه الى المحيط ويعلقون بالاعداد ما فعلوه بالاول ويضيفونها الى الحروف الاخرى ثم يقطعون
حروف البيت الذي هو أصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم ويضعونها ناحية
ثم يضيفون عدد درج الطالع في أس البرج رأسه عندهم هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه
الاس عند أهل صناعة الحساب فانه عندهم الم بعد عن أول المراتب ثم يضيفونه في عدد آخر يسمى
الاس الاكبر والدور الاصل الى ويدخلون بما تجتمع لهم من ذلك في بيوت الجداول على قوانين معروفة
وأعمال مذكورة وأدوار معدودة ويستخرجون منها حروفا ويسقطون أخرى ويقابلون بما معهم في
حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون الى حروف السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف باعداد
معلومة يسمونها الادوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور يعاودون ذلك بعدد
الادوار المعينة عندهم لذلك فيخرج آخرها حروف منقطعة وتؤلف على التوالي فتصير كلمات منظومة في
بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم حسبما نذكر
ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزاير جوة وقد رأينا كثيرا من الخواص يتهاقنون على
استخراج الغيب منها بتلك الاعمال ويحسبون ان ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب
دليل على مطابقة الواقع وليس ذلك بصحيح لانه قد مر لك ان الغيب لا يدرك بالمرص مناعى البتة وانما
المطابقة التي فيها بين الجواب والسؤال من حيث الافهام والتوافق في الخطاب حتى يكون الجواب
مستقيما أو موافقا للسؤال ووقوع ذلك بهذه الصناعة في تكسير الحروف المجمعة من السؤال والاوتار

(١) قوله برشوم أى موضوعة برشوم بضم الراء جمع رشيم بالشين المعجمة اه

في حكمه ولم يرض ان يكون امرأه فوق امرأه فلا ترض ان يكون أحد أولى بالشكر منك وان الله تعالى قد ألزم الوري طاعتك فلا
يكون أحد أطوع لله منك وان الله تعالى امر عباده بالشكر وليس الشكر باللسان ولكنه بالفعل والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل

داود شكره واعلم ان هذا الملك الذي اصبحت فيه انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك مثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة (٧٢) فان الله سائلك عن النقيير والقطمير والقنيل قال الله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا

يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم ايها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بحدافيرها سليمان بن داود عليهم السلام فمخزله الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخزله الريح تجري بأمره رخاء حيث اصاب ثم رفع منه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدا هانعة كما عدتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتتموها بل خاف ان تكون استدرجا من الله تعالى ومكرابه فقال هذا من فضلي ربي ليملوني الشكر ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلم يوم اعانك الله على ما قلته ووجهك كهما للكهوف وامانا للخائف ثم اتهمت المجلس بان قلت قد دودحت البلاء شرقا وغربا بغيا اخترت عمالة تروجت فيها وولدي غير هذه المملكة ثم انشد شعرا والناس اكيس من ان يحموا وارجلا حتى يروا عنده نار احسان

والدخول في الجدول بالاعداد المجتمعة من ضرب الاعداد المقررة واسـ استخراج الحروف من الجدول بذلك وطرح أخرى ومعاودة ذلك في الادوار المعـ ودودة ومقابلة ذلك كما بهـ بحروف البيت على التوالي غير مستندـ كـ وقد يدقح الاطـ لاع من بعض الاذكياء على تناسب بين هذه الاشياء فيقنع له معرفة الجوهل فالتناسب بين الاشياء هو سبب الحصول على الجوهل من المعـ لوم الحاصل للنفوس وطريق لمصولة سـ بما ان أهل الرياضة فانها تفيد العقل قوة على القياس وزيادة في الفـ كـ وقد مر تعديل ذلك غير مرة ومن أجل هذا المعنى ينسبون هذه الزايرة في الغالب لأهل الرياضة فهي منسوبة للسدي ولقد دوقفت على أخرى منسوبة لسهل بن عبد الله ولعمري انها من الاعمال الغريبة والمعاناة المحيية والجواب الذي يخرج منها فالسري في خروجه منظوما يظهـ رلى انما هو المقابلة بحـ روف ذلك البيت ولمـ ذا يكون النظام على وزنه ورويه ويدل عليه انا ووجدنا أعمالا أخرى لهم في مثل ذلك أسقطوا فيها المقابلة بالبيت فلم يخرج الجواب منظوما كما تراه عندنا الكلام على ذلك في موضعه وكثير من الناس تصديق مداركهم عن التصديق بهذا العمل ونقوده الى المطلوب فيـ كـ صحتها ويحسب انها من التخييلات والايهامات وأن صاحب العمل بها يشتد حروف البيت الذي ينظمه كما يريد بين أثناء حروف السؤال والاولى تارويقـ بل تلك الصناعات على غير نسبة ولا قانون ثم يحسب بالبيت ويوهم أن العمل جاء على طريقة منضبطة وهذا الحسبان توهم فاسد جعل عليه القصور عن فهم التناسب بين الموجودات والمعدومات والتفاوت بين المدارك والعقول وليكن من شأن كل مدرك انكار ما ليس في طوقه ادراكه يكفيه في رد ذلك مشاهدة العمل بهذه الصناعة والمحدث القطعي فانها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح لا حرية فيه عند من يباشر ذلك ممن له ذكاء وحسد واذا كان كـ ير من المعايات في العدد الذي هو أوضح الواضحات يعسر على الفهم ادراكه لبعده النسبة فيه وخفائها فغافل عن مثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغيابها فلنـ كـ مسئلة من المعايات يتضح لك بها شيء مما ذكرنا مثاله لوقيـ لـ كـ خذ عددا من الدراهم واجعل بازاء كل درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التي اخذت واشتر بها طائر اثم اشتر بالدراهم كلها طيورا بسـ كـ ذلك الطائر فكم الطيور المشترا بالدراهم فجوابه أن تقول هي تسعة لانك تعلم أن فلوس الدراهم أربعة وعشرون وان الثلاثة ثمنها وأن عدة ثمنها الواحد ثمانية فاذا جمعت الثمن من الدراهم الى الثمن الاخر فـ كان كله ثمن طائر فهي ثمانية طيور وعدة ثمنها الواحد وتزيد على الثمانية طائرا آخر وهو المشـ ترى بالفلوس المأخوذة أولا وعلى سعره اشترى بالدراهم فتكون تسعة فانت ترى كيف خرج لك الجواب المضـ بر التناسب الذي بين اعداد المسئلة والوهم أول ما يلقي اليك هذه أمثالها انما يجعله من قبيل الغيب الذي لا يمكن معرفته وظهر أن التناسب بين الامور هو الذي يخرج مجهولها من معلومها وهذا انما هو في الواقع الحاصلة في الوجود والعلم واما الكائنات المستقبلة اذا لم تعلم اسباب وقوعها ولا يثبت لها خبر صادق عنها فهو غيب لا يمكن معرفته واذا تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة في الزايرة كلها انما هي في استخراج الجواب من الفاظ السؤال لانها كما رأيت اسئلتها حروف على ترتيب من تلك الحروف بعينها على ترتيب آخر وسر ذلك انما هو من تناسب بينهما ما يطلع عليه بعض دون بعض فمن عرف ذلك التناسب تبصر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك القوانين والجواب يدل في مقام آخر من حيث موضوع الفاظه وتراكيبه على وقوع أحد طرفي السؤال من نفي أو اثبات وليس هذا من المقام الاول بل انما يرجع لمطابقة الكلام لما في الخارج ولا سيبل الى معرفة ذلك من هذه الاعمال بل

وكتب حكيم الى حكيم اني سائلك عن ثلاثة أشياء ان اجبت عنها صرت لك تلميذا أي الناس أولى البشر بالرحمة ومتى تضيق أمور الناس وهم تتلقى النعمة من الله تعالى فكتب اليه ان أولى الناس بالرحمة ثلاثة البهر يكون في سلطان فاجر فهو

الدهر خزير لما يرى ويسمع والعاقل يكون في تدبير الجاهل فهو الدهر مغرور وموكر يمحتاج الى اللثيم فهو الدهر خاضع له ذليل وتضيع أمور الناس اذا كان الرأي عندهم لا يقبل منه والسلاح عندهم لا يستعمله (٧٣) والمال عندهم لا ينفعه وتتلقى النعمة

من الله تعالى بكثره شكره ولزوم طاعته واجتناب معصيته فصار تليد الى ان مات (وقال يحيى بن سعيد) حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فلما أشرفا على عقبة عسقان نظر سليمان الى السراقات قد ضربت له فقال له يا عمر كيف ترى قال ارى دنيا عريضة يا كل بعضها بعضا وانت المسئول عنها المؤخوذ بها فبينما هما كذلك اذ طار غراب من سرادقات سليمان في منقاره كسرة فصاح فقال سليمان ما يقول هذا الغراب قال عمر ما أدري ما يقول ولكن ان شئت أخبرتك بعلم قال أخبرني قال هذا غراب طار من سرادقاتك في منقاره كسرة أنت بها مأخوذ وعنها مسئول من أين دخلت ومن أين خرجت قال انك لتخبرنا بالجنائب قال أفلا أخبرك يا عجب من هذا قال بلى قال من عرف الله كيف عصاه ومن عرف الشيطان كيف أطاعه ومن أيقن بالموت كيف يهنيه العيش قال لقد غشيت علينا ما نحن فيه ثم ضرب فرسه وسار (ويروى) ان بلال بن أبي

البشر محجوبون عنه وقد استأثر الله بعلمه والله يعلم وأنتم لا تعلمون

(الفصل الثاني)

(في العمران البدوي والاعم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه اصول وتعميدات)

(فصل في ان احوال البدو والحضر طبيعية)

(اعلم) ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نجاتهم من المعاش فان اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشيط قبل الحاجة والكفاي فنهضوا من يستعمل الفلح من الغرسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والماعز والتحل والدود لتنتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائلون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدولانية منسجما لا يتسع له المحاضر من المزارع والقدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء بالبدو ومراضهم وريالهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفاء انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير غريدها وللحضر عماراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثر وامن الاقوات والملابس والتأنيق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحضر ثم تزايد احوال الرفه والدعة فتجنى عوائد الترف البالغة مباغتة في التأنيق في علاج القوت واستجداد المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباغ وغير ذلك ومعالجة البيوت والصروح واحكام وضعها في تجيدها والانتفاء في الصنائع في الخروج من القوة الى الفعل الى غاياتها فيخذون القصور والمازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويمالغون في تجيدها ويخلفون في استعادة ما يخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراس أو آنية أو ما عاون وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضر ومن أهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أغنى وأرفه من أهل البدولان احوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجددهم فقد تبين ان احوال البدو والحضر طبيعية لا بد منها كما قلناه

(فصل في ان حيل العرب في الخلقة طبعي)

قد قدمنا في الفصل قبله ان أهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الانعام وأنهم مقتصرون على الضروري من الاقوات والملابس والمساكن وسائر الاحوال والعوائد ومقتصرين عما فوق ذلك من حاجي أو كفاي ينتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير منجدة انما هو قصد الاسستظلال والكن لا ما وراءه وقديا وون الى الغيران والكهوف وأما اقواتهم فيمتثلون بها يسيرا بعلاج او بغير علاج البتة الامامته النار فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به أولى من الظعن وهؤلاء سكان المداشر والقرى والجبال وهم عامة البربر والاعاجم ومن كان معاشه في السائقة مثل الغنم والبقر فهم ظعن في الاغلب لا رتياد المسارح والمياه والحيواناتهم فالتقلب في الارض أصلي بهم ويسمون شايوة ومعناه القائلون على الشاء والبقر ولا يبعدون في القفر لفقدها المسارح الطبيعية وهؤلاء مثل البربر والترك واخوانهم من التركمان والضغالبية وأما من كان معاشه في الابل فهم أكثر ظعننا وأبعد في القفر بخلاف الان مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغنى بها الابل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر وورود مياهه الملح والقلب فصل الشتاء في نواحيه فرار من أذى البرد الى دفاؤه وطالب بالمساكن

(١٠ - ابن خلدون) بردة خرج في جنازة وهو أمير على البصرة فنظر الى جماعة وقفا فقال ما هذا قالوا مالك بن دينار يذكرك الناس فقال لوصيف معه اذهب الى مالك بن دينار فقل له يرتفع اليك القبر فبعه الوصيف فادى الرسالة الى مالك فصاح به مالك مالي اليه

حاجة فأجيبه فيها فان تكن له حاجة فليجيئ الى حاجة نفسه فلما دقنوا اميتهم قام بلال بن رباح معه الى حلقة مالك فلما دنا منه نزل ونزل من معه ثم جاء يمشي الى الحلقة حتى جلس (٧٤) فلما رآه مالك بن دينار سكنت فاطال السكوت فقال له بلال يا ابا يحيى ذكرنا فقال ما سميت

شأفا ذكر لك به قال فحدثنا قال اما هذا فنعم قدم علينا أمير من قبلنا على البصرة فمات فدفناه في هذه الجبانة ثم اتينا بنحجي فدفناه الى جنبه فوالله ما أدرى أيهما كان أكرم على الله سبحانه فقال بلال يا ابا يحيى أتدري ما الذي جرك علينا وما الذي استكننا عنك لأنك لم تأكل من دراهمنا شيئا اما والله لو أخذت من دراهمنا شيئا ما اجترأت علينا هذه المرأة فافاده هذا الحديث علما ألا فاتقوا دراهمهم (ودخل) ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما حديث يحذر ثنابه أهل الشام قال وما هو يا أمير المؤمنين قال حدثونا أن الله تبارك وتعالى اذا

استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات قال كذبوا يا أمير المؤمنين اني خليفة اقرب الى الله ام خليفة ليس ينبغي قال بل نبي خليفة قال فاننا احداث يا أمير المؤمنين بما لا تشك فيه قال الله تعالى لنبيه داود يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب يا أمير المؤمنين فهذا وعيد الله لنبي خليفة في اطناب خليفة غير نبي فقال الوليد ان الناس ليغروننا عن ديننا (وروي) زيد عن مالك

النتاج في رماله اذا لابل أصعب الحيوان فصلا ومخاضا وأحوجها في ذلك الى الدفاع فاضطر وا الى ابعاد النخعة وربما زادتهم الحامية عن النلول أيضا فاولوا في القفار نقرة عن الضعة منهم فكانوا لذلك أشد الناس قوحشا ينزلون من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمفتقر من الحيوان الجحيم وهؤلاءهم العرب وفي معنائهم طعون البربر وزناة بالمغرب والا كراد والتر كمن والترك بالمشرق الا أن العرب أبعد نخعة وأشدد بدواة لانهم مختصون بالقيام على الابل فقط وهؤلاء يقيمون عليها وعلى الشياه والبقرة معها فقد تبين للاب أن حيل العرب طبعي لا يدمنه في العمران والله سبحانه وتعالى أعلم

٣ (فصل في ان البدو اقدم من الحضرة وسابق عليه وان البادية اصل العمران والامصار مدد لها) *

قد ذكرنا ان البدو هم المقتصرون على الضر وروى في أحوالهم العاجزون عما فوقه وأن الحضرة المعتنون بحاجات الترف والسكال في أحوالهم وعوائدهم ولا شك أن الضر وروى أقدم من المحاجي والسكالي وسابق عليه لان الضر وروى أصل والسكالي فرع ناشئ عنه فالبدو أصل والمدن والحضر وسابق عليه - لان أول مطالب الانسان الضر وروى ولا ينتهي الى السكال والترف الا اذا كان الضر وروى حاصل لا نخشونة البدوة قبل رفقة الحضرة ولهذا نجد المدن غاية للبدو يجرى اليها وينتهي بسعيه الى مقترحه منها ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف وعوائده عاج الى الدعة وأمكن نفسه الى قياد المدينة وهكذا شأن القبائل المتبدية كاهم والحضرى لا يتشوف الى أحوال البادية الا للضرورة تدعو اليها اولة تصير عن أحوال أهل مدينته ومما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه أنا اذا فشتنا أهل مصر من الامصار وجدنا اولية أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر وفي قراه وأنهم أيسر وافسكونا المصر وعدلوا الى الدعة والترف الذي في الحضرة وذلك يدل على أن أحوال الحضرة ناشئة عن أحوال البدو - وانما أصل لها فنفهمه ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنبه فربما يحى أعظم من حى وقبيلة اعظم من قبيلة ومصر أوسع من مصر ومدينة أكثر عمرا من مدينة فقد تبين أن وجود البدو متقدم على وجود المدن والامصار وأصل لها بما أن وجود المدن والامصار من عوائد الترف والدعة التي هي متأخرة عن عوائد الضر ورة المعاشية والله أعلم

٤ (فصل في ان أهل البدو اقرب الى الخير من أهل الحضرة) *

وسببه أن النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متبهة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وبقدر ما سبق اليها من أحد الخلقين تبعه عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا سبقته الى نفسه عوائد الخير وحصلت لها ملكة بعد عن الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر اذا سبقته الى الله أيضا عوائده وأهل الحضرة أكثر ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلونت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكة بقدر ما وصل لهم من ذلك حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب الخشعة في أحوالهم فبعد الكثير منهم بقدر ما سبق في أقوال الفخشاء في مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارمهم لا يصددهم عنه وازع الخشعة لما أخذتهم به عوائد السوء وفي التظاهر بالفواحش قولاً وعملاً وأهل البدو كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الا أنه في المقدار الضر وروى لافي الترف ولا في شيء من أسباب الشهوات والملاذات ودواعيها فعودتهم في معاملاتهم على نسبتهما وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة الى أهل الحضرة أقل بكثير فاهم أقرب

الى

المهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب

يا أمير المؤمنين فهذا وعيد الله لنبي خليفة في اطناب خليفة غير نبي فقال الوليد ان الناس ليغروننا عن ديننا (وروي) زيد عن مالك

ابن انس قال بعث الى ابو جعفر والى ابن طاوس فدخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضدت وبن يديه انطاع قد بسطت بين يديه جلاوزة يديهم السيوف يضربون الاعناق واوما اليمن ان اجلسا فاجلسا فاطرق (٧٥) عناطويلا ثم رفع راسه والتفت الى

ابن طاوس وقال حدثنا عن ابيك قال نعم اني سمعت ابي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشرك الله في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فامسك ابو جعفر ساعة قال مالك فضعمت ثيابي مخافة ان ينضحني بدمه فامسك ابو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناواني هذه الدواة فامسك عنه ثم قال ناواني هذه الدواة فامسك عنه ثم قال ما يمنعك ان تناوليها قال اخشى ان تكذب بهام عصبة فأكون شريكا فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني قال ابن طاوس ذلك ما كنا نفي منذ اليوم قال مالك فما زلت اعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم (وقال احمد بن ابي الحواري) سمعت رجلا يحدث عن ابن السكيت قال بعث الى هرون فلما انتهت الى باب القصر اخذ حرسا من بضعي فاعجلاني في دهليز القصر فلما انتهت الى باب القاعة لقيني خصبان فاخذاني من الحرسين فاعجلاني في قاعة القصر فانهتني الى البهو الذي هو

الى القطرة الاولى وابعد عما ينطبع في النفس من سوء المالكات بكثرة العوائد المذمومة وتجبها فيسـهل علاجهم عن علاج الحضر وهو ظاهر وقد توضح فيما بعد ان الحضارة هي نهاية العمران وخروجه الى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير فقد تبين ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر والله يحب المتقين ولا يعترض على ذلك بما ورد في صحيح البخاري من قول الحجاج لسلمة بن الاكوع وقد بلغه انه خرج الى سكنى البادية فقال له ارتددت على عقبيك تعرفت فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي في البدو فاعلم ان الهجرة افترضت اول الاسلام على اهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث حل من المواطن ينصر ونه ويظا هرونه على امره ويحرسونه ولم تكن واجبة على الاعراب اهل البادية لان اهل مكة يمسهم من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهرة والحراسة ما لا يمس غيرهم من بادية الاعراب وقد كان المهاجرون يسمعون عيذون بالله من التعرب وهو سكنى البادية حيث لا تجب الهجرة وقال صلى الله عليه وسلم لم في حديث سعد بن ابي وقاص عند مرضه بمكة اللهم امض لاصحابي هجرتهم ولا تردهم على اعدائهم ومعه ان يوفقههم لالزمة المدينة وعدم القول عنها فلا يرجعوا عن هجرتهم التي ابنتوا بها وهو من باب الرجوع على العقب في السعي الى وجهه من الوجوه وقيل ان ذلك كان خاصا بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية الى الهجرة لقلعة المسلمين واما بعد الفتح وحين كثرت المسلمون واعتزوا وتكفل الله لندبه بالعصمة من الناس فان الهجرة ساقطة حينئذ ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لم لا هجرة بعد الفتح وقيل سقط انشاؤها عن يسلم بعد الفتح وقبل سقط وجوبها عن اسلم وهاجر قبل الفتح والكل محججون على انها بعد الوفاة ساقطة لان الصحابة افترقوا من يومئذ في الآفاق وانتشروا ولم يبق الا فضل السكيت بالمدينة وهو هجرة فقول الحجاج لسلمة حين سكن البادية ارتددت على عقبيك تعرفت نعي عليه في ترك السكيت بالمدينة بالاشارة الى الدعاء المأثور الذي قدمناه وهو قوله ولا تردهم على اعدائهم وقوله تعرفت اشارة الى انه صار من الاعراب الذين لا يهاجرون واجاب سلمة بانكار ما ألزمه من الامرين وان النبي صلى الله عليه وسلم اذن له في البدو ويكون ذلك خاصا به كشهادة خزيمه وعناق ابي بردة او يكون الحجاج انما نعي عليه ترك السكيت بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة واجابه سلمة بان اغتنامه لادن النبي صلى الله عليه وسلم لم اولى وأفضل فما آثر به واختصه الا معني علمه فيه وعلى كل تقدير فليس دليلا على مذمة البدو الذي عبر عنه بالتعرب لان مشروعية الهجرة انما كانت كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لا لمذمة البدو فليس في النعي على ترك هذا الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله سبحانه اعلم به التوفيق

• (فصل في أن أهل البدو اقرب الى النجاعة من أهل الحضر) •

والسبب في ذلك ان اهل الحضر القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا في النعيم والترف ووكلوا امرهم في المدافعة عن أموالهم وانفسهم الى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم واستناموا الى الاسوار التي تحوطهم والحزر الذي يجول دونهم فلا تهيجهم هبة ولا يفر لهم صيد فهم غارون آمنون قد ألقوا السلاح وتوالت على ذلك منهم الاجيال وتزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم مبال على أبي سؤا لهم حتى صار ذلك خلقا يتنزل منزلة الطبيعية وأهل البدو لفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانبتا ذهم عن الاسوار والابواب قائلون بالمدافعة عن انفسهم لا يكونونها الى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائما يحملون السلاح ويتلقون عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الميجوع الغرار في المجالس وعلى الرجال وفوق الاقتاب ويتوجسون للتبائن والهجمات ويتقدرون

ليه فتلقي في خصيان دونهما فاخذاني فاعجلاني في البهو فقال لهما هرون ارفعوا باياض فلتا وقفت بين يديه قلت له يا امير المؤمنين ما رمي يوم منذ ولدني امي اتعب فيه من يومى هذا فائق الله في خلقه واحفظ محمد في امته وانصبر لنفسك في رعيتك فان لك مقاما بين

يدى الله تعالى انت فيه اذل من مقامى هذا بين يديك فاتق الله واعلم ان من اخذ الله وسطوانته على اهل المعصية كيت وكيت قال
فاضطرب على فراشه حتى نزل (٧٦) الى مصلى بن يدى فراشه فقلت يا امير المؤمنين هذا ذل الصفة فكيف ولوريت ذل المعايمة

قال فكادت نفسه تخرج
فقال يحيى للخصيين اخرجوه
فقد ابكى امير المؤمنين ثم
دخل مرة اخرى فقال عظمي
واوجز قال يا امير المؤمنين
ان الذى اكرمك بما
اكرمك به لمحقى ان تحب
ما يحب وتبغض ما يبغض
فوالله لقد احب الله دارا
وابغضتها وابغض دارا
واحببتها كاتما اردت
خلاف ربك او اردت
سواه واعلم يا امير المؤمنين
ان الذى فى يدك لو بقى
على من كان قبلك لم يصل
اليك فكذلك لا يبقى لك
كالم يبق لغيرك فاتق الله
فى خلافته واحفظ وصية
محمد صلى الله عليه وسلم فى
امته ودخل هرون على
بعض الناسك فسلم عليه
فقال وعليك السلام ثم
قال ايها الملك تحب الله
قال نعم قال فنعصيه قال نعم
قال كذبت والله فى حبك اياه
انك لو احببته اذام اعصيته
ثم انشأ يقول
تعصى الاله وانت تظهر
حبه

قال فكادت نفسه تخرج
فقال يحيى للخصيين اخرجوه
فقد ابكى امير المؤمنين ثم
دخل مرة اخرى فقال عظمي
واوجز قال يا امير المؤمنين
ان الذى اكرمك بما
اكرمك به لمحقى ان تحب
ما يحب وتبغض ما يبغض
فوالله لقد احب الله دارا
وابغضتها وابغض دارا
واحببتها كاتما اردت
خلاف ربك او اردت
سواه واعلم يا امير المؤمنين
ان الذى فى يدك لو بقى
على من كان قبلك لم يصل
اليك فكذلك لا يبقى لك
كالم يبق لغيرك فاتق الله
فى خلافته واحفظ وصية
محمد صلى الله عليه وسلم فى
امته ودخل هرون على
بعض الناسك فسلم عليه
فقال وعليك السلام ثم
قال ايها الملك تحب الله
قال نعم قال فنعصيه قال نعم
قال كذبت والله فى حبك اياه
انك لو احببته اذام اعصيته
ثم انشأ يقول
تعصى الاله وانت تظهر
حبه

هذا العمري فى المقال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته
ان الحب لمن يحب مطيع
فى كل يوم يمتدك بعمرة
منه وانت لشكر ذلك مضجع

٦ * (فصل فى أن معاناة اهل المحضر للالحكام مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم) *

وذلك انه ليس كل احد مالک امر نفسه اذ الرضا والامراء المالكون لامر الناس قليل بل بالنسبة الى
غيرهم من الغالب ان يكون الانسان فى ملكة غيره ولا بد فان كانت الملكة رفيقة وعادلة لا يعانى منها
كم ولا منع وصد كان من تحت يدها مدلين بما فى أنفسهم من شجاعة او حبن واثقين بعدم الوازع حتى
صار لهم الادلال جملة لا يعرفون سواها واما اذا كانت الملكة واحكامها بالقهر والسطوة والاحاققة فكم
حينئذ من سورة باسمهم وتذهب المنفعة عنهم ما يكون من التكاليف فى النفوس المضطهدة كناية عنه
وقد نسي عمر سعد ارضى الله عنهم ما عن مثلها ما اخذ زهرة بن حوكة سلب الخنوس وكانت قيمة خمسة
وسبعين الف من الذهب وكان اتبع الجاندوس يوم القادسية فقتله واخذ سلبه فانزعجه منه سعد
وقال له لا تنظرت فى اتباعه اذنى وكتب الى عمر يسأله ما فعله فكتب اليه عمر نعم الى مثل زهرة وقد
صلى بمصلى به وبقي عليك ما بقى من حريك وتكسر فوقه وتفسد قلبه وامضى له عمر سلبه واما اذا
كانت الاحكام بالاعقاب فذهبة للبأس بالكلية لان وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة
التي تكسر من سورة باسمه بلا شك واما اذا كانت الاحكام تأديبية وتعليمية وتأخذت من عهد الصبا أثرت
فى ذلك بعض الشيء لم يراه على المخافة والانتقاد فلا يكون مدلا بأسه ولهذا نجد المتوحشين من العرب اهل
البدو واشد بأسا ممن تأخذ الاحكام ونجد ايضا الذين يعانقون الاحكام وملاكتهم ان لدن مرابهم فى التأديب
والتعليم فى الصنائع والعلوم والديانات ينقص ذلك من بأسهم كثير ولا يكادون يدفعون عن أنفسهم
عادية بوجه من الوجوه وهذا شأن طلبة العلم المتبحرين للقراءة والاخذ عن المشايخ والائمة الممارسين للتعليم
والتأديب فى مجالس الوقار والهيبة فيهم وهذه الاحوال وذهابها بالمنفعة والبأس ولا تستذكر ذلك بما وقع
فى الصحابة ممن أخذهم باحكام الدين والشرعية ولم ينقص ذلك من بأسهم بل كانوا أشد الناس بأسا لان
الشارع صلوات الله عليه لما أخذ المسلمون عنه دينهم كان وازعهم فيه من أنفسهم ما تلى عليهم من
الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم صناعي ولا تأديب تعليمي انما هى احكام الدين وآداب المتلقاة نقلا
ياخذون أنفسهم بها بما رويهم من عقائد الايمان والتصديق فلم تنزل سورة باسمهم مستحكمة كما كانت
ولم تخدشها انظار التأديب والحكم قال عمر رضى الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا دبه الله حرصا على ان يكون
الوازع لكل احد من نفسه هو يقيما بان الشارع اعلم بمصالح العباد ولم يتناقص الدين فى الناس وأخذوا
بالاحكام الوازع ثم صار الشرع علما وصناعة يؤخذ بالتعليم والتأديب ورجع الناس الى الحضارة وخلق
الانتقاد الى الاحكام نقصت بذلك سورة البأس فيهم فقد تبين ان الاحكام السلطانية والتعليمية مفسدة
للأس لان الوازع فيها الحنبى واما الشرعية فغير مفسدة لان الوازع فيها ذاتي ولهذا كانت هذه الاحكام
السلطانية والتعليمية مما تؤثر فى اهل الحواضر فى ضعف نفوسهم وخضد الشوكه منهم بمعاناتهم فى وليدهم

(وروى بن اسلم عن ابيه) قال قلت لعمرو بن سليمان بن عبد الله بن ابي طالب الهاشمي والى المدينة احذر
ان يأتى رجل غدا ليس له فى الاسلام نسبة ولا اب ولا جد فيكون اولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون اولى بنوح

ولوط عليه السلام من زوجهم ما وكل كانت زوجة نوح ولوطا اولى بقرعون من زوجته من ابطائه عمله لم يستع به نسبه ومن اسر عبه
عمله لم يبطئ به نسبه وقال بشر بن السري بينما المبحاج جالس في الحجر اذ دخل رجل (٧٧) من اهل اليمن فجعل يطوف فوكل به

وكقولهم والبدو بمعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن أحكام السلطان والتعليم والآداب ولهذا قال محمد بن
أبي نزيدي في كتابه في أحكام المعلمين والمتعلمين أنه لا ينبغي للمؤدّب أن يضرب أحد - دامن الصبيان في التعليم
فوق ثلاثة أسواط نقله عن شرح القاضي واحتج له بعضهم بما وقع في حديث بدء النوحى من شأن الغطاء
وأنه كان ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصلح شأن الغطاء أن يكون دليلا على ذلك لبعده عن التعليم المتعارف
والله الحكيم الخبير

v) * (فصل في أن سكنى البدو لا يكون إلا للقبائل أهل العصبية) *

*(اعلم) ■ ان الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهدينا له النجدين وقال فاقلمهما في وراه وتقاها والشر اقرب الخلال اليه اذا اهل في مري عوائده ولم يهذب الاقمة داء بالدين وعلى ذلك الجمل الغفير الامن وفقه الله ومن اخذ لاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فن امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت يده الى اخذه الا ان يصده وازع كمال

والظلم من شحم النفوس فان تجرد * ذاعقة فاعلة لا يظلم

فأما المدن والأصناف فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على أيديهم من تحتهم من
الكافة إن يمتد بعضهم على بعض أو يعدو عليه فهم مكبوحون (١) بحكمة القهر والسلطان عن النظام إلا
إذا كان من الحماكم نفسه وأما العدوان الذي من خارج المدينة في دفعه سياج الأسوار عند الغفلة أو الغرة
ليلاً أو العز عن المقاومة نهاراً أو يدفعه زيادة الحامية من أعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة وأما
أحياء البدو وفزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوفاق والتجمل
وأما حلالهم فالتمسوا بدعوتهم من خارج حامية الحماكم من انجذابهم وقتبانهم المعروفين بالإنجذاب فيهم
ولا يصدق دفاعهم وزيادتهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد لانهم بذلك تشبهوا وتشبهوا بهم ويخشى
جانهم اذ نغرة كل أحد على نسبه وعصبية اهـ وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنغرة على ذوي
أرحامهم وقرباؤهم موجودة في الطبائع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظيم ربه العبد وهم
واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن أخوة يوسف عليه السلام حين قالوا لبيه لئن اكاه الذئب ونحن عصبية
إننا لالخاسرون والمعنى انه لا يتوهم العدوان على أحد مع وجود العصبة له وأما المتفردون في أنسابهم
فقل ان تصيب احد منهم نغرة على صاحبه فإذا أظلم الجو بالشر يوم الحرب تسال كل واحد منهم يبغي
النجاة لنفسه خيفة واستيحاشاً من التعاضد فلا يقدرون من أجل ذلك على سكنى القرى لانهم حينئذ
طعمة لمن ياتهمهم من الأحمس واهم وإذا تبين ذلك في السكنى التي تحتاج للدفاع والحماية فيه مثله يبين
لك في كل أمر يحمل الناس عليه من نبوة وإقامة ملك أو دعوة أو بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم
بالقتال عليه في طبائع البشر من الاستعصاء ولا بد في القتال من العصبية كما ذكرناه آنفاً فالتحذير هذه انما
تقتدى به فمناورده عليك بعد والله الموفق للصواب

٨ * (فصل في ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه) *

وذلك ان صلة الرحم طبعية في البشر الا في الاقل ومن صلتها النقرة على ذوى القربى واهل الارحام ان ينالهم ضم او تصيبهم همة فكيف ان القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه او العداوة عليه و يود لو يحول

(١) قوله بحكمة بفتح الحاء والكاف اهـ

خرج من طوافه فأتى به
فلما فرغ من طوافه أتاه به
فقال له من أنت قال من أهل
اليمن قال أفلا تعلم بحمد بن
يوسف قال نعم قال فأخبرني
عنه قال لقد تركته أبىض
بضامى مناو ولا عريضا
قال ويلك ليس عن هذا
أسألك قال نعمه قال عن
سيرته وطعمته قال
فأجور السير وأجبت الطعم
وأعدى العدا على الله
وأحكامه قال فغضب
المحاج وقال ويلك أما
علمت أنه أخى قال بلى قال
أفانت ما علمت أن الله ربي
والله هو أمانع بي منك أكثر
منك لا خيك قال أجل
أرضه يا غلام (وقال
الأصمعي) حدثني رجل من
أهل المدينة قال سمعت
محمد بن إبراهيم يحدث قال
شهدت أبا جعفر بالمدينة
وهو ينظر فيما بين رجل
من قريش وأهل بيت من
المهاجرين ليسوا أقرش
فقالوا لابي جعفر أعمل
بيننا وبينهم ابن أبي ذئب
قال أبو جعفر لا بن أبي ذئب
ما تقول في بني فلان قال
أشرد من أهل بيت أشرد
قالوا له يا أمير المؤمنين
عن الحسن بن يزيد وكان

عامله على المدنية قال ما تقول في الحسن قال يأخذ بالاحنة ويقضي بالهوى فقال الحسن والله يا أمير المؤمنين لو سألتك عن نفسك لمالك مداهية ونعتك بشراً قال ما تقول في قال اعفني يا أمير المؤمنين قال لا بد أن تقول قال انك لا تعدل في الرعية ولا تنقم بالسوية فتغير وجه أبي

جعفر فقام ابراهيم بن محمد بن علي صاحب الموصل وقال طهرني بدمه يا امير المؤمنين قال له ابن ابي ذئب اقعدي ابني فليس في دم رجل يشهد ان لا اله الا الله طهور (٧٨) ثم تدارك ابن ابي ذئب الكلام فقال دعنا يا امير المؤمنين عما نحن فيه بلغني انك وزقت

بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهاالك نعمة طبيعية في البشر مذ كانوا فاذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الاتحاد والاتحاد كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها واذا بعد النسب بعض الشيء فرمى بتوسعي بعضها ويبقى منها شهرة فتحمل على النصر ولذوي نسبه بالامر المشهور منه فرار من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه ومن هذا الباب الولاء والخلاف اذ نغرة كل احد على اهل ولائه وحلفه للالفة التي تلحق النفس من اهتمام جوارها او قريبيها ونسبها بوجه من وجود النسب وذلك لاجل اللحمة المحاصلة من الولاء مثل لحة النسب او قريبيها منها ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم لم تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم يعني ان النسب انما فائدتها هذا الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة والنغرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذ النسب امر وهمي لا حقيقة له ونفعه انما هو في هذه الوصلة والاتحاد فاذا كان ظاهره واضحا اجل النفوس على طبيعتها من النغرة كما قلناه واذا كان انما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت فائدتها وصار الشغل به مجانا ومن اعمال الله والمتهنى عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع وجهه لا تنضر بمعنى ان النسب اذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فائدتها الوهم فيه عن النفس وانتفت النغرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حينئذ ذوالله سبحانه وتعالى اعلم

■ (فصل في ان الصريح من النسب انما يوجب جد للتوحشين في القفر من العرب ومن في معنائهم) ■

وذلك لما اختصوا به من كذا العيش وشظف الاحوال وسوء المواطن حاتمهم عليها الضرورة التي عينت لهم تلك القسوة وهي لما كان معاشهم من القيام على الابل وتناجها ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش في القفر لرعيها من شجرهم وتناجها في رماله كما تقدم والقفر مكان الشظف والسغب فصار لهم الفواو عادة ودر بيت فيه احياءهم حتى تمكن خلقا وجلة فلا ينزع اليهم احد من الامم ان يساهمهم في حالهم ولا يأس بهم احد من الاجيال بل لو وجدوا احد منهم السبل الى القرا من حاله وامكنه ذلك لما تركه فيؤمن عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها ولا تزال بينهم محفوفة صريحة واعتبر ذلك في مضر من قريش وكنانة وثقيف وبنو اسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة لما كانوا اهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع وبعدوا من ارياف الشام والعراق ومعادن الاثم والمجرب كيف كانت انسابهم صريحة محفوفة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيهم شوب ■ واما العرب الذين كانوا بالتلول وفي معادن الخصب راعى والعيش من جبر وكه لان مثل الحنظل وجذام وغسان وطبث وقضاة وايدا فاختلطت انسابهم وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من بيوتهم من الخلفاء عند الناس ما تعرف وانما جاءهم ذلك من قبل الجهم ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم وانما هذا العرب فقط قال عمر رضي الله تعالى عنه تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدكم عن اصله قال من قرية كذا هذا اي ما لحق هؤلاء العرب اهل الارياض من الازدحام مع الناس على البلاد الطيب والمراعى الخصبة فكثير الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع في صدر الاسلام الانتماء الى المواطن فيقال جند قنسر من جند دمشق جند العواصم انتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لا طراح العرب امر النسب وانما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عند اعراسهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع الجهم وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وقد فسد ثمرتها من العصبية فاطرحت ثم ثلاث القبائل ودرثت فدرثت العصبية بدورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث الارض ومن عليها

انما صاحب العراق يعني المهدي قال اما ان قلت ذلك انه ليصوم البعد ما بين الطرفين قال ثم قام ابن ابي ذئب فخرج فقال ابو جعفر اما والله ما هو بمستوثق العقل ولقد قال بذات نفسه (ودخل ابو النصر) سالم بن علي بن عبد الله على عامل الخليفة قال له يا ابا النصر انه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نحب ديدما من انما ذاهبا ذات ترى قال ابو النصر قد اناك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فايهما اتبعت كنت من اهل الله (الباب الثالث فيما جاء في الولاء والقضاة وما في ذلك من الغرور والخطر) ■ قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله جاء في التفسير من اتباع الهوى ان يحضر الخصمان بين يديك فتود ان يكون الحق للذي لك منه خاصة وبهذه الخصلة سلب سليمان بن داود عليهم السلام ملكه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الذي اصاب سليمان ابن داود عليهم السلام

فصل

ان ناسا من اهل جرادة امراته وكانت من اكرم نساءه عليه تحاكوها اليه مع غيرهم فاحب

ان يكون الحق لاهل جرادة فيقتضي لهم فعوتب حين لم يكن هو افيهم واحدا ومن ذلك آية الملوك التي انزلها الله تعالى في السلاطين لما

اقتضته من السياسة العامة التي فيها بقاء المال وثبوت الدول قال الله تعالى ولا ينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ثم سمي المنصورين
وأوضح شرائط النصر فقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة (٧٩) وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا

عن المنكر فضعن الله تعالى
النصر للملوك وشرط عليهم
شرائط كما ترى فمن
تضعفت قواعدهم
وانتقص عليهم من اطراف
ممالكهم أو ظهر عليهم عدو
أو باغ فتنة أو حاسد نعمة أو
اضطربت عليهم الامور أو
راوا السباب الغير فيلجأ الى
الله تعالى ويستجئوا من
سوء أقداره بأصلاح ما
بينهم وبينه بأقامة الميزان
القسط الذي شرعه الله
تعالى لعباده وركوب

سبيل العدل والحق الذي
قامت به السموات والارض
واظهار شرائع الدين ونصر
المظلوم والاخذ على يد
الظالم وكف يد القوى عن
الضعيف ومراعاة الفقراء
والمساكين وملاحظة ذوي
الخصاصة والمستضعفين
وليعلموا انهم قد أخذوا
بشي من الشرائط الاربع
التي شرطت في النصر
(وروي) ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ألا كلكم
راع وكلكم مسئول عن
رعيته فالامام الذي على
الناس راع وهو مسئول عن
رعيته والرجل راع على
أهل بيته وهو مسئول عن
رعيته والمرأة راعية على
أهل بيت زوجها وولدها

١٠ * (فصل في اختلاط الانساب كيف يقع) *

* (اعلم) انه من البين ان بعضا من اهل الانساب يسقط الى اهل نسب آخر بقرباية اليهم أو حلف أو
ولاء أو قرار من قومه بجناية أصابها فبعض بنسب هؤلاء و بعد منهم في عرثاته من النغرة والقود وحمل
الديات وسائر الاحوال وأذا وجدت ثمرات النسب فكانه وجوده دلالة لا معنى لكونه من هؤلاء ومن
هؤلاء الاجريان أحكامهم وأحوالهم عليه وكأنه التحم بهم ثم انه قد ينشأ في النسب الاول بطول الزمان
ويذهب أهل العلم به فيخفي على الأكثر وما زالت الانساب تسقط من شعب الى شعب يلتحم قوم
بآخرين في المجاهدة والاسلام والعرب والعجم وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين
لك شئ من ذلك ومنه شأن بجيلة في عرقة بن هرثة لما ولده عمر عليهم فسالوه الاعفاء منه وقالوا هو فينا
لزيق أي دخیل ولصيق وطيلوا أن يولي عليهم حريز فساله عمر عن ذلك فقال عرفجة صدقوا يا امير
المؤمنين أنا رجل من الازد أصدت دما في قومي ولحققت بهم وانظر منه كيف اختلط عرفجة بجيلة وليس
جلدتهم ودعى بنسبهم حتى ترشح للرياسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجهم ولو غفلوا عن ذلك وامتنعوا من
لتنويسي بالجيلة وعدم منهم بكل وجه ومذهب فافهمه واعتبر سر الله في خلقة ومثل هذا كثير لهذا العهد
ولما قبله من اليهود والله الموفق للصواب بمنه وفضله وكره

١١ * (فصل في ان الرياسة لا تزال في نصابها لخصوص من أهل العصبية) *

* (اعلم) ان كل حي أو بطن من القبائل وان كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففهم أيضا عصبية أخرى
لانساب خاصة هي أشد التحاما من النسب العام لهم مثل عشير واحد أو اهل بيت واحد أو اخوة بني أب
واحد لا مثل بني العم الاقربين أو الابعدين هؤلاء أقعد بنسبهم لخصوص و يشاركون من سواهم من
العصائب في النسب العام والنغرة تقع من أهل نسبهم لخصوص ومن أهل النسب العام لانها في النسب
الخاص أشد اقرب المحمة والرياسة فيهم انما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل ولما كانت
الرياسة انما تكون بالغلب وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب ليقع الغلب
بها وتم الرياسة لاهلها فاذا وجب ذلك تعين ان الرياسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب لخصوص اهل
الغلب عليهم اذ لو خرجت عنهم وصارت في العصائب الأخرى النازلة عن عصابتهم في الغلب لما تمت لهم
الرياسة فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم الى فرع ولا تنقل الا الى الأقوى من فروعهم لما
قلناه من سر الغلب لان الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج للكون والمزاج في المتكون لا يصلح اذا تكافأت
العناصر فلا بد من غلبة أحد هاو الا يتم التكوين فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية ومنه تعين
استمرار الرياسة في النصاب لخصوص بها كما قررناه

١٢ * (فصل في ان الرياسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم) *

وذلك ان الرياسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما يكون بالعصبية كما قدمناه فلا بد في الرياسة على
القوم أن تكون من عصبية غالبية عصبياتهم واحدة واحدة لان كل عصبية منهم اذا أحست بغلب عصبية
الرئيس لهم أقر وأبالا ذعان والاتباع والساقط في نسبهم بالجيلة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب انما هو
(١١) هذا الفصل ساقط من النسخ الفاسية وهو موجود في النسخة التونسية واثباته أولى لي مطابق
كلامه أول الفصل ١٢ اه

وهي مسئلة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
كل ناظر في حق غيره راعيا واللفظ مأخوذ من الرعية والمرعاة فاذا تقدم لرعاية غيره من بأكمله فهو الهالك كما قال الشاعر

وراعى الشاة يحصى الذئب عنها * فكيف اذا الذئب هارعا (وروى مسلم) في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امرئ يلى امر المسلمين ثم لم يجتهد لهم وينصح الا لم يدخل الجنة معهم وقال معقل بن يسار سمعت النبي صلى الله عليه وسلم (٨٠)

يقول ما من عبد يستريحه الله رعية فلم يحطها بنجحه الا لم يجدر انحة الجنة (وروى) عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسئلة وكنت اليها وان اعطيتها عن غير مسئلة اعنت عليها (وروى) ابو هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم ستحرضون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة ويئست الفاطمة وقال ابو ذر رضى الله عنه قلت امرئى يا رسول الله قال انها امانة وانها حسرة وتندامة يوم القيامة الا من اخذها بحقة واودى الذى عليه فيها (وروى البخارى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تجدون من خير الناس اشد الناس كراهية لهذا الامر حتى يقع فيه وفي الحديث) من ولى من امر المسلمين شيئا ثم لم يحطهم بنجحه كمن يحوط اهل بيته فليتبوا مقعده من النار وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فأتى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيوقف على حسرته ثم يامر الله سبحانه الجسد فينفض انفاضة فيزول كل عظم منه عن مكانه ثم يامر الله العظام فترجع الى مكانها ثم يسائله فان كان لله تعالى طائعا اخذ بيده واعطاه كفاين من رحمته وان كان لله

مالصق لزيق وغاية التعصب له بالاولاء والخلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة واذا فرضنا انه قد التحم بهم واختلط وتنسب عهده الاول من الانصاف وليس جلدتهم ودعى بنسبهم فكيف له الرياسة قبل هذا الالتحام او لاحد من سلفه والرياسة على القوم انما تكون متناقلة في منبت واحد تعين له الغلب بالعصبة فالاولية التي كانت هذا المصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعه ذلك الانصاف من الرياسة حينئذ فكيف تنوقت عنه وهو على حال الا لصاق والرياسة لا بد وان تكون موروثه عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبة وقد يشوف كثير من الرؤساء على القبائل والعصائب الى انساب يلججون بها اما الخصوصية فضيلة كانت في اهل ذلك النسب من شجاعة او كرم او ذكرك كيف اتفق فيزعمون الى ذلك النسب ويتورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يقعون فيه انفسهم من القدرح في رياستهم والطعن في شرفهم وهذا كثير في الناس لهذا العهد في ذلك ما يدعيه زناثة جلة انهم من العرب ومنه ادعاء اولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بني عامر احد مشعوب زغبة انهم من بني سليم ثم من الشريدمهم لمحق جدتهم بنى عامر فجارا بضع الحرجان (١) واختلط بهم والتحم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسمونه الحجازي ويوم من ذلك ادعاء بنى عبد القوى بن العباس بن توجين انهم من ولدا العباس بن عبد المطلب وزغبة في هذا النسب الشريف وغلط باسم العباس بن عطية ابى عبد القوى ولم يعلم دخول احد من العباسيين الى المغرب لانه كان منذ اول دواتهم على دعوة العلويين اعدائهم من الادارسة والعبيديين فكيف يسقط العباس الى احد من شيعة العلويين وكذلك ما يدعيه ابناء زيان ملوك تلمسان من بنى عبد الواحد انهم من ولد القاسم بن ادريس ذهبا الى ما شتهر في نسبهم انهم من ولد القاسم فيقولون بلسانهم هم الزناني أنت القاسم اى بنو القاسم ثم يدعون ان القاسم هذا هو القاسم بن ادريس او القاسم بن محمد بن ادريس ولو كان ذلك صحيحا فغاية القاسم هذا انه فر من مكان سلطانه مستجير بهم فكيف تتم له الرياسة عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم القاسم فانه كثير الوجود في الادارسة فتوهوا ان قاسمهم من ذلك النسب وهم غير محتاجين لذلك فان مناهم للاب والعزة انما كان بعصبيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية وقول شي من الانساب وانما يحتمل على هذا المتقربون الى الملوك بمنازعتهم ومذاهمهم ويشتبهون حتى يسعد عن الرد ولا قد بلغنى عن يهراس بن زيان مؤثر سلطانهم انه لما قيل له ذلك أنكره وقال بلغته الزناية مامعناه اما الدنيا والملك فقلناه بسبب وفنا لا بهذا النسب واما نفعه في الاخرة فردود الى الله وأعرض عن التقرب اليه بذلك * ومن هذا الباب ما يدعيه بنو سعد وشيوخ بني يزيد من زغبة انهم من ولد ابى بكر الصديق رضى الله عنه وبنو سلامة شيوخ بني بدلتين من توجين انهم من سليم والزواودة شيوخ زياح انهم من عاقاب البرامكة وكذا بنو مهني ارمطبي بالشرق يدعون فيما بلغنا انهم من عاقبهم هم وامثال ذلك كثير ورياستهم في قومهم مانعة من ادعاء هذه الانساب كما ذكرناه بل تعين أن يكونوا من صريح ذلك النسب واخفى عصبياته فاعتبر واجتنب المغالط فيه ولا تجعل من هذا الباب الحاق مهدي الموهدين بنسب العلوية فان المهدي لم يكن من منبت الرياسة في هرمة قومه وانما رأس عليهم بعد اشتباهه بالعلم والدين ودخول قبائل المصامدة في دعوته وكان مع ذلك من اهل المنابت المتوسطة فيهم والله عالم الغيب والشهادة

١٣ (فصل في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصبة ويكون غيرهم بالحجاز والشبه) * وذلك ان الشرف والحسب انما هو بالخال ومعهنى البيت ان يعد الرجل في آبائه اشرافا مذكورين (١) قوله الحرجان بكسر الحاء جمع حرج يفحختين نفس الموقى اه

تكون يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيوقف على حسرته ثم يامر الله سبحانه الجسد فينفض انفاضة فيزول كل عظم منه عن مكانه ثم يامر الله العظام فترجع الى مكانها ثم يسائله فان كان لله تعالى طائعا اخذ بيده واعطاه كفاين من رحمته وان كان لله

عاصم ما خرق به الحسب فيهم يورى به في جهنم مقدار سبعين خريفاً فقال عمر سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم أسمع قال نعم وكان سليمان وأبو ذر حاضرين فقال سليمان أي والله يا عمر ومع السبعين سبعين خريفاً وادلتهم (٨١) التها بما فقال عمر بيده على جبهته أنا لله

وأنا إليه راجعون من يأخذها بما فيها قال سليمان من سلب الله أنفقه وألصق خده بالأرض (وروى) أن العباس رضي الله عنه قال أمرني يا رسول الله فأصيب واستر يش فقال له يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم نفس تحميم أخير من أمانة لا تحميم إلا أحدكم عن الأمانة وأوسطها ندامة وآخرها حسرة يوم القيامة (وروى) أبو داود في السنن جاعل رجل فقال يا رسول الله إن أي عريف على الماء وإني أسألك أن تجعل لي العرافة من بعده فقال النبي صلى الله عليه وسلم العرافة في النار (وروى) الساجي عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذاباً يوم القيامة إلا ما من المجائر وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس من وال ولا قاض إلا ويؤتى به يوم القيامة حتى يقف بين يدي الله سبحانه على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرة فقير فتراها على رؤس

تكون له بولادته - م آباء والانتساب إليهم تجل في أهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجل حلقه وشرفهم بخلاهم والناس في نشأتهم وتناسلهم معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا يعني الحسب راجع إلى الانتساب وقد بينا أن ثمة الانتساب وفائدتها إنما هي العصبية للنفرة والتناصر حيث تكون العصبية مرهوبة ومخشية والمندبة فيما ذكرى محي تكون فائدة النسب أوضح وثمرتها أقوى وتعيد الأشراف من الآباء زائد في فائدتها فيكون الحسب والشرف أصيلاً في أهل العصبية لوجود ثمة النسب وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية لأنه سرها ولا يكون للفردين من أهل الأمصار بيت إلا بالجناس وان توهموه فزخرف من الدعاوى وإذا اعتبرت الحسب في أهل الأمصار وجدت معناه أن الرجل منهم يعد سلفاً في خلال الخير ومخاطبة أهله مع الركون إلى العافية ما استطاع وهذا مغاير لسر العصبية التي هي ثمة النسب وتعيد الآباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالجناس لملاقة ما فيه من تعدد الآباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالمة وليس حسباً بالحقيقة وعلى الإطلاق وإن ثبت أنه حقيقة فيه ما بالوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في بعض مواضعه أولى وقد يكون للبيت شرف أول بالعصبية والخلال ثم ينسبون منه لذهابها بالخضرة كما تقدم ويختلطون بالغمار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به أنفسهم من أشراف البيوت أهل العصائب وليسوا منها في شيء لذهاب العصبية جملة وكثير من أهل الأمصار الناشئين في بيوت العرب أو العجم لأول عهدهم موسوسون بذلك وأكثر ما رشح الوسواس في ذلك لبني إسرائيل فإنه كان لهم بيت من أعظم بيوت العالم بالندبة أولاً تعدد في سلفهم من الأنبياء والرسل من لدن إبراهيم عليه السلام إلى موسى صاحب ملته - م وشريعته - م ثم بالعصبية ثانياً وما آتاهم الله به من الملك الذي وعدهم به ثم انسحقوا من ذلك أجمع وضررت عليهم الذلة والمسكنة وكتب عليهم الجلاء في الأرض وانفردوا بالاستعبداء للسكران لا قامن السنين وما زال هذا الوسواس مصاحباً لهم فتجدد بهم يقولون هذا هارونى هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب هذا من سبط يهوذا مع ذهاب العصبية وروسوخ الذل فيهم منذ أحقاب متطاولة وكثير من أهل الأمصار وغيرهم المنقطعين في أنسابهم عن العصبية يذهب إلى هذا المذيان وقد غلط أبو الوليد بن رشد في هذا المأذرك الحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب المعلم الأول والحسب هو أن يكون من قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لمأذركناه ولبت شعري ما الذي ينفعه قدم نزلهم بالمدينة أن لم تكن له عصابة يرهب بها جانبهم وتحمل غيرهم على القبول منه فكانه أطلق الحسب على تعدد الآباء فقط مع أن الخطابة إنما هي استعمال من توثق استعماله وهم أهل المحل والعقد وأما من لا قدر له البتة فلا يلتفت إليه ولا يقدر على استعماله أحد ولا يستمال هو وأهل الأمصار من الحضرة بهذه المثابة إلا أن ابن رشد روى في جيل ولد لم يمارسوا العصبية ولا أنسوا وأحوالها بقيت في أعراب البيت والحسب على الأحرار المشهور من تعدد الآباء على الإطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرها في الخليقة والله بكل شيء عليم اه

١٤ * (فصل في أن البيت والشرف للموالى وأهل الاصطناع إنما هو بما إليهم لا بانسابهم) *

وذلك أنا قد متنا أن الشرف بالأصالة والحقيقة إنما هو لأهل العصبية فإذا اصطنع أهل العصبية قوماً من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالى والتحموا به كما قلناه ضرب معهم أولئك الموالى والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية وليسوا بجلدتها كأنها عصبيتهم وحصل لهم من الانضمام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى رقيقاً أو مولى اصطناع وحلف وليس نسب

(١١ - ابن خلدون) الخلائق فإن كان عادلاً لنجاه الله بعده وإن كان غير ذلك انتفض به الصراط انتفاضة صار بين كل عضو من أعضائه مسيرة سنة ثم ينخرق به الصراط فيبقى قعر جهنم لا يجر وجهه (وروى) معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القاضي

يرذل في منزلة أبعد من عدن في جهنم (وقالت) عائشة رضي الله عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى في شدة الحساب على ما قضى (٨٢) حتى يود أنه لم يقض بين اثنين في مرة (وروى) الحسن البصري أن النبي صلى الله عليه وسلم

ولادته بنافع له في تالاب العصبية اذهى مباينة لذلك النسب وعصبية ذلك النسب مقودة لذهاب سرها عند التحامه بهذا النسب الا خروفا قد انه اهل عصبية اقصى من هؤلاء ويندرج فيهم فاذا تعددت له الا باء في هذه العصبية كان له بينهم شرف وبيت على نسبته في ولائهم واصطناعهم لا يتجاوزها الى شرفهم بل يكون ادون منهم على كل حال وهذا شأن الموالى في الدول والخدمة كلهم فانما يشرفون بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعد الا باء في ولايتها لا ترى الى موالى الا تراك في دولة بني العباس والى بني برمك من قبلهم وبني نوبخت كيف ادر كوا البيت والشرف وبنوا الحمد والاصالة بالرسوخ في ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من اعظم الناس بيتا وشرفا بالانساب الى ولاء الرشيد وقومه لا بالانساب في القرس وكذا موالى كل دولة وخدمتها انما يكون لهم البيت والمحسب بالرسوخ في ولائها والاصالة في اصطناعها ويضمحل نسبة الاقدام من غير نسبها ويبقى ما بقي لا عبرة به في اصالة ومجده وانما المعتبر نسبة ولائه واصطناعه اذ فيه سر العصبية التي بها البيت والشرف فكان شرفه مستقام من شرف مواليه وبنائه من بنائهم فلم يتفقه نسب ولادته وانما بني مجده نسب الولاة في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والترتبة وقد يكون نسبة الاول في لحمة عصبية ودولته فاذا ذهبت وصار ولاؤه واصطناعه في أخرى لم تنفعه الاولى لذهاب عصبية وانما تقع بالثانية لوجودها وهذا حال بني برمك اذا منقول أنهم كانوا اهل بيت في القرس من مدينة بيوت النار عندهم ولما صاروا الى ولاء بني العباس لم يكن بالاول اعتبار وانما كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى هذا فاقومهم توسوس به النقوس الجاحدة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وان اكرمكم عند الله اتقاكم والله ورسوله أعلم

١٥ * (فصل في ان نهاية المحسب في العقب الواحد أربعة آباء) *

* (اعلم) ان العالم العنصري بما فيه كائن فاسد لا من زوانه ولا من احواله فالكمونات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات الانسان وغيره كائنات فاسدة بالمعانيقة وكذلك ما يعرض لها من الاحوال وخصوصا الانسانية فالعلوم تنشأ ثم تدرس وكذا الصنائع وامثالها والمحسب من العوارض التي تعرض للادميين فهو كائن فاسد لا محالة وليس يوجد لاحد من اهل الخليقة شرف متصل في آبائه من لدن آدم اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة وحيطة على السرفية اول كل شرف خارجية كما قيل وهي الخروج عن الرياسة والشرف الى الضعة والابتذال وعدم المحسب ومعناه ان كل شرف وحسب فعده سابق عليه شأن كل محدث ثم ان نهايته في اربعة آباء وذلك ان باي المجد عالم عا عا في بنائه ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقائه وابنه من بعده مباشر لابيه قد سمع منه ذلك واخذ عنه الا أنه مقصر في ذلك نقص السامع بالشيء عن المعين له ثم اذا جاء الثالث كان حظها الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني نقص المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقهم جملة واضاع الخلال المحافظة لبناء مجدهم واحقرها وتوهم ان ذلك البنيان لم يكن بمعاونة ولا تكاف وانما هو امر وجب لهم منذ اول النشأة بمجرد اتساعهم وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم انه النسب فقط فير بأبنائه عن اهل عصبية يرى الفضل له عليهم وثوقا بما ربي فيه من استنباعهم وجهه لا بما اوجب ذلك الاستنباع من الخلال التي منها التواضع لهم والاخذ بمجامع قلوبهم فيحتقرهم بذلك فينغصون عليه ويحتقرونه ويذيلون منه سواءه من اهل ذلك المنبت ومن فروعه في غير ذلك العقب لا لانهم اعصيتهم كما قلناه بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتمتوا فروع هذا ونذوى

دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله خذني فقال اعد في بيتك وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي وادن اقوام يوم القيامة لو وقعوا من الدنيا ولم يكونوا اعراء على شيء وكم من متحول في مال الله ومال رسوله له النار غدا (وفي) الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من امتي لا تتالهما شقاعة يوم القيامة امام ظالم غشوم وغال في الدين مارق منه (وقال) أبو هريرة رضي الله عنه ما من امير يؤمر على عشرة الاجي به يوم القيامة مغلولاً لنجاه عمله أو أهله (وقال) طائوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري يا امير المؤمنين من أشد الناس عذابا يوم القيامة من اشركه الله في ملكه فخاف في حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي وما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه (وقال) حذيفة بن اليمان من اقرب الساعة ان يكون اعراء فجرة وقراء كذبة وامناء خونة وعلماء فسقة وعرفاء ظلمة (وقال) عبيد بن عمير ما زاد رجل من السلاطان قرا بالازداد من الله بعدا

ولا كثر اتباعه الا كثر شيطانه ولا كثر ماله الا كثر حسابه (وفي الحديث) عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة فروع اثنان في النار وواحد في الجنة رجل قضى بغير علم فهو في النار ورجل قضى بعلم فجازفه في النار ورجل قضى بالحق فهو في الجنة رواه

بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم (وقال) ابن سيرين جاء صبيان الى عبيدة السلماني يتخايرون اليه في الواحهم فلم ينظر فيها وقال هذا حكم ولا اتولى حكما أبدا (وتخاير) غلامان الى ابن عمر فجعل ينظر الى كتابتهما وقال هذا حكم (٨٣) ولا بد من النظر فيه * والمصنفون

يرسلون في كتبهم حديثا مرفوعا رواه أبو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدم الى القضاء فقد ذبح بغير سكين (وفي أخبار) القضاة ان قاضيا قدم الى بلد فجاءه رجل له عقل ودين فقال له أيها القاضي أبلغك قول النبي صلى الله عليه وسلم من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين قال نعم قال فبلغك ان أمو والناس ضائعة في بلدنا فحدث

تخبرها قال لا قال أفأكرهك السلطان على ذلك قال لا قال فاشهد أني لا أمالك بحاسا ولا أؤدى عنه ذلك شهادة أبدا (وروي) أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال في بعض خطبه ان الملك اذا ملك ربه الله في ماله وورثه فمعا في بدعيه واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط الكثير جذل الظاهر خرين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره ومحي ظله حاسبه الله فاشد حسابه وأقل عقوه (وذكر)

السلطان لا عرائي فقال والله لئن عز وافي الدنيا بالجور لقد ذلوا في الآخرة بالعدل وبالقيل فان رضوا عن

فروع الاول ويندم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبايل والامراء اهل العصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا انخطت بيوت نشأت بيوت أخرى من ذلك النسب ان يشايدهمكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واشد تراط الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والافقديد ثرا البيت من دون الاربعة ويتلاشى ويندم وقد يتصل امرها الى الخامس والسادس الا أنه في الخطاط وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان ومباشر له ومقدود هادم وهو أقل ما يمكن وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم انما الكر يم ابن الكر يم ابن الكر يم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم اشارة الى أنه بلغ الغاية من الجحد وفي التوراة ما معناه أنا الله ربك طائفي غيور مطالب بذنوب الاباء للبنين على الثواب وعلى الرابح وهذا يدل على ان الاربعة الاعقاب غاية في الانساب والحسب ومن كتاب الاغانى في اخبار عزيذ الغواني أن كسرى قال للنعمان هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال باي شيء قال من كان له ثلاثة آباء متواليه رؤساء ثم اتصل ذلك بكامل الرابح فالبيت من قبيلته ومطلب ذلك فلم يجبه الا في آل حذيفة بن بدر الفزاري وهم بيت قيس وآل ذي الجدين بيت شيمان وآل الاشعث بن قيس من كندة وآل حاجب بن زرارة وآل قيس بن عاصم المنقري من بني تميم فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائريهم وأقدمهم الحكام والعدول فقام حذيفة بن بدر ثم الاشعث بن قيس اقربا منه من النعمان ثم بسطام بن قيس بن شيمان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس بن عاصم وخطبوا واثروا فقال كسرى كلهم سيدي يصلح لوضع يده وكانت هذه البسوات هي المذكورة في العرب بعديني هاشم ومعهم بيت بني الذبيان من بني الحرث بن كعب بيت النخعي وهذا كله

يدل على ان الاربعة الاباء نهاية في الحسب والله اعلم

١٦ * (فضل في أن الأمم الوحشية قد رعى التغلب عن سواها) *

* (اعلم) * انه لما كانت البداوة سببا في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة لاجرم كان هذا الجمل الوحشي اشد شجاعة من الجمل الاخر فهم اقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواهم من الامم بل الجمل الواحد يختلف احواله في ذلك باختلاف الاعصار فكلما نزلوا الارياق وتفننوا النعيم والقواء واذا الخصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بقدر ما نقص من توحشهم وبدوتهم واعتبر ذلك في الحيوانات الجمل بدواجن الطباء والبقر الوحشية والحمر اذا زال توحشها بمخالطة الادميين واخصب عيشها كيف يختلف حالها في الاتهاض والشد حتى في مشيتها وحسن اديها وكذلك الادمي المتوحش اذا انس وآلف وسببه ان تكون السجاياء والطباع انما هو عن المألوفات والعوائد اذ كان التغلب للامم انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من هذه الاجيال اعرق في البداوة واكثر توحشا كان اقرب الى التغلب على سواء اذا تقاربا في العدد وتكافأ في القوة والعصبية وانظر في ذلك شأن مضر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة المتوطنين ارياف العراق ونعيمه لما بقي مضر في بداوتهم وتقدمهم الاخرون الى خصب العيش وغضارة النعيم كيف ارمقت البداوة حدهم في التغلب فغلبوهم على ما في أيديهم وانتزعوه منهم وهذا حال بني طيئ وبني عامر بن صعصعة وبني سليم بن منصور من بعدهم لما تأخروا في باديتهم عن سائر قبائل مضر واليمن ولم يتلبسوا بشيء من دنياهم كيف أمسكت حال البداوة عليهم قوة عصبيتهم ولم تخلفها مذهب الترف حتى صاروا اغلب على الامم منهم وكذا كل حي من العرب يلي نعيمها وعيشها خصبها دون الحي الاخر فان الحي المبتدى يكون اغلب له واقدرا عليه اذا تكافأ في القوة والعدد سنة الله في خلقه

كثير باق وانما يكون الندم حين لا ينفع الندم (وقال) أبو بكر بن أبي مريم حج قوم فسات صاحب لهم يارض فلا فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا دلنا على الماء قال احلقوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم يكن فيكم صراف ولا ميكاسا ولا عريثا ولا يرديا ويرى ولا عرافا

فأنا أدلكم على المسألة فله والة ثلاثون يميناً فقدمهم على المسألة ثم قالوا له عسله فقال احلفوا لي ثلاثون يميناً
على عسله ثم قالوا تقدم وصل عليه قال لا حتى تحلفوا لي أربعاً وثلاثين
(٨٤)

١٧ * (فصل في أن الغاية التي تجرى اليها العصبية هي الملك) *

وذلك لأننا قدمنا أن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يحتاج مع عليه وقدمنا أن
الادميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد أن
يكون متعلماً عليهم بتلك العصبية والام تم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو أمر زائد على الرئاسة
لأن الرئاسة إنما هي سودود صاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في أحكامه وأما الملك فهو التغلب والحكم
بالقهر وصاحب العصبية إذا بلغ إلى رتبة طلب ما فوقها فإذ بلغ رتبة السودود والاتباع وجد السبيل إلى
التغلب والقهر لا يتركه لأنه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه إلا بالعصبية التي يكون بها متبوعاً
فالتغلب الملكي غاية للعصبية كما رأيت ثم إن القبيل الواحد وان كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات
متعددة فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستطيعها وتلحق جميع العصبيات فيها وتصير
كانها عصبية واحدة كبرى والواقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف والتنازع ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسد الأرض ثم إذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلب على
أهل عصبية أخرى بعيدة عنها فان كافتها وأمنعتها كانوا اقتتالاً وانظاراً لكل واحدة منهم ما للتغلب على
حوزتها وقومها شأن القبائل والأمم المتفرقة في العالم وان غلبتها واستتبعتها التحمت بها أيضاً وزادت قوتها
في التغلب إلى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم أعلى من الغاية الأولى وأبعد وهكذا دائماً حتى
تتكافئ بقوتها قوة الدولة فان أدركت الدولة في هرما ولم يكن لها مانع من أولياء الدولة أهل العصبيات
استولت عليها وانتزعت الأمر من يدها وصار الملك أجمع لها وان انتهت إلى قوتها ولم يقارن ذلك هرم
الدولة وانما قارن حاجتها إلى الاستظهار بأهل العصبيات انتظمتها الدولة في أوليائها استظهر بها على ما بين
من مقاصدها وذلك ملك آخر دون الملك المستبد وهو كواقع للترك في دولة بني العباس ولصناعة وزانة
مع كلمة ولبن جدان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية فقد ظهر أن الملك هو غاية العصبية وأنها
إذا بلغت إلى غايتها حصل للقبيلة الملك أما بالأسبدياً وبالظاهر على حسب ما يسهل الوقت المقارن لذلك
وان عاقبها عن بلوغ الغاية عوائق كما نبينه ووقت في مقامها إلى أن يقضى الله بامر

١٨ * (فصل في أن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم) *

وسبب ذلك أن القبيل إذا غلبت بعصبيتها بعض التغلب استولت على النعمة بمقداره وشاركت أهل النعم
والخصب في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصصة بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان
كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع أحد في انتزاع أمرها ولا مشاركتها فيه أذعن ذلك القبيل لولايتها
والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم إلى شيء من منازع الملك
ولا اسبابه إنما هم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة إلى الدعة والراحة والاختار
بمذاهب الملك في المباني والملابس والاستكثار من ذلك والتأني فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف
وما يدعوا إليه من توابع ذلك فتذهب خشونة البدن وداوة وتضعف العصبية والبساقو يتنعمون فيما
آتاهم الله من البسطة وتنشأ بنوهم وأعقابهم في مثل ذلك من الترف عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم
ويستكفون عن سائر الأمور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك خلقاً لهم وسجية فتتقص عصبيتهم
وبسالتهم في الأجيال بعدهم بتعاقبها إلى أن تنقرض العصبية فيأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم
ونعمتهم يكون أشرفهم على الفناء فضعف الملك فان عوارض الترف والغرق في النعيم كاسر من سورة

يميناً كما تقدم فصل عليه
ثم التفتوا فلم يجدوا أحداً
وكان يزعمون أنه الخضر عليه
السلام (وقال) ابن مسعود
قال النبي صلى الله عليه
وسلم أشد الناس عذاباً
يوم القيامة رجل قتل
نبياً وقتله نبي وأمام ضلالة
ومثل من الممثلين (وقال)
أبو ذر قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ست
أيام أعقل يا أبا ذر ما أقول
لك ثم لما كان في اليوم
السابع قال أوصيك
بثقة في الله في أمر سر
وعلا نيتك فإذا أسأت
فاحسن ولا تسأل أحداً
وان سقط سوطك ولا
تؤوين أمانة ولا تؤوين
يتيماً ولا تعضين بين اثنين
(وقال) أبو ذر أيضاً قال لي
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا أبا ذر إن أحب لك
ما أحب لنفسي وإنى أراك
ضعيفاً لا تتأمرن على اثنين
ولا تلبس مال يتيم (وروى)
أبو ذر أيضاً قالت يا رسول
الله ألا تستعصمني فضرب
بيده على منكبي وقال لي
يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها
أمانة وإنها يوم القيامة
خزينة وإذا لم تأخذها
بحقها وادى الذي عليه
فيها (وروى) علي بن أبي

طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأنا حديث السن فقلت
يا رسول الله إنك تبعثني إلى قوم شيوخ ذوي أسنان ولا علم لي بالقضاء فقال إن الله سبحانه هادي قلبك ولسانك فإذا جلس الخصمان

فلا تقض للاول حتى تسمع كلام الاخر فانك اذا سمعت ذلك عرفت كيف تقضى (فان قال قائل) كيف تهى اباذر عن القضاء واخر
عليها بالقضاء مع ما فيه من التعرير وما روى بان من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكن (٨٥) وفيه البعد عن حضرته والتعن بالمشاهدة

العصبية التي بها التغلب واذا انقضت العصبية قصر القبول عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة
والتمتع بالامم سواهم فقد تبين ان الترف من عوائق المالك والله يؤتى ملكه من يشاء

١٩ * (فصل في ان من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانتقاد الى سواهم) *

وسبب ذلك ان المذلة والانتقاد كاسران لسورة العصبية وشدها فان انتقادهم ومذلتهم دليل على فقدانها
فأرغوا المذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فأولى ان يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة
واعتبر ذلك في بني اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك الشام واخبرهم بان الله قد كتب لهم
ملكها كيف عجزوا عن ذلك وقالوا ان فيها قوم اجبارين واننا نندخلها حتى يخرجوا منها الى يخرجهم الله
تعالى منها بضرب من قدرته غير عصبية نأوتكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم عليهم لجؤا وارتكبوا
العصيان وقالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا وما ذلك الاما آتسوا من انفسهم من العجز عن المقاومة
والمطالبة كما تقتضيه الآية وما يؤثر في تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانتقاد وما رغو من الذل
للقبط أحقابا حتى ذهبت العصبية منهم جملة مع انهم لم يؤمنوا حتى الايمان بما اخبرهم به موسى من ان
الشام لهم وان العمالة الذين كانوا باربعاء فرسيتهم يحكم من الله قدره لهم فأقصر وامن ذلك وعجزوا
تعالى بل على ما علموا من انفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما اخبرهم به
نبيهم من ذلك وما أمرهم به فعاقبهم الله بالنسبة وهو انهم تاهوا في قفر من الارض ما بين الشام ومصر أربعين
سنة لم يأووا فيها العمران ولا نزلوا مصر ولا خالطوا بشر كما قصه القرآن لغلظة العمالة بالشام والقبط بمصر
عليهم لعجزهم عن مقاومتهم كزعموه ويظهر من مساق الآية ومفهومها ان حكمة ذلك التبيه مقصودة
وهي فناء الجبل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوة وتخلعوا به وأفسدوا من عصبيتهم حتى تشأى
ذلك التبيه جيل آخر عز يزلا يعرف الاحكام والقهر ولا يسام بالمذلة فنشأت لهم بذل عصبية اخرى
اقتدر وانها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك ان الاربعين سنة اقل ما يأتي فيها فناء جبل ونشأة
جيل آخر سبحانه الحكيم العليم وفي هذا أوضح دليل على شأن العصبية وانها هي التي تكون بها المدافعة
والمقاومة والحماية والمطالبة وان من فقدانها عجز عن جميع ذلك كله ولحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة
للقبيل شأن المغارم والضرائب فان القبيل الغارمين ما أعطوا اليه من ذلك حتى رضوا بالمذلة لفساد في
المغارم والضرائب ضما ومذلة لا تحتملها النفوس الالوية الا اذا استهوتته عن القتل والتلف وان عصبيتهم
حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ومن كانت عصبية لا تدفع عنه الضيم فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد
حصل له الانتقاد للذل والمذلة عاتقة كما قدمنا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في شأن الحرث لما رأى سكة
الحرث في بعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم لا دخلهم الذل فهو دليل صريح على ان المغرم موجب
للمذلة هذا الى ما يجب ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رأيت القبيل بالمغارم في
ريقة من الذل فلا تطمع من لها ملك آخر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم ان زبانية بالمغرب كانوا شايبة
يؤدون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رأيت اذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك
ولا تمت لهم دولة وانظر فمقاله شهر براز ملك الباب لعبد الرحمن بن ربيعة لما اطل عليه وسأل شهر براز امانه
على ان يكون له فقال انا اليوم منكم يدي في أيديكم وصغري معكم فرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وخر بيثنا
اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ولا تذولونا بالجزية فتوهنونا العدوكم فاعتبر هذا فيما قلناه فانه كاف

٢٠ * (فصل في ان من دلائل الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس) *

به وجار في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق ففرض للناس على جهل فهو في النار (قلت) فهذا الرجلان ضعيفان عن رتبة
القضاء احدهما بعشه وظلمه والاخر بجهله وقد عابت جهلة بني اسرائيل طالوت فقالوا اني يكون له المالك علينا ونحن احق بالملك منه ولم

وتعلم سذنه وشرائع دينه
والخلق باخلاقه وشيعة
وايهما افضل المتول بين
يديه والكون بحضرته
ومشاهدته والصلاة خلفه
او القضاء في غيبته مع البعد
عنه (قلنا) انما تهى اباذر
لمعني فيه يقصر به عن
رتبة القضاء عما كان ضده
في على رضي الله عنه ثم قال
في آخره الامن اخذها
بحكمة وأدى الذي عليه
فيها فاستدلنا بذلك على
ان من استخفعت فيه
شروط القضاء وكان قويا
على انقاذه لم يدخل تحت
النهي وعما بعد ضعفا عن
القضاء طلبه اياه اذ لم يدر
غواقبه وقد وصف الله
سبحانه المتسرع الى الامانة
بالجهل فقال تعالى انا
عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين
ان يحملنها واشفقن منها
وجعلنا الانسان انه كان
ظالما جهولا أي ظلوما
لنفسه جهولا بعاقبة أمره
والدليل على صحة هذا
التأويل قول النبي صلى
الله عليه وسلم القضاء ثلاثة
اثنتان في النار وواحدة في
الجنة رجل عرف الحق
فقضى به فهو في الجنة
ورجل عرف الحق فلم يقض

يؤت سعة من المال فعابوه فخصلتين الفقر وانه ليس من سبط المملكة فقال لهم ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
فبين شروا الولايات والممالك (٨٦) وانها تنقزل الى العلم الذي به يحكم والى القوة التي بها تنفذ الاحكام دون ما ظنه بنوا اسرائيل

لما كان الملك طبعيا للانسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الانسان اقرب الى خلال الخير
من خلال الشر باصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لان الشر انما جاء من قبل القوى الحيوانية التي
فيه وامان حيث هو انسان فهو الى الخير وخاله اقرب والملك والسياسة انما كان له من حيث هو
انسان لانها خاصة للانسان لا للحيوان فاذن خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك اذا الخير
هو المناسب للسياسة وقد ذكرنا ان الجدل اصل ينبت عليه ويتحقق به حقيقة وهو العصبية والعشيرة
وفرع يتم وجوده ويكملوه وهو الخلال واذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لفرعها ومتماتها وهي
الخلال لان وجوده دون متماته كوجود شخص مقطوع الاعضاء وظهره ورءه يابا بين الناس واذا كان
وجود العصبية فقط من غير انفعال الخلال المحيطة تنقص اهل البيوت والاحساب فظنك باهل الملك
الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب وايضا فالسياسة والملك هي كفالة للخلق وخلافة لله في العباد
لتنفيذ احكامه فيهم واحكام الله في خلقه وعبادته انما هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع واحكام
البشر انما هي من الجهل والسيطان بخلاف قدرة الله سبحانه وقدره فانه فاعل للخير والشر معا ومقدرهما
اذ فاعل سواء فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة او نمت منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ احكام
الله في خلقه فقد تهيأ للخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا البرهان اوثق من
الاول واصح مبني فقد تبين ان خلال الخير شاهدة بوجود الملك لمن وجدت له العصبية فاذا نظرنا في اهل
العصبية ومن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والامم فوجدناهم يثنا فسون في الخير وخاله من
الكرم والعقود والزلات والاحتمال من غير القادر والقرى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدم والصبر
على المكاره والوفاء بالعهد وبذل الاموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء والمعلمين
لها والوقوف عند ما يجدونه لهم من فعل او ترك وحسن الظن بهم واعتقاد اهل الدين والتبرك بهم ورغبة
الدعاء منهم والحياء عن الاكبر والمشايع وتوقيرهم واجلالهم والانقياد الى الحق مع الداعي اليه وانصاف
المستضعفين من انفسهم والتبذل في احوالهم والانقياد للحق والتواضع للمسكين واستماع شكوى
المستغنين والدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى اسبابها والتجافي عن الغدور والمكر والخديعة
ونقض العهد وامثال ذلك علمنا ان هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها ان يكونوا اساسا لمن
تحت ايديهم وعلى العموم وانه خير ساقه الله تعالى اليهم مناسب لعصبيتهم وغلظهم وليس ذلك سدى فيهم
ولا وجد عبثا منهم والملك انما هو المراتب والخيرات لعصبيتهم فعملنا بذلك ان الله تاذن لهم بالملك وساقه
اليهم وبالعكس من ذلك اذا تاذن الله بانقرض الملك من امة جعلهم على ارتكاب المذمومات وانكسار
الردائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص الى ان يخرج الملك من
ايديهم يتبدل به سواء لم يكن نعيما عليهم في سلب ما كان الله قد اتاههم من الملك وجعل في ايديهم
من الخير واذا اردنا ان نعلم قربة امرنا مترفيا ففسقوا فيها فحق عليها القول قد مرنا هاتدمير او اسبق ذلك
وتبعه في الامم السابقة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار (واعلم) ان من خلال
الكمال التي يتنافس فيها القبائل اولو العصبية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلماء والاصالحين
والاشراف واهل الاحساب واصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم وذلك ان اكرام القبائل
واهل العصبية والعشائر ينالونهم في الشرف ويحاذيهم حبيل العشيرة والعصبية ويشاركونهم في اتساع
الجاه امر طبيعي يحتمل عليه في الاكثر الرغبة في الجاه او الخفاقة من قوم المكرم او التماس مثاهمته واما امثال

واما قولك ايها افضل
القضاء في غيبته او المحضور
بين يديه والكون في
حضرته فالجواب ان اوامره
عليه السلام فرض يعصى
بتركه والكون في حضرته
مستحب بعد الهجرة
لا يعصى بتركه فعملنا بهذا
انه انما بعث علما رضى الله
عنه للقضاء لانه افضل من
سكناه بحضرته لانه مبلغ
عنه الى الخلائق شر يعته
التي بعثه الله بها فهو خلقه
في ذلك يدل على هذا انه
أوجب الجنة لمن قضى
بالحق

*) (الباب الرابع في بيان
معرفة ملك سليمان بن
داود عليهم السلام ووجه
طلبه الملك وسؤاله ان
لا يؤتى لاحد من بعده)*)
قال هب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدى فطلب
الملك ثم زاد على ذلك بان
لا يؤتى مثله احدا بعده
وكان ظاهره يؤذن بالبخل
والكلام على هذه الآية
من وجوه (احدها) انه
انما سأل هذا بعد ان سلبه
الله تعالى ملكه ثم أعاده
اليه فحين طلب الملك كان
ملكه كفاكته قال هذا الملك
الذي جددته لي هب لي
على صفات لا أعصيت فيها

فتسلبني اياه وتعاينني يدل عليه انه بدأ بالمعفرة فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا أي ملكا لا أعصيت
فيه فتواخذني والدليل على صحة هذا قوله تعالى هذا عاونا فامتن او امسك بغير حساب فيكافه اجاب دعاه فقال تصرف كيف شئت

فلا حساب عليك فيه وقيل ان اعطيت اجرت وان امسكت فلا تبعه عليك فيه وهذا يخص بص سليمان بن داود عليهما السلام ولم يخص به احدا من ولد آدم سواه لان الله تعالى قال للخلائق فوربك لنسألنهم اجمعين (٨٧) عما كانوا يعملون واما قوله لا ينبغي لاحد

من بعدى فعنه لا سلبه في باقي عمرى فصير غيرى كما سلبته فيما مضى من عمرى وقيل لا تسلط على فيه شيطانا مثل الذي قد سلطت على وقيل انما سأل ذلك ليكون علماء على المغفرة وقبول التوبة فاجيب الى ذلك فعلم انه قد غفر له وقيل انما سأل ذلك ليكون آية لنبوته

وعلم على محبته وقال مقاتل كان سليمان بن داود ملكا وليكنه اراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدى تسخير الرياح والطير يدل عليه ما بعده وهو قوله تعالى فسخرنا له الريح الى آخرة الآية وقيل ان سليمان كان ملكه في خاتمة ولهذا ذهب ملكه بذهاب خاتمه فقال لا ينبغي لاحد من بعدى يعني اعمل ملكي في نفسي لاني خاتمي حتى لا يملكه احد غيري فان ابليس لما اخذ خاتم سليمان الى تحول ملك سليمان الى ابليس وقعد على كرسيه يحكم فيه حتى انكرت بنو اسرائيل احكامه وكان قد اتى عليه شبهه (وقال) عمرو بن عثمان المكي انما اراد به ملك النفس

وقهر الهوى يدل عليه ما روى سليمان الشيباني قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم لم قال ارايت سليمان وما آناه الله من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى السماء فخشع الله تعالى حتى قبضه الله تعالى زاد غيره انما اراد ملك النفس وقهره الله لا يفتن بامه ملكه ولهذا قدم

هؤلاء عن انفس لهم عصية تنقي ولا جاه يرتجي فيندفع الشك في شأن كرامتهم ويتمحض القصد فيهم انه للمجد وانتحال الكمال في الخلال والاقبال على السياسة بالكلية لان اكرام اقاته وامثاله ضروري في السياسة الخاصة بين قبيله ونظراته واكرام الطارين من اهل الفضائل والخصوصيات كمال في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للجاه اليهم في اقامة مراسم الشريعة والتجار للترغيب حتى تعم المنفعة بما في ايديهم والغرباء من مكارم الاخلاق وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيهم لم يوجد ذلك من اهل عصيته انما وهم للسياسة العامة وهي الملك وان الله قد تآذن بوجودها فيهم لم يوجد علامتها ولهذا كان اول ما يذهب من القليل اهل الملك اذا تآذن الله تعالى بسلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف من الخلق فاذا رايته قد ذهب من امة من الامم فاعلم ان الفضائل قد اخذت في الذهاب عنهم وارقت زوال الملك منهم واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له والله تعالى اعلم

٢١ * (فصل في انه اذا كانت الامم وحشية كان ملكها اوسع) *

وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستعداد كما قلناه واستعداد الطوائف لقدرتهم على محاربة الامم سواهم ولاتهم يتزولون من الامم منزلة المفترس من الحيوانات النجم وهو لا يمثل العرب ووزانة ومن في معناهم من الاكراد والتركمان واهل الشام من صنهاجة وايضا فهو لا يمثل وحشون ليس لهم وطن يرتافون منه ولا يديحون اليه فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على السواء فهذا لا يقتصر على ملكة قطرهم وما جاودهم من البلاد ولا يقفون عند حدود اقطارهم بل يتفرون الى الاقاليم البعيدة ويتغلبون على الامم النائية وانظر ما يحكي في ذلك عن عمر رضي الله عنه لما يوسم وقام يحرض الناس على العراق فقال ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة ولا يقوى عليه اهلها الا بذلك أين القراء المهاجرون عن موعد الله سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان يورثكموها فقال لظهره على الدين كله ولو كره المشركون واعتبر ذلك ايضا بحال العرب السالفة من قبل مثل التبابعة وجبر كيف كانوا يخطون من اليمن الى المغرب مرة الى العراق والمند أخرى ولم يكن ذلك لغير العرب من الامم وكذا حال المسلمين من المغرب لما نزحوا الى الملك طرفة وامن الاقليم الاول ومجالاتهم منه في جوار السددان الى الاقليم الرابع والخامس في مالك الاندلس من غير واسطة وهذا شأن هذه الامم الوحشية فلذلك تكون دولتهم اوسع نطاقا وابعد من مراكزها نهاية والله يقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا شريك له

٢٢ * (فصل في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من عوده

الى شعب آخر منها مادامت لهم العصية) *

والسبب في ذلك ان الملك انما حصل لهم بعد سورة الغلب والاذعان لهم من سائر الامم سواهم فبتعين منهم المباشر وللامر الحاملون لاسرير الملك ولا يكون ذلك بجمعهم لاساهم عليه من الكثرة التي يضيق عنها نطاق المزاوجة والغيرة التي تجدد أنوف كثير من المتطاولين للرتبة فاذا تبين أولئك القائلون بالدولة انفسوا في النعيم وغرقوا في بحر الترف والخصب واستعبدوا اخوانهم من ذلك الجبيل وانفقوهم في وجوه الدولة ومذابها وبقي الذين بعدوا عن الامر وكبحوا عن المشاركة في ظل من عز الدولة التي شاركوها بنسبهم وبمنجاة من الهرم لبعدهم عن الترف واسبابه فاذا استولت على الاولين الايام وابدغضراءهم الهرم فطبختهم الدولة وكل الدهر عليهم وشرب بما اروهف النعيم من حدهم واشتفت غريزة الترف من مأثمهم وبلغوا خاتمتهم من طبيعة التمدن الانساني والتغلب السياسي (شعر)

سؤال المغفرة على طلب المملوكة وقال بعض الوعاظ انما اراد حتى انتقم لا دم من ابليس وذريته حيث كان سبيها في اخراجهم وذريته من الجنة (وروي) البخاري في صحيحه (٨٨) ان النبي عليه السلام قال ان عقر يثامن الجن جعل يثقات على البارحة ليقطع على

كرد والقر يذبح ثم يقنى * بمرکز نسجه في الانعكاس

كانت حينئذ عصبية الاخرين موفورة وسورة عليهم من الكاسر محفوفة وشارتهم في الغلب معلومة ففسدوا آمالهم الى الملك الذي كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من جنس عصبيتهم وترفع المنازعة لما عرف من غلبهم فيستولون على الامرو يصير اليهم وكذا ينطق فيهم مع من بقي ايضا من بني اعدائهم من عشائر امهم فلا يزال الملك ملجأ في الامة الا ان تنكسر سورة العصبية منها او يقنى سائر عشائرها سنة الله في الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للثقلين واعتبرهم ذابا وقع في القرب ما انقرض ملك عاد قام به من بعدهم اخوانهم من ثمود ومن بعدهم اخوانهم العماقية ومن بعدهم اخوانهم من حمير ومن بعدهم اخوانهم التباينة من حمير ايضا ومن بعدهم الاذواء كذلك ثم جاءت الدولة لمضر وكذا القريش ما انقرض امر السكينة ملك من بعدهم الساسانية حتى تأذن الله بانقرضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض امرهم وانقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب ما انقرض امر مغراوة وكما الملوك الاول منهم رجوع الى صنهاجة ثم الملمين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقي من شعوب زبانية وكذا سنة الله في عباده وخلقه واصل هذا كله انما يكون بالعصبية وهي متفاوتة في الاجيال والملك يحلقه القرب ويذهب به كما سئذ كره بعد فاذا انقرضت دولة فانما يتناول الامر منهم من له عصبية مشاركة لعصبيتهم التي عرف لها التسليم والانقياد واونس منها الغلب لجميع العصبيات وذلك انما يوجد في النسب القريب منهم لان تفاوت العصبية بحسب ما قرب من ذلك النسب التي هي فيه او بعد حتى اذا وقع في العالم تبديل كبير من تحويل ملة او ذهاب عمران او ما شاء الله من قدرته حينئذ يخرج عن ذلك الجدل الى الجيمل الذي يأذن الله بقيامه بذلك التبديل كما وقع لمضر حين غلبوا على الامم والدول واخذوا الامر من ايدي اهل العالم بعد ان كانوا مكبوحين منه احقابا

٢٣ * (فصل في ان المغلوب مولع ابديا لا اقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحوه وسائر احواله وعوائده) *

والسبب في ذلك ان النفس ابدية تعتقد الكمال فمن غلبها وانقادت اليه اما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه او لما تعاط به من ان انقيادها ليس لغلب طبعي انما هو لكمال الغالب فاذا غا طت بذلك واتصل لها حصل اعتقادا فانحلت جميع مذهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء او ما تراه والله اعلم من ان غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس وانما هو بما انحلت من العوائد والمذاهب تغا ط ايضا بذلك عن الغلب وهذا راجع للاول ولذلك ترى المغلوب يشبه به ابديا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها واشكالها بل وفي سائر احواله وانظر ذلك في الانباء مع آياتهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائما وما ذلك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على اهله زى الحمامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انه اذا كانت امة تتجاوز اخرى ولها الغلب عليها فيسرى اليهم من هذا التشبه والاعتقاد حفظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد مع امة الخلافة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستبداد والامر له وتأمل في هذا سر قوهم العامة على دين الملك فانه من باب اذ الملك غالب لمن تحت يده والرعية ممتدة دون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الانباء بآياتهم والمتعلمين بعلمهم والله العالم الحكيم وبه سبحانه وتعالى التوفيق

٢٤ * (فصل في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها القناء) *

صلاتي وان الله تعالى امكنني

منه فصر عنه واقد هممت ان اربطه الى ساريته من سوارى المسجد حتى يصبح فنظرون اليه كلهم فذكرت قول سليمان هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى فرده الله خاسئا (فان قيل) فما معنى قول يوسف عليه السلام اجعاني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (قلت) يستفاد من الآية ان من حصل بين يدي ملك لا يعرف قدره او امة لا يعرفون فضله فخاف على نفسه او اراد ابراز فضله جازله ان ينهبهم على مكانه وما يحسنه

دفع الامر عن نفسه او

اظهار الفضله فيجعل في مكانه وفيه فائدة اخرى وهو انه اذا رأى الامور في يد الخونة واللصوص ومن لا يؤدى الامانة ويعلم من نفسه اداء الامانة مع الكفاية جازله ان ينهبه السلطان على امانته وكفايته ولهذا قال بعض العلماء من اصحاب الشافعي من كمل فيه الاجتهاد وشروط القضاء جازله ان ينهبه السلطان على مكانه ويخطبه خطة القضاء وقال بعضهم بل يجب ذلك عليه

اذا كان الامر في يدي من لا يقوم به

(الباب الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا) *

والسبب

قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعني لولا ان الله تعالى اقام السلطان في الارض يدفع القوي عن

الضعيف وينصف المظلوم من الظالم لاهلك القوى الضعيف وتواثب الخلق بعضهم على بعض فلا ينظم لهم حال ولا يستقر لهم قرار فتفسد الارض ومن عليها ثم امتن الله تعالى على الخلق باقامة السلطان فقال تعالى (٨٩) ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني في

اقامة السلطان فيما من الناس به فكون فضله على الظالم كلف يده عن المظلوم وفضله على المظلوم كلف يده عن الظالم عنه (وروى) أبوهريرة أن النبي عليه السلام قال ثلاثة لا ترد دعوتهم - الامام العادل والصائم حتى يقطر ودعوة المظلوم (وروى) ان النبي عليه السلام قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شاله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه (وروى) كثير بن مرة قال قال النبي عليه السلام السلطان ظال يرفعها قال لعمل الامام العادل في رعيته يوما أفضل من عبادة العابد في أهله

والسبب في ذلك والله أعلم ما يحصل في النفوس من التكاثر اذا ملك أمرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فبقصر الامل ويضعف النسل والاعتماد انما هو عن حدة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فاذا ذهب الامل بالتكاثر وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهبة بالغلب التحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعدتهم وعجزوا عن المداخلة عن أنفسهم بما خضعوا له من شوقهم فاصبحوا مغلبين لكل متغلب طعمة لكل آكل وسواهم كانوا حصوا على غايتهم من الملك اولى لم يحصلوا وفيه والله أعلم لم يترأخروا وان الانسان رئيس بطبيعته بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرئيس اذا غلب على رياسته وكبح عن غاية عزه تكاسل حتى عن شبع بطنه وري كبده وهذا موجود في اخلاق الاناسي ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وانها لا تسافر اذا كانت في ملكة الا كدمين فلا يزال هذا القبيل المملوك عليه أمره في تناقص واضمحلال الى أن يأخذهم الفناء والبقاء لله وحده واعتبر ذلك في أمة الفرس كيف كانت قدماء في العالم كثيرة ولم تافد حامية في أيام العرب بقي منهم كثير وأكثروا من الكثير يقال ان سعدا حصى من وراء المدائن فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين القام منهم سبعة وثلاثون القارب بيتا ولم يتحصوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم الا قليلا وذريرا كأن لم يكونوا ولا تحسبن ان ذلك الظلم نزل بهم أو عدوان شملهم فملكه الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على أمره وصار آلة لغيره ولهذا انما تدع للرق في الغالب أعم السودان لقص الانسانية فيهم وقر بهم من عرض الحيوانات النجم كما قلناه ومن يرجو بانتظامه في رتبة الرق حصول رتبة او افادة مال او عز كما يقع لملك الترك بالشرق والعلاج من الحلالقة والافرنجة بالاندلس فان العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يأنفون من الرق ما يأمرون به من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٢٥ * (فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط) *

وذلك انهم بطبيعة التوحش الذي فيه هم اهل انتهاب وعيت ينتهبون ما قد راعوا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون الى متبعهم بالفر ولا يذهبون الى المزاخفة والمخاطرة الا اذا دفعوا بذلك عن أنفسهم فكل معقل او مستعصب عليهم فهم تاركوه الى ما يسهل عنه ولا يعرضون له والقبائل الممتعة عليهم بما وعار الجمال بمنجاة من عيشهم وفسادهم لانهم لا يستمنون اليهم المضارب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر واما البسائط متى اقتدروا عليها بقصدان الحامية وضعة الدوة فهي نهب لهم وطعمة لا كاهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم الا ان يصيب اهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان ينقرض عمرانهم والله قادر على خلقه وهو الواحد القهار لا وب غيره

٢٦ * (فصل في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب) *

والسبب في ذلك انهم امة وحشية باستحسانهم عوائد التوحش واسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجلة وكان عندهم ما ذودوا ما فيه من الخروج عن رتبة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافاة للعمران ومناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فانحصر مثالا لما حاجتهم اليه لنصبه اثنائي للقدرة فينتقلونه من الماني ويخربونها عليه ويعودونه لذلك والخشب ايضا انما حاجتهم اليه لعمروا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه ليوثهم فيخربون

(١٢ - ابن خلدون) مائة سنة او ثمانين سنة (وقال) قيس بن سعد ليوم من امام عادل خير من عبادة رجل في بيته ستين سنة (وروى) ان سعد بن ابراهيم واباسمة بن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ومحمد بن صفوان قالوا لسيدي بن سليمان

ابن زيد بن ثابت ثابت قضاء يوم بالحق أفضل عند الله من صد لانتك عمرتك وسيستخرج لك صحة هذه الاقوال اذا وقعت على مانالته الرعية من
الصالح بصلاح السلطان (واعلم) (٩٠) ارشدك الله ان الانسان اعز جواهر الدنيا واغلاها قدرا واشرفها منزلة وبالسلطان صلاح

الانسان اذا فهو اعز اطلاق الدنيا واعمالها بركة ولذلك خلق الله تعالى دارين دار الدنيا ودار الآخرة ثم لما كان السلطان صلاح الدارين فخلق شخص يعينه العباد والبلاد ويصلح بصلاحه الدنيا والآخرة أن يكون شرفه عند الله عظيما كما كان قدره في العقول جسيما ومقامه عند الله كريما كما كان نفعه عيما وعلى قدر يوم المنتفة تشرف الاعمال وعلى قدر النعمة تكون المنة الا ترى ان الانبياء عليهم السلام أعم خلق الله نفعاهم أجل خلق الله قدروا لانهم تعاطوا اصلاح الخلائق واخراجهم من الظلمات الى النور كذلك سلطان الله في الارض هو خلافة النبوة في اصلاح الخلائق ودعائهم الى فناء الرحمن واقامة دينهم وتقويم اودهم وليس فوق السلطان العادل منزلة الانبي مرسل اوملا مقرب فاتخذ عظم قدرا السلطان عندك حجة لله تعالى على نفسك وناصحه على قدر ما تفعل وليس نفعه مقصورا على عجلة من حطام الدنيا يحبوك بها ولكن صيانة جحمتك وصيانة حريمك وحراسة مالك عن البغاة أعم نفعك ان عقلت وليس للسلطان الاوقد أخذ عليه شرائط العدل ومواثيق الانصاف وشرائع الاحسان وكما انه ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة كذلك ليس دون رتبة

السقف عليه ولذلك فصارت طبيعة وجودهم منافقة للبناء الذي هو أصل العمران هذا في حالهم على العموم وأيضا فطبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس وان رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في أخذ أموال الناس حديثهم اليه بل كلما امتدت أعينهم الى مال او متاع او ماعون انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالغلب والمالك بطالت السياسة في حفظ أموال الناس وخرب العمران وأيضا فلانهم يتلفون على أهل الأعمال من الصنائع والمخرف أعمالهم لارزون لها قسوة ولا قس طامن الاجر والثمن والأعمال كما ستذكره هي أصل المكاسب وحققتها واذا فسدت الأعمال وصارت مجانا ضعفت الأمال في المكاسب وانقبضت الايدي عن العمل وابتذرها الساكن وفسد العمران وأيضا فانهم ليست لهم عناية بالأحكام وزجر الناس عن المفسد ودفاع بعضهم عن بعض انما هم مائة يأخذونه من أموال الناس نهبها ومغرمها فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه أعرضوا عما بعدهم من تسديد أحوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم عن أغراض المفسد وربما فرضوا العقوبات في الأموال حرصا على تحصيل الفائدة والجباية والاستسكان منها كما هو شأنهم وذلك ليس بمنع في دفع المفسد وزجر المتعرض لها بل يكون ذلك زائدا فيها لاسهال الغرم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكيتهم كأنها فوضى دون حكم والقوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من أن وجود الملك خاصة طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك أول الفصل وأيضا فانهم متنافسون في الرياسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشرينه الا في الاقل وعلى كره من أجل الجباية فيتعبد الحاكم بهم والامراء وتختلف الايدي على الرعية في الجباية والأحكام فيفسد العمران ويتنقض قال الاعرابي الوافد على عبد الملك لما سأله عن الحجاج وأراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته في ظلم وحده وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليفة كيف تقوض عمرانه وأقرسا كنهه وبدلت الارض فيه غير الارض فالعين قرارهم خراب الاقلام من الأمصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس اجمع والشام هذا العهد كذلك وافريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وغرسوا بها الثلثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها اوعادت بسائطه خرابا كلها بعد ان كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وقنايل البناء وشواهد القرى والمدن والادب والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٧ فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة والسبب في ذلك أنهم لحقوا التوحش الذي فيهم أصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض للغاظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة فقلما تجتمع أهواؤهم فاذا كان الدين بالنبوة والولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك ما يشعرون من الدين المذهب للغاظة والانفة الوازع عن التحاسد والتنافس فاذا كان فيهم النبي او الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق ويأخذهم بمعجزة ودهاويؤلف كلمتهم لاظهار الحق تم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والمالك وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طبائعهم من عوج الملكات وبرائتهم من ذميمة الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب المعانة المتربى لقبول الحق يربيه قائمه على الفطرة الاولى ويعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات فان كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

فصل في حرمات السلطان عن البغاة أعم نفعك ان عقلت وليس للسلطان الاوقد أخذ عليه شرائط العدل ومواثيق الانصاف وشرائع الاحسان وكما انه ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة كذلك ليس دون رتبة

السلطان الشرير الجائر رتبة لشرير لان شره يعم كمان خير الاول يعم وكمان بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد وتنال الزلفى الى الله تعالى والقوز بحجة المأوى كذلك بالسلطان الجائر تفسد البلاد والعباد وتفتقر المعاصي والا^{٢٨} (٩١) وتورث دار البوار وذلك ان السلطان اذا عدل انتشر العدل في

٢٨ * (فصل في ان العرب ابعدا لام عن سياسة الملك) *

رعته فاقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما بينهم ولزموا قوانين العدل فبات الباطل وذهبت رسوم الجور وانتعشت قوانين الحق فارسات السماء غشها واخرجت الارض بركتها ونمت تجارتهم وزادت زروعهم وتناسلت انعامهم ودرت ارزاقهم ورخصت اسعارهم وامتلات اوعيتهم فواسى البخل وافضل الكريم وقضيت الحقوق واعيرت المواein وتهادوا فصول الاطعمة والتحف فهان الحطام لكثرة وذل بعد عزته فمساكت على الناس مروا تهم وانحفظت عليهم اديانهم وبهذا تبين لك ان الوالى ما جور على ما يعطاه من اقامة العدل وما جور على ما يتعاطاه الناس بسببه واذا جاور السلطان انتشر الجور في البلاد وعم العباد ففرقت اديانهم واضمحلت مروا تهم ففشت فيهم المعاصي وذهبت اماناتهم فضعت النقوس وقنطت القلوب فتنعوا الحقوق وتعاطوا الباطل بخسوا المكيل والميزان وجوزوا

والسبب في ذلك انهم اكثر بدو من سائر الامم وابعد مجالا في القفر واغنى عن حاجات التول وجبو بها لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم لبعض لا يلافهم ذلك ولان وحش ورثتهم يحتاج اليهم غالباً لا عصبية التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان ملكهم وترك مراغمتهم لئلا يختل عليه شأن عصبية فيكون فيها هلاكه وهلاكهم وسىاسة الملك والسلطان تقتضى ان يكون السائس وازعما القهر والالام تستقيم سياسته وايضا فان من طبعهم كما قدمناه اخذ ما في ايدي الناس خاصة والتجافى عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم عن بعض فاذا ملكوا امة من الامم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع باخذ ما في ايديهم وتركوها ما سوى ذلك من الاحكام بينهم ورسموا جعلوا العقوبات على المفسدين في الاموال حرصا على تسخير الجبايات وتخصيل الفوائد فلا يكون ذلك وازعما ورسموا يكون باعنا بحسب الاغراض الباعثة على المفسد واستهانة ما يعطى من ماله في جانب غرضه فتنه والمفسد بذلك ويقع تخريب العمران فبقى تلك الامة كأنها فوضى مسهطيلة ايدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سر يعاشان الفوضى كما قدمناه فبعدت طباع العرب لذلك كله عن سياسته الملك وانما يصيرون اليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة دينية فمحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من انفسهم وتحميهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدواتهم في الملة الماشية بدلهم الدين امر السىاسة بالشرعية واحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهر او باطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم كان رسم اذا رأى المسلمين يجتمعون للصلاة يقول كل عمر كبدى يعلم الكلاب الا^{٢٩} آداب ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة اجيال نبذوا الدين فنسوا السىاسة ورجعوا الى قفرهم وجهلوا شأن عصيتهم مع اهل الدولة بعدهم عن الانقياد واعطاء النصفة فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا^{٣٠} انهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم ولا ذهب امر الخلافة وانحى رسمها انقطع الامر جملة من ايديهم وغلب عليهم العجم دونهم واقاموا بادية في قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم انهم قد كان لهم ملك في القديم وما كان في القديم لاحد من الامم في الخلق ما كان لاجيالهم من الملك ودول عادية ودول العمالة وجير والتبابعة شاهدة بذلك ثم دولة مضر في الاسلام بنى امة وبنى العباس لكن بعدهم بالسياسة ما بنى سوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البدو وقدم يحصل لهم في بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كالحق في المغرب لهذا العهد فلا يكون ماله وغايتيه الاتخير ما يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله يؤتى ملكه من يشاء

٢٩ * (فصل في ان البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار) *

قد تقدم لنا ان عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والامصار لان الامور الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لاهل البادية وانما توجد لديهم في مواطنهم امور الفخ وموادهم معدومة ومعظمها الصنائع فلا توجد لديهم بالكلية من تجار وخياط وحداد وعمال ذلك مما يقيم لهم ضروريات معاشهم في الفخ وغيره وكذا الدنانير والدرهم موقوفة لديهم وانما بابا يديهم اعواضها من مغل الزراعة واعيان الحيوان او فضلاته البنايا وباراواشعارا واهابا مما يحتاج اليه اهل الامصار فعضوهم عنه بالدنانير والدرهم الا ان حاجتهم الى الامصار في الضرورى وحاجة اهل الامصار اليهم في الحاجى والسكالى فهم محتاجون الى الامصار بطبيعة وجودهم فاداموا في البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء على الامصار فهم محتاجون الى اهلها

البرج فرفعت منهم البركة وامسكت السماء غشاها ولم تخرج الارض ريعها ونباتها قل في ايديهم الحطام فقطوا وامسكوا الفضل الموجود وتاخروا عن المقود فتنعوا الزكوات المقرضة ويخجلوا بالواساة المسنونة وقبضوا ايديهم عن المسكارم وتنازعوا المقدار اللطيف

وتجاءدوا القدر الحسب ففتت فيهم الايمان الكاذبة والمختل في البسم والمخداع في المعاملة والمكر والحيلة في القضاء والاقتضاء ولا يمنعه من السرقة الا العار ومن (٩٢) الزنا الا الحياء فيظل احدهم عاريا عن محاسن دينه ومتجر دافع جلباب مروته واكثر

ويتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعوههم الى ذلك وطالبوهم به وان كان في مصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وان لم يكن في مصر ملك فلا بد فيه من رئاسة ونوع استبداد من بعض اهل على الباقيين والانتقص عمرانه وذلك الرئيس يحملهم على طاعته والسعي في مصالحه اما طوعا وبذل المال لهم ثم يبدى لهم ما يحتاجون اليه من الضروريات في مصره فيستقيم عمرانهم واما كرها ان تمت قدرته على ذلك ولو بالتغريب بينهم حتى يحصل له جانب منهم يغالب به الباقيين فيضطر الباقيين الى طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم وربما لا يسعهم مفارقة تلك النواحي الى جهات أخرى لان كل الجهات معمور بالبدو والذين غلبوا عليهم او منعواهم من غيرهم فلا يجد هؤلاء لهجأ الا طاعة المصير فهم بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله قاهر فوق عباده وهو الواحد الاحد القهار

*(الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول العامة والملك والخلافة والمرتبة

السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات) *

١ *(فصل في ان الملك والدولة العامة انما يحصل بالقبيل والعصبة) *

وذلك اننا قررنا في الفصل الاول ان المغالبة والممانعة انما تكون بالعصبة لما فيها من النغرة والتحام واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك منصب شريف ملذوذ يشغل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والمالاذنفسانية فيقع فيه التنافس غالبا وقل ان يسلمه أحد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة وتفضى الى الحرب والقتال والمغالبة وشئ منها لا يقع الا بالعصبة كما ذكرناه آنفا وهذا الامر بعيد عن افهام الجهور بالجملة ومننا سون له لانهم نسوا عهد تهديد الدولة منذ اولها وطال امد مرباهم في الحضارة وتعاظم فيها حيلها بعد جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة انما يدركون اصحاب الدولة وقد استحكمت صغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء عن العصبة في تهديد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من اوله وما لقي اولهم من المتاعب دونه وخصوصا اهل الاندلس في نسيان هذه العصبة واثرها لطول الامد واستغنائهم في الغالب عن قوة العصبة بما تلاشى وطنهم وخلامن العصائب والله قادر على ما يشاء وهو بكل شئ عليم وهو حسبنا ونعم الوكيل

٢ *(فصل في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغنى عن العصبة) *

والسبب في ذلك ان الدول العامة في اولها يصعب على النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب للقرابة وان الناس لم يلقوا ملوكها ولا اعتادوه فاذا استقرت الرئاسة في اهل النصاب الخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحدا بعد آخر في اعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسبت النفوس شأن الاولية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صبغة الرئاسة ورسخ في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس معهم على امرهم قتالهم على العقائد الايمانية فلم يحتاجوا حينئذ في امرهم الى كبير عصاية بل كان طاعتها كتاب الله لا يبدل ولا يعلم خلافه ولا مر ما يوضع الكلام في الامامة آخر الكلام على العقائد الايمانية كانه من جملة عقودها يكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة اماما للموالى والمصطنعين الذين نشأوا في ظل العصبة وغيرها وامابالعصائب الخارجين عن نسبها الداخلين في ولايتها ومثل هذا وقع لبنى العباس فان عصبة العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك انما كان بالموالى من العجم والترك والديلم والسجوقية وغيرهم ثم تغلب العجم الاولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة فلم تكن تعدوا أعمال بغداد حتى زحف اليها الديلم وما كواها وصار الخلائق في حكمهم ثم انقرض

همه قوت دينه اعظم مسراته من هذا الخطام ومن عاش كذلك فبطن الارض خير له من ظاهرها (قال) وهب بن منبه اذا سمع الوالى بالجور او عمل به ادخل الله النقص في اهل مملكته في الاسواق والزرع والضرع وكل شئ واذا هم بالخير والعدل او عمل به ادخل الله البركة في اهل مملكته كذلك وقال عمر بن عبد العزيز يزتهلك العامة بعمل الخاصة ولا تهلك الخاصة بعمل العامة والخاصة هم الولاة وفي هذا المعنى قال الله سبحانه واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة (وقال) الوليد ابن هشام ان الرعية لنفسد بقساد الوالى وتصلح بصلاحه (وقال) سفيان الثوري لا يجمع العرف المنصورانى لاعلم رجلان صلح صلحت الامة قال ومن هو قال انت (وقال) ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفا فاقبل على رجل له بقرة فراحته البقرة فحلبت له قدر حلب ثلاثين بقرة فعجب الملك لذلك وحدث نفسه باخذها فلما راحته عليه من الغد حلبت على النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلبها ناقص اذعت في غير مرعاها بالامس قال لا ولكن اظن ما ملكها باخذها امرهم فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم اوقفهم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الملك الله سبحانه في نفسه ان لا يأخذها فراحته من الغد فحلبت حلب

حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلبها ناقص اذعت في غير مرعاها بالامس قال لا ولكن اظن ما ملكها باخذها امرهم فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم اوقفهم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الملك الله سبحانه في نفسه ان لا يأخذها فراحته من الغد فحلبت حلب

ثلاثين بقرة قتال الملك وعاهد زبه لاعدائ ما بقيت ومن المشهور في ارض المغرب ان السلطان بلغه ان امرأة له احبته فيها القصة
المثل وان قصبة منها تصير قد حفرهم على اخذها منها ثم اتاهوا سألها عن ذلك (٩٣) فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم

أمرهم وملك السلجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم ثم انقرض أمرهم وزحف آخر التاروقية لموا الخلقة
ومحو رسم الدولة وكذلك الحاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ المائة الخامسة او ما قبلها واستمرت لهم
الدولة منقصة الظل بالمهدية وبجاية والقاهرة وسائر ثغور افريقية وربما انتزى بتلك الثغور من نازعهم
الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع ذلك مسلم لهم حتى تأذن الله بانقراض الدولة وجاء الموحدون بقوة
قوية من العصبية في المصامدة فمحو آثارهم وكذا دولة بني أمية بالاندلس لما فسدت عصبيتها من العرب
استولى ملوك الطوائف على أمرها واقتصدوا وخطتها وفسدوا بينهم وتوزعوا على الدولة وانتزى كل
واحد منهم على ما كان في ولايته وشمخ بانفعه وبلغهم شأن العجم مع الدولة العباسية فلقبوا بالاقاب الملك
وايسوا اشارته وأمنوا بمن ينقض ذلك عليهم او يغيره لان الاندلس ليس بدار عصابات ولا قبائل كما سذكره
واستمر لهم ذلك كما قال ابن شرف

ما يزهدي في ارض اندلس * أسماء معتصم فيها ومعتصد

الاقاب ملكة في غير موضعها * كالمحكي انتفاخ صورة الاسد

فاستظهروا على أمرهم بالموالي والمصطنعين والطرا على الاندلس من أهل العدو من قبائل البربر وزناتة
وغيرهم اقتداء بالدولة في آخر أمرها في الاستظهار بهم حين ضعفت عصبية العرب واستبد ابن أبي عامر على
الدولة فكان لهم دول عظيمة استبد كل واحد منها بجانب من الاندلس وحظ كبير من الملك على نسبة
الدولة التي اقتسموها ولم يزالوا في سلطانهم ذلك حتى جاز اليهم البحر المار بطون أهل العصبية القوية من
التونة فاستبدلوا بهم وأزالوهم عن مراكزهم ومحو آثارهم ولم يقدروا على مدافعتهم لفقدان العصبية لديهم
فبهذه العصبية يكون تمهيد الدولة وحمايتهم أولها وقطن الطرطوشي أن حاميه الدولة باطلاقهم
المخند أهل العطاء المفروض مع الأهلة ذلك في كتابه الذي سماه سراج الملوك وكلامه لا يتناول
تأسيس الدول العامة في أولها وأتمها ومخصوص بالدول الاخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك في النصاب
واستحكام الصبغة لاهله فالرجل انما ادرك الدولة عندهم ما وخلق جدها ورجوعها الى الاسمةظهار
بالموالي والصنائع ثم الى المستخدمين من ورائهم بالاجر على المدافعة فانه انما ادرك دول الطوائف وذلك
عند اختلال دولة بني أمية وانقراض عصبيتها من العرب واستبداد كل أمير بقطره وكان في ايلة المستعين
ابن هود وابنه المظفر أهل سرقة ولم يكن بقي لهم من أمر العصبية شيء لاستيلاء الزحف على العرب منذ
ثلثمائة من السنين وهلا كهملهم ولم ير الاساطنا استبداد بالملك عن عشارته قد استحكمت له صبغة الاستبداد
منذ عهد الدولة ببقية العصبية فهو لذلك لا ينزع فيه ويستعين على أمره بالاجراء من المرتزقة فأطلق
الطرطوشي القول في ذلك ولم ينقطن لكيفية الأمر منذ أول الدولة وأنه لا يتم الا لأهل العصبية فنقطن
انت له وافهم شر الله فيه والله يؤتي ملكه من يشاء

٣ * (فصل في أنه قد يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستغنى عن العصبية)

وذلك انه اذا كان لعصبية غلب كثير الى الامم والاجيال وفي نفوس القاطنين باعده من أهل القاصية اذعان
لهم واثبات فاذنزع اليهم هذا الخارج وانبتذعن مقر ملكه ومنبت عزه اشتملوا عليه وقاموا بأمره وظاهره
على شأنه وعنوا بتهيب دولته برجون اسمة مقراره في نصابه وتناولوه الامر من يد أعباءه وجزاه لهم على
مظاهرة باصه طائفتهم لرب الملك وخططه من وزارة او قيادة او ولاية ثغور لا يطمعون في مشار كنه في شيء
من سلطانه تسليم العصبية واثبات الاما استحكم له ولقومه من صبغة الغلب في العالم وعقيدة ايمانية

سراثر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خير الخيرة وان شرافهم (وروي) اصحاب التواريخ في كتبهم قالوا كان الناس
اذا أصبحوا في زمان الحجاج يتلاقون يتساءلون من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وامثال ذلك وكان الوليد صاحب ضياع

بمصر قال كان بصعيد مصر
نخلة تحمل عشرة أرادب
تمرا ولم يكن في الزمان نخلة
تحمّل نصف ذلك فغصنها
السلطان فلم تحمّل في ذلك
العام شيئا ولا ثمرة واحدة
(قال) شيخنا رحمه الله قال
لي شيخ من أشياخ الصعيد
أعرف هذه النخلة في
الغربية تحبّي عشرة أرادب
ستين ويمة وكان صاحبها
يبيعها في سنين الغلاء كل
ويمة دينار (قال) الشيخ
رضي الله عنه وشهدت انا
بالاسكندرية والصعيد في
الخليج مطلقا لرعية
والملك فيه يغلي المساء به
كثرة ويصيده الاطفال
بالخزق ثم حججه الى
ومنع الناس من صيده
فذهب الملك حتى لا يكاد
يرى فيه الا الواحدة الى
يومنا هذا وهكذا تعدي

واخذهم منافع فكان الناس يشاءون في زمانه من البنيان والصانع والصابغ وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولي سليمان بن عبد الملك وكان صاحب نكاح (٩٤) وطعام فكان الناس يتحدثون في الاطعمة الدقيقة ويتوسعون في الانكحة والسراري

استقرت في الاذعان لهم فلورام وهامه اودونه لزلزال الارض فزلزلهما وهذا كواقع للادارسة بالمقرب الاقصى والعبيدين باقر يقية ومصر لما اتبعوا الطاليون من المشرق الى القاصية وابتهدوا عن مقر الخلافة وسما الى طاهمان ايدي بني العباس بعد ان استحكمت الصبغة لبني عبد مناف لبني امية اولاً ثم لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لانفسهم وقام بامرهم البرابرة مرة بعد اخرى فأوربة ومغيلة للادارسة وكامة وصناجة وهواة للعبيدين فشدوا دولتهم ومهدوا بعصائبهم امرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افر يقية ولم يزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيدين يمتد الى أن ملكوا مصر والشام والحجاز وقاسموهم في الممالك الا انهم شقوا الابلية وهؤلاء البرابرة القائلون بالدولة مع ذلك كلهم مسلمون للعبيدين امرهم مذكرون للملكهم وانما كانوا ينافسون في الرتبة عندهم خاصة تسليمها حصل من صبغة الملك لبني هاشم ولما استحكمت من الغلب لقر يش ومضم على سائر الامم فلم يزل الملك في أعقابهم الى أن انقرضت دولة العرب بأسرها والله يحكم لامعقب الحكمة

■ (فصل في أن الدول العامة الاستيلاء العظيمة المالك اصلها الدين امامن نبوة أو دعوة حق) ■

وذلك لان المال انما يحصل بالغلب والتغلب انما يكون بالعصبة وانفاق الاهواء على المطالبة وجمع القلوب وتواليها انما يكون بدعوة من الله في اقامة دينه قال تعالى لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم وسره ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرف الى الحق ورفضت الدنيا والباطل واقبات على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الحكمة لذلك فعظمت الدولة كجانبين للبعدان شاء الله سبحانه وتعالى وبه التوفيق لأرب سواه

● (فصل في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبة التي كانت لها من عدد) ● السبب في ذلك كما قدمناه ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصبة وتفرّد الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم لم يقف لهم شيء لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم متمسكون عليه وأهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا اضع عافهم فاغراضهم متباينة بالباطل وتحاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم القناء بما فيهم من الترف والذل كما قدمناه وهذا كواقع للعرب صدر الاسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين ألفا في كل معسكر وجوع فارس مائة وعشرين ألفا بالقادسية وجوع هرقل على ما قاله الواقدي أربع مائة ألف فلم يقف للعرب احد من الجانيين وهزمهم وغلبوهم على ما بأيديهم واعتبر ذلك ايضا في دولة لمتونة ودولة الموحدتين فعد كان بالمغرب من القبائل كثير ممن يقاومهم في العدد والعصبة او يشف عليهم الا ان الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستيصار والاستماتة كما قلناه فلم يقف لهم شيء واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كصف بئنة من الامرو يصير الغلب على نسبة العصبة وحدها دون زيادة الدين فتغلب الدولة من كان تحت يدها من العصائب المكافحة لها او الزائدة القوة عليهم الذين غلبتهم مضاعفة الدين لقتها ولو كانوا اكثر عصبة منها واشد بدواة واعتبر هذا في الموحدتين مع زناتة لما كانت زناتة ابدي من المصامدة واشدت وحشاو كان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي فلبسوا صباعتها وتضاعفت قوة عصبيتهم بها فغلبوا على زناتة اولاً واستتبهم وهم وان كانوا من حيث العصبة والبدواة اشد منهم فلما خلوا عن تلك الصبغة الدينية انقضت

ويهرعون بحالهم يذكرون ذلك ولما ولي عمر بن عبد العزيز كان الناس يشاءون كم تحفظ من القرآن وكل وردك في كل ليلة وكل يحفظ فلان ومتى يحتم كم تصوم من الشهر وامثال ذلك

■ (الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغبون غير غائب وخاسر غير اعلم والرشد كماله ان السلطان خطر عظيم ويليته عامة وقد ينظره من الافات ويخوشه من الامور والمهلكات ما يجب على كل ذي لب ان يستعين بالله مما حمله بشكره على ما عصىه لا تهمل دأفكره ولا تسكن خواطره ولا يصفو قلبه ولا يستقر له الخلق في شغل عنه وهو مشغول بهم والرجل يخاف عدوا واحدا وهو يخاف ألف عدو والرجل يضيق بتدبير اهل بيته وانا له ضيقه وتقدير معيشته وهو مدفوع لسياسة جميع اهل ملكه وكلما ارتقى فتقام حواشي ملكه انفق آخر ملكا ومن منها عشارت آخر ملكا فتح عدوا ارسده اعداء

الى سائر ما يعانيه من اخلاق الناس ويقاسيه من خصوصياته ونصب الولاة والقضاة وبعث الجيوش وسد النغور واستعباد الاموال ودفع المظالم ثم من الحب المحاب ان له نفسا واحدة وانه برزأمن الدنيا قوتها كابر زأ جاد الرعايا ثم يسأل غدا عن

جميعهم ولا يسألون عنه فباللهو يا للعجب من رجل رضى ان ينال رغبة فوا يحاسب منها على آلاف آلاف رغبة ويا كل في معي واحد
ويحاسب على آلاف آلاف معي ويستمتع بنفس واحدة ويحاسب على آلاف (٩٥) آلاف من الانفس وعلى هذا النمط

في جميع احواله يحمل
أثقالهم ويربح أسرارهم
ويجاهد عدوهم ويسد
تغورهم ويدافع مناوئهم
ومناصبهم ويعصى ربه
فيهم ويخالف أمره ويركب
نهبه من أجلهم ويقفهم
جرائم جهنم على بصيرة فيهم
ثم يجدهم له قائلين وعنه غير
راضين ولولا ان الله تعالى
يجول بين المرء وقلبه لم
يرض عاقل بهذه منزلة ولا
اختارها لذيذ مرتبة وكل
ما ذكرته في هذا الباب
أحكمه النبي عليه
السلام في كلمة فقال
مالكم ولا عرائي لكم صفو
أمرهم وعليهم كدرهم ومثال
السلطان مع الرعية
كالطباخ مع الاكله العناء
ولهم الهناء وله الحار ولهم انقار
طلب لقومه الراحة ففضل
على النعب وطلب هم النعيم
فاخطأ الصراط المستقيم
وعن هذا قالوا سيد القوم
أشقاهم وفي الحديث ساق
القوم آخرهم شربا وكان
بعض سلاطين المغرب يستمر
بوماو بين يديه الوزراء
نظر الى جماعة من التجار
فقال لو زيره التحب ان
أريك ثلاث طوائف
طائفة لهم الدنيا والآخرة
وطائفة لا دنيا ولا آخرة

عليهم زينة من كل جانب وغلبوهم على الامور واتزعوهم منهم والله غالب على امره

٦ * (فصل في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم) *

وهذا لما قدمناه من أن كل أمر يحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية وفي الحديث الصحيح كما مر ما بعث
الله نبياً الا في منعة من قومه واذا كان هذا في الانبياء وهم اولى الناس بحرق العوائد فاطنك بغيرهم
أن لا تحرق له العادة في الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع
النعلين في التصوف ثار بالاندلس داعياً الى الحق وسمى أصحابه بالمرايطين قيل دعوة المهدي فاستتب له
الامر قليلا لشغل المتنونة بمادهم من أمر الموحدين ولم تكن هناك عصائب ولا قبائل يدفعونه عن شأنه
فلم يلبث حين اسستولى الموحدون على المغرب أن أذعن لهم ودخل في دعوتهم وتابوهم من معقله بحصن
اركنس أمكنهم من تغره وكان أول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطيين ومن هذا الباب
احوال الثوار القاطنين بغير المنكر من العامة والعقهاء فان كثير من المنتهدين للعبادة وسلوك طرق الدين
يذهبون الى القيام على أهل الجور من الامراء داعين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر عليه من الله فيكثر اتباعهم والمتشددون بهم من الغوغاء والدهماء يعرضون أنفسهم في ذلك
للهالك وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين لان الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم
وانما امر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وأحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزعزعوها ويهدم بناءها الا المطالبة
القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه ومكراً كان حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام
في دعوتهم الى الله بالعشائر والعصائب وهم المأجورون من الله بالكون كله لوشاء الله انما أجرى الامور
على مستقر العادة والله حكيم عليم فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققا قصر به الانفراد
عن العصبية فطاح في هوة الهلاك وأما ان كان من المتلبسين بذلك في طلب الرياسة فأجدر ان تعوقه
العوائد وتقطع به المهالك لانه أمر الله لا يتم الا برضاه واعانتة والا خلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك
في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة وأول ابتداء هذه النزعة في الملة بين عدد ادين وقعت فتنة ظاهر وقتل
الامين وأباطا المأمون بخراسان عن مقدم العراق ثم عهد لابي بن موسى الرضا من آل الحسين فكشف بنو
العباس عن وجه التكبر عليه وتداعوا للقيام وخلع طاعة المأمون والاسـ تبدل منه وبويع ابراهيم بن
المهدي فوقع الهرج بين بغداد وانطلقت ايدي الزعرة بهامن الشـ طارو الحربية على أهل العافية والصون
وقطعوا السبيل وامتلأت ايديهم من نهاب الناس وباعوها علانية في الاسواق واستعدى اهلها الحكام
فلم يعدوهم فتوافر أهل الدين والصـ الاح على منع الفساد وكف عاديتهم وقام به عدد ادين يعرف بخالد
الدرديوس ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فأجاب به خلق وقاتل اهل الزعرة فغلبهم واطلق
يده فيهم بالضرب والتكبير ثم قام من بعده رجل آخر من سواد اهل بغداد يعرف بسـ هل بن سـ سلامة
الانصاري ويكنى ابا حاتم وعلق مصحفاً في عنقه ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل
بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فاتبه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم فمن
دعوتهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف بيغداد ومنع كل من أخاف المسارعة ومنع الخفاوة لا وائل
الشطار وقال له خالد الدرديوس اننا لأعيب على السلطان فقال له سـ هل لكني اقاتل كل من خالف الكتاب
والسنة كائن من كان وذلك سنة احدى ومائتين وجهز له ابراهيم بن المهدي العساكر فغلبه وأسره وانحل

وطائفة دنيا بلا آخرة قال وكيف ذلك أيها الملك فقال الذين لهم الدنيا والا آخرة فهو لاء التجار يكسبون أقواتهم ويصلون صلاتهم ولا
يؤذون أحداً وأما الذين لا دنيا ولا آخرة فهو لاء الشرط والخدمة الذين بين أيدينا وأما الذين لهم دنيا بلا آخرة فأننا وأنت وسائر السلاطين

فحق على جميع الورى أن يمدوا السلطان بالمناصبات ويخضوه بالدعوات ويعينوه على سائر المحاولات ويكونوا له أعيناً ناظرة وأيدياً باطشة وجنناً واقية والسنة (٩٦)

أمره سرعاً وذهب ونجابه نفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين يأخذون أنفسهم بإقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون إليه في إقامته من العصبية ولا يشعرون بمغربة أمرهم وما آل أحوالهم والذي يحتاج إليه في أمر هؤلاء المداواة أن كانوا من أهل الجنون وأما التنكيل بالقتل أو الضرب أن أحدثوا هرجاً وأما إذاعة السخرية منهم وعدهم من جملة الصفاة وقديته سب بعضهم إلى القاطمي المنتظر أما بأنه هو أو بأنه داع له وليس مع ذلك على علم من أمر القاطمي ولا ما هو أو أكثر المنتقلين لمثل هذا تجدهم موسوسين أو مجانين أو ملبسين يطالبون بمثل هذه الدعوة رياسة امتثالاً لها جواهرهم وعجزوا عن التوصل إليها بشئ من أسبابها العادية فيحسبون أن هذا من الأسباب الباطنية بهم إلى ما يؤملونه من ذلك ولا يحسبون ما ينالهم فيه من الهلكة فيسرع إليهم القتل بما يجدونه من الفتنة وتسوء عاقبة مكرهم وقد كان لأول هذه الماشاة خرج بالسوس رجل من المنصوفة يدعى التوبذرى عمداً إلى مسجد ماسية بساحل البحر هناك وزعم أنه القاطمي المنتظر تلبس على العامة هناك بمأملات قلوبهم من الخدثان بانتظاره هناك وإن من ذلك المسجدين يكون أصل دعوته فتهاقت عليه طوائف من عامة البربرتهاقت القراش ثم خشي رؤسائهم اتساع نطاق الفتنة فسدس إليه كبير المصامدة يومئذ عمر السكسبيوى من قتله في فراشه وكذلك خرج في غمارة أيضاً لأول هذه الماشاة رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوة وتابعه بعبقه الأردلون من سفهاء تلك القبائل وغمارهم وزحف إلى بادس من أمصارهم ودخلها عنوة ثم قتل لأربعين يوماً من ظهور دعوته ومضى في الهالكين الأولين وأمثال ذلك كثير والغلط فيه من الغفلة عن اعتبار العصبية في مثلها وأما أن كان التلبس فأحرى أن لا يتم له أمر وإن يومئذ كان ذلك جزءاً الظالمين والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لأرب غيره ولا معبود سواه

هذا قال بعض السلاطين يوماً لأصحابه أعلموا أن السلطان والجنحة لا يجتمعان (قال) شيخنا رحمه الله وحدثني رجل له قدر قال أرسل إلى السلطان أن طاق امرأتك وكان قد أرادها لبعض أصحابه فابت ذلك وراجعت الرسل غير مرة فقال لي ناصح منهم خذ الأمر قبل أن يفانه لا حيلة لك فإن السلطان لا يخاف في الدنيا عار ولا في الآخرة ناراً ففارقها (وروى) عن عبد الملك ابن مروان أنه لما ولي الخليفة أخذ المخفف فوضعه في حجره ثم قال هذا فراق بيني وبينك ولما حج هرون الرشيد لقيه عبد الله العمري في الطواف فقال له باهر و قال لبيك يا عم قال كم ترى ههنا من الخلق قال لا يحصيهم إلا الله فقال أعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت واحد تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون فيكي هرون وجلس في علو يعطونه منديلًا منديلًا لدروع ثم قال له والله إن الرجل ليسرع في مال نفسه فيسحق الحجر عليه فكيف ين أسرع في مال المسلمين ويقال إن هرون كان يقول والله إنى أحب أن أجمع كل سنة وما يغني الأرجل من ولد عمر يعني ما أكره وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى من أجمع من السلطان ومن أجهل من عصاني

v * (فصل في أن كل دولة لها حصة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها) *

والسبب في ذلك أن عصابة الدولة وقومها القائمين بها المهملين لها الأبد من توزيعهم حصصاً على الممالك والثغور التي تصير إليهم ويستولون عليها الجائزات من العدو وأما أحكام الدولة فيها من جمالية وورع وغير ذلك فإذا توزعت العصائب كلها على الثغور والممالك فلا بد من نقاد عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ إلى حد يكون ثغور الدولة وتحمها لوطنها ونطاقها مركزاً لها فإن تسكفت الدولة بعد ذلك فزيادة على ما يدها بقي دون حامية وكان موضعها لا تنأى الفرصة من العدو والمجاور ويعود وبال ذلك على الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهيبة وما كانت العصابة موفورة ولم ينقد عدد لها في توزيع الحصص على الثغور والنواحي بقي في الدولة قوة على تناول ما وراء الغاية حتى ينقضي نطاقها إلى غايته والعلة الطبيعية في ذلك هي قوة العصبية من سائر القوى الطبيعية وكل قوة يصدر عنها فعل من الأفعال فشأنها ذلك في فعلها والدولة في مركزها أشد عما يكون في الطرف والنطاق وإذا انتهت إلى النطاق الذي هو الغاية عجزت وأقصرت عما وراءه شأن الأشعة والأنوار إذا انتهت من المراكز والدوائر المنفصلة على سطح الماء من النقر عليه ثم إذا أدركها الهرم والضعف فأنما تأخذ في التناقص من جهة الأطراف ولا يزال المركز محفوظاً إلى أن ينأى الله بانقراض الأمرجلة فينمذ يكون انقراض المركز وإذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الأطراف والنطاق بل تصح لوقتها فإن المركز كالقلب الذي تنبعث منه الروح فإذا غلب القلب ومالك انهزم جميع الأطراف وانظر هذا في الدولة الفارسية كان مركزها المدائن فلما غلب المسلمون على المدائن انقراض أمرفارس أجمع ولم ينفع يزيد جرد ما بقي بيده من أطرافها الكه وبالعكس من ذلك

الدولة في مال المسلمين ويقال إن هرون كان يقول والله إنى أحب أن أجمع كل سنة وما يغني الأرجل من ولد عمر يعني ما أكره وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى من أجمع من السلطان ومن أجهل من عصاني

ومن أعز من اعتزني يا راعي السوء دفعت اليك غنما سمنا صخاها فاكلت اللحم وشربت اللبن وانت ذمت بالهن ولبست الصوف وتركتها عظاما تقفع ولم تأو الصالة ولم تحير الكسير اليوم انتقم لها منك (٧٩) * (الباب السابع في بيان الحكمة في كون

السلطان في الارض) *

اعلموا أرشدكم الله ان في

وجود السلطان في الارض

حكمة لله تعالى عظيمة

ونعمة على العباد خيرة

لان الله سبحانه جيل الخلق

على حب الانتصاف وعدم

الانصاف ومثلهم بلا

سلطان مثل الخيتان في

البحر يزدرد الكبير الصغير

فتى لم يكن لهم سلطان قاهر

لم ينظم لهم امر ولم يستقم لهم

معاش ولم يهتؤا بالحياة

ولهذا قال بعض القدماء

لورفع السلطان من الارض

ما كان لله في أهل الارض

من حاجة ومن الحكم التي

في اقامة السلطان انه من

حجج الله تعالى على وجوده

سبحانه ومن علاماته على

توحيده لانه كما لا يمكن

استقامة امور العالم

واعتداله بغير مدبر يتفرد

بتدبيره كذلك لا يتوهم

وجوده وتربيته وما فيه

من الحكمة ودقائق

الصنعة بغير خالق خلقه

وعالم اتقنه وحكيم دبره

وكما لا يستقيم سلطانان في

بلد واحد لا يستقيم الهان

للعالم والعالم بأسره في سلطان

الله تعالى كالبلد الواحد

في يد سلطان الارض ولهذا

قال علي بن أبي طالب

رضي الله عنه امران جميلان لا يصلح احدهما بالتفرد ولا يصلح الاخر بالمشاركة وهما الملك والراي

فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الراي بالانفراد ومثال السلطان القاهر لرعيته والرعية بلاسلطان مثال بيت فيه بهرجاء مثير

الدولة الرومية بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وغلبهم المسلمون بالشام فحيزوا الى مركزهم بالقسطنطينية ولم يضرهم انتزاع الشام من أيديهم فلم ينزل ملكهم متصلا بها الى أن تأذن الله بانقرضه وانظرا ايضا شأن العرب اول الاسلام لما كانت عصائبهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءه من الهند والمجيشة وافرريقية والمغرب ثم الى الاندلس فلما تفرقوا حصصا على الممالك والنفور ونزلوا ما حامية ونفذ عددهم في تلك التوزيعات اقصروا عن القنوحات بعدوانتهم في امر الاسلام ولم يتجاوزوا تلك الحدود ومن انراجعت الدولة حتى تأذن الله بانقرضها وكذا كان حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة وعند نقاد عددهم بالتوزيع يتقطع لهم القمح والاستيلاء سنة الله في خلقه

٨ * (فصل في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة) *

والسبب في ذلك ان الملك انما يكون بالعصبة واهل العصبة هم الحماية الذين ينزلون بممالك الدولة واقطارها وينقسمون عليهم ارضا كان من الدولة العامة قبيلها واهل عصاباتا أكثر كانت اقوى واكثر ممالك وأوطانا وكان ممالكها الواسع لذلك واعتبر بذلك بالدولة الاسلامية لما ألف الله كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في غزوة تبوك آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة الف وعشرة آلاف من مضر وقحطان ما بين فارس وراجل الى من أسلم منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا للطلب ما في أيدي الامم من الملك لم يكن دونه حتى ولاوزر فاستبجج حتى فارس والروم اهل الدولة بين العظماء متين في العالم لهم مددهم والترك بالمشرق والافرنجة والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس وخطوا من الحجاز الى السوس الاقصى ومن اليمن الى الترك بأقصى الشمال واستولوا على الاقاليم السبعة ثم انظر بعد ذلك دولة صنهاجة والموحدين مع العبيديين قبلهم لما كان قبيل كثامة القائمين بدولة العبيديين أكثر من صنهاجة ومن المصامدة كانت دولتهم أعظم فلكوا افرريقية والمغرب والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة لما كان عددهم أقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك الموحدين لقصور عددهم عن عدد المصامدة منذ أول أمرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد لزناتة بنى مري بن وبنى عبد الواد لما كان عدد بنى مري بن لأول ملكهم أكثر من بنى عبد الواد كانت دولتهم اقوى منها وأوسع نطاقا وكان لهم عليهم الغلب مرة بعد أخرى يقال ان عدد بنى مري بن لأول ملكهم كان ثلاثة آلاف وان بنى عبد الواد كانوا ألفا الا أن الدولة بالرقة وكثرة التابع كثرت من أعدادهم وعلى هذه النسبة في أعداد المتغلبين لأول الملك يكون اتساع الدولة وقوتها وأما طول امدها على تلك النسبة لان عمر الحادث من قوة مزاجه وخراج الدول انما هو بالعصبة فاذا كانت العصبة قوية كان المزاج تابعا لها وكان امدها طويلا والعصبة انما هي بكثرة العدد ووفورة كفايتها والسبب الصحيح في ذلك ان النقص انما يبدو في الدولة من الاطراف فاذا كانت ممالكها كثيرة كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فكم أكثر أزمان النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بقص وزمان فيكون أمدها طويلا وانظر ذلك في دولة العرب الاسلامية كيف كان أمدها أطول الدول لابنوا العباس اهل المركز ولا بنو أمية المستبدون بالاندلس ولم ينقص أمر جميعهم الا بعد الاربع مائة من الهجرة ودولة العبيديين كان أمدها قريبا من مائتين وثمانين سنة ودولة صنهاجة دونهم من لدن تقليد مع الدولة افرريقية لملكين بن زيري في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة الى حين استيلاء الموحدين على القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسمائة ودولة

(١٣ - ابن خلدون) رضي الله عنه امران جميلان لا يصلح احدهما بالتفرد ولا يصلح الاخر بالمشاركة وهما الملك والراي فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الراي بالانفراد ومثال السلطان القاهر لرعيته والرعية بلاسلطان مثال بيت فيه بهرجاء مثير

وحوله فقام من الخلق يعالجون صنائهم فبينما هم كذلك طفق السراج فقبضوا أيديهم للوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه فتحرك الحية وان
الشرب ووخش الحشام الحسيس (٩٨) فذبت العقرب من مكانها وفسقت القارة من حجرها وخرجت الحية من معدنها وجاء اللص

الموحد من لهذا العهد تناهز ما بين سبعين سنة وهكذا نسب الدول في أعمالها على نسبة القاطنين بها سنة
الله التي قد خلت في عبادته

٩ * (فصل في أن الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة) *

والسبب في ذلك اختلاف الآراء والاهواء وان رأى من رأى من أهوى عصية فتمانع دونها فيكثر
الانتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبة لان كل عصبة ممن تحت يدها
تظن في نفسها منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بأفريقية والمغرب منذ اول الاسلام وهذا العهد فان ساكن
هذه الاوطان من البربر اهل قبائل وعصبيات فلم يكن فيهم الغلب الاول الذي كان لابن أبي سرح عليهم
وعلى الافرنجية شيئا وأعادوا دوابهم ذلك الثورة والردة مرة بعد أخرى وعظم الانتحان من المسلمين فيهم ولما
استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة والخروج والاخذ بيد الخوارج مرات عديدة قال ابن أبي زيد ارتدت
البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فابعدوه وهذا
معنى ما ينقل عن عمران افريقية مقرقة لقلوب أهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحمالة
لهم على عدم الاذعان والانتقاد ولم يكن العراق لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حاميتهم من
فارس والروم والكافة دمهاء أهل مدن وأمصار فلما غلبهم المسلمون على الامروا تنزعوه من أيديهم لم يبق
فيها مانع ولا مشاق والبربر قبائلهم بالمغرب أكثر من أن تحصى وكلهم بادية وأهل عصائب وعشائر
وكما هلكت قبيلة عادت الاخرى مكانها والى دينها من الخلاف والردة فطال امر العرب في تهمة الدولة
بوطان افريقية والمغرب وكذلك كان الامر بالشام لعهد بني اسرائيل كان فيه من قبائل فلسطين وكنعان
وبني عيصو وبني مدين وبني لوط والروم ويونان والعمالة وكر يش والنبط من جانب الجزيرة والموصل
مالا يحصى كثرة وتنوعا في العصبة فصعب على بني اسرائيل تهمة ودولتهم وروسخ أمرهم واضح طرب عليهم
المال مرة بعد أخرى وسرى ذلك الخلاف اليهم فاختلفوا على سلطانهم وخرجوا عليه ولم يكن لهم ملك موطن
سائر ايامهم الى أن غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم آخر أمرهم عند الجلاء والله غالب على أمره وبالعكس هذا
ايضا الاوطان الخالية من العصبيات يسهل تهمة الدولة فيها ويكون سلطانها وزعالة الهرج والانتقاض
ولا تحتاج الدولة فيها الى كثير من العصبة كما هو الشأن في مصر والشام لهذا العهد اذ هي خالون القبائل
والعصبيات كان لم يكن الشام معدناتهم كما قلناه فلك مصر في غاية الدعوة والروسخ لة الخوارج وأهل
العصائب انما هو سلطان ورعية ودولتها قائمة بملوك الترك وعصائبهم يعلون على الامروا واحد دابة واحد
وينتقل الامر فيهم من منبت الى منبت والخلافة مسماة للعباسي من أعقاب الخلفاء ببغداد وكذا الشأن
الاندلس لهذا العهد فان عصبة ابن الاجر سلطانها لم تكن لاول دولتهم بقوية ولا كانت كرات انما
يكون أهل بيت من بيوت العرب أهل الدولة الاموية بقوام ذلك القبيلة وذلك أن أهل الاندلس لما
انقرضت الدولة العربية منه وملكهم البربر من لمتونة والموحد من ستموا ملكتهم وثقلت وطأتهم عليهم
فأشربت القلوب بغضاهم وأمكن الموحدون والسادة في آخر الدولة كثير من الحصون للطاغية في سبيل
الاستظهار به على شأنهم من تلك الحضرة مرا كش فاجتمع من كان بقي بها من أهل العصبة القديمة معادن
من بيوت العرب تجافي بهم المنبت عن الحاضرة والامصار بعض الشيء ورسخوا في العصبة ممثل ابن هود
وابن الاجر وابن مردئش وأمثالهم فقام ابن هود بالامرو ودعا بدعوة الخلافة العباسية بالمشرق وحمل
الناس على الخروج على الموحدين فنبه ذوالهيم العهد وأخرجوهم واستقل ابن هود بالامرو بالاندلس

بجيلة وهو حاج البرغوث مع
حقارته فتعطت المنافع
واسنطارت فيهم المضار
كذلك اذا كان قام را
لرعيته كانت المنفعة به
عامة وكانت الدماء في أهلها
محقونة الحرم في خدورهن
مصونة والاسواق عامرة
والاموال محروسة والحيوان
الفاضل ظاهر والمرافق
حاصلة والحيوان الشرير
من أهل القسوق والدعارة
خامل واذا انحدر أمر
السلطان دخل القساد على
الجميع ولو جعل ظلم الناس
حوالا في كفة كان هرج
ساعة أعظم وارجح من ظلم
السلطان حولا وكيف لا
وفي زوال السلطان أضعف
شوكة سوق أهل الشر
ومكسب الاجناد ونفاق
أهل العبارة والسوقة
واللصوص والمناجبة
وقال الفضيل جورستين
سنة خير من هرج سنة
ولا يمتنى زوال السلطان
الاجاهل مغرور وفاقس
يتمنى كل محذور فحق
على كل رعية أن ترغب
الى الله تعالى في اصلاح
السلطان وان تبدل له
نعمه وتحصنه بصالح دعائها
فان في صلاحه صلاح
العباد والبلاد وفي فساده

فساد العباد والبلاد وكان العلماء يقولون اذا استقامت اكم أمور السلطان فاكثر واحد الله تعالى
وشكره وان جاءكم منه ما تكرهون وجهوه الى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه بآثامكم وأقيموا عذر السلطان لا تشاور الامور عليه

وأكثر ما يكبد من ضبط جوانب المملكة وأسلاف الأعداء وأرضاء الأولياء وقلة الناس وكثرة التديس والطمع وفي كتاب التاج
هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وأبواب الملوك مشغولة بكل شيء وأبواب السوقة (٩٩) مشغولة بشيئ والجاهل منهم يعذر

نفسه مع ما هو عليه من
الراحة ولا يعذر سلطانه
مع شدة ما هو عليه من
المؤنة ومن هناك يعز الله
سلطانه ويرشده وينصره
وعن هذا قالت حكماء العجم
لا تستوطن الأبداء فيه
سلطان قاهر وقاض عادل
وسوق قائمة وطيب عالم
ونهر جار

*(الباب الثامن في منافع
السلطان ومضاره)*
(قال) حكماء العرب والعجم
مثل مضار السلطان في
جنب منافع مثل الغيث
الذي هو سقيا الله تعالى
وبركات السماء وحياة
الأرض ومن عليها وقد
يتأذى به المسافرو يتداعى
له البنيان وتكون فيه
الصواعق وتندرس يوله
فتهاك الناس والدواب
والذخائر ويوج له البحر
فتشتد بليته على أهله ولا يمنع
ذلك الخلق إذا نظروا إلى

آثار رحمة الله تعالى في
الأرض التي أحياها والنبات
الذي أخرج والرزق الذي
بسط والرحمة التي نشر أن
يعظم موارجة ربهم
ويشكروها ويلغوا ذكر
خواص الأذية التي دخلت
على خواص الخلق (ومثاله)
أيضا مثل الرياح التي يرسلها

الله تعالى نشر بين يدي رحمة فيسوق بها العاصف ويحعلها القاحل للثمرات ورواحا للعباد وينهمون منها ويتقلبون فيها وتجري بها مياههم
وتقد بها نيرانهم وتسير بها في البحر أفلا كهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم وتخلص إلى أنفسهم فيشكروها الشاكرون

ثم سمع ابن الأجر للامر وخالف ابن هود في دعوته فدعا هؤلاء لابن أبي حفص صاحب أفر بقة من
الموحدين وقام بالامر وتناوله بعصاة قليلة من قرابته كانوا يسعون الرؤساء ولا يحتج لاكثر منهم لقلة
العصائب بالاندلس وانها سلطان ورعية ثم استظهر بعد ذلك على الطاغية بمن يحيز اليه البحر من اعياص
زناة فصار وامنعه عصبة على المناغرة والباط ثم سمع صاحب المغرب من ملوك زناة امل في الاستيلاء
على الاندلس فصاروا تلك الاعياص عصاية ابن الأجر على الامتناع منه الى أن تأمل امره ورسخ وألقه
النفوس وعجز الناس عن مطالبته وورثه أعقاب لهذا العهد فلا تظن أنه غير عصاية فليس كذلك وقد
كان مبدؤه بعصاية الا انها قليلة وعلى قدر الحاجة فان قطر الاندلس لقلة العصائب والقبائل فيه يغني
عن كثرة العصية في التغلب عليهم والله غني عن العالمين

١٠ * (فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد)

وذلك ان الملك كما قدمناه انما هو بالعصية والعصية متألقة من عصيات كثيرة تكون واحدة منها أقوى
من الاخرى كلها فتغلبها وتستولي علىها حتى تصير هاجية في ضمها وبذلك يكون الاجتماع والغلب على
الناس والدول وسره ان العصية العامة للقبيل هي مثل المزاج للسكران والمزاج انما يكون عن العناصر
وقد تبين في موضعه ان العناصر اذا اجتمعت من كافة فلا يقع منها مزاج أصلا بل لابد ان تكون واحدة
منها هي الغالبة على الكل حتى تجتمعها وتوافقها وتصيرها عصية واحدة شاملة للجميع العصائب وهي
موجودة في ضمها وتلك العصية الكبرى انما تكون قوم أهل بيت ورياسة فيهم ولا بد ان يكون
واحد منهم رئيسا لهم غالبا عليهم فيتم من رئيسا للعصيات كلها الغلب منتهى مجمعها واذا تبع من ذلك من
الطبيعة الحيوانية ذات الكبر والافتخار فيألف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استئناسهم والتحكم
فيهم ويجبى الخلق إلى الذي في طابع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف
الحكام لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فتجد حينئذ انوف العصيات ويقلج شككهم عن ان يسعوا
الى مشاركتهم في التحكم وتقرع عصبيتهم عن ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الامر
لاناقة ولا جلا فينفرد بذلك الجذب بكميته ويدفعهم عن مساهمته وقد يتم ذلك لأول من ملوك الدولة وقد
لا يتم الا للثاني والثالث على قدر ما نفع العصيات وقوتها الا انه أمر لا بد منه في الدول سنة الله التي قد خلت
في عبادته والله تعالى أعلم

١١ * (فصل في ان من طبيعة الملك الترف)

وذلك ان الامة اذا تغلبت وملك ما يبدى أهل الملك قبلها كثر ياشمونها وتمتافت كثير عواندهم
ويتجاوزون ضرورات العيش وخشوتهم الى نوافله ورقته وزينته ويذهبون الى اتباع من قبلهم في
عواندهم وأحوالهم وتصير تلك النوافل عواند ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رقة الأحوال
في المطاعم والملابس والفرش والانتبة ويتفاخرون في ذلك ويتفاخرون فيه غيرهم من الامم في كل
الطيب واللبس والاني ور كواب الفاره وينبغي خلفهم في ذلك سلفهم الى آخر الدولة وعلى قدر ملكهم
يكون حظهم من ذلك وترفعهم فيه الى ان يملقوا من ذلك الغاية التي للدولة ان تبلغها بحسب قوتها وعواند
من قبلها سنة الله في خلقه والله تعالى أعلم

١٢ * (فصل في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون)

وذلك ان الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايها الغلب والملك واذا حصلت الغاية انقضت
الله تعالى نشر بين يدي رحمة فيسوق بها العاصف ويحعلها القاحل للثمرات ورواحا للعباد وينهمون منها ويتقلبون فيها وتجري بها مياههم
وتقد بها نيرانهم وتسير بها في البحر أفلا كهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم وتخلص إلى أنفسهم فيشكروها الشاكرون

وقد يتأذى بها كثير من الناس ولا يزيلها ذلك عن منزلتهم من قوام عبادته وتمام نعمته (ومثاله) أيضا مثال الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحا (١٠٠) للحرث والنسل ونتاج الحب والثر يحجمهما البرد بأذن الله ويخرجهما الحر بأذن الله

السعي اليها (قال الشاعر)

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فاذا حصل الملك اقصر اعن المتاعب التي كانوا يشكفون في طلبه وآثروا الراحة والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من المأبى والمساكن والملابس فينبون القصور ويحرون المياه ويعرسون الرياض ويستمتعون باحوال الدنيا ويؤثرون الراحة على المتاعب ويتأنقون في احوال الملابس والمطاعم والآنية والقرش ما استطاعوا وبالفن ذلك ويؤثرونه من بعدهم من اجيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم الى أن يتأذن الله بامرهم وهو خير الحاكمين والله تعالى اعلم

١٣ * (فصل في انه اذا استخف كمت طبيعة الملك من الانفراد بالجد

وحصول الترف والدعة اقبلت الدولة على الهرم) *

وبيانه من وجوه * الاول انها تقتضي الانفراد بالجد كما قلناه ومهما كان الجد مشتركا بين العصابة وكان سعيهم له واحدا كانت همهم في التغلب على الغير والذب عن الحوزة أسوة في طموحها وقوة شكايتها وحرصهم الى العز جميع وهم يستطيون الموت في بناء مجددهم ويؤثرون الهداية على فسادها واذا انقرد الواحد منهم بالجد قرع عصبيتهم وكبح من اعنتهم واستأثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن الغزو وفشل ربحهم ورغوا المذلة والاستعباد ثم ربي الجبل الثاني منهم على ذلك يحسبون ما ينالهم من العطاء اجر امن السلطان لهم على الحماية والمعونة لا يجري في عقولهم سواء وقل أن يستأجر أحد نفسه على الموت فيصير ذلك ومنا في الدولة وخضامان الشوكة وتقبل به على مناحي الضعف والهرم لفساد العصبية بذهاب البأس من أهلها * الوجه الثاني ان طبيعة الملك تقتضي الترف كما قدمناه فتكثر عوائدهم وتزيد نفقاتهم على اعطياتهم ولا يفي دخلهم بخرجهم فالفقير منهم يهلك والترف يستغرق عطايه بترفه ثم يزاد ذلك في اجيالهم المتأخرة الى ان يقصر العطاء كله عن الترف وعوائدهم وتسهم الحاجة وتطالبهم ولو لم يكن يحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجدون وليجة عناء فيوقعون بهم العقوبات ويتزعجون ما في أيدي الكثير منهم يستأثرون به عليهم أو يؤثرون به أبناءهم وصنائع دولتهم فيضعفونهم لذلك عن اقامة أحوالهم ويضعف صاحب الدولة بضعفهم وأيضاً اذا كثرت الترف في الدولة وصار عطاؤهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم حتى يسد خللهم ويزيح عائلهم والحماية مقدارهم لهم ولا تزيدي ولا تنقص وان زادت بما يستحدث من المكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا فاذا وزعت الحماية على الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدث من ترفهم وكثرة نفقاتهم نقص عدد الحامية حينئذ دعما كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك فينقص عدد الحامية وثالثا ورابع الى ان يعود العسكر الى أقل الاعداد فتضعف الحماية لذلك وتسقط قوة الدولة ويتجاسر عليها من يحاورها من الدول او من هومت بدنها من القبائل والعصائب * يأذن الله فيها بالفناء الذي كتبه على خليفته * وأيضا فالترف مفسد للخلق بما يحصل في النفس من ألوان الشر والسفاسة وعوائدها كما يأتي في فصل المضادة فتذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على الملك ودليلا عليه ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر فيكون علامة على الادبار والانقراض بما جعل الله من ذلك في خليفته وتأخذ الدولة بمبادئ العطب وتتضعف أحوالها وتنزل بها أمراض من منة من الهرم الى أن يقضى عليها * الوجه الثالث ان طبيعة الملك تقتضي الدعة كما ذكرناه واذا اتخذوا الدعة والراحة مأفلا

فمنه يجمع على اعتدال الى غير ذلك من منافعها وقد يكون الاذى في حرهما وبردهما وسوءهما وزمهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان الى الصلاح والخير وقد غرر صلاحهما أذيتهما (ومثاله) أيضا مثل الليل الذي جعله الله تعالى سكونا ولباسا ونوما وراحة وسباتا وقد يستوحش له احوال الفقر ويسارع فيه أهل الدعاة والفساد والصوص وتعدو فيه السباع وتنتشر فيه الهوام وذوات الحجة والسموم القاتلة ثم لا ينسى العباد نعم الله تعالى عليهم به ولا يزرأ صغير ضرره بكبير نفعه (ومثاله) أيضا مثال النهار الذي جعله الله ضياء ونورا ونشورا واكتسابا وانتشارا وقد تكون فيه الحروب والغارات والتعب والنصب والشحوص والمخوضات فتستريح الخلق منه الى الليل ثم ينس العباد نعمته الله عليهم فيه وهكذا كل جسم من أمور الدنيا يكون ضرره خاصا ونفعه عاما فهو نعمة عامة وكل شيء يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام ولو كانت نعم الدنيا صغورا

من غير كدر وميسورها من غير معسور كانت الدنيا هي الجنة التي لا تعب فيها

ولا نصب (وقد قال الشاعر) لا ترج شيئا طالما نفعه * فالغيب لا يخلو من العيب * (الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية) *

وخلقا

اعلموا ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذ صفت الروح من السكرتيرت الى الجوارح سليمة وسمرت في جميع اجزائه
الجسد فامان الجسد من الغير فاستقامت الجوارح والحواس وانتظم امر الجسد وان تسكنت (١٠١) الروح او فسدت خراجها فباوج

الجسد فسرى الى الحواس

والجوارح كدرة وهي

منخرقة عن الاعتدال

فاخذ كل عضو وطاسة

بقسطه من الفساد فرضت

الجوارح وتعطلت فتعطل

نظام الجسد وجرالى

الفساد والهلاك (ومثال)

السلطان ايضا مثال النار

ومثال الخلق مثال الخشب

فما كان منها معتدلا لم يحتاج

الى النار وما كان منها

متأودا احتاج الى النار ليقام

أوده فبعدل عوجه فان

أفرطت النار احترق

الخشب قبل ان يستقيم

أوده وان قصرت النار لم يلبس

الخشب لقبول الاعتدال

فيبقى متأودا واذا كانت

النار معتدلة اعتدل الخشب

كذلك السلطان في أطواره

ان أفرط اهلك الخلق

وان فرط لم يستقيم واوان

اعتدل اعتدلوا (ومثاله)

ايضا مثال عين خرازة في

أرض خرازة فان حذلا

مشر به وعذب طعمه

وسلمت من السكر والفساد

أوصافه اخلط في الارض

فابتلعت صافيا صفا ثم

شربته عروق الاشجار

فاغتذت به كذلك فغاطت

سوقها وقرعت أغصانها

وامتدت افنانها ثم أخرجت

وخلقا صار لهم ذلك طبيعة وجب له شأن العوائد كلها واياها فترى أحياءهم المحادثة في غصارة العيش
ومهاد الترف والدعة ونبذة خلق التوحش وينسون عوائد البداءة التي كان بها الملك من شدة البأس
وتعود الافتراس وركوب البذاءة وهذابة القفر فلا يفرق بينهم وبين السوق من المحضر الا في الثقافة
والشارة فتضعف حياتهم ويذهب بأسهم وتخضع شوكتهم ويعودون الى ذلك على الدولة بما تلبس به من
ثياب الهرم ثم لا يزالون يتأوتون بعوائد الترف والمخاضة والسكون والدعة ورقة الخاشية في جميع
أحوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك يبعدون عن البداءة والخشونة وينسجون عن أشياء فسيأ وينسون
خلق الدسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالا على حامية أخرى ان كانت لهم واعتبر
ذلك في الدول التي أخبارها في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك صحيحا من غير ريبه وربما يحدث
في الدولة اذا طرقتها هذا الهرم بالترف والراحة أن يتخير صاحب الدولة أنصارا وشيعة من غير جلدتهم ممن
تعودوا الخشونة فيتعذبهم جنديا يكون أصبر على الحرب وأقدر على معاناة الشدة من الجوع والشتط
ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه أن يطرقتها حتى يأذن الله فيها بآمره وهذا كما وقع في دولة
الترك بالشرق فان غالب جندها الموالى من الترك فتخير ملوكهم من أولئك المماليك المجلوبين اليهم فرسانا
وجنودا فيكونون أجراء على الحرب وأصبر على الشطط من أبناء المماليك الذين كانوا قبلهم وروا في ماء
النعيم والسلطان وظله وكذلك في دولة الموحدين بافريقية فان صاحبها كثيرا ما يتخذ أجناده من زنادة
والعرب ويستأثر منهم ويترك أهل الدولة المتعودين للترف فتستجد الدولة بذلك عمرا آخر سامنا
الهرم والله واثق الارض ومن عليها

١٤ * (فصل في ان الدولة لها اعمار طبيعية كمالا لشخاص) *

اعلم ان العمر الطبيعي للأشخاص على ما زعم الأطباء والمختصون مائة وعشرون سنة وهي سنوالة هر
الكبرى عند النجيين ويختلف العمر في كل جيل بحسب القرانات فيز يدعى هذا ويقتص منه فتكون
أعمار بعض أهل القرانات مائة تامة وبعضهم خمسين أو ثمانين أو سبعين على ما تقتضيه أدلة القرانات
عند الناظرين فيها وأعمار هذه الملة ما بين الستين الى السبعين كفي الحديث ولا يز يدعى العمر الطبيعي
الذي هو مائة وعشرون الا في الصور النادرة وعلى الاوضاع القرية من الفلك كما وقع في شأن نوح عليه
السلام وقيل من قوم عاد وعثودا وأما الدول أيضا وان كانت تختلف بحسب القرانات الا ان
الدولة في الغالب لاتعدو أعمار ثلاثة أجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون اربعين
الذي هو انتهاء النور والنشأ الى غاية قال تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة وله ذاك ان عمر
الشخص الواحد هو عمر الجيل ويؤيده ما ذكرناه في حكمة التيه الذي وقع في بني اسرائيل وان المقصود
بالاربعين فيه فناء الجيل الاحياء ونشأة جيل آخر لم يهدوا للذل ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعين في
عمر الجيل الذي هو عمر الشخص الواحد وانما قلنا ان عمر الدولة لا يهدو في الغالب ثلاثة أجيال لان الجيل
الاول لم يزلوا على خلق البداءة وخشونة وتوحشها من شطط العيش والدسالة والافتراس والاشترار
في الجدد لاتزال بذلك سورة العصبية محفوفة فيهم فهدم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون
والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترف من البداءة الى المخاضة ومن الشطط الى الترف والخصب ومن
الاشترار في الجدد الى انفراد الواحد به وكسل الباقيين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة
فتكسر سورة العصبية بعض الشيء وتونس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما

أوراقها وأبرزت أزهارها ثم قذفت ثمارها فاجت على اتم طبيعتها كبروا طعمها ولولا نار حمة فتفتت بها العبادوا كات حظوظها البهائم
والحشرات وسقط عليها الطير فاحترق كل منها قوته واستقام النظام وان كان في حواشي الارض ما يدق عن الانبات والنقع ويكدي عن

الزكاة والريع او كان فيهما من الشجرة ما يبرز جملة و يقل ريعه اعطى كل ذلك الغاية من نفسه و اطلع ما في قواه ولم يغادر مكننا الا وفاه وان كان في العين كدر او فساد او ملح (١٠٢) شربتها الاشجار كذلك ففسد مزاجها و اضر الجزء الفاسد بالطيب فزقت سوقها و وضعت

أدركوا الجيل الاول و باشروا احوالهم و شاهدوا من اعتراهم و سعيهم الى الجود و مرهم في المدافعة و الحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكسبة و ان ذهب منه ما ذهب و يكونون على رجاء من مراجعة الاحوال التي كانت للجيل الاول او على ظن من وجودها فيهم و اما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة و الخشونة كان لم تكن و يفقدون حلاوة العز و العصبة بما هم فيه من مذكرة القهر و يبلغ فيهم الترف غاية بما تنسكوه من النعم و غضاوة العيش فيصيرون عبالا على الدولة و من جملة النساء و الولدان المحتاجين لمدافعة عنهم و ينسقط العصبة بالجملة و ينسون الحماية و المدافعة و المطالبة و يلبسون على الناس في الشارة و الزى و ركب الخيل و حسن الثقافة و يهون بها و هم في الاكثر ارجين من النساء على ظهورها فاذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا و مدافعتهم فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظهار بسواهم من اهل النجدة و يستكثر بالموالي و يصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقرضها فذهب الدولة عما حلت فيه هذه كاتراة ثلاثة احوال فيها يكون هرم الدولة و تخلفها و لهذا كان انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في ان الجود و الحسب انما هو في أربعة آباء و قد اتيناك فيه ببرهان طبيعي كاف ظاهر مبني على ما مهندناه قبل من المقدمات فتأمل فلو ان تعدد وجه الحق ان كنت من اهل الانصاف و هذه الاحوال الثلاثة عمرها مائة و عشرين سنة على ما مر و لا تعدد الدول في الغالب هذا العمر بتقريب قبله او بعده الا ان عرض لها عرض آخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلا لا مستتبليا و المطالب لم يحضرها و لو قد جاء الطالب لم يوجد مدافعا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التريدي الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع و لهذا يجري على السنة الناس في المشهور ان عمر الدولة مائة سنة و هذا معناه فاعتبره و اتخذ منه قانونا يجمع لك عدد الا بقاء في عمود النسب الذي تريده من قبل معرفة السنين الماضية اذا كنت قد استريت في عددهم و كانت السنين الماضية منذ أولهم محصلة لديك فعد لكل مائة من السنين ثلاثة من الا بقاء فان قلت على هذا القياس مع نفوق عددهم فهو صحيح و ان نقصت عنه بجعل فقد غلط عددهم بزيادة واحدة في عمود النسب و ان زادت بمثله فقد سقط واحد و كذلك تأخذ عدد السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك فتأمله تجد في الغالب صحيحا و الله يعقد الليل و النهار

*) (فصل في انتقال الدولة من البدوة الى الحضارة) *

١٥

اعلم ان هذه الاطوار طبيعية للدول فان الغلب الذي يكون به الملك انما هو بالعصبة و بما يتبعها من شدة البأس و تعود الافراس و لا يكون ذلك غالبا الا مع البدوة فطور الدولة من أولها بدوة ثم اذا حصل الملك تبعه الرفعة و اتساع الاحوال و الحضارة انما هي تقين في الترف و احكام الصنائع المستعملة في وجوده و مذاهبه من المطابخ و الملابس و المباني و الفرش و الابنية و سائر عوائد المنزل و احواله فكل واحد منها منافع في استجداته و التأتق فيه تختص به و يتلو بعضها بعضا و تتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات و الملاذ و التمتع باحوال الترف و ما تتلون به من العوائد فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البدوة ضرورة لضرورة تبعية الرفعة للملك و اهل الدول ابداء يقلدون في طور الحضارة و احوال الدولة السابقة قبلهم فاحوالهم يشاهدون و منهم في الغالب يأخذون و مثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح و ملكوا فارس و الروم و استخدموا بناتهم و بناتهم و لم يكونوا ذلك العهد في شيء من الحضارة فقد حكى انه قدم لهم المرقق فكانوا يحسبونه رقا و عثروا على الكافور في خزائن كسرى فاستعملوه في عجينهم و لحما و أمثال ذلك فلما استعبدوا اهل الدول قبلهم و استعملوه في مهنتهم و حاجات منازلهم و اختاروا منهم المهرة في أمثال ذلك

أغصانها و تغيرت أوراقها و قالت أزهارها و غارها و دخل الفساد على جميع ذلك فجاءت الثمرة و هي ترزق و رها ردى طعمها كاسف لو نها فدخل بذلك من النقص على جميع الحيوان مثل ما دخل عليهم في الاولى و لهذا قال الرسول صلى الله عليه و سلم ان الحشرات لتموت في أجرتها هز الا يذنب ابن آدم يعني اذا كثرت المعاصي في الارض حبست السماء غياها و منعت الارض نباتها فهلك الهوام و الحشرات و الدواب

*) (الباب العاشر في بيان معرفة خصال و رد الشرع بها فيها نظام الملك و الدول) *) و هي ثلاثة الدين و ترك الفظاظة و المشاورة و ان لا يستعمل على الاعمال و الولايات راعب فيها و لا طالب لها و لما علم الله تعالى ما فيها من انتظام امر الملة و استقامة الامر نص عليها الله سبحانه و رسوله اعلم ان هذه الخصال من أساس الممالك و قل من يعمل بها من الملوك اثنتان نزلت من السماء و واحدة قالها الرسول صلى الله عليه و سلم اما الالهية فقال

الله تعالى فيمراجعة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و ساورهم في الامرو في الآية اشار بان احداها ما ان الفظاظة تنقر الاصحاب و الجلساء و تفرق الجوع و الحشم و انما الملك

ملك مجلسائه وأصحابه وحشمه واتباعه وأخلق بخصلة تنفردوا بها وتطعم الأعداء فقام بكل سلطان رفضها والاختيار من سوء مغبتها
ولكن كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وروى أن النبي (١٠٣) صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه

فجاء رجل فقال أيكم ابن
عبد المطلب فقالوا هذا
البيض المتكئ فقال الرجل
يا ابن عبد المطلب فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد
أجبتك دل الأثر على أنه
ما استأثر بشرف المجلس
ولا فاتهم بزي ولا مقعد
وقد يبلغ بالدين ما يبلغ
بالعظيمة ألا ترى أن الرياح
تهون أصولها فيتدأخل
لها الشجر وتعتطف الأفنان
والاغصان وفي القسوط
تسكن الاغصان والماء
يلين في أصول الشجر
يقالها من أصلها إذا
كانت الحية مع صعبتها
وسمها وتغيبها في بحرها
ترقى بالكلام حتى تستعطف
فتخرج فلا تسان أخرى ان
يسمى بالبين القول وحسن
المنطق فاذا أردت ان تتعلم
من سبي اليك فكافئه
بكل كلمة سوء قالها كلمة
جميلة وحسن ثناء عليه
والإشارة الثانية انه قال
وشاورهم في الأمر فاذا قيل
لنا كيف يشاورهم وهو
نبيهم وامامهم هو واجب
عليهم مشاورته وأن لا
يفصلوا أمرادونه قلنا هذا
آدب أدب الله تعالى نبيه
عليه السلام به وجعله
مأدبة لساائر الملوك والأمراء

والقومة عليه أفادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتقنين فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفتن
في أحواله فبلغوا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترقي في الأحوال واستتجادة المطاعم والمشارب
والملابس والمباني والأسلحة والفرش والآنية وسائر المساعون والحرفى وكذلك أحوالهم في أيام المباشرة
والولائم والبالى الاعراس فأتوا من ذلك وراه الغاية وانظر ما نقله المسعودى والطبرى وغيرهما في اعراس
المأمون بيورن بنت الحسن بن سهل وما بذل أبوها الحاشية المأمون حين وافته في خطبتها الى داره بقم الصلح
وركب اليها في السفين وما أنفق في أملاكها وما منحها المأمون وأنفق في عرسها أنفق من ذلك على العجب
فنه ان الحسن بن سهل نثر يوم الاملاك في الصنيع الذى حضره حاشية المأمون فنثر على الطبقة الاولى منهم
بنادق المسك ملثونة على الرقاع بالاضباع والعقار مسوغة لمن حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما أداه
اليه الاتفاق والبخت وفرق على الطبقة الثانية بدر الدنانير في كل بدرة عشرة آلاف وفرق على الطبقة
الثالثة بدر الدراهم كذلك بعد ان أنفق في مقامه المأمون بدراة أضعاف ذلك ومنه ان المأمون اعطاها في
مهرها ليلة زفافها ألف حصاة من الباقوت وأوقد شعوع الغنبر في كل واحدة مائة من وهو رطل وثلثان (١)
وبسط لها فرشاً كان الحصر منها منسوجا بالذهب مكلالا بالدر والياقوت وقال المأمون حين رآه قائل
الله إبانواس كانه أبصر هذا حيث يقول في صفة الحجر

كان صغيرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب

وأعبدوا الضئع من الخطب ليلة الولاية نقل مائة وأربعين بغلامدة عام كامل ثلاث مرات في كل يوم وفى
الخطب لليلتين وأوقدوا الحجر يديصمون عليه الزيت وأرسل الى النواتية بأحضار السفن لاجازة الخواص
من الناس بدجلة من بغداد الى قصور الملك بمدينة المأمون لحضور الولاية فكانت الحركات (٢) المدة لذلك
ثلاثين الفا أجازوا الناس فيها أخريات نهارهم وكثير من هذا وأمثاله وكذلك عرس المأمون بن ذى النون
بطيلة نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن حبان بعد ان كانوا كلهم في الطور الاول من البدوة عاجزين
عن ذلك جلة لفقدان أسبابه والقائمين على صنائعه في غضاقتهم وسذاجتهم يذكرون الحجاج أولم في اختتان
بعض ولده فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولائهم الفرس وقال اخبرني بأعظم صنيع شهدته فقال له نعم
أيها الأمير شهدت بعض مرازبة كسرى وقد صنع لاهل فارس صنيعا أحضر فيه صحاف الذهب على أخونة
الفضة أربع على كل واحد وتحمله أربع وصائف ويجلس عليه أربعة من الناس فاذا طعموا اتبعوا
أربعمهم المائدة بصحافها ووصائفها فقال الحجاج يا غلام انحر الجزر وأطعم الناس وعلم انه لا يستقل بهذه
الابهة وكذلك كان يوم من هذا الباب أعطية بنى أمية وجوارثهم فأنما كان أكثرها الابل أخذاء ذاهب
العرب وبيداتهم ثم كانت الجوارث في دولة بنى العباس والعبيدين من بعدهم ما علمت من أحوال المال
وتحت الثياب وأعداد الخيل بما كبرها وهكذا كان شأن كلمة مع الأغلبية بأفريقية وكذا بنى طغج بمصر
وشأن المنونة مع ملوك الطوائف بالاندلس والموحدين كذلك وشأن زناتة مع الموحدين وهلم جرا تنتقل
الحضارة من الدول السالفة الى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بنى أمية وبنى العباس
وانتقلت حضارة بنى أمية بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحدين وزناتة لهذا العهد وانتقلت حضارة
بنى العباس الى الديلم ثم الى الترك ثم الى السلجوقية ثم الى الترك المماليك بمصر والنتر بالعراقين وعلى قدر

- (١) قوله وثلثان الذى في كتب اللغة ان المن رطل وقيل رطلان ولم يوجد في النسخة التونسية الثلثان اه
(٢) الحركات بالفتح جمع حركات سقينة فيها رمى نار يرمى بها العدو اه مختار

والسلاطين لما علم الله تعالى ما في المشاورة من حسن الادب مع المجلس ومسامحة في الأمور فان نفوس الجلساء والنحهاء والوزراء
صلح عليه وقيل اليه وتخضع عتوة بين يديه شرعة لنبيه عليه السلام ولذوى الامر من أهل ملته صلى الله عليه وسلم ألا ترى أن النبي عليه

السلام كان في غزوة فأمرهم بالنزول فقال له سعد بن مسعود يا رسول الله ان كان هذا بامرك فسمع وطاعة وان كان غير ذلك فليس بمنزل فسمع منه النبي عليه السلام وقال ارتحلوا ومن أقبح (١٠٤) ما يوصف به الرجال ملو كانوا أو سوقة الاستبداد بالراى وترك المشاورة وسنة عقد

للمشاورة بان شاء الله تعالى
والخصلة الثالثة ما روى
البخارى ومسلم وغيرهما
ان رجلا قال يا رسول الله
استمعاني فقال النبي عليه
السلام انا لا نستعمل على
عملنا من اراده والمرفيه ان
الولايات امانات وتصرف
في ارواح الخلائق واموالهم
والتسرع الى الامانة دليل
على الخيانة وانما يخاطبها
من يريد اكلها واذا اتفق
خائن على موضع الامانات
كان كاسترعاء الذئب على
الغنم ومن هذه الخصلة
تفسد قلوب الرعايا على
ملوكها لانه اذا انتفعت
حقوقهم وأكلت أموالهم
فسدت نباتهم وأطلقوا
الستهم بالدعاء والتشكي
وذكر واستأثر الملو بالعدل
والاحسان فكانوا كالبيت
السائر الذي انشدناه
وراعى الشاة يحمى الذئب
عنها
فكيف اذا الرعاة لها ذئب
فاذا خان أهل الامانات
وفسد أهل الولايات كان
الامر كما قال الاول
بالملح يصلح ما يحشى تغيره
فكيف بالملح ان حلت به
التغير

(وقال آخر)

ذئب تراه مصليا ■ فاذا مرت به ركع
تجمل بها اذا العلا ■ ان الفؤاد قد انصدع

يدعو وجل دعائه ■ مالا لقرية مانتع
ومن اشراط الساعة التصدي للامانة وخطبة الولاية

الوفود

عظم الدولة يكون شأنها في الحضارة اذ امور الحضارة من توابع الترف والترفع من توابع الثروة والنعمة
والثروة والنعمة من توابع الملك ومقدار ما يستولى عليه أهل الدولة فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله فاعتبره
وتفهمه وتأمله تجده صحيحا في العرآن والله وارث الارض ومن عليه اوه وخير الوارثين

١٦ * (فصل في ان الترف يزيد الدولة في أولها قوة الى قوتها) *

والسبب في ذلك ان القليل اذا حصل لهم المال والترف كثر التناسل والولد والعومية فكثر العصابة
واستكثر وايضامن الموالى والصنائع وربيت أجيالهم في جو ذلك النعيم والرفه فازدادوا بهم عدد الى
عدد هم وقوة الى قوتهم بسبب كثرة العصابات حيث يكثر العدد فاذا ذهب الجبل الاول والثاني
واخذت الدولة في الهرم لم تستقل أولئك الصنائع والموالى بانفسهم في تأسيس الدولة وتمهيد ملكها لانهم
ليس لهم من الارث شيء انما كانوا عيال على أهلها ومعونة لها فاذا ذهب الأصل لم يستقل الفرع بالرسوخ
فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة واعتبر هذا بما وقع في الدولة العربية في الاسلام
كان عدد العرب كما قلناه لعهد النبوة والخلافة مائة وخمسين ألفا او ما يقاربها من مضر وقحطان وما بلغ
الترف مبالغه في الدولة وتوفر غنمهم بتوفر النعمة واستكثر الخلفاء من الموالى والصنائع بلغ ذلك العدد الى
أضعافه يقال ان المعتصم نازل عوربة لما افتتحها في تسعمائة الف ولا يبعده مثل هذا العدد ان يكون
صحيحا اذا اعتبرت حاميتهم في الثغور والدانية والقاصية شرقا وغربا الى الجند المحاملين ممر بر الملك والموالى
والمصطنعين وقال المسعودي احصى بنو العباس بن عبد المطلب خاصة أيام المأمون ثلاثين ألفا فبلغ عليهم فكانوا
ثلاثين الفابن ذكر ان واثان فانظر مبالغ هذا العدد لافل من مائتي سنة واعلم ان سببه الرفه والنعيم الذي
حصل للدولة وورث فيه اجيالهم والافعد العرب لاول الفتح لم يبلغ هذا ولا قريبا منه والله الخلاق العليم

١٧ * (فصل في اطوار الدولة واختلاف احوالها وخلق أهلها باختلاف الاطوار) *

(اعلم) ان الدولة تنقلب في اطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقا من
احوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الاخر لان الخلق تابع بالاطبع لمزاج الحال الذي هو فيه
وحالات الدولة واطوارها لا تعدو في الغالب خمسة اطوار اطوار الاول طور الظفر بالبغيه وغلب المدافع
والممانع والاستيلاء على المال وانتزاعه من ايدي الدولة السالفة قبلها فيكون صاحب الدولة في هذا
الطور اسوة قومه في اكتساب الجود وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا يفردونهم بشي لان
ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تر - - - - - في هذا الطور الثاني طور الاستيلاء على
قومه والافراد دونهم بالملك وكبحهم عن التناول للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا
الطور معنيا باصطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنائع والاستكثار من ذلك المدد على انوف اهل عصبية
وعشيرته المقاسمين له في نسبة الضاربين في الملك بمثل سهمه فهو يدافعهم عن الامر ويصددهم عن موارد
ويردهم على أعقابهم ان يخلصوا اليه حتى يقر الامر في نصابه ويقر اهل بيته بما ينين من مجده فيعاني من
مدافعهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الاولون في طلب الامر أو شذلان الاولين دافعو الاجانب فكان ظهر اوقهم
على مدافعهم أهل العصبية بأجمعهم وهذا يدافع الاقارب لا يظاهاه على مدافعهم الا الاقل من الابعاد
فيركب صعبا من الامر الطور الثالث طور الفراغ والدعة لتحصيل ثروات الملك مما تنزع طباع البشر اليه
من تحصيل المال وتخليد الاثمار وبعد الصبب فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدخل والمخرج واحصاء
التنقعات والقصد فيها وتشديد المبادئ المحافلة والمصانع العظيمة والامصار المتسعة والميا كل المرتفعة واجازة

(وردى) عن النبي عليه السلام انه قال من اشراط الساعة ان تكون الزكاة مغرما والامانة مغتصبا فيئذ يدعوه عليه الضعيف واهل
الصلاح ويقعده بالمرصاد الشرير ويخامر عليه القوى ويقبح ثأؤه عند الجماعة (١٠٥) ويتمنون الراحة منه وينظرون

من يصلح لها سواها

(الباب الحادى عشر فى بيان معرفة الخصال التى هى قواعد السلطان ولا ثبات له دونها)

فاول الخصال واحقها

بالرعاية العدل الذى هو

قوام الملك ودوام الدول

واس كل ملكة سواء كانت

نبوية او اصلاحية اعلم

ارشدك الله ان الله تعالى

امر بالعدل ثم علم سبحانه

ان ليس كل النفوس يصلح

على العدل بل تطلب

الاحسان وهو فوق العدل

فقال ان الله يأمر بالعدل

والاحسان وابتداء ذى القربى

فلوسع الخلق العدل ما

قرن الله به الاحسان فمن

لم يصلح حتى يزد على العدل

كيف يصلح اذ لم يبلغ به

العدل والعدل ميزان الله

فى الارض الذى به يؤخذ

للضعيف من القوى

وللمحق من المبطول وليس

موضع الميزان بين الرعية

فقط بل بين السلطان

والرعية ايضا فمن ازال

ميزان الله الذى وضعه من

القيام بالقسط فقد تعرض

لسخط الله تعالى وواعلم ايها

الوالى ان الملك بمنزلة رجل

فراسه أنت وقلبه وزيرك

ويداه أعوانك ورجلاه

الوفود من اشراف الامم ووجوه القبائل وبث المعروف فى اهلها هذا مع التوسعة على صنائعها وحاشيتها فى
احوالهم بالمال والجاه واعتراض جنوده وادرار زاقهم وانصافهم فى اعطياتهم لكل هلال حتى يظهر أثر
ذلك عليهم فى ملابسهم وشكرهم وشاراتهم يوم الزينة فيما هى بهم الدول المسالمة وبرهب الدول المحاربة
وهذا الطور آخر اطوار الاستعداد من اصحاب الدولة لانهم فى هذه الاطوار كلها مستقلون بآرائهم بانون
لعزمهم موضوعون الطرق لمن بعدهم الطور الرابع طور التنوع والمسالمة ويكون صاحب الدولة فى هذا
قائما بما بينى ولوه سلبا لانظاره من الملوك واقتاله مقلدا للملأصين من سلفه فيتبع آثارهم حذو النعل
بالنعل ويتقنى طرقهم باحسن مناهج الاقتداء ويرى ان فى الخروج عن تقليد هم فساد أمره وانهم ابصر
بما ينوون من مجده الطور الخامس طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة فى هذا الطور متفلا لما
جمع اولوه فى سبيل الشهوات والملأ ذوا الكرم على بطانته وفى مجالسه واصطناع اخدان السوء وخضراء
الدم وتقليد هم عظيمات الامور التى لا يستقلون بحملها ولا يعرفون ما يأتون ويذرون منها مستفسدا
لكبار الاولياء من قومه وصنائع سلفه حتى يضطغوا عليه ويتخاذلوا عن نصرته مضطجعا من جنده بما
اتفق من اعطياتهم فى شهواته وحجب عنهم وجهه مباشرة وتفقدته فيكون نحر بالما كان سلفه يؤسسون
وهادما لما كانوا يبنون وفى هذا الطور تحصل فى الدولة طمعية الهرم ويستولى عليها المرض المزمن الذى
لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معه بره الى أن تقرض كمينه فى الاحوال التى تسرها والله خير الوارثين

١٨ * (فصل فى ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها فى اصلها) *

والسبب فى ذلك ان الآثار تأتى بحادث عن القوة التى بها كانت اولاً وعلى قدرها يكون الاثر فمن ذلك
مباني الدولة وهياكلها العظيمة فاعلم ان تكون على نسبة قوة الدولة فى اصلها لانها لاتتم الا بكثرة الفعلة
واجتماع الايدي على العمل والتعاون فيه فاذا كانت الدولة عظيمة فيسجد المجانب كثيرة الممالك
والرعايا كان الفعلة كثير بن جدا وحشروا من آفاق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظم هياكله الا ترى
الى مصانع قوم عاد وثمود وقصه القرآن عنهم وانظر بالمشاهدة ان كان كسرى وما اقتدر فيه الفرس حتى
انه عزم الرشيد على هدمه وتخريره فكاد عنه وشروع فيه ثم ادركه العجز وقصة استشارته ليحيى بن خالد
فى شأنه معروفة فانظر كيف تقدر دولة على بناء لا تستطيع اخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء
فى السهولة تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بنى امية بقرطبة
والقنطرة التى على واديها وكذلك بناء الحنايا لحلب المساء الى قرطاجنة فى القنطرة الراكبة عليها وآثار شرمال
بالمغرب والاهرام عصور كثير من هذه الآثار الماثلة للعيان تعلم منه اختلاف الدول فى القوة والضعف
واعلم ان تلك الافعال لا لاقدمين انما كانت بالهندام واجتماع الفعلة وكثرة الايدي عليها فبذلك شيدت
تلك الهياكل والمصانع ولا تتوهم ما تتوهمه العامة ان ذلك لعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا فى
اطرافها واقطارها فليس بين البشر فى ذلك كبير بون كما تتجسس بين الهياكل والالآت واولاد دولع القصاص
بذلك وتغالوا فيه وسطر واعن عاد وثمود والعلم بالقة فى ذلك اخبار اعرىقة فى الكذب من اغربها
ما يحكون عن عوج بن عناق (١) رجل من العالقة الذين قاتلهم بنو اسرائيل فى الشام زعموا انه كان لطوله
ينساو السمك من البحر ويشويه الى الشمس يزيدون الى جهلهم بما حوال البشر الجهل بما حوال
(١) قوله ابن عناق الذى فى القاموس فى باب الجيم عوج بن عوق بالواو والمشهور على السنة الناس عنق
بالنون اه

(١٥ - ابن خلدون) رعبك وروحك عدلك وما بقا جسدك بالروح واذا أردت ذروة العدل فاعلم ان الرعية ثلاثة أنفس كبير وصغير
ووسط فاجعل كبيرهم ابا ووسطهم اخا وصغيرهم بنافير اباك واكرم اخاك وارحم ابنك فانك واصل بذلك الى بر الله وكرامته ورجته واعلم

ان عدل الملك يوجب الاجتماع عليه وجوره يوجب الافتراق عنه عدل الملك حياة رعيته وفي منوره الحكم سلطان جائر أربعين عاما خير من رعية مهملة ساعة واحدة (١٠٦) من النهار اذا عدل السلطان فيما يقرب منه صلح له ما بعده من فضل الملوك في الاعطاء وشرفها

الذكوا كب لما اعتقدوا ان للشمس حرارة وانها شديدة فمما قرب منها ولا يعلمون ان الحر هو الضوء وان الضوء فمما قرب من الارض اكثر لانعكاس الاشعة من سطح الارض بمقابلة الاضواء فتضاعف الحرارة هنالاجل ذلك واذا تجاوزت مطارج الاشعة المنعكسة فلا حر هنالك بل يكون فيه البرد حيث يجاري السحاب وان الشمس في نفسها لا حارة ولا باردة وانما هو جسم بسيط مضى لا مزاج له وكذلك عوج بن عناق هو فيما ذكره من العمالة او من الكنعانيين الذين كانوا فرسية بني اسرائيل عند فتحهم الشام واطوال بني اسرائيل وجسمانهم لذلك العهد قريبة من هياكلنا يشهد لذلك ابواب بيت المقدس فانها وان خربت وجدت لم تنزل المحافظة على اشكالها ومقادير ابوابها وكيف يكون التفاوت بين عوج وبين أهل عصره بهذا المقدار وانما مشار غلطهم في هذا انهم استعظموا آثار الامم ولم يفهموا حال الدول في الاجتماع والتعاون وما يحصل بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة فصر فوه الى قوة الاجسام وشدها بعظم هياكلها وليس الامر كذلك وقد زعم المسعودي ونقله عن الفلاسفة فرعا لا مستند له الا التحكم وهو ان الطبيعة التي هي جملة الاجسام لما برأ الله الخلق كانت في تمام الكثرة ونهاية القوة والكمال وكانت الاعمار اطول والاجسام اقوى لكمال تلك الطبيعة فان طر والموت انما هو بالخلل القوى الطبيعية فاذا كانت قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اولية نشأته تام الاعمار كمال الاجسام ثم لم ينزل ينقص نقصان المادة الى ان بلغ الى هذه الحال التي هو عليها ثم لا يزال ينقص الى وقت الانحلال وانقراض العالم وهذا راى لا وجه له الا التحكم كتم كثره وليس له علة طبيعية ولا سبب برهاني ونحن نشاهد مساكن الاولين وابوابهم وطرقهم فيما احدهم من البنين والهياكل والديار والمساكن كديار عود والمنحوتة في الصلدمن الصخر بيوت اصغار وابوابها ضيقة وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى انها ديارهم ونهى عن استعمال مياههم وطرح ما عجن به وأهرق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما أصابهم وكذلك ارض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض شرقا وغربا والحق ما قررناه ومن آثار الدول ايضا حالها في الاعراس والوالثم كما ذكرناه في ولعة بوران وصنيع الحاج وابن ذي النون وقد مر ذلك كله ومن آثارها ايضا اعطاي الدول وانها تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيها ولو اشرفت على الهرم فان المهمم التي لاهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبتهم للناس والهمم لا تزال مصاحبة لهم الى انقراض الدولة واعتد برذلك بجوار ابن ذي يزن لو قد قرىش كيف اعطاهم من ابطال الذهب والفضة والاعبد والوصائف عشر اشرا ومن كرش العنبر واحدة واضعف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطالب وانما ملكه يومئذ قرارة الامن خاصة تحت استبداد فارس وانما ساجله على ذلك همة نفسه بما كان لقومه المتابعة من الملك في الارض والغلب على الامم في العراقين والهند والمغرب وكان الصنهاجيون بافريقية ايضا اذا اجازوا الوفد من امره زناة الوافدين عليهم فانما يعطونهم المال اجمالا والكساء فتحتوا مملوأة والجمالات جنائب عديدة وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك اخبار كثيرة وكذلك كان عطاء البرامكة وجوارثهم ونفقاتهم وكانوا اذا كسبوا ماعدا فاما هو والولاية والنعمة آخر الدهر لا العطاء الذي يستنفده يوم او بعض يوم واخبارهم في ذلك كثيرة مسطورة وهي كلها على نسبة الدول جارية هذا جوهر الصقلي الكاتب قائد جيش العبيدين لما ارتحل الى فتح مصر استعد من القيروان بالالف جل من المال ولا تنتهي اليوم دولة الى مثل هذا وكذلك وجد بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحتمل الى بيت المال ببغداد ايام المأمون من جمع النواحي نقلته من جراب الدولة (غلات السواد) سبع وعشرون ألف ألف درهم

في العفو وعزها في العدل عدة السلطان ثلاثة مشاورة النجباء وثبات نيات الاعوان واقامة سوق العدل افضل الازمنة ازمنة أئمة العدل ثم العدل ينقسم قسمين قسم المي جاءت به الرسل والانبياء عليهم السلام عن الله تعالى والثاني ما يشبه العدل وهو السياسة الاصلاحية التي هرم عليها الكبير ونشأ عليها الصغير وبعيدان يبقى سلطان او تسقيم رعية في حال ايمان او كفر بلا عدل قائم ولا ترتيب للامور ثابت فذلك ما لا يجوز ولا يمكن وقد ذكرنا في اول الكتاب ان سليمان بن داود سلب ملكه حين جاس الخصمان بين يديه وكان لاحدهما خاصة بتسليمان فقال في نفسه ووددت ان يكون الحق الخاصتي فاقضى له فسلبه الله تعالى ملكه وقد الشيطان على كرسيه فاجعل العدل واس سياستك فتستطعك جميع الافات المفسدة للسياسة وقوم لك جميع الشرائط التي تقوم بها المملكة قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه امام عادل خير من مطروايل

واسد حطوم خير من سلطان ظلم و سلطان ظلم خير من قننة تدوم وقال ابن مسعود اذا كان الامام عادلا فله الاجر مرتين وعليك الشكر وان كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر وقال سليمان بن داود عليه السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك واتفق حكما

العرب والجم على هذه الكلمات فقالوا الملك بناء والجند أساسه فإذا قوى الأساس دام البناء وإن ضعف الأساس انهار البناء فلا سلطان
الاجند ولا جند الامبال ولا مال الاجبية ولا جباية الاجمارة ولا عمارة الابعدل (١٠٧) فصار العدل أساس السائر الاساسات

فاما العدل النبوي فان
يجمع السلطان الى نفسه
جملة العلم الذين هم حفاظه
ورعاه وبقاه وهم الادلاء
على الله تعالى والقائمون بامر
الله والحفاظون لمحدود
الله والناسخون لعياد الله
وروى أبو هريرة عن النبي
عليه السلام قال ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة قالوا
لمن يا رسول الله قال لله
وليكم به ورسوله ولأئمة
المسلمين وعامتهم فاتخذ
أيها الملك العلماء شعارا
والصالحين دنارا فتدور
المملكة بين ناصح العلماء
ودعوات الصالحين وأخلاق
العلماء يدور بين هاتين
الخصلتين ان تقوم عمده
ويطول أمده وكيف لا
وقد فرقهم الله في سلطانه
واصفاهم بخالص
معرفة فقال جل من قائل
شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة وأولو العلم
قائما بالقسط فيد انفسه
وثني بلائكم وثلاث باولي
العلم وهم ورثة الانبياء عليهم
السلام الموفقون عن الله
تعالى لان الانبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما وانما
ورثوا العلم ففي تعظيمهم
وتقديسهم امتثال لأمر الله

مرتين وثمانمائة ألف درهم ومن الحمل النجرانية مائة حيلة ومن طين الختم مائتان واربعون رطلا
* (كنكر) * احدى عشر ألف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم * (كوردجلة) * عشرون ألف درهم
درهم وثمانية دراهم * (حلوان) * اربعة آلاف درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم * (الاهواز) *
خمس وعشرون ألف درهم مرة ومن السكر ثلاثون ألف رطل * (فارس) * سبعة وعشرون ألف درهم
درهم ومن ماء الورد ثلاثون ألف قارورة ومن الزيت الاسود عشرون ألف رطل * (كرمان) * اربعة
آلاف ألف درهم مرتين ومائتا ألف درهم ومن المتاع اليما في خمسة مائة ثوب ومن الثمر عشرون ألف رطل
* (مكران) * اربعة مائة ألف درهم مرة * (السند وما يليه) * احدى عشر ألف درهم مرتين وخمسمائة
ألف درهم ومن العود الهندي مائة وخمسون رطلا * (سجستان) * اربعة آلاف ألف درهم مرتين ومن
التياب المعينة ثلاثمائة ثوب ومن الفانيد عشرون رطلا * (خراسان) * ثمانية وعشرون ألف ألف درهم
مرتين ومن نقر الفضة ألفان قرة ومن البراذين اربعة آلاف ومن الرقيق ألف رأس ومن المتاع عشرون
ألف ثوب ومن الاهليلج ثلاثون ألف رطل * (جران) * اثناعشر ألف ألف درهم مرتين ومن الابريسم
ألف شقة * (قومس) * ألف ألف مرتين وخمسمائة ألف من نقر الفضة * (طبرستان والروبان ونهاوند) *
سنة آلاف ألف مرتين وثلاثمائة ألف ومن الفرس الطبري ستمائة قطعة ومن الاكسية مائتان ومن
التياب خمسة مائة ثوب ومن المناديل ثلثمائة ومن الجاهات ثلثمائة * (الري) * اثناعشر ألف ألف درهم
مرتين ومن العسل عشرون ألف رطل * (همدان) * احدى عشر ألف ألف درهم مرتين وثلثمائة ألف ومن
رب الرمانين ألف رطل ومن العسل اثناعشر ألف رطل (ما بين البصرة والكوفة) عشرة آلاف ألف
درهم مرتين وسبعمائة ألف درهم (ماسبدان والدينار) اربعة آلاف ألف درهم مرتين * (شهرزور) *
سنة آلاف ألف درهم مرتين وسبعمائة ألف درهم * (الموصل وما اليها) * اربعة وعشرون ألف ألف
درهم مرتين ومن العسل الابيض عشرون ألف ألف رطل * (اذربيجان) * اربعة آلاف ألف درهم
مرتين * (الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات) * اربعة وثلاثون ألف ألف درهم مرتين ومن الرقيق
ألف رأس ومن العسل اثناعشر ألف رطل (٢) ومن البزاة عشرة ومن الاكسية عشرون * (ارمينية) * ثلاثة
عشر ألف ألف درهم مرتين ومن القسط المحفور عشرون ومن الزقم خمسة مائة وثلاثون رطلا ومن المسايح
السورماهي عشرة آلاف رطل ومن الصونج عشرة آلاف رطل ومن البغال مائتان ومن المهرة ثلاثون
* (فسرين) * اربعة مائة ألف دينار ومن الزيت ألف رطل * (دمشق) * اربعة مائة ألف دينار
وعشرون ألف دينار * (الاردن) * سبعة وتسعون ألف دينار * (فلسطين) * ثلاثمائة ألف دينار
وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة ألف رطل * (مصر) * ألف ألف دينار وتسعمائة ألف
دينار وعشرون ألف دينار * (برقة) * ألف ألف درهم مرتين * (افريقية) * ثلاثة عشر ألف ألف
درهم مرتين ومن البسط مائة وعشرون * (اليمن) * ثلثمائة ألف دينار وسبعمائة ألف دينار سوى
المتاع * (الحجاز) * ثلاثمائة ألف دينار تهبي واما الاندلس فالذي ذكره الثقات من مؤرخيها أن
عمد الرحمن الناصر خلف في بيوت أمواله خمسة آلاف ألف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها
بالقناطر خمسة مائة ألف قنطار ورأيت في بعض تواريخ الرشيد أن المول الى بيت المال في أيامه

(١) قوله والدينار الظاهر انها الدينور وفي الترجمة التركية مسندان وربان اه

(٢) قوله ومن البزاة الخ في التركية ومن السكر عشرة صناديق اه

تعالى وتعظيم لمن أثنى الله عليه ويجب ترفيع مجالسهم وتبليغ مواضعهم عن سواهم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا
العلم درجات وفيه استعمال لقلوب الرعية وخلص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته فواجب على السلطان ان لا يقطع أمرادونهم

ولا يقل حكما إلا مشاورتهم لانه في ملك الله يحكم وفي شريعته يتصرف وأقل الواجبات على السلطان ان ينزل نفسه مع الله منزلة ولاته
 أليس اذا خالف واليه أمره (١٠٨) وما ربه له من الاحكام عزله وعاقبه ولم يأمن سطوته واذا امثل أو امره وازجر من

زواجه حل منه مجمل
 الرضاء فوا عجايب ما يغضب
 على واليه اذا خالفه ثم
 لا يخاف سطوته به عليه
 اذا خالفه فهذه طريق
 اقامة العدل الشرعي
 والسياسة الاسلامية
 الجامعة لوجوه المصلحة
 الاخذة لازمة التدبير
 السالمة من العيوب المعهدة
 لاستقامة الدنيا والدين وكما
 ان الملك المحازم لا يتم حزمه
 الا مشاوره الوزراء والاخبار
 كذلك لا يتم عدله الا
 باستفتاء العلماء الابرار
 وقد وقع المأمون في قصة
 مظلم من عمرو بن مسعدة
 يا عمر اعر نعمتك بالعدل فان
 الجور يهدمها وفي اشاعة
 العدل قوة القلب وطمية
 النفس وزوم اليقين
 وأمان من العدو ولما
 استأذن الهرحزان على عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه
 لم يجده عنده حاجبا ولا بوابا
 فقيل له هو في المسجد فأتى
 المسجد فوجده مستلقيا
 متوسدا كوما من الحصباء
 ودوته بين يديه فقال له
 عدلت فانت ففت وقال
 الحسن رأيت عثمان بن
 عفان رضي الله عنه وقد
 جمع الحصباء في مسجد
 النبي عليه السلام عند

سبعة آلاف قنطار وخمسة مائة قنطار في كل سنة فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا تنكر
 ما ليس به عهد عندك ولا في عصرك شيء من أمثاله فتصديق حوصلة كعدم ملتقط الممكات فكثير من
 الخواص اذا سمعوا أمثال هذه الاخبار عن الدول السالفة يادربالانكار وليس ذلك من الصواب فان
 احوال الوجود والعمران متفاوتة ومن أدرك منها رتبة على أو وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن
 اذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بني العباس وبني أمية والعباسيين وناسبنا الصحيح من ذلك والذي لا شك
 فيه بالذي نشاهده من هذه الدول التي هي أقل بالنسبة اليها وجدنا بينها وبينها وهو ما بينها من التفاوت في
 أصل قوتها وعمران عمالها قالوا تاركها جارية على نسبة الأصل في القوة كما قدمناه ولا يسعنا انكار
 ذلك عنها اذ كثير من هذه الاحوال في غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستقيم والمتواتر وفيها
 المعاني والمشاهد من آثار البناء وغيره فخذ من الاحوال المنقولة ترايب الدول في قوتها اوضاعها وخصامتها
 أو صغرها واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستظرفة وذلك انه ورد بالمغرب له هذا السلطان أبي
 عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة (١) كان رجل من عشرين سنة قبلها
 الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد
 شاه واتصل بملكها الذي العهد وهو فقير وزجوه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بذهب
 المال كية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان ابي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من
 الجاثم بملك الارض وأكثرها كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتى من أحواله بما ليس تغربه
 السامعون مثل أن ملك الهند اذا خرج الى السرة فرأى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض
 لهم رزق سنة أشهر تدفع لهم من عطائه وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة
 الى صحراء البالد يطوفون به وينصب أمامه في ذلك الحفل مخنجات على الظهر ترمى بها أشكائر الدراهم
 والدنانير على الناس الى ان يدخل ابوانه وأمثال هذه الحكايات فتناجي الناس بتكذيبه واثبت
 أبامه ووزير السلطان فارس بن وردا راجع الصيت ففاوضته في هذا الشأن وأريته انكار اخبار ذلك
 الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال لي الوزير فارس اياك أن تستنكر مثل هذا من أحوال
 الدول بما أنك لم تره فتكون كالبوزير الناشي في السجن وذلك أن وزيراً اعتقه له سلطانه ومكث في
 السجن سنين ربي فيها بانه في ذلك الحبس فلما أدرك وعقل سأل عن اللحم الذي كان يتغذى به فقال له
 أبوه هذا لحم الغنم فقال وما الغنم فيصنعها له أبوه بشياتها ونعوتها فيقول يا أبت تراها مثل الفار فينكر عليه
 ويقول ابن الغنم من الفار وكذا في لحم الابل والبقرا ذل يعاين في حبسه من الحيوانات الا الفار فيحبس بها
 كلها أبناء جنس الفار وهذا كثير مما يعتري الناس في الاخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة عند قصد
 الاغراب كما قدمناه أول الكتاب فليرجع الانسان الى أصوله وليكن مهتما على نفسه ومميزا بين طبعه
 الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فادخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس
 مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه اوسع شيء فلا يقرض حدابين الواقعات وانما مرادنا الامكان
 بحسب المادة التي للشيء فاننا اذا نظرنا اصل الشيء وبنسبه وصنعه ومقدار عظمه وقوته اجرينا الحكم من
 نسبة ذلك على احواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب زدني علما وانت ارحم الراحمين
 والله سبحانه وتعالى اعلم

(١) كان ابتداء رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥ وانتهى أوها سنة ٧٥٤ وهي عجيبة ومختصرة انحو ٧ كرايس اه

رأسه وقد وضع أحد جانبي رداقه عليه وهو يومئذ أمير المؤمنين ما عنده أحد من الناس ودوته بين يديه كتب عامل
 حصص الى عمر بن عبد العزيز بنان مدينة حصص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح فكتب اليه عمر حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور

والسلام وقالت الحكمة من حرم العدل فلا خير فيه ولا للناس في سلطانه وقال يحيى بن اكرم ما شئت المأمون في بستان والشمس عن يساري
والمأمون في الظل فلما رجعنا وقعت الشمس أيضا على فقال لي المأمون تحول (١٠٩) مكاني وأتحول مكانك حتى تكون في الظل

كما كنت وأقبلت الشمس
كما وقفتي فان أول العدل

ان يعدل الرجل على بطائه

ثم الذين يلوئهم حتى يبلغ

العدل الطبقة السفلى فعزم

على فتحويلات وكان يقال

ليس شيء أبعد من بقاء ملك

الغاصب وقيل للاسكندر

لولا كثرت من النساء حتى

يكثرنسلك ويحياذ كرك

فقال انما يحيى الذي ذكر

الافعال الجميلة والسيرة

الحميدة ولا يحسن من يغلب

الرجال ان تغلبه النساء

وقال الحكيم من اتخذ

العدل سنة كان له أحسن

حنة ومن استشر حنة

العدل استكمل زينة

الفضل وقال أبو عبيد بن

عبد الله بن مسعود ان

الامام العادل ليس كنت

الاصوات عن الله وان

الامام الجائر لثرت كثير منه

الشكاية الى الله تعالى

وقال الحكيم لا يزال

السلطان مهما لا حتى يتخطى

الى أركان العمارة ومباني

الشريعة فينشد ويرج الله

منه وقالوا لا تظلم الضعفاء

فتكون من لئام الاقوياء

وقال بعض الحكماء أمير

بلاعدل كغيم بلا مطر

وعالم بلا ورع كارض بلا

نبات وشاب بلا توبة كشجر

١٩ * (فصل في استظهار صاحب الدولة وقومه واهل عصيته بالموالي والمصطنعين) *

(اعلم) ان صاحب الدولة انما يتم امره كما قلناه بقومه فهم عصبته وظهر اثاره على شأنه وبيدهم يقارع
الخوارج على دولته ومنهم من يقلد اعمال ملكته ووزارة دولته وجباية امواله لانهم اعوانه على الغلب
وشركاؤه في الامر ومساهموه في سائرهم - ماته هذا مادام الطور والاول للدولة كما قلناه فاذا جاء الطور الثاني
وظهر الاستبداد عنهم والانفراد بالحدود دفعهم عنه بالراح صاروا في حقيقة الامر من بعض اعدائه واحتاج
في مدافعتهم عن الامر وصدهم عن المشاركة الى اولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم
دونهم فيكونون اقرب اليه من سائرهم واخص به قربا واصله طنا وأولى ايثارا واجاهلها انهم يستقيمون
دونه في مدافعة قومه عن الامر الذي كان لهم والرتبة التي القوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب الدولة
حينئذ ويخصهم بمزيد التكرمة والايثار ويقسم لهم مثل مال الكثير من قومه ويقلدهم جليل الاعمال
والولايات من الوزارة والقيادة والجمالية وما يختص به لنفسه وتكون خالصة له دون قومه من القاب
الملك لانهم حينئذ اولياؤه الاقربون ونحباؤه المخلصون وذلك حينئذ مذهب مؤذن باهتضام الدولة وعلامة
على المرض المزمن فيها الفساد العصبية التي كان بناء الغلب عليها معرض لقلب اهل الدولة حينئذ - فمن
الامتنان وعداوة السلطان فيضطغنون عليه ويتربصون به الدوائر ويعودون بالذلك على الدولة ولا يطمع
في برئها من هذا الداء لانه ماضى يتأكد في الاعقاب الى ان يذهب رسمها واعتبر بذلك في دولة بني امية
كيف كانوا انما يستظهرون في حروبهم وولايه اعمالهم برجال العرب مثل عمرو بن سعد بن ابى وقاص
وعبد الله بن زياد بن ابى سفيان والحجاج بن يوسف والمهلب بن ابى صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن
هبيرة وموسى بن نصير وبلال بن ابى بردة بن ابى موسى الاشعري ونصر بن سيار وامثالهم من رجالات
العرب وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيهم ايضا برجال العرب فلما صارت الدولة
للافراد بالجحد وكبح العرب عن التناول للولايات صارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة وبني سهل
ابن نوخت وبني طاهر ثم بنو يه وموالي الترك مثل بغاوصيف وانا مش وبكناك وابن طولون
وابنائهم وغير هؤلاء من موالى العجم فتكون الدولة لغير من مهدا والعزلة - ير من اجنبه سنة الله في
عباده والله تعالى اعلم

٢٠ * (فصل في احوال الموالى والمصطنعين في الدول) *

اعلم ان المصطنعين في الدول يتفاوتون في الالتحام بصاحب الدولة بتفاوت قديمهم وحديثهم في الالتحام
بصاحبها والسبب في ذلك ان المقصود في العصبية من المدافعة والمغالبة انما يتم بالنسب لاجل التناصر في
ذوى الارحام والقرى والتخاض في الاجانب والبعدها كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق أو بالخلف تتمثل
منزلة ذلك لان امر النسب وان كان طبعيا قائما هو وهمي والمعنى الذي كان به الالتحام انما هو العشرة
والمدافعة وطول الممارسة والصحبة بالمرتبى والرضاع وسائر احوال الموت والحياة واذا حصل الالتحام بذلك
جاءت النعرة والتناصر وهذا ما شهد بين الناس واعتبر من له في الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن
اصطنعه نسبة خاصة من الوصلة تتمثل هذه المنزلة وتؤكد كذا الجملة وان لم يكن نسب فتمرات النسب
موجودة فاذا كانت هذه الولاية بين القبيل وبين اوليائهم قبل وصول الملك لهم كانت عروقهما اوشج
وعقائدهما اصح ونسبهما اصرح لو جهن أحدهما انهم قبل الملك اسوة في حالهم فلا يميز النسب عن الولاية الا
عند الاقل منهم فيستزلون منهم منزلة ذوى قرابتهم واهل ادحامهم واذا اصطنعوههم بعد الملك كانت مرتبة

بلاثر وغنى بلا سخاء كقفلا بلا مفتاح وفقير بلا صبر كسراج بلا ضوء وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقال كسرى اتفقت ملوك العجم على
أربع خصال ان الطعام لا يثوكل الا على شهوة والمرأة لا تنظر الا الى زوجها والمال لا يصلح له الا الطاعة والرعية لا يصلح لها الا العدل

وأحق الناس بأجبار نفسه على العدل الملوكة الذين بعدهم يعدل من دونهم والذين إذا قالوا أو فعهلوا كان نافذا غير مردود وقالت الحكمة
دم ماشئت بالانصاف وانازعهم (١١٠) لك بالظفر به والقلم ادعى شئ الى تغيير نعمة او تعجيل نعمة وقال الحكيم شر الزاد

الى المعاد الذنب بعد
الذنب وشر من هذا
العدوان على العباد ومضى
أراد السلطان حسن الصيت
وجعل الذكرا فيهم سوق
العدل وان أحب الزاني
عند الله وشر من منزلة عنده
فليقيم سوق العدل وان
أحب ما جبهه فليقيم سوق
العدل والذي يخاد به ذكر
الملوك على غابر الدهور
عدل واضح وجور فاضح
هذا هو جب له الرحمة وهذا
هو جب له اللعنة

﴿فصل﴾ فاما القسم
الثاني من العدل وهو
السياسة الاصلاحية وان
كان أصلها على الجور فيقوم
بها أمر الدنيا وكانها تشاكل
مراتب الانصاف على نحو
ما كانت عليه ملوك
الطاوئف في أيام الفرس
وكانوا كفارا يعبدون
النيران ويتبعون هواجس
الشيطان فوضعوا بينهم
سنتا وأسسوا لهم أحكاما
وأقاموا لهم مراتب في
النسبة بين الرعايا واستجاب
الخزائنات وتوظيف
المكوس على التجارات كل
ذلك بعهولهم على وجوه
ما أنزل الله بهام سلطان
ولا نصب عليهم من برهان
فيبدأ نه لسا جات الشريعة

الملك مميزة للسيد عن المولى ولاهل القرابة عن أهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه أحوال الرياسة والملك
من تميز الرتب تنقاساتها وتميز حاشتهم ويتنزلون منزلة الاجانب ويكون الالتحام بينهم أضعف والتماس
لذلك أبعد وذلك أنقص من الاصطناع قبل الملك الوجه الثاني ان الاصطناع قبل الملك يعدد عهده
عن اهل الدولة بطول الزمان ويخفى شأن تلك اللحمة ويظن بها في الاكثر النسب فيقوى حال العصبة
وأما بعد الملك فيقرب العهد ويستوى في معرفته الاكثر فتميز اللحمة وتميز عن النسب فتضعف
العصبة بالنسبة الى الولاية التي كانت قبل الدولة واعتبر ذلك في الدول والرياسات تجده فكل من كان
اصطناعه قبل حصول الرياسة والملك لمصطنعه تجده أشد التجاميه واقرب قرابة اليه ويتنزل منه منزلة
ابنائهم واخوانه وذوي رجة ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرياسة لمصطنعه لا يكون له من
القرابة واللحمة ما للاولين وهذا ما شاهد بالعيان حتى ان الدولة في آخر عمرها ترجع الى استعمال الاجانب
واصطناعهم ولا يبنى لهم مجد كما بناه المصطنعون قبل الدولة لقرب العهد حينئذ بأوليتهم ومشافرة الدولة
على الانقراض فيكونون منخطين في مهاوى الضعة وانما يحمل صاحب الدولة على اصطناعهم والعدل
اليهم عن اوليائهم الاقدمين وصنائعها الاولين ما يترتبهم في انفسهم من العزة على صاحب الدولة وقلة
الخضوع له ونظرة بما ينظر به قبيله واهل نسبه لتأكد اللحمة منذ العصور المتطاولة بالمرى والاتصال
بآبائه وسلف قومه والانتظام مع كبار اهل بيته فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فينفأ فرهم بسببها
صاحب الدولة ويعدل عنهم الى استعمال سواهم ويكون عهد استخلاصهم واصطناعهم قريبا فلا
يلغون رتب المجد ويعقون على حالهم من الخارجية قوه وكذا شأن الدول في اواخرها وأكثر ما يطلق اسم
الصنائع والاولياء على الاولين وأما هؤلاء المحدثون فخدم وأعاون والله ولي المؤمنين وهو على كل شئ وكيل

﴿فصل فيما يعرض في الدول من حرج السلطان والاستبداد عليه﴾ ٢١

إذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل القائمين بالدولة وانقر دوايه ودفعوا سائر القبيل
عنه وتداوله بنوهم واحدا بعد واحد بحسب الترشيح فربما حدث التعصب على المنصب من وزراءهم
وحاشيتهم وسببه في الاكثر ولاية صبي صغير أو مضعف من اهل المنبت يترشح للولاية بعده أو بترشيح
ذويه وخوله ويؤنس منه الحجز عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وزراءه أو بيه وحاشيته ومواليه أو قبيله
ويورى بحفظ أمره عليه حتى يؤنس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيحبب الصبي عن الناس
ويعوده اللذات التي يدعوه اليها ترف احواله ويسميه في مراعيها متى أمكنه ينسبه النظر في الامور
السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد أن حظ السلطان من الملك انما هو جملوس السريير
واعطاء الصنعة وخطاب التحويل والقعود مع النساء خلف الحجاب وان الحمل والربط والامر والنهي
ومباشرة الاحوال الملوكية وتقددها من النظر في الجيش والمال والشعور انما هو للوزير ويسلم له في ذلك
الى أن يستحكم له صبغة الرياسة والاستبداد ويتحول الملك اليه ويؤثر به عشيرته وابنائهم من بعده كما وقع
لبنى بويه والترك وكافور الاخشيدي وغيرهم بالشرق ولانصور بن ابي عامر بالاندلس وقد يتقطن ذلك
المجور المغالب شأنه فيحاول على الخروج من ربة الحجر والاستبداد ويرجع الملك الى نصابه ويضرب
على أيدي المتعصبين عليه اما بقتل او برفع عن الرتبة فقط الان ذلك في النادر الاقل لان الدولة اذا أخذت
في تعصب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل أن تخرج عنه لان ذلك انما هو جدي الاكثر عن احوال
الترف ونشأة أبناء الملك منغمسين في نعيمه قد نسوا عهد الرجولة والفواخلاق والدايات والاطاآر وروبو

من عبد الله تعالى على لسان نبيه صاحب المجزة محمد صلى الله عليه وسلم فنهاما أقرته في نصابه
وهيها ما استجته وأبطلت حكمه فعادت الحكمة البالغة الى الله تعالى والحكم بما أنزل الله وبطل ما سواه وكان ملكهم محققا برعاياتهم

للقوانين المألوفة بينهم فانقطع بذلك جبل العمل فكانوا يقومون بها واجب الحقوق ويتعاطون بها ما لهم وعليهم ومن هذا كان يقال ان السلطان الكافر المحافظ لشرائط السياسة الاصلاحية ابقى وا أقوى من السلطان (١١١) المؤمن العدل في نفسه المضيع للسياسة

النسوية العادلة والنجور المرتب ابقى من العدل المهم اذ لا شيء اصح لامر

السلطان من ترتيب الامور

ولا شيء افسد له من اهمالها

واعلم ان درهما يؤخذ من

الرعية على وجه الاهمال

والخرق وان كان عدلا

افسد لقلوبها من عشرة

تؤخذ منها سياسة على زمان

معروف ورسم مألوف وان

كان جورا فلا يقوم السلطان

لاهل الايمان ولا لاهل

الكفران الا باقامة العدل

النسوي وما يشبه العدل

من الترتيب الاصطلاحي

وقال ابن المقفع الملوكة ثلاثة

ملك دين وملك خرم وملك

هوى فاما ملك الدين فانه

اذا قام لاهل المملكة دينهم

كانوا راضين وكان السخط

فيه بمنزلة الراضي واما ملك

الخرم فيقوم به الامر ولا يسلم

من الطعن والسخط وان

يضر طعن الذليل مع خرم

القوى واما ملك الهوى

فلعب ساعة ودمار دهر

ولقد بلغنا ان ملكا من

ملوك الهند نزل به صمم

فاصبح متوجعا متهما

بامور المظالمين وانه لا يسمع

استغاثتهم فامر مناديه ان

لا يلبس احد في ملكته

ثوبا اجر المظالم وقال

عليها فلا ينزعون الى رياسته ولا يعرفون استبداد من تغلب انما هم مهم في القنوع بالابدية والنقن في الذات وأنواع الترفوهـ ذا التغلب يكون للموالي والمصطنعين عند استبداد عشرير الملك على قومهم وانقرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضروري كما قدمناه وهـ ذان عرضان لابرار للدولة منهم الا في الاقل النادر والله يؤتي ملكه من يشاء وهو على كل شيء قدير

٢٢ * (فصل في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك) *

وذلك ان الملك والسلطان حصل لاؤليهـ مزاو الدولة بعصبة قومهم وعصبة التي اسلمت بعتهم حتى استحكمت له ولقومه صبغة الملك والغلب وهي لم تزل باقية وبها الخفظ رسم الدولة وبقاؤها وهذا المتغلب وان كان صاحب عصبة من قبيل الملك او الموالي والصنائع فعصبيته مندرجة في عصبة اهل الملك وتابعة لها وليس له صبغة في الملك وهو لا يحاول في استبداده انتزاع الملك ظاهر او انما يحاول انتزاع ثمراته من الامر والنهي والحل والعقد والابرار والنقض يوزعون فيها اهل الدولة انه متصرف عن سلطانة منفذ في ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجاف عن سمات الملك وشاراته والقباه جهـ ديهـ ويعد نفسه عن التهمة بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر في استبداده ذلك بالحجاب الذي ضربه السلطان وأولوه على أنفسهم عن القبيل منذ أول الدولة ومغالط عنه بالنسبة ولو تعرض لشي من ذلك لنفسه (١) عليه اهل العصبة وقبيل الملك وحاولوا الاستئثار به دون لانه لم يستحـ كم له في ذلك صبغة تجعلهم على التسليم له والانتقاد في هلال اول وهلة وقد وقع مثل هذا العبد الرحمن بن الناصر بن المنصور بن ابي عامر حين سما الى مشاركة هشام واهل بيته في لقب الخلافة ولم يفتح بما قنع به أبوه وأخوه من الاستبداد بالحل والعقد والمراسم المتتابعة فطلب من هشام خليفته أن يعهد له بالخلافة فنفس ذلك عليه بنوعمران وسائر قرش وبايعوا لابن عم الخليفة هشام محمد بن عبد الجبار بن الناصر وخرجوا عليهم وكان في ذلك خراب دولة العامرين وهـ لالك المؤيد خليفتهم واستبدل منهـ سواء من اعباص الدولة الى آخرها واختلت مراسم ملكهم والله خير الوارثين

٢٣ * (فصل في حقيقة الملك وأصنافه) *

الملك منصب طبيعي للانسان لا ناقد بينا ان البشر لا يمكن حمايتهم ووجودهم الا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرب رزقهم واذا اجتمعوا دعت الضرورة الى المعاملة واقتضاء الحاجات ومداكل واحد منهم يده الى حاجته يأخذها من صاحبه لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويمنعه الاخر عنها بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة الدشرية في ذلك فيقع التنازع المفضي الى القتالة وهي تؤدي الى المخرج وسفك الدماء وانهاب النفوس المفضي ذلك الى انقطاع النوع وهو مما خصه البارئ سبحانه بالمحافظة فاستحال بقاؤهم فوضي دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من اجل ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولا بد في ذلك من العصبة لما قدمناه من المطالبات كلها والمدافعات لا تتم الا بالعصبة وهذا الملك كما تراه منصب شريف توجه نحوه المطالبات ويحتاج الى المدافعات ولا يتم شيء من ذلك الا بالعصبيات كما مروا بالعصبيات متفاوتة وكل عصبة فلها تحكم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرها وليس الملك لكل عصبة وانما الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويحيي الاموال ويبيث البعث ويحمي الثغور ولا تكون فوق يده يد قاهرة (١) قوله لنفسه بفتح اللام والنون وكسر الفاء يقال نفس عليه الشيء كفرح لم يره أهلاله كما في القاموس

لئن منعت سعي لم يمنع بصرى فكان كل من ظلم ليس ثوبا أجرو وقف تحت قصره فيكشف عن ظلامته قال شيخنا وأخبرني أبو العباس الجبازي وكان ممن دخل الصين بسيرة عجيبة غريبة الملوكة في سياستهم وذلك ان البيت الذي يكون فيه الملك ناقد سوا موصولا بسلسلة

وظرف السلسلة في خارج الطريق وعليها أمناء السلطان وحفظه فيأتى المظلوم فيحرك السلسلة فيسمع الملك صوت الناقوس فيأمر
بإدخال المظلوم في كل من حرك (١١٢) السلسلة تسمكه تلك الحفظة حتى تدخله على السلطان * (الباب الثاني عشر في التنصيص

وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور فمن قصرت به عصيته عن بعضها مثل حماية الثغور أو جباية الأموال
أو بعث البعث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كواقع كثير من ملوك البر في دولة الأغالبه بأقبر وان
الملوك الجهم صدر الدولة العباسية ومن قصرت به عصيته أيضا عن الاستعلاء على جميع العصبية
والضرب على سائر الأيدي وكان فوقه حكم غيره فهو أيضا ملك ناقص لم تتم حقيقته وهؤلاء مثل أمراء
النواحي ورؤساء الجهات الذين تجتمعهم دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدولة المنسقة النطاق أعني
توجد ملوك على قومهم في النواحي القاصية يدينون بطاعة الدولة التي جمعهم مثل صنهجة مع العبيدين
وزناتة مع الأمويين تارة والعبيدين تارة أخرى ومثل ملوك العجم في دولة بني العباس ومثل أمراء البربر
وملوكهم مع الفرنجة قبل الإسلام ومثل ملوك الطوائف من الفرس مع الاسكندر وقومه اليونانيين
وكثير من هؤلاء فاعتبره تجسده والله القاهر فوق عباده

٢٤ * (فصل في ان ارهاق المحمض بالملك ومفسد له في الاكثر) *

اعلم ان مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو ملاحته وجهه أو عظم جسمه
أو اتساع عمله أو جودة خطه أو ثقب ذهنه وإنما مصلحة لهم فيه من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان
من الامور الاضافية وهي نسبة بين منسبين فحقيقة السلطان انه المالك للرعية القائمة في امورهم عليهم
فالسلطان من له رعية والرعية من له سلطان والصفة التي له من حيث اضافته لهم هي التي تسمى الملكية
وهي كونه يملكهم فاذا كانت هذه الملكية وتوابعها من الجوده يمكن حصل المقصود من السلطان على اتم
الوجوه فانها ان كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وان كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضررا عليهم
واملا كلهم ويعود حسن الملكية الى الرفق فان الملك اذا كان قاهرا باطش بالعبوات من متعباعن عورات
الناس وتعديد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلعوا به او فسدت
بصائرهم وأخلاقهم ورماخذ لوه في مواطن الحرب والمدافعات ففسدت الحماية بفساد النبات وربما
أجمعوا على قتله لذلك ففسد الدولة ويخرب السياج وان دام أمرهم وقهره فسدت العصبية لما قلناه
أو لا وفسد السياج من أصله بالعجز عن الحماية واذا كان رقيقا بهم تتجاوز عن سيئاتهم اسئنا ما واليه ولاذوا
به وأشر بواجبته واستماتوا دونه في محاربة أعدائه فاستقام الأمر من كل جانب وأما توابع حسن الملكية
فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك وأما النعمة عليهم والاحسان لهم
فن جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي اصل كبير في التحبب الى الرعية واعلم انه كلما تكون ملكة
الرفق فيمن يكون يقظا شديد الزكاه من الناس واكثر ما يوجد الرفق في الغفل والمتغفل واقل ما يكون في
اليقظ انه يكاف الرعية فوق طاقتهم النفوذ نظره فيما وادارهم واطلاعه على عواقب الامور في مبادئها
بالمعنة فيها يكون لذلك قال صلى الله عليه وسلم سير واعلى سير اضعفكم ومن هذا الباب اشترط الشارع في
الحكام قلة الافراط في الذكاه وما اخذه من قصة زياد بن ابي سفيان لما عزل له عمر عن العراق وقال لم عزلتني
يا امير المؤمنين العجز ام لحيانة فقال عمر لم اعزلك لواحده منه ما ولاكني كرهت ان اجل فضل علك على
الناس فأخذ من هذا ان الحاكم لا يكون مفرط الذكاه والسكيس مثل زياد بن ابي سفيان وعمر بن
العاصي لما يبيع ذلك من التعسف وسوء الملكية وجل الوجود على مالبس في طبعه كما يأتي في آخر هذا
الكتاب والله خير المالكين وتقرر من هذا أن الكيس والذكاه عيب في صاحب السياسة لانه افراط في الفكر
كان البلاد افراط في الجود والطرفان مذمومان من كل صفة انسانية والجود هو التوسط كما في الكرم مع

على الخصال التي زعم
الملوك انها أزال دولتهم
وهدمت سلطانهم *
أيها الملك احرص كل
الحرص ان تكون خيرا
يا مودع الملك فان المني
يقرق من خبرتك به قبل ان
تصيبه عقوبتك والمحسن
يستشير بملكك به قبل ان
يأتيه ثوابك قال أبو جعفر
المنصور ما زال أمر بني أمية
مستقيما حتى أفضى أمرهم
الى ابتائهم المترفين
فكانت همهم من عظيم
شأن الملك وجلالة قدره
قصد الشهوات وانشار
اللذات والدخول في معاصي
الله ومساخطه جهلا منهم
باستدراج الله تعالى واما
لمكره فسلمهم الله العز وقل
عنهم النعمة قال عبيد الله
ابن مروان ومروان هذا
هو المعروف بمروان الحمار
وهو آخر ملوك بني أمية
قتل في أرض مصر في كورة
بوصير لما زال ملكا
وهربت الى أرض النوبة
فحين اتبعني من اصحابي
فسمع ملك النوبة بخبري
فجاءني ففقد على الأرض
ولم يقعد على فراش افترشته
فقلت له لا تقعد على
ثيابنا قال لا قلت ولم قال
لا في ملك وحق على كل

ملك ان يتواضع لأمر الله سبحانه اذ رفعه ثم قال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم ولم تطؤون الزرع

بدوابكم والفساد محرم عليكم ولم تستعملون الذهب والفضة وتلبسون الديباغ والخمر يروى محرم عليكم فقلت زال عنا الملك فقل انصارنا

التبذير

وانتصرونا يقوم من الاعاجم دخلاويذا ولنا عبيد واتباع فعلوا ذلك على كره من افطارق مليا بقلب كفيه هو ينكت في الارض ثم قال
ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحلتم محرم الله وظلمتم فيما ملكت ايمانكم فسايبكم الله العزيز ذو النور بكم (١١٣) ولله فيكم نعمة لم تبلغ غايتها واخاف

أن يحل بكم العذاب وانتم
بيلدى فيصينني معكم وانما
الضباثة ثلاثة ايام فترودوا
ما احتجتم اليه وارتحلوا
عن بلدى فترودوا وارتحلنا
وسئل نزيهر ما بال ملك
آل ساسان صار الى ماصار
اليه بعدما كان فيه من قوة
السلطان وشدة الاركان
فقال ذلك لانهم قلدوا كبار
الاعمال صغار الرجال
وعن هذا قالت الحكماء
موت الف من العلية اقل
ضررا من ارتفاع واحد من
السفلة وفي الامثال ان
زوال الدول باصطناع
السفل وقال الشافعي رضي
الله عنه اعلم الناس لنفسه
الشيء اذا ارتفع جلالا فآر
وانكر معارفه واستخف
بالاشراف وتكبر على ذوي
الفضل وسئل بعض الملوك
بعد زوال ملكه ما الذي
سلبك ملكا قال اعطاؤنا
من بطر وطني ورفع عمل
اليوم لغد وسئل بعض
الملوك بعد ان سلبوا ملكهم
ما الذي سلب عزكم وهدم
ملككم فقال شغلتمنا اذا كنا
عن النفر غلهمنا وتوهمنا
بكفائنا فتروا رافقهم
علينا وظلمنا نارعتنا
فانفسدت نياتهم لنا وقتلوا
الراحة منا وجل على أهل

التبذير والخل وكفى الشجاعة مع الموح والجبين وغير ذلك من الصفات الانسانية ولهذا يوصف الشديد
الكيس بصفات الشيطان فيقال شيطان ومتشيطان وامثال ذلك والله يخلق ما يشاء وهو العليم القدير

٢٥ * (فصل في معنى الخلافة والامامة)

ما كانت حقيقة الملك انه الاجتماع الضر وري للمشر ومقتضاء التغلب والقهر للذان هـ ما من آثار
الغضب والحيوانية كانت احكام صاحبها في الغالب جائرة عن الحق محقة بمن تحت يده من الخلق في
أحوال دنياهم كجمل اياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من أغراضه وشهواته ويختلف ذلك باختلاف
المقاصد من الخلف والسلف منهم فتعسر طاعته لذلك وتجي العصية المفضية الى المخرج والقتل فوجب
أن يرجع في ذلك الى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون الى احكامها كما كان ذلك
للفرس وغيرهم من الامم واذ احدثت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب امرها ولا يتم استيلائها واسته
الله في الذين خلوا من قبل فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وكبار الدولة وبصرائها كانت
سياسة عقلية واذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة
الدنيا وفي الآخرة وذلك ان الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث وباطل اذا غايتها الموت
والفناء والله يقول اخس بتم انما خلقناكم عبثا فالماقصود بهم انما هو دينهم المفضى بهم الى السعادة في
آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك في جميع احوالهم
من عبادة ومعاملة حتى في المال الذي هو طبيعي للاجتماع الانساني فاجرت به على منهاج الدين ليكون الكل
محوبا بنظر الشارع فما كان منه مقتضى القهر والتغلب واهمال القوة الغضبية في معاملة فخور وعدوان
ومذموم عنده كما هو مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه مقتضى السياسة واحكامها فمذموم ايضا
لانه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فإله من نور لان الشارع اعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب
عنهم من امور آخرتهم واعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم من ملك او غيره قال صلى الله عليه وسلم
انما هي اعمالكم ترد عليكم واحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب مقتضى الشرائع حمل الكافة على الاحكام الشرعية
في احوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لاهل الشريعة وهم الانبياء ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء
فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وان الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة
والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدينية ودفع المضار والخلافة هي
حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخر وية والدين وية الراجعة اليها اذا احوال الدنيا
ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في
حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيما نورد عليه من بعد والله الحكيم العليم

٢٦ * (فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه)

واقدربنا حقيقة هذا المنصب وأنه نابعة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى
خلافة وامامة والقائم به خليفة وامام فاما ما تسميته اماما فتشبيها امام الصلاة في اتباعه والافتدائه ولهذا
يقال الامامة الكبرى وأما تسميته خليفة فلا يكونه يخلف النبي في أمته فقول خليفة باطلاق وخليفة رسول
الله واختلف في تسميته خليفة الله فأجازه بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي لا آدمين في قوله تعالى
انني جاعل في الارض خليفة وقوله جعلكم خلائف الارض ومنع المجهور منه لان معنى الآية ليس عليه

(١٥ - ابن خلدون) خراجنا قتل دخلنا وبطل عطاء عبيدنا فزالت الطاعة منهم لنا وقصدنا عننا فقل ناصرنا وكان أعظم
ما زال به ملكنا استتار الاخبار عنا وقالت الحكماء أسرع الخصال في هدم السلطان وأعظمها واسرعها في افسادها وتفرق الخراج عنه

انظها راجعاً لقوم دون قوم والميل الى قبيلة دون قبيلة حتى اعلن بحب قبيلة فقد برئ من قبائل وقديماً قيل المحاباة مقسدة وقال مهيود الموبدان من زوال السلطان ت قريب (١١٤) من ينبغي ان يبعد ومباعدة من ينبغي ان يقرب وحينئذ حان اوان الغدر وقيل للملك

وقد نهى أبو بكر عنه لما دعي به وقال لست خليفة الله ولا كني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان الاستخلاف انما هو في حق الغائب وأما الحاضر فلا ثم ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان احباب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعه أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر اليه في أمورهم وكذلك في كل عصر من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى في عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعاً عادلاً على وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى ان مدرك وجوبه العقل وأن الاجماع الذي وقع انما هو قضاء بحكم العقل فيه قالوا وانما واجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منقردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الاغراض فما لم يكن المحاكم الوازع افضى ذلك الى المخرج المؤذن به لالك البشر وانقطاعهم مع أن حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهـ ذا المعنى بعينه هو الذي لمحضه الحكما في وجوب النبوات في البشر وقد نهىنا على فساد هـ وان احدى مقدماته ان الوازع انما يكون بشرع من الله تسلم له الكفاية تسليماً ايماناً واعتقاداً وهو غير مسلم لان الوازع قد يكون بسطة طوة الملك وقهر اهل الشوكة ولولم يكن شرع كما في أم الجحوس وغيرهم من ليس له كتاب أولم تبلغه الدعوة او نقول يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم الظلم عليه بحكم العقل فادعائهم ان ارتفاع التنازع انما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الامام هناك غير صحيح بل كما يكون بنصب الامام يكون بوجود الرؤساء اهل الشوكة او بامتناع الناس عن التنازع والظلم فلا ينقض دليلهم العقلي المبني على هذه المقدمة فدل على ان مدرك وجوبه انما هو بالشرع وهو الاجماع الذي قدمناه وقد شبه بعض الناس فقال بعدم وجوب هـ هذا النصب رأساً لا بالعقل ولا بالشرع منهم الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب عندهم هؤلاء انما هو امضاء احكام الشرع فاذا توأمت الامة على العدل وتنفيذ احكام الله تعالى لم يحتاج الى امام ولا يجب نصبه وهؤلاء يحجون بالاجماع والذي جملهم على هذا المذهب انما هو القرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستماع بالدينار والاروا الشرعية مغلثة بدم ذلك والنبي على اهـ له ومرغبه في رفضه واعلم ان الشرع لم يدم الملك لذاته ولا حظر القيام به وانما دهم المفسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع بالذات ولا شك ان في هذه مفسد محظورة وهي من توابعه كما اثبت على العدل والنصفة واقامة مراسم الدين والذب عنه وواجب بازائها الثوب وهي كلها من توابع الملك فاذا انما وقع الذم للملك على صفة وحال دون حال اخرى ولم يدم لذاته ولا طلب تركه كاذم الشهوة والغضب من المكلفين وليس مراده تركه ما بالكتابة لدعاية الضرورة اليها وانما المراد تصريفهم على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهم الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من انبياء الله تعالى واكرم الخلق عنده ثم نقول لهم ان هـ هذا القرار عن الملك بعدم وجوب هـ هذا النصب لا يغنيكم شيئاً لانكم موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصبية والشوكة والعصبية مقتضية بطبعها الملك فيحصل الملك وان لم ينصب امام وهو عين ما قررتم عنه واذا قررنا هـ هذا النصب واجب باجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل العقد والحل فيتعين عليهم نصبه ويجب على الخلق جميعاً اطاعته لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم واشروط هذا المنصب فهي اربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة المحواسن والاعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل واختلاف في شرط خامس وهو النسب القرشي فالما لا شترط العلم فظاهر لانه انما يكون منقلاً من الاحكام الله تعالى اذا كان عالماً بما هو عالم يعلمها لا يصح تقديمها ولا يكفي من العلم الا ان يكون مجتهداً لان التقليد نقص

بعد ذهاب ملكه ما الذي اذهب ملكه كما قال ثقي بدولتي واستبدادي بعرفتي واغفالي استشارتي واعجابي بشدتي واضاعتي الحيلة وقت حاجتي والثاني عند الحيلة ولما احيط بمروان الجعدي وهو آخر ملوك بني أمية قال له فاه على دولة ما نصرت وكف ما طغرت ونعمة ما شكرت فقال له خادمه نسيل وكان من اولاد اشراق الروم من اغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والحق حتى يظهر اصابه مثل هذا وسئل بعض العلماء ما الذي اذهب ملك بني مروان قال تحاسد الاكفاء وانقطاع الاخبار وذلك ان زيدين عمر كان يجب ان يضع من نصر بن سيار وكان لا يمد به بالرجال ولا يرفع الى السلطان ما يورده عليه من اخبار خراسان فلما رأى ذلك نصر بن سيار قال ارى خلل الرماد وميض نار فيوشك ان يكون لها ضرر وان النار بالعودين تذكو وان الحرب اولها الكلام فقلت تجاهل باليت شعري ايقاظ أمية أم نيام وكان العباسيون يؤسسون لدولتهم ولا تصل اخبارهم

الى بني أمية حتى استعمل أمرهم وضعف أمر بني أمية وسئل مروان بن محمد الجعدي وهو آخر ملوك بني أمية ما الذي أضعف ملكك بعد قوة السلطان وثبات الأركان فقال الاستبداد برأيي لما كثرت على كتب نصر بن سيار

امده بالاموال والرجال قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستيلاء من الاموال بما يظهر من فساد الدولة قبله وهما ان ينتهض على خراسان فانتفضت دولته من خراسان (الباب الثالث عشر في الصفات الرابعة التي (١١٥) زعم الحكماء انها الاتمام معها الحكمة) *

ومن اعجب العجائب دوام الملك مع الكبر والاعجاب اعلموا ان الكبر والاعجاب يسلبان القضاة ويكسبان الرذائل لان الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة المتكبر يحل نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين وحسبك من ذليلة تمنع من سماع النصيحة وقبول التأييد والكبر يكسب الموت ويمنع من المسئلة وكل كبر ذكركم الله في القرآن ففقرن بالشرك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس انهم انكروا الله سبحانه يغضب منهم وقال اردشير بن بابك ما الكبر الا فضل حق لم يدرك صاحبه اين يذهب به فصرفه الى الكبر وقال الاحنف بن قيس ما تكبر احد الامن ذلة يجدها في نفسه ولم تنزل الحكماء تنجى الكبر وتأنف منه قال الشاعر فني كان عذب الروح لامن خصاصة ولكن كبر ان يقال به كبر ونظر افلاطون الى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت اني مثلك في ظنك

والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال واما العدالة فلانه منصب ديني يتطرق سائر المناصب التي هي شرط فيها فكان أولى باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بنسب الجوارح من ارتكاب المحظورات وامثالها وفي انتفاءها بالبدع الاعتقادية خلاف واما الكفاية فهو ان يكون جرياً على اقامة الحدود واقحام الحروب بصيرتها كفيلا يحمل الناس عليها عارفاً بالعصية واحوال الدهاء قوي على السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وتدير المصالح واماسلامة المحواس والاعضاء من النقص والعطالة كالحنون والعمى والعصم والمخرص وما يؤثر فقدمه من الاعضاء في العمل كفقده اليدين والرجلين والاثنيين فتشترط السلامة منها كلها التاثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل اليه وان كان انما يشين في المنظر فقط كفقده احدى هذه الاعضاء فشرط السلامة منه شرط كمال و يلحق بفقده الاعضاء الممنوع من التصرف وهو ضرر بان ضرب يلحق بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والتجزع من التصرف جلة بالاسر وشبهه وضرب لا يلحق بهذه وهو الحجر باستيلاء بعض اعدائه عليه من غير عصيان ولا مشاققة فينتقل النظر في حال هذا المسئلة تولى فان جرى على حكم الدين والعدل وجدد السياسة جاز اقراره والاستنصر المسلمون بمن يقض يده عن ذلك ويدفع عنه حتى يتخذ فعل الخلافة واما النسب القرشي فلا جماع العصابة يوم السقيفة على ذلك واحتجبت قریش على الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عباد وقالوا من امير ومنكم امير بقوله صلى الله عليه وسلم الاتمة من قریش وبأن النبي صلى الله عليه وسلم اوصانا بان نحسن الى محسنكم وتجاوز عن مسيئكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فخجوا الانصار ورجعوا عن قولهم من امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت ايضا في الصحيح لا يزال هذا الامر في هذا الحى من قریش وأمثال هذه الادلة كثيرة الا انه لما ضعف امر قریش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم وبما انتفتهم الدولة في سائر اقطار الارض عجزوا بذلك عن حمل الخلافة وتغلبت عليهم الاعاجم وصار الحول والعقد لهم فاشتباه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا الى نفي اشتراط القرشية وعدلوا على ظواهر في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان ولي عليكم عبد حبشي ذور بيعة وهذا لا تقوم به حجة في ذلك فانه خرج مخرج التمثيل والقرض للبالغة في ايجاب السمع والطاعة ومنه قول عمر لو كان سالم مولى حذيفة حيالوليته او لما دخلتني فيه الظنة وهو ايضا لا يقيده ذلك لما علمت ان مذهب الصحابي ليس بحجة وايضا فولى القوم منهم وعصية الولاء حاصلة لسالم في قریش وهي القائدة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر امر الخلافة ورأى شروطها كلها مفقودة في ظنه عدل الى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من النسب المفقود للعصية كما نذ كرو لم يبق الى صراحة النسب فراه غير محتاج اليه اذا القائدة في النسب انما هي العصية وهي حاصلة من الولاء فكان ذلك حرصا من عمر رضي الله عنه على النظر للمسلمين وتقليد امرهم لان لا التحفة فيه لائمة ولا عليه فيه عهدة ومن القائلين بنفي اشتراط القرشية القاضي أبو بكر الباقلاني لما أدرك عليه عصية قریش من التلاشي والاضمحلال واستبداد ملوك الجحيم على الخلافة فاسقط شرط القرشية وان كان موافقا لراى الجوارح لما رأى عليه حال الخلافة له عهده وبقي الجمهور على القول باشتراطها وصحة الامامة للقرشي ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين ورد عليهم سقوط شرط الكفاية التي يقوى بها على امره لانه اذا ذهبت الشوكة بذهاب العصية فقد ذهبت الكفاية واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك ايضا الى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الاجماع ولنتكلم الان في

وان اعدائى مثلك في الحقيقة قالت الحكماء قد يدوم الملك مع معظم النقاى فرب فقير ساد قومه ورب اجنى ساد قبيلته منهم الا قرع ابن حابس الذي قال فيه انبي صلى الله عليه وسلم ذلك الاجنى المطاع قالوا لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من ذليلة تسلب السيادة

واعظم من ذلك ان الله تعالى حرم الجنة على المتكبر بن فقال سبحانه وتعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فقرن التكبر بالفساد (١١٦) ومنعنا من دخول الجنة وقال جل وعز سا صرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير

حكمة اشترط النسب ليتحقق به الصواب في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا بحثنا عن الحكمة في اشترط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور وان كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصل لا يكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد ان من المصلحة في اشترط النسب وهي المقصودة من مشروعيها واذا سبرنا وقسنا على ما نجدها الا اعتبارا العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها صاحب المنصب فنسكن اليه الملة وأهلها وينتظم جبل الالف في ذلك ان قرشا كانوا عصية مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثر والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعرف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم فلو جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بتخالفهم وعدم انقيادهم ولا يقدروا غيرهم من قبائل مضر ان يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الذكر فتتفرق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتمات بينهم لتحصل اللمعة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قر يش لانهم قادرين على سوق الناس بعصا الغلب الى ما يراهم منهم فلا يخشى من أحد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كفيون حينئذ يدفعها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم أهل العصبية القوية ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانظامها كلمة مضر أجمع فاذن لهم سائر العرب وانقادت الامم وسواهم الى أحكام الملة وطئت جنودهم قاصية البلاد كواقع في أيام الفتوحات واستمر بعدهم في الدولتين الى أن اضمحل أمر الخلاف وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقر يش من السيادة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيرهم وتفطن لذلك في أحوالهم وقد ذكر ذلك ابن اسحق في كتاب السير وغيره فاذا ثبت أن اشترط القرشية انما هو لدفع التنازع عما كان لهم من العصبية والغلب وعلمنا ان الشارع لا يخص الاحكام بحيل ولا عصر ولا أمة علمنا ان ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية فاشترطنا في القائم بامور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبية على من معها العصر هاليس يتبعوا ومن سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك في الاقطار والا فاق كما كان في القرشية اذا الدعوة الاسلامية التي كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت واقية بها فغلبوا سائر الامم وانما يخص هذا العهد كل قطر عن تكون له فيه العصبية الغالبة واذا نظرت سر الله في الخلاف لم تعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفة نائباً عنه في القيام بامور عباده ليحكمهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر الا من له قدرة عليه ألا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب (١) في شأن النساء وانهم في كثير من الاحكام الشرعية جعلوا بمعايير حال ولم يدخلوا في الخطاب بالوضع وانما دخلوا عنه بالقياس وذلك لما لم يكن لهم من الامر شيء وكان الرجال قوامين عليهم اللهم الا في العبادات التي كل أحد فيها قائم على نفسه فخطابهم فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامرامة أو جيل الا من غلب عليهم وقل ان يكون الامر الشرعي مخالفاً للامر الوجودي والله تعالى اعلم

٢٧ * (فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة) *

(١) قوله الامام الخطيب هو الفخر الرازي قاله نصر اه

الحق وقال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول دأؤه في يعني ان التكبر عليه واعلم ان التكبر يوجب المقت ومن مقتهم رجاله لم يستقم حاله ومن أبغضته بطائفة كان كمن غص بالماء ومن كرهه الحجة تطاولت عليه الاعداء واما الاعجاب فيحمله على الاستبداد وترك مشورات الرجال ومن الصفات التي لا تقوم معها المملكة الكذب والغرور والمحبث والمجور والسخف وقالت حكماء العرب والعجم ست خصال لا تغتفر من السلطان الكذب والخلف والمسد والحدة والبخل والجبن فانه اذا كان كذلك لم يوفق بوعده ولا بوعده فلم يرج خيره ولم يخف شره ولا بهاء سلطان لا يرهيب وقال الحكماء خراب البلاد وفساد العباد مقر ونان باطل الوعد والوعيد من الملوكة والكذب اسقط الاخلاق وأغلب شيء على صاحبه وأخرى أن لا ينزع عنه اضراوته وقيل لا عرابي لم تكذب قال لوت عززت به ما تركته وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءة وأصله استعذاب المتني وهو أضعاف فكر الحق ومن يلبته انه يحمل على صاحبه ذنب غيره فاذا سمعت كذبة طائفة قسبت اليه قال الشاعر حسب الكذب من الما نة بعض ما يحكي عليه واذا سمعت بكذبة من غيره نسب اليه (وقال غيره)

اعلم
قسمت اليه قال الشاعر
وهو أضعاف فكر الحق ومن يلبته انه يحمل على صاحبه ذنب غيره فاذا سمعت كذبة طائفة قسبت اليه (وقال غيره)

لي حيلة فمن يتم وليس في الكذاب حيلة من كان يخاف ما يقو به لخصي في قلبه وقال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأما المحسد فانه اذا كان حسودا لم يشرف أحدا واذا ضاعت (١١٧) الاشراف هلكت الاتباع ولا يصلح

الناس الاعلى اشرافهم

قال الشاعر

لا تصليح الناس فوضى

لا سراقهم

ولا سراة اذا جهلهم سادوا

وأما البخل فاذا كان بخيلا

لم ينصحه أحد ولا تصليح

الولاية الا بالمناصحة وليس

للملك ان ينخل لان بيوت

الاموال في يديه وأما الجبن

فاذا كان جبانا اجترأ عليه

عدوه وضاعت ثقوره واذا

كان حديدا غصوب او بالقدرة

من ورائه هلكت رعيته

وليس للملك ان يغضب

لان القدرة من وراء حاجته

ولما دخل اسقف نجران

على مصعب بن الزبير

ضرب وجهه بالقضيب

قادماء فقال الاسقف ان

شاء الامير اخبرته بما انزل

الله على عيسى عليه السلام

قال قل قال لا تغضب بعدها

قال مات قال لا ينبغي للامام

ان يكون سقيها ومنه يلتمس

الحلم ولا جائر ومنه يلتمس

العدل وقال الازاعي

يهلك السلطان بالاعجاب

والاحتجاب فاما الاحتجاب

فقد ذكرناه وأما الاحتجاب

فهو أوحى الخلال في هدم

السلطان وأسرعها خرابا

للسلطان فانه اذا احتجب

السلطان فكانه قدماء

(اعلم) ان الشيعة لغة هم الصواب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنيه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعا متفقين عليه ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز ان ياغفاله ولا تفوض اليه الى الامة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من الكبار والصغار وان عليا رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها ببذمة السنة ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع او مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة وتنقسم هذه النصوص عندهم الى جلي وخفي فالجلي مثل قوله من كنت مولاه فعلي مولاه قالوا ولم تطرد هذه الولاية الا في علي وله ذاقا له عمر أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ومنها قوله أقضاكم على ولا معنى للامامة الا القضاء باحكام الله وهو المراد بالولي الامر الواجبة طاعتهم بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم والمراد الحكم والقضاء ولهذا كان حكما في قضية الامامة يوم السقيفة دون غيره ومنها قوله من يبايعني علي روحه وهو وصي وولي هذا الامر من بعدى فلم يبايعه الا علي ومن الخفي عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا لقرأة سورة براءة في الموسم حين أنزلت فانه بعث بها اولا بابكر ثم اوحى اليه ليبلغه رجل منك او من قومك فبعث عليا ليكون القارئ المبلغ قالوا هو ذا يدل على تقديم علي وايضا فلم يعرف انه قدم احد ادا علي علي واما ابو بكر وعمر فقد دم عليهما في غزاتين اسما من زبير مرة وعمر بن العاصي أخرى وهذه كلها أدلة شاهدة بتعيين علي للخلافة دون غيره فنهما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن تأويلهم ثم منهم من يرى ان هذه النصوص تدل على تعيين علي وتخصيصه وكذلك تنتقل منه الى من بعده وهو هؤلاء هم الامامية ويتبرقون من الشيخين حيث لم يقدموا عليا و يبايعوه بمقتضى هذه النصوص ويغمصون في امامتهم ولا يلبثت الى نقل القدح فيه مامن غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم ومنهم من يقول ان هذه الأدلة انما اقتضت تعيين علي بالوصف لا بالشخص والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعهم هؤلاء هم الزيدية ولا يتبرقون من الشيخين ولا يغمصون في امامتهم مع قولهم بان عليا أفضل منهم امكنهم يجوزون امامة المفضل مع وجود الأفضل ثم اختلفت نقول هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي فمنهم من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد على ما يذكر بعد هؤلاء يسمون الامامية نسبة الى مقاتلهم باشترط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي أصل عندهم ومنهم من ساقها في ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيوخ ويشترط أن يكون الامام منهم عالما زاهدا جوادا شجاعا ويخرج داعيا الى امامته وهو هؤلاء هم الزيدية نسبة الى صاحب المذهب وهو زيد بن علي بن الحسين السبط وقد كان يناظر أخاه محمدا الباقر على اشتراط الخروج في الامام فيه لزمه الباقر أن لا يكون ابوهما زين العابدين اماما لانه لم يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك ينسب عليه مذاهب المعتزلة وأخذها ياها عن اصل بن عطاء وما ناظر الامامية زيدا في امامة الشيخين ورأوه يقول بامامتهم ما لا يتبرأ منهم ما رفضوه ولم يجعلوه من الائمة وبذلك سموا رافضة ومنهم من ساقها بعد علي وابنيه السبطين علي اختلافهم في ذلك الى أخيهما محمدا بن الحنفية ثم الى ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاه بين هذه الطوائف اختلافات كثيرة تركناها اختصارا ومنهم طوائف يسمون الغلاة تجاوزوا حد العقل والايمان في القول بالوهمية هؤلاء الائمة اما على انهم بشراتصفا وبصفا بالوهمية او ان الاله حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصاري في عيسى صلوات الله عليه ولقد حرق علي رضي الله عنه

لان الحجة موت حكمي فتبعته بطانته بارواح الخلائق وحرهم وأموالهم لان الظالم قد آمن ان لا يصل المظلوم الى السلطان ومعظم مآرا ينافي أعمارنا ومعنا من سمعنا من دخول الفساد على الملوك من حجبهم عن مباشرة الامور ولا تزال الرعية ذاسا لسلطان واحد ما وصلوا

الى سلطانهم فاذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة يالها الملك المغرور احتجبت عن الربية بالحجاب والابواب وجعلت دونهم مروجاً مشيدة وحظائر بالحجارة والماء (١١٨) والطين مانعة وباب الله مفتوح للسائلين ليس هناك لاحجاب ولا بواب قال الله تعالى

بالنار من ذاهب فيه الى ذلك منهم وسخط محمد بن الحنفية المختار ابن ابي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه فصرح بلعنته والبراءة منه وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه بمن بلغه مثل هذا عنه ومنهم من يقول ان كمال الامام لا يكون لغيره فاذمات انتقلت روحه الى امام آخر لا يكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ ومن هؤلاء الغلاة من يقف عند واحد من الائمة لا يتجاوز الى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم وهؤلاء هم الواقفية فبعضهم يقول هو حي لم يميت الا انه غائب عن اعين الناس ويستشهدون لذلك بقصة الخضر قبل مثل ذلك في علي رضي الله عنه وانه في السحاب والردصوته والبرق في سوطه وقالوا مثله في محمد بن الحنفية وانه في جبل رضوى من ارض الحجاز وقال شاعرهم

الا ان الائمة من قريش * ولادة الحق اربعة سوا

علي والثلاثة من نبيه * هم الاسباط لبس بهم خفاء

فسباط سباط ايمان وبر * وسباط غيبة كربلاء

وسباط لا يدوق الموت حتى * يقود الجيش يقدمه اللواء

تغيب لا يرى فيه م زمانا * برضوى عنده غسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصاً الاثني عشرية منهم يزعمون ان الثاني عشر من ائمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري يلقبونه المهدي دخل في سرداب بداهم بالحلة وتغيب حين اعتقل مع امه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيعلا الارض عدلا لا يشير ون بذلك الى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم الى الان ينتظرونه ويسمعونه المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب يبسب هذا السرداب وقد قدموا مراكبهم تقفون باسمه ويذبحونه للخروج حتى تشبث النجوم ثم ينفضون ويرجعون الامر الى الليلة الا تية وهم على ذلك لهذا العهد وبعض هؤلاء الواقفية يقول ان الامام الذي مات يرجع مع الى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بما وقع في القرآن الكريم من قصة اهل الكهف والذي مر على قرية وقتل بني اسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التي امروا بذبحها ومثل ذلك من الخوارق التي وقعت على طريق المجزأة ولا يصح الاستشهاد بها في غير مواضعها وكان من هؤلاء السيد الحنبري ومن شعره في ذلك

اذا ما المرء شاب له قذال * وعلاه المواصل ط بالخصاب

فقد ذهب بشاشته واودى * فقم يا صاح نيك على الشباب

الى يوم تقب الناس فيه * الى دنياه موقبل الحساب

فليس بعائد ما فات منه * الى احد الى يوم الاياب

ادين بان ذلك دين حق * وما انا في التشور بذي ارباب

كذلك الله اخبر عن اناس * حيوا من بعد درس في التراب

وقد كفانا مؤنة هؤلاء الغلاة ائمة الشيعة فانهم لا يقولون بها ويطلبون احتجاجاتهم عليها واما الكيسانية فساوا الامامة من بعد محمد بن الحنفية الى ابنه ابي هاشم وهؤلاء هم الهاشمية ثم افترقوا فخرج منهم من ساقها بعده الى اخيه علي ثم الى ابنه الحسن بن علي وآخرون يزعمون ان ابا هاشم لما مات بارض السراة منصرفا من الشام اوصى الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس واوصى محمد الى ابنه ابراهيم المعروف بالامام واوصى ابراهيم الى اخيه عبد الله بن الحارثية الملقب بالاسفاح واوصى هو الى اخيه عبد الله ابي جعفر الملقب بالنصور وانتقلت في ولده بالنص والعهد واحدا بعد واحد الى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية القائمين

الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقال معاوية ليس بينك وبينك السلطان دعيته او تمليكك الا انظرم والتواني وكما له امران شدة في غير افراط ولين في غير امتنان وسئل بزرجه رأي الملوك اخرج قال من ملك جده هزل وقهر ليه هواه واعرب من ضميره فعله ولم يخندعه رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيدته وقال بعض الحكماء زوال الدول في اصطناع السقل ومن طال عدوانه زال سلطانه وقالوا من لم يستظهر بالبقعة لم ينفع بالحفظة وقال يحيى ابن خالد احسن ما وجدت في طراز الحكم من البلاغة البخل والجمل مع التواضع خير من المضاء والعلم مع الكبر في الملاء حسنة غطت على سيئين ويا لها سيئة غطت على حسنتين (الباب الرابع عشر في المحصال المحمود في السلطان)

وقد اتفقت العلماء والحكماء عليها فقالوا يالها الملك ان قصرت قوتك عن عدوك فتعاق بالاخلاق الجميلة التي ليس لعدوك مثلها فان الكفاية من الغارة الشعواء وقال معاوية لصعصعة بن

صوحان صف لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان عالما برعته عادلا في قضيته عاريا من الكبر قمو لا لعذر سهل الحجاب مصون الباب متحز بالصبوب رفيقا بالضعيف غير محاب للقرى وبوقالوا المنفعة بدولة

توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمناصرة توجب الائقة والصدق يوجب الثقة والامانة توجب الطمأنينة
والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة (١١٩) وسوء الخلق يوجب المباعدة والانسياط

يوجب المؤانسة والانقباض

يوجب الوحشة والكبر

يوجب المقت والتواضع

يوجب المقة والجود يوجب

التجود والبخل يوجب المذمة

والتواني يوجب التضييع

والجد يوجب رجاء الاعمال

والهو يني توجب الحسرة

والحزم يوجب السرور

والتغريب يوجب الندامة

والحذر يوجب العذر

واصابة التدبير توجب

بقاء النعمة وبالتأني تسهل

المطالب ويدين كنف

المعاشرة تدوم المودة ويحفظ

الجانب تأنس النفوس

وبسعة خلق المرء يطيب

عيشه والاستهانة توجب

التباعد وبكثرة الصمت

تكون الهيبة وعدل المنطق

يوجب الجلالة وبالنصفة

تكثر المواصلة وبالأفضال

يعظم القدر وبالصالح

الاخلاق تزكو الاعمال

وباحتمال المؤن يجب

السودود وبالعلم عن السفه

تكثر انصارك عليه وبالرفق

والتؤدة تستحق اسم الكرم

وبترك ما لا يعنك يتم

لك الفضل واعلم ان السياسة

تكسوا أهلها المحبة

الفاظظة تخلع عن صاحبها

ثوب القبول ومن صغر

الهمة الحسد للصادق على

بدولة بني العباس وكان منهم أبو مسلم وسليمان بن كثير وأبو سلمة الخلال وغيرهم من شيعة العباسية
وربما يعضدون ذلك بان حقهم في هذا الأمر يصل اليهم من العباس لانه كان حيا وقت الوفاة وهو أوتي
بالورثة بعصبة العمامة واما الزيدية فساوا الامامة على مذهبهم فيها وأنها باختيار اهل الحل والعقد
لابا لنص فقالوا بابامامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه زيد بن علي وهو
صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعيا الى الامامة فقتل وصلب بالكوفة وقال الزيدية بابامامة ابنه
يحيى من بعده فغضب الى خراسان وقتل بالجوزجان بعد ان أوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن
السيط ويقال له النفس الزكية فخرج بالجاز وتلقب بالمهدي وجاءته ساكر المنصور فقتل وعهد الى أخيه
ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه اليهم المنصور وعسا كره فهزم وقتل ابراهيم وعيسى
وكان جعفر الصادق أخبرهم بذلك كله وهي معدودة في كراماته وذهب آخرون منهم الى ان الامام بعد
محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو أخوزيد بن علي فخرج محمد بن
القاسم بالطالقان فقبض عليه وسبق الى المعتصم فحبسه ومات في حبسه وقال آخرون من الزيدية ان الامام
بعد يحيى بن زيد هو أخوه عيسى الذي حضر مع ابراهيم بن عبد الله في قتاله مع المنصور وتلقوا الامامة في
عقبه واليه انتسب دعي الزنج كما نذ كره في اخبارهم وقال آخرون من الزيدية ان الامام بعد محمد بن عبد
الله أخوه أدريس الذي فر الى المغرب ومات هناك وقام بامر ابنه ادريس واختط مدينة فاس وكان من
بعده عقبه ملوك بالمغرب الى ان انقرضوا كما نذ كره في اخبارهم وبقي امر الزيدية بعد ذلك غير منتظم
وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن
الحسين السيوط وأخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه الدعوة في الديلم الناصر الاطروش منهم واسلموا على يده وهو
الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر وعمر أخوزيد بن علي فكانت لبنية بطبرستان دولة وتوسل الديلم
من نسبهم الى الملك والاستبداد على الخلفاء بعد ذلك كما نذ كره في اخبارهم وأما الامامية فساوا الامامة
من علي الرضا الى ابنه الحسن بالوصية ثم الى أخيه الحسين ثم الى ابنه علي زين العابدين ثم الى ابنه محمد
الباقر ثم الى ابنه جعفر الصادق ومن هنا افترقوا فرقتين فرقة ساقواها الى ولده اسمعيل ويعرفونه بينهم
بالامام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقواها الى ابنه موسى الكاظم وهم الاثناعشرية لوقوفهم عند الثاني
عشر من الائمة وقولهم بغيبته الى آخر الزمان كما مر فاما الاسماعيلية فقالوا بابامامة اسمعيل الامام بالنص
من أبيه جعفر وفائدة النص عليه عندهم وان كان قد مات قبل ابنه انما هو بقاء الامامة في عقبه كقصة
هرون مع موسى صلوات الله عليهم اقولوا انهم انتقلت الامامة من اسمعيل الى ابنه محمد المكنوم وهو أول
الائمة المستورين لان الامام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتروا تكون دعائه ظاهرين اقامة للحجة على
الخلق واذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته قالوا بعد محمد المكنوم ابنه جعفر الصادق ويعده ابنه
محمد الحبيب وهو آخر المستورين وبعده ابنه عبد الله المهدي الذي أظهر دعوته ابو عبد الله الشيعي في كامة
وتابع الناس على دعوته ثم أخرجه من معتقه بسجلماسة وملك القير وان بالمغرب وملك بنوهم بعده
مصر كما هو معروف في اخبارهم ويسمى هؤلاء الاسماعيلية نسبة الى القول بابامامة اسمعيل ويسمون ايضا
بالباطنية نسبة الى قولهم بالامام الباطن اي المستور ويسمون ايضا الملاحدة لما في ضمن مقالاتهم من الاتحاد
وهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها الحسن بن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة وملك حصونا
بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها الى أن توزعها الله لملك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق

النعمة والنظر في العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غنم ومن سكت سلم ومن خاف حذر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن
فهم علم ومن أطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأني السلامة زارع البر يحصد السمر ور صاحب العقل مغبوط صديق

الحاجل تعب اذا جهات فاسأل واذا زلت فارجع واذا سألت فأندم واذا ندمت فاقطع واذا أفضت فاكتم واذا منعت فاجعل واذا أعطيت فاجزل واذا غضبت فاحلم (١٢٠) من بدأك بيرة فقد شغل بك شره المروآت كلها تبع للعقل الراى تبع للتجربة العقل

فانقرضت ومقالة هذا الصباح في دعوته مذ كورة في كتاب المال والنحل للشهر ستانى وأما الاثنا عشرية
فرى بخاصة باسم الامامية المذاهب المتأخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق لوفاء أخيه
الكبير اسمعيل الامام في حماة أبيهما جعفر فنص على امامة موسى المذاهب المتأخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق لوفاء أخيه
المؤمن ومات قبله فلم يتبع له أمر ثم ابنه محمد التقي ثم ابنه على الهادي ثم ابنه محمد الحسن العسكري ثم ابنه
محمد المهدي المنتظر الذي قد مناه قبل وفي كل واحدة من هذه المقالات للشيعة اختلاف كثير الا أن هذه
أشهر مذاهبهم ومن أراد استيعابها ومطالعتها فاعليه بكتاب المال والنحل لابن خرم والشهر ستانى وغيرهما
ففيها بيان ذلك والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو العلى الكبير

٢٨ * (فصل في انقلاب الخلافة الى الملك) *

اعلم ان الملك غاية طبيعية للعصبة ليس وقوعه عنها باختيار إنما هو بضرورة الوجود وترتيبها كما قلناه من
قبل وأن الشرائع والديانات وكل أمر يحتمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصبة اذا المطالبة لا تتم الا بها كما
قدمناه فالعصبة ضرورية للملة وبوجودها يتم أمر الله فيها وفي الصحيح ما بعث الله نبيها الا في منة من قومه
ثم وجدنا الشارع قد ذم العصبة ويندب الى اطراحها وتر كها فقال ان الله أذهب عنكم عبية الجاهلية (١)
وفخرها بالآباء أنتم بنو آدم وآدم من تراب وقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ووجدناه أيضا قد ذم الملك
وأهله ونهى على أهله وأحوالهم من الاستمتاع بالخلاق والاسراف في غير القصد والتسكك عن صراط الله
وإنما حض على الاقامة في الدين وحذر من الخلاف والفرقة واعلم ان الدنيا كلها وأحوالها عند الشارع
مطية للنخوة ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه او يذمه من أفعال البشر أو
يندب الى تركها أهله بالكلية او اقتلاعه من أصله وتعطيل القوى التي ينشأ عليها بالكلية إنما قصده
تصريفها في اغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتندب الوجهة كما قال صلى الله
عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فحجته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او
امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فلم يذم الغضب وهو بيقصده من زعمه من الانسان فإنه لو زالت منه قوة
الغضب لفقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وإنما يذم الغضب للشيطان وللأغراض
الذميمة فاذا كان الغضب لذلك كان مذموما واذا كان الغضب في الله والله كان مدحوا وهو من شعائره
صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات ايضا ليس المراد بباطلها بالكلية فان من بطلت شهوته كان نقصا في
حقه وإنما المراد تصريفها فيما ينفع له باسمه على المصالح ليكون الانسان عبدا متصرفا طوعا او امر
الاهية وكذا العصبة حيث ذمها الشارع وقال ان تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم فأنما مراده حيث تكون
العصبة على الباطل وأحواله كما كانت في الجاهلية وأن يكون لاحد فخر بها او حق على الله دلان ذلك
مجان من أفعال العقباء وغيرنا في الآخرة التي هي دار القرار فاما اذا كانت العصبة في الحق واقامة
أمر الله فأمر مطلوب ولو بطل بطلت الشرائع اذ لا يتم قوامها الا بالعصبة كما قلناه من قبل وكذا الملك لما
ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكفاية على الدين ومراعاة المصالح وإنما ذمه لما فيه من التغلب
بالباطل وتصريف الأغراض والشهوات كما قلناه فلو كان الملك مخلصا في غلبه للناس
أنه لله ومجملهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموما وقد قال سليمان صلوات الله عليه رب هب
لى ما كى لا ينبغي لاحد من بعدى لما علم من نفسه أنه معزل عن الباطل في النبوة والمال وما لى معاوية

(١) قوله عبية الجاهلية قال الجحد والعصبة وبالكسر الكبير والفخر والنخوة اه

أصله التثنت وعمرته
السلامة والتوفيق أصله
العقل وعمرته النجس
والتوفيق والاجتهاد
زوجان فالاجتهاد سبب
والتوفيق ينتج الاجتهاد
قال الله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا والاعمال كلها تبع
للقدر واختار العلماء
أربع كلمات من أربع
كتب من التوراة من
قنع شبع ومن الزبور
من سكنت سلم ومن
الانجيل من اعتزل نجح ومن
القرآن ومن اعتصم بالله
فقد هدى الى صراط
مستقيم الحلم والشرف والصبر
ظفر والمعروف كنز والجهل
سقاء والايام دول والذهر
غير والمرء منسوب الى
فعله وما أخذ به له اصطناع
المعروف يكسب الحمد
كروا المجلس يعمر ناديك
أنصقوا من نفوسكم يوثق
بكم اياكم والاخلاق الدنيئة
فأنها تضيع الشرف وتهدم
الجدد منها الجاهل
أهون من جريرة رأس
العشيرة يحمل ألقامها
وأجعت حكماء العرب
وأنجم على أربع كلمات
لا تحمل بطنك ما لا تطيق
ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا

تعتبر بامر ولا تنق ببال وان كثر * (الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان) * وهي الطاعة قال مالك عمر
فارس لمو بذا ن مو بذا ماشى واحد يعز به السلطان قال الطاعة قال التودد الى الخاصة والعادل على العامة قال

صدق الامانة معقل الطاعة والطاعة زينة الملك وكان يقال طاعة السلطان على أربعة أوجه على الرغبة والرغبة والمحبة والديانة ولما دخل سعد العشرة على بعض ملوك حير قال له يا سعد ما صلاح الملك قال معدلة (١٢١) شائعة وهيئة وازعة ووعية طاعة

فان في المعدلة حياة الانام وفي الهيئة نقي الظلام وفي طاعة الرعية التألف والائتام طاعة الائمة فرض على الرعية كما ان طاعة السلطان مقرونة بطاعة الله اتقوا الله بحقه والسلطان بطاعته من اجل الله احلال السلطان عادلا كان او جائرا الطاعة تؤلف شمل الدين وتنظم امور المسلمين عصيان الائمة يهدم اركان الملة اولى الناس بطاعة السلطان ومناصحته اهل الدين والنعم والمروآت اذ لا يقوم الدين الا بالسلطان ولا تكون النعم والحرم محقوقة الا به الطاعة ملاك الدين الطاعة معاقبة السلامة ورفع منازل السعادة الطريقة المثلى والعروة الوثقى قوام الامة وقيام السنة بطاعة الائمة الطاعة عصمة من كل فتنة نخاسة من كل شبهة طاعة الائمة عصمة لمن لجأ اليها وحرز لمن دخل فيها وليس للرعية ان تعترض على الائمة في تدبيرها وان سوت لها نفسها بل عليها لاتباعها وعلى الائمة الاجتهاد بالطاعة تقويم الحدود وتؤدى القرائض وتحقق الدماء وتأم من السبل الائمة عصمة للعباد وحياة

عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ما عند قدمه الى الشام في ابهة الملك وزيه من العديدين والعدة استنصر ذلك وقال اكسروية يا معاوية فقال يا امير المؤمنين انافى نغرتجاه العدو وبنالى مباهاتهم بزيعة الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يخطئه لما احتج عليه بمقصود من مقاصد الحق والدين فلو كان القصود فرض الملك من أصله لم يقنع به هذا الجواب في تلك الكسروية وانتهى لسانه بل كان يحرض على خروجه عنها بالجمل وانما أراد عمر بالكسروية ما كان عليه أهل فارس في ملكهم من ارتكاب الباطل والظلم والبغي وسلب ملكه والغفلة عن الله واجابه معاوية بان القصود بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم وانما قصودهم ما وجه الله فسكت وهكذا كان شأن الصحابة في رفض الملك وأحواله ونسبهم وانذره حذرهم التباسها بالباطل فلما استخضر رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف ابا بكر على الصلاة اذ هي أهم امور الدين وارتضاء الناس للخلافة وهي حمل الكفاية على احكام الشريعة ولم يجز للملك ان يكرها لانه مظنة للباطل ونحلة يومئذ لاهل الكفر وأعداء الدين فقام بذلك أبو بكر ماشاء الله متبعاً لسان صاحبه وقابل أهل الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الى عمر فاقبض في اثره وقال الامم فقبضهم ثم واذن للعرب في انتزاع ما بأيديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه وانتزعوه منهم ثم صارت الى عثمان بن عفان ثم الى علي رضى الله عنهم ما وكل متبرؤن من الملك من كبريون عن طريقه واكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من غضاظة الاسلام وبدعوة العرب فقد كانوا بعد الامم عن احوال الدنيا وترفعها الامم حيث دينهم الذي يدعوهم الى الزهد في النعيم ولا من حيث بداوتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش وشظفة الذي ألفوه فلم تكن امة من الامم اسغب عيشا من مضرها كانوا بالحجاز في أرض غيرة ذات زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من الارياق وجبوا بها بعد ما اختصاصها بمن وليها من ربيعة واليمن فلم يكونوا يتناولون الى خصبها ولقد كانوا كثر ما ياكلون العقارب والخنفاش ويغفرون بأكل العلهز وهو وبر الابل يمهونه بالحجارة في الدم ويطبخونه وقر يمان هذا كانت حال قريش في مطاعهم وموسم كنههم حتى اذا اجتمعت عصبية العرب على الدين بما أكرمهم الله من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا الى أم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض بوعدها الصديق فابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم فزحزح بحار الرفه لديهم حتى كان الفارس الواحد يقسم له في بعض الغزوات ثلاثون ألفا من الذهب أو نحوها فاستولوا من ذلك على ما لا يأخذ هذه الحصر ومهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر يرفع ثوبه بالجمل وكان على يقول يا صقرا عوي يا بياض أغرى غري وكان أبو موسى يتجافى عن أكل الدجاج لانه لم يعهدها للعرب لقلتها يومئذ وكانت المناخل مقلودة عندهم بالجمل وانما كانوا يأكلون الخنطة بنخلها ومكاسهم مع هذا أتم ما كانت لاحد من أهل العالم قال المسعودي في أيام عثمان اقتبى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة ألف دينار وألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وخمسين وغيره مائة ألف دينار وخلف ابلا وخيلا كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرس وألف أمة وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك وكان على بن عبد الرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته اربعة وثمانين ألفا وخلف يزيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفوس غير ما خاف من الاموال والضيايع بمائة ألف دينار وبنى الزبير داره بالبصرة وكذلك بنى بمصر والكوفة والاستكندرية وكذلك بنى طلحة داره بالكوفة وشيخه داره بالمدينة وبناهما بالحصى والاجر والساج وبنى

(١٢ - ابن خلدون) للبلاد اوجب الله لمن خصه بقضاه اوجله اعباءها الطاعة فقرتها بطاعته وطاعة رسوله فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم طاعة الائمة هدى لمن استضاء بنورها ومثل لمن جافظ عليها الخارج من الطاعة

منقطع العصمة يرى من الذمة مبدل بالسكفر النعمة طاعة الأئمة حبلى الله المتبين ودينه القويم وحننه الواقية وكفايته العالية أيا ك
والخروج عن أنس الطاعة (١٢٢) الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الأئمة وعليكم بالاخلاص والنصيحة ما مشى قوم الى

سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ورفع ستمكها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرافات وبنى المقداد داره
بالمدينة وجعلها محصنة الظاهر والباطن وخلف يعلى بن منبه خمسين ألف دينار وعقار وغير ذلك ما قيمته
ثلاثمائة ألف درهم اه كلام المسعودي فكانت مكاسب القوم كثر اه ولم يكن ذلك من معا عليهم في
دينهم اذ هي أموال حلال لانها غنائم وفيه ولم يكن تصرفهم فيها باسراف انما كانوا على قصدي احوالهم
كما قلناه فلم يكن ذلك بقادح فيهم وان كان الاستكثار من الدنيا مذموم ما قلناه يرجع الى ما أشرنا اليه من
الاسراف والخروج به عن القصد واذا كان حالهم قصدا ونفقاتهم في سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك
الاستكثار عونا لهم على طرق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت البداوة والغضاضة الى نهايتها
وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العصبية كما قلناه وحصل التغلب والقهر كان حكم ذلك الملك عندهم
حكم ذلك الرقة والاستكثار من الاموال فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن مقاصد
الديانة ومذاهب الحق وما وقعت الفتنة بين على ومعاوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم
فيما الحق والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنوي ولا يشار باطل اولاستشعار حقد كما قد
يتوهمه متوهم وينزع اليه ملحد وانما اختلف اجتهدهم في الحق وسفه كل واحد منظر صاحبه
باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه وان كان المصيب عليا فلم يكن معاوية قائما فيها بقصد الباطل
انما قصده الحق وأخطأ والسبل كانوا في مقاصدهم على حق ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالحق
واستئثار الواحد به ولم يكن معاوية ان يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية
بطبيعتها واستشعرته بنوامية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من اتباعهم فاعصو صوبوا
عليه واستماتوا دونه ولوجاهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالمر لوقوع في
افتراق الحكمة التي كان جمعها وتأييدها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبرير مخالفة وقد كان عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه يقول اذ ارأى القاسم بن محمد بن أبي بكر لو كان لي من الامر شيء لوليت له الخلفاء ولو
اراد ان يعهد اليه لفعل وليكنه كان يخشى من بني أمية اهل المحل والعقد ما ذكرناه فلا يقدر ان يحول الامر
عنهم لئلا تقع الفرقة وهذا كما انما اجل عليه منازع الملك التي هي مقتضى العصبية فالملك اذا حصل
وفرضنا ان الواحد انفرده بوضوفه في مذاهب الحق وجوهه لم يكن في ذلك نكير عليه ولقد انفرده
سليمان وابوه داود صلوات الله عليهم بملك بني اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به
وكانوا ما علمت من النبوة والحق وكذلك عهد معاوية الى يزيد خوفا من افتراق الحكمة كما كانت بنو
أمية لم يرضوا تسليم الامر الى من سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلوا عليه مع ان ظنهم كان به صالحا ولا
يرتاب احد في ذلك ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن لبعهد اليه وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق حاشا لله
لمعاوية من ذلك وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه وان كانوا ملوكا فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب
اهل البطالة والبغي انما كانوا متحريين لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة تحملمهم على بعضها مثل خشية
افتراق الحكمة الذي هو أهم لديهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتراء وما علم
السلف من احوالهم فقد احتجج مالك في الموطأ بعزل عبد الملك وأما مروان فكان من الطبقة الاولى من
التابعين وعدا لهم معروفة ثم تدرج الامر في ولده عبد الملك وكانوا من الدين بالملك الذي كانوا عليه
وتوسطهم عمر بن عبد العزيز فنزع الى طريقة الخلفاء الاربعة والحكمة بجهده ولم يهمل ثم جاء خلفهم
واستعملوا طبيعة الملك في اغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري القصد

سلطان ليدلوه الا اذ لهم الله
قبل ان يموتوا الطاعة
مقرونة بالحجة طاعة الحجة
أفضل من طاعة الهية
للعصية على السلطان
الاستصلاح لهم والتعهد
لامورهم وحسن السيرة
فيهم والعادل عليهم
والنعم دليل بينهم وحق
السلطان عليهم الطاعة
والاستقامة والشكر
والحجة بالرعية من الحاجة
الى الراعي ما ليس بالراعي
من الحاجة اليهم لولا الرعاة
هلكت الرعية ولولا المسيم
هلك السواثم

(الباب السادس عشر في
ملاك أمور السلطان) *
قال سليمان بن داود
عليه السلام الرجة
والعدل يحرز ان الملك وقال
زيد املاك السلطان ثلاثة
أشياء الشدة على المذنب
والخزاة للخصم وصدق
القول وما غزا اسباب ورذو
الاكاف ملك الروم وأخرب
بلادهم وقتل جنده وأفنى
بطارقه قال له ملك الروم
انك قد قتلت وأخربت
فاخبرني ما الامر الذي
تشئت به حتى قويت
علي ما أرى وبلغت في
السياسة ما لم يبلغه ملك
فان كان مما يضبط الامر

بمثله أدبت اليك الخراج وصرت كعض الرعية في الطاعة لك فقال له سابوراني لم أزد في السياسة على عثمان
نحوه لم أهزل في امر ولا نهى ولم أخلف في وعد ولا وعد ولا وليت أهل الكفاية وأثبت على العناء لا على الهوى وضربت للأدب لا للفض

وأودعت قلوب الرعية المحبة من غير جرأة وهيبة من غير ضغينة وعمت بالقوت ومنعت الفضول فأذن له وأدى إليه الخراج وكتب الوليد إلى الحجاج أن يكتب له بسيرة فكتب إليه أني أيقظ رأيي وأنت هوأي (١٢٣) وأدبت السيد المطاع في قومه وولبت

الحرب الحاذم في أمره وقلدت

الخراج الموفى لأمانيه

وقسمت لكل خصم من

نقسي قسما يعطيه حظامن

نظري ولطيف عنايتي

وصرف السيف إلى البطر

والمسيء بخفاف المذهب

صوله العقاب وتسمك

الحسن بحظه من الثواب

وقال أبو عبيدة إذا كان

الملك محضنا السر بهيدامن

ان يعرف ما في نفسه مخيرا

للوزراء هيبا في أنفوس العامة

مكافئا بحسن البلاء لا يخافه

البريء ولا يأمنه المحرم

كان خليقا لبقاء ملكه

■ (الباب السابع عشر

في خبر السلطان وشر

السلطان) *

أفضل الملوك من كان

شكره بين الرعايا لكل

واحد منهم فيه قسطه ليس

أحد أحق به من أحدا

يطمع القوى في حيفه ولا

يأس الضعيف من عدله

كان النبي صلى الله عليه

وسلم تأخذيده الأمة من

أما المدينة فتطوف به على

سكك المدينة حتى تقضي

حاجتها وفي حكم الهند أفضل

السلطان من أمنه البريء

وخافه الجرم وشر السلطان

من خافه البريء وأمنه

الجرم وقال عمر لا تغيرة لما

من خافه البريء وشر السلطان

من خافه البريء وشر السلطان

من خافه البريء وشر السلطان

من خافه البريء وشر السلطان

من خافه البريء وشر السلطان

من خافه البريء وشر السلطان

من خافه البريء وشر السلطان

فيها واعتماد الحق في مذهبها فكان ذلك معاد الناس إلى أن نعوأ عليهم أفعالهم وأدوا بالدعوة العباسية منهم وولى رجالها الأمر فكانوا من العدالة يمكن وصرفوا المال في وجوه الحق ومذهبهم ما استطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالح ثم أفضى الأمر إلى بنيهم فاعطوا المال والترف حقه وانفسوا في الدنيا وباطلها ونبتوا الدين وراعهم ظهر يافتأذن الله بحربهم وانتزاع الأمر من أيدي العرب جملة وأمكن سواهم منه والله لا يظلم من قال ذرة ومن تأمل سيره هؤلاء الخلفاء والملوك وأخذنا فهم في تحري الحق من الباطل علم صحة ما قلناه وقد حكى المسعودي مثله في أحوال بني أمية عن أبي جعفر المنصور وقد حضر عروسته وذكر واني أمية فقال أما عبد الملك فكان جبارا لا يسأل عما صنع وأما سليمان فكان همه بطنه وفرجه وأما عمر فكان أعور بين عريان وكان رجل القوم هشام قال ولم ينزل بنو أمية ضابطين لما ساء لهم من السلطان يحوطونه ويصوتون ما وهب الله لهم منه مع تسهمهم معالي الأمور ورفضهم دنيا - تها حتى أفضى الأمر إلى ابنائهم المترفين فكانت همتهم قصدا الشهوات وركوب اللذات من معاصي الله جهلا باستدراجهم وأمنائهم مع أطرافهم صيانة للخلافة واستحقاقهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز والديارهم الذل ونفي عنهم النعمة ثم استخضر عبد الله بن مروان فقص عليه خبره مع ملك النوبة لما دخل أرضه فأراياهم السفاح قال أقت ملباشم أتاني ملككم فقعده على الأرض وقد بسطت له فرش ذات قيمة فقلت له ما منعك من القعود على ثيابنا فقال اني ملك وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله أذرفعه الله ثم قال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا قال فلم تطؤون الزرع وبدوا بكم والفساد محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا بحملهم قال فلم تلبسون الديباج والذهب والخمر وهو محرم عليكم في كتابكم قلت ذهب منا الملك وانتصرنا بقوم من الجحيم دخلوا في ديننا فألبسوا ذلك على الكفرة منا فطرق ينكت بيده في الأرض ويقول عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا ثم رفع رأسه إلى وقال ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحلتم محرم الله عليكم وأنتم ما عنه نهيتهم وظلمتم فيهم ما لم يكن فسلبكم الله العز والدياركم الذل بذنوبكم والله نعمة لم تبلغ غايتها فيكم وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببأدي فينا ناتي معكم وأنما الضيافة ثلاث فترودا ما احتجت إليه وارتحل عن أرضي فتجيب المنصور وأطرق فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة إلى الملك وان الأمر كان في أوله خلافة ووازع كل أحد فيهم ان نفسه وهو الدين وكانوا يؤثرونه على أمور دينناهم وان أفضت إلى هلاكهم وحدهم دون الكافة فهذا عثمان لما حضر في الدار جاءه الحسن والحسين (١) وعبد الله بن عمر وابن جعفر وأما لهم بر يدون المدافعة عنه فإني ومنع من سل السيوف بين المسلمين مخافة الفرقة وحفظ الخلافة التي بها حفظ الكلمة ولو أدى إلى هلاكهم وهذا على أشار عليه المغيرة لأول ولايته باستبقاء الزبير ومعاوية وطهارة على أعمالهم حتى يجتمع الناس على بيعته وتتفق الكلمة وله بعد ذلك ما شاء من أمره وكان ذلك من سياسة الملك فإني فرار من الغش الذي ينافيه الاسلام وغدا عليه المغيرة من الغداة فقال لقد أشرت عليك بالامس بما أشرت ثم عدت إلى نظري فعلمت انه ليس من الحق والصيحة وأن الحق فيما رأيته أنت فقال على لا والله بل اعلم انك تهتني بالامس وغششتني اليوم ولكن منعتني مما أشرت به ذاتك الحق وهكذا كانت أحوالهم في اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن

نرفع دنيانا بقرين ديننا ■ فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع

(١) قوله البيعة بفتح الموحدة أما بكسر هاء على وزن شعبة بسكون الياء فيأفهي معبد النصراري اه

ولاه الكوفة يا مغيرة لما أمرك الابرار ولتخفك الفجار وفي حكم الهند أيضا شر المال لا ينق من شره الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البريء وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن وخير السلطان من أشبه النسر وحوله الجيف لا من أشبه الحبيقة وحوله النسر

وعن هذا المعنى قالوا سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها وفي الامثال العامة رهבות خير لك من رجوت وكان يقال شر خصال الملوك الجبن عن الاعداء (١٤٤) والقسوة على الضعفاء والجل عند الاعطاء وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاثة من القواقر

فقد رايت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحرى الدين ومذاهبه والحجى على منهاج الحق ولم يظهر التغير الا في الوازع الذي كان ديننا ثم انقلب عصبية وسيفاً وهكذا كان الامر لهدم معاوية ومروان وابنه عمداً الملك والصدور الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعض ولده ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق الا اسمها وصار الامر ملكاً كالحجاء وجرت طبيعة القلوب الى غايتها واستعملت في اغراضها من القهر والقلب في الشهوات والملاذ وهكذا كان الامر لولد عبد الملك ولمن جاء بعد الرشيد من بني العباس واسم الخلافة باقية فيهم لبقاء عصبية العرب والخلافة الملك في الطورين ملتبس بعضهم ببعض ثم ذهب رسم الخلافة واثرها بذهاب عصبية العرب وفناء جبايلهم وتلاشي احوالهم وبقي الامر ملكاً كالحجاء كما كان الشأن في ملوك العجم بالمشرق يدينون بطاعة الخليفة تبركوا بالملك بجميع القاب ومناحيه لهم وليس للخليفة منه شيء وكذلك فعل ملوك زناتة بالمغرب مثل صنهاجة مع العبيدين ومغراوة وبني يفرن ابضا مع خلفاء بني امة بالاندلس والعبيدين بالقيروان فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك اولا ثم التفت معانيهم ما واختلفت ثم انقرض الملك حيث افرقت عصبية من عصبية الخلافة والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار

٢٩ * (فصل في معنى البيعة) *

اعلم ان البيعة هي العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد اميره على انه يسلم له النظر في امر نفسه وامور المسلمين لا ينزاعه في شيء من ذلك وبطبيعة فهم كما يفهمه من الامر على المنشط والمكره وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا ايديهم في يده تأكيذا للعهد فاشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصالحة بالايدي هـ ذامد لولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراءى في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الخلفاء ومنه ايمان البيعة كان الخلفاء يستخفون على العهد ويستوعبون الايمان كلها لذلك فسمي هذا الاستيعاب ايمان البيعة وكان الاكرام فيها كثر واغلب ولهذا لما اتى مالك رضي الله عنه بسقوط يمين الاكرام انكرها لولا لادع عليه ورواها قاذحة في ايمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضي الله عنه واما البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل اطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازا لما كان هذا الخضوع في التحية والتزام الاداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى صارت حقيقة عرفية واستغنى بها عن مصالحة ايدي الناس التي هي الحقيقة في الاصل لما في المصافحة لكل احد من التزلزلات المتبادلة للمنافيين للرياسة ووصون المنصب الملوكي الا في الاقل ممن يقصد التواضع من الملوك فيأخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير اهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة في العرف فانه كما يدعى الانسان معرفته لما يلزمه من حق سلطانه وامامه ولا تكون افعاله عبثاً ومجاناً واعتبر ذلك من افعال الملوك والله القوي العزيز

٣٠ * (فصل في ولاية العهد) *

اعلم اننا قدمنا الكلام في الامامة ومشر وعينها المساقية من المصلحة وان حقيقة النظر في مصالح الامة لدينهم وديناهم فهو واجبهم والامين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته وتبع ذلك ان ينظر لهم بعد مماته ويقم لهم من يتولى امورهم كما كان هو يتولاها ويتقون بنظرهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع باجتماع قوله عبد الله كذا في النسخة التونسية وبعض القاسية وفي بعضها عبد الملك وأظنه تحكيه فاقاله نصر

جار ملازم ان رأى حسنة سترها وان رأى سيئة اذاعها وامرأة ان دخلت عليها السنتك وان غبت عنها لم تأمنها وسلطان ان احسنت لم يحمدك وان أسأت قتلك وقال رجل لبعض العلماء متى أضل وأنا أعلم فقال اذا لم تكن امرأان اطعتم - م اذلوكم وان عصيتهم قتلوك وقال أبو حازم سليمان بن عبد الملك السلطان سوق ما تقى عنده أتى به وفي كتاب ابن المقفع الناس على دين الملك الا القليل فان يكن للبر والمروءة عنده نفاق فيسكبسد بذلك الفجور والدنائة في آفاق الارض وسمع زياد رجل لا يذم الزمان فقال لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ان الزمان هو السلطان وقال معاوية لابن الكواء صف لي الزمان فقال أنت الزمان ان تصلح يصلح وان يفسد يفسد والمثل السائر في كل زمان وعلى كل لسان الناس على دين الملك وقال بعض الحكماء ان أحق الناس ان يحذر العدو والفاجر والصديق الغادر والسلطان الخائن وقال بزرجمهر آدمو الشعب بحجة السلطان السيئ الخلق وقال بعض الحكماء اذا ابتليت بحجة سلطان لا يبريد صلاح رعيته فقد خربت بين الامة امرين ليس بينهما خيارا الميل مع الوالي على الرعية فهو هالك الدين وأما الميل مع الرعية على الوالي فهو هالك الدنيا فلاحيلة لك الا

الموت أو الحرب منه وقالوا الملك العادل كانه الصافي ينتفع به الاشهاد والاختيار ولا يضر أحد والمالك السوء مثل الجبهة - يسمع اليها شرار الحيوان ويخامها الناس (الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن) * (١٢٥) روى عن النبي صلى

الله عليه وسلم انه قال ان الله لا يرعى بالسلطان مالا يرعى بالقرآن معناه أي يدفع وقال كعب بن الأشج - السلام والسلطان والناس من القسطنطين والعمود والاطناب والاولاد فالقسطنطين والاطناب والاولاد الناس لا يصلح بعضهم الا ببعض وقال أردشير لابنه يابني ان الملك والدين اخوان لا غنى لاحدهما عن الآخر فالدين أس والمالك حارس ومالم يكن له أس فهو مهدوم ومالم يكن له حارس فضائع يابني اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لأهل الجهاد وبشرى لأهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك ولتسكن من أهل العقل وكان يقال الدين والسلطان توأمان (الباب التاسع عشر في خصال جامعة لأمير السلطان) *

قالوا ظفر المالك بعدوه على حسب عدله في رعيته ونكوه به في خروبه على حسب جورته في عساكره واصلاح الرعية أنفع من كثرة الجند وقالوا تاج المالك عفافه وحسنه انصافه

الامة على جوارحه وانعاده اذ وقع بهد أبي بكر رضي الله عنه امر بمحض من الحجابة واجازوه وأوجبوا على أنفسهم طاعة عمر رضي الله عنه وعنهم وكذلك عهد عمر في الشورى الى الستة بقية العشرة وجعل لهم أن يختاروا المسلمين ففرض بعضهم الى بعض حتى أفضى ذلك الى عبد الرحمن بن عوف فاجتهدوا بنظر المسلمين فوجدتهم متفقين على عثمان ودلى على فاشترع عثمان بالبيعة على ذلك موافقة اياه على لزوم الاقتداء بالشيخين في كل ما بين دون اجتهاده فانه قد أمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته والملا من الحجابة حاضرون للأولى والثانية ولم ينكره أحد منهم فدل على انهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته والاجماع حجة كما عرف ولا يتهم الامام في هذا الامر وان عهد الى ابيه وابنه لانه آمن على النظر لهم في حياته فاولى أن لا يحتمل فيها تبعه بعد ممانته خلافا لمن قال بانها في الولد والوالد أول من خصص التهمة بالولد دون الوالد فانه بعد من الظنة في ذلك كله لاسيما اذا كانت هناك داعية تدعو اليه من اثار مصلحة او توقع مفسدة فننتفى الظنة عند ذلك رأسا كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وان كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب والذي دعاه معاوية لا يثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق اهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية اذ بنوا أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصاة قريش وأهل الملة اجمع وأهل الغلب منهم فاشترع بذلك دون غيره من يظن انه أولى بها وعدل عن الفاضل الى المفضول حرصا على الاتفاق واجتماع الاهواء الذي شأنه أهم عند الشارع وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعد الله وصحبته مانعة من سوى ذلك وحضروا كابر الحجابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انقضاء الريب فيه فليسوا بمن يأخذهم في الحق هوادة وليس معاوية بمن تأخذه العزة في قبول الحق فانهم كلهم اجل من ذلك وعد اتهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر من ذلك انما هو محمول على توهمه من الدخول في شيء من الامور مباحا كان او محظورا كما هو معروف ولم يبق في الخلق لهذا العهد الذي اتفق عليه المجاهد والابن الزبير وندور الخلفاء معروف ثم انه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني أمية والسقاح والمنصور والمهدي والرشيد من بني العباس وأمثالهم عن عرفت عدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين والنظر لهم ولا يعاب عليهم اثارا بنائهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشانهم غير شأن أولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل احد وازع من نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره واكلوا كل من يسمو الى ذلك الى وازعه وأما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف واحتيج الى الوازع السلطاني والعصبي فلو عهد الى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانقض أمره سريرا وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف * سأل رجل عليا رضي الله عنه ما بال المسلمين اختلقوا عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر فقال لان ابا بكر وعمر كانا والدين على مثلي وانا اليوم والى مثلك يشير الى وازع الدين أفلا ترى الى المأمون لما عهد الى علي بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضا كيف انكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا العمة ابراهيم بن المهدي وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدا الثوار والخوارج ما كاد أن يصطلم الامر حتى باذر المأمون من خراسان الى بغداد ودارهم لمعاودة فلا بد من اعتبار ذلك في العهد فالعصوة تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبائل والعصبيات وتختلف باختلاف المصالح ولكل واحد منها حكم يخصه لطفان الله بعباده واما ان يكون القصد بالعهد

وسلاحه كفاءته وماله رعيته وقالت حكماء الهند لا تظفر مع بني ولا صحة مع منهم ولا بناء مع كبر ولا شرف مع سوء أدب ولا بر مع شح ولا اجتناب محرم مع حرص ولا ولاية حكم مع عدم فقه ولا سودد مع انتقام ولا ثبات ملب مع تهاون وجهالة وزرارة وسأولى أبي بكر رضي الله عنه

خطب فقال أيها الناس إنه لا أحد أقوى عندى من المظلوم حتى آخذ له نكته ولا أضعف من الظالم حتى آخذ الحق منه وقبل للاستكندر
 بم ثلث مائت قال باسم الله (١٢٦) الاعداء والاحسان الى الاصدقاء وقال بزرجه رسوسوا أحرار الناس بمحض المودة

حفظ التراث على الابناء فليس من المقاصد الدينية اذ هو أمر من الله يخص به من يشاء من عباده ينبغي أن
 تحسن فيه النية ما أمكن خوفاً من العتب بالمنصب الدينية والمالك لله يؤتيه من يشاء ويعرض هنا أمور
 تدعو الى ضرورة الى بيان الحق فيها فالاول منها ما حدث في يزيد من الفسق أيام خلافته فإياك ان تظن
 بما عايناه من رضى الله عنه انه علم ذلك من يزيد فانه اعدل من ذلك وافضل بل كان يعدله أيام حياته في سماع
 الغناء وينهاه عنه وهو أقل من ذلك وكانت مذاهم فيه مختلفة وما حدث في يزيد ما حدث من الفسق
 اختلف الصحابة حينئذ في شأنه فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من أجل ذلك كما فعل الحسين
 وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهم ما ومن اتبعهما في ذلك ومنهم من أباه لما فيه من إثارة الفتنة وكثرة القتل
 مع العجز عن الوفاء به لان شوكة يزيد يومئذ هي عصاة بني أمية وجهود أهل الحل والعقد من قر يش
 ويستبج عصبية مضر أجمع وهي أعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم فأقصر واعن يزيد بسبب ذلك
 وأقاموا على الدعاء بهدايته والراحة منه وهذا كان شأن جهود المسلمين والكل مجتهد دون ولا ينكر على
 أحد من الفريقين فقصدهم في البر وتحرى الحق معروفة وفقنا الله للاقتداء بهم والامر الثاني هو شأن
 العهد من النبي صلى الله عليه وسلم وما تدعيه الشيعة من وصيته على رضى الله عنه وهو أمر لم يصح ولا نقله
 أحد من أئمة النقل والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس لكتب الوصية وأن عمر منع من ذلك
 فدليل واضح على انه لم يقع وكذا قول عمر رضى الله عنه حين طعن وسئل في العهد فقال ان أعهد فقد عهد
 من هو خير مني يعني أبابكر وان أترك فقد ترك من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم لم يعد ذلك
 قول على لالعباس رضى الله عنه ما حين دعاه للدخول الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن شأنهم في
 العهد فإني على من ذلك وقال انه ان منعنا منها فلا نطمع فيها آ خر الدهر وهذا دليل على ان علياً علم انه لم
 يوص ولا عهد الى أحد وشبهة الامامية في ذلك انما هي كون الامامة من أركان الدين كما يزعمون وليس
 كذلك وانما هي من المصالح العامة المفوضة الى نظر الخلق ولو كانت من أركان الدين لكان شأنها شأن
 الصلاة ولكان يستخلف فيها كما استخلف أبابكر في الصلاة ولما كان شأنها شأن الصلاة واحتجاج الصحابة
 على خلافة أبي بكر بقياسها على الصلاة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فلا نرضاه
 لديننا دليل على أن الوصية لم تقع ويدل ذلك ايضا على ان أمر الامامة والعهد بهما لم يكن معاً كما هو اليوم
 وشأن العصبية المرافعة في الاجتماع والافتراق في مجاري العادة لم يكن يومئذ ذلك الاعتبار لان امر الدين
 والاسلام كان كما بخوارق العادة من تأليف القلوب عليه واسماتة الناس دونه وذلك من أجل الاحوال
 التي كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة أنصهرهم وتردد خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة
 تتلى عليهم فلم يحتج الى مراعاة العصبية لما شغل الناس من صيغة الانقياد والاذعان وما يستفهم من تنابع
 المعجزات المخارقة والاحوال الالهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجوا منها ودهشوا من تنابعها
 فكان أمر الخلافة والمالك والعهد والعصبية وسائر هذه الأنواع من درج في ذلك القليل كما وقع فلما انقصر
 ذلك المدد ذهب تلك المعجزات ثم بقضاء القرون الذين شاهدوها فاستحالت تلك الصيغة قليلاً قليلاً
 وذهبت الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان قاعته ببر أمر العصبية ومجاري العوائد فيما يشاء عنها من
 المصالح والمفاسد وأصبح المالك والخلافة والعهد بهما من المهمات الأكيدة كما زعموا ولم يكن ذلك من
 قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم لم غير مهمة فلم يعد فيها ثم تدرجت الالهية
 زمان الخلافة بعض الشيء بما دعت الضرورة اليه في الحجابة والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا

والعامة بالرغبة والرغبة
 والسمة غلبة بالخلافة وقال
 الموبدان السياسة التي بها
 صلاح الملك الرفق بالرعية
 وأخذ الحق منهم في غير مشقة
 وسد القروج وأمن السبل
 وان ينصف المظلوم من
 الظالم ولا يحمل القوى
 على الضعيف وقالوا الوالى
 من الرعية كالروح من
 الجسد لا حياة له الا به
 وبعد الوالى من اصلاح
 الرعية مع افساد نفسه
 كبد الجسد مع البقاء بعد
 فماب الرأس والسلطان
 خليف أن يعود نفسه الصبر
 على من خالف رأيه من ذوى
 النصيحة والتجسس عاراة
 قلوبهم ولا ينبغي أن يحسد
 الا على حسن التدبير ولا ان
 يكذب لان احد لا يقدر
 على استكراهه ولا أن
 يغضب لان الغضب
 والقدرة لقاح الشر والندامة
 ولا أن يخجل لانه أقل الناس
 خوفاً من الفقر ولا أن يحقد
 لان قدره جل عن المجازاة
 ولا ينبغي للوالى أن يستعمل
 سيمه فيما يكتفى فيه
 بالسوط ولا سوطه فيما يكتفى
 فيه بالجس ولا جسده فيما
 يكتفى فيه بالجفاء والوعيد
 قال معاوية الى لاضرع
 صيفي حيث يكفني سوطي
 ولا سوطي حيث يكفني

لسانى ولأن بني وبين الناس شعرة ما انقطت اذ امدوها خيلتها واذا اخلوها مددتها ونحو هذا
 قول الشعبي كان معاوية كالجمل الطيب والجمل الطيب هو الخاق بالشي لا يضع يده الا حيث تبصر عينه ويشفى له أن يعلم رعيته أنه

لا يصاب خبره الا بالمعونة له على الخبر ولا ينبغي له أن يدع تفقد لطيف أمور الرعية انك لا على نظره في جسمها فان للطيف موقع ينتفع به وقد آتى الله ملك الدنيا سليمان بن داود عليهم السلام ثم تفقد الطير فقال مالي لا ادى (١٢٧) الهدى لان التهاون بالسير أساس

الوقوع في الكبير وقد قال الشاعر

لا تحقرن شيئا

كم حشر اشيب وقالوا اصل الاشياء كلها

شيء واحد ولا تدع مباشرة

جسيم امره فالحسيم موضع

ان غفل عنه تفاقم ولا يلزم

نفسه مباشرة الصغير أبدا

فيضيع الكبير وقال

ياد الحاجبه وليت لك حاجتي

وعزلتك عن أربع المؤذن

للصلاة وصاحب الطعام

فان الطعام اذا أعيد سخنه

فسد وصار خاليل لشردها

وصاحب البر يدف التهاون

بالبر يدساعة يخرب عمل

سنة وكان أبو العباس

السفاح يقول لأعوان الدين

حتى لا ينفع الا بالشد

ولا كثرن من الخاصة

ما أمتهم - إلى العامة

ولا غدن سبق حتى يسلبه

الحق ولا عطين حتى لا أرى

للعطية موضعا وقال أردشير

لما كمل ملكه وأباده

أعداءه انه لم يحكم حاكم

على القول كالعبر ولم

يحكمها محكم كالنجر به

وليس شيء أجمع للعقل من

خوف وحاجة يتأمل بها

صفحات حاله وكان عمر

يقول ان هذا الامر لا يصلح

له الا الذين في غير ضغف

بالخيار في الفعل والترك كما ذكرنا عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من أهم الامور للائفة على الحجة والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سر الازع عن القرعة والنخاذل ومنشأ الاجتماع والتوافق الكفيل بمقاصد الشريعة وأحكامها والامر الثالث شأن الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين فاعلم ان اختلافهم انما يقع في الامور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الادلة الصحيحة والمدارك المعتبرة والمجتهدون اذا اختلفوا فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ومن لم يصادفه فهو مخطئ فان جهته لا تنبع من اجماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة ولا يتعين من الخطئ منها والتأني مدفع عن الكل اجماعا وان قلنا ان الكل حق وان كل مجتهد مصيب فأحرى بنفي الخطا والتأني وغاية الخلاف الذي بين الصحابة والتابعين انه خلاف اجتهادي في مسائل دينية ظنية وهذه احكامه والذي وقع من ذلك في الاسلام انما هو واقعة على معاوية ومع الزبير وعائشة وطلحة وواقعة الحسين مع يزيد وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك فأما واقعة على فان الناس كانوا عند مقتل عثمان مقتدرين في الامصار فلم يشهدوا بيعة على والذين شهدوا فذهبهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام كسعد وسعيد وابن عمر وأسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وقدامة بن مظعون وأبي سعيد الخدري وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخزوم وفضالة بن عبيد وأما منهم من أكاير الصحابة والذين كانوا في الامصار عدلوا عن بيعته أيضا الى الطلب بدم عثمان وتركوا الامر فوضي حتى يكون شوري بين المسلمين لمن يولونه وظنوا به على هواة في السكوت عن نصر عثمان من قاتله لافي الممالاة عليه فحاش لله من ذلك ولقد كان معاوية اذا صرح بعلامته انما يوجهها عليه في سكوتة فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى على أن بيعته قد انعدت ولزم من تأخر عنها اجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن الصحابة وأرجأ الامر في المطالبة بدم عثمان الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتممكن حينئذ من ذلك ورأى الآخرون ان بيعته لم تنعد لا فترق الصحابة اهل الحل والعقد بالافاق ولم يحضر الا قليل ولا تكون البيعة الا باتفاق اهل الحل والعقد ولا يلزم بمقتد من تولاهم من غيرهم او من القليل منهم وان المسلمين حينئذ فوضي فيطالبون اولادهم عثمان ثم يجتمع معون على امام وذهب الى هذا معاوية وعمر بن العاصي وأم المؤمنين عائشة والزبير وابنه عبد الله وطلحة وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن خديج ومن كان على رأيهم من الصحابة الذين تخلفوا عن بيعة على بالمدينة كما ذكرنا الآن اهل العصر الثاني من بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة على ولزومها للمسلمين اجمعين وتصويب رأيهم فيما ذهب اليه وتعين الخطان جهة معاوية يقومون كان على رايه وخصوصا طلحة والزبير لانتقاضهم ما على على بعد البيعة له فيما نقل مع دفع التائيم عن كل من الفريقين كالشأن في المجتهدين وصار ذلك اجماعا من اهل العصر الثاني على احد قولي اهل العصر الاول كما هو معروف ولقد سئل على رضي الله عنه عن قتلى الجمل وصغين فقال والذي نفسي بيده لا يموتن احدا من هؤلاء وقلبه نقي الادخل الجنة يشير الى الفريقين نقله الطبري وغيره فلا ينعن عندك ريب في عدالة احدهم ولا قدح في شيء من ذلك فهم من علمت واقوالهم وافعالهم انما هي عن المستندات وعدالتهم مقر وعندها اهل السنة الاقوال للمعتزلة فيمن قاتل عليا لم يلفظ اليه احدا من اهل الحق ولا عرج عليه واذا نظرت بعين الانصاف عذرت الناس اجمعين في شأن الاختلاف في عثمان واختلاف الصحابة من بعده وعلمت انها كانت فتنة ابتلى الله بها الامة بيند ما المسلمون قد اذهب الله عدوهم وملكهم ارضهم وديارهم ونزلوا الامصار على حدودهم والقوة في غير عنف وقال الاصمعي قال لي الرشيد هل تعرف كلمات جامعات لمكارم الاخلاق يقل لفظها ويسهل حفظها تكون لاغراضها لتقوا لمقاصدها وفقات شرح المستبهم وتوضح المستبهم قلت نعم يا امير المؤمنين دخل اكنتم بن صبي في حكيم العرب على بعض

ملوكها فقال له اني سائلك عن اشياء لاتزال بصدري مخيلة وما تزال الشكوك عليها والحنة فاجبتني بما عندك فيها فقال ابيت اللعن
سألت خبيراً واستنبأت بصيراً والجواب (١٢٨) يشفعه الصواب فسل عما يدرك قال ما السوء فقال اصطناع المعروف عند العشرة

واحتمال الخمر يرة قال
في الشرف قال كف الاذى
وبذل الندى قال فما
المجد قال جل المغارم وابتناء
المكارم قال فما الكرم
قال صدق الاخاء في الشدة
قال فما العز قال شدة
العضد وكثرة العدد قال
في السماحة قال بذل
النائل وحب السائل قال
في الغنى قال الرضا بما
يكفي وقلة التقي قال فما
الرأى قال لب تعينه
تجربة قال له الملك اوريد
زناد بصبري واذا كيت
نار حيرتي فاحتكم قال لكل
كلمة هجيمة قال هي لك
قال الاضحي فقال لي الرشيد
ولك بكل كلمة بكرة
فانصرفت بشمانين الفا
وكان قس بن ساعدة
يقول على قصير فيكرمه
فقال له يوماً ما أفضل العقل
قال معرفة الرجل بنفسه
قال ما أفضل العلم قال
وقوف الرجل عند علمه قال
في أفضل المروءة قال
استبقاء الرجل ماء وجهه
قال فما أفضل المال قال
ما قضى به الحقوق
* (الباب الموفى عشرين
في الخصال التي هي اركان
السلطان) *
قال ابو جعفر المنصور

بالبصرة والكوفة والشام ومصر وكانا كثر العرب الذين نزلوا هذه الامصار جفاة لم يستكثر وامن صحبة
النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذبهم سيرته وآدابه ولا ارتاضوا بخلافه مع ما كان فيهم في الجاهلية من الجفاء
والعصبية والتفاخر والبعدهن كينة الايمان واذا بهم عند استئصال الدولة قد اصبحوا في ملكة المهاجرين
والانصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل واهل الحجاز ويثرب السابقة بين الاولين الى الايمان
فاستسكروا من ذلك وغصوا به ما يرون لانفسهم من التقدّم بانسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم
مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة وقبائل كندة والازد من اليمن وتميم وقيس بن مضر فصاروا
الى الغرض من قريش والانفة عليهم والتمريض في طاعتهم والتعلل في ذلك بالنظم منهم والاستعداد عليهم
والطعن فيهم بالهجز من السرية والعدل في القسم من السوية وفشت القالة بذلك وانتهت الى المدينة وهم
من علمت فاعظموه وابلغوه عثمان فبعث الى الامصار من يكشف له الخبر بعث ابن عمر وعجم بن مسلمة
واسامة بن زيد وامثالهم فلم يتركوا على الامراء شيأ ولا رأوا عليهم طعنأ وادوا ذلك كما علموه فلم ينقطع الطعن
من اهل الامصار وما زالت الشناعات تنمو وورحى الوليد بن عقبة وهو على الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه
جماعة منهم وحده عثمان وعزله ثم جاء الى المدينة من اهل الامصار يسألون عن عزل العمال وشكوا الى
عائشة وعلى والزبير وطلحة وعزل لهم عثمان بعض العمال فلم تنقطع بذلك أسنتهم بل وفدس عيدين
العاصي وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه معزولاً ثم انتقل الخلاف بين عثمان ومن
معه من الحجابة بالمدينة ونقموا عليه امتناعه عن العزل فأبى الا أن يكون على جرحه ثم نقلوا النكير الى
غير ذلك من أفعاله وهو متمسك بالاجتهاد وهم ايضا كذلك ثم تجمع قوم من الغوغاء وجأوا الى المدينة
يظهرون طلب النصفة من عثمان وهم يضمر ون خلاف ذلك من قتله وفيهم من البصرة والكوفة ومصر
وقام معهم في ذلك على وعائشة والزبير وطلحة وغيرهم يحاولون تسكين الامور ورجوع عثمان الى رأيهم
وعزل لهم عامل مصر فاضربوا قليلاً لا ثم رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدلس برغمون أنهم لقوه في يد حمله الى
عامل مصر بان يقتله وحلف عثمان على ذلك فقالوا لكان من مروان فانه كاتبك في خلاف مروان فقال
عثمان ليس في الحكم أكثر من هذا فاضروه بداره ثم بيتوه على حين غفلة من الناس وقتلوه وانفتح باب
القتلة فلكل من هؤلاء عذر فيسأ وقع وكاهم كانوا همته من بامر الدين ولا يضيعون شيئاً من تعلقاته ثم نظروا
بعده هذا الواقع واجتهدوا والله مطلع على احوالهم وعالم بهم ونحن لا نظن بهم الا خير الماسه هدت به
أحوالهم ومقالات الصادق فيهم واما الحسين فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من اهل عصره بعثت
شيعة اهل البيت بالكوفة للحسين ان ياتيهم فيقوموا بامرهم فرأى الحسين ان الخروج على يزيد متعين
من أجل فسقه لاسيما من له القدرة على ذلك وظنهم ان نفسهم باهليته وشوكتهم فاما الاهلية فكانت كما ظن
وزيادة واما الشوكة فغلط برحمته الله فيها لان عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش في عبد
مناف وعصبية عبد مناف في بني امية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه وانما
نسى ذلك أول الاسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وأمر الوحي وتردد الملائكة لنصرة المسلمين
فأغفلوا أمور عوائدهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنازعتها ونسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في
الحماية والدفاع ينتفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين فيها يحكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع
أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد فعادت العصبية كما كانت ولمن كانت
وأصبحت مضراً طوع لبني امية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل (فقد) تبين لك غلط الحسين الا انه

ما كان أحوجني أن يكون علي باي أربعة لا يكون علي باي أعف منهم قيل من هم يا أمير المؤمنين في
قال هم اركان الملأ لا يصلح الملأ الا بهم كما أن الدر لا يصلح الا بالاربع قوائم فان نقص قائمة واحدة عابه ذلك أحدهم قاض لا تأخذه

في الله لومة لائم والاخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي والثالث صاحب خراج يستعصى ولا يظلم الرغبة فاني فني عن ظلمهم ثم مضى على اصبغه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه آه قال من هو يا امير المؤمنين (١٢٩) قال صاحب بر يد يكتب بخبر هؤلاء على

الصحة وقال عمر بن الخطاب

رضي الله عنه لا يصلح الوالي

الا باربع خصال ان تقتصا

واحدة لم يصلح له امر ولا نهى

قوة على جمع المال من ابواب

حله ووضع في حقه وشدة لا

جبروت فيها ولا يلاهن فيه

*) (الباب الحادي والعشرون

في بيان حاجة السلطان

الى العلم*)

قال ابن المقفع اذا اكرمك

الناس لمال او سلطان

فلا يعجبك ذلك فان

زوال الكرامة بزوالها

ولكن يعجبك ان اكرمك

لادب او علم او دين

اعلم ارشدك الله ان اكثر

الناس حاجة الى الثقة

اكثرهم عيالا واتباعا

وحشما واصحابا وحقا

مستعدون من السلطان

ماله من الخلاق السنية

والطرائق العملية مفقرون

اليه في الاحكام وقطع

النشاجر وفصل الخصام

فهو اخرج خلق الله الى

معرفة العلوم وجمع الحكم

وشخص بالعلم كبلد بلا

اهل وافضل ما في السلطان

خصوصا وفي الناس عموما

محبة العلم والتخلي به والشوق

الى استماعه والتعظيم

لجلته فان ذلك دليل على

قوة الانسانية فيه وبعده

من البهيمية ومضاهاته

في اوردني ولا يضرة الغلط فيه واما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان ظنه القسرة على ذلك ولقد عزل ابن العباس وابن الزبير وابن عمر وابن الحنفية اخوه وغيره في مسيره الى الكوفة وعلموا غلظه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما اراده الله واما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالبحار ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم فمروا ان الخروج على يزيد وان كان فاسقا لا يجوز لما ينشأ عنه من الهرج والدماء فاصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا انكروا عليه ولا اتعوه لانه مجتهد وهو اسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط ان تقول بتأنيهم هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصره فانهم اكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وكان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلاه على فضله وحقه ويقول سألوا جابر بن عبد الله واباسميد الخدري وانس بن مالك وسهل بن سعيد وزيد بن ارقم وامثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك لعلمه انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن اجتهاد منه وكذلك لا يذهب بك الغلط ان تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد وان كان هو على اجتهاد او يكون ذلك كما يحذر الشافعي والمالكي الحنفي على شرب النبيذ واعلم ان الارباب كذلك وقتاله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء وان كان خلافه عن اجتهادهم وانما انقرب قتاله يزيد واصحابه ولا تقول ان يزيد وان كان فاسقا قاولم يحز هؤلاء الخروج عليه فافعله عنه دهم صحيحة واعلم انه انما ينفذ من اعمال الفاسق ما كان مشروعا وقفال البغاة عندهم من شرطه ان يكون مع الامام العادل وهو مفقود في مسئلة انفا لا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا يزيد بل هي من فعله لانه المؤكدة لثبوتها في الحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق ايضا واجتهاد وقد غلط القاضي ابو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه ان الحسين قتل بشرع جده وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل ومن اعدل من الحسين في زمانه في امامته وعد الله في قتال اهل الاكراه واما ابن الزبير فانه رأى في منامه ما رآه الحسين في وطن كطان وغلط في امر الشوكة اعظم لان بني اسد لا يقاومون بني أمية في جاهلية ولا اسلام والقول بتعيين الخطافي جهة مخالفة كما كان في جهة معاوية مع على لا سبيل اليه لان الاجماع هنالك قضى لثبته ولم يجزده ههنا واما يزيد فعين خطاه فسقه وعبد الملك صاحب ابن الزبير اعظم الناس عدالة وناهيك بعد الله احتجاج مالك بقتله وعدول ابن عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معه بالحجاز مع ان الكثير من الصحابة كانوا يرون ان بيعته ابن الزبير لم تنعقد لانه لم يحضرها اهل العقد والحل كبيعة مروان وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون محمولون على الحق في الظاهر وان لم يتعين في جهة منهم ما والقول الذي نزل به بعد تقرير ما قررناه يجبي على قواعد الفقه وقوانينه مع انه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحريمه الحق هذا هو الذي ينبغي ان يحمل عليه افعال السلف من الصحابة والتابعين فهم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة للقدح فن الذي يختص بالعدالة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قرني ثم الذين يلونهم مرتين او ثلاثا ثم يقشوا الكذب بفعل الخير وهي العدالة مختصة بالقرن الاول والذي يليه فاليك ان تعود نفسك واسنانك التعرض لاحد منهم ولا يشوش قلبك بالرأي في شيء مما وقع منهم والتمس لهم مذهب الحق وطرقه ما سالت طعت فهم اولي الناس بذلك وما اختلقوا الا عن بينة وما قاتلوا وقتلوا الا في سبيل جهاد او اظهار حق واعنة دمع ذلك ان اختلأفهم رجعتان بعدهم من الامة لا يقتدى كل واحد من مختاره منهم يجعله امامه وهاديه ودليله فافهم ذلك وتبين حكمه الله في خلقه وكونه واعلم انه على كل شيء قدير واليه المرجع والمصير والله تعالى اعلم

(١٧ - ابن خلدون) للعالم العلوي وهو من اوكدم ما يحب به الى الرعية واذا كان الملك خالما من العلوم ركب هو اه واضر برصته كالعادة بالارسن تمر في غير طريق وقد تلف ما تم به واعلم ان زهر القضايل وحسن المناقب وبهاء الحسن وما صاد ذلك من قبح

المطالب ونفس الرذائل كل ذلك يظهر عليك ويعظم منك بقدر ما أوتيته من علو المنزلة وشرف الخطوة فيكون حسنك أحسن كما يكون
قبيلك أفتح وليس أحسن أهل (١٣٠) الدرجات السنية والمراتب العلمية أخرج إلى مجالسة العلماء وصحبة الفقهاء ودراسة كتب

٣٢ * (فصل في الخطط الدينية للخلافة) *

لماتين أن حقيقة الخلافة نابعة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا فصاحب الشرع
متصرف في الأمرين أما في الدين فبمقتضى التكليف الشرعية الذي هو مأثور بتبليغها وحمل الناس
عليها وأما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشري وقد قدمنا أن هذا العمران
ضروري للشروا ورعاية مصالحه كذلك ثلاث يقسدها أهملت وقد قدمنا أن الملك وسطوته كاف في حصول
هذه المصالح نعم إنما تكون أكل إذا كانت بالاحكام الشرعية لانه أعلم به هذه المصالح فقد صار الملك
يندرج تحت الخلافة إذا كان اسلاميا ويكون من توابعها وقد نفرد اذا كان في غير الملة وله على كل حال
مراتب خادمة ووظائف تابعة تبين خطط وتوزع على رجال الدولة وظائف فيقوم كل واحد بوظيفته
حسب ما يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك أمره ويحسن قيامه بسلطانه وأما المنصب
الخلافي وان كان الملك يندرج تحتها بهذا الاعتبار الذي ذكرناه فتصرفه الديني يختص بخطط ومراتب
لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين فلذا ذكر الا أن الخطط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع الى الخطط الملوكية
السلطانية فاعلم ان الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والقتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة
تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة فكانها الامام الكبير والاصل الجامع وهذه كلها متفرعة عنها
وداخلية فيها العموم نظر الخلافة وتصرفها في سائر احوال الملة الدينية والدنيوية وتنفيذ احكام الشرع فيها
على العموم فاما امامة الصلاة فهي ارفع هذه الخطط كلها وأرفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت
الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن ابي بكر رضي الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه
في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينه فلا نرضاه لدينا فلولوا أن الصلاة ارفع من
السياسة لمصالح القياس واذا ثبت ذلك فاعلم ان المساجد في المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية
معدة للصلوات المشهودة وأخرى دونها مختصة بقوم واحدة وليست للصلوات العامة فاما المساجد العظيمة
فامر هاراجع الى الخليفة او من يفوض اليه من سلطان او وزير او قاض فينصب لها الامام في الصلوات
المجس والجمعة والعيدين والخسوف والاستسقاء وتعين ذلك انما هو من طريق الاولى والاستحسان
ولللايقنات الرعايا عليه في شئ من النظر في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من يقول بوجوب
اقامة الجمعة فيكون نصب الامام لها عنده واجبا * واما المساجد المختصة بقوم واحدة فامر هاراجع الى
الحجير ان ولا يحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان واحكام هذه الولاية وشروطها والمواالي فيها معروف في كتب
الفقه ومبسوطة في كتب الاحكام السلطانية لما وردى وغيره فلا تطول بذكرها وقد كان الخلفاء الاولون
لا يقدونها لغيرهم من الناس وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد عند الاذان بالصلاة وترصدهم لذلك
في أوقاتها يشهد ذلك ذلك باشرتهم لها وأنهم لم يكونوا يستخلفون فيها وكذا كان رجال الدولة الاموية
من بعدهم استثنائها واستعظاما لمرتبها يحكي عن عبد الملك انه قال لمحاجبه قد جعلت لك حجابة بابي
الاعن ثلاثة صاحب الطعام فانه يقسدها لآخر والاذن بالصلاة فانه داع الى الله والبريد فان في تأخير
فساد القاصدة فلا حاشات طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والرفع عن مساواة الناس في دينهم ودنياهم
استثنوا في الصلاة فكانوا يستأثرون بها في الاحيان وفي الصلوات العامة كالعيدين والجمعة اشادة وتنوينا
فعل ذلك كثير من خلفاء بني العباس والعبيد دين صدد ردولتهم واما القيتا فللخليفة تقصص أهل العلم
والندريس ورد القيتا الى من هو اهل لها واعانتة على ذلك ومنع من ليس أهلا لها وزجره لانها من مصالح

العلوم والحكم ومطالعة
دواوين العلماء ومجامع
الفتاوى وسير الحكماء من
السلطان وانما كان ذلك
من وجهين أحدهما انه
قد نصب نفسه اماما رسة
أخلاق الناس وفصل
خصوصاتهم وتعاطى
حكوماتهم وكل ذلك يحتاج
الى علم بارع ونظر ثاقب
وبصيرة بالعلم قوية ودراسة
طويلة فكيف يكون
حاله لو لم يعد هذه الامور
عندتها ولم يقدم لها أهميتها
والثاني أن من سواه من
الناس لا يعدون من
ينكر عليهم ويعارضهم
ويذكرهم مساوهم
ويخالفهم في مذاهبهم
فيكون ذلك مما يعينهم
على رياضة أنفسهم وتعلمهم
مراسدهم ومناظرة الاكفاء
ومعاشرة النظر راء تلقيج
العقول وتهذيب النفوس
وتدريسا لأخذ الاحكام
بخلاف السلطان فان
ارتفاع درجته يقطع عنه
جميع ذلك اذ لا يلقاه
ولا يجالساه الا معظما لقدره
مبجل لشأنه وسائر مساويه
ومادح له بما ليس فيه
وانما جوابه لهم صدق
الامير وعلى قدر المرتبة
يكون علو السقطة كما ان

على قدر ارتفاع الخاطئ يكون صوت الوجبة * (فصل) * يا أيها الملك ليس أحد فوق أن يؤمر بتقوى الله ولا أحد دون المسلمين
ان يؤمر بتقوى الله ولا أحد أجل قدرا من أن يقبل أمر الله ولا أرفع خطرا من أن يتعلم حكم الله ولا أعلى شأن من أن يتصف بصفت الله ومن

صفت الله العلم الذي وصف به سبحانه نفسه وتمدح بسعته فقال تعالى وسع كرمه السموات والارض والكرسي هو العلم والكرسي هم العلماء واذا كان العلم فضيلة فرغبة الملوك وذوى الاخطار والاقدار والاشراف (١٣١) والشيوخ فيه أولى لان الخطأ فيهم أفتح

والابتداء بالفضيلة فضيلة
(حكى) ان ابراهيم بن
المهدى دخل على المأمون

وعنده جماعة يتكلمون
في الفقه فقال يا عم ما عندك
فيما يقول هؤلاء فقال يا أمير
المؤمنين شغلونا في الصغر
واشغلنا في الكبر فقال
المأمون لم لا تتعلم اليوم
فقال او يحسن بمثلي طلب
العلم فقال نعم والله لان
تموت طالبا للعلم خير من أن
تعيش قانعا بالجهل قال
والى متى يحسن العلم قال
ما حسنت بك الحياة
وروى أن بعض الحكماء
رأى شخصا يطلب العلم
ويحب النظر فيه ويستحي
فقال يا هذا تستحي أن
تكون في آخر عمرك أفضل
 مما كنت في أوله لان
الصغير أعذر وان لم يكن في
الجهل عذر وفي منثور
الحكماء جهل الشباب معذور
وعلمه محذور فاما الكبير
فالجهل به أفتح وتقصه
عليه أفضح لان علو السن
اذ لم يكسبه فضلا ولم يفده
علما كان الصغير أفضل
منه لان الامل فيه أقوى
وحسبك نقيصة في رجل
يكون الصغير المساوى له
في الجهل أفضل منه وكما
ذكرنا من حاجة الشيخ الى

المسلمين في اديانهم فوجب عليه مراعاتها لا يتعرض لذلك من ليس له باهل فيضل الناس وللمدرس
الاتصاف لتعليم العلم وبنه والجلوس لذلك في المساجد فان كانت من المساجد العظام التي للسلطان الولاية
عليها والنظر في أتمها كما مر فلا بد من استئذانه في ذلك وان كانت من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على
إذن على انه ينبغي ان يكون لكل أحد من المفتين والمدرسين زاجر من نفسه يمنعه عن التصدي لما ليس له
باهل فيضل به المستهدى ويضل به المسترشد وفي الأثر أجروكم على الفتيا أجروكم على جرائم جهنم فلا سلطان
فيهم لذلك من النظر ما توجه به المصلحة من اجازة أو رد * وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت
الحكومة لانه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسبا للتداعي وقطعا للتنازع الا انه بالاحكام
الشريعة المتألفة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الحكومة لافقه ومنه درجاني وعمومها وكان
الحلفاء في صدر الاسلام يباشرونه بانفسهم ولا يجعرون القضاء الى من سواهم وأول من دفعه الى غيره
وفوضه فيه عمر رضي الله عنه فولى أبا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى ابا موسى الاشعري
بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاء وهي مستوفاة فيقول أما بعد
فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذه وأس بين
الناس في وجهك وبجسك وعدلك حتى لا يطمع شر يف في حيفك ولا يأس ضعيف من عدلك البينة
على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ولا يمنعك
قضاء قضيتك أس فرأجت اليوم فيه علةك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم
ومراجعة الحق خير من التماسي في الباطل الفهم الفهم فيما تجاليج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم
اعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتمي اليه فان
أحضر بينته أخذت له بحقه والا استحللت القضية عليه فان ذلك أنفي للشك وأجلى للجماء المسلمون عدول
بعضهم على بعض الا بجلود في حد أو بحر باعليه شهادة زور أو ظني في نسب أو ولاء فان الله سبحانه عقابن
الايان ودرأ بالبينات واياك والقلبي والصبر والتأفف بالخصوم فان استقر الحق في موطن الحق يعظم
الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام انتهى كتاب عمرو انما كانوا يقدون القضاء لغيرهم وان كان مما يتعلق
بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة أشغالهم من الجهاد والقنوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك
مما يقوم به غيرهم اعظم العناية فاستحقت القضاء في الوقعات بين الناس واستخلفوا فيه من يقوم به تخفيفا
على انفسهم وكانوا مع ذلك انما يقدونه أهل عصيتهم بالنسب أو الولاء ولا يقدونه لمن بعدهم في ذلك وأما
أحكام هذا المنصب وشروطه فغروقة في كتب الفقه وخصوصا كتب الاحكام السلطانية الا ان القاضي
انما كان له في عصر الحلفاء الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع لهم بعد ذلك أمورا أخرى على التدرج بحسب
اشتغال الحلفاء والملوك بالسياسة الكرى واستقر منصب القضاء آخر الامر على انه يجمع مع الفصل بين
الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أموال المحجور عليهم من المجانين والامتناع والمفلسين
وأهل السفه وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج الايامي عند فقد الاولياء على رأي من رآه والنظر في مصالح
الطراف والابنية وتصفيح الشهود والامناء والنواب واستيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدالة والجرح ليحصل له
الوثوق بهم وصارت هذه كلها من تعلقات وظيفته وتوابع ولايته وقد كان الحلفاء من قبل يجعلون للقاضي
النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم رغبة ترفع
الظالم من الخصمين وتزجر المتعدي وكأنه يضي ما يحجز القضاء أو غيرهم عن امضائه ويكون نظره في البينات

العلم فحاجة السلطان اليه أكثر ودواعيه الى اكتسابه أشد لان من عداه انما تخصه نفسه الواحدة فيقرب عليه تحصيل ما يقوم بهه والمالك
منصب لسياسة اهل مملكته وتعليمهم وتقويم اودهم فهو الى العلم أحوج قال الشاعر
اذ لم يكن مر السنين مترجما ■

عن الفصل في الانسان سمعة طفلا وماتت مع الاعوام حين تعدها ولم تستقد فيهن علما ولا عقلا اوى الدهر من سوء التصرف ما ظلا الى كل ذي جهل كان به جهلا (١٣٢) وقال بعض الحكماء كل من لا يؤمنه علم مذلة وكل علم لا يؤكده عقل مضلة وكيف يستند كيف

ملك أو ذم منزلة عليّة عن طلب العلم وهذا موسى عليه السلام ارتحل من الشام الى مجمع البحرين في أقصى المغرب على بحر الظلمات الى لقاء الخضر ليتعلم منه فلما ظفر به قال هل أتبعك على أن تعلمي مما علمت رشدا هذا هو نبي الله وكماله وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصوفته من جميع خلقه قد اوصاه به وعلمه كيف يستنزل ما في خزائنه فقال وقل رب زدني علما فلو كان في خزائنه أشرف من العلم لنبيه عليه وهذا آدم عليه السلام لما خفرت الملائكة بتسبيحها وتقديسها الرب انخر آدم بالعلم فقال أنبئني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فلما عجزوا أمرهم بالسجود له وأخلق بحصاة تستدعي السجود لحاملها ان يتنافس فيها كل ذي لب وهذا فصل الخطاب لمن تدبره ولا تنصبن لك عذرا بما روى في بعض الاخبار مثل الذي يتعلم العلم في الصغر كالوشم على الصخر والذي يتعلم في الكبر كالنقش على الماء فقد سمع الاحنف وجلا يقول النعم لم في

والنقر يروا اعتماد الامارات والقرائن وتأخير الحكم الى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود وذلك أوسع من نظر القاضي وكان الخلفاء الاولون يباشرونها بانفسهم الى أيام المهدي من بني العباس وربما كانوا يحلون القضاة كما فعل عمر رضي الله عنه مع قاضيه أبي ادريس الخولاني وكما فعله المأمون ليحيى بن أكرم والمعتصم لاجد بن أبي داود وربما كانوا يحلون للقاضي قيادة الجهاد في عساكر الطوائف وكان يحيى بن أكرم يخرج أيام المأمون بالطائفة الى أرض الروم وكذا منذر بن سعيد قاضي عبدالرحمن الناصر من بني أمية بالاندلس فكانت تولية هذه الوظائف انما تكون للخلفاء أو من يجعلون ذلك له من وزير مفوض أو سلطان متغلب وكان أيضا النظر في الجرائم واقامة الحدود في الدولة العباسية والاموي وبالاندلس والعبيديين بمصر والمغرب راجعا الى صاحب الشرطة وهي وظيفة أخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول توسع النطاق فيها عن أحكام القضاء قليلا فيجعل لاهلها في الحكم مجالا ويقرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم ويقيم الحدود النابتة في محالها ويحكم في القود والقصاص ويقيم التعزير والتأديب في حق من لم ينته عن الجريمة ثم تنويسي شأنها بين الموظفين في الدول التي تنويسي فيها امر الخلافة فصار امرا مظاهرا راجعا الى السلطان كان له تقوى من الخليفة أو لم يكن وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة التهمة على الجرائم واقامة حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يتبعين ونصب لذلك في هذه الدول كما يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالي وتارة باسم الشرطة وبقى قسم التعازير واقامة الحدود في الجرائم الثابتة شرعا يخضع مع ذلك للقاضي مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظيفة ولايته واسطة تقرر الامر لهذا العهد على ذلك وخرجت هذه الوظيفة عن اهل عصبة الدولة لان الامر لما كان خلافة دينية وهذه الخطة من مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها الا من اهل عصبتهم من العرب ومواليهم بالخلف أو بالرق أو بالاصطناع ممن يوثق بكفايته أو غناؤه فيما يدفع اليه وما انقرض شأن الخلافة وطوره وها صار الامر كله ملكا أو سلطانا صارت هذه المخطط الدينية بعيدة عنه ببعض الشيء لانها ليست من القاب الملك ولا مراسمه ثم خرج الامر جلة من العرب وصار الملك لسواهم من أم الترك والبربر فازدادت هذه المخطط الخلافية بعد انهم منحها وعصبتها وذلك ان العرب كانوا يرون ان الشرعية دينهم وان النبي صلى الله عليه وسلم منهم وأحكامه وشرائعهم بينهم بين الامم وطريقهم وغيرهم لا يرون ذلك انما يولونها جاحلنا من التعظيم لسادانوا بالملة فقط فصاروا يقدونهم من غير عصابتهم من كان تأهل لها في دول الخلفاء السالفة وكان أولئك المتأهلون لما اخذهم ترف الدول منذ عشرين من السنين قد نسوا عهد البداوة وخشوتها والتدسوا بالمحضارة في عوائد ترفهم ودعتهم وقلة الامانة عن أنفسهم وصارت هذه المخطط في الدول الملوكة من بعد الخلفاء مختصة بهذا الصنف من المستضعفين في اهل الامصار ونزل أهلها عن مراتب العز والفقد الأهلية بانسابهم وما هم عليه من المحضارة فحقتهم من الاحتقار ما لحق الحضرة المنحسرين في الترف والدعة البعداء عن عصبة الملك الذين هم عيال على الحماية وصار اعتبارهم في الدولة من اجل قيامها بالملة واخذها باحكام الشرعية لما انهم الحاملون للاحكام المقتدون بها ولم يكن ايتارهم في الدولة حينئذ اكراما لذواتهم وانما هو لما يتلمح من التجميل بمكانهم في مجالس الملوك لتعظيم الرتب الشرعية ولم يكن لهم فيها من المحل والعقد شيء وان حضر وفوضور رسمي لاحقة قوراها اذ حقيقة المحل والعقد انما هي لاهل القدرة عليه فن لا قدر له عليه فلا حل له ولا عقد لديه اللهم الا اخذ الاحكام الشرعية عنهم وتلقى

وقد كان أصحاب النبي عليه السلام يسلمون شيئا وكهولا واحدا كانوا يتعلمون العلم والقرآن والسنة وهم يحور العلم وأطواد الحكماء العتاي

والفقه غير أن العلم في الصغر أرسخ أصولاً وأسبق فروعاً وليس إذا لم يحزه يقوته كما قال زحل لابي هريرة رضي الله عنه اني اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال ابو هريرة كفى بتركك له تضيعاً وبعض الخير (١٣٣) من كل الشر وانما مثل المجاهل تحت

غيب الجهل مثل المجاهل تحت جبل ثقل فانه كلما اعيا نقصه قليلاً قليلاً يوشك ان ينقصه كله فيستريح منه وان هو لم يطرح القليل حتى يطرح الكثير فما اوشكه ان يصرفه كله وكذلك المجاهل اذا تعلم قليلاً قليلاً يوشك ان يأتي على بقیته وان لم يتعلم في الكبر لما فاتته في الصغر فاوشكه ان يموت تحت غيب الجهل

(الباب الثاني والعشرون في وصية امير المؤمنين علي ابن ابي طالب)

رضي الله عنه لكيل بن زياد في العلم واهله قال كميل بن زياد النخعي خرجت مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى الجبانة فلما اصبح تنقس الصعداء ثم قال يا كميل بن زياد ان القلوب اوعية فغيرها وواعها للخبر احفظ عني ما قول لك الناس ثلاثة فعالم رباني ومنه علم علي سهل نجاته وهمج راع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريج لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجؤا منه الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكوك

الفتاوى منهم فمنع والله الموفق وربما يظن بعض الناس ان الحق فيما وراء ذلك وان فعل الملوك فيما فعلوه من اخراج الفقهاء والقضاة من الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه وسلم لم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان ذلك ليس كما ظنوه وحكم الملك والاسطان انما يجري على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيداً عن السياسة فطبيعة العمران في هؤلاء لا تقضي لهم شيئاً من ذلك لان الشورى والحل والعقد لا تكون الا لصاحب عصبة يقتدر بها على حل او عقد او فعل او ترك وامان لا عضدية له ولا يملك من امر نفسه شيئاً ولا من جانيها وانما هو عيال على غيره فاي مدخل له في الشورى او أي معنى يدعو الى اعتباره فيها اللهم الا شورا فيما يعلمه من الاحكام الشرعية فوجوده في الاستقناء خاصة واما شورا في السياسة فهو بعيد عنها لفقدانه العصبة والقيام على معرفة احوالها واحكامها وانما اكرامهم من تبرعات الملوك والاعراء الشاهدة لهم بحميل الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينتسب اليه باى جهة انتسب واما قوله صلى الله عليه وسلم لم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان الفقهاء في الاغاب لهذا العهد وما احتف به انما جلاوا الشريعة اقوالاً في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضاء في المعاملات ينصونها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية اكابرهم ولا يتصفون الا بالاقل منها وفي بعض الاحوال والسلف رضوان الله عليهم واهل الدين والورع من المسلمين جلاوا الشريعة اتصافاً بها وتحققاً بما ذاهبها فنجلها اتصافاً وتحققاً دون نقل فهو من الوارثين مثل اهل رسالة القشيري ومن اجتمع له الامران فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء التابعين والسلف والائمة الاربعة ومن اتقن طريقهم وجاء على اثرهم واذ انفردوا من الامة باحد الامرين العابد الحق بالورثة من الفقيه الذي ليس بعابد لان العابد ورث صفة والفقيه الذي ليس بعابد لم يرث شيئاً انما هو صاحب اقوال ينصها علينا في كيفية العمل وهؤلاء اكثر فقهاء عصرنا الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم

(العدالة) وهو وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد نصريه وحقبة هذه الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم تحملاً عند الاشهاد واداء عند التنازع وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس واملاهم وديونهم وسائر معاملاتهم وشروط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من الجرح ثم القيام بكتب السجلات والعقود من جهة عباراتها وانتظام فصولها ومن جهة احكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران (١) على ذلك والممارسة له اختصاص ذلك ببعض العدول وصار الصنف القائلون به كأنهم محتصون بالعدالة وليس كذلك وانما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح احوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشروط العدالة فيهم وان لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالعهد عليه في ذلك كله وهو ضمان دركهم واذ اتعين هؤلاء لهذه الوظيفة عمت الفائدة في تعيين من تخفى عدالته على القضاة بسبب اتساع الامصار واشتباها الاحوال واضطرار القضاة الى الفصل بين المتنازعين بالبيانات الموثوقة فيقولون غالباً في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في سائر الامصار دكاكين ومصاطب مختصون بالجلبوس عليها فيتعاهد هم اصحاب المعاملات للاشهاد وتقييدها بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركة بين هذه الوظيفة التي تبين مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي اخت الجرح وقد يتواردان ويفترقان والله تعالى اعلم

(الحسبة والسكة) اما الحسبة فهي وظيفة دينية من قوله المران بكسر الميم التمرن والاعتناء على الشيء اه

الانفاق والمال تنقصه النفقة والعلم حاكم المال محكوم عليه ومحبة العالم دين يدان الله به يكسبه الطاعة في حياته وجبل الاحدنية بعد وفاته مات خزان الاموال وهم احياء والعلم باقون ما بقي الدهر اشخاصهم معقودة وامثالهم في القلوب موجودة هان ههنا واشان

بده الى صدره لعلها اجبت له خلة بلى قد اصببت له لقنا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا فيستظهر بحجج الله تعالى على كتابه او كقال وبنعمته على عباده (١٣٤) او منقاد الال الحق لا بصيرة له في اخباته ينقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة

باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه ام لا له فستعين فرضه عليه ويتخذ الاعاون على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزرو ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الجمالين واهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم على اهل المدينة المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على ايدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع او استبعاد بل له النظر والحكم فيما يصل الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له امضاء الحكم في الدعاوى مظالم في ما يتعلق بالنفس والتدليس في المعاش وغيرها وفي المكاييل والموازين وله ايضا حمل المماطلين على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا انفاذ حكم وكانها احكام ينزه القاضي عنها لعمومها وسهولة اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعهما على ذلك ان تكون خادمة لمنصب القضاء وقد كانت في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيديين بمصر والمغرب والامويين بالاندلس داخلية في عموم ولاية القاضي بولي فيها اختباره ثم لما انفردت وظيفة السلطان من الخلافة وصار نظره عاما في امور السياسة اندرجت في وظائف الملك وافردت بالولاية

(واما السكة) فهي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يدخلها من الغش والنقص ان كان يتعامل بها عددا او ما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبار ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجداد والخموص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد تحت ذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فيوضع على الدينار بعد ان يقدر ويضرب عليه بالمطرق حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخلص في متعارف اهل القطر ومذاهب الدولة الحامكة فان السبك والتخلص في النقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته الى الاجتهاد فاذا وقف اهل اقطر على غاية من التخلص وقفا عند ما وسعها اماما وعيارا يعتبرون به نقودهم ويتقنونها عما ثلته فان نقص عن ذلك كان زيفا والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار فتدرج تحت الخلافة وقد كانت تدرج في عموم ولاية القاضي ثم افردت لها هذا العهد كما وقع في الحسبة هذا آخر الكلام في الوظائف الخلاقية وبعث منها وظائف ذهبت بذهاب ما ينظر فيه واخرى صارت سلطانية فوظيفة الامارة والوزارة والحرب والخارج صارت سلطانية تتكلم عليها اما كتبها بعد وظيفة الجهاد ووظيفة الجهاد بطلت بطلانه الا في قليل من الدول عيار سونه ويدرجون احكامه غالبا في السلطانيات وكذا نقابة الانساب التي يتوصل بها الى الخلافة او الحق في بيت المال قد بطلت لدنو الخلافة ورسمها وبالجمله قد اندرجت رسوم الخلافة ووظائفها في رسوم المال والسياسة في سائر الدول لهذا العهد والله مصرف الامور كيف يشاء

الا لا ذولا ذاك او مهموما بالذات سريع الانقياد للشهوات ام آخر شأنه جمع المال والادخار ليسامن رعاة الدين اقرب شها بهم الانعام السائلة اللهم فكذلك يموت العلم يموت حامله ولا يمكن ان تخلو الارض من قائم لله سبحانه بحجة ثلاث بطل حجج الله وبيناته ومن اولئك واين اولئك اولئك الاقلون عددا الاكثرون عند الله قدرا تحزن الحكمة في قلوبهم حتى يزعموها في قلوب اشباههم ويودعوها في صدور نظرائهم هجمهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلنوا ما استوحشه المتفرون واستأنسوا بما استوحش منه المجاهلون صحبوا الدنيا باجساد ارواحها متعلقة بالخل الاعلى اولئك خلفاء الله في بلاده ودعائه الى دينه آه شوقا الى رؤيتهم

(الباب الثالث والعشرون في العقل والدعاء والخير) قد ذكرت في كتاب الاسرار حقيقة العقل واقسامه ومحله واحكامه بما لمزيد عليه ونذكره هنا منافع

٣٣ *(نقل في اللقب بامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء)* وذلك انه لما بويع ابو بكر رضي الله عنه كان الصحابة رضي الله عنهم وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل الامر على ذلك الى ان هلك فلما بويع لعمر بعده اليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانهم اسنة قلو هذا اللقب بكثرته وطول اضافته وانه يتزايد فيما بعد دائما الى ان ينتهي الى الهجنة ويذهب منه التميز بتعدد الاضافات وكثرتها فلا يعرف فكنا يعادلون عن هذا اللقب الى ما سواه مما يناسبه ويدعي به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الامير وهو فعيل

ومداركه ولباب ما تحرر من القول فيه انه الاستشهاد بالشاهد على الغائب فن كان في طوقه ان يستدل بما شاهد على ما غاب عنه كان معه عقل ويسمى عاقلا عند الموحدين به يتوجه التكليف عليه وذلك ان من نظر الى قصر من

قد كمل بنيانه وحضنت أركانه وجعلت فيه من الآلات ما يكتفي به ساكنوه فاشرف عليه انسان فرأى بيتا مقطورة وأبوابا منصوبة
وفرشاة مفروشة وزرابي مبثوثة وموائد موضوعة وصحاف مقفولة وأرائك منصوبة (١٣٥) وحجلا مشدودة وطسوتا وأباريق

وبيوت ماء وميازيب
تصب الماء وتحتج بالأيح
لغرض الماء الى سائر
ما يستعمله العقلاء لا لتفاد
ثم فكر هل هذا القصر
بما حواه صنعة قادر صانع
عالم حي أو اتفق لنفسه
وتركب على صورته بلا
صانع فيستقر في عقله
بالضرورة استحالة وجوده
من غير صانع وأنه مقتدر
الى صانع صنعه وهذا علم
يجمع على العقول لا يقتصر
الى نظر واستدلال وإنما
كثرت لك هذه الامثلة
لان ما في الانسان من
الاعضاء ولطف الصنعة
والعجائب أكثر مما في
القصر بأضعاف مضاعفة
فاذا نظرت الى ما في نفسه
فرأى فيها من العجائب
والتركيب ومنفعة كل
عضو وتخصيصه بما يحتاج
نفع أو دفع ضرر فأنظره
في عضو واحد مثلا وهو
فمه فيرى في اوله اسنانا
تشبه الفأس تصلح للقطع
وفي آخره طواحين مدرسة
تصلح للطحن وشقوق
كانهم افعال الرحي ينعان
ان ينهرق الطعام الى
خارج لسانا يرد ما انقلب
من الطعام اليه على
الطواحين ثم يلى ذلك

من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز وكان الحجابة أيضا
يدعون سعد بن ابى وقاص أمير المؤمنين لآمارته على جيش القادسية وهم معظم المسلمين يومئذ واتفق أن
دعوا بعض الحجابة عمر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال ان أول
من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاصي والمغيرة بن شعبة وقيل يزيد جاء بالفتح من بعض
البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر يقول أين أمير المؤمنين وسعها الصحابة فاستحسنوه وقالوا
أصبت والله اسمعنه والله أمير المؤمنين حقا فدعوه بذلك وذهب لقبه في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده
سنة لا يشاركون فيها أحد سواهم سائر دولة بني أمية ثم ان الشيعة خصوا عليا باسم الامام نعمتاله بالامامة التي
هي أخت الخلافة وتعرضا مذهبهم في انه أحق بالامامة الصلوة من ابى بكر لما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه
بهذا اللقب ولم يسوقوا اليه منصب الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالامام ماداموا يدعون لهم
في الخلفاء حتى اذا استولوا على الدولة يتحولون للقب فيمن بعده الى أمير المؤمنين كما فعله شيعة بني العباس
فأنهم ما زالوا يدعون أنهم بالامام الى ابراهيم الذي جهر وابالدهاء وعقدوا الرايات للحرب على أخوه فلما
هلك دعى أخوه السفاح بامير المؤمنين وكذا الرافضة باقر يقية فأنهم ما زالوا يدعون أنهم من ولد اسمعيل
بالامام حتى انتهى الامر الى عبيد الله المهدي وكانوا أيضا يدعون بالامام ولا ينفكوا عن القاسم من بعده فلما
استوثق لهم الامر دعوا من بعدهما بامير المؤمنين وكذا الادوية بالمغرب كانوا يلقبون ادريس بالامام
وابنه ادريس الاصغر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا اللقب بامير المؤمنين وجعلوه سنة لمن يملك
الحجاز والشام والعراق الموطن التي هي ديار العرب وركزوا الدولة واهل الدولة والفتح وازداد لذلك في
عنقوان الدولة وبذخها لقب آخر للخلفاء يقترب به بعضهم عن بعض لما في أمير من الاشتراك بينهم فاستحدث
ذلك بنو العباس حجابا لاسمائهم الاعلام من امتناعها في السنة السوقة وصونهم للمسا عن الابتذال فلقبوا
بالسقاخ والمنصور والمهدي والرشيد الى آخر الدولة واقفي أثرهم في ذلك العبيديون
باقر يقية ومصر وتجناف بنو أمية عن ذلك بالمشرق قبلهم من الغضاضة والساذجة لان العربية
ومنازعها لم تفارقهم حينئذ ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة وأما بالاندلس فلقبوا كسلفهم
مع ما علموه من أنفسهم من القصور عن ذلك بالقصور عن ملك الحجاز أصل العرب والملة والبعده عن دار
الخلافة التي هي مركز العصبة وأنهم انما منعوا بامارة القاصية أنفسهم من مهالك بني العباس حتى اذا جاء
عبد الرحمن الداخل الاخر منهم وهو الناصر بن محمد بن الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط لاول
المائة الرابعة واشتهر مانال الخلافة بالمشرق من الحجر واستبداد الموالى وعيشهم في الخلفاء بالاعزل
والاستبدال والقتل والسمل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وافريق يقية وتسمى
بامير المؤمنين وتلقب بالناسر لدين الله وأخذت من بعده عادة ومذهب لقن عنه ولم يكن لابائه وسلف
قومه واستمر الحال على ذلك الى أن انقرضت عصبة العرب أجمع وذهب رسم الخلافة وتغلب الموالى
من العجم على بني العباس والصنائع على العبيدين بالقاهرة وصنعة على أمراء يقية وزبانية على المغرب
وملوك الطوائف بالاندلس على امر بني أمية واقتسموه وافترق امر الاسلام فاختلقت مذاهب الملوك
بالمغرب والشرق في الاختصاص باللقاب بعد أن تسموا بامير المؤمنين السلطان فقاما ملوك المشرق من العجم
فكان الخلفاء يخصصونهم باللقاب تشرقية حتى يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف
الدولة وعرض الدولة ووركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملوك وبهاء الدولة وذخيرة الملوك

بلعوم لا زدراده بعد الطحن علم يادني تأمل ان هذه الخلق ما انعمت بنفسها اتفقا بل هي مفتقرة الى قصد قاصد وجعل جاعلى وعلى هذا
الخطا لودهننا ذكر منفعة كل عضو لو قفت على العجب ولكن تركناه كراهية التطويل وعلى هذا المعنى نبه الكتاب المهين فقال تعالى

وفي أنفسكم أفلا تبصرون . بهذه العبرة تستقل العقول بآيات الصانع وتستغنى عن النظر في الجواهر والاعراض فالعلم المقيم لا يثبت
الصانع في الشاهد مثل البناء والتجار (١٣٦) والخياط وأشباههم بعد النظر في صنائعهم على اضطرارو العلم المثبت للصانع سبحانه

عند النظر في حدوث العالم
علم استدل اعتبارا
للغائب بالشاهد لا يفرق
في العقول بين صنعة
وصنعة في اقتضاء صانع
وانما كان العلم في الشاهد
ضروريا لان الانسان لم
يزل يرى البناء يدني
والخياط يخيط والتجار
ينجز الخشب ولم تر العقلاء
القديم سبحانه يخلق
ويخترع وانما استفادوه
من النظر في الشاهد فان
قيل فاي العلمين أقوى في
التقوس وأثبت في العقول
العلم بالصانع النظر في
الممرير واقتضائه للتجار
أم العلم بالاله عند النظر في
السموات والارضين وما
بينهما فالجواب ان هذا
يستدعي تفصيلا وتدقيقا
وليس هذا الكتاب
موضوع لذلك فينبغي ان نعلم
ان معه عقلا غير يزيا
ونسميه عاقلا ونوجه
التكليف عليه وهو العقل
التكليفي واذا ثبت هذا
فاعلم ان الله تعالى خلق
الخلق على أربعة أنحاء
ملائكة وآدميين
وشياطين وبهائم فاما
الملائكة فتعقل بلا شهوات
ولا هوى يقارنه وأما البهائم
فشهوات بلا عقول وأما

وامثال هذه وكان العبيديون أيضا يخصون بها أعراسها حاجة فلما استبدوا على الخلافة قنعوا بهذه
اللقاب وتجاؤا عن القاب الخلافة أديامعها وعدولا من سماتها المختصة بها شأن المتغلبين المستبدين كما
قلناه قبل ونزع المتأخرون أعاجم المشرق حين قوى استبدادهم على الملك وعلا كبرهم في الدولة والسلطان
وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة إلى انتحال الالقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور وزيادة
على القاب يخصون بها قبل هذا الانتحال مشعرة بالخروج عن رتبة الولاة والاصطناع بما أضافوها إلى
الدين فقط فيقولون صلاح الدين أسد الدين نور الدين . وأما ملوك الطوائف بالاندلس فاقسموا القاب
الخلافة وتوزعوها لثلاثة أسبغادهم عليها كما كانوا من قبيلها وعصبيتها مختلفة بآباء الناصر والمنصور والمعتمد
والمظفر وأمثالها كما قال ابن أبي شرف يني عنهم

مما نرصد في ارض أندلس * أسماء معتمد فيها ومعتمد

القاب ملكة في غير موضعها ■ كالمركبي انتفاخا صورة الاسد

وأما صنعة فاقصروا على الالقاب التي كان الخلفاء العبيديون يلقبون بها للتشويه مثل نصير الدولة
ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما أدوا من دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بددت الشقة بينهم وبين
الخلافة ونسوا عهدا فنسوا هذه الالقاب واقتصر على اسم السلطان وكذا شأن ملوك مغراوة بالمغرب
لم ينتحلوا شيئا من هذه الالقاب الا اسم السلطان جريا على مذاهب البدوة والغضاضة ولما حكي رسم
الخلافة وتعطل دستها وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسف بن تاشفين ملك لتونسة فلك العديتين وكان
من أهل الحـير والافتداع نزعته به همتة إلى الدخول في طاعة الخلافة تكميلا لمراسم دينه فخاطب
المسـقط ظهر العباسي وأوفد عليه بيعة عبد الله بن العربي وانه القاضي ابا بكر من مشيخة اشبيلية يطالبان
توليتهم اياه على المغرب وتقليده ذلك فانتقلوا اليه بعهد الخلافة له على المغرب واستشعار زعيمهم في لبوسه
وربته وخاطبه فيه بامير المؤمنين تشرى بقاله واختصاصا فاختارها لقبوا وقال انه كان دعي له بامير المؤمنين
من قبل أديامع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه المرابطون من انتحال الدين واتباع السنة وجاء
المهدي على أثرهم داعيا إلى الحق أخذ بمذاهب الاشعرية تاعيا على أهل المغرب عدوهم عنها إلى تقليد
السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة وما يؤول اليه ذلك من التحسين كما هو معروف من مذهب
الاشعرية وسمى اتباعه الموحدين تعريضا بذلك التكبير وكان يرى رأى أهل البيت في الامام المعصوم
وانه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسمى بالامام اولاد قلناه من مذهب الشيعة في
اللقاب خلفائهم وأردف بالمعصوم إشارة إلى مذهبهم في عصمة الامام وتزعمه عند اتباعه عن أمير المؤمنين
أخذ بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولم يافهم مشاركة الانغمار والولدان من أعقاب أهل الخلافة
يومئذ بالمشرق ثم انتحل عبد المؤمن ولي عهده اللقب بامير المؤمنين وجرى عليه من بعده خلفاء بني عبد
المؤمن وآل أبي حفص من بعدهم استئثارا به عن سواهم ما دعا اليه شيخهم المهدي من ذلك وأنه
صاحب الامر وأوليائه من بعده كذلك دون كل احد لا تنفع عصبية قریش وتلاشيها فـكان ذلك دأبهم
ولما انتقض الامر بالمغرب وانتزعه زائدة ذهب أولهم مذاهب البدوة والسذاجة واتباع لتونسة في انتحال
اللقب بامير المؤمنين اديامع رتبة الخلافة التي كانوا على طاعتها بني عبد المؤمن أولا وبني أبي حفص من
بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم إلى اللقب بامير المؤمنين وانتحلوه هذا العهد استبلاغا في منازع الملك وتقيما
لمذاهبه وسماته والله غالب على امره

الشياطين والجن فركب الله فيها العقول والشهوات والهوى وهكذا ركب في بني آدم العقل والهوى والشهوة
فغلبت شهوات الشياطين وهواهم عقولهم فقطعوا أوقافهم بالاخلاق المذمومة بالكبر والحب والمقت والفخر والدعوى والحسد

والأصفياء وقيل - ل ما هم
وأما من كان عقله مغلوباً
بهواه وشهوته فإن كان
ذلك من المباحات - من
المطاعم - والملابس
والمرائب والنساء والمخل
المسومة والالوان والمحرث
فكل وتمتع بعد ان كسبه
من حله فهذا من عالم البهائم
وانما الحقناه بعالم البهائم
لانه لا تكليف على البهائم
وكذلك هذه المباحات لا
خرج في الاستمتاع بها بعد
ان يكون كسبه من حله
وان كان الغالب عليه
أخلاق الشياطين من
الكبر والعجب والتعبد
والغش الى سائر الاخلاق
المذمومة فهذا من عالم
الشياطين وان اجتمع في
الشخص افراط الشهوات
واتباع الهوى والاخلاق
المذمومة فيكون آدمياً في
صورته شيطاناً في خلقه
بهيمة في شهواته فلا يصلح
للعبادة وان ثبت هذا فعلم
ان هذا العقل الغريزي
أطول رقدة من العين
وأحوج الى الشك من
السيف (فصل) * فاما
العقل المكتسب وهو
نتيجة العقل الغريزي فهو
تقابة المعرفة واصابة
الفكرة وليس له حد ينتهي
اليه لانه ينمو اذا استعمل

(اعلم) ان الملة لا بد لها من قائم عند غيبة النبي يحكم لهم على احكامها وشرائعها ويكون كالخليفة فيهم للنبي فيما جاء به من التكاليف والنوع الانساني ايضا بما تقتضيه من ضرورة السياسة فيهم للاجتماع البشري لا بد لهم من شخص يحكمهم ويزعهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسمى بالملك والملة الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعا وعموم الدعوة ووجوب الكفاية على دين الاسلام طوعا او كرها اتخذت فيها الخلافة والملك لتوجه الشوكة من القائمين بها اليهم معا واما ما سوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعا ولا في المدافعة فقط فصارت القائم بها امر الدين فيها لا يعنيه شيء من سياسة المال وانما وقع المال لمن وقع منه بما تعرض ولا مرغ به ديني وهو ما اقتضته لهم العصبية لما فيها من الطلب للملك بالطبع لما قدمناه لانهم غير مكلفين بالتغلب على الامم كما في الملة الاسلامية وانما هم مطلوبون باقامة دينهم في خاصتهم ولذلك بقي بنو اسرائيل من بعد موسى ويوشع صلوات الله عليهم انما كانوا ربما ثلثة سنة لا يعتنون بشيء من امر المال انما هم اقامة دينهم فقط وكان القائم به بينهم يسمى الكوهن كانه خليفة موسى صلوات الله عليه يقيم لهم امر الصلاة والقربان ويشرطون فيه ان يكون من ذرية هرون صلوات الله عليه لان موسى لم يعقب ثم اختاروا لاقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا يتلون احكامهم العامة والكوهن اعظم منهم رتبة في الدين وابعدهن شعب الاحكام واتصل ذلك فيهم الى ان استحكمت طبيعة العصبية وتحمضت الشوكة للملك فغلبوا الكنعانيين على الارض التي اورثهم الله بيت المقدس وما جاورها كما بين لهم على لسان موسى صلوات الله عليه فخار بهم أمم الفلستين والكنعانيين والارمن واردين وعمان وماربورياس تهم في ذلك راجعة الى شيء وخهم واقاموا على ذلك نحو امان اربعمائة سنة ولم تكن لهم صولة الملك وضجير بنو اسرائيل من مطالبة الامم فطلبوا على لسان شعويل من انبيائهم ان يأذن الله لهم في تملك رجل عليهم طالوت وغلب الامم وقتل جالوت ملك الفلستين ثم ملك بعده داود ثم سليمان صلوات الله عليهم ما واستعمل ملكه وامتد الى الحجاز ثم اطراف اليمن ثم الى اطراف بلاد الروم ثم افترق الاسباط من بعد سليمان صلوات الله عليه فمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه الى دولتين كانت احدهما بالجزيرة والموصل للاسباط العشرة والاخرى بالقدس والشام لبني يهوذا وبنيامين ثم غلبهم تحتصر ملك بابل على ما كان بايديهم من الملك اولا الاسباط العشرة ثم ثانيا لبني يهوذا وبيت المقدس بعد اتصال ملكهم نحو الف سنة وخرب معبدهم واحرق توراتهم وامات دينهم ونقلهم الى اصفهان وبلاد العراق الى ان ردهم بعض ملوك الكمانية من الفرس الى بيت المقدس من بعد سبعين سنة من خروجهم فبنوا المسجد واقاموا امر دينهم على الرسم الاول للكهنة فقط والملك للفرس ثم غلب الاسكندر وبنو يونان على الفرس وصاروا يهود في ملكهم ثم فشل امر اليونانيين فاعتزاليهود عليهم بالعصبية الطبيعية ودفعوهم عن الاسبتيلاء عليهم ووقام ملكهم الكهنة الذين كانوا فيهم من بني حشمنى وقتلوا يونان حتى انقرض امرهم وغلبهم الروم فصارت تحت امرهم ثم رجعوا الى بيت المقدس وفيها بنو هيردوس اصهار بني حشمنى وبقيت دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتحوها عنوة واخشوا في القتل والهدم والتخريب وخربوا بيت المقدس واجلوهم عنها الى رومة وماورائها وهو الخراب الثاني للمسيحية اليهود بالجلوة الكبرى فلم يبق لهم بعد هلاك الفقدان العصبية منهم وبقوا بعد ذلك في ملك الروم ومن بعدهم يقيم لهم امر دينهم الرئيس عليهم المسيح بالكهنة ثم جاء المسيح صلوات الله وسلامه عليه بما جاءهم به من الدين

(١٨ - ابن خلدون) ■ ينقص ان أهمل ونماؤه يكون باحد وجهين اما ان يقارنه من مبدأ الشؤذ كما وحسن فطنة كالذى قال الاصمعي قات لعلام حدث من اولاد العرب كان يحدنى وامتنعنى الله بفصاحته وملاحته يسرك ان يكون لك مائة الف درهم وانك أحق

قال لا والله قلت ولم قال أخاف ان يحني على حتى جناية تذهب بمالي ويبقى على حتى فاستخرج هذا الصبي بقرطذ كانه ما يدق على من هو أكبر منه سنا وقيل لبعض (١٣٨) الصبيان ألك أب قال فسكنى عيسى بن مريم وقد قالت الحكما آية العقل سرعة الفهم

والنسخ لبعض أحكام التوراة وظهرت على يديه الخوارق العجيبة من إبراء الكمل والابصر واحياء الموتى واجتمع مع عليه كثير من الناس وآمنوا به وأكثروا الحواريين من أصحابه وكانوا اثني عشر وبعث منهم رسلا إلى الآفاق داعين إلى ملته وذلك أيام أوغسطس أول ملوك القيصرية وفي مدة هيردوس ملك اليهود الذي انتزع الملك من بني حشمناى اصهاره فسدده اليهود وكتبه وكتب هيردوس ملكهم ملك القيصرية أوغسطس يعز به فأذن لهم في قتله ووقع ما تلاه القرآن من أمره وافترق الحواريون شيعة وأدخل أكثرهم بلاد الروم داعين إلى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم فنزل برومة دار ملك القيصرية ثم كتبوا الانجيل الذي انزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ أربع مع على اختلاف رواياتهم فكتب متى الانجيل في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم إلى اللسان اللاتيني وكتب لوقا منهم انجيله باللاتيني إلى بعض اكار الروم وكتب يوحنا بن زبدي منهم انجيله برومة وكتب بطرس انجيله باللاتيني ونسبه إلى مرقاس تلميذه واختلفت هذه النسخ الأربع من الانجيل مع انها ليست كلها وحياصر قابل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وكلام الحواريين وكلها مواضع وقصص والاحكام فيها قليلة جدا واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصبروها بيد اقليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها من شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة أسفار وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوت وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر بنيامين وكتب المقابيل لابن كربول ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب ايوب الصديق ورامير داود عليه السلام وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع بن شارخ وزير سليمان ومن شريعة عيسى صلوات الله عليه المتقدمة من الحواريين نسخ الانجيل الاربعة وكتب القتاليقون سبع رسائل ونامها الايريكسيس في قصص الرسل وكتاب يولس اربع عشرة رسالة وكتاب اقليمنطس وفيه الاحكام وكتاب ابوغالمسيس وفيه رؤيا يوحنا بن زبدي واختلف شأن القيصرية في اخذ هذه الشريعة تارة وتعتيم أهلها ثم تركها الأخرى والتسلط عليهم بالقتل والبغى إلى أن جاء قسطنطين وأخذ بها واستمر على ما كان صاحب هذا الدين والمقيم لم راسه يسمونه البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نوابه خلفاءه إلى ما بعد عنه من اعم النصرانية ويسمونه الاسقف أي نائب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويقيمهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب وأكثروا منهم في الصوامع وكان بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بهادين النصرانية إلى أن قتله نير وزخامس القيصرية فحين قتل من البطارق والاساقفة ثم قام بخلافته في كرسي رومة اريوس وكان مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعيا سبع سنين فقام بعده حنانيا وتسمى بالبطرك وهو أول البطاركة فيها وجملة ملته اثني عشر قسا على أنه اذا مات البطرك يكون واحدا من الاثني عشر مكانه ويختار من المؤمنين واحدا مكان ذلك الثاني عشر فكان امر البطاركة إلى القسوس ثم لما وقع الاختلاف بينهم في قواعد دينهم وعقائده واجتمعوا ببيعة أيام قسطنطين لتحرير الحق في الدين واتفق ثمانية وعشرون أساقفتهم على رأى واحد في الدين فكتبوه وسموه الامام وصيره أصلا لا يرجعون اليه وكان فيما كتبوه أن البطرك القائم بالدين لا يرجع في تعيينه إلى اجتهد الاقصة كما قرره حنانيا تلميذ مرقاس وابطلوا ذلك الرأى وانما يقدر من ملاوا اختيار من أئمة المؤمنين ورؤسائهم فبقى الامر كذلك ثم اختلفوا به كذلك في تقرير قواعد الدين وكانت لهم

وغايتها اصابة الوهم وليس للذ كفاية ولا لجودة القرينة نهاية ألا ترى ان اياس بن معاوية الذي يضرب المثل بكائه قال لا يبه وهو مقل وكان أبوه يؤثر أخاه عليه يا أبت تعلم ما مثلى ومثل أخى معك أنا كفرخ الحجام أقبح ما يكون أصغر ما يكون وكلما كبر ازداد ملاحه وحسنه فاقبني له العلالى ويتخذله المربعات ويستحسنه الملوك ومثل أخى مثل الجحش ألمح ما يكون أصغر ما يكون وكلما كبر قبح وصار إلى القهقري انما يصلح لجل الزبل والتراب والوجه الثاني ما يصلح لذوى الحكمة وصحة الروية لطول ممارسة الامور وكثر التجارب ومرور الغير على اسمعاهم وتقلب الأيام وتصرف الحوادث وتناسخ الدول قد مرت على عيونهم وجوه الغير وتصدت لاسمعاهم أنواع الاخبار وآثار العبر قال بعض الحكماء كفى بالتجارب تأديبا وبتقلب الأيام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل والفرقة ثمرة الجهل ولذلك جددت آراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار وينابيع

الاجبال لا يطيش لهم سبهم ولا يسقط لهم وعليلكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم مجمعات الأيام حكمة وتجربة وقد قال الشاعر ألم تر ان العقل زين لاهله * ولكن غمام العقل طول التجارب وقال آخر

إذا طال عمر المرء في غير آفة * أفادت له الأيام في كرها عقلا غير أن للعقل آفات كما قال بعض الحكماء كيف نرجو العاقل النجاة والهوى والشهوة قد اكنتناه والهوى أبعد من أن ينفذ فيه حيلة الحازم المحتال (١٣٩) وهو أغض مسل كما في الجنان من الروح

في الجنان وأملك بالنفس من النفس والمالك للشيء ولهذا قيل كم من عقل أسير عند هوى أمير فن أحب أن يكون حرا فلا يهوى والا صار عبدا كما قال علي بن

الحجهم

أنفس حرة ونحن عبيد
ان ريق الهوى لرق شديد
واختلف الناس في العقل
المكتسب اذا تناهى وزاد
في الانسان هل يكون
فضيلة أم لا فقال معظم
العقلاء انه فضيلة اذا كان
محجوعا واحدا والا حاد
فضائل ولا شك ان كثرة
القضائل فضيلة اما الشيء
المحدود فكون الزيادة
فيه نقصا من المحمود
كأنه - ورفى الشجاعة

والنذير في الكرم فاما
الزيادة في العقل المكتسب
فزيادة علم بالامور وحسن
إصابة بالظنون ومعرفة
ما لم يكن بما قد كان وروى ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال
أفضل الناس أعقل الناس
وقال عليه السلام العقل
حيث كان ألف مألوف
وقال القاسم بن محمد لم
يكن عقله أغلب خصال
الخير عليه كان حقيقته في
أغلب الخصال عليه ولما
مات بعض الخلفاء حشدت

مجتمعات في تقريره ولم يخلفوا في هذه القاعدة فبقى الامر فيها على ذلك واتصل فيهم نيابة الاساقفة عن البطارقة وكان الاساقفة يدعون البطرك بالاب أيضا تعظيما له فاشتهب الاسم في اعصار منطاوله يقال آخرها بطركية هرقل بالاسكندرية فارادوا ان يميزوا البطرك عن الاسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعهناه أبو الالباء وظهر هذا الاسم اول ظهوره بمصر على ما زعم جر جيس بن العميد في تاريخه ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومة لانه كرسي بطرس الرسول كما قدمناه فلم يزل سمته عليه الى الآن ثم اختلفت النصارى في دينهم بعد ذلك وفيما يعقدونه في المسيح وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل على صاحبه فاختلف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى ان استقرت لهم ثلاثة طوائف هي فرقههم ولا يلتفتون الى غير هاهوهم الملاكية واليعقوبية والنسبورية ولم نر ان نسجهم أوراق الكتاب يذكروا مذاهب كفرهم فهي على الحجلة معروفة وكلها كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا استدلال انما هو الاسلام او الجزية أو القتل ثم اختلفت كل فرقة منهم في بطرك رومة اليوم المسمى بالبابا على رأى الملاكية ورومة للأفرنجية وملاكهم قائم بتلك الناحية وبطرك المعاهدين مصر على رأى اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرانيهم والحبشة يدينون بدينهم وبطرك مصر فيهم اساقفة ينوبون عنه في اقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا بطرك رومة لهذا العهد ولا تسمى اليه عاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بيا من موحدين من أسقل والنطق بها مخفجة والثانية مشددة ومن مذاهب البابا عند الافرنجية انه يحضهم على الانقياد المالك واحد يجمعون اليه في اختلافهم واجتماعهم فخرجوا من افتراق السكامة ويخبر به العصبيته التي لا فوقها منهم انه تكون يده عالية على جميعهم ويسمونه الانبرذور وحرفه الوسط بين الذال والطاء المعجمة ومباشرة يضع التاج على رأسه للتبرك فيسمى المتوج ولعله معنى اللفظة الانبرذور وهذا المخلص ما وردناه من شرح هذين الاسمين اللذين هما البابا والكوهن والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء

٣٥ * (فصل في مراتب الممالك والسلاطين والقائما) *

اعلم ان السلطان في نفسه ضعيف يحمل امرا ثقيل فلا بد له من الاستعانة بآباء جنسه واذ كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنه فذا ظنك بسياسة نوعه ومن استبرعاه الله من خلقه وعباده وهو محتاج الى حماية الكافة من عدوهم بالمداخلة عنهم والى كف عدوان بعضهم على بعض في أنفسهم بامضاء الاحكام الوازنة فيهم وكف العدوان عليهم في اموالهم باصلاح سبلتهم والى حيلهم على مصالحهم وماتعتهم به البلوى في معاشهم ومعاملاتهم من تفقد المعاش والمكاييل والموازين حذرا من التطفيف والى النظر في السكة بحفظ النقود التي يتعاملون بها من الغش والى سياستهم بما يبريدهم من الانقياد له والرضا بمقاصده منهم وانفرادهم بالجدد منهم فيتحمل من ذلك فوق الغاية من معاناة القلوب قال بعض الاشراف من الحكماء معاناة نقل الجبال من اما كنهها هون على من معاناة قلوب الرجال ثم ان الاستعانة اذا كانت بأولى القربى من اهل النسب او التربة او الاصل طناع القديم للدولة كانت اكمل لما يقع في ذلك من مخاضة خلقهم لخلقهم فتم المشاكلة في الاستعانة قال تعالى واجعل لى وزير من اهلى هرون انجى اشد به ازرى واشركه في امرى وهو اما ان يستعين في ذلك بسيفه وقلمه أو رايه أو معارفه أو بحجابه عن الناس ان يزدجوا عليه فيشغلوه عن النظر في مهماتهم او يدفع النظر في الملك كله ويعول على كفايته في ذلك واضطلاعهم فلذلك قد تو جد في رجل واحد وقد تقرر في أشخاص وقد تقرر على واحد منها الى فر وع

الروم واجتمع ملوكها وقالوا الا ان يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فيمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وضر بوا في ذلك مشاورات وتراجعوا فيه بالانطرات واجمعوا على انه فرصة الدهر ونغرة الخرو كان رجل منهم من ذوي الرأى والمعرفة غائب عنهم فقالوا من الحزم عرض

الرأى عليه فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال غدا أخبركم إن شاء الله فلما أصبحوا غدوا عليه
للوعد وقالوا القدوعدتنا قال نعم (١٤٠) فاحر باحضار كلين عظيمين قد أعدهما ثم حرس بينهما وألب كل واحد على الآخر

كثيرة كالتعلم يتفرع الى قلم الرسائل والمخاطبات وقلم الصكوك والاقطاعات والى قلم المحاسبات وهو صاحب
الحماية والعطاء وديوان الجيش وكالسيف يتفرع الى صاحب الحرب وصاحب الشرطة وصاحب البريد
وولاية الثغور ثم اعلم ان الوظائف السلطانية في هذه الملة الاسلامية مندرجة تحت الخلافة لاشتمال
منصب الخلافة على الدين والدنيا كما قدمناه فالاحكام الشرعية متعلقة بجميعها وموجودة لكل واحدة
منها في سائر وجوهها العدموم تتعلق بالحكم الشرعي بجميع أفعال العباد والفقهاء ينظر في مرتبة الملك
والسلطان وشروط تقيدها استبعادا على الخلافة وهو معنى السلطان أو تعويضا عنها وهو معنى الوزارة
عندهم كما يأتي وفي نظره في الاحكام والاموال وسائر المساسات مطلقا أو مقيدا أو في موجبات العزل ان
عرضت وغير ذلك من معاني الملك والسلطان وكذا في سائر الوظائف التي تحت الملك والسلطان من وزارة
او جباية أو ولاية لا بد للفقهاء من النظر في جميع ذلك كما قدمناه من استحباب حكم الخلافة الشرعية في الملة
الاسلامية على رتبة الملك والسلطان الا أن كلامنا في وظائف الملك والسلطان ورتبته إنما هو مقتضى
طبيعة العمران ووجود البشر لا بما يخصهما من احكام الشرع فليس من غرض كتابنا كما علمت فلا نحتاج
الى تفصيل احكامها الشرعية مع أنها مستوفاة في كتب الاحكام السلطانية مثل كتاب القاضي أبي الحسن
الماوردي وغيره من أعلام الفقهاء فان أردت استيفاء ما فعلت بطاعتها لك وإنما تكلمنا في الوظائف
الخلافية وأفرناها لتمييز بينها وبين الوظائف السلطانية فقط لا لتحقيق احكامها الشرعية فليس من
غرض كتابنا وإنما نتكلم في ذلك بما تقتضيه طبيعة العمران في الوجود الانساني والله الموفق
(الوزارة) وهي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لان اسمها يدل على مطلق الاعانة فان الوزارة
ما خذت اما من الموازنة وهي المعاونة أو من الوزر وهو الثقل كأنه يحمل مع مفاعله أوزاره وأثقاله وهو راجع
الى المعاونة المطلقة وقد كنا قدمنا في أول الفصل أن أحوال السلطان وتصرفاته لا تعدو أربعة لانها إما أن
تكون في أمور جباية الكفاية وأسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر أمور الحماية والمطالبة
وصاحب هذا هو الوزير المنعز في الدول القديمة بالشرق ولهذا العهد بالمغرب وأما أن تكون في أمور
مخاطباته لمن بعده عنه في الممكن أو في الزمان وتنفيذ هذه الأمور فمن هو محبوب عنه وصاحب هذا هو
السكرتير وأما أن تكون في أمور جباية المال وانفاقه وضبط ذلك من جميع وجوهه ان يكون بضعية
وصاحب هذا هو صاحب المال والحماية وهو المسمى بالوزير لهذا العهد بالشرق وأما أن يكون في مدافعة
الناس ذوي الحاجات عنه ان يزدجوا عليه فيشغلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذي يحجب
فلا تعدو أحواله هذه الأربعة بوجه وكل خطة أو رتبة من رتب الملك والسلطان فإليها يرجع إلا أن الارتفاع
منها ما كانت الاعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف اذ هو يقتضى مباشرة السلطان
دائما ومشاركته في كل صنف من أحوال ملكه وأما ما كان خاصا ببعض الناس أو ببعض الجهات
فيكون دون الرتبة الأخرى كقيادة ثغر أو ولاية جباية خاصة أو النظر في أمر خاص كحسبة الطعام أو النظر
في السكة فان هذه كلها نظري أحوال خاصة فيكون صاحبها تابع لاهل النظر العام وتكون رتبته مرؤسة
لأولئك وما زال الأمر في الدول قبل الاسلام هكذا حتى جاء الاسلام وصار الأمر خلافة فذهبت تلك الخطط
كلها بذهب رسم الملك الى ما هو طبيعي من المعاونة بالرأى والمفاوضة فيه فلم يمكن زواله اذ هو أمر لا بد
منه فكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه ويفاضلهم في مهماته العامة والخاصة ويخص مع ذلك بابا
بخصوصيات أخرى حتى كان العرب الذين عرفوا الدول واحوالها في كسرى وقيصر والنجاشي يسمون

فتواثباتها وشا حتى سالت
دماء وها فلما بلغا الغاية فتح
باب بيت عنده وأرسل منه
على الكلبين ذئبا عنده
قد أعدته فلما أبصره تركا
ما كانا عليه وتألفت
قلوبهما ووثبا جميعا على
الذئب فلما لانهما أحبا ثم
أقبل الرجل على اهل
الجمع فقال لهم منكم مع
المسلمين مثل هذا الذئب
مع الكلاب لا يزال الهرج
والقتال بينهم ما لم يظهر لهم
عدو من غيرهم فاذا ظهر لهم
عدو من غيرهم تركوا
العداوة بينهم وتألفوا على
العدو فاستحسنوا قوله
وتفرقوا عن رأيهم وأما
المذموم في هذا الباب
فصرف العقل الى الدهاء
والمكر قال الشعبي ودعات
العرب ستة معاوية بن أبي
سفيان وعمرو بن العاص
والمغيرة بن شعبة وزيد
ابن امية وقيس بن سعد بن
عبادة وعبد الله بن بديل
ابن ورقاء وقال الأصمعي
كان معاوية يقول أنا للأناة
وعمر بنو للبدية وزيد
للسغار واليكر والمغيرة
للامر العظيم قال قبيصة بن
جابر ما رأيت أعطى لمجزيل
مال بغير سلطان من طلحة بن
عبيد الله ولا رأيت أثقل حلالا

ولا أطول أناة من معاوية ولا رأيت أغلب للرجال ولا أبذلهم حين يجتمعون من عمرو بن العاص ولا أشبهه سرا بعلانية
من زياد ولوان المغيرة كان في مدينة لها ثمانية ابواب لا يخرج من باب منها الا بالسكر يخرج من ابوابها كلها (وقال) ابو الدرداء قال النبي

عليه السلام ياعو يمازددعلا تزد من ربك قربا قلت يا بني وامي ومن لي باله قل قال اجتنب محارم الله واغراض الله تكن عاقلا
ثم تنقل صالح الاعمال تزد في الدنيا عقالا وتزد من ربك قربا وعليه عزرا (ويروي) (١١١) لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه شعر

ان المكارم اخلاق مطهرة
فاعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها
والجود خامسها والعرف
سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها
والشكر تاسعها واللين
عاشيها
والنفس تعلم اني لا اصدقها
ولست ارشد الاحيين
اعصيها
والعين تعلم في عيني محدثها
ان كان من خبزها او من
اعادها
وقال بعض الحكماء
العاقل من عقله في ارشاد
ومن رايه في امداد فقوله
سديد وفعله حميد والجاهل
من جهله في اغواء فقوله
سقيم وفعله ذميم فالامن
صرف فضل عقله الى
الدهاء والمكر والشكر
والحيل والتخديعة كالبحاج
وزياد واشباههم اذ هموم
وقد قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لست بالخب
والخب لا يخدعني وقال
المعبر كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه افضل من
ان يخدع واعقل من ان
يخدع والموصوف بالدهاء
والمكر مذموم وصاحبه
ذو رتخاف غوائله

ابا بكر وزيره ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين لذهاب رتبة الملك بسداجة الاسلام وكذا عمر مع ابي بكر
وعلي وعثمان مع عمر واما حال التجباية والانفاق والحسبان فلم يكن عندهم رتبة لان القوم كانوا عربا اميين
لا يحسنون الكتاب والحساب فكانوا يستعملون في الحساب اهل الكتاب او افراد امن موالي العجم عن
يحيده وكان قليلا فيهم واما الشرافهم فلم يكونوا يحميدونه لان الامية كانت صفقتهم التي اماتوا بها وكذا حال
المخاطبات وتنفيذ الامور لم تكن عندهم رتبة خاصة للامية التي كانت فيهم والامانة العامة في كتمان
القول وتاديبه ولم تخرج السياسة الى اختياره لان الخلافة انما هي دين ليست من السياسة المالكية في
شيء وايضا فلم تكن الكتابة صناعة فيستجدد للخليفة احسنها لان السكل كانوا يعبرون عن مقاصدهم بالبلغ
العبارة ولم يبق الا الخط فكان الخليفة يستنيب في كتابته متى عن له من يحسنه * واما مدافعة
ذوي الحاجات عن ابوابهم فكان محظورا بالشرعية فلم يبق له ملوه فلما انقلب الخلافة الى الملك وجاءت
رسوم السلطان والقاب كان اول شيء يدي به في الدولة شأن الباب وسد دون الجمهور عما كانوا يخشون
على انفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم كما وقع بعمر وعلي ومعاوية وعمر بن العاصي وغيرهم مع
ما في فتحه من ازحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهومات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسماهوا الحاجب
وقد جاء عن عبد الملك لما ولي حاجبه قال له قد وليتك حجابة يا بني الا عن ثلاثة المؤذن للصلاة فانه داعي الله
وصاحب البريد فامر ما جابه وصاحب الطعام لئلا يفسد ثم استعمل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين
في أمور والقبائل والعصائب واستئلاهم وأطلق عليه اسم الوزير وبقي أمر الحسبان في الموالي والذميين
واتخذ للسجلات كاتب مخصوص حوطة على أسرار السلطان ان تشتهر فتفسد سياسته مع قومه ولم يكن
بمناية الوزير لانه انما احتيج له من حيث الخط والكتاب لا من حيث اللسان الذي هو الكلام اذ اللسان
لذلك العهد على حاله لم يفسد فكانت الوزارة لذلك ارفع رتبهم يومئذ هذه في سائر دول بني امية فكان
النظر للوزير عام في احوال التدبير والمفاوضات وسائر أمور الحجايات والمطالبات وما يتبعها من النظر في
ديوان الخند وفرض العطاء بالاهلية وغير ذلك فلما جاءت دولة بني العباس واستعمل الملك وعظم
مراتبه وارتفعت عظم شأن الوزير وصارت اليه النيابة في انفاذ المل والعقد وتعيين رتبته في الدولة
وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب وجعل لها النظر في ديوان الحسبان لما احتاج اليه خطة من
قسم الاعطيات في الجند فاحتاج الى النظر في جمعه وتفريقه وأضيف اليه النظر فيه ثم جعل له النظر في
القلم والترسيل لصون اسرار السلطان ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم
لسجلات السلطان ليحفظها من الذبايح والشياع ودفع اليه فصار اسم الوزير جامع الخطة والسياف والقلم
وسائر معاني الوزارة والمعاونة حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشيد اشارة الى عموم نظره
وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا الحجابة التي هي القيام على الباب فلم تكن له
لاستيفاء عن مثل ذلك ثم جاء الى الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان وتعاور فيها استبداد الوزارة
مرة والسلطان أخرى وصار الوزير اذا استبدد محتاجا الى استئابة الخليفة اياه لذلك لتصح الاحكام الشرعية
وتجبي على حالها كما تقدم فانقسمت الوزارة حينئذ الى وزارة تنفيذ وهي حال ما يكون السلطان قائما على
نفسه والى وزارة تقويض وهي حال ما يكون الوزير مستبدا عليه ثم استمر الاستبداد وصار الامر ملكا
العجم وتعمل رسم الخلافة ولم يكن لاولئك المتغلبين ان يفتخروا بالقبائل الخلافة واستنكفوا من مشاركة
الوزراء في اللقب لانهم خولهم فتمسحوا بالامارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى أمير الامراء او

وتخدد عواقب حباثته وقد ارع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زيادا عن موجهة او
خيانة يا أمير المؤمنين قال لا عن واحدة منهم ولو لم يكن كرهت ان أجل الناس على فضل عقالك وكتب زيادا الى معاوية رضي الله عنه ان

العراق في شمالي وبعين قارة قوتاي الحجازا كذلك أهله فبلغ ذلك ابن عمر فقال اللهم كفه فطعن في أصبعه بعد أيام فمات فكن وان
كنا نرغب عن الدهاء والمكر (١٤٢) فاننا نرغب في الحيلة ونرضى بها والاتساع في الحيلة مما تواصى به العقلاء قديما وحديثا

والسبب الضعيف والقوى
من الامور (وروى)
ان رجلا وقف لكسرى
فقال انا اصنع ما تجوز
الخلايق عنه قال ما هو قال
يشد برجلي حبل طرفه
برقبة الفيل وبرجلي
الآخرى كذلك ويشد طرفه
برقبة الفيل ثم يساق الفيل
بالضرب والزجر فلا
أترشح ثم طلب ان يفعل
ذلك باربع من القبيلة فرت
بجدها فقتله شطرنج
فقال كسرى من لم يكن
أكبر ما فيه عقه له هلك
يا كبر ما فيه فنظمه بعض
الشعراء فقال
من لم يكن أكبر عقله
أهلكه أكبر ما فيه
(وسمعت) استاذنا أبا
الوليد يحكي ان رجلا
استأذن على مروان الرشيد
وقال اني اصنع ما تجوز
الخلايق عنه قال الرشيد
هات فانخرج انبوبة فصب
فيها البرعدة ثم وضع واحدة
في الأرض وقام على قدميه
وجعل يرفي ابرة من قامته فنقع كل ابرة في عين الامة الموضوعه حتى فرغ دهنه فامر الرشيد بضمه بمائة سوط
ثم أمره بمائة دينار فقتل عن جمعه بين السكراة والهوان فقال وصلته لمجوده ذكائه وأدبته كي لا يصرف فرط ذكائه في الفضول ومن زعم

بالسلطان الى ما يحمله به الخليفة من القاب كتراه في القابهم وتر كوا اسم الوزارة الى من يتولاها الخليفة في
خاصته ولم يزل هذا الشأن عندهم الى آخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصارت صناعه يتخلها
بعض الناس فامتنعت وترفع الوزراء عنها لذلك ولا نهم عجم وليست تلك البلاغة هي المقصودة من لسانهم
فتعبر لها من سائر الطبقات واختصت به وصارت خادمة للوزير واختص اسم الامير بصاحب الحروب
والجند وما يرجع اليها ويده مع ذلك عالية على أهل الرتب وأمره نافذ في الكل امانا بانه واستبداد او استمر
الامر على هذا ثم جاءت دولة الترك آخر عصر فرأوا ان الوزارة قد ابتذلت بترفع أولئك عنها ودفعها لمن يقوم
بها الخليفة المحجور ونظره مع ذلك متعقب بنظر الامير فصارت مرؤسة ناقصة فاستند كنف اهل هذه الرتبة
العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب الاحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد
وبقي اسم الحاجب في مدلوله واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية * وأما دولة بني أمية بالاندلس
فانفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم قسموا خطه اصنافا واقرروا لكل صنف وزير اخصوا له الحسابان
المال وزير او لترسيل وزير او للنظر في حوائج المظلمين وزير او للنظر في احوال أهل الثغور وزير او جعل
لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لهم وينفذون امر السلطان هناك كل فيما جعل له وأقر للتردد
بينهم وبين الخليفة واحدهم منهم ارفع عنهم بمشارة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالسهم
وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشأن هذا الى آخر دولتهم فارتفعت خطة الحاجب ومرتبة على سائر الرتب
حتى صار ملوك الطوائف يتحلقون لقدمه افا كثرهم يومئذ يسمى الحاجب كما نذكره ثم جاءت دولة الشيعة
بافريقية والقيروان وكان للقائمين بها وسوخ في البداوة فاعقلوا امر هذه المخطط أولا وتفتيح اسمائها حتى
أدركت دولتهم الحضارة فصاروا الى تقليد الدولتين قبلهم في وضع اسمائها كتراه في اخبار دولتهم * ولما
جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك اغفلت الامراء ولا لبداوة ثم صارت الى انتقال الاسماء والالقاب وكان
اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دولة الامويين وقادوا في مذاهب السلطان واختاروا اسم الوزير لمن
يحجب السلطان في مجلسه ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الدخول وفي قبيحتهم وخطابهم
والاكتاب التي تلزم في السكون بين يديه ورفعوا خطة الحجابة عنه ماشاءوا ولم يزل الشأن ذلك الى هذا
العهد وما في دولة الترك بالشرق فيسمون هذا الذي يقف بالناس على حدود الاداب في اللقاء والتحية في
محاسن السلطان والتقدم بالوفود بين يديه الديودار وضيغون اليه استتباع كاتب السر واصحاب البريد
المتصرفين في حاجات السلطان بالقاصية وبالخاضرة وحلهم على ذلك لهذا العهد والله مولى الامور بان يشاء
* (الحجابة) * قد قدمنا ان هذا اللقب كان مخصوصا في الدولة الاموية والعباسية بمن يحجب السلطان
عن العامة ويغلق باب دولتهم او يفتح لهم على قدر في مواقفه وكانت هذه منزلة يومئذ عن المخطط
مرؤسة لها اذ الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا كانت سائر ايام بني العباس والى هذا العهد فهي بمصر
مرؤسة لصاحب الخطة العليا المسمى بالنائب * واما في الدولة الاموية بالاندلس فكانت الحجابة لمن يحجب
السلطان من الخاصة والعامة ويكون واسطة بينهم وبين الوزراء فنونهم فكانت في دولتهم ربيعة غاية
كتراه في اخبارهم كابن حديد وغيره من حجابهم ثم لما جاء الاستبداد على الدولة اختص المستبد باسم
الحجابة لشرفها فكان المنصور بن ابي عامر وابناؤه كذلك ولما بدؤوا في مظاهر الملك واطوارهم جاء من بعدهم
من ملوك الطوائف فلم يتركوا القبا وكانوا يعدونها شرفا لهم وكان اعظمهم ملكا بعد انتقال القبا الملك
واسمائه لا بد له من ذكر الحاجب وذو الوزراء يعنون به السيف والقلم ويدلون بالحجابة على حجابة

ان العقل المكسب اذا تناهى لا يكون فضيلة قال لان الفضائل مهابت متوسطة بين فضيلتين ناقصتين فاحاطوا بالنوسط خرج عن حد الفضيلة كالكرم الذي هو متوسط بين البخل والتبذير والشجاعة متوسط بين التهور والجبن (١٤٣) (وقالت الحكمة لاسكندر)

أيها الملك عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز (وفي الحديث ان النبي عليه السلام قال خير الامور اوسطها) وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه خير الامور الاوسط اليه يرجع العالي ومنه يلحق التالي قالوا ولان زيادة العقل نقضي بصاحبها الى الدهاء والمكر وذلك مضموم (قلنا) هذا كله باطل بما قدمناه لنصرة القول الاول وهو منقوض بالعقل الغريزي وبالعلوم وبسائر الفضائل واما قولهم انه يقضي بصاحبها الى الدهاء والمكر قلنا الدهاء والمكر كسب معان اخر غير العقل ليست من لوازم العقل فان شاءت ادهى ومكر وان شاء كف عما يقول في كل شيء يكتسبه العاقل باختياره وليس عقله أوقعه فيه بل انما أوقعه فيه قلة عقله وكان بزرجه رما فرغ من كتاب أمثاله ونسق كل باب على حiale يقول ليس العجب بمن حفظ هذه الامثال فصار عالما انما العجب بمن حفظها ولم يصر عالما وانا

السلطان عن العامة والخاصة وبذي الازارتين على جمعه لخطى السيف والقلم ثم لم يكن في دول المغرب وافر ببقية ذكر لهذا الاسم للبدواة التي كانت فيهم وورعها في دولة العبيدين بمصر عند اسس تعظامها وحضارتها الا انه قليل ولم ياجت دولة الموحدين لم تسم كن فيها الحضارة الداعية الى انتقال الالاقاب وتغيير الخطط وتعيينها بالاسماء الا آخر فلم يكن عندهم من الرتب الا الوزير فكانوا اولاً يخصون بهذا الاسم الكتاب المتصرف المشارك للسلطان في خاص امره كابن عطية وعبد السلام الكومي وكان له مع ذلك النظر في الحساب والاشغال المالية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لاهل نسب الدولة من الموحدين كابن جامع وغيره ولم يكن اسم الحاجب معروفا في دولتهم يومئذ (واما بنو أبي حفص باقر بقية) فكانت الرئاسة في دولتهم اولاً والتقديم لوزير الراي والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين وكان له النظر في الولايات والعزل وقود العساكر والحروب واختص الحسبان والديوان برتبة اخرى ويسمى متوليها بصاحب الاشغال ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والمخرج ويحاسب ويستخلص الاموال ويعاقب على التقريط وكان من شرطه ان يكون من الموحدين واختص عندهم القلم ايضا بمن يجيد الترسيل ويؤمن على الاسرار لان الكتابة لم تكن من متعلات القوم ولا الترسيل بلسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لتساع ملكه وكثرة المترقين بداره الى قهرمان خاص بداره في احواله يجريها على قدرها وترتيبها من رزق وعطاء وكسوة ونفقة في المطابخ والاصطبلات وغيرهما وحصر الذخيرة وتنقيتها يحتاج اليه في ذلك على اهل الجباية فخصوه باسم الحاجب وربما اضافوا اليه كتابة العلامة على السجلات اذا اتفق انه يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه لغيره واستمر الامر على ذلك وحجب السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين اهل الرتب كلهم ثم جمع له آخر الدولة السيف والمحراب ثم الراي والمشورة فصارت الخطبة ارفع الرتب اوعم الخطط ثم جاء الاستبداد والحكم مدة من بعد السلطان الثاني عشر منهم ثم استبد بذلك حفيده السلطان ابو العباس على نفسه وازهد آثار الحجر والاستبداد باذهاب خطة الجباية التي كانت سلبا اليه وباشر اموره كلها بنفسه من غير استعانة باحد والامر على ذلك لهذا العهد * (واما دولة زناتة بالمغرب) واعظمها دولة بني مرين فلا اثر لاسم الحاجب عندهم وامار ياسة الحرب والعساكر فهي للوزير ورتبة القلم في الحسبان والرسائل راجعة الى من يحسنها من اهلها وان اختصت ببعض البيوت المصطنعين في دولتهم وقد تجمع عندهم وقد تفرق واماباب السلطان وحجبه عن العامة فهي رتبة عندهم يسمى صاحبها بالوزار ومعناه المقدم على الجنادرية المتصرفين بباب السلطان في تنقيده او امره وتصريف عقوباته وانزال سطواته وحفظ المعتقلين في سجنونه والعريف عليهم في ذلك فالباب له واخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع اليه فكانها وزارة صغرى * (واما دولة بني عبد الواد) فلا اثر عندهم اشئ من هذه الالاقاب ولا تمييز الخطط لبدواة دولتهم وقصورها وانما يخصون باسم الحاجب في بعض الاحوال منقذ الخاص بالسلطان في داره كما كان في دولة بني ابي حفص وقد يجمعون له الحسبان والسجل كما كان فيها جعلهم على ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعها وقائمين بدعوتها منذ اول امرهم * (واما اهل الاندلس لهذا العهد) فالخصوص عندهم بالحسبان وتنقيذ حال السلطان وسائر الامور المالية يسمى بالوكيل واما الوزير فكانوا يرايانه قد يجمع له الترسيل والسلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها فليس هناك خطة العلامة كما اغبرهم من الدول

اقول ليس العجب بمن قرأ كتابي هذا وصره هذبا كاملا لا العجب بمن قرأه ولم يصر مهذبا كاملا (الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم والجماعات وادابهم) قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيراً

من أهلي فلو كان السلطان يستغني عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران ثم ذكر حكمة الوزراء فقال أشد دية
أزدي وأشركة في أمري دلت (١٤٤) الآية على أن موضع الوزارة أن تشد قواعد المملكة وأن يعرض إليه السلطان بحجته

(وأما دولة الترك بمصر) فاسم الحجاب عندهم موضوع لحاكم من أهل الشوكة وهم الترك يتخذ
الأحكام بين الناس في المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في
أهل الدولة وفي العامة على الإطلاق وللنائب التولية والعزل في بعض الوظائف على الأحيان ويقطع
القليل من الأرزاق ويثبت أو تنفذ أوامرهم كما تنفذ المراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان
وللحجاب الحكم فقط في طبقات العامة والجنود عند الترافع اليهم وأجبار من أبي الانقياد للحكم ويأمرهم تحت
طور النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب حماية الأموال في الدولة على اختلاف أصنافها من خراج
أومكس أو جزية ثم في مصر يقع في الانقابات السلطانية أو الجرايات المقدرة وله مع ذلك التولية والعزل
في سائر العمال المباشرين لهذه الحماية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتباين أصنافهم ومن عوائدهم أن
يكون هذا الوزير من صنف القبط القائمين على ديوان الحسبان والحماية لا اختصاصهم بذلك في مصر منذ
عصور قديمة وقد يوليها السلطان بعض الأحيان لأهل الشوكة من رجالات الترك أو أبناءهم على حسب
الداعية لذلك والله مدبر الأمور ومصر فها يحكمته لاله الأهورب الأولين والآخرين

(ديوان الأعمال والحجبايات)

اعلم أن هذه الوظيفة من الوظيفة الضرورية للملك على القيام على أعمال الحجبايات وحفظ حقوق الدولة
في الدخل والمخرج واحصاء العساكر باسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في أباتها والرجوع في
ذلك إلى القوانين التي يريتها قومة تلك الأعمال وقهارة الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد
بتفاصيل ذلك في الدخل والمخرج مبني على جزء كبير من الحساب لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال
ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها ويقال إن أصل هذه
التسمية أن كسرى نظروما إلى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم كأنهم يحادثون فقال ديوانه أي
مجانين بلغة الفرس فسمى موضعهم بذلك وحذفت المساءلة لكثرة الاستعمال تحقيقا فقبل ديوان ثم نقل
هذا الاسم إلى كتاب هذه الأعمال المتضمن للقوانين والحسابات وقيل إنه اسم للشياطين بالفارسية سمي
الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهم الأمور ووقوفهم على الجلي منها والخفي وجعلهم بأسا وذو تفرق ثم
نقل إلى مكان جلوسهم لتلك الأعمال وعلى هذا فثبتنا لاسم الديوان كتاب الرسائل ومكان جلوسهم
بباب السلطان على ما يأتي بعد وقد تفرد هذه الوظيفة بنظر واحد ينظر في سائر هذه الأعمال وقد يفرد كل
صنف منها بنظر كما يفرد في بعض الدول النظر في العساكر واقطاعاتهم وحسبان أعطياتهم أو غير ذلك على
حسب مصطلح الدولة وما قرره أولوها واعلم أن هذه الوظيفة إنما تحدث في الدول عندئذ يمكن الغلب
والاستيلاء والنظر في أعطاف الملك وفنون التمهيد وأول من وضع الديوان في الدولة الإسلامية عمرو بن
الله عنه يقال لسبب مال أتى به أبو هريرة رضي الله عنه من البحرين فاستكثروا وتعبوا في قسمة فسموا إلى
احصاء الأموال وضبط العطاء والحقوق فأشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رأيت ملوكا أشأم يدونون
فقبل منه عمر وقيل بل أشار عليه به الهرمزان لما رأى يبعث البعث بغير ديوان فقبل له ومن يعلم بغيبة من
يغيب منهم فإن من تخلف أخذ بمكانه وإنما يضبط ذلك الكتاب فأثبت لهم ديوانا وسأل عمر عن اسم
الديوان فقبل له ولما اجتمع ذلك امرع قبل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب
قریش فكتبوا ديوان العساكر الإسلامية على ترتيب الانساب مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما بعدها الأقرب فالأقرب هكذا كان ابتداء ديوان الجيش وروى الزهري عن سعيد بن المسيب

وبجته إذا استكمملت فيه
الحلال المحودة ثم قال كي
تسبحك كثير أو تذكرك
كثير أدلت هذه الحكمة
على أن بحسب العلاء
والصالحين وأهل الخبرة
والعزفة تنظم أمور الدنيا
وأمر الال آخره وكان الشجع
الناس يحتاج إلى السلاح
وأفره الخيل إلى السوط
واحد الشفار إلى المسن
كذلك يحتاج أهل الملوك
وأمرهم وأعلمهم إلى
الوزير (وروى أبو سعيد
الخدري) قال ما بعث الله
نبيا ولا استخلف خليفة
الأكانت له بطانين بطانة
تأمره بالمعروف وتخصه عليه
بطانة تأمر بالشرو وتخصه
عليه والمعصوم من الله
الله تعالى وإنما اشتقت
الوزارة من الوزير وهو
الثقل يريد أنه يحمل
من أمر المملكة وأعبائها
وأثقها مثل الوزراء
أسعد الملوك من له وزير
صدق أن نبي ذكره وأن
ذكر أعانه وقال وهب
ابن منبه قال موسى عليه
السلام سرعون آمن
ولك الجنة ولك ملكك
قال حتى أشاورها ما
فشاورة في ذلك فقال بينهما
أنت الله تعبدنا فترتعبد
فأنف واستكبر وكان من

ان

أمره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج بن يزيد بن أي مسلم لا يالوه خبالا وليثس القراء

شمر قرين الشرحدين وأشرف منازل الأدميين النبوة ثم الخ لافة ثم الوزارة الوزير عون على الأمور وشريك في التدبير وظهير على

السياسة ومقرع عند النازلة الوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه وفي الامثال نعم الظهير الوزير (واعلم) أن اول ما يستفيد الملك من الوزراء أمران علم ما كان يجمله ويقوى عنده علم ما كان يعلمه فيزول شكه (١٤٥) واول ما يظهر نبل السلطان وقوة

تميزه وجودة عقه له في
استخفاف الوزراء واستنقاد
الجلساء ومحاذية العقلاء
فهذه ثلاث خلال تدل
على كماله وبها يجمل في
الحل في ذكره ويجمل في
العقول قدره وترسخ في
النفوس عظمته والمراء
موسوم بقرينه وكان
يقال حلية الملوك وزيتهم
وزراؤهم وفي كتاب كلياته
ودمنه لا يصلح السلطان
الابالوزراء والاعوان
الابالودة والنصيحة
والمودة والنصيحة الابالاسر
والعفاف واعظم الاشياء
ضررا على الناس عامة
وعلى الولاة خاصة أن
يجر مواصالح الوزراء
والاعوان فنكون أعوانهم
غير ذي جدوى وغناء
ويحذر الملك ان يولي الوزارة
غير المتحرين كي لا تضيق
الامور كما يحذر ان يتطبيب
بغير طبيب بصير مأمون
(قال شريح بن عبيد) لم
يكن في بني اسرائيل ملك
الاومعه رجل حكيم اذا رآه
غضب بان كتب له ثلاث
صوائف في كل صحيفة ارحم
المسكين واخش الموت
واذكر الآخرة فكلاما
غضب الملك ناو له صحيفة
حتى يسكن غضبه (وقال
أردشير) يحق على الملك

ان ذلك كان في الحرم سنة عشرين وأماديوان الخراج والجبايات فبقى بعد الاسلام على ما كان عليه من
قبل ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريقيين ولما
جاء عبد الملك بن مروان واستحال الامر ملكا وانتقل القوم من غضاضة البداوة الى رونق الحضارة ومن
ساذجة الامية الى حذق السكابة وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحسبان فأمر عبد الملك
سليمان بن سعد والى الاردن لعهد ان ينقل ديوان الشام الى العربية فأنكس له سنة من يوم ابتدائه
ووقف عليه سرحدون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم اطلبوا العيش في غير هذه الصناعات فقد قطعها
الله عنكم وأماديوان العراق فأمر الحجاج كاتبه صالح بن عبد الرحمن وكان يكتب بالعربية والفارسية
ولقن ذلك عن زاذان فروخ كاتب الحجاج قبله ولما قتل زاذان في حرب عبد الرحمن بن الاشعث استخلف
الحجاج صالحا هذا مكانه وأمر ان ينقل الديوان من الفارسية الى العربية ففعل ورغم ذلك كتاب الفرس
وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب ثم جعلت هذه الوظيفة في دولة بني
العباس مضافة الى من كان له النظر فيه كما كان شأن بني برمك وبني سهل بن نبخت وغيرهم من وزراء
الدولة وأما ما يتعلق بهذه الوظيفة من الاحكام الشرعية مما يختص بالجيش او بيت المال في الدخل
والخرج وتميز النواحي بالصلح والعنوة وفي تقليد هذه الوظيفة لمن يكون وشروط الناظر فيها والكتاب
وقوانين الحسبانات فأمر راجع الى كتب الاحكام السلطانية وهي مسطورة هنالك وليست من غرض
كتابنا وانما نتكلم فيها من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام فيه وهذه الوظيفة جزء عظيم من
الملك بل هي ثالثة اركانها لان الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه فاحتاج صاحب الملك
الى الاعوان في امر السيف وامل القلم وامل المال فينفرد صاحب الملك بذلك يجز من رئاسة الملك وكذلك كان
الامر في دولة بني امية بالاندلس والطوائف بعدهم وأما في دولة الموحدين فكان صاحبها انما يكون
من الموحدين يستعمل بالنظر في استخراج الاموال ووجهها وضبطها وتعقب نظر الولاة والعمال فيها
ثم تميزها على قدرها وفي مواقيتها وكان يعرف بصاحب الاشغال وكان يرعا يلبها في الجهات غير الموحدين
من يحسبها ولما استبد بنو أبي حفص بافريقية وكان شأن الجبالية من الاندلس فقد دم عليهم اهل
البيوتات وفيهم من كان يستعمل ذلك في الاندلس مثل بني سعيد اصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين
ببني ابي الحسن فاستكفوا بهم في ذلك وجعلوا لهم النظر في الاشغال كما كان لهم بالاندلس ودالوا فيها بينهم
وبين الموحدين ثم استعمل بها اهل الحسبان والكتاب وخرجت عن الموحدين ثم لما استغلاز أمر الحجاج
ونفذ امره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم وصار صاحب مرسوم الحجاج وأصبح من جملة
الحجابة وذهبت تلك الرئاسة التي كانت له في الدولة وأمادولة بني مرين لهذا العهد فحسبان العطاء والخراج
مجموع لواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسبانات كلها ويرجع الى ديوانه ونظرة معقب ينظر
السلطان أو الوزير بخطه معتبر في صحة الحسبان في الخراج والعطاء هذه اصول الرتب والمخططات السلطانية
وهي الرتب العالية التي هي عامة النظر ومباشرة للسلطان وأما هذه الرتبة في دولة الترك فتشتمل
وصاحب ديوان العطاء يعرف بناظر الجيش وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان
الحجابة العامة للدولة وهو اعلى رتب الناظرين في الاموال لان النظر في الاموال عندهم يتنوع الى رتب
كثيرة لا تنفاس دولتهم وعظمة سلطانهم واتساع الاموال والجبايات عن ان يستعمل بضبطها الواحد من
الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغه فتعين للنظر العام منها هذا المخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف

(١٩ - ابن خلدون) أن الخلف ما يكون نظر العظم ما يكون خطر ولا يذهب حسن أثره في الرعية خوفا
له ولا يستغنى بتدبير اليوم عن تدبير غد وأن يكون حذره للملاقين أكثر من حذره للبعدين وان يتيق بطانة السوء أشد من اتقائه

العامه ولا يطعن في اصلاح العامة الا بالخاصة (وقال اردشير) لكل ملك بطانة حتى يجمع بذلك جميع المملكة فاذا أقام الملك بطانة على حال الصواب أقام كل امرئ (١٤٦) منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجمع على الصلاح عامة الرعية ومثال الملك الخير

لمولى من موالى السلطان وأهل عصبته وأرباب السيف في الدولة يرجع نظر الوزير الى نظره ويحتمد به في متابعته ويسمى عندهم استاذ الدولة وهو أحد الأمراء الكبار في الدولة من الجند وأرباب السيف ويبيع هذه الخطة خطط عندهم أخرى كلها راجعة الى الاموال والخسب من مقصود النظر على أمور خاصة مثل ناظر الخاص وهو المباشر لاموال السلطان الخاصة به من اقطاعه أو سهمه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من أموال المسلمين العامة وهو تحت يد الأمير استاذ الداروان كان الوزير من الجند فلا يكون لاستاذ الدار نظر عليه ونظر الخاص تحت يد الخازن لاموال السلطان من عماليكه المسمى خازن الدار لاختصاص وظيفته بمعامل السلطان الخاص هـ ذابيان هـ هذه الخطة بدولة الترك بالشرق بعدما قدر منها من أمرها بالمغرب والله مصرف الامور لا رب غيره

(ديوان الرسائل والكتابة)

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأسا كفي الدول العربية في البداوة التي لم يأخذها تذيب الحضارة ولا استحككام الصنائع وإنما كذا الحاجة اليها في الدولة الاسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد دفصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الاكثر وكان الكتاب للامير يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء وأمرأ الصحابة بالشام والعراق لعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص بمن يحسنه وكانت عند بني العباس رفيعه وكان الكتاب يصدر السجلات مطلقة ويكتب في آخرها اسمه ويختتم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أوشارته يغمس في طين أحمر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفي السجل عند طبعه والاصاقه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكتاب فيها علامته أولا أو آخره على حسب الاختيار في محلها وفي لفظها ثم قد تنزل هـ هذه الخطة بارتفاع المكان عنه د السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب في الدولة أو استبداد وزير عليه فتصير علامة هذا الكتاب ملغاة الحكم بعلامة الرئيس عليه يستبدل بها فيكتب صورة علامته المعهودة والحكم بعلامة ذلك الرئيس كما وقع آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شأن الحجابة وصار أمرها الى التفويض ثم الاستبداد صار الحكم العلامة التي للكتاب ملغى وصورتها ثابتة اتباعا لسلف من أمرها دفصار الحاجب يرسم للكتاب امضاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويتخير له من صبح الانقاذ ما شاء فبأمر الكتاب له ويضع العلامة المعتادة وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك اذا كان مستبدا بامر قائما على نفسه فيرسم الامر للكتاب ليضع علامته ومن خطط الكتابة التوقيع وهو أن يحاس الكتاب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ووقع على القصص المرفوعة اليه أحكامها والفصل فيها مئة لقا من السلطان بأو خلفه وأبلغه فأما ان تصدر كذلك وأما ان يحذو الكتاب على مثاله في سجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقع الى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعهم وقد كان جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمى بالقصة الى صاحبها فكانت توقعاته يتنافس البلاغة في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها حتى قيل انها كانت تباع كل قصة منها دينار وهكذا كان شأن الدول وواعلم ان صاحب هذه الخطة لا بد أن يتخير من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في أصول العلم لم يسايعر في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك مع ماتدعوا اليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل مع ما يضطر اليه في الترسل وتطبيق

والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من النوم منه كالماء الصافي فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان ساجحا وكان الى الماء محتاجا ومثل السلطان مثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والأطباء فان كذب السفير بطل التدبير وكان السفير اذا أراد أن يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب تقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فمن ههنا شرطنا أن يكون الوزير صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في الخلافة بصيرا بأموال الرعية وتكون بطانة الوزير من أهل الامانة والبصيرة ويحذر الملك أن يولي الوزارة لثيما فالثيم اذا ارتفع جفا أقاربه وان كرم معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل ولما أراد سليمان بن عبد الملك أن يستكتب كاتب الحاج بن زيد بن أبي مسلم قال له عمر بن عبد العزيز أسألك

مقاصد

بالله يا أمير المؤمنين أن لا تحيى ذكر الحجاج باسمك كالك يا أبا حفص اني لم أجده عنده خيانة دينار لا درهم قال عمر أنا أوجدك من هو أعف منه في الدينار والدرهم قال ومن هو قال ابليس ما مس دينار ولا درهم وقد أهلك

هذا الخلق (ودخل) رجل له عقل وأدب على بعض الخلفاء فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقر به فقال
يا مملك طاعته في الوري * وجهه مقترض واجب ان الذي شرفت من أجله * (١٤٧) يزعم هذا انه كاذب وأشار الى الذي

فاسأله يا امير المؤمنين
عن ذلك فسأله فلم يجديدا
من أن يقول هو صادق
فاعترف بالاسلام لا يعرف
وزير الملك ماله وما عليه
حتى يراعي من صاحبه
الواثق به ما يراعيه العاشق
الغيور من المعشوقة المتهمومة
(وكان بعض) الملوك قد
كتب ثلاث رقايع وقال
لوزير اذار أيتني غضبان
فادفع الى رقعة فـ كان في
الواحدة انك لست بالله
وانك سموت وتعود الى
التراب فياكل بعضك بعضا
وفي الثانية ارحم من في
الارض يرحمك من في
السموات وفي الثالثة اقض
بين الناس بحكم الله فانهم
لا يصلحهم الا ذلك اذا
كان الوزير يساوي الملك
في الرأي والهمة والطاعة
فلمصرعه الملك فان لم يفعل
قليل علم انه المصروع (وفي
الامثال) اذا سكت الدهماء
خاف الوزراء وما كانت
أموالهم ملكة عائنة الى
الوزراء وازمة الملوك في
كف الوزراء سبق فيهم
من العقلاء المثل السائر
فقالوا لا تغرب عوده الامير
اذا غشك الوزير فلا تخش
الامير ويقال الخرق

مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة الى أرباب السيف
لما يقتضيه طبع الدولة من البعد عن معاناة العلوم لاجل سداجة العصية فيختص السلطان اهل
عصبيته بخطوط دولته وسائر رتبته فيعلم المال والسيف والكتابة منهم فأما رتبة السيف فتستغنى عن معاناة
العلم وأما المال والكتابة فيضطر الى ذلك للبلاغة في هذه والحساب في الاخرى فيختارون لها من هذه
الطبقة ما دعت اليه الضرورة ويقلدونه الا انه لا تكون يد آخر من اهل العصبة غالبية على يده ويكون
نظيره متصرفا عن نظره كما هو في دولة الترك لهذا العهد بالشرق فان الكتابة عندهم وان كانت لصاحب
الانشاء الا أنه تحت يد امير من اهل عصبة السلطان يعرف بالدين ودار وتعويل السلطان وثوقه به
واستئمانه في غالب احواله اليه وتعويله على الآخر في احوال البلاغة وتطبيق المقاصد وكتمان الاسرار
 وغير ذلك من توابعها واما الشروط المعتبرة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظها السلطان في اختياره
 وانتقائه من اصناف الناس فهي كثيرة واحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته الى الملك
 وهي اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاتكم ووقفكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس
 بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين اصنافا وان كانوا في
 الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم وابواب ارزاقهم
 فجعلكم معشر الملك في اشرف الجهات اهل الادب والمروءة والعلم والرياسة بكم ينظم للخلافة محاسنها
 وتستقيم امورها وينجح ائمتكم يصلح الله الخلق سلطانتهم وتعمر بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف
 الا منكم فوقكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها يرون والسنن التي بها
 ينطقون وايديهم التي بها يبطشون فامتكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا تزع عنكم ما اصفاه من
 النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخير المحموده وخصال الفضل
 المذكورة المعدودة منكم اية الكتاب اذا كنتم على ما ياتي في هذا الكتاب من صفاتكم فان الكاتب يحتاج من
 نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون حليما في موضع الحلم فحليما في موضع
 الحزم مقدما في موضع الاقدام محججا في موضع الاحجام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف كتموالا لاسرار
 وفيما عند الشدائد عالما بما ياتي من النوازل يضع الامور موضعا والطوارق في اما كنهها قد نظرت في كل
 فن من فنون العلم فأحكمه وان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفي به يعرف بغرزة عقله وحسن ادبه وفضل
 تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعدل لكل امرئته وعناده ويهيئ لكل
 وجه هيمته وعادته فتاخر او يامعشر الكتاب في صنوف الآداب وثقته وفي الدين وايدوا بعلم كتاب الله
 عز وجل والقرائن ثم العربية فانها ثقاف السنة كما ثم اجب دوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار
 واعرفوا غريبها ومعانيها واياكم العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما سمعوا اليه هممكم
 ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودينها وسفساف
 الامور ومحاورها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهة واصناف من صناعتكم عن الدناءة وارثوا بانفسكم عن
 السعاية والنميمة وما فيه اهل الجهالات واياكم والكبر والسخط والعظمة فانه اعداوة تجتلبه من
 غير احنة وتحابو في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو البقي لاهل الفضل والعدل والنبيل
 من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله يشوب اليه امره وان
 اعدا احد منكم الكبر عن مكسبه ولفاء اخوانه فزوروه وعظموه وشاوروه واسدوا بفضله تجربته

ممارسة الامراء ومعاونة الوزراء وارب امر كرهه الامير فتم بانوزيروكم من امر اراده الامير فثناه عنه الوزير وانما السلطان كالدار والوزير
 بابها في اتي الدارين بابها ولج ومن اتاهما من غير بابها ازعج (وقال انوشروان) لا يتم للملك امره حتى يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له

جاليس مأمون الغيب وخادم ناصح الجيب وموقع الوزارة من المملكة كوقع المرآة من النظر فكما أن من لم ينظر الى المرآة لا يرى محاسن وجهه ويعيوبه كذلك السلطان (١٤٨) اذ لم يكن له وزير لا يعرف محاسن دولته ويعيوبها وكاتب الملك مستقر اسرار له واسانه الناطق عنه في آفاق مملكته

وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واسـ تظهر به ليوم حاجة اليه احوط منه على ولده وأخيه فان عرّضت في الشغل حمدة فلا يصرفها الا الى صاحبه وان عرّضت مذمة فلا يحملها هو من دونه وليحذر السقطة والزلة والمال عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكُتّاب أسرع مني الفقراء وهو لكم أفسد منه لما قد علمتم ان الرجل منكم اذا صاحبه من يبدل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه ان يعتدله من وفائه وشكره واحتماله وخـ يره ونصيحته وكتـان سره وتـدبير أمره ما هو خـزاه لحقه ويصدق ذلك تبعاله عند الحاجة اليه والاضـ طرأ الى ماله فيه فاستشعر واذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرخا والسدة والحرمان والمواساة والاحسان والسر او الضراء فنهـ مت الشبهة هذه من وسـم بهـامن أهل هذه الصـناعة الشريفة واذ اولي الرجل منكم اوصـير اليه من أمر خلق الله وعياله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا ولا ظالم منصفاً فان الخلق عيال الله وأحبهم اليه ارفقهم بعـياله ثم ليكن بالعدل حاكما ولا يشرف مكر ما ولقي مو فر اوله لا داعر او للربعة متا للفاوعن اذا هم متخلفا وليكن في مجلسه متواضعا حليما وفي سجلات خـزاه واستقصاء حقه ورفقة واذا صاحب احدكم رجلا فليخبر خلائقه فاذا عرف حسـه ما وقع فيها اعانه على ما وافقه من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبح بالطفـحيلة واجل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصيرا بـسياساته التمس معرفة اخلاقها فان كانت رموطاً لم يجهها اذا ركبها وان كانت شـبو بالانقاها من بين يديها وان خاف منها شر ودانوقاها من ناحية راسها وان كانت حرونا فـع يرفق هو اما في طرقها فان استمرت عطفها يسير افساس له قيادها وفي هذا الوصف من السـياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجر بهم وداخلهم والكاتب لفضل ادبه وشرف صنـعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس وينظره يفهم عنه ويخاف سطوته اولي بالرفق واصاحبه ومداراته وتقويم اوده من سائس البهيمة التي لا تحـجـر جوابا ولا تعرف صوابا ولا تنقـهم خطايا الا بـقدر ما يصيرها اليه صاحبها الرأـكب عليها الافارقة وارجو انكم في النظر واعمالوا ما كنتم فيه من الروية والفكر تأمنوا باذن الله من صحبتموه النبوة والاستقلال والجفوة وبصر منكم الى الموافقة وتصير وامنه الى المواخاة والشـفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه ومجلسه ومركبه ومطعمه ومشر به وناله وخدمه وغير ذلك من فنون امره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنـعته كم خدمه لا تحـملون في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم افعال التضييع والتبذير واستعجال على عقابكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصـته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهم ما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلهما ولا سيما الكُتّاب وأرباب الآداب والامور وأشباهه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتلف أعمالكم بما سـبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة وأصدقها حاجة واجدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقته وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حجة فان ذلك مصلحة لفعاله ومدفعة للشاغل عن كثاره وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضـر بيدنه وعقله وآدابه فانه ان ظن منكم ظان أو قال قائل ان الذي برز من جمل صنـعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه وامقائه الى أن يكلاه الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقول أحد منكم انه أبصر بالامور وأجل لعب التدبير من مرافقه في صنـاعته ومصاحبه في خدمته فان اعقل الرحلين عند ذوى

والخصوص بقر به ولزومه دون نظرائه ظهير الامير وزيره وزينه حاجبه واسانه كاتبه ورسوله عينه الكُتّابة قوام الخلافة وقرينة الرياسة وعود المملكة للكاتب على الملك ثلاثة أشياء يرفع الحجاب عنه ويقيم الوشاة عليه ويقضى سره اليه (وقد قالت الحكماء) لا يطـمع من ذوالكبر في الشناه ولا الحجب في كثرة الصديق ولا السى الادب في الشرف ولا التخيخ في البر ولا الحرير في قلة الذنوب ولا الملك المتهاون الضعيف الوزراء في بقاء الملك وتكأن المرأة لا تزيك وجهك الا بصفا جوهرها وجودة صقلها وبقائها من الصداك ذلك الامير لا يكمل امره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه وصفا نفسه ونقاء قلبه (ومن شروط الوزير) ان يكون مكيـن الرحمة للخلق رؤفا بهم لياسو برجته ما يجرحه السلطان بمناظرة (ومن شروطه) ان يكون نقي الجيب ناصح الغيب لا يقبل دقـيقة ولا يكتم نصيحة وقال بعض الملوك

لو زره لا تكونن الى ما سرتني به اسرع مبادرة من انذارى فيما يخاف على منه وقال بعض الملوك اعط من اناك بما تكره كما تعطى من اناك بما تحب فان من انذر كن بشر (ومن شروطه) ان يكون معتدلا كليل تهامة لآخر

ولا قرو وموقع الوزير من الملك موقع الملك من العامة وكان السلطان اذا صلح صلحت الرعية واذا فسد فسدوا وكذلك الوزراء اذا فسدوا فسد الملك واذا صلحوا صلح الملك (وكان) يقال آفة العقل الموى وآفة الامير سخافة (١٤٩) الوزير وقال المقتدر بالله لوزيريه

ع-لى بن عيسى اتق الله
بعطفنى عليك ولا تعصه
فيسلطنى عليك وقال
المأمون لمحمد بن يزيد اياك
ان تعصى الله فيما تنقرب
به الى فيسلطنى عليك
(واعلم) انه ليس للوزير
ان يكتم السلطان نصيحة
وان استغفلها وموقع الوزير
من المملكة كواقع العينين
من الانسان وكاليدين فانه
اذا صح قبضهما وبسطهما
صح التدبير واذا سقطا دخل
النقص على الحسد ولا تصلح
الوزارة ان تكون في غير
اهلها كما لا يصلح الملك ان
يكون في غير اهله وشعر
الوزراء من كان الاشرار
ايضاله وزراء بطانة
ودخلا ووصت امرأة ابنها
وكان ملكا فقالت يا بني
يبنى للملك ان يكون له
سنة اشياء وزير يثق براه
وبقضى الله به بأسراره
وحصن يلجأ اليه اذا فرغ
وسيف اذا نازل الاقران
لم يخنه وذخيرة خفية للمحل
اذا نابه نائبة كانت معه
وامرأة اذا دخلت عليه
اذ هبت همه وطباخ اذا لم
يشته الطعام طبخ له
ما يشتهه
(الباب الخامس والعشرون)
في الجلساء وادابهم *

الالباب من رعى بالحجب وراعه ورأى ان اصحابه اعقل منه واجل في طريقته وعلى كل واحد من
الفر يقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكثر على اخيه
او نظيره وصاحبه وعشيره ووجد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لغزته والتحدث
بنعمته (وانا قول) في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب
وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وقمة به ثولنا لله واياكم يا مشر
الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعادهم وارشادهم فان ذلك اليه وبه والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته اهـ * (الشرطة) * ويسمى صاحبها هذا العهد باقر يقيه الحماكم وفي دولة اهل الاندلس صاحب
المدينة وفي دولة الترك الوالى وهى وظيفة مرؤسة لصاحب السيف في الدولة وحكمه نافذ في صاحبها في
بعض الاحيان وكان اصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم احكام الجرائم في حال استبدادها والاولا ثم
الحمدود بعد استيفائها فان التهم التى تعرض في الجرائم لا تنظر للشرع الا في استيفاء الحمدودها والسياسة
النظر في استيفاء موجباتها باقرار يكرهه عليه الحماكم اذا احتقت به القرائن لما توجب به المصلحة العامة في
ذلك فكان الذى يقوم به هذا الاستبداد واستيفاء الحمدود بعده اذا تزعمه القاضي يسمى صاحب
الشرطة وربما جعلوا اليه النظر في الحدود والدماء باطلاق واقرودها من نظر القاضي ونزهاه هذه المرتبة
وقادوها كبار القواد وعظماة الخاصة من مواليهم ولم تكن عامة التنفيذ في طبقات الناس انما كان
حكمهم على الدهماء واهل الرب والضرب على ايدى الرعايا والفقرة ثم عظمت نباهتها في دولة بني امية
بالاندلس ونوعت الى شرطة كبرى وشرطة صغيرة وجعل حكم الكبرى على الخاصة والدهماء وجعل له
الحكم على اهل المراتب السلطانية والضرب على ايديهم في الظلمات وعلى ايدى قادريهم ومن اليهم من
اهل الجاه وجعل صاحب الصغرى مخصوصا بالعامة ونصب لصاحب الكبرى كرسي بياب دار السلطان
ورجال يتبوؤن المقاعد بين يديه فلا يرحون عنها الا في تصريفه وكانت ولايتها لا كبر من رجالات الدولة
حتى كانت ترشيعها للوزارة والحجابة واما في دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من التتويه وان لم
يجعلوها عامة وكان لا يلزم الا رجالات الموحدين وكبرائهم ولم يكن له التحكم على اهل المراتب السلطانية
ثم فسد اليوم منصبها وخرجت عن رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من المصطنعين واما في دولة
بني مرين لمذاهب بالشرق فولايتها في بيوت من مواليهم واهل اصطناعهم وفي دولة الترك بالشرق في
رجالات الترك واعقاب اهل الدولة قبلهم من الكرد يتغيرونهم لها في النظر بما يظهر منهم من الصلابة
والمضاء في الاحكام لقطع مواد الفساد وحسم ابواب الذعارة وتخريب مواطن الفسوق وتقرير مجامعهم
مع اقامة الحدود الشرعية والسياسة كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة والله مقلب الليل والنهار
وهو العزيز الجبار والله تعالى اعلم

* (قيادة الاساطيل) * وهى من مراتب الدولة وخطتها في ملك المغرب واقر يقيه ومرؤسة لصاحب
السيف وتحت حكمه في كثير من الاحوال ويسمى صاحبها في عرفهم الملقب بتفخيم اللام منقولاً من لغة
الافرنجية فانه اسمها في اصطلاح لغتهم وانما اختصت هذه المرتبة بملك افر يقيه والمغرب لانهم جميعا على
ضفة البحر الرومى من جهة الجنوب وعلى عدوته الجنوبية بلاد البربر كلهم من سبتة الى الاسكندرية
الى الشام وعلى عدوته الشمالية بلاد الاندلس والافرنجية والصقالبة والروم الى بلاد الشام ايضا ويسمى
البحر الرومى والبحر الشامي نسبة الى اهل عدوته والساكنون بسيف هذا البحر وسواحلهم من عدوته

قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا الا المتقين وقال سبحانه يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني
وكان الشيطان للانسان خذولا وينبئني للملك ان يجالس اهل العقل والادب وذوى الراى والحسب وذوى التجارب والعبرة فبالسنة

العقل لقاح العقل ومادته ولذلك جدت آراء الشيخ فقال القدماء المشايخ أشجار الوقار وينابيع الأخبار لا يطيش لهم سبهم ولا يستقط لهم وهم وقالوا عليك بآراء المشايخ (١٥٠) فانهم ان فقدوا ذكاه الطبع فقد عرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم آثار

يعانون من أحواله مالاتعانهامة من أم البحار فقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة النعمالية من هذا البحر الرومي وكانت أكثر حروبهم ومناجرتهم في السفن فكانوا ماهرة في ركوبه والحرب في أساطيله ولما أسف من أسف منهم إلى ملك العدو المجنوبية مثل الروم إلى افر بقية والقوط إلى المغرب أجازوا في الأساطيل وملكوها وتعلموا على البر بها وانتمروا من أيديهم أمهرها وكان لهم بها المدن المحاطة مثل قرطاجنة وسبب طلة وحلولاء ومرناق وشمال وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم بحارب صاحب رومة ويبعث الأساطيل لمحربه مشحونة بالعساكر والعدو فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر السالكين حقا فيه معروفة في القديم والحديث ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاصي رضي الله عنه ما أن صف لي البحر فكتب اليه ان البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف ودود على عود وفروع حينئذ يمنع المسلمين من ركوبه ولم يركبه احد من العرب الا من اقتات على عمر في ركوبه ونال من عقابه كما فعل بعرفة بن عتبة من هزيمة الازديس يدبيلة لما اغراه عن افر بقية غزو في البحر فاستكر عليه وعنفه انه ركب البحر للغزو ولم ينزل الشأن ذلك حتى اذا كان له دعاء ودية اذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على اعداؤه والسبب في ذلك ان العرب كانوا بدوهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والافرنجة لما راسهم احواله ومر باهم في التقلب على اعداؤه مروا عليه واحكموا والدرية بثقافته فلما استقر الملك للعرب وفتح سلطانهم وصارت ام الجهم خولاهم وتحت ايديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية اعما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا بصراعها فشرهوا الى الجهاد فيه وانشؤا السفن فيه والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة من وراء البحر من امم الكفر ولخصوا بذلك من عساكرهم ونغورهم ما كان اقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافر بقية والمغرب والاندلس واوعز الخليفة عبد الملك الى حسان ابن الزعمان عامل افر بقية بالتحاذار للصناعة بتونس لانشاء آلات البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان فتح صقلية ايام زيادة الله الاول ابن ابراهيم بن الاغلب على يد اسد بن القرات شيخ الفتيان وفتح قوصرة ايضا في ايامه بعد ان كان معاوية بن حديج اغزى صقلية ايام معاوية بن ابي سفيان فلم يفتح الله على يديه وفتحت على يد ابن الاغلب وقائده اسد بن القرات وكانت من بعد ذلك اساطيل افر بقية والاندلس في دولة العبيديين والامويين تنعاقب الى بلادهم في سبيل الفتنة فتجوس خلال السواحل بالافساد والتخريب وانتهى اسطول الاندلس ايام عبد الرحمن الناصر الى مائتي مركب وانحوها واسطول افر بقية كذلك مثله اوقري يامنه وكان قائد الاساطيل بالاندلس ابن رماحس وعرفوا بالخط والاقلاع بحرية والمرية وكانت اساطيلها مجمعة من سائر الممالك من كل بلد تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره الى قائد من النواتية يدبر امر حربه وسلاحه ومقاتلته ورئيس يدبر امر حربه بالبحر والبحار والافرنجة في مرفئه فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو ومجئها او غرض سلطاني مهم عسكرت بعرفته المعلومات وشحنها السلطان برجاله والنجاد عساكرهم وواليه وجعلهم لنظر امير واحد من اهل طبقات اهل مملكته يرجعون كلهم اليه ثم يسرحهم لوجههم وينظر اياهم بالفتح والغنيمة وكان المسلمون لهذه الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صولاتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للامم النصرانية قبل باساطيلهم بشي من جوانبه وامتطوا ظهره للفتح سائر ايامهم فكانت لهم المقامات المعلومه من الفتح والغنائم وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومورقة وباسية وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة

الغريرو وقالوا رأى الشيخ خير من مشهد العلام (وقال عبد الملك) مجلساته جنبوني فلا تالا تطروني فاني اعرف بنفسى منكم ولا تكذبوني فانه لا رأى لكذب ولا تغتابوا عندي احدا ففسد قلبي عليكم (وقال بعض الحكماء) كفى بالتجارب تاديبا وتغليب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجمل وقد قال هرم بن قطبة وهو واحد حكماء العرب حين تنافر اليه عامر بن الطفيل وعلمته بن علافة عليكم بالحديث السن الحديث النظر (وقال كثير من حكماء العرب) عليكم بمشاورة الشباب فانهم يتبحرون رأيا لم يعلمه طول القدم ولا استولت عليه رطوبة الهرم والمذهب الاول اصدق على العقول وقال عبد العزيز بن زرة معاوية عليك بمجالسة الالاء اعداء كانوا واصدقاء فان العقل يقع على العقل (وقال ابن عباس) بمجالسة العقلاء تنزى في الشرف وقال سفيان بن عيينة ان الرجل ممن كان قبله لم يلق الرجل العاقل فيكون عاقلا اياما وقال مالك بن

أنس مرسليمان بن داود عليهم السلام بقصر بارض مصر فوجد فيه مكتوبا
عندونا من قري اصطخر الى القصر فعملناه فن يسأل عن القصر فنبينا وجدناه يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاء واقريطش

وفي الشيء على الشيء * علامات واشباهه فلا تصعب أخا الجهل * وياك وياها فكم من جاهل أردى * حلمي حين آخاه
قال ووجدنا عليه نسرا واقعا فدعا فقال من بني هذا القصر قال لأدرى قال كلك (١٥١) منذ وقعت عليه قال تستعماثة سنة

(وفي الامثال) يظن بالمرء
ما يظن بخليته (ولما) حج
عبد الله بن جعفر نزل مكة
للاقيما أصبح قال يا أهل
مكة عرفنا خياركم من
أشرككم في ليلة واحدة
قالوا كيف ذلك قال نزلنا
ومعنا أخيار وأشرار فنزل
أخيارنا على أخياركم
وأشرارنا على أشركم
فعرفناكم وعلم أنه ليس
الدهان على البار بادل

من صاحب على صاحب
وقال الا واعي صاحب
للصاحب كالرقعة في الثوب
ان لم تكن في مثله شائته
وقال ملك بن مسمع
للأحنف بن قيس يا أبا
بحر ما اشتاق الى غائب
اذا حضرت ولا أنتفع
بحاضر اذا غبت فاخذه
ابراهيم بن العباس الكاتب
فنظمه فقال

وأنت هوى النفس من
بينهم
وأنت الحبيب وأنت المطاع
وما بك أن بعدوا وحدة
وما معهم ان بعدت اجتماع
وقال عبد الله بن طاهر
المال غادورائح والسلطان
طل زائل والاخوان كنوز
وافرة وقال الأصمعي تناظر
رجلان واعرابي حاضر
فقال لاحدهما مناظرة

واقر يطش وقبرص وسائر ممالك الروم والافرنج وكان ابو القاسم الشيعي وأبناؤا يغزون أساطيلهم من
المهدية جزيرة جنوة فتنة قلب بانظروا الغنيمة وافتتح مجاهد العامري صاحب دانية من ملوك الطوائف
جزيرة سرديانية في أساطيله سنة خمس واربع مائة وارتجفها النصراري لوقتها والمسلمون خلال ذلك كله قد
تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر وسارت أساطيلهم فيهم جائية وذاهية والعساكر الاسلامية تجيز البحر في
الاساطيل من صدق قلبه الى البر الكبر المقابل لمأساة الدولة الشمالية فتوقع ملوك الافرنج وتغن في
ممالكهم كواقع في أيام بني الحسين ملوك صقلية القائلين فيها يدعوا العبيدين وانحازت ام النصرانية
بأساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منهم من سواحل الافرنجة والاصلة البتة وجزائر الرومانية لا يدعونها
واساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الاسد على فرستهم وقد ملأت الاكثر من بسط هذا البحر عدة
وعدا واختلفت في طرقه سبل وحر بالفلم تسبج للنصرانية فيه الواح حتى اذا أدركت الدولة العبيدية
والاموية الفشل والوهن وطرقها الاعمال مد النصراري ايديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية
واقر يطش ومالطة فلكروها ثم الحوا على سواحل الشام في تلك الفترة وملكو اطرابلس وعسقلان وصور
وعكا واسنة ولوا على جميع الشغور بسواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس بنوا عليه كنيسة لاظهار
دينهم وعبادتهم وغلبوا بني خردون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس ووضعوا عليهم الجزية ثم ملكو
المهدية مقر ملوك العبيدين من يد أعقاب بلبيين بن زيري وكانت لهم في المائة الخامسة الكثرة بهذا البحر
وضعف شأن الاساطيل في دولة مصر والشام الى ان انقطع ولم يعتنوا بشيء من أمره هذا العهد بعد ان كان
لهم به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف في أخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك
وبقيت بافر ببقية والمغرب قصارت مختصة بها وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد موقوف
الاساطيل ثابت القوة لم يتخيفه عدو ولا كانت لهم به كره فكان قائد الاساطيل به لعهد الدولة بني ميمون
رؤساء جزيرة قادس ومن ايديهم اخذها عبد المؤمن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد أساطيلهم الى المائة
من بلاد العدوتين جميعا ولما استقرت دولة الموحددين في المائة السادسة وملكو العدوتين اقاموا
خطة هذا الاسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد وكان قائدا اسطولهم أحمد الصقلي أصله من صغديار
الموطنة من جزيرة جربة من شرويكش اسره النصراري من سواحلها ووري عندهم واستخلصه صاحب
صقلية واستكفاه ثم هلك وولى ابنه فأسخطه ببعض النزعات وخشي على نفسه وحقق بتونس ونزل على
السيدي بهامن بن عبد المؤمن وأجاز الى مراکش فقتله الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالميرة والكرامة
واجزل الصلة وقلده أمر اساطيله فجلى في جهاد أم النصرانية وكانت له آثار واخبار ومقامات مذكورة في
دولة الموحددين وانتهت أساطيل المسلمين على عهد في الكثرة والاستجادة الى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد
فبعاه عهدناه ولما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام لعهد بهاس ترجاع تغور الشام من
يد ام النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر وبنائه تنابعت أساطيلهم الكفرية بالممددات لك
التغور من كل ناحية قرية لبيت المقدس الذي كانوا قد اسدسوا عليه فأمدوهم بالعدو والاقوات ولم
تقاومهم أساطيل الاسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر وتعددا أساطيلهم فيه
وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن معانعتهم هناك كما أشرنا اليه قبل فأوفد صلاح الدين على أبي
يعقوب المنصور سلطان المغرب لعهد من الموحددين رسوله عبد الكريم بن منقذ من بيت بني منقذ ملوك
شيز وكان ملكهم من ايديهم وأبقى عليهم في دولته فبعث عبد الكريم منهم هذا الى ملك المغرب طابا مدد

ملك في الدين فرض والاستماع منك أدب ومحاسنك زين ومعرفتك عز ومذاكرتك تليق للعقول ويحذوا خاؤك شرف وفخر وقال
والى اشتاق الى ظل صاحب * يروق ويصفقون كدبرت عليه
الاسماني غني مخارق بين يدي المأمون

عذيري من الانسان لان جفوته ■ صفالي ولا ان صرت طوع بديه فطرب المأمون وقال ويحك يا مخارق خذ مني نصف الخلاقة
وأعطني هذا الانسان وقالت الحكماء (١٥٢) النظر في عواقب الامور تبلغ العقول وقالوا العاقل لا تنقطع صداقته والاحق لا تدوم

الاساطيل لتجول في البحر بين اساطيل الكفرة وبين مرامهم من امداد النصرانية بشغور الشام وأصبجه كتابه
اليه في ذلك من انشاء الفاضل البيهقي يقول في افتتاحه فتح الله سيدنا ابواب المناج والميامن حسب ما نقله
العماد الاصفهاني في كتاب الفتح القدس فنقم عليهم المنصور وتجافهم عن خطابه بامر المؤمنين وأسرهم في
نفسه وجعلهم على مناهج البر والكرامة وردهم الى مرسلهم ولم يجبه الى حاجته من ذلك وفي هذا دليل على
اختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل للنصرانية في الجانب الشرقي من هذا البحر من الاستتالة
وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده لشأن الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدولة
ولما هلك ابو يعقوب المنصور واعتلت دولة الموحدين واستولت ام الجلالة على اكثر من بلاد
الاندلس والجزائر المسلمين الى سيف البحر وملكوا الجزائر التي بالجانب الغربي من البحر الرومي قويت
ريحهم في بسط هذا البحر واشتدت شوكتهم وكثرت فيه اساطيلهم وتراجعت قوة المسلمين فيه الى المساواة
معهم كما وقع لعهد السلطان ابي الحسن ملك زناتة بالمغرب فان اساطيل له كانت عند مرافقه الجهاد مثل عدة
النصرانية وعديدهم ثم تراجع عن ذلك قوة المسلمين في الاساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد
البحر بكثرة العوائد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الاندلسية ورجع النصارى فيه الى دينهم المعروف
من الدربة فيه والمران عليه والبصر باحواله وغلب الامم في لجته وعلى أعواده وصار المسلمون فيه
كالاغنياء الا قليلا من أهل البلاد الساحلية لهم المران عليه ووجدوا كثرة من الانصار والاعوان أوقوة
من الدولة تستجيب لهم اعوانا وتوضح لهم فيه هذا الغرض مسلكون بقيت الرتبة لهذا العهد في الدولة
الغربية بحقوقه والرسم في معاناة الاساطيل بالانشاء والركوب معهود والمساعدة تدعو اليه الحاجة من
الاغراض السلطانية في البلاد البحرية والمسلمون يستنبون الریح على الكفر وأهله في المشتهر بين أهل
المغرب عن كتب الحكماء ان انه لا بد للمسلمين من الكرامة على النصرانية وافتتاح ما وراء البحر من بلاد
الافرنجة وان ذلك يكون في الاساطيل والله ولي المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل

٣٦ * (فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول) *

(اعلم) ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على امره الان الحاجة في اول الدولة الى
السيف مادام اهلها في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة الى القلم لان القلم في تلك الحال خادم فقط منقذ للحكم
السلطاني والسيف شريك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها كما ذكرناه وبقيل أهلها بما
ينالهم من الهرم الذي قدمناه فتحتاج الدولة الى الاستظهار بآداب السيف وتقوى الحاجة اليهم في حماية
الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن اول الامر في تمهيدها فيكون للسيف منزلة على القلم في المثلين ويكون
أرباب السيف حينئذ أوسع جاهوا وأكثر نعمة واسنى اقطاعا وأما في وسط الدولة فيستغنى صاحبها بعض الشيء
عن السيف لانه قد تمهد أمره ولم يبق همه الا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول
وتنفيد الاحكام والقلم هو المعين له في ذلك فننظم الحاجة الى تصريفه وتكون السيف مهمة في مضاجع
اغمارها الا اذا نابت نائبة او دعت الى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة اليها فتكون أرباب الاقلام
في هذه الحاجة أوسع جاهوا وعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة واقرب من السلطان مجلسا وأكثر اليه ترددا وفي
خلواته نجبا لانه حينئذ آتاه التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر في اعطائه وتقريف أطرافه
والمباهاة بأحواله ويكون الوزراء حينئذ وأهل السيف مستغنى عنهم بمعدين عن باطن السلطان حذرين
الى انفسهم من بؤاده وفي معني ذلك ما كتب به أبو مسلم المنصور حين أمره بالقدوم أما بعد فانه يحفظناه

مودته فالتخذ من نصحاء
أصحابك مرآة لطبايعك
وفعائك كما تتخذ لوجهك
المرآة لوجه لوجهك فانك الى
صلاح طبائعك أحوج
منك الى تحسين صورتك
وقال المأمون للحسن بن
سهل نظرت في اللذات
فوجدتها كلها مملوءة خلا
سبعة قال وما السبع يا أمير
المؤمنين قال خبز الخنطة
ولحم الغنم والماء البارد
والثوب الناعم والرائحة
الطيبة والفراس الوطئ
والنظر الى الحسن من
كل شيء قال فإني أنت يا أمير
المؤمنين من محادثة الرجال
قال صدقت وهي اولاهن
وقال هشام بن عبد الملك
قد قضيت الوطر من كل
شيء فاكات المحلوا المحامض
حتى لا أجدهم ما طعما
وشممت الرائحة حتى
لا أجدها رائحة وانت
النساء حتى ما أبالي امرأة أتيت
أم حاطة فما وجدت شيئا
ألذ من جليس يسقط بيني
وبينه مؤنة التحفظ وقال
عبد الملك بن مروان قد
قضيت الوطر من كل
شيء إلا من محادثة الاخوان
في اللبالي الزهر على العلالى
العفر وقال عبد الملك من
قرب السقاة وأدناهم

وباعد ذوى العقل واقصاهم استحق الخذلان ومن منع المال من الجدورته من لا يحمد
ومن الكلام الشريف قول الحكيم ما أحوج ذال القعدة الى دين يحجزه وحياء يكفه وعقل يعدله والى تجر به ما يلهو وغير محفوظه والى

اعراق تسرى اليه واعلاق تسهل الامور عليه والى جليس رفيق ورائد شفيق والى عين تنظر العواقب وعقل يخاف الغير ومن لم يعرف يوم ظفر الايام لم يحترس من سطوات الدهر ولم يحفظ من فلتات الدال ولم يتعاطمه ذنب (١٥٣) وان عظم ولا تناء وان سجع واذرايت

من جلسك امرأتك ربه
أوخلة لا تحب أو صدرت
منه كلمة عذراء وهفة غبراء
فلا تقطع حبله ولا تصرم
وده ولكن داوكله واستر
عورته فابقه وابرامن عمله
قال الله تعالى فان عصوك
فقل اني بري وما تعاملون
فلم يأمر بقطعهم وانما أمر
بالبراءة من عملهم السوء
قال الشاعر
اذا راب مني مفصل فقطعته
بقيت وما بي لله - وض
مفصل
ولكن أدأويه فان صح
سرى
وان هو أعيان كان فيه
تحامل
وأني رجل الى بعض
الحكماء فشكا اليه صديقه
وعزم على قطعه والانتقام
منه فقال له الحكماء اتهم
ما أقول لك فاكملت أم بك
من فورة الغضب ما شغل
عنه فقال اني لما تقول واع
فقال أسرورك بعودته
كان أطول أم غمك بذنبه
قال بل سرودي قال اخسناته
عندك أكثر أم سيأتته
قال بل حسناته قال فاصفع
بصالح ايامك عن ذنبه
وهب لسرورك جرمه
واطرح ثؤنة الغضب
والانتقام منه ولعلك لا تنال

من وصايا القرس أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهر - ما سنة الله في عباده والله سبحانه وتعالى اعلم
* (فصل في شارات الملك والسلطان الخاصة به) *

(اعلم) ان للسلطان شارات واحوالاً تنمى بها الابهة والبه - ذبح فيختص بها ويميز بانتمها عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته فلنذكر ما هو مشتهر منها ببلوغ المعرفة وفوق كل ذي علم عليم * (الآلة) *
فن شارات الملك اتخاذ الآلة من نشر اللوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الابواق والقرون وقد ذكر
ارسطو في الكتاب المنسوب اليه في السياسة ان السرى في ذلك ارباب العدو في الحرب فان الاصوات الملائكة
لها تأثير في النفوس بالروعة ولعمري انه امر وجد في مواطن الحرب يحده كل أحد من نفسه وهذا السبب
الذي ذكره ارسطو ان كان ذكره فهو صحيح به بعض الاعتبارات وأما الحق في ذلك فهو ان النفس عند سماع
النغم والاصوات يدر كها القرح والطرب بلا شك فيصيب خراج الروح نشوة تستسهل بها الصعب ويستقيم
في ذلك الوجه الذي هو فيه وهذا موجود حتى في الحيوانات العجم بالفعال الابل بالجداء والخيل بالصغير
والصريح كما علمت ويزيد ذلك تأثيرا اذا كانت الاصوات متناسبة كما في الغناء وانت تعلم ما يحدث لاسماعه
من مثل هذا المعنى ولاجل ذلك تتخذ العجم في مواطن حروبهم الآلات الموسيقية (١) لاطبلا ولا يوقا
فيحذق المغنون بالسلطان في موكبه بالآلاتهم ويغنون فيحركون نفوس الشجعان بضربهم الى الاستماعة
ولقد رأينا في حروب العرب من يتغنى امام الموكب بالشعر ويطرب فيجيش همم الابطال بما فيها ويسارعون
الى مجال الحرب وينبعث كل قرن الى قرنه وكذلك زناتة من أمم المغرب يتقدم الشاعر عندهم امام الصفوف
ويتغنى فيحرك بغنائها الجبال الرواسي وينبعث على الاستماعة من لا يظن بها ويسعون ذلك الغناء
تاصوكايت وأصله كله فرح يحدث في النفس فتنبعث عنه الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث
عنهم من الفرح والله اعلم * (واما) * تكثير الرايات وتلوينها واطاقتها لقصده التهوريل لأكثر وربما
يحدث في النفوس من التهوريل زيادة في الاقدام واحوال النفوس وتلوينها غريسة والله الخلاق العليم
ثم ان الملوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات فبعضهم مقلد بحسب اتساع الدولة وعظمتها
فأما الرايات فانها شعار الحروب من عهد الخليفة ولم تنزل الامم تعدها في مواطن الحروب والغزوات ولعمري
الذي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء وأما قرع الطبول والنفخ في الابواق فكان المسلمون لاول
الملل متعافين عنه تنزها عن غلظة الملك ورفض الاحوال واحتقار الابهة التي ليست من الحق في شيء حتى
اذا انقلب الخليفة ملكا وتجبجوا زهرة الدنيا ونعيمها ولا بسهم الموالي من القرس والروم اهل الدول
السالفة واروهم ما كان أولئك ينتحلونه من مذاهب البذخ والترف فكان مما استحسنه من اتخاذ الآلة
فأخذوها وأذنوا لعمالهم في اتخاذها وتلوينها بالملك وأهلها فكثيرا ما كان العامل صاحب الثغور قائد الجيش
يعتدله الخليفة من العباسيين او العبيديين لولاه ويخرج الى بعثه او عمله من دار الخليفة او داره في موكب
من أصحاب الرايات والآلات فلا يميز بين موكب العامل والخليفة الا بكثرة اللوية وقلة الواو بما اختص
به الخليفة من الالوان لرايته كالسواد في رايات بني العباس فان راياتهم كانت سودا خضراء على شهدائهم من
بني هاشم ونعمان على بني أمية في قتلهم ولذلك سمو المسودة ولما افترق امر الهاشميين وخرج الطالبون
على العباسيين في كل جهة وعصر ذهبوا الى مخالفتهم في ذلك فاتخذوا الرايات بيضا وسموا الميضة لذلك
(١) قوله الموسيقية وفي نسخة الموسيقارية وهي صحيحة لان الموسيقى بكسر القاف بين التختين اسم للنغم
والآلحان وتوقعها يقال فيها موسيقى ويقال لصاحب الآلة موسيقار انظر أول سقينة الشيخ محمد شهاب

(٢٠ - ابن خلدون) ما ملئت فتطول مصاحبة الغضب وانت صائر الى ما تحب (الباب السادس والعشرون)
في بيان معرفة الخصال التي هي جمال السلطان * قد ذكرنا الخصال التي تجرى من المملوك تجري الاساس من البنيان ونذكر الآن

الخصال التي تجري من المملكة بحري التاج والطلسان وحسن الهيئة والكمال فاكلها واقاعدتها العقو قال الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين (١٥٤) فلما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما هذا قال لا ادري حتى

اسأل العالم فذهب جبريل ثم عاد فقال يا محمد ربك يقرؤك السلام ويأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك واعلموا ان ارشدكم الله ان الله تعالى امر بالعفو وندب اليه وذكرك فضيلته وحث عليه ووصفه بنفسه فقال سبحانه والكافين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فاجاب الله تعالى بحبته للعافين واثني عليهم بالاحسان فقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وعزائم الامور من صفات المصطفين من الرسل قال الله تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال سبحانه واذا ما غضبوا هم يغفرون وقال سبحانه وليعقوا وليصفحوا الاتحجون ان يغفر الله لكم فاستعطف الخلق وندبهم الى ان يعفوا عن الجناة والظالمين والخطائين كما يحبون ان يفعل الله بهم وقال فيمن اتهم ولم يعف وان انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل فرفع المخرج عن المنتصر والمنتهى ولم يوجب له فضيلة ثم كشف الغطاء وأزاح

سائر أيام العبيدين ومن خرج من الطالبيين في ذلك العهد بالمشرك كالداغي بطبرستان وداعي صعدة او من دعا الى بدعة الرافضة من غيرهم كالقرامطة ولما نزع المأمون عن لبس السواد وشعاره في دولته عدل الى لون الخضره فجعل رايته خضراء وأما الاستكثار منها فلا ينتهي الى حد وقد كانت آله العبيدين لما خرج العزيز الى فتح الشام خمسة مائة من البنود وخمسة مائة من الابواق وأما ملوك البربر بالمغرب من صنهاجة وغيرها فلم يختصوا بلون واحد بل وشوها بالذهب واتخذوها من الحرير الخالص ملونة واستقروا على الاذن فيها العمائم حتى اذا جاءت دولة الموحديين ومن بعدهم من فنانة قصر والآلة من الطبول والبنود على السلطان وحظروها على من سواه من عماله وجعلوا لها موكبا خاصا يتبع اثر السلطان في مسيره يسمى الساقة وهم فيه بين مكث ومقل باختلاف مذاهب الدول في ذلك فذهب من يقتصر على سبع من العدد تبركا بالنسبة كما هو في دولة الموحديين وبنى الاجر بالاندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين كما هو عند ذناته وقد بلغت في أيام السلطان ابي الحسن في ما ادر كناه مائة من الطبول ومائة من البنود ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وضعيف وبأذنون للولاء والعمال والقواد في اتخاذ راية واحدة صغيرة من السكك بيضاء وطويل صغيرا أيام الحرب لا يتجاوزون ذلك وأما دولة الترك لهذا العهد بالمشرك فيتخذون أولا راية واحدة عظيمة وفي رأسها خصلة كبيرة من الشعر يسمونها الشالش والجتر وهي شعار السلطان عندهم ثم تعدد الرايات وسمونها السناجق واحدها سناجق وهي الراية بلسانهم وأما الطبول فيم بالغون في الاستكثار منها وسمونها الكوسات ويبيعون لكل أمير أو قائد عسكري أن يتخذ من ذلك ما يشاء الا الجتر فانه خاص بالسلطان وأما المجالقة لهذا العهد من أمم الافرنجة بالاندلس فأكثر شأنهم اتخاذ الآلية القليلة ذاهبة في الجوص مدومها قارع الاوتار من الضناير ونفخ الغيظات يذهبون فيها مذهب الغناء وطريقة في مواطن حروبهم هكذا يبلغ غنائهم وعن وراهم من ملوك العجم ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السننكم وألوانكم ان في ذلك لايات للعالمين

(المرير) * وأما المرير والمنبر والتخت والكرسي وهو أرواح منسوبة أو أرائك منسوبة للجلوس السلطان عليها مرتفعان اهل مجلسه ان يساوهم في الصعود ولم يزل ذلك من سنن الملوك قبل الاسلام وفي دول الجهم وقد كانوا يجلسون على أسرة الذهب وكان لسليمان بن داود صلوات الله عليه ما وسلامه كرسي وسير من عاج مغشى بالذهب الا انه لا تأخذ به الدول الا بعد الاستئصال والترف شأن الأبهة كلها كما قلناه وأما في أول الدولة عند البدوة فلا يشعرون اليه * وأول من اتخذ في الاسلام معاوية واستأذن الناس فيه وقال لهم اني قد بدنت فاذنوا له فالتخذه واتبعه الملوك الاسلاميون فيه وصار من منازع الأبهة ولقد كان عمرو بن العاصي بمصر يجلس في قصره على الارض مع العرب ويأبى ان يلقاه المقوقس الى قصره ومعه سرير من الذهب محمول على الايدي لجلوسه شأن الملوك فيجاس عليه وهو امامه ولا يغيرون عليه وفاء له بما اعتقد معهم من الذمة واطراح الابهة الملك ثم كان بعد ذلك لبني العباس والعبيدين وسائر ملوك الاسلام شرقا وغربا من الاسرة والمنابر والنخوت ما عفا عن الاكسرة والقباصرة والله مقلب الليل والنهار (السكة) * وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد يتش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد ان يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل بها عددا وان لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها

العدو وصرح بقلة تقبيل العافين على المنتصرين والواهبين حقوقهم على المنتقمين فقال سبحانه وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وهذه انص لا يجتهد في التأويل وتحقيق القول في ذلك ان وزنا

الانتصار وعدل والعفو فضل وفضل الله أحب النعمان عدله لانه ان عدل علينا فافادنا بحقه هذا وكان عقابنا برحمته تخاضنا ولو كان العدل يسع الخلاق لما قرنه الله بالاحسان فلما علم ان العدل استقصا ومناقشة وذلك (١٥٥) مما تضييق عنده النفوس ويخرج

له الصدور رباط الاحسان بالعدل فقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايضا فان الانتصار انتقام وعذاب بلا امتنان والعفو محبة من الله واحسان وايضا فلا انتصار سيئة والعفو حسنة قال الله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والدليل على ان الانتصار سيئة قوله تعالى وخرا سيئة سيئة مثلها غير انها الخماسية سيئة لما كانت نتيجة سيئة لانه لا يجوز الانتصار وهو كقول عمر بن كلثوم التغلبي

الا لا يجهان أحد عليا
فنجعل فوق جهل الجاهلينا
فسمى الجزاء على الجهل
جهلا وان لم يكن في الحقيقة
جهلا وعن هذارت عائشة
رضي الله عنها قالت ما رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم
مشتصرا من مظلمة ظلمها
قط غير انه اذا انتهك شئ
من محارم الله فلا يقوم
لغضبه شئ (وروي) انه
قال ينادي مناد يوم القيامة
من كان له على الله أجر
فليقم فلا يقوم الا من عفا
في الدنيا فان عفوت أيها
الطالب كان أجرك على
الله وان لم تعف كان حقت

وزنا ولفظ السكة كان اسما للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك ثم نقل الى أثرها وهي النقوش المأثلة على الدنانير والدرهم ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علمنا على عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك اذ بها يتم الخصال من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها الغش بنجتم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها تائيل تكون مخصوصة بهامثل تئمال السلطان لعهدا أو تئمال حصن او حيوان او مصنوع أو غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم الى آخر أمرهم * ولما جاء الاسلام أغفل ذلك لسداجة الدين وبدوابة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزنا وكانت دنائير الفرس ودرهمهم بين ايديهم يردونها في معاملتهم الى الوزن ويتصارفون بها بينهم الى أن تفادش الغش في الدنانير والدرهم لغفلة الدولة عن ذلك وأمر عبد الملك بن الحجاج على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد بضرب الدرهم وتغيير المغشوش من الخالص وذلك سنة أربع وسبعين وقال المدايني سنة خمس وسبعين ثم أمر بصرقها في سائر النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله أحد الله الصمد ثم ولي ابن مبررة العراق أيام يزيد بن عبد الملك فجود السكة ثم بالغ خالد القسري في تجويدها ثم يوسف بن عمر بعده وقبل أول من ضرب الدنانير والدرهم مصعب بن الزبير بالعراق سنة سبعين بأمر أخيه عبد الله لما ولي الحجاز وكتب عليها في أحد الوجهين بركة الله وفي الآخر اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها اسم الحجاج وقدر وزنها على ما كانت استقرت أيام عمر وذلك ان الدرهم كان وزنه أول الاسلام ستة دوانق والمثقال وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل وكان السبب في ذلك ان أوزان الدرهم أيام الفرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المثقال عشرة وقيراطا ومنها اثنا عشر ومنها عشرة فلما احتيج الى تقيدهم في الزكاة أخذ الوسط وذلك اثنا عشر قيراطا فكان المثقال درهم ما وثلاثة أسباع درهم وقيل كان منها البغلي ثمانية دوانق والطبري أربعة دوانق والمغربي ثمانية دوانق واليميني ستة دوانق فامر عمر أن ينظر الاغلب في التعامل فكان البغلي والطبري وهما اثنا عشر دنانقا وكان الدرهم ستة دوانق وان زدت ثلاثة أسباعه كان مثقالا واذا نقصت ثلاثة أعشار المثقال كان درهمه ما فلما رأى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين الجساريين في معاملة المسلمين من الغش فعين مقدارها على هذا الذي استقر لعهد عمر رضي الله عنه واتخذ طابع الحديد واتخذ فيه كلمات لا صور الا ان العرب كان الكلام والبلاغة أقرب من منحهم وأظهرها مع ان الشرع ينهي عن الصور فلما فعل ذلك استقر بين الناس في أيام الملة كلها وكان الدينار والدرهم على شكلين مدورين والكسابة عليهم ما في دوائر متوازية يكتب فيها من أحد الوجهين أسماء الله تهللا وتحميدا واولا على النبي وآله وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة وهكذا أيام العباسيين والعبيديين والامويين وأما من حاجة فلم يتخذوا سكة الا آخر الامر اتخذها منصور صاحب بجاية ذلك ابن حماد في تاريخه ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويملا من أحد الجانبين تهللا وتحميدا ومن الجانب الآخر كتابا في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد ولقد كان المهدي فيما ينقل ينعث قبل ظهوره بصاحب الدرهم والمربع نعتة بذلك المتكلمون بالحدوثان من قبله الخبزون في ملاجهم عن دولته وأما أهل المشرق لهذا العهد فسكتهم غير مقدرة وإنما يتعاملون بالدنانير والدرهم وزنا بالصنجات المقدرة بعدة منها ولا

قبل من ظلمك ولان يكون أجرك في ضمان الله تعالى أوثق من أن يكون قبل مخلوق وايضا فان لم تعف نلت حقت بلا زيادة عليه وان عفوت كان حسنة أسديتها لأخيك والله تعالى يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وشفع الاحنف بن قيس في محبوس الى السلطان

فقال له ان كان بغير ما فالعفو يسعه وان كان بر يا فالعدل يسعه (وقيل) لبعض الكتاب بين يدي أمير المؤمنين بلغ أمير المؤمنين عنك
أمر فقال لا أبالي فقيل له ولم لا تبالي (١٥٦) قال ان صدق الناقل وسعني عفوهم وان كذب الناقل وسعني عدله ولم ادخل عينية بن

يطعون عليه بالسكة نقوش الحكامات بالتأجيل والصلاة واسم السلطان كما يفعل اهل المغرب ذلك تقدير
العزيز العليم (ولتختم الكلام) في السكة بذكر حقيقة الدرهم والدينار الشرعيين وبيان حقيقة مقدارهما
وذلك ان الدينار والدرهم مختلفا السكة في المقدار والموازين بالآفاق والامصار وسائر الاعمال والشرع
قد تعرض لذكرهما وعلق كثير من الاحكام بهما في الزكاة والانكحة والحدود وغيرهما فلا بد لهما عنده
من حقيقة ومقدار معين في تقدير تجري عليهم الاحكام دون غير الشرعي منهم ما فاعلم ان الاجماع من عند
منذ صدر الاسلام وهذا الصحابة والتابعين ان الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة من قبل من
الذهب والاوقية منه اربعين درهما وهو على هذا سبعة اعشار الدينار ووزن المنقال من الذهب ثنتان
وسبعون حبة من الشعير فالدرهم الذي هو سبعة اعشار خمسون حبة وخمسة حبة وهذه المقادير كلها ثابتة
بالاجماع فان الدرهم الجاهلي كان بينهم على انواع احودها الطبري وهو ثمانية دنانق والبغلي وهو اربعة
دنانق فعملوا الشرعي بينهم وهو ستة دنانق فكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بقلية ومائة طبرية
خمس دراهم وسطا وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك او اجماع الناس بعده عليه كما ذكرناه
ذكر ذلك الخياط في كتاب معالم السنن والمساو ردى في الاحكام السلطانية وانكره المحققون من المتأخرين
لما يلزم عليه ان يكون الدينار والدرهم الشرعيان مجعولين في عهد الصحابة ومن بعدهم مع تعاقب الحقوق
الشرعية بهما في الزكاة والانكحة والحدود وغيرهما كما ذكرناه والحق انهما كانا معلومين المقدار في ذلك
العصر لمجرى ان الاحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق وكان مقدارهما غير مشخص في الخارج
وانما كان متعارفا بينهم بالحكم الشرعي على المقدار في مقدارهما ووزنهما حتى استفحل الاسلام وعظمت
الدولة ودعت الحال الى تشخيصهما في المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة التقدير
وقارن ذلك ايام عبد الملك فمخصص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في الذهن ونقش عليهما السكة
باسمه وتاريخه اثر الشهادتين الايمانيتين وطرح النقود الجاهلية رأسا حتى خلاصت ونقش عليهما السكة
وتلاشي وجودها فهذا هو الحق الذي لا يحيد عنه ومن بعد ذلك وقع اختيار اهل السكة في الدول على
مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلفت في كل الاقطار والآفاق ورجع الناس الى تصور
مقاديرهما الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الاول وصار اهل كل اقل يستخرجون الحقوق الشرعية
من سكتهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية واما وزن الدينار باثنين وسبعين حبة من
الشعير الوسط فهو الذي نقه له المحققون وعليه الاجماع الا ان خرم خالف ذلك وزعم ان وزنه اربعة
وثمانون حبة نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق ورد المحققون وعدوه وهو غلط وهو الصحيح والله يحق
الحق بكلماته وكذلك تعلم ان الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة
باختلاف الاقطار والشرعية متحدة ذهنا لاختلاف فيها والله خلق كل شيء فقدره تقديرا

حصن على عمر بن الخطاب
قال يا ابن الخطاب والله
ما تعطينا الجزل وما تحكم
بيننا بالعدل فغضب عمر وهم
بان يوقع به فقال ابن اخيه
يا أمير المؤمنين ان الله
تعالى يقول خذ العفو وأمر
بالعرف وأعرض عن
الجاهلين وان هذا من
الجاهلين فوالله ما جاوزها
عمر حين تلاها عليه وكان
عمر واقفا عند كتاب الله تعالى
(وقال) النبي صلى الله
عليه وسلم ارجوا من في
الارض يرجوكم من في
السماء وقال ارحمهم
وكان يقال أولى الناس
بالسلطان احقهم بالرأفة
والرحمة وفي الانجيل ارفع
أهل الرحمة لانهم سيجزون
(وقال) سليمان بن داود
عليهما السلام لقد ابغض
الله المتسرعين الى اراقة
الدماء فاليهم انتهت القسوة
والغلظة والتباعد من
الرحمة ولما سمع داود
من قتل جالوت أبى عليه
وهو يومئذ عدوه وطالبه
وقال يا رب أعظم دمي في
عين أعدائي كما عظمت في
عيني دم عدوي وكذلك
خلصني من جميع المهوم
وقالت حكيماء الهند لاسودد
مع انتقام ولا سياسة مع

عزاة نقس وعجب (وقالت) الحكماء ليس الافراط في شيء اجود منه في العفو ولا هو في شيء اقبح منه في
العقوبة وكذلك التقصير مذموم في العفو محمود في العقوبة واعلم انك ان تخطئ في العقوبة في ألف قضية خير من أن تخطئ في العقوبة في

قضية واحدة (وقال) معاوية اني لارفع نفسي ان يكون ذنب أعظم من عقوى وجهه لأكبر من حلى وعورة لا يوارىها سترى (وقال)
المؤمن ليس على في الحلم مؤنة ولوددت ان أهل الجرائم علموا رايي في العقوبة ذهب (١٥٧) الخوف عنهم فتخاص لي قلوبهم

وقال رجل للصور يا امير
المؤمنين ان الانتقام
انتصاف والتجاوز فضل
والتجاوز قد جاوز حد
المنصف ونحن نعيذ امير
المؤمنين ان يرضى لنفسه
بأوكس النصيبين وان
لا يرتفع الى أعلى الدرجتين
فأعف عنا يهف الله عنك
فعفا عنهم وأشدوا

واذا بنى باع عليك بجهله
فأقله بالمعروف لا بالملك
وقال بعضهم لاسلم بن قتيبة لما
عفا عنه والله ما أدري أيها
الامير أي يوميك أشرف
أيوم ظفرت أم يوم عفت
وقال الشاعر
ما زلت في العقول للذنوب واط
لاقل جان بحرمة علق
حتى تمنى العقاة أنهم
عندك أمسوا في القيد
والخلق

ورفع الى انوشروان
ان العامة تؤنب المالك في
معاودة الصقع عن المذنبين
مع تبايعهم في الذنوب فوقهم
المذنبون مرضى ونحن اطباء
وليس معاودة الداء باهم
بما نعلم من معاودة العلاج
لهم (وقال) عمر بن عبد
العزيز رحمه الله ما قرن شيء
الى شيء أفضل من حلم الى
علم ومن عفو الى قدرة
(وقال) رجل لعبد المالك

التي تجعل في الاصبح ومنه تختم اذ البسمو يطلق على النهاية والتمام ومنه ختمت الامر اذا بلغت آخره
وختمت القرآن كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتم الامر ويطلق على السداد الذي يسد به الاواني والذنان
ويقال فيه ختام ومنه قوله تعالى ختامه مسك وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والتمام قال لان آخرها
يجدونه في شراهم ربح المسك وليس المعنى عليه وانما هو من الختام الذي هو السداد لان الخمر يجعل لها
في الدن سداد الطين او القار يحفظها ويطيب عرفها وذوقها فبولغ في وصف خمر الجنة بان سدادها من
المسك وهو أطيب عرفها وذوقها من القار والطين المعهودين في الدنيا فاذا صح اطلاق الختام على هذه كلها
صح اطلاقه على اثرها الناشئ عنها وذلك ان الختام اذا نقشت به كلمات او اشكال ثم غمست في مداف
من الطين او مداد ووضع على صفح القرماس بقي اكثر الكلمات في ذلك الصفح وكذلك اذا طبع به على
جسم لين كالشمع فانه يبقى نقش ذلك المكتوب مرتباً فيه واذا كانت كلمات وارتمت فقه ديقراً من
الجهة اليسرى اذا كان النقش على الاستقامة من اليمنى وقديرة رامن الجهة اليسرى اذا كان النقش من
الجهة اليسرى لان الختم يقرب جهة الخط في الصفح عما كان في النقش من يمن او يسار فيحتمل ان يكون
الختم بهذا الختام نفسه في المداد او الطين ووضعه على الصفح فتنتقش الكلمات فيه ويكون هذا من معنى
النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه كأن السكاب انما يتم العمل به بهذه العلامات وهو من
دونها ما يغني ليس بتمام وقد يكون هذا الختم بالخط آخر السكاب او اوله بكلمات منتظمة من تحميمه او
تسبيح او باسم السلطان او الامير او صاحب السكاب من كان او شيء من نوعه يكون ذلك الخط علامة على
صحة السكاب ونفوذه ويسمى ذلك في المتعارف علامة ويسمى ختماً تشبيهاً بالخرم الختام الاصح في
النقش ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به للخصوم أي علامته وخطه الذي ينفذهما احكامه ومنه
خاتم السلطان او الخليفة أي علامته قال الرشيد ليحيى بن خالد لما اراد ان يستوزر جعفر او يستبدل به من
الفضل اخيه فقال لا يهيم ليحيى يا ابت اني اردت ان احول الخاتم من يميني الى شمالي فكيف لي بالخاتم عن
الوزارة لما كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة لعهددهم ويشهد لصحة هذا
الاطلاق ما نقله الطبري ان معاوية ارسل الى الحسن عند مرادته اياه في الصلح صحيفة بيضاء ختمت على
أسفلها وكتب اليه ان اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك ومعنى الختم هنا علامة
في آخر الصحيفة بخطه او غيره ويحتمل ان يختم به في جسم لين فتنتقش فيه حروفه يجعل على موضع الخزم
من السكاب اذا خرم وعلى المودوعات وهو من السداد كما مر وهو في الوجهين آثار الخاتم فيطابق عليه خاتم
واول من اطلق الختم على السكاب أي العلامة معاوية لانه امر لعمر بن الزبير عند زياد بالكوفة بمائة الف
دفن السكاب وصير المائة مائتين ورفع زياد حسابه فذكرها معاوية وطلب بها عمر وحده حتى قضاهما
عنه أخوه عبد الله واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبري وقال آخره وخزم السكاب ولم تكن
تخزم أي جعل لها السداد وديوان الختم عبارة عن السكاب القائم على انفاذ كتب السلطان والختم عليها
اما بالعلامة او بالخرم وقد يطلق الديوان على مكان جالس هو لاء السكاب كما ذكرنا في ديوان الاعمال
والخزم للسكاب يكون اما بدس الورق كما في عرف كتاب المغرب واما بالصلق رأس الصحيفة على ما تنطوى
عليه من السكاب كما في عرف اهل المشرق وقد يجعل على مكان الدس او الاصلق علامة يؤمن معها من
فوتحه والاطلاع على ما فيه فاهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع ويختمون عليها بخاتم
نقشت فيه علامة لذلك فيرسم النقش في الشمع وكان في المشرق في الدول القديمة يختم على مكان الاصلق

ابن مروان لما ظفر بالمهلب ما رايت أحداً يا امير المؤمنين ظلم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك (وقال)
مستدع لعداوة اولياء المذنب والعاني مستدع لشكرهم أو مكافأتهم أيام قدرتهم ولا ينشئ عليك باتساع الصدر خير من أن تنسب الى

ضيقه واقالة العثرة موجبة اقالة عثرته من ربك وعقوبك عن الناس موصول بعقوبك وعقابك موصول بعقاب الله تعالى لك
والله يحب العاقين (وقال) المنصور (١٥٨) عقوبة الاحرار التعريض وعقوبة الاشرا التصريح (وقال) المأمون لما رأيت الذنوب

بجائهم منقوش أيضا قد غس في مداف من الطين معد لذلك صبغه احمر فير تسم ذلك النقش عليه وكان
هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بطين الحتم وكان يحجب من سيراف فيظهر أنه مخصوص بها فهذا
الحاتم الذي هو العلامة المكتوبة او النقش للسلطان والخدم للكتب خاص بديوان الرسائل وكان ذلك
للوزير في الدولة العباسية ثم اختلف العرف وصار ان اليه الترسل وديوان الكتب في الدولة ثم صاروا
في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشاراته الحاتم للاصبع فيستعيدون صوغه من الذهب
ويرصونه بالفصوص من المياقوت والقيز زوج والمرزوي يلبسه السلطان شارة في عرفهم كما كانت
البردة والقضيب في الدولة العباسية والمظلة في الدولة العبيدية والله مصرف الامور بحكمه

(المرار) من ابهة الملك والسلطان ومذهب الدول ان ترسم اسماءهم وعلامات تختص بهم في طراز
اثوابهم المعدة للباسهم من الحرير او الدياج او الابريسم تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب الحماوس يدى
تخط الذهب او ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصانع في تقدير
ذلك ووضعه في صناعة نسجهم قصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصدا للثوب به بلاسهم من
السلطان فن دونه او الثوب به من يختصه السلطان بملبوسه اذا قصد تشريفه بذلك او لانيه لوظيفة من
وظائف دولته وكان ملوك العجم من قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك واشكالهم او
اشكال وصور معينة لذلك ثم اعتاض ملوك الاسلام عن ذلك بكتب اسمائهم مع كلمات اخرى تجرى
مجرى القال او السجلات وكان ذلك في الدولتين من ابهة الامور وانغم الاحوال وكانت الدول والمدة
لنسيج اثوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز لذلك وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ينظر
في امور الصياغ والآلة والحكمة فيها واجراء راقهم وتسهيل آلائهم ومشاركة اعمالهم وكانوا يقلدون
ذلك الخواص دولتهم وثقات مواليهم وكذلك كان الحال في دولة بني امية بالاندلس والطوائف من بعدهم
وفي دولة العبيديين بمصر ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالشرق ثم لما ضاق نطاق الدول عن
الترف والتفنن فيه اضيق نطاقها في الاستيلاء بعدت الدول تعطلت هذه الوظيفة والولاية عليهم من اكثر
الدول بالجملة * ولما جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بني امية اول المائة السادسة ولم يأخذوا بذلك اول
دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة والسذاجة التي لقنوها عن امامهم محمد بن تومرت المهدي وكانوا
يتودعون عن لباس الحرير والذهب فسقطت هذه الوظيفة من دولتهم واستدرك منها اعقابهم آخر الدولة
طرقا لم يكن بتلك النبيلة واما هذا العهد فادركنا بالمغرب في الدولة المرينية لعنفواتها وشموخها رسمها جليلا
لقنوه من دولة ابن الاجر معاصريهم بالاندلس واتبع هو في ذلك ملوك الطوائف فاقى منه بلمحة شاهدة
بالاثر * واما دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد فقيه من الطرز تحريرا آخر على مقدار ما حكمهم وعمران
بلادهم الا ان ذلك لا يصنع في دورهم وقصورهم وليست من وظائف دولتهم وانما يندرج ما يطلبه الدولة
من ذلك عند صناعه من الحرير ومن الذهب الخالص ويعونه المزركش لفضة اعجمية ويرسم اسم
السلطان او الامير عليه ويعد الصانع لهم فيما يعدونه للدولة من طرف الصناعة اللائقة بها والله مقدر
الليل والنهار والله خير الوارئين

(القساطيط والسياح)

اعلم ان من شارات الملك وترفه اتخاذ الاخيمية والقساطيط والغازات من ثياب الككان والصوف والقطن
يجدل الككان والقطن فيما هي بها في الاسفار وتنوع منها الالوان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة في

جاءت عن الحجازة بالعقاب
جعلت العقاب فيها عوا
أمضى من الضرب للرقاب
وقال الاخنف لا تزال العرب
بينة الفضل عالم تعد
العقوض وما البذل سرفا
وفي الحكمة اذا انتهمت
فقد انتصفت واذا عقت
فقد انتصفت (وقال) بعض
الحكام اقبل العذوان
كان مصنوعا الا ان يكون
من اوجبت المروعة قطيعته
او يكون في قبولك عذره
تشجيعه على المسكر وه او
عونه على الشرفان قبولك
للعذرفيه اشتراك في المنكر
(ولما دخل) الفيل دمشق
حشر الناس لرؤيته
وصعد معاوية الى عالية
له متطعا فيمنها وكذلك
اذ نظر في بعض الحجرى
قصره رجلا مع بعض حرمه
فأتى الحجرى ودق الباب
فلم يكن من فتحه بدفوقعت
عينه على الرجل فقال
يا هذا انى قصرى وتحت
جناحى تهتك حرى وأنت
في قبضتى ما جلت على
ذلك فهت الرجل وقال
حلمك أو فعنى قال له معاوية
فان عقت عنك تسترها
على قال نعم فخلى سبيله
وهذا من الدهاء العظيم
والحلم الواسع أن يطلب
الستر من الجاني وهو عروض قول الشاعر اذا مرضنا اتيناكم نعودكم • وتذنبون فنأنيكم فنعتمد

الثروة

(وأنى موسى الهادى) برجل قد حنى فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده فقال اعتذارى عما تقرر عني به رد عليك واقارارى بما ذكركه ذنب

ولكني أقول فان كنت ترجو في العقوبة راحة فلا تزدن عند المعافاة في الاجر فامر باطلاقة (وقال المهلب) لاشئ أبقي للملك من العقوفان الملك اذا وثقت رعيته منه بحسن العقولم يوحشها الذنب وان عظم (١٥٩) وان خشيت منه العقوبة أوحشها الذنب

وان صغر حتى يضطره ذلك الى المعصية ومن الحكمة البالغة في مثل هذا قول سابور و قد جمع أولاده فقال يا بني ان عجزك ان تأتوا بلوب الرعية حبا فاملأوها خوفا وليس ذلك بان تحمل العقوبة على من لا يستحقها ولكن تعجيلها لمن يستحقها وفي هذا المعنى قال الله تعالى فشردهم من خلفهم وهذا معنى لا يتخلل عما أوجبهناه وهو معنى قول سابور ولا يخالف ما قررنا من حسن العقوب بل هذا محمول على الواجب المستحق أو على ما تفرق أغراضه كون أمثاله فهنا يكون العقوب مفسدة فيا إليها المعاقب اذا لقت على مذنب عقوبة فلا تكن كالمثشي المتلذذ بعذابه لانك واياء اخوان لاب وأم آدم وحواء لم تفضل به و لك وقوتك بل بما فضلك الله به تطولا عليك فاذا كرت في مقامه وكان في مقامك ولا تأمن تغلب الدهر فتقوم مقامه بين يدي من لا يرحم ولا ينظر في العواقب واحذر التفریط والتقصير واقم نفسك مذنباً أقم للعقوبة وليكن عقابك مقدراً كما

الثروة واليسار وانما يكون الامر في أول الدولة في بيوتهم التي جرت عادتهم باتخاذها قبل الملك وكان العرب لعهد الخلفاء الاولين من بني امية انما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياما من الوبر والصوف ولم تزل العرب لذلك العهد يادين الا الاقل منهم فكانت أسفارهم لغزو واتهم وحرروهم بظعونهم وسائر حلالهم واحياهم من الاهل والولد كما هو شأن العرب لهذا العهد وكانت عساكرهم لذلك كثيرة الحبل بعيدة ما بين المنازل متفرقة الاحياء يغيب كل واحد منهم عن نظار صاحبه من الاخرى كشأن العرب ولذلك ما كان عبد الملك يحتاج الى ساقية تحشد الناس على اثره ان يقوموا اذا ظعن ونقل انه استعمل في ذلك الحجاج حين اشار به روح بن زباع وقصته ان في احراق فساطيط روح وخيامه لا قبل ولايته حين وجدهم مقيمين في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة ومن هذه الولاية تعرف رتبة الحجاج بين العرب فانه لا يتولى ارادتهم على الظعن الا من يأمن بوادئ السهائم من احيائهم بماله من العصبية الحائلة دون ذلك ولذلك اختصه عبد الملك بهذه الرتبة ثقة بغيره فيها بعصيته وصرامته فلما تقننت الدولة العربية في مذاهب الحضارة والبدخ ونزلوا المدن والامصار وانما لو امن سكنى الخيام الى سكنى القصور ومن ظهر الخنف الى ظهر الحافر اتخذوا للسكنى في اسفارهم ثياب السكك يستعملون منها بيوتاً مختلفة الاشكال مقدرة الامثال من القورا والمسطبة والمربعة ويحتملون فيها بابلغ مذاهب الاحتفال والزينة وتويدر الامير والقائد للعساكر على فساطيطه وفازاته من بينهم سياجاً من السكك يسمى في المغرب بلسان البربر الذي هو لسان اهل افراك بالسكاف التي بين السكاف والقاف ويختص به السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره واما في المشرق فيخذ كل امير وان كان دون السلطان ثم جئمت الدعة بالنساء والولدان الى المقام بقصورهم ومنزلهم فخف لذلك ظهروهم وتقاربت الساحبين منازل العسكر واجتمع الجيش والسلطان في معسكر واحد يحصره البصر في بسيطة زهواً تيق بالاختلاف ألوانه واستمر الحال على ذلك في مذاهب الدول في بذخها وترتها وكذا كانت دولة الموحدين وزناته التي اطلنا كان سفرهم اول أمرهم في بيوت سككهم قبل الملك من الخيام والقيام حتى اذا اخذت الدولة في مذاهب الترف وسكنى القصور عادوا الى سكنى الاخيمة والفساطيط وبلغوا من ذلك فوق ما ارادوه وهو من الترف بمكان الا ان العساكر به تصير عرضة للبيات لاجتماعهم في مكان واحد تشبه لهم فيه الصيحة ولحففتهم من الاهل والولد الذين تكون الاستماتة دونهم فيحتاج في ذلك الى تحفظ آخر والله القوي العزيز

*) (المقصورة للصلاة والدعاء في الخطة)

وهما من الامور الخلافية ومن شارات الملك الاسلامي ولم يعرف في غير دول الاسلام فاما البيت المقصورة من المسجد لصلاة السلطان فيخذس ما جاعلى الحراب فيحوزه وما يلبه ما قول من اتخذها معاوية بن ابي سفيان حين طعنه الخارجي والقصة معروفة وقيل اول من اتخذها امر وان بن الحكم حين طعنه الجاني ثم اتخذها الخلفاء من بعدهم واصارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة وهي انما تحدث عند حصول الترف في الدول والاستفحال شأن احوال الابهة كلها وما زال الشأن ذلك في الدول الاسلامية كلها وعند افتراق الدولة العباسية وتعدد الدول بالشرق وكذا بالاندلس عندئذ راض الدولة الاموية وتعددم لوك الطوائف وأما المغرب فكان بنو الاغلب يتخذونها بالقبير وان ثم الخلفاء العبيديون ثم ولاتهم على المغرب من صنهاجة بنو باديس بفاس وبنو حسان بالقلعة ثم ملك الموحدون سائر المغرب والاندلس ومحو ذلك الرسم على طريقة البداة التي كانت شعابهم ولما

كان عطاؤك مقدراً وليكن عقابك للثقوم لا للانقام ولزجر لا للهوى وعن هذا قال بنو رجهم لا ينبغي للملك ان يكرهوا احداً به وان من ليس له وان أهلاً ولا ان يهينوا احداً باكرام من ليس له كرامة أهلاً لا تسكن على الاساءة أقوى منك على الاحسان ولا على البخل أسرع

منك الى البذل قال الشاعر صفوح عن الاجرام حتى كانه * من العقول يعرف من الناس مجرما فليس يبالي ان يكون به الاذى *
 اذا ما الاذى بالكره لم يغش مسلما (١٦٠) (وقال سليمان بن داود) عليهم السلام التمكنيل والعقوبة امنية الملك الشري

استعملت الدولة واخذت بحظها من الترف وجاء ابو يعقوب المنصور ثالث ملوكهم فاتخذ هذه المقصورة
 وبقيت من بعده سنة ملوك المغرب والاندلس وهكذا كان الشأن في سائر الدول سنة الله في عبادته *
 (واما الدعاء على المنابر) في الخطبة فكان الشأن اولا عند الخلفاء ولاية الصلاة بأنفسهم فكانوا ايدعون
 لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضاعن أصحابه وأول من اتخذ المنبر عمرو بن العاصي لما
 بنى جامع مصر وأول من دعا للخليفة على المنبر ابن عباس دعا على رضى الله عنهم في خطبته وهو بالبصرة
 عامل له عليها فقال اللهم انصر عليا على الحق واتصل العمل على ذلك فيما بعد وبعدها أخذ عمرو بن العاصي
 المنبر بلغ عمر بن الخطاب ذلك فكتب اليه عمر بن الخطاب اما بعد فقد بلغني انك اتخذت منبراً ترقى به على
 رقاب المسلمين او ما يكفيك ان تكون قائماً والمسلمون تحت عقبك فعزمت عليك الاما كسرتة فلما حدثت
 الابهة وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة والصلاة استنابوا فيهما فكان الخطيب شبيد كرا الخليفة
 على المنبر تنوياً باسمه ودعاه له بما جعل الله مصلحة العالم فيه ولان تلك الساعة مظنة للاجابة وما نبت
 عن السلف في قولهم من كانت له دعوة صالحة فليضعها في الساطن وكان الخليفة يقر بذلك فلما جاء
 الحبحر والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثير ما يشاركون الخليفة في ذلك ويشاد باسمهم عقب اسمه
 وذهب ذلك بذهاب تلك الدول وصار الامر الى اختصاص السلطان بالدعاء له على المنبر دون من سواه
 وحظر ان يشاركه فيه احد او يسعوا اليه وكثير ما يغفل الماهدون من اهل الدول هذا الرسم عند
 ما تكون الدولة في أسلوب الغضاضة ومناحي البداءة في التغافل والخشونة ويقنعون بالدعاء على الابهام
 والاجمال لمن ولي امور المسلمين ويسعون مثل هذه الخطبة اذا كانت على هذا المنحى عباسية يعنون
 بذلك ان الدعاء على الاجال انما يتناول العباسي تقليداً في ذلك للسلف من الامر ولا يحفلون بما وراء
 ذلك من تعيينه والتصريح باسمه ■ يحكي أن يغم راسن بن زيان ماهد دولة بني عبد الواد لما غلبه الامير
 ابو زكريا يحيى بن أبي حفص على تلمسان ثم بدله في اعادة الامر اليه على شروط شرطها كان فيها ذكر اسمه
 على منابر عمله فقال يغم راسن تلك اعودهم يذكرون عليها من شأوا وكذلك يعقوب بن عبد الحق ماهد
 دولة بني مرين حضره رسول المستنصر الخليفة بتونس من بني أبي حفص وثالث ملوكهم وتختلف بعض
 أمانه عن شهود الحجة فقيل له لم يحضر هذا الرسول كراهية لخلاوة الخطبة من ذكر سلطانه فأذن في الدعاء له
 وكان ذلك سبباً لاختلافهم بدعوتهم وهكذا شأن الدول في بدايتها وتتم في الغضاضة والبداءة فاذا
 انتهت عيون سياستهم ونظروا في اعطاف ملكهم واستمواشيات الحضارة ومعاني البذخ والابهة انتحلوا
 جميع هذه السمات وتغنوا فيها وتجاروا الى غايتها وانفوا من المشاركة فيها وخرجوا من افتقارها واخلوا
 دولتهم من آثارها والعالم بستان والله على كل شيء رقيب

٣٨ * (فصل في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها) *

اعلم ان الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليفة منذ اراه الله وأصلها ارادة انتقام بعض البشر من
 بعض ويتعصب لكل منها اهل عصيته فاذا تدارموا ذلك وتوافقوا طائفتان احدهما تطلب الانتقام
 والاخرى تدافع كانت الحرب وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه امه ولا جيل وسبب هذا الانتقام
 في الاكثر اغيرة ومنافسة واما عدوان واما غضب لله ولدينه واما غضب للملك وسعي في تمهيد هذه فالاول
 أكثر ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة والثاني وهو العدوان أكثر ما يكون من الامم
 الوحشية الساكنين بالفقر كالعرب والترك والتركان والاكراد واسباهم لانهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم

وعلى مثله يبعث الله ملكا
 غير رحيم وقال معاوية لا
 ينبغي للملك ان يظهر منه
 غضب أو رضا الاثواب
 أو عقاب وقال اردشير فضل
 الملك على السوق اغا
 وبه قدرته على اقتناء
 الخادم واستفادة المكارم
 فكلمه استكثر منها بان
 فضيلته واستحقاقه لموضع
 من الولاية عليهم وكلما
 نقص منهم ما قرب من
 السوق (وقال المأمون)
 اني لاجد لمقوى لذة أعظم
 من لذة الانتقام واعلم انه
 اذا عاقب الملك أو اهان
 على ظن بغير يقين أدخل
 على نفسه من قبح الخطا في
 الراى أعظم مما أدخل على
 صاحبه من العقوبة وقال
 عمر بن الخطاب رضى الله
 عنه الغالب بالشر مغلوب
 وما خلفه من ظفر بالاثم
 (وقيل) لا فلا طون أى
 شئ من أفعال الناس يشبه
 أفعال الله تعالى فقال
 الاحسان الى الناس وقال
 الحكيم الخليل فدام السفيه
 والعقور كاهة العقل وقال
 الحكيم السديد الذى لا
 يشين حسن الظفر بقب
 الانتقام وخير مناقب
 الملوك العفو وكان يحيى
 ابن معاذ يقول سبحان من

أذل العبد بالذنب وأذل الذنب بالعفو والهي ان عفوت فغير راحم وان عذبت فغير ظالم الهي ان كنت
 لا ترضى الا عن اهل طاعتك فكيف يصنع الخاطئون وان كان لا ير جوك الا اهل وفائك فمن يستغيث المستغيثون وقال الشاعر
 ومعاشهم

وان الله ذو حلم وايدى غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذنه بالحرب ولا بغية لهم فبما وراء ذلك من رتبة
على قال فان معي كتاب امير المؤمنين ان لا تأخذ في بذنب أخى قال هاته قال ان معي أو كدمنه (١٦١) قال الله تعالى ولا تزرز وازرة

وزر أخرى فتعجب من
جوابه وخلي سبيله ولما
وفد عقيل بن أبى طالب
على معاوية أمر له بمائة
ألف درهم فلما أراد
الانصراف رأى في الطريق
جارية باربعين ألف
درهم فرجع الى
معاوية فأخبره قال وما
تصنع بها قال تلدى
غلاما فان أغضبتني
يضرب مفرقك بالسيف
فأمر له بها فابتاعها فولدت
له مسلم بن عقيل ثم قدم
مسلم الشام فابتاع منه
معاوية بضعة فبلغ الحسين
ابن على الخبر فكتب الى
معاوية قاتلى لأخي يزيد
مسلم فارسل معاوية الى
مسلم فقال هذا كتاب الحسين
يأمر برد المال فقال مسلم
أما دون ان أضرب
مفرقك بالسيف فلا
فصاح معاوية وقال والله
لقد تددتني أبوك بذلك
قبل ان يشترى أمك
وسوغه المال فقال الحسين
غلبنا معاوية حبلنا وجودا
*(الباب السابع والعشرون
في المشاورة والنصيحة)*
وهذا الباب مما يعده
الحكام من أساس
المملكة وقواعد السلطنة
ويقتصر عليه الرئيس
والرؤس وقد ذكرناه في

ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذنه بالحرب ولا بغية لهم فبما وراء ذلك من رتبة
ولا مال وأما همهم ونصيب أعينهم غالب الناس على ما في أيديهم والثالث هو المسمى في الشريعة بالجهاد
والرابع هو حروب الدول مع الخارجين عليها والمائتين لاطاعتها هذه أربعة أصناف من الحروب الصنفان
الأولان منها حروب بني وقتنة والصنفان الآخران حروب جهاد وعدل وصفة الحروب الواقعة بين الخليفة
منذ أول وجودهم على نوعين نوع بالزحف صفة وفانوع بالكر والفرما الذي بالزحف فهو قتال العجم
كاهم على تعاقب أجيالهم وأما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب و قتال الزحف
أوثق وأشد من قتال الكر والفر وذلك لان قتال الزحف ترتب فيه الصعوف وتسوى كما تسوى القداح
أوصوفة الصلابة ويمشون بصعوفهم الى العدو وقدما فلذلك تكون اثبت عند المصارع واصدق في القتال
وأرهب للعدو لانه كالخيل الممتدة والقصر المشيد لا يطعم في ازالته وفي التنزيل ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص اي يشد بعضهم بعضا بالثبات وفي الحديث الكر يم المؤمن للمؤمن
كالبنين يشد بعضهم بعضا ومن هنا يظهر لك حكمة ايجاب الثبات وتحريم التولي في الزحف فان المقصود
من الصف في القتال حفظ النظام كما قلناه فنولى العدو وظهوره فقد أدخل بالمصاف وباعا ثم الهزيمة ان وقعت
وصار كانه جرها على المسلمين وأمكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم المفسدة وتعذيبهم الى الدين بخرق
سماحه فعد من الكبار ويظهر من هذه الأدلة ان قتال الزحف اشد عند الشارح وأما قتال الكر والفر
فليس فيه من الشدة والالام من الهزيمة ما في قتال الزحف الا أنهم قد يتخذون وراءهم في القتال مصافا
ثابتا يلجئون اليه في الكر والفر يقوم لهم مقام قتال الزحف كما نذكره بعد ثم ان الدول القديمة الكثيرة
الجنود المتسعة الممالك كانوا يسمعون الجيوش والعسا كرا أقساما يسمونها كرايس ويسوون في كل
كر دوس صفوفه وسبب ذلك انه لما كثرت جنودهم الكثيرة البالغة وحشدوا من قاصية النواحي استدعى
ذلك ان يجعل بعضهم بعضا اذا اختلطوا في مجال الحرب واعتور وامن عدوهم الطعن والضرب فيخشى من
تدافعهم فيما بينهم لاجل النسكر او جعل بعضهم بعضا فلذلك كانوا يسمعون العسا كرا جو عاو يضعون
المتعارفين بعضهم لبعض يرتبونها قريبا من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ورئيس العسا كرا كلها
من سلطان او قائد في القلب ويسعون هذا الترتيب التعبية وهو مذكور في اخبار فارس والروم والدولتين
صدرا لاسلام فيجعلون بين يدي المالك عسا كرا منقردا بصعوفه متميزة بالثبات ورأيه وشعاره ويسمونه المقدمة
ثم عسا كرا من ناحية العين عن موقف الملك وعلى سمته يسعون الميزة ثم عسا كرا من ناحية الشمال
كذلك يسعون الميزة ثم عسا كرا من وراء العسا كرا يسعون الساقة ويقف الملك وأصحابه في الوسط بين
هذه الاربع ويسعون موقفه القلب فاذا تم لهم هذا الترتيب المحكم اما في مدى واحد للبصر أو على مسافة
بعيدة أكثرها اليوم واليوم ان بين كل عسا كرا منها وكيفية ما اعطاه حال العسا كرا في القلة والكثرة
فيتميز يكون الزحف من بعد هذه التعبية وانظر ذلك في اخبار الفتوحات واخبار الدولتين بالشرق وكيف
كانت العسا كرا لعهد عبد الملك تتخلف عن وجهه له بعد المدى في التعبية فاحتيج لمن يسوقها من خلفه
وعين لذلك الحاجب بن يوسف كما أشرنا اليه وكما هو معروف في أخباره وكان في الدولة الاموية بالاندلس
أيضا كثير منه وهو مجهول فيما لدينا نالما ادر كناد ولا قليلا العسا كرا لا تنهى في مجال الحرب الى
التنا كرا بل أكثر الجيوش من الطائفتين معايجهم لدينا حله أو مدينة ويعرف كل واحد منهم قرنه
يناديه في حومة الحرب باسمه ولقبه فاستغنى عن تلك التعبية

(٢١ - ابن خلدون) باب الخصال الفرقاتية ونذكره هنا فوائدها ومحاسنها العلماء المستشير وان كان أفضل رأيا من المشير فانه يزداد
برأيه رأيا كما تزداد النار بالسلط ضوءا فلا يقدح في روعك انك اذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأي غيرك فيمنعك

ذلك عن المشاورة فانك لا ترى الرأي للفخر به ولكن للانتفاع به فان أردت الذكرك انظر لذكرك واحسن عند ذوى الالباب لسياستك ان يقولوا لا ينقد برأيه دون ذوى الرأي (١٦٢) من اخوانه ولا يمنعك عزك على انقاذ رايك وظهور صوابه لك عن الاستشارة

الأتري ان ابراهيم عليه السلام أمر بذيبح ابنه عزمة لامشورة فيها فحملة حسن الادب وعلمه بموقعه في النفوس على الاستشارة فيه فقال فيه يا بني انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ما اذترى وهذا من أحسن ما يرسم فى هذا الباب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الرأى الفرد كالخطيط السحيل والرايان كالخيطين والثلاثة الاكابر لا تكاد تنقطع ويروى ان روميا وفارسيا تفاخرا فقال الفارسي نحن لانملك علينا من يشاور وقال الرومي ونحن لانملك علينا من لا يشاور وقال بزرجمهر اذا أشكل الرأى على المحازم كان بمنزلة من أضل أولؤة فجمع ماحد ولمسقطها فالتصاف وجدها كذلك المحازم يجمع وجوه الرأى فى الامر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى يخلص له الصواب (وكان) يقال من كثرت استشارته جدت امارته وفى حكم المندقال بعض الملوك ان الملك المحازم يزداد برأى الوزراء المحزمة كما يزداد البحر بمواده من الانهار وينال بالحزم والرأى ما لا يناله بالقوة

(فصل) ومن مذاهب أهل السكرو والفرفى المحروب ضرب المصاف وراءه سكرهم من الجهادات والحموات الجهم فيخذونها لمجالس الخباله فى كرمهم وفرفهم يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون ادم للحرب وأقرب الى الغلب وقد يفعله أهل الزحف أيضا ليزيدهم ثباتا وشدة فقد كان الفرس وهم أهل الزحف يتخذون القيد لفة فى المحروب ويحملون عليها أبراجا من الخشب أمثال الصروح مشكونة بالمقاتلة والسلاح والرايات ويصفونها وراءهم فى حومة الحرب كأنهم حصون فتقوى بذلك نفوسهم ويزدادون ثقتهم وانظر ما وقع من ذلك فى القادسية وأن فارس فى اليوم الثالث اشتدوا بها على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فضاطوهم وبعجوها بالسيفوف على خراطينها ففقرت ونكصت على اعقابها الى عرابها بالمداش فجعلهم عسكر فارس لذلك وانهمزموا فى اليوم الرابع * وأما الروم وملوك القوط بالاندلس وأكثر العجم فكانوا يتخذون لذلك الاسرة ينصبون للباب سريره فى حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته وجنوده من هو زعيم بالاستماتة دونه وترفع الرايات فى أركان السرى ويحشدون به ساج آخر من الرماة والرجال فيعظم هيكل السرى ويصير فئة للمقاتلة وللمجالس والفرو جعل ذلك الفرس أيام القادسية وكان رستم جالسا فيها على سريره نصبه لمجوسه حتى اختلقت صفوف فارس وخاطبه العرب فى سريره ذلك فتحول عنه الى القرأت وقتل وأما أهل السكرو والفر من العرب وأكثر الامم البدوية الرحالة فيصقون لذلك ابائهم والنظر الذى يحمل طعنا عنهم فيكون فئة لهم ويسعونها المجبوزة وليس امعة من الامم الا وهى تفعل ذلك فى حروبها وتراه اوثنى فى الجولة وآمن من الغرة والمزيع وهو أمره شاهد وقد اغفلته الدول لعهدنا بالجولة واعتاضوا عنه بانظهم الحامل للثقال (١) والفساطيط يحملونها ساقفة من خلفهم ولا تغنى غناء الفيلة والابل فصارت العساكر بذلك عرضة للهزائم ومستشعرة للقرادى المواقف وكان الحرب أول الاسلام كله زحفا وكان العرب انما يعرفون السكرو والفر لكن جعلهم على ذلك أول الاسلام امران احدهما ان عدوهم كانوا يقاتلون زحفا فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم الثانى انهم كانوا مسميتين فى جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رسخ فيهم من الايمان والزحف الى الاستماتة أقرب ■ وأول من أبطل الصف فى المحروب وصار الى النعبية كراديس مروان بن الحكم فى قتال الضحاك الخارجى والحجبي يرى بعده قال الطبرى لما ذكر قتال الحجبرى فولى الخوارج عليهم شييمان بن عبد العزيز الشكرى وبلغب أبا الدلفاء وقاتلهم مروان بعد ذلك بالسكرو اديس وأبطل الصف من يومئذ انتمسى فتتوسى قتال الزحف بأبطل الصف ثم تنوسى الصف وراء المقاتلة بما داخل الدول من الترف وذلك أنها حينما كانت بدوية وسكنهاهم الخيام كانوا يستكثرون من الابل وسكنى النساء والولدان معهم فى الاحياء فلما حصلوا على ترف المالك والفواسكى القصور والحواضر وتركوأشأن البادية والقرنوسو ذلك عهد الابل والظعائن وصعب عليهم اتخاذها فخلقوا النساء فى الاسفار وجعلهم المالك والزحف على اتخاذ الفساطيط والاخبية فاقصر وعلى الظهر الحامل للثقال والابنية وكان ذلك صفقتهم فى الحرب ولا يغنى كل الغناء لانه لا يدعوا الى الاستماتة كما يدعوا اليها الامل والمال فيخفف الصبر من أجل ذلك وتصرفهم الهبعت وتختم صفوفهم

(فصل) ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العساكر وتما كده فى قتال السكرو والفر صار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الافرنج فيجندهم واخصوا بذلك لان قتال أهل وطنهم كما بالسكر والفر والسلاطون (١) قوله للثقال والابنية مراده بالابنية الخيام كما يدل له قوله فى فصل الخندق الا ترى قريبا اذ انزلوا وضربوا ابنتهم اه

والجند ولم تزل خزمة الرجال يستحلون مرائر قول النحعاء كما يستحل الجاهل المساعدة على الهوى وقال المأمون يتأكد لظاهر بن الحسين صف لي أخلاق الخلو ع يعنى أخاه الامين فقال كان واسع الصدر ضيق الادب ينتج من نفسه ماتا بأباهم هم الاحزاب

لا مضغيا الى نصيحة ولا يقبل مشورة يستدير اية فيرى سوء عاقبته فلا يردعه ذلك عما بهم به قال فكيف حروبه قال يحج مع الكنايب
بالتبذير ويقرها بسوء التدبير فقال المؤمنون لذلك ما حل محله أما والله لو ذاق (١٦٣) لذادة النصائح واختار مشورة الرجال

وملك نفسه عند شهوتها
ما ظفر به وقال بعضهم انفاذ
الملوك الامور بغير روية
كالعبادة بغير نية ولم تزل
العقلاء على اختلاف
آرائهم يشهدون الغيوب
ويستشرون صواب الرأي
من كل أحد حتى الامعة
الوعك هذا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول رحم
الله امرأه اهدى الى عيولي
وكان يقال من أعطى
أربعا لم يمنع أربعا من
أعطى الشكر لم يمنع المزيد
ومن أعطى التوبة لم يمنع
القبول ومن أعطى
الاستخارة لم يمنع الخيرة
ومن أعطى المشورة لم يمنع
الصواب وقال بعضهم خير
الرأي خير من فطيره وتأخير
خير من تقديمه (وذكر
صاحب كتاب التاج ان
بعض ملوك العجم استشار
وزراء فقال أحدهم لا
ينبغي للملك ان يستشير منا
أحد الا بالخلافه أموت
السروا خرم في الرأي وأحذر
للسلامة واعني لبعضنا من
غائلة البعض وكان بعض
ملوك العجم اذا شاور
مراذبه فقصر وافي الرأي
دعا الموكلين بازقاهم
فعاقبهم فيقولون تخطئ
مراذبتك وتعاقبنا فيقول

يتأكد في حقه ضرب المصاف ليكون رد المقاتلة امامه فلا بد وأن يكون أهـل ذلك الصف من قوم
متعودين للثبات في الزحف والاحفـ لوا على طريقة أهل السـكـر والفر فانهزم السلطان والعساكر باحـفالهم
فاحتاج الملوك بالمغرب أن يتخذوا جنـدا من هذه الامة المتعودـة للثبات في الزحف وهم الافرنج ويرتـون
مصافهم المحـرق بهم منها هذا على ما فيه من الاستعانة بأهل الكفر وانما استغفوا ذلك للضرورة التي أربنا كها
من تخوف الاحـفال على مصاف السلطان والافرنج لا يعرفون غـير الثبات في ذلك لان عادتـهم في القتال
الزحف فكانوا أقوم بذلك من غيرهم مع أن الملوك في المغرب انما يفعلون ذلك عند الحرب مع أمم العرب
والبربر وقتالهم على الطاعة وأما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذرا من عمالائهم على المسلمين هـذا هو
الواقع بالمغرب لهذا العهد وقد أبدى ناس فيه والله بكل شئ عليم

(فصل) بلغنا أن أمم الترك لهذا العهد قتالهم مناضلة بأنسها م وأن تعبئة الحرب عندهم بالمصاف وانهم
يقسمون بثلاثة صفوف يضربون صفوا وراصف ويترجلون عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين أيديهم
ثم يتناضلون جلوسا وكل صف رده الذي امامه أن يكسهم العدو الى أن يتبها النصر لاحدى الطائفتين
على الاخرى وهي تعبئة محكمة غريبة

(فصل) وكان من مذاهب الاول في حروبهم حـقـر الخنادق على سـكـرهم عند ما يمتدقون للزحف حذرا
من معرفة البيات والمجـوم على العسـكـر بالليل لما في ظلمته ووحشته من مضاعفة الخوف فيلـوذ الجيـش
بالفرار وتجدد النفوس في الظلمة سـير من عارده فاذا تساوى في ذلك أرحف العسـكـر وقعت المزيمة فكانوا
لذلك يحتفرون الخنادق على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا أسيبتهم ويديرـون الحفائر نطاقا عليهم من جميع
جهااتهم حرصا ان يخاطبهم العدو بالبيات فيتخاذلوا وكانت للدول في أمثال مذاق وقوة عليه اقتدارا باحتشاد
الرجال وجمع الأيدي عليه في كل منزل من منازلهم بما كانوا عليه من وفور العمران وضخامة المال فلما
خرب العمران وتبعه ضعف الدول وقلة الجنود وعدم الفعلة نسي هـذا الشأن جملة كما لم يكن والله خير
القادرين وانظر وصية على رضي الله عنه وتحرر فضله لصاحبه يوم صفين تجد كثيرا من علم الحرب ولم يكن
أحد أبصر به امنه قال في كلام له فسو واصل فوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع وأخروا الحاسر
وعضوا على الاضراس فانه أنبى للسيوف عن الهام والتواء على اطراف الرماح فانه أصون للاسنة وغضوا
الابصار فانه أربط للجاش وأسكن للقلوب واخفوا الاصوات فانه أطرد للـقـش وأولى بالوقار وأقيموا راياتكم
فلا تليقوها ولا تجمعوها الا بأيدي شجعانكم واسـتـعينوا بالصـدق والصبر فانه بقدر الصبر ينزل النصر وقال
الاستر يومئذ يحرض الازدعضوا على التواجد من الاضراس واستقبلوا القوم بها مكوشـدوا وشدة قوم
موتورين يثارون بآبائهم واخوانهم حنقا على عدوهم وقد وطنوا على الموت أنفسهم هم لئلا يسـجـقوا بوتر
ولا يلحقهم في الدنيا عار وقد أشار الى كثير من ذلك أبو بكر الصـديـق في شاعر متونة وأهل الاندلس في كلمة
يـدجـجها تاشفين بن علي بن يوسف ويصف ثباته في حربـشـهدا ويذكره بامور الحرب في وصايا
وتحذيرات تنبهك على معرفة كثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا أيها المـلـك الذي يتقنع ■ من منكم الملك الهام الاروع
ومن الذي غدر العدو به دجى * فانقض كل وهو لا يتزعزع
تمضي الفوارس والطعان يصدها * عنه ويدمرها الوفاء فترجع
والليل من وضع الترائك انه * صبح على هام الجيوش يلع

نعم لم يخطوا الاتعاق قلوبهم بارزاقهم واذا هتموا اخطوا وكانوا اذا اهتموا بماشاوره جعل بعثوا اليه بقوة وقوت عماله لستمه لم يفرغ
لـهـ وكان يقال النفس اذا حرزت قوتها اطمانت واذا شاورت فاصدق الخبر صدقت المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك

وقال بعض ملوك العجم لا يمنعك شدة بأسك في باطنك ولا علمك مكانك في نفسك من ان تجمع الى رأيك رأي غيرك فان احدثت احببت وان اخطأت عذرت فان في ذلك (١٦٤) خصالا منها ان وافق رأيك رأي غيرك ازداد رأيك شدة عندك وان خالفه عرضته

على نظرك فان رأيته معتمدا لما رأيته قبلته وان رأيته متصفا بالاستغنى عنه وتجد بذلك النصيحة بمن شاؤوه وان اخطأت وتمحض لك مودته وان قصر ولو لم يكن من فضيلة المشاورة الا انك ان اصدته مستبدا سلمت فائدة الاصابة بالاسنة الحسنة وقال قائل هذا اتفاق ولو فعل كذا لكان احسن واذا شاورت فاصدت اجمدا لجماعة رأيك لانهم لنفوسهم يحمدون وان اخطأت جل الجماعة خطأك لانهم عن نفوسهم يكافون واعلم ان القول الغليظ يستمع لفضل عاقبته كما يتكلمه شرب الدواء المر لفضل مغبته (وقال اعرابي) ما عثرت قط حتى عثر قومي قالوا وكيف ذلك قال لا افعل شيئا حتى اساورهم (وقيل) لرجل من بني عيس ما كثر صوابكم يا بني عيس فقال نحن ألف رجل وفيها حازم واحد ونحن نطعمه فكأننا ألف حازم وكان ابن هبيرة امير البصرة يقول اللهم اني أعوذ بك من محبة من غايته خاصة نفسه والخطاط في هوى مستشيره (وفي حكم الهند) من التمس من الاخوان

أنى فزعتهم يا بني صنهاجة * واليكم وفي الروع كان المفرع
انسان عيين لم يصعبه منكم * حضن وقلب أسلمته الاضلع
وصددمو عن تاشقين وانه * له قايه لوشاء فيكم موضع
ما انتمو الا أسود خفية * كل لكل كريهه مسقطع
يا تاشقين أقم لجيشك عذره * بالليل والغد الذي لا يدفع
(ومنها في سياسة الحرب)

اهدبك من أدب السياسة ما به * كانت ملوك الفرس قبل ان تولع
لا تني ادري بهالكها * ذكرى تحض المؤمنين وتنفع
والدس من الحماق المضاعفة التي * وصي بها صنع الصنائع تبع
والهندواني الرقيق فانه * امضى على حد الدلاص واقطع
واركب من الخيل السوابق عدة * حصنا حصينا ليس فيه مدفع
خندق عليك اذا ضربت بحلة * سيان تتبع ظافرا أو تتبع
والواء لا تبعه وانزل عنده * بين العدو وبين جيشك يقطع
واجعل مناجرة الجيوش عشية * ووراءك الصدق الذي هو امنع
واذا تضايقت الجيوش رك * ضحك فاطراف الرماح توسع
واصدمه اول وهلة لا تكترث * شيئا فظهار الذكول يضعضع
واجعل من الطلاع اهل شهامة * للصدق فيهم شعة لا تخدع
لا تسمع الكذاب جاءك مرجقا * لا رأي لك كذاب فيما يصنع

قوله واصدمه اول وهلة لا تكترث البتة مخافا لعل عليه الناس في أمر الحرب فقد قال عمر لابي عبيد بن مسعود النقة في لما ولا حرب فارس والعراق فقال له اسمع وأطع من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم واسرهم في الامر ولا تجيب بن مسعود حتى تبين فانها الحرب ولا يصلح لها الا الرجل المكث الذي يعرف الفرصة والكف وقال له في أخرى انه ان ينبغي ان أوامر سبطا الاسرعة في الحرب وفي التمرع في الحرب الاعن بيان ضبايع والله لولا ذلك لامرته لكن الحرب لا يصلحها الا الرجل المكث هذا كلام عمر وهو شاهد بان المناقاة في الحرب اولى من الخوف حتى يبين حال تلك الحرب وذلك عكس ما قاله الصبر في الا ان يريد ان الصدم بعد البيان فله وجهه والله تعالى اعلم

(فصل) ولا وثوق في الحرب بالظفر وان حصلت أسبابه من العدة والعديد وانما الظفر فيها والغلب من قبيل البخت والاتفاق وبيان ذلك ان أسباب الغلب في الاكثر محبة من أمور ظاهرة وهي الجيوش وفورها وكمال الاسلحة واستجابتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف ومنه صدق القتال وما جرى مجرى ذلك ومن أمور خفية وهي امان خدع البشر وحيلهم في الارطاف والتشايخ التي يقع بها التخذيل وفي التقدم الى الاماكن المرتفعة ليكون الحرب من أعلى قيمة وهم المنخفض لذلك وفي الكرمون في الغياض ومطمئن الارض والتواري بالكدي عن العدو حتى يتدولهم العسكر دفعة وقد تورطوا فيمنهمون الى النجاة وأمثال ذلك واما ان تكون تلك الأسباب الخفية أمور اسموية لا قدرة للبشر على اكتسابها تليق في القلوب فيستولى الرعب عليهم لاجلها فتختل مراكزهم فتقع الهزيمة أو أكثر ما تقع الهزائم عن هذه

الرخصة عند المشورة ومن اطباء عند المرض ومن القهواء عند الشبه أخطأ الرأي وازداد مرضا وجل الوزر وقالت الحكماء الاسباب لا تشاور مع لما ولا راى غم ولا كثير القعود مع الناس ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا ولا من برهقه أحد السبيلين وقالوا لا رأي

لخافن ولا لحازق ولا لحاقب ولا تشاور من لا دقيق عنه ولا حازق هو الذي ضغطه الخفق الضيق والحقاب هو الذي يجد في بطنه ثقلا وقالوا من شكالى عاجز أعزّه وعزّه وأمدّه من جرعه (ومن لطيف ماجرى في الاستشارة) (١٦٥) ان زياد بن عبيد الله الحارثي استشار

عبيد الله بن عمر في أخيه
أبي بكر ان يوليّه القضاء
فاشار به فبعث الى أبي بكر
فامتنع عليه فبعث زياد
الى عبيد الله يستعين على
أبي بكر فقال أبو بكر لعبيد
الله أنشدك الله أتري الى
القضاء قال اللهم لا قال زياد
سبحان الله استشرتك
فاشرت على به ثم اسمعتك
تنهاه فقال أيها الأمير
استشرتني فاجتهدت لك
الرأى ونصحتك ونصحت
للمسلمين واسـتشارني
فاجتهدت له رأى ونصحت
(وروى ان الحجاج)
بعث الى المهلب يستعجله
حرب الازارقة فكتب
اليه المهلب ان من البلاء
ان يكون الرأى لمن يملكه
دون من لا يبصره
(فصل في النصيحة)
اعلموا ان النصيحة للمسلمين
والخلائق أجمعين من سنن
المرسلين قال الله تعالى
اخبروا عن نوح عليه السلام
ولا تنفك عنكم نصحي ان أردت
ان أنصحنكم ان كان الله
يريد أن يغويكم وقال
شعب عليه السلام ونصحت
لكم فكيف آسى على قوم
كافرين ونصحت لكم
ولكن لا تحبون النصيحة
وقال عليه السلام ان العبد

الاسباب الخفية لكثرة ما يعقل لكل واحد من القرية من فيها حرصا على الغلب فلا بد من وقوع
التأثير في ذلك لاحدهما ضرورة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم الحرب خدعة ومن أمثال العرب
رب حيلة أنفع من قبيلة فقتلتهين أن وقوع الغلب في الحرب وغالبها عن أسبـاب خفية غير ظاهرة
ووقوع الاشياء عن الاسباب الخفية هو معنى البحث كما تقرر في موضعه فاعتبره وتفهم من وقوع
الغلب من الامور السـموية ككثرة حنائه معنى قوله صلى الله عليه وسلم لم نصرت بالرعب مسيرة شهر
وما وقع من غلبه للمشركين في حياته بالهدد القليل وغلب المسلمين من بعده كذلك في الفتوحات
فان الله سبحانه وتعالى تكفل لبيده بالقضاء الرعب في قلوب الكافرين حتى يستولى على قلوبهم فيهمزمو
معجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم فكان الرعب في قلوبهم سبباً للزائم في الفتوحات الاسلامية كلها الا
انه خفي عن العيون وقد ذكر الطرطوشي ان من اسـباب الغلب في الحروب ان تفضل عدة القـرسان
المشاهير من الشجعان في أحد الجانبين على عدتهم في الجانب الآخر مثل ان يكون أحد الجانبين فيه عشرة
أو عشرون من الشجعان المشاهير وفي الجانب الآخر ثمانية أو ستة عشر فالجانب الزائد ولو بواحد
يكون له الغلب وأعاد في ذلك وأبدى وهو راجع الى الاسباب الظاهرة التي قد مدنا وليس بصحح وانما
الصحيح المعتبر في الغلب حال العصبية ان يكون في أحد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب
الآخر عصاب متعددة لان العصاب اذا كانت متعددة تقع بينهما من التخاذل ما يقع في الواحدان
المتفرقين الفاقدين للعصبية اذ تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصابته متعددة
لا يقاوم الجانب الذي عصبية واحدة لاجل ذلك فنقهمه واءـلم انه اصحح في الاعتبار عما ذهب اليه
الطرطوشي ولم يحمله على ذلك الانسيان شأن العصبية في حلة وبلدة وانهم انما يرون ذلك الدفاع والحماية
والمطالبة الى الواحدان والجماعة الناشئة عنهم لا يعتبرون في ذلك عصبية ولا نسباً وقد بينا ذلك أول الكتاب
مع ان هذا وأمثاله على تقدير صحته انما هو من الاسباب الظاهرة مثل اتفاق الجيش في العدة وصديق
القتال وكثرة الأسلحة وما أشبهها فكيف يجعل ذلك كقيل بالغالـب ونحن قد قررنا لك الآن ان شيئاً منها
لا يعارض الاسباب الخفية من الحبل والمخادع ولا الامور السـموية من الرعب والمخذلان الالهى فافهمه
وتفهم أحوال السكون والله مقدر الليل والنهار

(فصل) ويالحق بمعنى الغلب في الحرب وبان اسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل ان
تصادف موضعها في أحد من طبقات الناس من الملوك والعلماء والصلحاء والمختلين للفضائل على
العموم وكثير من اشتهر بالشـر وهو بخلافه وكثير من تجاوزت عنه الشهرة وهو أحق بها وأهلها وقد
تصادف موضعها وتكون طبقة على صاحبها والسبب في ذلك ان الشهرة والصيت انما هما بابا الاخبار
والاخبار يدخلها الذهول عن المقاصد عند التناقل ويدخلها التعصب والتشيع ويدخلها الاوهام
ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للاحوال الخفائية بالتأليس والتصنع أو لجهل الناقل ويدخلها التقرب
لاصحاب النجاة والمراتب الدنيوية بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واسـاعة الذكـر بذلك والنقوس مولعة
بحب الثناء والناس متطاولون الى الدنيا واسبابها من جاه وثرثرة وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل
ولا منافسين في اهلها وابن مطابقة الحق مع هذه كلها فتختل الشهرة عن اسباب خفية من هذه وتكون غير
مطابقة وكل ما حصل بسبب خفي فهو الذي يعبر عنه بالبحث كما تقرر والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

(فصل في الجباية وسبب قتلها وكثرتها) ٣٩

اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين (وروى) ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة قيل لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين واعامتهم فانصح في الجملة فعل الشيء الذي به الصلاح

ودفع الملامة مأخوذة من النصيحة وهي السلوك التي يخاطبها وتصغيرها نصيحة تقول العرب هذا قص منصوص أي مخيط ونصحتهم
إذا خمتهم ويختلف النصيح في الأشياء (١٦٦) لاختلاف الأشياء فالنصيح لله وهو وصفه بما هو أهله وتزيره بما ليس بأهل له عقد أو قولا

والقيام بتعظيمه والخضوع
له ظاهر أو باطن والرغبة
في محابه والتباعد من
مساخطه وموالاة من اطاعه
ومعاداة من عصاه والجهاد
في رد العصاة إلى طاعته
قولا وفعلا وإرادة بث جميع
ما ذكرناه في عبادته والنصيحة
لكتابته إقامته في التلاوة
وتحسينه عند القراءة وتفهيم
ما فيه واستعماله والذب
عنه من تأويل المجرمين
وطعن الطاعنين وتعليم
ما فيه للخلائق أجمعين قال
الله تعالى كتاب أنزلناه
إليك مبارك ليدبروا آياته
وليتذكروا الآيات
والنصيحة للرسول عليه
السلام موازته ونصرته
والحماية من دونه حيا
وميتا وأحياء سنة بالطلب
وأحياء طريقتيه في بث
الدعوة وتأليف الحكمة
والتخفيف بالأخلاق الطاهرة
والنصيحة للأئمة معاوتهم
على ما تكلفوا القيام
به في تنبيههم عند الغفلة
وإرشادهم عند الهفوة
وتعليمهم ما جهلوا
وتحذيرهم عن يديهم
السوء وإعلامهم بالأخلاق
الحسنة وسيرهم في الرعية
وسد خللهم عند الحاجة
ونصرتهم في جمع الحكمة

اعلم أن الحماية أول الدولة تكون قليلة الزرائع كثيرة الجملة وأخر الدولة تكون كثيرة الزرائع قليلة
الجملة والسبب في ذلك أن الدولة كانت على سنن الدين فليست إلا المغارم الشرعية من الصدقات
والخراج والخزينة وهي قليلة الزرائع لأن مقادير الزكاة من المال قليل كما علمت وكذا زكاة الحبوب
والماشية وكذا الخزينة والخراج وجميع المغارم الشرعية وهي حدود لا تتعدى وإن كانت على سنن
الغلب والعصية فلا بد من البدأة في أولها كما تقدمت وبدءت بتعظيم المساحة والمكرامة وخفض
الجناح والتجافي عن أموال الناس والغفلة عن تحصيل ذلك إلا في الضرورة لئلا يكون مقادير الوظيفة
الواحدة والوزيرة التي تجمع الأموال من مجموعها وإذا قلت الزرائع والوظائف في الرعايا نشطوا للعمل
ورغبوا فيه فيكثر الاعتماد ويتزايد محصول الغنم بما به لا المعرم وإذا كثرت الاعتماد كثرت أعداد تلك
الوظائف والزرائع فكثرت الحماية التي هي جملتها فإذا استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها واحدا
بعد واحد واتصفوا بالكسب وذهب شر البدأة والسذاجة وخلعها من الأغصان والتجافي وجاء الملوك
العضوض والحضارة الداعية إلى الكسب وتخلت أهل الدولة حينئذ بخلق التخلت وتكثرت عوائدهم
وحوائجهم بسبب ما انفسوا فيه من النعيم والترفع فكثرت الوظائف والزرائع حينئذ على الرعايا والأكرة
والفلاحين وسائر أهل المغارم ويزيدون في كل وظيفة ووزيرة مقدار عظيم التكاليف الجباية ويضعون
المكوس على المبيعات وفي الأبواب كما نذكر بعد ثم تدرج الزيادة في مقدار المقادير بدولة تدرج
عوائد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والانفاق بسببه حتى تنقل المغارم على الرعايا وتمضم وتضيق عادة
مفروضة لأن تلك الزيادة تدرجت قليلا قليلا ولم يشعر أحد من زادها على النعمين ولا من هو واضعها
انما ثبتت على الرعايا في الاعتماد لذهاب الأمل من نفوسهم بقلة النفع إذا قابل بين نفعه ومغارمه وبين
ثمرته وفائدته فتنبه بعض كثير من الأيدي عن الاعتماد جلة فتتقصص جلة الجباية حينئذ بتقصص تلك
الزرائع منها وربما يزيدون في مقدار الوظائف إذا رأوا ذلك التقتص في الحماية ويحسبون أنه برا لما تقتص
حتى تنتهي كل وظيفة ووزيرة إلى غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة لكثرة الانفاق حينئذ في الاعتماد
وكثرة المغارم وعدم وفاء الفائدة المرجوة به فلا تزال الجملة في نقص ومقدار الزرائع والوظائف في زيادة
لما يعتدونه من جبر الجملة بها إلى أن ينتقص العمران بذهاب الأموال من الاعتماد ويعود وبالذات
على الدولة لأن فائدة الاعتماد ما عادت إليها وإذا قدمت ذلك علمت أن أقوى الأسباب في الاعتماد تقليل
مقدار الوظائف على المنة من مأمورين بذلك تنشط النفوس إليه لثقتهم بأبدانك المنفعة فيه والله
سبحانه وتعالى مالك الأمور كلها وبيده ملكوت كل شيء

٤٠ * (فصل في ضرب المكوس وأواخر الدولة) *

اعلم أن الدولة تكون في أولها بدوية كما قلناه فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائدها
فيكون خرجها وانفاقها قليلا فيكون في الحماية حينئذ وفاء بما يدينها بل يفضل منها كثير عن حاجاتهم
ثم لا يلبث أن تأخذ من الحضارة في الترف وعوائدها وتجري على نهج الدول السابقة قبلها فيكثر لذلك
خراج أهل الدولة ويكثر خراج الساطن خصوصا كثرة باعته بنفقته في خاصته وكثرة عطائه ولا تنفي بذلك
الحماية فتحتاج الدولة إلى الزيادة في الحماية لما تحتاج إليه الحماية من العطاء والساتن من النفقة فيزيد
في مقدار الوظائف والزرائع أولا كما قلناه ثم يزيد الخراج والحاجات والتدريج في عوائد الترف وفي العطاء
للحماية ويدرك الدولة الهرم وتضعف عصابها عن جباية الأموال من الأعمال والقاصية فتقل الجباية

عليهم ورد القلوب الغافرة إليهم والنصح بمجاعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرجة

وتكثرت

لصغيرهم وتفرج كبرهم ودعوتهم إلى ما بسعدهم وتوقى ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم ومن النصيحة للمسلمين رفع

مؤنة نفسه بدنه وحوائجهم (قال الاضحى) لفظ عمر بن الخطاب رضى الله عنه نواة من الطريق فامسكها بيده حتى مر بدار قوم فالتقاها في الدار وقال يا كاهن اخرجهم والنصح لجميع الملل ان يحب اسلامهم ويدعوهم الى الايمان (١٦٧) بالقول ويحذرهم سوء مغبة الكفر

وبالسيف ان كان ذالسلطان
او يكفوا عن قتال المسلمين
فيكونوا ذمة والا فالقتل نصحا
لاقامة امره فيهم (وروى
معاذ) ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ثلاث لا يغفل
عليهن قلب مسلم العمل
لله ومناجاة ولاة الامر
والاعتصام بحمالة المسلمين

فان دعوتهم تحيط من
ورائهم وقال جابر بن
عبد الله بايعت النبي صلى
الله عليه وسلم على السمع
والطاعة فلقنتني فيما
استطعت والنصح لكل
مسلم (وروى) انس
ان النبي عليه السلام قال
لا يؤمن أحدكم حتى يحب
لاخيه ما يحب لنفسه
وقال أبو الدرداء العزم
يلغى البر والفاجر والحكمة
ينطق بها البر والفاجر
والنصيحة لله تعالى لا تشبهت
الا في قلوب المتقين الذين
صحت عقولهم وصدقت
نياتهم واعلم ان جرعة
النصيحة مرة لا يقبلها الا
اولو العزم وكان عمر بن
الخطاب رحمه الله يقول
رحم الله امرأ أهدى الى
عبوبى وقال ميمون
ابن مهران قال لى عمر بن
عبد العزيز رحمه الله
قل لى فى وجهى ما أكره

وتكثر العوائد ويكثر بكثرتها أرزاق الجند وعطاؤهم فيستحدث صاحب الدولة أنواعا من الجباية
يضر بها على البياعات ويفرض لها قدرا معلوما على الاثمان في الاسواق وعلى أعيان السلع في أموال
المدينة وهو مع هذا مضطر للمساعدة اليه ترف الناس من كثرة العطاء مع زيادة الجيوش والحامية
وربما يزيد ذلك في أواخر الدولة زيادة بالغة فتكسد الاسواق لغساد المال ويؤذن ذلك باختلال
المران ويعود على الدولة ولا يزال ذلك يترايد الى أن تضجحل وقد كان وقع منه بامصار المشرق في آخريات
الدولة العباسية والعبيدية كثير وفرضت الغارم حتى على الحاج في الموسم واسقط صلاح الدين أيوب تلك
الرسوم جملة وأغاضها بآثار الخمر وكذلك وقع بالاندلس لعهد الطوائف حتى محارمه يوسف بن تاشفين
امير المرابطين وكذلك وقع بامصار الحمر يد باقر بقة لهذا العهد حين استبد بهار رؤساؤها والله تعالى أعلم

٤١ ﴿فصل في ان التجارة من السلطان مضره بالرعايا مفسدة للجباية﴾

اعلم ان الدولة اذا ضاقت جبايتها بما قد منه من الترف وكثرة العوائد والتنفقات وقصر الحاصل من
جبايتها على الوفاء بحاجاتها ونفقاتها واحتاجت الى مزيد المال والجباية فتارة توضع المكوس على
بياعات الرعايا واسواقهم كما قدمنا ذلك في الفصل قبله وتارة بالزيادة في القاب المكوس ان كان قد
استحدث من قبل وتارة بتقسامة الاعمال والجباية وامتنكك اعطاءهم ما يرون أنهم قد حصلوا على شئ طائل
من اموال الجباية لا يظهره الحساب وتارة باستحداث التجارة والفلاح للسلطان على تسمية الجباية لما
يرون التجار والفلاحين يحصلون على الفوائد والغلات مع يسارة اموالهم وان الارباح تكون على نسبة
رؤس الاموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله في شراء البضائع والتعرض بها لمحوالة
الاسواق ويحسبون ذلك من ادرار الجباية وتكثر القوائد وهو غلط عظيم وادخال الضرر على الرعايا
من وجوه متعددة فالامضايقه الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسير اسباب ذلك فان
الرعايا متكافئون في اليسار متقاربون ومزاجية بعضهم بعضا تنتهي الى غاية موجودهم او تقرب واذا
رافقهم السلطان في ذلك وماله أعظم كثير منهم فلا يكاد أحد منهم يحصل على غرضه في شئ من حاجاته
ويدخل على النفوس من ذلك غم ونكد ثم ان السلطان قد يتزعج الكثير من ذلك اذا تعرض له غضا
او بأسر عن أولي الجند من يناسقه في شرائه فيخس منه على بائعه ثم اذا حصل فوائد الفلاحه ومغلها كله
من زرع أو حرير أو عسل أو غير ذلك من انواع الغلات وحصلت بضائع التجارة من سائر الانواع
فلا يتفكرون به حوالة الاسواق ولا تناف البياعات لما يدعوه اليه تكاليف الدولة فيكافون اهل تلك
الاصناف من تاجر أو فلاح بشراء تلك البضائع ولا يرضون في اثمانها الا القيم وأزيد فيستوعبون في ذلك
ناض اموالهم وتبقى تلك البضائع بأيديهم عروضا جامدة ويمكثون عطلا من الادارة التي فيها كسبهم
ومعاشهم وربما تدعوهم الضرورة الى شئ من المال فيبيعون تلك السلع على كساد من الاسواق بانخس
من وربما يتكرر ذلك على التاجر والفلاح منهم مما يذهب رأس ماله فيقع مدعن سوقه ويتعدد ذلك
ويتكرر ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقه وفساد الارباح ما يقبض آملهم عن السعي في ذلك
جملة ويؤدي الى فساد الجباية فان معظم الجباية انما هي من الفلاحين والتجار لا سيما بعد وضع المكوس
وتنموا الجباية بها فاذا انقبض الفلاحون عن الفلاحه تعددت التجار عن التجارة ذهبت الجباية جملة او دخلها
النقص المتفاحش واذا قايس السلطان بين ما يحصل له من الجباية وبين هذه الارباح القليلة وجددها
بالنسبة الى الجباية أقل من القليل ثم انه ولو كان مفيدا فيذهب له بحظ عظيم من الجباية فيعيا عانيه من

فان الرجل لا ينصح أحاه حتى يقول له في وجهه ما يكره وقال مالك النصيحة لله في أرضه هي التي بعث الله بها أنبياءه ومن أمر الاسلام
القصد والنصيحة لعماد الله في أمورهم والنفوس مستقلة لانزع نافرة عن أهله ومائلة الى ما وافق هواها (وفي منثور الحكم) وذلك من

نحفل وقلنا من مشى في هواك وكان يقال أخوك من احتمل أنقل نصيحتك وقال بعضهم شعرا عرضت نصيحة مني لزيد
 فقال غششتني والنصح مر (١٦٨) ومالي أن أكون نصحت زيدا * وزيد طاهر الاثواب بر ولكن قد أتاني أن زيدا

يقال عليه في مغناه شعر
 فقلت له تجنب كل شيء
 يقال عليك أن الحر حر
 * (وقال آخر)
 وعلى النصوح نصيحتي
 وعلى عصيان النصوح
 * (وللقطامي شعر)
 ومعصية الشفيق عليك مما
 تزيذك مرة منه استماعا
 وخير الامر ما استقبلت منه
 وليس بان تتبعه اتباعا
 * (ولورقة بن نوفل)
 لقد نصحت لا قوام وقلت لهم
 أنا النذير فلا يغركم أحد
 لا شيء مما ترى تبقى بشاشته
 الا لاله ويودي المال
 والولد

لم تنعن عن هرير يوم آخرائه
 والحسد قد حاولت عاد
 فما خلدوا
 قال ابن وهب انما يحسن
 الاختيار لغيره من يحسن
 الاختيار لنفسه ولا خير لك
 فحين لا خير له في نفسه
 وقالت العلماء ان ينصحك
 امرؤ لا ينصح نفسه (وقال
 بعضهم) رأي ورأيك في
 المعرفة امثل لنفسك من
 رأيك لانه خلون هواك
 وقال أبو الدرداء ان شئت
 لا ننصح لكم ان احب
 عباد الله الى الله الذين
 يحبون الله الى عباده
 ويعملون في الارض

شراء او بيع فانه من البعيد أن يوجد فيه من المكس ولو كان غيره في تلك الصفقات لكان تكسبها
 كلها حاصلا من جهة الجباية ثم فيه التعرض لاهل عمرانه واختلال الدولة بقسادهم ونقصه فان الرعايا
 اذا قعدوا عن تسمير أموالهم بالفلاحة والتجارة نقصت وتلاشت بالنقصات وكان فيها تلاف أحوالهم فافهم
 ذلك وكان الفرس لا يملكون عليهم الأمن اهل بيت المملوك ثم يختارونه من اهل الفضل والدين
 والادب والسخاء والشجاعة والكرم ثم يشترطون عليه مع ذلك العدل وان لا يتخذ صنعة فيضر بحريته
 ولا يتاجر فيجب غلاء الاسعار في البضائع وأن لا يستخدم العبيد فانهم لا يشيرون بخير ولا مصلحة ■ واعلم
 ان السلطان لا ينمي ماله ولا يدوم جوده الا بالجباية وادارها انما يكون بالعدل في اهل الاموال
 والنظر لهم بذلك فبذلك تنبسط أموالهم وتنشرح صدورهم لاخذ في تسمير الاموال وتنميتهما فتنمها
 جباية السلطان وأما غير ذلك من تجارة او فسخ فانه مضر عاجلة للرعايا وفساد للجباية ونقص للجماعة
 وقد انتهى الحال بهؤلاء المستلخين للتجارة والافلاحة من الامراء والمتغلبين في البلدان انهم يتعرضون
 لشراء الغلات والسلع من اربابها الواردين على بلدهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاؤون ويبيعونها في
 وقتها لمن تحت أيديهم من الرعايا بما يفرضون من الثمن وهذه أشد من الاولى واقرب الى فساد الرعية
 واختلال احوالهم وربما يحمل السلطان على ذلك من يداخله من هذه الاصناف أعني التجار والفلاحين
 لما هي صناعاته التي نشأ عليها فيحمل السلطان على ذلك ويضرب معه بسهم لنفسه ليحصل على غرضه من
 جمع المال سريع عاسي ما يحصل له من التجارة بلا مغرم ولا مكس فانها أجدد بنحو الاموال وأسرع في تسميره
 ولا يفهم ما يدخل على السلطان من الضر وينقص جبايته فيبغى للسلطان أن يحد من هؤلاء ويعرض
 عن سعاتهم المضره بجبايته وسلطانهم والله يلهمنا رشداً نقسنا وينقنا بالصالح الاعمال والله تعالى اعلم

٤٢ * (فصل في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة)

والسبب في ذلك ان الجباية في اول الدولة تنوزع على اهل القبيل والعصبة بمقدار غنائمهم وعصبيتهم
 ولان الحاجة اليهم في تهديد الدولة كما قلناه من قبل فرئيسهم في ذلك متجاف لهم عما يسمون اليه من الجباية
 معتماض عن ذلك بما هو يروم من الاستبداد عليهم فله عليهم عزه وله اليهم حاجة فلا يطير في سهمه من
 الجباية الا الاقل من حاجته فتجد حاشيته لذلك وأذياله من الوزراء والكباب والموالي مملعين في الغالب
 وجاههم متقلص لانه من جاه مخدومهم ونطاق قد ضاق بمن يزاجه فيه من اهل عصبيته فاذا استنفذت
 طبيعة الملك وحصل لصاحب الدولة الاستبداد على قومه قبض أيديهم عن الجبايات الا ما يطير لهم بين
 الناس في سهمانهم وتقل حظوظهم اذ ذاك لقلته غنائمهم في الدولة بما انكسب من أعتهم وصاروا الى
 والصناعات مساهمين لهم في القيام بالدولة وتمهيد الامر فينقر دصاحب الدولة حينئذ بالجباية او معظمها
 ويحتوى على الاموال ويحتجها بالنقصات في مهمات الاحوال فتكثر ثروته وتمتلئ خزائنه ويتسع نطاق
 جاهه ويعتز على سائر قومه فيعظم حال حاشيته وذويه من وزراء وكاتب وحاجب ومولى وشرطي ويتسع
 جاههم ويقتنون الاموال ويثابرونها ثم اذا أخذت الدولة في الهرم بتلاشي العصبة وفناء القبيل المساهدين
 للدولة احتاج صاحب الامر حينئذ الى الاعوان والانصار لكثرة الخوارج والمنازعين والثوار وقوتهم
 الانتقاص فصار خراجهم لظهوره وأعوانه وهم ارباب السوف واهل العصبيات وانفق خزائنه وحاصله في
 مهمات الدولة وقلت مع ذلك الجباية لما قدمناه من كثرة العطاء والانفاق فيقتل الخراج وتشتد حاجة
 الدولة الى المال فيقتل ظل النعمة والترف عن الخواص والمحباب والكباب بتقلص الجاه عنهم وضييق

نطاقه

نحاور روى ان رجلا لطم ابراهيم بن ادهم فرفع رأسه الى السماء وقال الهى ان كنت

تشيئني وتعاقبه فلا تشيئني ولا تعاقبه * (ومن الخصال التي تجرى بحري الجبال والسمك الحلم) * (الباب الثامن والعشرون في الحلم)

قال الله تعالى ان ابراهيم الحليم اواه منيب وقال تعالى فاصنع الصنيع الحليم (قال) على رضى الله عنه الصنيع الحليم الرضا بالاعتاب وقيل الصنيع الحليم الرضا بالتوبخ فيه ولا حقد معه وفي الامثال القديمة كذا الحليم أن يكون نبيا (١٦٩) (ويروى) أن رجلا قال يا رسول الله

علمني كلمات أعيش بهن ولا يكثرن علي فأنسى قال لا تغضب واعلم ان الحلم أشرف الاخلاق وأحقها بذوى الالباب لما فيه من راحة السر واجتلاب الحمد وأحق الناس به السلطان لانه منصوب لا قامه او الخلائق وممارسة أخلاقهم ولا يطيقون به في حال سلمهم وانما يغشون بابيه حين تنازعهم وخصوماتهم وشروهم وتكدر نفوسهم وضيق أخلاقهم فان لم يكن معه حلم يرد به بوادهم والواقع تحت عبء ثقل وكان أنوشروا ن ذاحلم وأناة وكان يقو ل في خصم لسان لولائهم ما ظاهرتان عند الرعية اضقت بهما ذرعا الحلم والاناة (وروى) ان يحيى ابن زكريا قال لعيسى بن مريم عليهم السلام فقال يا روح الله اخبرني بأشد الاشياء في الدارين قال غضب الله تعالى قال يا روح الله وما ينبغي من غضب الله تعالى قال ترك الغضب قال يا روح الله كيف بدو الغضب قال العز و التكبير والفخر على الناس وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وجبت

نطاقه على صاحب الدولة ثم تشتد حاجة صاحب الدولة الى المال وتنشأ البطانة والحاشية ما تأتله آباؤهم من الاموال في غير سبلها من اعانة صاحب الدولة ويقبلون على غير ما كان عليه آباؤهم وسلفهم من المناجحة ويرى صاحب الدولة أنه أحق بتلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلفه وبجواهرهم فيصطلحها ويتزعمها منهم لنفسه شيئا فشيئا وواحد بعد واحد على نسبة رتبتهم وتذكر الدولة لهم ويعود وبال ذلك على الدولة بغناه حاشيتها ورجالها وأهل الثروة والنعمة من بطانتها ويتقوض بذلك كثير من مبادئ الجدي بعد أن يدعمه اهله ويرفعوه وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية في بني قحطبة وبني برمك وبني سهل وبني طاهر وأمثالهم ثم في الدولة الاموية بالاندلس عند انحلالها أيام الطوائف في بني شهيد وبني أبي عمدة وبني حدير وبني برد وأمثالهم وكذا في الدولة التي أدركناها العهد ناسنة الله التي قد دخلت في عبادته (فصل) ولما يتوقعه أهل الدولة من أمثال هذه المعاطب صار الكثير منهم ينزعون الى القرار عن الرتب والتخلص من رتبة السلطان بما حصل في ايديهم من مال الدولة الى قطر آخر يرون أنه أهنأ لهم وأسلم في انقافه وحصول ثمرته وهو من الاغلاط الفاحشة والاولهام المفسدة لاجوالهم وديارهم واعلم ان الخلاص من ذلك بعد الحصول فيه عسير عمتنع فان صاحب هذا الغرض اذا كان هو الملك نفسه فلا تمكنه الرعية من ذلك بطريقة عين ولا أهل العصبية المزاجون له بل في ظهور ذلك منه هدم الملكة واتلاف لنفسه بجاري العادة بذلك لان رتبة الملك يعسر الخلاص منها سيما عند استحصال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض فيها من البعد عن الجدد والخلال والتخليق بالشر وأما اذا كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان وحاشيته وأهل الرتب في دولته فقل أن يخلى بينه وبين ذلك أما أولا فلما يراه الملوك أن ذويهم وحاشيتهم بل وسائر رعاياهم ممالئك لهم مظهرين على ذات صدورهم فلا يسهون بحل رتبته من الخدمة ضا بآسارهم وأحوالهم أن يطاع عليها احد وغيره من خدمته لسواهم ولقد كان بنو أمية بالاندلس يمنعون أهل دولتهم من السفر لفرقة الحج لما يتوهمونه من وقوعهم بأيدي بني العباس فلم يحج سائر أيامهم احد من أهل دولتهم وما أبيع الحج لاهل الدول من الاندلس الا بعد فراغ شأن الاموية ورجوعها الى الطوائف وأما ثانيا فلأنهم وان سمحوا بحل رتبته هو فلا يسمعون بالتحاق في عن ذلك المال لما يرون أنه جزء من مالهم كما يرون أنه جزء من دولتهم اذ لم يكتسب الا بها وفي ظل جاهها فتقوم نفوسهم على انتزاع ذلك المال والتفاهه كما هو جزء من الدولة ينتفعون به ثم اذا توهم انه ان خلع ذلك المال الى قطر آخر هو في النادر الاقل فتتد اليه أعين الملوك بذلك القطرو ينتزعونه بالارهاب والتخويف تعريضا أو بالتهرظ اهرها لما يرون أنه مال الحماية والدول وأنه مستحق للانفاق في المصالح واذا كانت أعينهم تمتد الى أهل الثروة واليسار المتكسبين من وجوه المعاش فأحرى بها أن تمتد الى أموال الحماية والدول التي تحمد السبيل اليه بالشرع والعادة ولقد حاول السلطان أبو يحيى زكريا بن أحمد اللخمي تاسع اوعاشر ملوك الحفصيين بافريقية الخروج عن عهدة الملك والحقاق بمصر فرار من طلب صاحب الثغور الغريبة لما استجمع لغزو تونس فاستعمل الخيافي الرحلة الى تغرط ابا بس يورى بتهميده وركب السفين من هنالك وخلص الى الاسكندرية بعد أن حمل جميع ما وجد به بيت المال من الصامت والذخيرة وبا ع كل ما كان بخزائنها من المتاع والعقار والجوهر حتى الكتب واحتمل ذلك كله الى مصر ونزل على الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة سبع وعشرة من المائة الثامنة فأكرم نزله ورفع مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيرته شيئا فشيئا بالتعريض الى أن حصل عليها ولم يبق معاش ابن الخيافي الا في جرابته التي فرض له الى أن هلك سنة ثمان وعشرين

(٢٢ - ابن خلدون) بحمد الله تعالى على من أغضب فلم والذي يحمل ان يضرب في هذا الباب قصة اسحق عليه السلام قال له ابراهيم يا بني اني أرى في المنام أني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم انه تله للجبين

وأمر على حلقه السكين فلم يقل الاخير افعال الله تعالى وبشرناه بسلام حليم (وفي الاخبار) يقول ابليس لعنه الله ان المحيد من الرجال لم يأس منه وان كان يحيي الموتى بدعائه (١٧٠) لانه تأتي عليه ساعة يحتد فيها فيصير منه الى ما يريد (ويروى) ان جعفر بن محمد

حسبما نذكره في اخباره فهذا وامثاله من جملة الوسواس الذي يعتري أهل الدول لما يتوقعونه من ملوكهم من المعاطب وانما يختصون ان اتفق لهم الخلاص بانفسهم وما يتوهمونه من الحاجة فغلاط ووهم والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول كاف في وجدان المعاش لهم بالمجرايات السلطانية او بالجهاد في التحال طرق السكسب من التجارة والفلاحة والدول انساب لكن النفس راغبة اذا رغبتا * واذا ترد الى قليل تقنع والله سبحانه هو الرزاق وهو الموفق بمنه وفضله والله اعلم

٤٣ * (فصل في أن نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية) *

والسبب في ذلك ان الدولة والسلطان هي السوق الاعظم للعالم ومنه مادة العمران فاذا احتجج السلطان الاموال والجبايات اوفقت فلم يصرفها في مصارفها قل حينئذ ما يبدى الحاشية والحامية وانقطع ايضا ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم وقت نفقاتهم جملة وهم معظم السواد ونفقاتهم اكثر مادة للاسواق من سواهم فيقع السكساد حينئذ في الاسواق وتضعف الارباح في المتاجر فيقل الخراج لذلك لان الخراج والجباية انما تكون من الاعتماد والمعاملات ونفاق الاسواق وطالب الناس للفوائد والارباح ووبال ذلك عائد على الدولة بالنقص لقلة أموال السلطان حينئذ بقلة الخراج فان الدولة كما قلناه هي السوق الاعظم ام الاسواق كلها واصلا ومادتها في الدخل والخروج فان كسدت وقت مصارفها فاجدر بما بعدهما من الاسواق ان يلحقها مثل ذلك واشد منه وايضا فالمال انما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم اليه ومنه اليهم فاذا حجب السلطان عنده فقده الرعية سنة الله في عباده

٤٤ * (فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران) *

اعلم ان العدوان على الناس في أموالهم ذاهب باآلهم في نقصانها واكتسابها ما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم واذا ذهبت آملهم في اكتسابها وتحصيلها انقضت أيديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب فاذا كان الاعتداء كثيرا عاما في جميع أبواب المعاش كان القعود عن السكسب كذلك لذهابها بالآمال جملة بدخوله من جميع أبوابها وان كان الاعتداء يسيرا كان الانقباض عن السكسب على نسبتته والعمران ووفوره ونفاق أسواقه انما هو بالاعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهب بين وجائين فاذا قعد الناس عن المعاش وانقضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران وانقضت الأحوال وابتدع الناس في الاتفاقي من غير تلك الآمال في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها فحق سائر القطر وقلت دياره وخربت امصاره واختل باختلاله حال الدولة والسلطان لما انما صورة للعمران نفسه بفساد مادتها ضرورية وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي في أخبار الفرس عن المو بذان صاحب الدين عندهم ايام بهرام بن بهرام وما عرض به للملك في انكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان اليوم حين سمع الملك اصواته وسأله عن فهم كلامها فقال له ان يوما ذكر ايروم نكاح يوم أنى وأنها شرطت عليه عشرة من قرية من الخراب في ايام بهرام فقبل شرطها وقال لها ان دامت ايام الملك أقطعك ألف قرية وهذا أسهل حرام فتنبه الملك من غفلة وخلا بالمو بذان وسأله عن مراده فقال له ايها الملك ان المال لا يتم عزه الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والمتصرف تحت أمره ونهيته ولا قوام للشرعية الا بالمال ولا عز للمال الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالاعمال ولا سبيل للعمل الا بالعدل

دخل على الرشيد وقد استخفه الغضب فقال له يا أمير المؤمنين انك انما تغضب لله تعالى ولا تغضب له يا كثر من غضبه لنفسه اعلم ارسدك الله ان هذه الكلمة لا قيمة لها والله اعلم حيث يجعل رسالته فما أنفمها وأجل قدرها وأعظم شأنها انك اذا كنت أيها السلطان انما تتصرف في ملك الله بامر الله فالله تعالى قد حدد حدودا وشرع شرائع وأقام فروضا وسنن وانهي عن حدود ورسوم ثم قدر في كل خصلة عند محالته حد محدودا ونهي ان يتجاوز ذلك الحد فلا يقبل من استحق القطع والمحبس والادب والمحد ولا يحبس غير من استوجب المحبس وكانت الخلفاء يؤدبون الناس على قدر منازلهم فمن عثر من ذوى المرات أقبلت عثرته ولم يقابل بشئ لقوله عليه السلام اقبلوا ذوى الميائت عثراتهم ومن سواهم كان يقابل قدر منزلته ووقته فكان يقام قائما في مجلس يقعد فيه نظراؤه فتكون هذه عقوبته وأخر شق جيبه وأخر تزع عمامته من رأسه وأخر يكلم بالكلام الذي فيه بعض الغلظة قال الشعبي كانت العصاة في زمن عمرو عثمان وعلى رضي الله والعدل عنهم اذا أخذ الرجل منهم نزع عمامته وطيف به في المسجد على قومه وقيل هذا أخذ بشعره فلما ولى زياد ضرب بهم ونزع عمامتهم فلما ولى

والعدل عنهم اذا أخذ الرجل منهم نزع عمامته وطيف به في المسجد على قومه وقيل هذا أخذ بشعره فلما ولى زياد ضرب بهم ونزع عمامتهم فلما ولى

مصعب بن الزبير حلق مع الضرب رؤسهم فلما ولي بشر بن مروان اقامهم على الكراسي ثم مدت ايديهم وسمرها بمسار ثم نزع الكرسي من تحت رجله حتى يحرم يده فن ميت ومن حي فلما ولي الرجل المعروف بالحجاج (١٧١) قال كل هؤلاء يلعب من أخذ

يشغره ضرب عنقه وقال
ارسطاطاليس النفس
الذليلة لا تجد ألم الهوان
والنفس الشريفة تؤثر فيها
يسير الكلام وفيه قيل
من يسهل الهوان عليه
فالجرح يمت ايلام
واعلم ان من تجاوز في
العقوبة فوق ما حد الله
تعالى فيها شارك الجرم في
الذنب واسـتوجب ما
استوجب الجرم من العقوبة
■ يتبين في الآية خفته انه
انما يعاقب للهـوى
والشفى اذا غضب الله
تعالى (وفي كتاب سليمان
ابن داود عليهم السلام)
القاهر لنفسه أشد من يفتتح
المدينة وحده وصدق نبي
الله صلى الله عليه وسلم فان
السلطان يفتتح المدينة
ويقهـر أهلها ويغلب
جنودها وجناتها ويقتل
أبطالها ثم تغلبه شهوته
ويبقى أسير في ذل هواه
قد قهرته قيمته بظهورها
أو قد حخر يذهب بعقله
■ وقال أكنتم بن صيفي
الصبر على جرع الحلم أعذب
من جني ثمر الندم (وسأل
علي بن أبي طالب) رضي
الله عنه كثير من كبراء
فارس من أجدملو لهم
عندهم فقال لا ودشير فضل

والله دل الميزان المنصوب بين الخليفة نصيب الرب وجهه ل له قيسا وهو الملك وأنت أيها الملك عمدت إلى
الضياع فانتزعته من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الاموال واقطعتها المحاشية
والخدم وأهل البطالة فتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع وسوحوها في الخراج لقرهم
من الملك ووقع الخيف على من بقي من أرباب الخراج وعمار الضياع فانتحلوا عن ضياعهم وخلوا ديارهم
وأووا إلى ما تعذر من الضياع فسدنوها فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال وهلكت الجنود
والرعية وطمع في ملك فارس من جاودهم من الملوك لعلمهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم الملك الا بها
فلما سمع الملك ذلك اقبل على النظر في ملكه وانتزعت الضياع من ايدي الخاصة وردت على أربابها
وجعلوا على رسومهم السابقة وأخذوا في العمارة وقوى من ضعف منهم فعمرت الارض وأخذت البلاد
وكثرت الاموال عند جباة الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور وأقبل الملك على
مباشرة أموره بنفسه فحسنت أيامه وانتظم ملكه ففقههم من هذه الحكاية أن الظلم يخرب العمران وان
عائدة الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانقراض ولا تنظر في ذلك إلى أن الاعتداء قديوم جدد
بالامصار العظيمة من الدول التي بها ولم يقع فيها خراب واعلم ان ذلك انما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء
واحوال أهل المصـر فلما كان المصـر كبير وعمـرانه كثير واحواله متسعة بما لا ينحصر كان وقوع النقص
فيه بالاعتداء والظلم يسير الان النقص انما يقع بالتدريج فاذا خفي بكثرة الاحوال واتساع الاعمال في
المصـر لم يظهر أثره الا بعد حين وقد تذهب تلك الدولة المعتدية من أصلها قبل خراب المصـر ونجى الدولة
الآخرى فترفع به مجدها وتجب النقص الذي كان خفيا فيه فلا يكاد يشعر به الا أن ذلك في الاقل النادر
والمراد من هذا أن حصول النقص في العمران عن الظلم والعدوان احروا وقع لا بد منه لما قدمناه وبواله عائد
على الدول ولا تحسبن الظلم انما هو أخذ المال او الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو
المشهور بل الظلم أعم من ذلك وكل من أخذ ملكا احدا أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقا
لم يقرضه الشرع فقد ظلمه فجباة الاموال بغير حقها ظلمة والمعتدون عليها ظلمة والمتهمون بها ظلمة والممانعون
لحقوق الناس ظلمة وغصب الاملاك على العموم ظلمة وبوال ذلك كله عائدة على الدولة بخراب العمران
الذي هو مادتها لاذهابه الا مال من أهله واعلم ان هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم
وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة
للمراعاة للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال فلما
كان الظلم كما رأيت مؤذنا بانقطاع النوع لما أدى اليه من تخريب العمران كانت حكمة المحظرفيه
موجودة فكان تحريمه مهما وادلت من القرآن والسنة كثيرا أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والمحصـر
ولو كان كل واحد قادر عليه لوضع بازائه من العقوبات الزاجرة ما وضع بازا غير من المفسدات للنوع التي
يقدر كل احد على اقترافها من الزنا والقتل والسكر الا أن الظلم لا يقدر عليه الا من يقدر عليه لانه انما يقع
من أهل القدرة والسلطان فبوقع في ذمهم وتكرير الوعيد فيه عسى ان يكون الوازع فيه للقادر عليه في
نفسه وما ريك بظلام للعبيد ■ ولا تقول ان العقوبة قد وضعت بازاء المحاربة في الشرع وهي من ظلم
القادر لان المحارب زمن حرايته قادر فان الجواب عن ذلك طريقه بين أحدهما أن تقول العقوبة على
ما يترفعه من الجنايات في نفس او مال على ما ذهب اليه كثير وذلك انما يكون بعد القدرة عليه والمطالبة
بجنايته وأما نفس المحاربة فهي خلوص العقوبة الطريق الثاني ان تقول المحارب لا يوصف بالقدرة

السبق غير ان أجدهم سيرة انوشروان قال فاي اخلاقه كان أغلب عليه قال الحلم والاناة فقال على رضي الله عنه هم ما توأم ينتجهم ما علو
الهمة ومن عجزوا لسيرة ان يعرف الناس من أخلاقك انك لا تجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك أدوم لخوف الخائف وزجاء الراعي

وقال محمود الوراق
سألزم نفسي الصقح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم في الناس الا واحد من ثلاثة
شريف ومشرف ومثل مقاوم (١٧٢) فاما الذي فوق فأعرف فضله * واتبع فيه الحق والحق لازم واما الذي دوني فان قال

لانا انما نعتي بقدره الظالم البسوطه التي لا تعارضها قدرة فهي المؤذنة بالخراب واما قدرة الخراب
فانما هي اخافة يجعلها ذرية لاخذ الاموال والمدافعة عنها بيد الكل موجودة شرعا وسياسة فليست
من القدر المؤذن بالخراب والله قادر على ما يشاء

(فصل) ومن أشد الظلمات وأعظمها في افساد العمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق
وذلك ان الاعمال من قبيل المتعولات كما سنبين في باب الرزق لان الرزق والكسب انما هو قيم اعمال
اهل العمران فاذا معاشهم واعمالهم كلها متعولات ومكاسبهم بل لا مكاسب لهم سواها فان الرعي

المعتمدين في العماره انما معاشهم ومكاسبهم من اعتمادهم ذلك فاذا كفوا العمل مل في غير شأنهم وانحدرو
تسخر يا في معاشهم بطل كسبهم واعتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو متوهم فدخل عليهم الضرر وذهب لهم حظ
كثير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وان تركز ذلك عليهم افسد آمالهم في العماره ووقع دواعي السعي
فيها جملة فادى ذلك الى انتقاض العمران وتخريره والله سبحانه وتعالى اعلم به التوفيق

(فصل) واعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة التسلط على اموال الناس بشراعيين ايديهم
بأنحس الاثمان ثم فرض البضائع عليهم بارتفاع الاثمان على وجه الغصب والاكراه في الشراء والبيع
وربما تقرر عليهم تلك الاثمان على النواحي والتأجيل فيتم المولون في تلك الخسارة التي تلحقهم بها
تحدتهم المطامع من جبر ذلك بحواله الاسواق في تلك البضائع التي فرضت عليهم بالغلاء الى بيعها بأبخس
الاثمان وتعود خساره ما بين الصنفين على رؤس أموالهم وقديم ذلك اصناف التجار المقعنين بالمدينة
والواردين من الآفاق في البضائع وسائر السوق وأهل الدكاكين في الماك كل والقوا كهو أهل الصنائع
فما يتخذ من الآلات والمواعين فتشمل الخسارة سائر الاصناف والطبقات وتتوالى على الساعات
وتجحف برؤس الاموال ولا يجدون عنها وليجة الا تعود عن الاسواق لذهاب رؤس الاموال في جبرها
بالارباح ويتناقل الواردون من الآفاق اشراء البضائع وبيعها من أجل ذلك فتكسد الاسواق ويبطل
معاش الرعايا لان عامتهم من البيع والشراء واذا كانت الاسواق عطلا منها بطل معاشهم وتقص جباية
السلطان او تفسد لان معظمها من أوسط الدولة وما بعدها انما هو من المكوس على البياعات كما قدمناه
ويؤثر ذلك الى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الخلل على التدرج ولا يشعر به هذا
ما كان بامثال هذه الذرائع والاسباب الى أخذ الاموال واما أخذها مجانا والعدوان على الناس في أموالهم
وحرمهم ودمائهم واسرارهم واعراضهم فهو يقضي الى الخلل والفساد دفعة وتقتض الدولة سر يعاينها
ينشأ عنه من المخرج المفضي الى الانتقاض ومن أجل هذه المفاسد يحظر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة
في البيع والشراء وحظرا كل أموال الناس بالباطل سد الابواب المفاسد المفضية الى انتقاض العمران
بالمخرج او بطلان المعاش واعلم ان الداعي لذلك كله انما هو حاجة الدولة والسلطان الى الاكثار من المال
بما يعرض لهم من الترف في الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفي به الدخول على القوانين المعتادة
يستحدثون القبايا وجوها يوسعون بها الجباية لئلا يفي لهم الدخول بالخرج ثم لا يزال الترف يزيد والخرج
يسد به يكثر والحاجة الى أموال الناس تشد ونطاق الدولة بذلك يزيد الى أن تنهضي دائرتها ويذهب
برسها ويعلمها طائها والله أعلم

صنت عن
اجابته نفسي وان لام لائم
واما الذي مثلي فان زل
أرهقا

تفضلت ان الحلم بالفضل
حاكم

(وقال الاصمعي) سمعت
اعرابيا يقول أسرع الناس
جوابا من لم يغضب لا توقدن

بين جنديك جرة الغضب
وأودد أسأته بالحلم فان
شجر النار اذا أحت عليها

الرياح تحاكت أغصانها
فتشتعل نارا وتحترق من
أصولها * وقال عمر بن

عبد العزيز رضي الله عنه
ثلاث من اجتمعن فيه فقد
سعد من اذا غضب لم

يخرجه غضبه عن الحق
واذا رضي لم يدخله رضاه في
باطل واذا قدر عرف وكف

(وسئل جعفر بن محمد)
عن حد الحلم فقال وكيف
يعرف فضل شيء لم يركله في

أحد * وقال الاحنف لابنه
يا بني ان أردت ان تؤاخي
رجلا فاغضبه فان أنصت

والافاحذره (وكان سلم بن
نوفل) سيد بني كنانة
فضر به رجل من قومه

بسيقه فاخذ فاني به اليه
فقال له ما الذي فعلت اما
خشيت انتقامي قال فلم

سودناك الا ان تكظم الغيظ
وتتقون الجاني وتعلم عن الجاهل وتحتمل المكره في النفس والمال فغلى سبيله فقال قائلهم شعرا

٤٥ (فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وانه يعظم عند الهرم) *

اعلم ان الدولة في أول أمرها تكون بعيدة عن منازع الملك كما قدمناه لانه لا بد لها من العصبية التي بها يتم

أمرها
وقال رجل من كاب الحكمين عوانة انما أنت عبد فقال والله

لاطينك عطية ما عطيها العبيد فاعطاه مائة رأس من السبي ومن أمثال العرب احلم تسدو يروى ان هشام غضب على رجل من
أشراف الناس فشمته فوجده الرجل فقال له اما تستحي ان تشتمني وانت خليفة الله (١٧٣) في أرضه فاطرق هشام واستحي

وقال له اقتص فقال اذا

سقمه مثلك فقال خذ من

ذلك عوضا من المال قال

ما كنت لافعل قال فبها

لله قال هي لله ثم لك

فمكس هشام رأسه وقال

والله لأعـودنك لها وقال

الشاعر

ان يبلغ المجد أقوام وان

شرفوا

حتى يذلوا وان عز والاقوام

ويشتموا فغترى الالوان

مسفرة

لاصفح ذل ولا يكن صفح

اكرام

وقال آخر

وجهـل رد دناءة بفضـل

حلومنا

ولوانه اشتند دناءه بالجمل

رجحنا وقد خفت حلوم

كثيرة

وعندنا على أهل السفاهة

بالفضل

وقال هشام لخالد بن

صفوان صف لي الاخف

ابن قيس فقال يا أمير

المؤمنين ان شئت أخبرتك

عنه بثلاث وان شئت

بأثنين وان شئت بواحدة

فقال أخبرني عنه بثلاث قال

كان لا يجرح ولا يجمل

ولا يدفع الحق اذا نزل به

قال فاخبرني عنه بأثنين

قال كان يؤثر الخير ويتوقى

وقال الاخنف بن قيس

وجدت الحلم أنصرتني من الرجال وصدق الاخنف فان من حلم كان الناس أنصاره كما روى ان رجلا أسرف في شتم بعض الأدباء وهو

أمرهاو يحصل اسملاؤها والبدوة هي شعار العصبية والدولة ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع
المملك وان كان قيامها بعز الغلب فقط قاله بدوة التي بها يحصل الغلب بعيدة أيضا عن منازع الملك
ومذاهبه فاذا كانت الدولة في أول أمرها بدوية كان صاحبها على حال الغضاضة والبدوة والقرب من
الناس وسهولة الاذن فاذا رسخ عزه وصار الى الانفراد بالحجـد واحتاج الى الانفراد بنفسه عن الناس
للحديث مع أوليائه في خواص شؤنه لما يكثر حينئذ من بحاشيته فيطلب الانفراد من العامة ما استطاع
ويتخذ الاذن بيابه على من لا يأمنه من أوليائه وأهل دولته ويتخذ حاجبـه عن الناس يقم به بيابه هذه
الوظيفة ثم اذا استفحل الملك وجاءت مذاهبه ومنازعه استحالت خلق صاحب الدولة الى خلق الملك وهي
خلق غريبة مخصوصة محتاج مباشرها الى مداراتها ومعاملتها بما يجب لها ورعا جهل تلك الخلق منهم
بعض من يباشرهم فوقع فيما لا يرضيهم فخطوه وصاروا الى حالة الانتقام منه فان قدر معرفة هذه الادب
الخواص من أوليائه هم وحجـبوا غير أولئك الخاصة عن لقاءهم في كل وقت حفظا على أنفسهم من معاينة
ما يخطئهم وعلى الناس من التعرض لهم فقامهم فصار لهم حجاب آخر اخص من الحجاب الاول يقضي اليهم
منه خواصهم من الاولياء ويحجب دونه من سواههم من العامة والحجاب الثاني يقضي الى مجالس
الاولياء ويحجب دونه من سواههم من العامة والحجاب الاول يكون في أول الدولة كما ذكرنا كما حدث لا يام
معاوية وعبد الملك وخلفاء بني أمية وكان القائم على ذلك الحجاب يسمى عندهم المحاجب جريا على
مذهب الاشـعـبـاق الصحيح ثم لما جاءت دولة بني العباس وجدت الدولة من الترف والعز ما هو معروف
وكملت خلق الملك على ما يجب فيها فدعا ذلك الى الحجاب الثاني وصار لهم المحاجب اخص به وصار باب
الخلفاء داران للعباسية دار الخاصة ودار العامة كما هو مسطور في أخبارهم ثم حدث في الدول حجاب ثالث
أخص من الاولين وهو عند محاولة الحجر على صاحب الدولة وذلك ان أهل الدولة وخواص الملك اذا
نصبوا الانباء من الاعقاب وحاولوا الاستبداد عليهم فأول ما يبدا به ذلك المستبد ان يحجب عنه بطانة ابنه
وخواص أوليائه بوجهه أن في مباشرتهم اياه خرق حجاب الهيبة وفساد قانون الادب ليقطع بذلك لقاء الغير
ويعوده ملاسبة أخلاقه هو حتى لا يتبدل به سواه الى ان يستحكم الاستيلاء عليه فيكون هذا الحجاب من
دواعيه وهذا الحجاب لا يقع في الغالب الا اواخر الدولة كما قدمناه في الحجر ويكون دليـله على هرم الدولة
ونفاذ قوتها وهو مما يخشاه أهل الدول على أنفسهم لان القائمين بالدولة يحاولون على ذلك بطباعهم
عند هـرم الدولة وهذا الاستبداد من اعقاب ملوكهم لما ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك
وخصوصا مع الترشيح لذلك وحصول دواعيه ومبادئه

٤٦ (فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين) *

اعلم ان أول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك ان الملك عندما يستفحل ويبلغ احوال الترف
والنعيم الى غايتها ويستبد صاحب الدولة بالحـجـد وينتقد به يأنف حينئذ من المشاركة ويصير الى قطع
اسماها ما استطاع باهـلاك من استرأب به من ذوى قرابته المرشحين لمنصبه فربما ارتأب المساهمون له
في ذلك بانفسهم ونزعوا الى القاصية اليهم من يلحق بهم مثل حالهم من الاغترار والاسترابة ويكون نطاق
الدولة قد أخذ في التضيق ورجع عن القاصية فاستبد ذلك النازع من القرابة فيها ولا يزال أمره يعظم
بترجيع نطاق الدولة حتى يقاسم الدولة ويكاد وانظر ذلك في الدولة الاسلامية العربية حين كان أمرها
حريز مجتمعا ونطاقها ممتد في الاتساع وعصبية بني عبد مناف واحدة غالبية على سائر مضر فلم ينبض عرق

الشرقال فاخبرني عنه بواحدة قال كان أعظم الناس سلطانا على نفسه وقال أ كثر من صيفي الغلبة والعزل لعلم
وجدت الحلم أنصرتني من الرجال وصدق الاخنف فان من حلم كان الناس أنصاره كما روى ان رجلا أسرف في شتم بعض الأدباء وهو

سأكتفى له بعض المسارين في الطريق وقال له يرجعك الله لا تنصرف لك قال لا قال لا في وجده الحلم أنصرفي من الرجال
وهل حامت في الحلمى وقال رجل (١٧٤) لعمر بن العاص والله لا تفرغن لك فقال له الآن وقعت في الشغل وقال عبد

الله بن عمر رضي الله عنه
ان رجلا من كان قبلكم
استضاف قومافاضافوه
ولهم كربة تنج فقات والله
لا أنج ضيف أهلى الليلة
فعوى جروها في بطنها
فبلغ ذلك نديا لهم أوقلامن
أقبلهم فقال مثل هذا مثل
أمة تكون بعدكم يظهر
سقمهاؤها على حلماتها
وقال الا حنف اياكم ورأى
الاوغاد وقالوا مارأى
الاوغاد قال الذين يرون
الصفح والعقود اراوسل
الاحنف عن الحلم فقال
هو الذى تصبر عليه ولست
بالحليم ولكنى صبور
ويروى ان المهلب نازعه
رجل من كبار بني تميم
فأربنى على المهلب والمهلب
سأكتف قبيل له في ذلك
فقال كنت اذا سبني
استحييت من مخف
السباب وغلبة اللثام
والسقالة وكان اذا سبني
تهلل وجهه وشمخت نفسه
بان ظفر بفضل القحة ونبت
المروءة وخلق ربة الحياء
وقلة الاكثرا بسوء النساء
ومر المسيح عليه السلام على
قوم من اليهود فقالوا له
شرا وقال لهم خير اقبل له
انهم يقولون شرا وانت
تقول خيرا فقال كل ينطق

من الخلاف سائر أيامه الا ما كان من بدعة الخوارج المستميتين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك النزعة ملك
ولا رياسة ولم يتم أمرهم لمزاجتهم العصبية القوية ثم لما خرج الأمر من بني أمية واسمهم ثعلبة بن العباس بالامر
وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف وأذنت بالانقضاء عن القاصية نزعة عبد
الرحمن الداخل الى الاندلس قاصية دولة الاسلام فاستحدث بهم امدكاواقتطعها عن دولتهم وصير الدولة
دولتين ثم نزع ادريس الى المغرب وبوخرج به وقام بامرهم وأمر ابنه من بعده البربرية من أوربة ومغيلة
وزنات واستولى على ناحية المغربين ثم ازدادت الدولة تغلضا فاضطرب الاغالبية في الامتناع عليهم ثم خرج
الشبيعة وقام بامرهم كامة وصنهاجة واستولوا على افرريقية والمغرب ثم مصر والشام والحجاز وغلبوا على
الادارة وقسموا الدولة دولتين آخرين وصارت الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس بمرکز العرب
وأصلهم ومادتهم الاسلام ودولة بني أمية المجددين بالاندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالمشرق ودولة
العبيديين بآفريقية ومصر والشام والحجاز ولم تزل هذه الدولة الى ان كان انقراضها متقاربا أو جميعا
وكذلك انقضى مت دولة بني العباس بدول أخرى وكان بالقاصية بنو ساسان فيما وراء النهر وخراسان
والعلوية في الديلم وطبرستان وآل ذلك الى استيلاء الديلم على العراقيين وعلى بغداد والخلفاء ثم جاء
السلجوقية فملكوا جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم ايضا بعد الاستفحال كما هو معروف في اخبارهم وكذلك
اعتبره في دولة صنهاجة بالمغرب وافرريقية لما بلغت الى غايتها أيام باديس بن المنصور وخرج عليه عمه حماد
واقطع ممالك العرب لنفسه ما بين جبل أوراس الى تلمسان وملوية واخط القلعة بجبل كامة جبال
المسيلة ونزلها واستولى على مركزهم ثم أشير بجبل تبطرى واستحدث ملكا آخر قسم الممالك آل باديس
وبقي آل باديس بالقيروان وما إليها ولم يزل ذلك الى ان انقرض أمرهما جميعا وكذلك دولة الموحدون لما
تقلص ظلها ثم أثار بآفريقية بنو أبي حفص فاستقلوا بها واستحدثوا ملكا لا عقابهم بنوا حيا ثم لما استقل
أمرهم واستولى على الغاية خرج على الممالك الغربية من اعقابهم م الامير أبو بكر يحيى ابن السلطان أبي
اسحق ابراهيم رابع خلفائهم واستحدث ملكا بجاية وقسنطينة وما إليها أوربة بنه وقسمه الى دولتين
ثم استولى على كرسى الحضرة بتونس ثم انقسم الملك ما بين اعقابهم م ثم عاد الاستيلاء فيهم وقد ينتهي
الانقسام الى اكثر من دولتين وثلاثة وفي غير اعيان الممالك من قومه كما وقع في ملوك الطوائف بالاندلس
وملوك الحمير بالمشرق وفي ممالك صنهاجة بآفريقية فقد كان لا تحدد دولتهم في كل حصن من حصون
آفريقية تأثر مستقل بامرهم كما تقدم ذكره وكذا حال التجريد والزبان من آفريقية قبيل هذا العهد كما ذكره
وهكذا شأن كل دولة لا بد وأن يعرض فيها عوارض الميرم بالتurf والدعة وتقلص ظل الغلب فيقسم
اعصابها ومن يغلب من رجال دولتها الامرو يتعد فيها الدولة والله وارث الارض ومن عليها

٤٧ * (فصل في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع) *

قد قدمنا ذكر العوارض المؤثرة بالهرم وأسبابها واحدة واحدة وادواحد وبيئنا انها تحدث للدولة بالطبع وانها
كلها امور طبيعية لها واذا كان الهرم طبيعيا في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث الامور الطبيعية
كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني والهرم من الامراض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها لما انه
طبيعي والامور الطبيعية لا تتبدل وقد يتنبه كثير من اهل الدول عن له يقظة في السباسة فيرى ما نزل
بدولتهم من عوارض الهرم ويظن انه ممكن الارتفاع فيأخذ نفسه بتلافي الدولة واصلاح مزاجها عن ذلك
الهرم ويحسبه انه لحقها بقصير من قبله من اهل الدولة وغفلت عن ولس كذلك فانها امور طبيعية للدولة

معانده وقال اكنتم بنى من حلم سادوم تفهم ازدادو كفر النعمة لثوم وصحبة الجاهل شؤم ولفاء الاخوان والعوائد
فمن والمباشرة ومن الفساد اذاعة الزادوسيب رجل الشعبي يقبائح نسبه اليه فقال الشعبي ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا

فغفر الله لي وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه لا سبكت سب ما يدخل معك في قبرك فقال أبو بكر معك والله يدخل لامعني وقال رجل للاحنف بن قيس ان قلت كلمة لتسمعن عشر افعال له الاحنف

(١٧٥)

واحدة ويروى ان رجلا سبب الاحنف وهو يماشيه في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال يا هذا ان كان بقي معك شيء فقله بنا فاني اخاف ان سمعت فتبان الحصى ان يؤذوك وسب رجل بعض الحكماء فقال له الحكيم لست ادخل في حرب الغالب فيه شر من المغلوب وقال لقيط ابن زرارة شعرا

فقل لبني سعد فالي وما لكم ترقون مني ما لست تطعمن واعتق أغركم اني باحسن شمة صير وانى بالفواحش أفرق وانك قد ساءتني فقهرتني هنئام ريثا انت بالفحش أحتق

وقال رجل لابي ذر رضي الله عنه أئت الذي نفاك معاوية من الشام لو كان فبك خير مانفاك فقال يا ابن أخي ان ورائي عقبة كؤودا ان فحوت منها لم يضربني ما قلت وان لم أنج منها فانا شر مما قلت وقال لقمان لابنه يا بني ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحكيم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك

والعوائد هي المانة له من تلافها والعوائد منزلة طبيعية أخرى فان من ادرك مثلا أباهوا كثر اهل بيته يلبسون الحرير والديماج ويتحلون بالذهب في السباح والمر اكب ويحتجبون عن الناس في المجالس والاصوات فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك الى الخشونة في اللباس والزى والاختلاط بالناس اذا العوائد حينئذ تمنعه وتقيح عليه مرتكبها ولو فعله لرمى بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعة وخشى عليه عائدة ذلك وعاقبته في سلطانها وانظر شأن الانبياء في انكار العوائد ومخالفتهم لولا التأييد الالهي والنصر السماوي وربما تكون العصبية قد ذهبت فتكون الابهة تعوض عن موقعها من النفوس فاذا أزيلت تلك الابهة مع ضعف العصبية تجاسرت الرعايا على الدولة بذهاب او هام الابهة فتدفع الدولة بتلك الابهة ما يمكنها حتى يتقضى الامر وربما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم ان الهرم قد ارتفع عنها ويومض زبالها ايماضه الخلود كما يقع في الذبال المشتعل فانه عند مقاربة انطفائه يومض ايماضه توهم انها اشتعال وهي انطفاء فاعتبر ذلك ولا تغفل سر الله تعالى وحكمته في اطراد وجوده على ما قدر فيه ولكل أجل كتاب

٤٨ * (فصل في كيفية طروق الخلل للدولة) *

اعلم ان مبني الملك على اساسين لا بد منهما فالاول الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه بالجنود والثاني المال الذي هو قوام اولئك الجنود واقامة ما يحتاج اليه الملك من الاحوال والخلل اذا طرقت الدولة طرقتها في هذين الاساسين فلنذكر اول طروق الخلل في الشوكة والعصبية ثم نرجع الى طروقه في المال والحجابة واعلم ان تمهيد الدولة وتأسيسها كما قلناه انما يكون بالعصبية وان لا بد من عصبية كبرى جامعة للعصائب مستتبعة لها وهي عصبية صاحب الدولة الخاصة من عشيرة وقبيلة فاذا جاءت الدولة طبيعية الملك من الترف وجدع أنوف اهل العصبية كان اول ما يجدع أنوف عشيرته وذوي قرابه المقاسمين له في اسم الملك فيسبى في جدع أنوفهم بما بلغ من سوادهم ويأخذهم الترف ايضا أكثر من سوادهم فكانهم من الملك والعز والغلب فيحيط بهم هادمان وهما الترف والقهر ثم يصير القهر آخر الى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عنه ودرسوخ الملك اصحاب الامر في قلب غيرته منهم الى الخوف على ملكه فيأخذهم بالقتل والاهانة وسلب النعمة والترف الذي تعودوا الكثرة فيه فيكونون وتفسد عصبية صاحب الدولة منهم وهي العصبية الكبرى التي كانت تجمع بها العصائب وتتبعها فتخل عروتها وتضعف شكيמתها وتسبب لها البطالة من موالى النعمة وصنائع الاحسان وتتخذ منهم عصبية لانها ليست مثل تلك الشدة الشكيمة لفقدان الرحم والقربة منها وقد كنا قدمنا ان شأن العصبية وقوتها انما هي بالقربة والرحم لما جعله الله في ذلك فينقرص صاحب الدولة عن العشير والانصار الطبيعية ويحس بذلك اهل العصائب الاخرى فيتجاسرون عليه وعلى بطانته تجاسر اطيافهم ملكهم صاحب الدولة ويتبعهم بالقتل واحدا بعد واحد ويقعد الاخر من اهل الدولة في ذلك الاول مع ما يكون قد نزل بهم من مهلكة الترف الذي قدمنا فيستولى عليهم الهلاك بالتلف والقتل حتى يخرجوا عن صيغة تلك العصبية وينشوا بعزتها وشورتها ويصيروا ورجل الحامية ويقبلون لذلك فنقل الحامية التي تنزل بالاطراف والاندغور فيتجاسر الرعايا على بعض الدعوة في الاطراف ويسادوا الخوارج على الدولة من الاعياص وغيرهم الى طلب الاطراف لما يرحون حينئذ من حصول غرضهم بما يباعه اهل القاصية لهم وامنهم من وصول الحامية اليهم ولا يزال ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتضيق حتى تصير الخوارج في اقرب الاماكن

الا عند الحاجة اليه وسب رجل بعض الحكماء فاعرض عنه فقال له اياك اعني فقال الحكيم وعنتك أعرض وفي هذا المعنى قيل قل ما بدالك من زور ومن كذب حلى أصم وأذن غير صماء وقيل يوما للاحنف ما أحلك فقال لست بحليم ولا كفي أنكلم والله اني

لاسمع الحكامة فاجهم لها ثلاثا ما ينبغي من جوابها الا الخوف من أن اسمع ما هو شر منها وقال الشاعر وليس يتم الحلم للمرء اضيا * اذا كان عند السخط لا يتعلم (١٧٦) كما لا يتم الجود للمرء موسرا * اذا كان عند العسر لا يتخشم وروى ان رجلا سب جمعهم بن

محمد رضي الله عنه فقال
اما ما قلت مما هو فينا
فاناسه تنفر الله منه وما
قلت مما ليس فينا فاناسه
فيه الى الله تعالى وقال
بعض الحكماء احذروا
الغضب فرب غضب
استحق الغضبان به غضب
الله تعالى وقال اكثروا
صبري لا يكون الرجل
حليما حتى يقول السقيفة انه
الضعيف مستذل ولا يكون
مخلصا حتى يقول الا حق
انه لمفسد ومن أشهر بيت
قيل في الحلم قول كعب بن
زهير
اذا أنت لم تعرض عن
الجمل والحق
أصبت حليما واصابك
جامل
ووصف اعرابي رجلا
فقال احلم من فرخ طائر
وقال اعرابي ان الغضب
عدو العقل ولذلك يحول بين
صاحبه وبين العقل والفهم
وقال صعصعة بن صوحان
الغضب مقدحة العقل
فرمى اصله ورمى اذن
وقال اعرابي اذا جاء الغضب
تسلط الغضب وكان ابن
عوان اذا غضب على أحد
من أهله قال سبحان الله يبارك
الله فيك وقال الاصمعي دغم
اردشير الى رجل كان

الى مركز الدولة وربما انقسمت الدولة عند ذلك بدولتين او ثلاثة على قدر قوتها في الاصل كما قلناه و يقوم
بامرها غير اهل عصبيتها لكن ادعانا لاهل عصبيتها ولعلمهم المعهود واعتبر هذا في دولة العرب في الاسلام
انتهت اولها الى الاندلس والهند والصين وكان امر بني أمية نافذا في جميع العرب بعصبة بني عبد مناف حتى
لقد أمر سليمان بن عبد الملك من دمشق بقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد أمر ثم
تلاشت عصبة بني أمية عما صابهم من الترف فانقرضوا وجاء بنو العباس فغضوا من اعنة بني هاشم وقتلوا
الطالبين وشردوهم فانحلت عصبة عبد مناف وتلاشت وتنجاس العرب عليهم فاستبد عليهم اهل القاصية
مثل بني الاغلب باقرية واهل الاندلس وغيرهم وانقسمت الدولة ثم خرج بنو ادريس بالمغرب وقام
البربر بامرهم ادعانا لعصبة التي لهم وامان ان تصلهم مقاتلة او حامية للدولة فاذا خرج الدعاء آخر افيستغلبون
على الاطراف والقاصية وتحصل لهم هناك دعوة وملك تنقسم به الدولة وربما يزبد ذلك متى زادت الدولة
تقلصا الى ان ينتهي الى المركز وتضعف البطانة بعد ذلك بما أخذ منها الترف فتهلك وتضعف الدولة
المنقسمة كلها وربما طال امد هاجم بذلك فتستغنى عن العصبة بما حصل لها من الصبغة في نفوس
اهل اياتها وهي صبغة الانقياد والتسليم منذ السنين الطويلة التي لا يعقل احدمن الاجيال مبدأها ولا
اوليتها فلا يعقلون الا التسليم لصاحب الدولة فيستغنى بذلك عن قوة العصاب ويكفي صاحبها بما
حصل لها في تهديمها الاجراء على الحامية من جندي ومرتزق وبعض ذلك ما وقع في النفوس عامة من
التسليم فلا يكاد احدا يتصور عصيانا او خروجا او المجاهرة من ذكره عليه مخالفة له فلا يدر على
التصدي لذلك ولو جهد جهده وربما كانت الدولة في هذا الحال أسلم من الخوارج والمنازعة لاستحسار
صبغة التسليم والانقياد لهم فلا تكاد النفوس تحدث سرها بمخالفة ولا يختلج في ضميرها انحراف عن
الطاعة فيكون اسلم من المخرج والانتقاض الذي يحدث من العصائب والعشائر ثم لا يزال امر الدولة
كذلك وهي تتلاشى في ذاتها شأن الحرة الغريزية في البس من الغادم للغذاء الى ان تنتهي الى
وقتها المقدور ولكل اجل كتاب ولكل دولة امد والله يقدر الله والى والنهار وهو الواحد القهار *
واما الخلل الذي يتطرق من جهة المال فاعلم ان الدولة في اولها تكون بدوية كما مر فيكون خلق الرفق
بالرعايا والقصد في النفقات والتعفف عن الاموال فتتجافى عن الامعان في الجباية والتخذاق والكيس في
جمع الاموال وحسبان العمال ولا داعية حينئذ الى الاسراف في النفقة فلا تحتاج الدولة الى كثرة المال
ثم يحصل الاستيلاء ويعظم ويستغل الملك فيدعو الى الترف ويكثر الانفاق بسببه فتعظم نفقات السلطان
وأهل الدولة على العموم بل يتعدى ذلك الى أهل المصرو ويدعو ذلك الى الزيادة في أعطيات الجنود وأرزاق
أهل الدولة ثم يعظم الترف فيكثر الاسراف في النفقات ويتشتر ذلك في الرعية لان الناس على دين
ملوكها وعوائدها ويحتاج السلطان الى ضرب المكوس على أثمان البياعات في الاسواق لا اذرار
الجباية لما يراه من ترف المدينة الشاهد عليهم بالرفه وما يحتاج هو اليه من نفقات سلطانه وأرزاق جنوده
ثم تزيد عوائد الترف فلا تبقى الماكوس وتكون الدولة قد استفحلت في الاستطالة والقهر لمن تحت
يدها من الرعايا فتمتد أيديهم الى جمع المال من اموال الرعايا من مكس وتجارة او نقد في بعض الاحوال
بشبهة او غير شبهة ويكون الجندي في ذلك الطور قد تنجاس على الدولة بما يحقه من الفضل والهرم في العصبة
فتوقع ذلك منهم وتداوى بسكينة العطايا وكثرة الانفاق فيهم ولا تجب عن ذلك وليجة وتكون جباة
الاموال في الدولة قد عظمت ثروتهم في هذا الطور بكثرة الجباية وكونها بأيديهم وبما اتسع لذلك من

جاههم يقوم على رأسه كتابا وقال له اذا رأيتني اشتد غضبي فادفعه الى فـ كان فيه اسكن فاست
باله انما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا وتصير عن قريب للدود والتراب وهذه السيرة اول من سنها ملك تبـ عـ امر أن يكتب

في كتاب اسكن فليست باله وقال لصاحبه اذا غضبت فاعرضه على فكان اذا غضب عرضه عليه فاذا قرأه اسكن غضبه وقال معاوية افضل ما اعطى الرجل العقل والحلم فاذا ذكر ذكره واذا اعطى شكره واذا ابتلى صبره واذا غضب (١٧٧) كظم واذا قدر عفا واذا اساء استغنى

واذا وعد انجز وفي الحكمة مكتوب من اطاع الغضب حرم السلامة ومن عصي الحق غره الذل وقال بعض الحكماء كظم الغيظ حلم والحلم صبر والتشفي ضرب من الجوع وقال آخراول الغضب جنون وآخره ندم وقال بعض الحكماء اذا غلب على

الرجل اربع خصال فقد عطب الرغبة والرغبة والشهوة والغضب (وقيل) لبعض الصالحين ان فلانا يقع فيك فقال لا غيظ من امره يغفر الله لي وله قيل له ومن امره قال الشيطان وقال رجل لاخيه اني مررت بفلان وهو يقع فيك ويدركك باشياء رجلك منها قال فهل سمعتي اذكره بشئ قال لا فاباه فارحمه وقال الفضيل ثلاثة لا يلامون على الغضب المريض والصائم والمسافر وقال الاحنف بن قيس لقد تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المتقري ابي جالس معه في فناء وهو يحدثنا اذ جازجنا يحملون قتيلا ومعهم رجل مأسور فقيل له هذا ابنك قتله خوك فوالله ما قطع ديشه ولا حل جبوته حتى فرغ

جاههم في توجه اليهم باحتجان الاموال من الجباية وتفقشوا السعاية فيهم بعضهم من بعض للنفاضة والمقد فتعمهم السجكات والمصادرات واحدا الى ان تذهب ثروتهم وتتلاشي احوالهم ويقعدما كان للدولة من الابهة والجمال بهم واذا اصطلمت نعمتهم تجاوزتهم الدولة الى اهل الثروة من الرعايا سواهم ويكون الوهن في هذا الطور قد لحق الشوكه وضعت عن الاستطالة والقهر فتصرف سياسة صاحب الدولة حينئذ الى مداراة الامور ببذل المال و براه ارفع من السيف لئلا غناؤه فتعظم حاجته الى الاموال زيادة على النفقات وازراق الجند ولا يغني فيما يريد ويعظم الهرم بالدولة ويتجاسر عليها اهل النواحي والدولة تنحل عراها في كل طور من هذه الى ان تقضي الى الهلاك وتتعرض من الاستيلاء السكل فان قصدها طالب انتزعاها من ايدي القائمين بها والابقى وهي تتلاشي الى ان تضمحل كالذبال في السراج اذا فني زيتها وطفئ والله ما لك الامور ومدير الا كوان لا اله الا هو

٤٩ * (فصل في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع) *

اعلم ان نشأة الدول وبدايتها اذا اخذت الدولة المستقرة في الهرم والاتقاص يكون على نوعين اما بان يستبد ولاية الاعمال في الدولة بالقاصمة عند ما يتقاص ظلمها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة يستجدها لقومه وما يستقر في نصابه يرثه عنه ابناؤه او مواليه ويستفحل لهم المالباتة فيحربونهم ويحاربونهم على ذلك المالباتة يتقارعون عليه ويتنازعون في الاستئثار به ويعلم منهم من يكون له فضل قوة على صاحبه وينزع ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين اخذت دولتهم في الهرم وتقاص ظلمها عن القاصمة واستبد بنو سامان بمساوره النهر بنو حمدان بالموصل والشام وبنو طولون بمصر وكما وقع بالدولة الاموية بالاندلس واقترب منكم في الطوائف الذين كانوا ولايتهم في الاعمال وانقسمت دولوا واملوا كأورثوها من بعدهم من قرابتهم او مواليهم وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرب لانهم مستقررون في رياستهم ولا يطعمون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب وانما الدولة اذ ركها الهرم وتقاص ظلمها عن القاصمة وبجرت عن الوصول اليها والنوع الثاني بان يخرج عبيد الدولة خارج عن محاورها من الامم والقبائل اما بدعوة يحمل الناس عليها كما اسرنا اليه او يكون صاحب شوكه وعصبية كبير في قومه قد استفحل امره فيسعي بهم الى المالباتة وقد حدثوا به انفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة وما نزل بها من الهرم فيتمتعون له ولقومه الاستيلاء عليها ويمارسونها بالمطالبة الى ان يظفروا بها او يزنون (١) امرها كياتين والله سبحانه وتعالى اعلم

٥٠ * (فصل في ان الدولة المستقرة انما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاوله لا بالمانحة) *

قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاية الاطراف اذا تخلص ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها وهؤلاء لا يقع منهم مطالبه للدولة في الاكثر كما قدمناه لان قصاراهم القنوع بما في ايديهم وهو نهاية قوتهم والنوع الثاني نوع الدعاة والخوارج على الدولة وهؤلاء لا بد لهم من المطالبة لان قوتهم واقية بها فان ذلك انما يكون في نصاب يكون له من العصبية والاعتزاز ما هو كفاء ذلك وواف به فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حروب سجال تتكرر وتتصل الى ان يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطلوب ولا يحسد لهم في الغالب ظفر بالمانحة والسبب في ذلك ان الظفر في الحروب انما يقع كما قدمناه بامور نفسانية وهمية وان كان العدد والسلاح وصدق القتال كفيلا به لكنه قاصر مع تلك الامور الوهمية كما مر ولد ذلك كان الخداع

(١) قوله يزنون نسخة ويرفون من الرغوب والراء والقاء اه

(٢٣ - ابن خلدون)

من منطقة ثم انشد اقول للنفس تأنيبا وتعزية * احدي يدي اصابتي ولم ترد كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا اخي حين ادعوه وذاولدي ثم التفت الى بعض ولده فقال قم فاطلق علك ووارا خاك وسق الى

أمة مائة من الابل فانها غريبة ومن أنبل بيت قالته العرب قول بعضهم فصيح بالخير خمس بالحقى ربح الاحلام ذبال الازر وقال غيره بالاحلام عاد لا يخاف جليسهم * (١٧٨) اذا نطق العوراء عرب لسان اذا حدثوا لم يحش سوء استماعهم وان حدثوا أو بالحسن يمان

وقال المسيح عليه السلام ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يبرد الغضب وما عيادة من لم يتواضع للرب تعالى وقيل للاسكندر ان فلانا وفلانا يتقصدانك ويطلبانك فلو عاقبتهم فقال لهم بعد العقوبة اعذر في نبي وتقبضى (ويروى) ان جرير بن عبد الله بينهما هوراكب قد اُردف ابنه اذ لقيه رجل فقال منه وحرير ساكت فلما ولى قال له ابنه يا ابي لم سكت عنه قال يا بني اذ اوسع جرحى وقال بعض الحكماء متى أشفى غبضى أحين أقدر فيقال لو عفوت أم حين أجعل فيقال لو صبرت وسئل بعض أصحاب الاحنف أكان الاحنف يغضب فقال نعم لو لم يغضب ما بان حلمه كان يغضبه الشئ يبين في وجهه اليومين والثلاثة وهو يصبر ويحلم ومن لم يغضب من الاشياء التي مثلها يغضب فقد فقد من الفضائل الشجاعة والانفة والحجة والدفاع والاخذ بالنار والغيرة لان هذه الخصال نتائج الغضب ومن فقد الغضب فقد دأس الفضائل على ما سئذ كر في باب الشجاعة ان شاء الله تعالى

من أنفع ما يستعمل في الحرب واكثر ما يقع الظفر به وفي الحديث الحرب خدعة والدولة مستقرة قد صيرت العوائد المألوفة طاعة ضرورية واجبة كما تقدم في غير موضع فكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة المستجدة ويكثر من هم اتباعه وأهل شوكته وان كان الاقربون من بطانته على بصيرة في طاعته وموازنته الا ان الآخرين أكثر وقد داخلهم القشل بتلك العقائد في التسليم للدولة المستقرة فيحصل بعض القصور منهم ولا يكاد صاحب الدولة المستجدة يقاوم صاحب الدولة المستقرة فيرجع الى الصبر والمطاوله حتى يتضح هرم الدولة المستقرة فيضمحل عقائد التسليم لها من قومه وتتبعث منهم المهمل لصديق المطالبة معه فيقع الظفر والاستيلاء وايضا فالدولة المستقرة كثيرة الرزق بما استحقكم لهم من الملك وتوسع من النعيم والذات واختصوا به دون غيرهم من أهوال الجباية فيكثر عندهم ارتباط الخيول واستجادة الاسلحة وتعظم فيهم الابهة الملكية ويغرض العطاء بينهم من ملوكهم اختيارا واضطرارا فيرهبون بذلك كله عدوهم وأهل الدولة المستجدة بمنزل عن ذلك لما هم فيه من البداوة واحوال الفقر والتخصاصة فيسبى الى قلوبهم او هم الرعب بما يلقونه من أحوال الدولة المستقرة ويحرمون عن قتالهم من اجل ذلك فيصير امرهم الى المطاوله حتى تأخذ الدولة المستقرة مأخذا من الهرم ويستحق الخلل فيها في العصبية والجباية فتتهزج حينئذ صاحب الدولة المستجدة فرصته في الاستيلاء عليها بعد حين من هذا المطالبة سنة الله في عباده وايضا فاهل الدولة المستجدة كلهم مباينون للدولة المستقرة بانسابهم وعوائدهم وفي سائر مناحيهم ثم هم مقاومون لهم ومنايذون بما وقع من هذه المطالبة وبطاعتهم في الاستيلاء عليه فتتمكن المبادعة بين اهل الدولتين ستر او جهر ولا يصل الى اهل الدولة المستجدة خبر عن أهل الدولة المستقرة بصيرون منه غرة (١) باطنا وظاهرا الانقطاع المداخل بين الدولتين فيقيمون على المطالبة وهم في اجسام وينسكون عن المناخزة حتى يأذن الله بزوال الدولة المستقرة وفناء عمرها ووفور الخلل في جميع جهاتها واتضح لاهل الدولة المستجدة مع الايام ما كان يخفى منهم من هرمها وتلاشيها وقد عظمت قوتهم بما اقتطعوه من أعمالها ونقصوه من أطرافها فتنبعث همهم يد او احدى المناخزة ويذهب ما كان بث في عزائمهم من التوهومات وتنتهي المطاوله الى حدها ويقع الاستيلاء آخر بابا عاجلة واعتبر ذلك في دولة بني العباس حين ظهورها حين قام الشيعة بخراسان بعد ان عقاد الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشرين اوتريدو حينئذ تم لهم الظفر واستولوا على الدولة الاموية وكذا العلوية بطبرستان عند ظهور دعوتهم في الديلم كيف كانت مطاوتهم حتى استولوا على تلك الناحية ثم لما انقضى أمر العلوية وسما الديلم الى ملك فارس والعراقين في اكثر من مائة سنة كثيرة يطاولون حتى اقتطعوا اصهبان ثم استولوا على الخليفة ببغداد وكذا العبيديون اقام داعيتهم بالمغرب ابو عبد الله الشيعي ببني كرامة من قبائل البربر عشرين سنة ويزيد تطاول بني الاغلب بافريقية حتى ظفروا بهم واستولوا على المغرب كله وسما الى ملك مصر في ثلاثين سنة أو نحوها في طلبها يجهزون اليها العساكر والاساطيل في كل وقت وحجى المدد لدفاعتهم برا وبحرا من بغداد والشام وملاكو الاسكندرية والقيوم والصعيد وتخطت دعوتهم من هنالك الى الحجاز واقامت بالحرمين ثم نازل قائدهم حوهر الكاتب بعساكره مدينة مصر واستولى عليها واقتلع دولة بني طغج من أصولها واختط القاهرة فخاف الخليفة بعد المعز لدين الله فترها لستين سنة أو نحوها من استيلائهم على الاسكندرية وكذا السلجوقية ملوك الترك لما استولوا على بني سامان وأجازوا من وراء النهر مكثوا نحو امان ثلاثين سنة يطاولون بني سبكتكين

(١) قوله غرة بكسر الغين اى غفلة اه

وعند فقد الشجاعة تكون المهانة ومن يكون سقاسا في الاخلاق ورذالة الطباع فلا يبقى لسائر فضائله موقع وكان يقال من لم يغضب فليس بحليم لان الحليم انما يعرف عند الغضب وقال الشعبي الجاهل خصم والحليم حاكم قال الشافعي من

استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو جبار وقد كان النبي عليه السلام يغضب ولكنه انما كان يغضب لنفسه بل عند انتماء حمة ربه واعلم ان الله تعالى مامدح من لا يغضب وانما مدح من كظم الغيظ (١٧٩) فقال والكظمين الغيظ وقد انشد

الناطقة الجعدى بحضرة

النبي عليه الصلاة والسلام
ولا خير في حلم اذ لم تكن له
بواد تحمي صفوه ان يكدر
ولا خير في جهل اذ لم يكن له
حليم اذ ما اورد الا مرصدرا
فلم ينكر النبي صلى الله
عليه وسلم قوله وكان ابن
عمر اذا سافر استبمع سفيها
ويقول استدفع به شر
السفهاء عني واعلموا ارشدكم
الله ان احسن خصال الملوك
واجملها قدرا وهي حلية
الانبياء ولبسة الاصفياء
وجمال السوق والرؤساء

وأعظمها في النقوس
موقعها وأعجمها على الرعايا
تفعا وأخدها على مر الأيام
ذكرها وأجلها في الخافل
والخاسن نشرها وهي الفضيلة
التي تعم سائر الفضائل
وتكمل بها سائر المحاسن
الحلم وهما أنا تلوع عليك
من ذلك ما يقضي فيه الخيب
(هذه) دولة آل العباس
أولهم أبو العباس السفاح
والى يومنا هذا لم يكن فيهم
أجل من المأمون بلغ من
حلمه انه كان يقول لو علم
الناس مالي في لذة العفو
ما تقر بوا الى الاب الجرائم
فاق حلمه سائر خلفاء بني
العباس حتى صار يضرب
المثل بحلمه وهذه الخصلة
تهما مله وتهرا أحاه الامين

بخر اسان حتى استولوا على دولته ثم زحفوا الى بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد أيام من الدهر وكذا
التزم بعدهم خرجوا من المفازة أعوام سبع عشرة سنة فلما تم لهم الاستيلاء لا بعدار بعين سنة وكذا
أهل المغرب خرج به المرابطون من مكنونة على ملكهم من مغراوة فضاو لوهم سنين ثم استولوا عليه ثم خرج
الموحدون بدعوتهم على مكنونة فكنوا ونحوهم ثلاثين سنة يحاربونهم حتى استولوا على كرسيمهم برا كش وكذا
بنو مرين من زناتة خرجوا على الموحدين فكنوا ويطاولونهم نحو ثمانين سنة واستولوا على فاس
واقطعوها وأعمالها من ملكهم ثم أقاموا في محاربهم ثلاثين سنة أخرى حتى استولوا على كرسيمهم برا كش
حسبنا ان ذكر ذلك كله في تواريج هذه الدول فهكذا حال الدول المستجدة مع المستقرة في المطالبة والمطالبة
سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا يعارض ذلك ما وقع في الفتوحات الاسلامية وكيف كان
استيلاؤهم على فارس والروم ثلاثا وأربع من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان ذلك انما كان معجزة
من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم سرها سماء المسلمين في جهاد عدوهم استبعاد ابا ليمان وما وقع الله
في قلوب عدوهم من الرعب والتخاذل فكان ذلك كله خارقا للعادة المقررة في مطاولة الدول المستجدة
للمستقرة واذا كان ذلك خارقا فهو من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم المتعارف ظهورها في الملة الاسلامية
والمعجزات لا يقاس عليها الامور العادية ولا يعترض بها والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٥١ (فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات) *

اعلم انه قد تقرر لك فيما سلف ان الدولة في اول امرها لا بد لها من الرفق في ملكتها والاعتدال في اياتها
امان الدين ان كانت الدعوة دينية او من المكارمة والخمسة التي تقتضيها البدوة الطبيعية للدول
واذا كانت الملائكة رفيعة محسنة انبسطت آمال الرعايا وانتشطوا للعمران واسبابه قوت وفرو يكثر التناسل
واذا كان ذلك كله بالتدريج فانهما يظهر أثره بعد جيل أو جيلين في الاقل وفي انقضاء الجيلين تشرف الدولة
على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ العمران في غاية الوفور والنماء ولا تقول انه قد مر لك أن أواخر
الدولة يكون فيها الانحطاط بالرعايا وسوء الملائكة فذلك صحيح ولا يعارض ما قلناه لان الانحطاط وان حدث
حينئذ وقت المجبات فانما يظهر أثره في تناقص العمران بعد حين من أجل التدريج في الامور الطبيعية
ثم ان المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب فيه اما المجاعات فلهي الناس أيديهم عن
الفخ في الاكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الاموال والمجبات أو الفتن الواقعة في انتقاص
الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة فيقل احتسار الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته بمسقر الوجود
ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الامطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر
والزرع والثمار والضرع على نسبه الان الناس وانقروا في اقواتهم بالاحتسار فاذا فقد الاحتسار عظم
توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع وعجز عنه اولوا الخصاصة فهلكوا وكان بعض السنوات والاحتسار
مفقود فعمل الناس الجوع واما كثرة الموتان فلها اسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه وكثرة الفتن لاختلال
الدولة فيكثر الهرج والقتل أو وقوع الباطل وسببه في الغالب فساد الملوكة وكثرة العمران لكثرة ما يخاطبه من
العنف والرطوبة الفاسدة واذا فسد الملوكة وغدا الروح الحيواني وما لا يسهل داء فيسري الفساد الى
مراحه فان كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وامراضها مخصوصة بالرئة وان
كان الفساد دون القوى والكثير فيكثر العنف ويتضاعف فتكثر المجبات في الامراض وتعرض الابدان
وتهلك وسبب كثرة العنف والرطوبة الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره آخر الدولة لما كان في

(ومنها) دولة بني امية اولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان الجعدى لم يكن فيهم احلم من معاوية ولا جرم دانت له الدنيا وملك بهار قباب
العرب والجهم وصار حلمه يضرب به المثل ويقتدى به الخلق ويتفلق به القلاء حتى حكى عنه انه كان يقول لو كان بيني وبين الناس خيط

عنكم بوث او شعرة ما انقطعت اذا جذبوا الرسل واذا ارسلوا جذبتم (وهذه) دولة الفرس وكانت اعظم دول الارض واشدها باساوا كثيرا
علوما وحكام يكن في كاسرها الحلم (١٨٠) من كسرى انوشروان وصار يضرب بحبله المثل وتطرز بسيرته الكتب والمصنفات فيرى

أوائلها من حسن الملكة ورفقةها وقلة المعرم وهو ظاهر ولهذا تبين في موضعه من الحكمة ان تحلل الخلاه
والقفر بين العـمران ضرورى ليكون توج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة
الحيوانات ويأتى بالمواء الصحيح ولهذا أيضا فان الموتان يكون في المدن الموفورة العمران أكثر من غيرها
بكثير كصر بالمشرق وفارس بالمغرب والله يعقدر ما يشاء

٥٢ * (فصل في أن العمران البشرى لا بد له من سياسة ينظم بها أمره) *

اعلم انه قد تقدم لنا في غير موضع أن الاجتماع للبشر ضرورى وهو معنى العمران الذى نتكلم فيه وأنه
لا بد لهم في الاجتماع من وازع كما يرجعون اليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا الى شرع منزل من عند
الله يوجب انقيادهم اليه ايمائهم بالنواب والعقاب عليه الذى جاء به مبعوثه وتارة الى سياسة عقلية يوجب
انقيادهم اليها ما يقعونه من ثواب ذلك المحاكم بعد معرفته بمصالحهم فلاولى يحصل نفعها في الدنيا
والآخرة لا علم الشارع بالمصالح في العاقبة ولمراعاته نجاة العباد في الآخرة والثانية انما يحصل نفعها في
الدنيا فقط وما تسمعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وانما سمعناه عند الحكماء ما يجب أن
يكون عليه كل واحد من أهل ذلك المجتمع في نفسه هو خلقه حتى يستغنى عن الحكم رأسا ويسعون
المجتمع الذى يحصل فيه ما يسمى من ذلك بالمدنية الفاصلة والقوانين المراعاة في ذلك بالسـياسة المدنية
وليس مرادهم السياسة التى يحمل عليها أهل الاجتماع بالمصالح العامة فان هذه غير تلك وهذه المدنية
الفاصلة عندهم نادرة أو بعدة الوقوع وانما يتكلمون عليها على جهة الغرض والتقدير ثم ان السياسة
العقلية التى قدمناها تكون على وجهين أحدهما يراعى فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في
استقامة ملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة الفرس وهى على جهة الحكمة وقد أغنا نال الله تعالى
عنه في الملة والعهد الخ لاف لان الاحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة والافات واحكام
الملك مندرجة فيها * الوجه الثانى ان يراعى فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع القهر
والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تبعا وهذه السياسة التى يحمل عليها أهل الاجتماع التى لاسائر
الملوك في العالم من مسلم وكافر الا أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب
جهدهم فقوانينها اذا مجتمعة من احكام شرعية وآداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية وأشياء من
مراعاة الشوك والعصبية ضرورية والافتداء فيها بالشرع أو لاثم الحكماء في آدابهم والملوك في سيرهم ومن
أحسن ما كتب في ذلك وادع كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر
وما بينهما فكتب اليه أبوه طاهر كتابا المشهور وعهد اليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه
من الآداب الدينية والخلقة والسياسة الشرعية والملوكية وحثه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما
لا يستغنى عنه ملك ولا سوقة * ونص الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم) اما بعد فعليك بتقوى الله
وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل وحرالية شخصه واحفظ رعيته في الليل والنهار والزم ما ألدك
الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعامل في ذلك كله بما
يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فان الله سبحانه قد أحسن اليك وأوجب
الرافة عليك بمن استترعك أمرهم من عباده والزمك العدل فيهم والقيام بحقوقه وحدوده عليهم والذب عنهم
والدفع عن حريمهم ومنصبتهم والحقن لدايمهم والامن لسرهم وادخال الراحة عليهم وموافقك بما فرض
عليك وموقفك عليه وسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فهمك وعلائك وبصرك

ان امير المؤمنين على بن
ابى طالب رضوان الله
عليه لفي كبير من كبراء
فارس فقال له ما جسد
خصال ملوككم فقال
السبق لشيرويه واجدهم
سيرة انوشروان فقال
له على وما كان اغلب
خصاله عليه قال الحلم
والاناة قال على هما توأم
يتجهما علوهما وتبلغ
من حلمه انه كان يضيق
صدره بحلمه فقال في
خصه لئان لولا انه ما
ظاهر تان عنه دارعية
اضقت به ما ذرعا الحلم
والاناة فأخلق بخصلة تعم
منقعتها ويبقى على الدهر
جالمه وتخاذل في العلماء
والعلاء والملوك والسوقة
بجتهما وحسن مصادرها
ومواردها ان يتخذها الملوك
شعارا ودارا وانما قصدت
الحكماء من الملوك خاصة
فاما من سواهم من الرعية
كالاخنف ونظرائه فلا
يحصون كثرة

*(الباب التاسع والعشرون
فيما يسكن الغضب)*
فاول ذلك انك اذا نظرت
الى تغير اشكالك وتبدل
صورتك واجرا راجعك
وانفخا واداجك وذهاب
جنانك وسقط كلامك

وخفس ما يخرج من فيك لا مسكت عن الغضب ولطالما كنت تستحى ان تتكلم بين يدي
الجلال باليسير الجائر فعمدت تهذر بالكثير الفاخس ولوان من غضب استذكر اذا صحا وسكن غر به انقلاب صورته وتغير بوجهه
ولا

واضطراب شقيقه وارتعاد اطرافه وسقط كلامه وخفى خطابه والتفاف لسانه وخفقت عقاله وطيشه ووثوبه من مجلسه كأنه ثور وسرعة
التفاته عيناه وشمالا كأنه قد رعد فهمه لما سمع وقلة التفاته الى من يعظه وينصحه (١٨١) كأنه أحمق ومن شؤم الغضب وعظيم

بليته انه قد يقتل النفوس

ويسلب الروح وكان

سبب موت مروان بن عبد

الملك انه وقع بينه وبين

أخيه سليمان كلام فجعل

عليه سليمان فقال يا من

يلحق أمه ففتح فاه ليخبره

واذا يخبره عمر بن عبد

العزير فامسك على فيه

ورد كلمته وقال يا ابن عبد

الملك أخوك وأمامك وله

السن عليك فقال يا أبا

حفص قتلني قال وما صنعت

بك قال رددت في جوفى أحر

من البحر ومال لجنبه ذات

وله مري انه يزيده على

الحق (ومنها) أن يتقل

من الحالة التي كان عليها

الى غيرها كانت القرس

تقول اذا غضب القائم

فالجاس واذا كان جالسا

فليقم وبهذا المذهب كان

ياخذ المأمون نفسه

(ويروى) شكي الى

النبي صلى الله عليه وسلم

القسوة فقال اطلع في القبور

واعتبر بالشور (وكان)

بعض ملوك الطوائف

اذا غضب التي بين يديه

مقاتل يترى الملوك فيقول

غضبه (وكان) عكرمة

يقول في قوله تعالى واذا

ربك اذا نسيت يعني اذا

غضبت فانه اذا ذكر الله

ولا يشغلك عنه شاغل وانه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما توقفك الله عليه ولا يكن أول ما يلزم به نفسك
وتنسب اليه فعال المواظبة على ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس
قبل وقتها وعلى سننهم من اسباغ الوضوء وطهارة ما افتتح ذكر الله عز وجل فيها ورتل في قراءتك وتلاوتك في
ركوعك وسجودك وتشهدك وتصرف فيه رأيك ونيتك واحضض عليه جماعة من سننك وتحت
يدك وادأب عليها فانها كما قال الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم أتبع ذلك بالآخذ بسنن رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلافة واقتراف أثر السلف الصالح من بعده واودع عليك أمر فاستعن
عليه باستخارة الله عز وجل وتوابعه وبلزوم ما أنزل الله عز وجل في كتابه من أمر ونهي وحلال وحرامه
واقتراف ما جاء به الأنبياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالحق لله عز وجل ولا تملن عن
العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو لبعيد أو أثر الفقه وأهل الدين وجملة وكتاب الله
عز وجل والعاملين به فان أفضل ما يترتب به المرأة الفقه في الدين والطلب له والبحث عليه والمعرفة بما
يتقرب به الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كما والقائد اليه والالتزام به والنهي عن المعاصي والموبقات
كها ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء معرفة واحدا لآله ورد كالدراجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره
للناس من التوقير لأمرك والهيبة لسلطانك والانسابة بالثقة بعد لك وعليك بالاعتصام في الأمور كلها
فليس شيء أبين نفعاً ولا أخص أمناً ولا أجمع فضلاً منه والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق
والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهداية بالاعتصام والرشد والاعتصام من البر والسعي له
الآخرة والأجروالاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد والاعتصام والاستسكان من البر والسعي له
اذا كان يطلب به وجه الله تعالى ومرضاته وموافقة أولياء الله في دار كرامته ما تعلم أن القصد في شأن الدنيا
يورث العزو ويخلص من الذنوب وأنت إن تحوط نفسك من قائل ولا تنصليح أمورك بأفضل منه فاته واهتد به
تتم أمورك وترد مددك ويصلح عامتك وخاصتك وأحسن ظنك بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس
الوسيلة اليه في الأمور كلها تستمد به النعمة عليك ولا تمن أحد من الناس فيما توليه من عمل قبل أن
تكشف أمره فان إيقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم آثم ثم فاجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك
واطرده عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم بعينك ذلك على استطلاعهم ورياضتهم ولا تتخذ من عدو الله
الشیطان في أمرك مع مدافنه انما يكتفى بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم بسوء الظن بهم
ما ينقص لذادة عيشك واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفى به ما أحببت كفايته من أمورك
وتدعوه الناس الى محبتك والاستقامة في الأمور كلها ولا ينعك حسن الظن بأصحابك والرافة برعيتك
أن تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك والمباشرة لأمور الأولياء وحياطة الرعية والنظر في حوائجهم
وجل مؤناتهم أيسر عندك مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأحيي للسنة واخص نيتك في جميع
هذا وتفر دينة في نفسك تفرد من يعلم أنه مسئول عما صنع ويجزي بما أحسن ومواخذه بما أساء
فان الله عز وجل جعل الدنيا حرا وعزاورفع من اتبعه وعززه واسلك بمن تسوسه وترعاه في الدين
وطريقه الا هدى واقم حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعط لذل ذلك
ولا تهاون به ولا تؤخر عقوبة اهل العقوبة فان في تفریطك في ذلك ما يقصد عليك حسن ظنك واعتزم على
أمرك في ذلك بالناس من المعروف وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتتم لك مروءتك واذا عاهدت
عهدا فاقف به واذا وعدت الخير فأنجزه واقتبل الحسنة وادفع بها وانغصص عن عيب كل ذي عيب من

خاف منه فيزول غضبه (وفي) التوراة يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرني حين أغضب ولا أحبك فيمن أحق (ومنها) أن يذكر نقرة
القلوب منه وسقوط منزلته عند أبناء جنسه ووصفهم لما يحب وطيشه وسخفه فيكون ذلك سببا لزال غيظه (ومنها) أن يذكر انعطاف

القلوب عليه وانطلاق الالسة بالثناء عليه وميل النفوس اليه وان الحلم عزوذين وان السعة ذل وشين (روى) أبو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما زاد درجل (١٨٢) بعفو الا عرافة وايعزكم الله (وقال) بعض الحكماء من تذكر قدرة الله لم يستعمل

وعيتك واشدد اسنانك عن قول الكذب والزور وانغض أهل النسيمة فان أول فساد أمورك في عاجلها وأجلها تقريب الكذب والجراقة على الكذب لان الكذب رأس الماس ثم الزور والنميمة خاتمة الان النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها الا يسلم له صاحب ولا يستقيم له أمر واحبب أهل الصلاح والصدق وأعن الاشراف بالحق وأعن الضعفاء وصل الرحم وابسغ بذلك وجهه الله تعالى واعز أزاهره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الاوهام والجور واصرف عنه ما رأيك واطهر براءتك من ذلك لرعييتك وانعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وأثر الحلم والوقار واياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله واياك ان تقول أنا مسلم أفعل ما أشاء فان ذلك سر يع الى نقص الرأي وقلة اليقين لله عز وجل وأخلص لله وحدانية فيه واليقين واعلم ان الملك لله سبحانه وتعالى يؤتية من يشاء وينزع من يشاء وان تجد تغير النعمة وحلول النعمة الى احد أسرع منه الى جهلة النعمة من اصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة اذا كفر وانعم الله واحسانه واستطالوا بما اعطاهم الله عز وجل من فضله ودع عنه لك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتسكنز البر والتقوى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتمسوا بالهدى والحق لدمائهم والاغاثة لهم وفهم واعلم ان الاموال اذا اكتنزت وادخرت في الخزائن لا تنمو واذا كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الازية عنهم ثم غنوزك وصلحت به العامة وترتبت به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنفعة فليكن كنز خائيتك تقريق الاموال في عمارة الاسلام واهله ووفر منه على اولياء امير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف من ذلك حصصهم وتعهدهم ما يصلح أمورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت قرت النعمة لك واستوجبت المزي من الله تعالى وكنت بذلك على جباية اموال رعييتك وخراجك أقدر وكان الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك اساس لطاعة لك وطاب نفسا بكل ما اردت واجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب وليعظم حقلك فيه وانما يبقى من المال ما تنفق في سبيل الله وفي سبيل حقه واعرف للشاكرين حقهم وأثبهم عليه واياك ان تنسبك الدنيا وغرورها هاول الآخرة فتمت اونها على الحق عليك فان اتهاون بورث الفقر يط والفقر يط بورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارج الثواب فان الله سبحانه قد أسبغ عليك فضله واعظم بالشكر وعليه قاعته يدرك الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يكتب بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقرن ذنبا ولا تمالأن حاسدا ولا ترجن فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تدهن عداولا ولا تصدقن غاما ولا تأمن عداولا وتوالين فاسقا ولا تبغن غاويا ولا تحمدن مرثيا ولا تحقرن انسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسنن باطلا ولا تلاحظن مخفيا ولا تخلفن وعدا ولا تدمنن فخر ولا تظهرن غضا ولا تبينن رجاء ولا تمشين مراحولا تتركين سعيها ولا تفرطن في طلب الآخرة ولا ترفع للنام عينا ولا تغمض عن ظالم رهبة منه واتحابة ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا ولا أكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الرفه والبخل ولا تسمعن لهم قولان ضررهم أكثر من نفعهم وليس شيء أسرع فسادا مما استقبلت فيه أمر رعييتك من الشتم واعلم انك اذا كنت حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم أمرك الا قليلا فان رعييتك انما تنفعك على محبة لك بالكف عن اموالهم وترك الجور عليهم وال من صفالك من اوليائك بال اتصال اليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشتم واعلم انه اول ما عصى به الانسان ربه وان العاصي بمنزلة الحرى وهو قول الله عز وجل ومن يوفى

شكره في ظلم عباده (وكتب) بعض ملوك الفرس كتابا ودفعه الى وزيره وقال له اذا غضبت فناولنيه وفيه مكتوب مالك وللغضب انما أنت بشر ارحم من في الارض يرحمك من في السماء (وكان) معاوية كثيرا ما ينشد

انا اذا ما لت دواعي الهوى وانصت السامع للقائل واعتلج الناس بألبابهم تقضى بحكم عادل فاصل تخاف أن تسفه احلامنا فتكمل الدهر مع الخامل (وقال) بعض الحكماء اياك وعزة الغضب فانها تقضى الى ذلة العذر وقال الشاعر

واذا ما عترتك في الغضب العز ففاد كرت ذلال الاعتذار وقال غيره

زررنا على غير الفواحش قصنا

ولم نستجز الا الذي هو اجوز (وقال) عبد الله بن مسلم ابن محارب لم يروى الرشيد يا امير المؤمنين اسألك بالذي أنت بين يديه اذل من بين يديك وبالذي هو اقدر على عقابك منك على عقابي لما عفوت عني

فمعاذ الله ما ذكره قدرة الله عليه (وقال) رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن الاشعث

ان الله قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله تعالى ما يحب من العفو (وقال) المأمون لعمه ابراهيم بن المهدي وكان مع اخيه عليه اني

شاوورت في أمرك فاشاروا على بقتلك الا ان وجدت قدرك فوق ذنبك فذكرت القتل للازم حرمته فقال يا امير المؤمنين ان المشير اشار بما جرت به العادة في السياسة الا انك ابيت ان تطلب النصر الامن حيث عودته (١٨٣) من العفو فان عاقبت فلان نظير وان عفو

فلا نظير لك وانما يقول
البري منك وطال العذر
عندك لي

فما فعلت فلم تعد
ولم تلم
وقام عليك بي فاحتج
عندك لي

مقام شاهد عدل غير متهم
(وقال) بعض الحكماء
الغضب على من لا تملك
عجز وعلى من تملك اثم
(ومنها) ان يتذكر ما يؤل
الله الغضب من الندم
ومذلة الانتقام وشروع
القصاص في بدنه بين يدي
من لا يرجعه فان ذلك مما
يرده من الغضب

*(الباب الثانيون في
الجود والسخاء وهذه
الخصلة الجليل قدرها
العظيم موقعها الشريف
موردها ومصدرها)*

وهي احدى قواعد المملكة
واساسها وتاجها وجمالها
تغزلها الوجوه وتذل لها
الرقاب وتخضع لها الجبابرة
ويستترق بها الاحرار
ويستمال بها الاعداء
ويستكثر بها الاولياء
ويحسن بها الثناء ويميل
بها القرباء والبعدهاء
ويسود بها في غير عشاثرهم
الغرباء (وهذه) الخصلة
بالعزائم الواجبات اشبه

شيخ نفسه فأولئك هم المفلحون فسهل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم في بيتك حظا ونصيبا
وأيقن ان الجود أفضل اعمال العباد فاعده لنفسك خلقا واراض به عملا ومذهبا وتوقد الجند في دواوينهم
ومكاتبهم وأدر عليهم مآرزاقهم ووسع عليهم في معاشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقتمهم في قوَى لك
أمرهم وتزيد قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصا وانشراحا وحسب ذى السلطان من السعادة ان يكون على
جنده ورعيته رجة في عدله وعطيته واتصافه وعنايته وشقيقته وبره وتوسعته فذلك مكر وهادى البابين
بأسئله عارفه له الباب الآخر ولزوم العمل به تلقى ان شاء الله تعالى به نجاحا وصلاحا وفلاحا واعلم ان
القضاء من الله تعالى بالمكان الذى ليس له به شئ من الامور لانه ميزان الله الذى يعدهل عليه احوال
الناس في الارض وباقامة العدل في القضاء والعمل تصلح احوال الرعية وتأمين السبل ويتصف المظلوم
وتأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق من الله العافية والسلامة ويقبض
الدين ويجرى السنن والشرائع في مجاريها واشهد في امر الله عز وجل وتورع عن النطق وامض لاقامة
الحدود واقل العجلة وابعد عن الضجر والعلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه في صحتك واسدق في
منطقك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ في الحق ولا يأخذك في احدى من رعيته محاباة ولا بمحاباة
ولا لومة لائم وثبت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتبذر واعتبر وارفق بجميع الرعية
وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك الدماء فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتها كلها
بغير حقها وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزوا رفعة ولا له له توسعة
ومنعة ولعدوه كبتا وغيظا ولا لاهل الكفر من معاديتهم ذلا ووصه غارا فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل
والنسوية والعموم ولا تدفعن شيئا منه عن شريف اشرفه ولا عن غنى اغناه ولا عن كاتب لك ولا لادم
خاصتك ولا حاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلف امر اقره شطط واجل الناس كلهم على امر
الحق فان ذلك اجمع لانهم والزعم ارضاء العامة واعلم انك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمي
اهل عمل رعيته لانك راعيتهم وقيمهم فخدمهم ما اعطوك من عفوهم ونفقتهم في قوام امرهم وصلاحهم
وتقويم اودهم واستعمل عليهم اولى الراى والتدبير والتجربة والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة والعفاف
ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت واسند اليك فلا يشغلك عنه شاغل
ولا يصرفك عنه صارف فانك متى آثرت وقت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن
الاحدثة في عملك واستعجرت به المحبة من رعيته واعنت على اصلاح فدرت الخيرات بذلك وفشت
العمارة بنا حيتك وظهر الخصب في كورك وكثر خراجك وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتباط
جندك وارضاء العامة بافضالة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمودا بسياسة مرضى العدل في ذلك عند
عدوك وكنت في أمورك كلها اذا عدل وآلة وقوة وعدة فتنافس فيها ولا تقدم عليها شيئا تحمدها قبة أمرك
ان شاء الله تعالى واجعل في كل كورة من عملك أمينا يخبرك خبر عمالك ويكتب اليك بسيرهم واعمالهم
حتى كأنك مع كل عامل في عماله معاينة لاموره كلها واذا اردت ان تأمرهم بما عرفانظر في عواقب ما اردت من
ذلك فان رايت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فامضه ولا فتوقف عنه وراجع
اهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في امره وقد اتاه على ما يهوى فاغواه ذلك وأعجبه
فان لم ينظر في عواقبه أهله كنهه ونقض عليه أمره فاستعمل الخبز في كل ما اردت وباشره بعد دعوى الله عز
وجل بالقوة واكثر من استخارة ربك في جميع أمورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره واكثر مباشرة

منها بالجمال والمتممات وكما قدرنا من كافر ترك دينه والتزم دين الاسلام ابتغاء عرض قليل من الدنيا يناله ولم قد سمعنا من مسلم ارتدى في
أرض الشرك افتنانا يسير من عرض الدنيا وأخلق بخصلة يترك لها الانسان دينه الذى يعدل دونه نفسه ان تكون جميلة القدر عظيمة

الخطروا حوج خلق الله اليه افقرهم الى عطف القلوب عليه وصرف الوجوه اليه وهم الملوك والولاة (واعلموا) يامعشر من وسع الله عليه ديناه واسبغ عليه آلاؤه ونعماءه (١٨٤) انه ليس في الجنة لا وحسبك بكامة لا تدخل الجنة سقوا وضعة وانما است الجنة على

بنفسك فان لغدأ مور او حوادث تلييك عن عمل يومك الذي اخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه فاذا اخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغل ذلك حتى ترضى منه واذا امضيت لكل يوم عماله ارحمت بذنك ونفسك وجعت امر سلطانك وانظر احرار الناس وذوى الفضل منهم من بلوت صفاء طوبيتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والحفاظة على امرك فاستخلصهم واحسن اليهم وتعاهد اهل البيوتات من قد دخلت عليهم الحاجة واحتمل مؤنتهم واصلح حالهم حتى لا يجحدوا الخاتم منافر او افرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمة اليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فسل عنه اخفى مسئلة وكل بامنا له اهل الصلاح في رعبتك وممرهم برفع حوائجهم وخلالهم لتتظرفيما يصلح الله به امرهم وتعاهد ذوى البأساء ويتأماهم واراملهم واجعل لهم ارضا قاعا من بيت المال اقتداء بامير المؤمنين اعزه الله تعالى في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة واجر للامراء من بيت المال وقدم جملة القرآن منهم والحافضين لا كثره في الجرائد على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دورا تأويهم وقواما يرفعون بهم واطباء يعالجون اسقامهم واسعهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك الى سرف في بيت المال واعلم ان الناس اذا اعطوا حقوقهم وفضل اماتهم لم تبرهم وربما تبرهم المتصفق لأمور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذكره وفكره منها ما يناله به مؤنة ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن اموره في العاجل وفضل ثواب الاجل كالذي يستقر على اقر به الى الله تعالى وتلتبس به رحمة واكثر الاذن للناس عليك وارهم وجهك وسكن حراسك واخفص لهم جناحك واظهر لهم بشرتك ولن لهم في المسئلة والنطق واعطف عليهم ببجودك وفضلك واذا اعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتامس للصنعة والاجرم غير تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة مريحة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبل من اهل السطان والرياسة في القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم في احوالك كلها بالله سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وباقامة دينه وكتابه واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودع الى سخط الله عز وجل واعرف ما تجمع عمالك من الاموال وما يتفقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا ولا كثر بحاجاسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هوالك اتباع السنن واقامتها واثارها وكمال الاخلاق ومقاتلتها وليكن اكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيالم تنعم به هيبتك من انتهاء ذلك اليك في ستر واعلامك بما فيه من النقص فان اولئك انصح اوليائك ومظاهريك لك وانظر عمالك الذين يحضرتك وكتابك فوقك لكل رجل منهم في كل يوم وقايدخل فيه بكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك وأمور الدولة ورعبتك ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكر النظر فيه والتدبير له فما كان موافقا للعق والحزم فامض به واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى المسئلة عنه والتبذ ولا تمن على رعبتك ولا غيرهم معروف تؤتبه اليهم ولا تعبل من احد الا الوفاء والالسة بتمامه والعون في أمور المسلمين ولا تضمن المعروف الاعلى ذلك وتقمهم كافي اليك وامعن النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك واستغفره فان الله عز وجل مع الصالح واهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رعبتك ما كان لله عز وجل رضا ولدينه نظاما ولا له عز او تمكينا ولا لالة والذمة عدلا وصلاحا وانا سأل الله عز وجل ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك والسلام وحدث الاخبار يون ان هذا الكتاب لما ظهر وشاع امره اعجب به الناس واتصل بالمؤمنون فلما قرئ عليه قال ما بقى ابو الطيب يعني طاهر اشيا من أمور الدنيا والدين والتدبير والرأي

ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين (وهذه) الخصلة اعني الكرم والجود والسخاء والايثار معني واحد يوصف البارئ تعالى بالجود ولا يوصف بالسخاء كما يوصف بالعلم ولا يوصف بالعقل لعدم التوقيف (وحقيقة) الجود هي ان لا يصعب عليه البذل ويقال السخاء هو الرتبة الاولى ثم الجود ثم الايثار فمن اعطى البعض وامسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكبر فهو صاحب جود ومن اثر غيره بما مضى وبقي هو في مقاساة الضر فهو صاحب ايثار (قال) ذوالنون بداية السخاء ان تسخو نفسك بما في يديك ونهايته ان تسخو نفسك بما في ايدي الناس وان لا تبالي من كل الدنيا (وتذكر) قوم من الزهاد عند رابعة العدو به فجعوا يذمون الدنيا ويكثرون من ذلك فقالت رابعة من احب شيئا كثر من كرهه واصل السخاء هو السماحة وان يؤتي ما يؤتيه من طيبة نفس (وقد يكون) المعطى بخيلا اذا صعب عليه البذل والمستسحيا اذا كان لا يستصعب العطاء وان منع ولهذا قال علماؤنا ان الله تعالى لم يزل جوادا وان لم يقع منه عطاء في الازل لان العطاء فعل والفعل في الازل مستحيل (وقالت) الحكماء أي الجامع لا يتخذ عن فلان كقول البدين

والسماحة والامانة
وان لم يقع منه عطاء في الازل لان العطاء فعل والفعل في الازل مستحيل (وقالت) الحكماء أي الجامع لا يتخذ عن فلان كقول البدين

والموهوب للمأدود المتروك للعدو وقال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (قال) أبو هريرة رضي الله عنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جائع فاطعمني فبعث النبي (١٨٥) صلى الله عليه وسلم إلى أزواجه فقنن والذي

والسياسة وصلاح الممالك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد احكمه واوصى به ثم امر المأمون فكتب به الى جميع العمال في النواحي ليقتدوا به ويعملوا بما فيه هذا الحسن ما وقفت عليه في هذه السياسة والله اعلم

٥٣ * (فصل في امر القاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك) *

(اعلم) ان المشهور بين السكافة من اهل الاسلام على مراحله لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويبيعه المسلمون ويسمونه تولى على الممالك الاسلامية ويسمونه بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من اشراط الساعة النابتة في الصحيح على اثره وان عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال او ينزل معه فيساعده على قتله وياتم بالمهدي في صلاته ويحججون في الباب باحاديث خرجها الائمة وتسكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوها ببعض الاخبار وللمتصوفة المتأخرين في امر هذا الفاطمي طريقة أخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك على الكشف الذي هو اصل طرائقهم ونحن الآن نذكر هنا الاحاديث الواردة في هذا الشأن وما لا نذكر من فيها من المطاعن وما لم يمت في انكارهم من المستند ثم نبينه بذكر كلام المتصوفة ودليهم ليتبين لك الصحيح من ذلك ان شاء الله تعالى فتقول ان جماعة من الائمة خرجوا احاديث المهدي منهم الترمذي وابوداود والبخاري وابن ماجه والحاكم والطبراني وابو يعلى الموصلي واسندوه الى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطحمة وابن مسعود والي هريرة وانس والي سعيد الخدري وام حبيبة وام سلمة ونوبان وقرة بن اياس وعلى الهلالى وعبد الله بن الحرث بن خزيمة واسانيه وربما يعرض لها المنكرون كما نذكره الان المعروف عند اهل الحديث ان الجرح مقدم على التعديل فاذا وجدنا طائفة في بعض رجال الاسانيه بغير قلة او بسوء حفظ او ضعف او سوء رأى تطرق ذلك الى صحة الحديث وأوهن منها ولا نقول ان مثل ذلك ربما يتطرق الى رجال الصحيحين فان الاجماع قد اتصل في الامة على تلقيها بالقول والعمل بما فيه ما وفي الاجماع اعظم حماية واحسن دفع وليس غير الصحيحين بمثابة ما في ذلك فقد نجا بحال الاسانيه كالام في اسانيه ما نقل عن ائمة الحديث في ذلك ولقد توغل ابو بكر بن ابي خزيمة على ما نقل السهيلي عنه في جمعه للاحاديث الواردة في المهدي فقال ومن اغربها اسنادا ما ذكره ابو بكر الاسكافي في فوائده الاخبار مسندنا الى مالك بن انس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالمهدي فقهه كذبه ومن كذب بالرجال فقهه كذبه وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما احسب وحسبك هذا غلو والله اعلم بهجة طريقه الى مالك بن انس على ان ابا بكر الاسكافي عندهم منهم موضع * واما الترمذي فنخرج هو وابوداود بسنديهما الى ابن عباس من طريق عاصم بن ابي النجود أحد القراء السبعة الى زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لولم يبق من الدنيا الا يوم اطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا مني او من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسمي هذا اللفظ الى داود وسكت عليه وقال في رسالته المشهورة ان ما سكت عليه في كتابه فهو ضالح ولفظ الترمذي لا تذبح الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي وفي لفظ آخر حتى يلى رجل من اهل بيتي وكلاهما احديث حسن صحيح ورواه ايضا من طريق موقوف على ابي هريرة وقال الحاكم رواه الثوري وشعبة وزائدة وغيرهم من ائمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كذا الصحيح على ما اصلته من الاحتجاج باخبار عاصم انه وامام من ائمة المسلمين انتهى الان عاصم قال فيه احمد بن حنبل كان رجلا

(٢٤ - ابن خلدون) أبيات حتى عاد الى الاول فنزلت ويؤثرون على أنفسهم (وقال) حذيفة العدوي انطلقت يوم

اليرموك أطلب ابن عملي ومعي شيء من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقطه فاذا نابيه بين القتلى فقلت أسعيتك فاذا رجل يقول آه فاشد

ابن عبي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقك فسمع آخر يقول آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجمته فاذا هو قد مات
ثم رجعت الى هشام فوجدته (١٨٦) قد مات ثم رجعت الى ابن عبي فاذا هو قد مات (وروي) عائشة رضي الله عنها قالت

قال النبي صلى الله عليه وسلم السخى قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة والمجاهل السخى أحب الى الله من العابد البخيل (وروي) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن آدم إنما أنت من ماله ما كُلت فأنبت أولبست فألبست أو أعطيت فامضيت (واعلم) أن السخاء على وجوه سخاء في الدين وسخاء في الدنيا فالسخاء في الدنيا البذل والعطاء والاثار وسخاءة النفس قال الله تعالى ومن يوق شحم نفسه فالواثق هم المفلحون وعلامته ترك الادخار وبغض جمع المال وتعاهد الاخوان مسرورا قلبه بذلك والسخاء في الدين أن تسخو نفسك أن يتلفها الله تعالى وترى دمك في الله سماعة من غير كراهة لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا ان كنت غير مستغن عن الثواب لان الغاب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله تعالى حتى يفعل الله بك ما لا تحسن ان تختاره

صالحا قارئا للقرآن خيرا ثقة والاعمش احفظ منه وكان شعبة يختار الاعمش عليه في تثبيت الحديث وقال العجلي كان يختلف عليه في زرواوى وائل يشير بذلك الى ضعف روايته عنه ما وقال محمد بن سعد كان ثقة الا انه كثير الخطا في حديثه وقال يعقوب بن سفيان في حديثه اضطراب وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم قلت لابي ان ابا زرعة يقول عاصم ثقة فقال ليس محله هذا وقد تكلم فيه ابن علية فقال كل من اسمه عاصم سبيى الحفظ وقال ابو حاتم محله عندى محل الصدوق صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ واختلاف فيه قول النسائي وقال ابن حراس في حديثه نكرة وقال ابو جعفر العقيلي لم يكن فيه الاسوء الحفظ وقال الدارقطني في حقه شيء وقال يحيى القطان ما وجدته رجلا اسمه عاصم الا وجدته ردى الحفظ وقال ايضا سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم بن ابي الجود وفي الناس ما فيها وقال الذهبي ثبت في القراءة وهو في الحديث دون الثبت صدوق فهم وهو وحسن الحديث وان احتج احديان الشيخين أخرجه فنعول أخرجه مقررنا بخبره لا اصلا والله اعلم وخرج ابو داود في الباب عن علي رضي الله عنه من رواية قطن بن خليفة عن القاسم بن ابي مرة عن ابي الطفيل عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لم يبق من الدهر الا يوم لمعت الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا وقطن بن خليفة وان وثقه أحمد ويحيى بن القطان وابن معين والنسائي وغيرهم الا ان العجلي قال حسن الحديث وفيه تشيع قليل وقال ابن معين مرة ثقة شيعي وقال أحمد بن عبد الله بن يونس كذا في علي قطن وهو مطروح لان كتب عنه وقال مرة كنت أمر به وأدعه مثل الكلب وقال الدارقطني لا يحتج به وقال أبو بكر بن عياش ما تركت الرواية عنه الا اسوء مذهبه وقال الجرجاني زائع غير ثقة انتهى وخرج ابو داود ايضا بسنده الى علي رضي الله عنه عن مروان بن المغيرة عن عمر بن ابي قيس عن شعيب بن ابي خالد عن ابي اسحق النسفي قال قال علي ونظر الى ابنه الحسن ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق عيلا الارض عدلا وقال هرون حدثنا عمر بن ابي قيس عن مطرف بن طريف عن ابي الحسن عن هلال بن عمر سمعت عليا يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم سيخرج رجل من وراء النهر يقال له الحرث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ اويكن لا ل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مؤمن نصره أو قال اجابته سكنت ابو داود عليه وقال في موضع آخر في هرون وهو من ولد الشيعة وقال السلمياني فيه نظروا وقال ابو داود في عمر بن ابي قيس لا بأس به في حديثه خطأ وقال الذهبي صدق له أو هام وأما ابو اسحق الشيباني وان خرج عنه في الصحيحين فقد ثبت أنه اختلط آخر عمره وروايته عن علي منقطعة وكذلك رواية أبي داود عن هرون بن المغيرة * وأما السند الثاني فأبو الحسن فيه وهلال بن عمر مجله ولان ولم يعرف أبو الحسن الا من رواية مطرف بن طريف عنه انتهى وخرج ابو داود ايضا عن أم سلمة وكذا ابن ماجه والحاكم في المستدرک من طريق علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من ولد فاطمة ونفط الحاکم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذکر المهدي فقال نعم هو حق وهو من بني فاطمة ولم يتكلم عليه بتصح ولا غيره وقد ضمه أبو جعفر العقيلي وقال لا يتابع على ابن نفيل عليه ولا يعرف الا به وخرج ابو داود ايضا عن أم سلمة من رواية صالح بن الخليل عن صاحب له عن أم سلمة قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا الى مكة فيأبته ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيأبونه بين الركن والمقام فيبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبديداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك اتاه ابدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيأبونه

لنفسك (وقيل) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من السيد قال الجواد اذا سئل الخليم اذا استجهل الكريم ثم
الجحالة من جالسه الحسن الخلق من جاوره (يقال) النعمان بن المنذر يوما لجلسائه من أفضل الناس عيشا وانهم بالاولا كرمهم

طباعا واجلهم في النقوش قدرا فسكت القوم فقال في ايدي اللعن افضل الناس من عاش الناس في فضله قال صدقت (وقال الحسن باع طلحة بن عثمان ارضا بسبعمائة الف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا (١٨٧) عنده لا يدري ما يدرى لغيره بالله

ثم جعل رسوله يختص به حتى قسها وما اصبح عنده منها درهم (وكان) اسماء بن خازجة يقول ما احب ان ارد احدا عن حاجته لانه ان كان كريما صون عرضه ان كان لثيما صون عنه عرضي (وكان) مروان العجلي يتلطف في ادخال الرقيق على اخوانه فيضع في احداهم الف درهم ويقول امسكوها حتى اعود اليكم ثم يرسل اليهم انتم منها في حبل (وقال العتبي) اعطى الحكيم بن عبد المطلب جميع ما يملكه فلما نفذ ما عنده ركب فرسه واخذ ربحه يريد الغزو ومات بمنجج فاخبرني رجل من اهل منبج قال قدم علينا الحكيم وهو مملوك لاشيئ معه فاغنانا قبل كيف اغناكم وهو مملوك فقال ما اغنانا مال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض فاستغنينا بهوا كرم العرب في الاسلام طلحة بن عبيد الله جاءه رجل فساله برحم يمينه وبينه فقال هذا حاطلي بمكان كذا وكذا وقد اعطيت به ستمائة الف درهم اراح بالمال الى العشرة فان شئت فالمال وان شئت فالخياط

ثم ينشأ رجل من قریش اخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والحقيقة لمن لم يشهد غنيمته كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة بينهم صلى الله عليه وسلم وياقي الاسلم بجرايه على الارض فيأبث سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين ثم رواه ابو داود ومن رواية ابن الخليل عن عبد الله بن الحرث عن أم سلمة قتيبن بذلك الممهم في الاسناد الاول ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا معزز وقد يقال انه من رواية قتادة عن أبي الخليل وقناة مداس وقد عنعنوه والمدايس لا يقبل من حديثه الا ما صرح فيه بالسماع مع أن الحديث ليس فيه تصريح بذلك المهدى نعم ذكره ابو داود في ابوابه وخرج ابو داود ايضا وتابعه الحاكم عن أبي سعيد الخدري من طريق عمران القطان عن قتادة عن أبي بصرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم المهدى مني اجلي الجبهة اثنى الانف يلا الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين هذا لفظ أبي داود وسكت عليه ولفظ الحاكم المهدى منا اهل البيت اثنى الانف اثنى اجلي يلا الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وظلما يعيش هكذا وبسط يساره واصابعه من يمينه اليسارية والابهام وعقد ثلاثة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه اه وعمران القطان مختلف في الاحتجاج به انما اخرج له البخاري استشهاده الا لا وكان يحيى القطان لا يحدث عنه وقال يحيى بن معين ليس بالقوي وقال مرة ليس بشئ وقال احمد بن حنبل ارجوان يكون صالح الحديث وقال يزيد بن زريع كان حروريا وكان يرى السيف على اهل القبلة وقال النسائي ضعيف وقال ابو عبيد الا جرى سألنا ابا داود عنه فقال من اصحاب الحسن وما سمعت الا خبرا وسمعت مرة اخرى ذكره فقال ضعيف اثنى في ايام ابراهيم بن عبد الله بن حسن بقوى شديد فيقيم اسفل الدماء وخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد الخدري من طريق زيد العمى عن أبي صديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال خشينا ان يكون بعض شئ حدث فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان في امتي المهدي يخرج بعيش خسا اوسبعا وتسع ازيد الشاك قال قلنا وما ذلك قال سنين قال فيحيى اليه الرجل فيقول يا مهدي اعطني قال فيحيى له في ثوبه ما استطاع ان يحمله لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن وقد روى من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ ابن ماجه والحاكم يكون في امتي المهدي ان قصر فسبع والافتسح فتسعم امتي فيه نعمه لم يسمعوا لهما لاقط ثوبتي الارض اكها ولا يدخر منه شئ والمال يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول خذ انتهي وزيد العمى وان قال فيه الدارقطني واجد بن حنبل ويحيى بن معين انه صالح وزاد احمد انه فوق يزيد الرقاشي وفضل بن عيسى الا انه قال فيه ابو حاتم ضعيف يكتب حديثه ولا يحتج به وقال يحيى بن معين في رواية اخرى لاشيئ وقال مرة يكتب حديثه وهو وضعيف وقال المجري في التماسك وقال ابو زرعة ليس بقوى واهي الحديث ضعيف وقال ابو حاتم ليس بذلك وقد حدث عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدى عامة ما روي به ومن يروى عنهم ضعفاء على أن شعبة قد روى عنه ولعل شعبة لم يرو عن اضعف منه وقد يقال ان حديث الترمذي وقع تقسيرا المارواه مسلم في صحيحه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر امتي خليفة يحق المال حثما لا يعده عدا ومن حديث أبي سعيد قال من خلفاءكم خليفة يحق المال حثما ومن طريق اخرى عنه ما قال يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده انتهي واحاديث مسلم لم يقع فيها ذكر المهدي ولا دليل يقوم على أنه المراد منها ورواه الحاكم ايضا من طريق عوف الاعرابي عن أبي الصديق الناجي ان أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تملأ الارض جورا

(ويروي) أن رجلا بعث الى منظة بجارية فوافته بين اصحابه فقال قبيح ان آخذها لنفسي وانت حاضروا كره ان اخص بها واحدا منكم وكلكم له حق وحرمة وهذه لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانين رجلا فامر لكل واحد منهم بجارية أو وصيف (وقيل) لقيس بن سعد

هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فحضر زوجها فقالت له انه نزل بك ضيقان فجاء بناقفة فخرها وقال شأنكم فلما كان الغد جاء باخرى وفخرها وقال (١٨٨) شأنكم فقلنا ما كان من التي فخرت البارحة الا اليسير فقال اني لا اطعم اضيافى الفئات

وظلمنا وعداونا ثم يخرج من اهل بيتي رجل يملأها قسطا وعدا كالمائت ظلمنا وعداونا وقال فيه
الحاكم هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الحاكم ايضا من طريق سليمان بن عبيد عن
ابي الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال يخرج في آخر امتي
المهدي يدعيه الله الغيب وتخرج الارض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر المشاة وتكثرون عظم الامة
يعيش سبعين سنة وثمانيا يعني حجبا وقال فيه حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه مع ان سليمان بن عبيد لم
يخرج له احدا من الستة لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم يرد ان احدا تكلم فيه ثم رواه الحاكم ايضا
من طريق اسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق وابي هريرة العبدى عن ابي الصديق
الناجي عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تملأ الارض جورا وظلما فيخرج رجل من عترتي
فيملأ سبعين سنة او تسعين سنة الارض عدلا وقسطا كالمائت جورا وظلما وقال الحاكم فيه هذا حديث صحيح على
شرط مسلم ولم يخرجاه له على شرط مسلم لم يخرجه عنه حماد بن سلمة وعن شيخه مطر الوراق واما شيخه
الاخر وهو ابو هريرة العبدى فلم يخرج له وهو ضعيف جدا متهم بالكذب ولا حاجة الى بسط اقوال الائمة
في تضعيفه * واما الراوى له عن حماد بن سلمة وهو اسد بن موسى ويلقب اسد السنة وان قال البخاري
مشهور الحديث واستشهد به في صحيحه واحتج به ابو داود والنسائي الا انه قال مرة اخرى ثقة ولم يصنف
كان خيرا له وقال فيه محمد بن خزم منكر الحديث ورواه الطبراني في معجمه الاوسط من رواية ابي الواصل عبد
الحسين بن واصل عن ابي الصديق الناجي عن الحسن بن يزيد السدي احدثني بهذا عن ابي سعيد
الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج رجل من امتي يقول بسنتي ينزل الله عز
وجل له القطر من السماء وتخرج الارض بركتها وتملأ الارض منه قسطا وعدا كالمائت جورا وظلما
يعمل على هذه الامة سبع سنين وينزل بيت المقدس وقال الطبراني فيه ورواه جماعة عن ابي الصديق
ولم يدخل احدا منهم بينه وبين ابي سعيد احدا الا بالواصل فانه رواه عن الحسن بن يزيد عن ابي سعيد
انتهى وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن ابي حاتم ولم يعرفه بأكثر مما في هذا الاسناد من روايته عن ابي
سعيد ورواية ابي الصديق عنه وقال الذهبي في الميزان انه مجبول لكن ذكره ابن حبان في الثقات واما ابو
الواصل الذي رواه عن ابي الصديق فلم يخرج له احدا من الستة وذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة
الثانية وقال فيه روى عن انس وروى عنه شعبة وعطاء بن بشر وخرج ابن ماجه في كتاب السنن عن عبد
الله بن مسعود من طريق يزيد بن ابي زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينما نحن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا قبل قبعة من بني هاشم فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه
وتغير لونه قال فقلت ما نزل نرى في وجهك شيئا فذكره فقال انا اهل البيت اختار الله لنا الاخرة على الدنيا
وان اهل بيتي سيقولون بعدى بلا وتشر يد او تطر يد احتي باقى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود
فيسألون الخبير فلا يعطونه فيقاتلون وينصرون فيعطون ماسا لو افلايقبلونه حتى يدفعونها الى رجل من
اهل بيتي فيملأها قسطا كالمائت جورا فمن ادرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبووا على الثلج انتهى * وهذا
الحديث يعرف عند الحديثين بحديث الزيات ويزيد بن ابي زياد رواه قال فيه شعبة كان رفعا يعني يرفع
الاحاديث التي لا تعرف مرفوعة وقال محمد بن الفضل كان من كبار ائمة الشيعة وقال احمد بن حنبل لم يكن
بالحافظ وقال مرة حديثه ليس بذلك وقال يحيى بن معين ضعف وقال العجلي جائز الحديث وكان باخرا
يلقب وقال ابو زرعة لين يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابو حاتم ليس بالقوى وقال الجرجاني سمعته

فلقنا عنده اياما والسماء
تطرو وهو يفعل كذلك
فلما اردنا الرحيل وضعنا
مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة
اعتذرى لنا منه ومضينا
فلما متع النهار اذا برجل
يصبح خلفنا قفا وآيها
الركب الاثام اعطيت وفي
عن القرى ثم انه لم يبق وقال
لتأخذونها والاطعنتكم
برمحي فاخذناها وانصرف
(وقال) ميمون بن مهران
من طالب مرضاة الاخوان
بلا شئ فليحجب اهل
القبور (وقال) ابن عباس
لا يتم المعروف الا بثلاثة
تجمل به وتضعيره وستره فاذا
عجله فقد هناه واذا صغره
فقد عظمه واذا ستره فقد
تممه (وقال) الحسن كان
أحدهم يشق ازاره لانيه
بنصفين (وقال) المغيرة في
كل شئ سرف الا في
المعروف (وقيل) للحسن
ابن سهل لا خير في السرف
فقال لا سرف في الخير فقلب
اللفظ واستوفى المعنى
ونظمه محمد بن حازم فقال
لا فقر عار ولا الغنى شرف
ولا سحاء في طاعة سرف
مالك الا شئ تقدمه
وكل شئ اخره تلف
واما طلحة بن عبد الله بن
خلف الخزاعي المعروف

بطلحة الطلحات واما سمي بهذا الاسم لانه كان عظيم البذل في كل وجه وكان يتنازع الرقاب فيمنعها وكان
كل معتنق يولد له ولد ذكر سماه طلحة فبلغ عددهم ألف رجل كل يسمى طلحة فسمي طلحة الطلحات ثم ولي سجستان وفيه يقول الشاعر
يضعفون

تضر الله أعظمادفونها * بسجدة ان طلحة الطلحات فقد بلغه ان معلمه كان في الكتاب بالحجاز قد قد عبه الدهر فارسل اليه مع غلامه
مائة الف فقال سلمها اليه فان يكن مات وله ولد فادفعها الي ولده وان لم يكن له ولد ففرقها (١٨٩) على قومه فوافقه الرسول قدمات

ولم يعقب فقرقها في قومه
(وقال) زيد بن اسلم وكان
من الخاشعين يا ابن آدم
أعرك الله ان تكون
كرما وتدخل الجنة
ونهاك ان تكون لثما
وتدخل النار (وقال)
حكيم بن خزام ما أصبحت
قط صبا حالم أرياني طالب
حاجة الا عدتها مصيبة
أرجو ثوابها (ولما) مات
وجد عليه مائتا ألف دينار
ووجد مکتوبا على حجر
انتبه الفرس عندما مكانها
ولا تحمل على نفسك هم
ما لم يأتك * واعلم ان تقترك
على نفسك توفير الخزانة
غيرك فك من جامع لعل
حليته (وقال) علي بن أبي
طالب رضي الله عنه ما
جعت من المال فوق
قوتك فأنما أنت خازن
لغيرك (وروي) مالك في
الموطان مسندنا سأل
عائشة وهي صائمة وليس
في بيتها الا رغيف فقالت
لولا ما أعطيه اياه فقالت
ليس لك ما تنظر بن عليه
فقالت أعطيه اياه ففعلت
فلما أمست أهدي لها
أهل بيت شاة وكفنها يعني
ملفوفة بالزعفران فقالت
لي عائشة كلّي هذا خير
من قرصك (وقال) عبد

بضعفون حديثه وقال ابو داود لا اعلم احدا ترك حديثه وغيره احب الى منه وقال ابن عدى هو من شبيعة
أهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه وروى له مسلم لكن مقرونا بغيره وبالجملة فلاكثر من على ضعفه
وقد صرح الأئمة بنصفه هذا الحديث الذي رواه عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله وهو حديث
الرايات وقال وكيع بن الجراح فيه ليس بشيء وكذلك قال احمد بن حنبل وقال ابو قدامة سمعت ابا اسامة
يقول في حديث يزيد عن ابراهيم الرايات لو حلف عندى خمسة بن عينا قسامة ماصدقته اهـ ذامذهب
ابراهيم اهـ ذامذهب علقمة اهـ ذامذهب عبد الله واورد العقيلي هذا الحديث في الضعفاء وقال الذهبي
ليس بصحيح وخرج ابن ماجه عن علي رضي الله عنه من رواية ياسين العجلي عن ابراهيم بن محمد بن الحنفية
عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي منا اهل البيت يصلح الله به في ليلة
وياسين العجلي وان قال فيه ابن معين ليس به بأس فقد قال البخاري فيه نظرو هذه اللفظة من اصطلاحه
قوية في الضعيف جـ داود ورواه ابن عدى في الكامل والذهبي في الميزان هذا الحديث على وجه
الاستسكان له وقال هو معروف به وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن علي رضي الله عنه انه قال للنبى
صلى الله عليه وسلم امننا المهدي ام من غيبرنا يا رسول الله فقال بل من ابنايختم الله كتابنا فتحبونا
يستفزون من الشرك وبنائوا في الله بين قلوبهم بعد عدة بينة لما بنا الف بين قلوبهم بعد عدة
الشرك قال علي المؤمنون ام كافرون قال مقنون وكافرانتهى وفيه عبد الله بن لميعة وهو ضعيف
معروف الحال وفيه عمر بن جابر الحضرمي وهو اضعف منه قال احمد بن حنبل روى عن جابر منا كبر
وبلغني انه كان يكذب وقال النسائي ليس بثقة وقال كان ابن لميعة شيخا احمق ضعيف العقل وكان يقول
على في السحاب وكان يجلس معنانيه يصيح فيقول هـ ذا على قد مر في السحاب وخرج الطبراني عن علي
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما
يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا اهل الشام ولا يكن سبوا اشرارهم فان فيهم الابدال يوشك ان يرسل
على اهل الشام صيب من السماء فيغرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم فعند ذلك يخرج خارج
من اهل بيتي في ثلاث رايات المكثر يقول بهم خمسة عشر الفا والمقل يقول بهم اثنا عشر الفا واما رتهم
امت امت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك فيقتلهم الله جميعا ويرد الله الى المسلمين
ألفتهم ونعمتهم وقاصيتهم ورايتهم اهـ وفيه عبد الله بن لميعة وهو ضعيف معروف الحال ورواه الحاكم في
المستدرک وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه في روايته ثم يظهر الهاشمي فیرد الله الناس الى الفتهم الحج وليس في
طريقه ابن لميعة وهو اسناد صحيح كما ذكر وخرج الحاكم في المستدرک عن علي رضي الله عنه من رواية ابني
الطفيل عن محمد بن الحنفية قال كنا عند علي رضي الله عنه فساءله رجل عن المهدي فقال علي هييات ثم عقد
بده سبعا فقال ذلك يخرج في آخر الزمان اذا قال الرجل الله الله قتل ويجمع الله له قوما قرع (١) كقرع
السحاب يؤاف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون الى احد ولا يفرحون باحد دخل فيهم عدتهم على عدة اهل
بدر لم يسبقهم الا ولون ولا يدركهم الا آخرون وعلى عدد اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر قال ابو
الطفيل قال ابن الحنفية اترى يده قلت نعم قال فانه يخرج من بين هذين الاخشابين قلت لا جرم والله
ولا ادعها حتى اموت ومات بها يعني مكة قال الحاكم هـ ذا حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى وانما
هو على شرط مسلم فقط فان فيه عمارة الذهبي ويونس بن ابني اسحق ولم يخرج لهما البخاري وفيه عمر بن

(١) قوله قرع بضم اوله وفتح الزاي ممنوع من الصرف كما في اهـ

الله بن عمر ما كان احدا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يحسب ان له في الفضل شيئا (وقال) الحسن كنانة البخيل من يقرض أخاه
الدرهم (ومن عجائب) ما روى في الاشارة ما ذكره ابو محمد الازدى قال لما احترق المسجد بصر وظن المسلمون ان النصاري احرقوه فاحرقوا

خاتلم فقبض السلطان جماعة من الذين أحرقوا الخان وكتب رقا عا فيها القتل وفيها القطع فيها الجادون ثم ما عليهم من وقعت عليه رقعة
فعل به ما فيها فوقعت رقعة (١٩٠) فيها القتل بيد رجل فقال ما كنت أبالي لولا أمي وكان بجانبه بعض القنبان فقال له في

رحمة العبد لم يخرج له البخاري احتجاجا بل استشهدا مع ما ينضم إلى ذلك من تشيع عمار الذهبي
وهو ابن وثقه أحمد وابن معين وابو حاتم النسائي وغيرهم فقد قال علي بن المدني عن سفيان ان بشر بن
مروان قطع عرقه بيه قات في أي شيء قال في التشيع وخرج ابن ماجه عن انس بن مالك رضي الله عنه في
رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن زياد النخعي عن عكرمة بن عمار عن اسحق بن عبد الله عن
انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن ولد عبد المطلب سادات اهل الجنة انا وحزبه
وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي انتهى وعكرمة بن عمار وان اخرج له مسلم فاعلمنا اخرج له متابعة
وقد ضعفه بعض وثقه آخرون وقال ابو حاتم الرازي هو مدلس فلا يقبل الا ان يصرح بالسماع وعلي بن
زياد قال الذهبي في الميزان لا ندرى من هو ثم قال الصواب فيه عبد الله بن زياد وسعد بن عبد الحميد وان
وثقه يعقوب بن ابي شيبة وقال فيه يحيى بن معين ليس به بأس فقد تكلم فيه الثوري قالوا لانه راى يفتي في
مسائل ويخطئ فيها وقال ابن حبان كان ممن فحش عطاؤه فلا يحتج به وقال احمد بن حنبل سعد بن عبد
الحميد يدعي انه سمع عرض كتب مالك والناس ينكرون عليه وذلك وهو ههنا به بعد ادلم يحج فكيف
سعهما وجعله الذهبي ممن لم يقدح فيه كلام من تكلم فيه وخرج الحاكم في مسنده عن راية مجاهد
عن ابن عباس موقوف عليه قال مجاهد قال لي ابن عباس لو لم اسمع انك مثل اهل البيت ما حدثت
به هذا الحديث قال فقال مجاهد دفانه في ستر لا ذكره لمن يكره قال فقال ابن عباس منا اهل البيت
اربعة منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدي قال فقال مجاهد بين لي هؤلاء الاربعة فقال ابن
عباس اما السفاح فربما قتله انصاره وعقاعن عدوه واما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه الشطر عما كان
ولا يتعاضد في نفسه ويسلك القليل من حقه واما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه الشطر عما كان
يعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يره برب منه عدوه على مسيرة شهرين والمنصور يره برب منه عدوه
على مسيرة شهر واما المهدي الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وتأمين البهاشم السباع يلقى الارض
افلاذ كبدها قال قلت وما افلاذ كبدها قال امثال الاسطوانات من الذهب والفضة اه وقال الحاكم
هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهو من رواية اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن ابيه واسمعيل بن
ضعيف وابراهيم ابو هوان خرج له مسلم فلا كثرون على تضعيفه اه وخرج ابن ماجه عن ثوبان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل عند كبرك ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير الى واحد منهم حتى تطلع
الرايات السود من قبل المشرق فيقتلوه ثم قتلهم بقتله قوم ثم ذكر شيئا لا احفظ قال فاذا رايتوه فبايعوه ولو
حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدي اه ورجاله رجال الصحيحين الا ان فيه اباقا لابي الجرمي وذكر الذهبي
وغيره انه مدلس وفيه سفيان الثوري وهو مشهور بالنسك وكل واحد منهم ما نعت ولم يصرح بالسماع
فلا يقبل وفيه عبد الرزاق بن همام وكان مشهورا بالتشيع وعمر بن جابر الحضرمي عن عبد الله بن
بأ حديث في الفضائل لم يوافقه عليه احد ونسبوه الى التشيع انتهى * وخرج ابن ماجه عن عبد الله
ابن الحرث بن جزء الزبيدي عن طريق ابن لهيعة عن ابي زرعة عن عمر بن جابر الحضرمي عن عبد الله بن
الحرث بن جزء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق فيوطئون للهدى يعني سلطانه
قال الطبراني تفرد به ابن لهيعة وقد تقدم لنا في حديث علي الذي خرج به الطبراني في معجمه الاوسط ان ابن
لهيعة ضعيف وان شيخه عمر بن جابر اضعف منه وخرج البزار في مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللفظ
للطبراني عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في أمي المهدي ان قصر فسمع والافئنان

وقعتي الجمل وليست لي أم
فادفع الى رقعة لك وخذ
رقعة فقعه لا تقتل ذلك
وتخلص هذا (وحكي) ان
أبا العباس الانطاكي
اجتمع عنده نيف وثمانون
رجلا بقر به بقرب الري
وهم أرفقة لم تسمع جميعهم
فكسروا الرغفان واطعوا
السراج وجلسوا للطعام
الى ان كفوا فلما رفع اذا
الطعام بحال لم يأكل منه
واحد منهم اثار صاحبه
على نفسه (وروي) انه
اجتمع بالرملة جماعة من
أرباب القلوب فحضر طبق
فيه تين أخضر وقد غسق
الليل فكان الواحد يمد
يده فاذا طفر بحجة حصرم
يأكلها وان ظفر بطيب
دفعه الى صاحبه ولم يأكله
فلما رفع الطبق اذا الطيب
كاه في الطبق لم يأكلوا
منه شيا (وقال) بعض
الرواة دخلت على بشر
الحافي في يوم شديد البرد
وقد تعبرى من الثياب
فقلت يا أبا نصر الناس
يزيدون الثياب في مثل
هذا اليوم وأنت تنقص
فقال ذكرت الفقر او ما هم
فيه ولم يكن لي ما واسيهم
به فاردت ان أرافقه
بنقسي في مقاساة البرد

(وقال) الاستاذ أبو علي لماسعي غلام خليل بالصوفية الى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم فاما الحميد
فانه تسبر بالثقة وكان يفتي على مذهب أبي ثور واما الشحام والرقام والنوري وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم

فتقدم النوري امامهم فقال له السباني أتدري لماذا أتقدم وتسابق قال نعم قال وماذا يجعلك قال أوثر أصحابي بحياة ساعة فقبح السباني
وأثنى الخبر إلى الخليفة فردهم إلى القاضي ليتعرف حالهم فالتقى القاضي على (١٩١) أبي الحسن النوري مسائل فقهية فاجاب

عن الكل ثم أخذ يقول
ان لله عباد اذا قاموا قاموا
بالله واذا نطقوا نطقوا
بالله وسرد الفاظا حتى أبكى
القاضي فارسل إلى الخليفة
وقال ان كان هؤلاء زنادقة
فما على وجه الارض مسلم
(ولما) مرض قيس بن سعد
ابن عباد استبطأ اخوانه
في العيادة فسأل عنهم فقال
انهم يستحيون عائلته عليهم
من الدين فقال أخرى الله ما
لا يمنع الاخوان من الزيارة
ثم أمر من ينادي من كان
لقيس عنده مال فهو منه
في حل فكسرت عتبة بابها
بالعشي لكثرة العواد
(ويروى) ان عبد الله
ابن جهم فمر وكان أحد
الاجواد خرج إلى ضيعة له
فنزّل على نخيل قوم وفيها
غلام أسود يقوم عليها فالتقى
بقوته ثلاثة أفراس ودخل
كلب ودنانم الغلام فرمى
اليه بقرص فأكله ثم رمى
اليه بالثاني والثالث
فأكلهما وعبد الله ينظر
فقال يا غلام كم قوتك كل
يوم قال ما رأيت قال فلم
آثرت هذا الكلب قال
ما هي بارض كلاب وأنه
جاء من مسافة بعيدة جائعا
فكرهت رده قال فأنست
صانع اليوم قال أطوى يومى

والافتسح تنعم فيها متى نعمة لم يعمها ثم أرسل السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الارض شيئا من النبات
والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدى اعطني فيقول خذ قال الطبراني والبخاري تفرد به محمد بن مروان
العجلي زاد البخاري ولا أعلم انه تابعه عليه أحد وهو وان وثقه أبو داود وابن حبان أيضا ما ذكره في الثقات
وقال فيه يحيى بن معين صالح وقال مرة ليس به بأس فقد اختلفوا فيه وقال أبو زرعة ليس عندي بذلك
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل رأيت محمد بن مروان العجلي حدث باحدث وأنا شاهد لم يكتبها ثم كتبها
على عمد وكتب بعض أصحابنا عنه كانه ضعفه وخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي هريرة وقال
حدثنا خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتي
فيضربهم حتى يرجعوا إلى المحي قال قلت وكم يكمل قال خمس أو اثنين قال قلت وما خمس واثنين قال لا أدري
اه وهذا السند وان كان فيه بشير بن نهيك وقال فيه أبو حاتم لا يحتج به فقد احتج به الشيخان ووثقه الناس
ولم يلتفتوا إلى قول أبي حاتم لا يحتج به إلا أن فيه رجاء بن أبي رجاء البشكري وهو مختلف فيه قال أبو زرعة
ثقة وقال يحيى بن معين ضعيف وقال أبو داود ضعيف وقال مرة صالح وعنه له البخاري في صحيحه حديثا
واحد أخرجه أبو بكر البزار في مسنده والطبراني في معجمه الكبير والوسط عن قرّة بن إياس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لتلأث الأرض جورا وظلما فإذا ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا من امتي اسمه اسمي
واسم أبيه اسمي يأتيها عدلا وقيطا كما ملئت جورا وظلما فلا تمنع السماء من قطرها شيئا ولا الأرض شيئا
من نباتها يلبث فيكم سبع ما أو ثمانية وتسعين سنين اه وفيه رواه ابن أبي عمير عن محمد بن عيسى عن
ضعيفان جدا وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من
المهاجرين والانصار وعلى بن أبي طالب عن يساره والعباس عن يمينه اذ تلاخى العباس ورجل من
الانصار فاغلاظ الانصارى للعباس فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد العباس ويده على وقال سيخرج من
صليب هذا حتى يملأ الأرض جورا وظلما وسيخرج من صليب هذا حتى يملأ الأرض قسطا وعدلا فإذا رأيت
ذلك فعليكم بالتميم فانه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي اه وفيه عبد الله بن عمر
العمري وعبد الله بن شعبة وهما ضعيفان اه وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن طلحة بن عبد الله عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة لا يسكن منها جانب الا تشاجر جانب حتى ينادى مناد من السماء ان
أميركم كفلان اه وفيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف جدا وليس في الحديث تصريح بذكر المهدي وإنما
ذكره في ابوابه وترجمته استثناسا (فهذه) جملة الاحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخرجه
آخر الزمان وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد الا القليل والاقول منه وربما تمسك المنكرون لشأنه بما
رواه محمد بن خالد الجندی عن ابان بن صالح بن ابي عياش عن حسن البصري عن انس بن مالك عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا مهدي الا عيسى بن مريم وقال يحيى بن معين في محمد بن خالد الجندی انه ثقة
وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد وقال الحماكة فيه انه رجل مجهول واختلف عليه في اسناده مرة يروى كما
تقدم وينسب ذلك لمحمد بن ادريس الشافعي ومرة يروى عن محمد بن خالد عن ابان عن الحسن عن النبي
صلى الله عليه وسلم مرسل لا قال البيهقي فرجع إلى رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن ابان بن ابي عياش
وهو متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع وبالحجة فالحديث ضعيف مضطرب
وقد قيل في ان لا مهدي الا عيسى أي لا يتكلم في المهدي الا عيسى يحاولون بهذا التأويل رد الاحتجاج به أو
الجمع بينهما وبين الاحاديث وهو مدفوع بحديث جريح ومثله من الخوارق وأما المتصوفة فلم يكن

هذا قال عبد الله بن جعفر الأم على السجاء وهذا استخفى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الاثلاث فاعتق الغلام ووهب ذلك له
(وقال) النوري رأيت محمد بن سودة بالغداة صاحب مائة ألف وبالعشي سأله من أصحابه خبيرة (وقال) أبو عبد الرحمن دخل أبو عبد

الله الروذباري الى دار بعض اصحابه فوجده غائبا وهناك بيت مقفل فذكر الففل وامر بجميع ما وجد فيه من المتاع فاتفق ذووه الى السوق فباعوه واصلحوه وابعوه وقتا (١٩٢) من الثمن فجاء صاحب الروذباري فلم يقل شيئا فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها

المتقدمون منهم يخوضون في شيء من هذا وانما كان كلامهم في الجاهل بالاعمال وما يحصل عنهما من نتائج المواجهات والحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله تعالى عنه والقول بامامته وادعاء الوصية له بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والتبري من الشيخين كذا كراهة في مذاهبتهم ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالامام المعصوم وكثرت المنازعة في مذاهبتهم وجاء الاسماعيلية منهم يدعون الوصية الامام بنوع من الحلول وآخرون يدعون رجعة من مات من الائمة بنوع التناسخ وآخرون منتظرون مجيء من يقطع بموته منهم وآخرون منتظرون عود الامري اهل البيت مستدين على ذلك بما قدمناه من الاحاديث في المهدي وغيرها ثم حدث ايضا عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف ونجاء واداء المحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحدة فصار كواقيها الامامية والرافضة لهم بالوصية الائمة وحلول الاله فيهم وظهر منهم ايضا القول بالقطب والابدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الامام والقباع واشهر بواقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذاهبتهم حتى لقد جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرق ان عليا رضي الله عنه له اسمها الحسن البصري واخذ عنه العهد بالترام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالجند من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الحجابة كلهم اسوة في طرق الهدى وفي تخصيص هذا بعلي دونهم راحة من التشيع قوية فيهم منها ومن غيرها مما تقدم دخولهم في التشيع وانحدر اطهرهم في سلكه وظهر منهم ايضا القول بالقطب وامثلة كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك في الفاطمية المنتظر وكان بعضهم عليه على بعض ويلقنه بعضهم من بعض وكأنه مبني على اصول واهية من الفريقين وربما يستدل بعضهم بكلام المتجيمين في القرانات وهو من نوع الكلام في الملاحم ويأتي الكلام عليهم في الباب الذي يلي هذا ذوا اكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب عنقاء مغرب وابن قسي في كتاب خلع النعلين وعبدالحق بن سبعين وابن ابي واطيل تلميذه في شرحه لكتاب خلع النعلين واكثر كتاباته في شأنه الغايات وامنال وورما يصرحون في الاقل او يصرح مفسر وكلامهم وحاصل مذاهبتهم فيه على ما ذكر ابن ابي واطيل ان النبوة بها ظهر الحق والهدى بعد الضلال والعبي وانها تعقب الحق لاقفة ثم يعقب الحق لاقفة المالك ثم يعود بحججها وتكبر او باطلا لا لاولها كان في المعهود من سنة الله رجوع الامور الى ما كانت وجب ان يحيا امر النبوة والحق بالولاية ثم بخلافها ثم يعقبها الدجل مكان المالك والتسلط ثم يعود الكفر بحاله يشيرون بهذا الموضع من شأن النبوة والخلافة بعدهما والمالك بعد الخلافة هذه ثلاث مراتب وكذلك الولاية التي هي لهذا الفاطمي والدجل بعدها كناية عن خروج الدجال على اثره والكفر من بعد ذلك فهي ثلاث مراتب على نسبة الثلاث مراتب الاولى ثم يعود الكفر كما كان قبل النبوة فالاول ما كان امر الخلافة لقر يش حكماء شرعا بالاجماع الذي لا يوهنه انكار من لم يزول علمه وجب ان تكون الامامة فيمن هو اخس من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم اما طاهرا كني عبدالمطلب واما باطنا ممن كان من حقيقة الال والال من اذا حضر لم يغيب من هو له وابن العربي الحاتمي سمع في كتابه عنقاء مغرب من تأليفه خاتم الاولياء وكني عنه بلبنة القضة اشارة الى حديث البخاري في باب خاتم النبيين قال صلى الله عليه وسلم مثلي فيمن قبلي من الانبياء كمثل رجل ابتي بيتا واكمله حتى اذا لم يبق منه الا موضع لبنة فانا تلب الالبنة فيفسرون خاتم النبيين باللبنة حتى اكملت البنيان ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة ويمثلون الولاية في

كساء فدخلت بيتا ومرت بالكساء وقالت يا اصحابنا هذا ايضا من جملة المتاع فيبعوه فقال زوجهالم تكلفت هذا باختيارك فقالت اسكت مثل هذا الشيخ بياسطنا ويحكم علينا و يبقى لنا شيء نذكره عنه (واما) عبدالمالك بن بجر فورث خمسة آلاف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال ما كنت لاسأل لاخواني الجنة في صلاتي وابخل عليهم بحوالي (ويروي) ان الاشعث ابن قيس ارسل الى عدي ابن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابي حاتم فلاحا وبعث بها اليه وقال انا لانعيرها فارغة (وقال) بز رجهر لا عز ائت اركانا ولا ابذخ بيتانا من بيت الكرم واكنساب الشكر وذلك ان عز التنظيم بالفعل الجبل باق في قلوب الرجال ومن تحصن بالجود وتحرز بالمعروف فقد ظفر بمن تأواه ورج الشكر والثواب (ويروي) ان عبدالله ابن ابي بكر وكان احده الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امرأته فخرجت كوزا وقامت تخلف الباب وقالت تنحوا

عن الباب وليأخذ بعض غلمانكم فاني امرأة من العرب مات زوجي منذ ايام فشرى عبدالله وقال يا غلام اجعل اليها عشرة آلاف فقالت سبحان الله تسخرني فقال يا غلام اجعل اليها عشرة من القافة قالت اسأل الله العافية فقال يا غلام

اجل اليه الثلاثين القافا قالت اف لك فعمل اليه ثلاثين الف درهم فما استحق كثر خطاها (وقال) بعض الرواة قصه بدرجل الى صديقه له فدى عليه الباب فلما خرج قال ما حاجتك قال اربعمائة درهم على دين (١٩٣) فدخل الدار واخرجها اليه ثم دخل الدار

يا كما فقالت له امراته ملا
تعلات حين شقت عليك
الاجابة قال انما ابكي لاني
لم اتفق دحاله حتى احتاج
الى مكاشفتي (وقال) اكنتم
ابن صبي صاحب المعروف
لا يقع فان وقع وجدته مكاشفة
(وقال) الفضيل ما كانوا
يعدون القرض معروفا
(ويروى) عن امرأة من
المتعبدات انها قالت لحبان
ابن هلال وهو في جماعة
من اصحابه ما المنة عندكم
قال البذل والا يشارقات
في السخاء في الدين قال
ان تعبدى الله تعالى سخية
به نفسك غير مكرهة قالت
افتر يدون على ذلك جزاء
قالوا نعم لان الله تعالى وعد
على الحسنه بعشر امثالا قالت
فاذا اعطيتم واحدة واخذتم
عشرا فاي شئ سخيتم به
وانما السخاء ان تعبدوا
الله تعالى متعبدين متاذنين
بطاعته غير كارهين
لا تريدون بذلك اجرا
الا تسخيرون ان يطالع على
قلوبكم فبعلم منها انها تريد
شيأ بشئ (وقالت) بعض
المتعبدات لبعض المتعبدين
أتظن السخاء في الديار
والدرهم فقط انما السخاء
في بذل مهج النفوس لله
تعالى (وقال) أبو بكر

تفاوت مراتبها بالنمو ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتم الاولياء أي حائز الرتبة التي هي خاتمة الولاية كما
كان خاتم الانبياء حائز الرتبة التي هي خاتمة النبوة فكذلك الشارع عن تلك المرتبة الخاتمة بلمنة البيت في
الحديث المذكور وهو ما على نسبة واحدة فيها فهي لمنة واحدة في التمثيل في النبوة بلمنة ذهب وفي
الولاية بلمنة فضة للنفوت بين الرتبين كما بين الذهب والفضة فيجعلون لمنة الذهب كناية عن النبي صلى
الله عليه وسلم ولمنة الفضة كناية عن هذا الولي الفاطمي المنتظر وذلك خاتم الانبياء وهو خاتم الاولياء
وقال ابن العربي فيه ما نقل ابن أبي واطيل عنه وهذا الامام المنتظر هو من أهل البيت من ولد فاطمة
وظهوره يكون من بعد مضي خفج من الهجرة ورسمه حروف ثلاثة ير يدعددها بحساب الحمل وهو
الحاء المعجمة بواحدة من ستمائة والفاء أخت القاف بثمانين والحاء المعجمة بواحدة من أسفل ثلاثة وذلك
ستمائة وثلاث وثمانون سنة وهي في آخر القرن السابع ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر رجل ذلك بعض
المقلدين لهم على أن المراد بتلك المدة مولده وعبر بظهوره عن مولده وأن خروجه يكون بعد العشر
والسبع مائة فانه الامام الناجم من ناحية المغرب قال واذا كان مولده كما زعم ابن العربي سنة ثلاث
وثمانين وستمائة فيكون عمره عند خروجه ستاوعشرين سنة قال وزعموا أن خروج الدجال يكون سنة
ثلاث وأربعين وسبعمائة من اليوم المجرى وابتداء اليوم المجرى عندهم من يوم وفاة النبي صلى الله عليه
وسلم الى تمام ألف سنة قال ابن أبي واطيل في شرحه كتاب خلع النعيلين الولي المنتظر القائم بأمر الله المشار اليه
بمحمد المهدى وخاتم الاولياء وليس هو بنبي وانما هو ولي الله عز وجل وحده وحيه قال صلى الله عليه وسلم
العالم في قومه كالنبي في أمته وقال علماء أمي كانباء بني اسرائيل ولم تنزل البشري تتابع به من أول اليوم
المجرى الى قبيل الخمسمائة نصف اليوم وتأكدت وتضاعفت نبأ اشير المشايخ بتقرير وقتها
وازدلاف زمانه منذ انتقلت الى هلم جرا قال وذكر الكندي أن هذا الولي هو الذي يصلي بالناس صلاة
الظهر ويحدد الاسلام ويظهر العدل ويفتح جزيرة الاندلس ويصل الى رومية فيفتحها ويسير الى
المشرق فيفتحها ويفتح القسطنطينية ويصير له مال الارض فيتعوق المسلمون ويعلموا الاسلام ويظهر دين
الحقيقة فان من صلاة الظهر الى صلاة العصر وقت صلاة عليه الصلاة والسلام ما بين هذين وقت
وقال الكندي أيضا المحروف العربية غير المعجمة يعني المفتوح بها سور القرآن جملة عددها سبعمائة وثلاثة
وأربعون وسبعة دجالية ثم ينزل عيسى في وقت صلاة العصر فيصلي الدنيا ويمشي الشاة مع الذئب ثم يبعث
ملك العجم بعد اسلامهم مع عيسى مائة وستين عاما عدد حروف المعجم وهي قى دولة العدل منها
أربعون عاما قال ابن أبي واطيل وما ورد من قوله لا مهدي الا عيسى فعنه لا مهدي تساوى هدايته ولايته
وقيل لا يتكلم في المهدي الا عيسى وهذا مدفوع بحديث جريح وغيره وقد جاء في الصحيح انه قال لا يزال هذا
الامر قائما حتى تقوم الساعة او يكون عليهم اثنا عشر خليفة يعني قرشيا وقد أعطى الوجود أن منهم من كان
في أول الاسلام ومنهم من سيكون في آخره وقال الخلافة بعدى ثلاثون واحدي وثلاثون اوسنة وثلاثون
وانقضاؤها في خلافة الحسن وأول امر معاوية فيكون أول امر معاوية خلافة أخذ بابا وائل الاسماء فهو
سادس الخلفاء أو ما سابع الخلفاء فعمر بن عبد العزيز والباقر خمسة من أهل البيت من ذرية علي يؤيده
قوله انك لذوق نبيها يريد الامة أي انك لخليفة في أولها وذريتك في آخرها ورجع استدل بهذا الحديث
القائلون بالرجعة فالاول هو المشار اليه عندهم بطولع الشمس من مغربها وقد قال صلى الله عليه وسلم
اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لنتفق كنوز ما في

(٢٥ - ابن خلدون)

الدقاق وليس السخاء ان يعطى الواحد المعدم انما السخاء ان يعطى المعدم الواحد
(وقال) الشيخ أبو عبد الرحمن كان الاستاذ أبو سهل الصعلوكي من الاجواد لم يكن يناول احدا شيأ بيده وانما كان يطرحه على الارض

فبتناوله الاخذ من الارض وكان يقول الدنيا اقل خطر من أن يرى من أجلها يدى فوق يد أخرى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
اليد العليا خير من اليد السفلى وكان (١٩٤) يتوضأ يوماً في صحن داره فدخل عليه انسان وسأله شيئاً فلم يحضره شيء فقال اصبر حتى

سبيل الله وقد أنفق عمر بن الخطاب كنوز كسرى في سبيل الله والذي به لك قيصرو وينفق كنوز في
سبيل الله هو وهذا المنتظر حين يفتح القسطنطينية فنعلم الامير اميرها ونعم الجيش ذلك الجيش كذا قال صلى
الله عليه وسلم ومدة حكمه بضع والبضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر وجاء ذكر اربعين وفي بعض
الروايات سبعين وأما الاربعون فانها مدته ومدة الخلفاء الاربعة الباقيين من اهل القائلين بأمره من بعده
على جميعهم السلام قال وذكر أصحاب التجوم والقرانات ان مدة بقاء امره واهل بيته من بعده مائة وتسعة
وخمسون عاماً فيكون الامر على هذا جاريّاً على الخلفاء والعدل اربعين اوسبعين ثم تختلف الاحوال
فتكون مدة كالتنهي كلام ابن ابي واطيل وقال في موضع آخر نزول عيسى يكون في وقت صلاة العصر
من اليوم المحمدي حين تمضي ثلاثة ارباعه قال وذكر الكندي يعقوب بن اسحق في كتاب الجفر الذي ذكر فيه
القرانات انه اذا وصل القران الى الثور على رأس حضيض بحرفين (١) الضاد المعجمة والحاء المهملة يريد ثمانية
وتسعين وستمائة من الهجرة ينزل المسيح فيحكم في الارض ما شاء الله تعالى قال وقد ورد في الحديث ان
عيسى ينزل عند المائة البيضاء مشرق في دمشق ينزل بين مهرودتين يعني حلتين زعفرانين صفرانين مصرتين
واضهما كفه على اجنحة الملائكين لهمة كانهما خرج من ديماس اذا طأ طأ رأسه قطروا اذا رفعه فحدوه منه جان
كاللؤلؤ كثير خيلان الوجه وفي حديث آخر مربوع الخاق والى البيضاء والحجرة وفي آخرا نه يتزوج في القرب
والغرب دلو بالبادية يريد انه يتزوج منها وتلد زوجته وذكر وفاته بعد اربعين عاماً وجاء ان عيسى عوت
بالمدية ويدفن الى جانب عمر بن الخطاب وجاء ان ابا بكر وعمر يحشران بين نبيين قال ابن ابي واطيل والشبهة
تقول انه هو المسيح مسيح المسايح من آل محمد قلت وعليه جل بعض المتصوفة حديث لا مهدي الا عيسى أي
لا يكون مهدي الا المهدي الذي نسبته الى الشريعة المحمدية نسبة عيسى الى الشريعة الموسوية في الاتباع
وعدم النسخ الى كلام من امثال هذا يعمنون فيه الوقت والرجل والمكان بادلة واهية وتحكمات مختلفة
فتمضي الزمان ولا اثر لشي من ذلك فيرجعون الى تجديدي رأيت آخر منتمحل كانه من مفهومات لغوية
وأشياء تخيلية واحكام نجومية في هذا انقضت اعمار الاول منهم والاخر وأما المتصوفة الذين عاصرناهم
فأكثرهم يشيرون الى ظهور رجل مجد لا يحكم الملة ومراسم الحق ويتخيمون ظهوره لما قرب من عصرنا
فبعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه من جاعة كبرهم أبو يعقوب البادسي
كبير الاولياء بالمغرب كان في أول هذه المائة الثامنة وأخبرني عنه حافده صاحبنا ابو يحيى ذكر يا عن أبيه
أبي محمد عبد الله عن أبيه الولي ابي يعقوب المذكور هذا آخر ما طالعنا عليه أو بلغنا من كلام هؤلاء
المتصوفة وما ورد من الحديث من أخبار المهدي قد استوفينا جميعه بمبلغ طاقتنا والحق الذي ينبغي ان
يتقرر لديك انه لا تتم دعوة من الدين والمملك الابوج وشوكة عصية تظهره وتدفع عنه من يدفعه حتى يتم
امر الله فيه وقد قرنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي اربناك هناك وعصية الفاطميين بل وقريش
اجمع قد نالشت من جميع الافاق ووجدناهم آخر وقد استعلت عصيتهم على عصية قريش الاما بقي
بالخاز في مكة وينبغ بالمدينة من الطالبيين من بني حسن وبني حسين وبني جعفر منتشرون في تلك البلاد
وغالبون عليها وهم عصاب بدوية متفرقون في مواطنهم وامارتهم وآرائهم يبلغون آلاف من الكثرة فان
صاحظهم وهذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته الا بأن يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه حتى
تتم له شوكة وعصية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها واماعلى غير هذا الوجه مثل ان يدعوا فاطمي

(١) قوله الضاد عند المغاربة بتسعين والصاد بستين قاله نصر اه

افرع فلما فرغ قال خذ
القمعة واخرج فلما اخرج
وعلم انه بعد صاح وقال
دخل انسان واخذ القمعة
فشوا خلفه فلم يدركوه
وانما فعل ذلك لانهم كانوا
يلومونه على البذل (وفي
معناه قال الشاعر)
ملاّت يدى من الدنيا امرارا
فما طمع العواذل في
اقتصادى

ولا وجبت على زكاة مال
وهل تجب الزكاة على جواد
(وكان) ابو مرثد احد
الكرام فذبحه بعض الشعراء
فقال ما عندى ما اعطيك
ولكن قدمنى الى القاضي
وادع على عشرة آلاف
درهم حتى اقر لك بها ثم
احبسنى فان اهلى لا
يترونى مسجوناً ففعل
ذلك فلم يمسا حتى دفع اليه
عشرة آلاف درهم (وقال)
زياد بن جرير راي طلحة
ابن عبيد الله فرق مائة
الف في مجلس وانه ليخبط
ازاره بيده (ولما) دخل
المنكدر على عائشة رضى الله
عنها قال لها يا ام المؤمنين
أصابني فاقة فقالت ما عندى
شيء فلو كانت عندى
عشرة آلاف لبعثت بها
اليك فلما اخرج من عندها
جاءتها عشرة آلاف من

عند خالد بن اسيد فاسترى جارية بالف درهم فولدت له ثلاثة اولاد فكانوا
عباد المدينة محمد وابوبكر وعمر بنو المنكدر (وقال) يحيى بن معين كان جرير بن يزيد في دار المطلب فجاء انسان يسأله فقال للسلام

أذهب إلى الجوارى فقل لمن من أراد منهم أن تصبغ ثيابها فليصبغ بها فجاء الغلام بثياب كثيرة فقال للسائل خذها (و قال الأصمعي)
كانت جرت حرب بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الأمر فيها حتى مشى بين الناس بالصلح (١٩٥) فاجتمعوا في المسجد الجامع قال

فبعثت وانا غلام إلى ضراد
ابن القعقاع بن حازم
فلم تأذن عليه فاذن لي
فاذاهو عليه شملة يخبط
نوى لعزله حلوب فخيرته
بمجمع القوم فأهل حتى
أكلت العز ثم غسل
القصعة وقال يا جارية
غدينا فانت برييت وتمر
قال فدعاني فقد رتبته أن أكل
معه حتى إذا قضى من أكله
حاجته وثب إلى طين ملقي
في الدار فغسل به يده ثم صاح
بالجارية فقال أسقني ماء
فأنته بماء فشر به ومسح
فضله على وجهه ثم قال
الحمد لله ماء القرات بقر
البصرة بزيت الشام متى
تؤدى شكر هذه النعم ثم
قال على بردائي فانت به برداء
عدني فارتدي به على تلك
الشملة قال الأصمعي
فجاءت عنه استقباحا
أزبه فدخل المسجد وصلى
ركعتين ومشى إلى القوم
فلم يبق حبة إلا هلت
أعظامه ثم جلس فتحمل
ما كان بين الأحياء من
الديات في ماله وانصرف
(وكان) إليه لول بن
راشد الفقيه لما سجن
يعطى كل يوم الدجنان
دينا ورافاسته كثره أصحابه
وكلموه في ذلك فقال لهم

منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الأفق من غير عصبية ولا شوكة إلا مجرد نسبة في أهل البيت فلا يتم
ذلك ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين الصحيحة وأما ما تدعيه العامة والأغمار من الدهماء من لا يرجع
في ذلك إلى عقل يهديه ولا علم يقبده فيجيبون ذلك على غير نسبة وفي غير مكان تقليد لما اشتهر من ظهور
فاطمي ولا يعلمون حقيقة الأمر كما بيناه وأكثروا يجهلون في ذلك القاصية من الممالك وأطراف العمران
مثل الزاب بقر بقرية والسوس من المغرب وتجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا لماسة لما كان
ذلك الرباط بالمغرب من الممتن من كدالة واعتقاده من أنه منهم وأقائون بدعوة زعماء المستندين لهم
الأغربة تلك الأمم وبعدهم على يقين المعرفة بأحوالهم من كثرة أوقلة أو ضعف أو قوة ولبعد القاصية عن
منال الدولة وخروجه عن نطاقها فتقوى عندهم الأوهام في ظهوره هناك بخروجه عن ربة الدولة ومثال
الاحكام والقهر ولا محصور لديهم في ذلك إلا هذا وقد قصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتلبس
بدعوة يمه تمامها وسواسا وحقا وقتل كثير منهم أخبرني شيخنا محمد بن إبراهيم الأبلبي قال خرج رباط ماسة
لأول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتوازي نسبة
إلى توزير مصر وأدعى أنه الفاطمي المنتظر واتبعه الكثير من أهل السوس من ضالة وكنز رلة وعظم أمره
وخافه رؤساء المصامدة على أمرهم قدس عليه السكسوى من قتله بيانا وأنحل أمره وكذلك ظهر في غماره في
آخر المائة السابعة وعشر التسعين من راجل يعرف بالعباس وأدعى أنه الفاطمي واتبعه الدهماء من غماره
ودخل مدينة فاس عنوة وحرق أسواقها وأدخل إلى بلاد المزمرة فقتل بها غيلة ولم يتم أمره وكثير من هذا
النمط وأخبرني شيخنا المذكور بغريبة في مثل هذا وهو أنه صاحب في جهة رباط العباد وهو مدفون الشيخ
أبي مدين في جبل تلمسان المطل على أوجلا من أهل البيت من سكان كربلاء كان مقبوعا معظما كثيرا التلمذ
والخادم قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنفقات في أكثر البلدان قال وتأت كدت الحجة بيننا في ذلك
الطريق فأنكشفت لي أمرهم وانهم انما جاؤا من موطنهم بكر بلاء اطلب هذا الأمر وانتحال دعوة الفاطمي
بالمغرب فلما عين دولة بني مرين ويوسف بن يعقوب يومئذ من أزل تلمسان قال لأصحابه أرجعوا فقد أزرى بنا
الغلط وليس هذا الوقت وقتنا ويدل هذا القول من هذا الرجل على أنه مستبصر في أن الأمر لا يتم إلا بالعصبية
المكافئة لأهل الوقت فلما علم أنه غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وأن عصبية بني مرين لذلك العهد
لا يقاومها أحدهم من أهل المغرب استسكان ورجع إلى الحق وأقصر عن مطامعه وبقي عليه أن يستيقن أن
عصبية القواطم وقريش أجمع قد ذهبت لا سيما في المغرب إلا أن التعصب لشأنه لم يتركه لهذا القول والله
يعلم وانتم لا تعلمون وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القرية نزعة من الدعاة إلى الحق والقيام بالسنة
لا يتكلمون فيها دعوة فاطمي ولا غيره وانما ينزع منهم في بعض الأحيان الواحد فالواحد إلى إقامة السنة
وتغيير المنكر ويعتني بذلك ويكثر تابعه وأكثروا يعنون بالصالح السابلة لما أن أكثر فساد الأعراب فيها
لما قدمناه من طبيعة معاشهم فيما أخذون في تغيير المنكر بما استطاعوا إلا أن الصبغة الدينية فيهم لم تستحسب
لما أن توبة العرب ورجوعهم إلى الدين انما يقصدون بها الأقصا عن الغارة والنهب لا يعقلون في قوتهم
واقبالهم إلى مناحي الديانة غلبة ذلك لانهم المعصية التي كانوا عليها قبل المقرة ومناقبهم فتجد ذلك
المنتحل للدعوة والقائم بزعمه بالسنة غير متعمقين في فروع الاقتداء والاتباع انما يدينهم الأعراض عن
النهب والبغى وفساد السابلة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش بأقصى جهدهم وشئنا بين هذا الأجر
من اصلاح الخلق ومن طلب الدنيا فانفاقهم ما تمتنع لا تستحسبكم له صبة في الدين ولا يكمل له نزوع عن

حفص بن غمار سمعت سفيان الثوري يقول إذا كمل صدق الصادق لم يملك ما في يديه فخر جهلول على يديه وقبلها وجعل يقول سألتك
بالله أنت سمعته يقول هذا خلف بالله لقد سمعته يقول (وقال الشاعر) ذرني أكن لئال رب ولا يكن لي لئال رب انعمه غدا

ارني جوادامات هز لا اعاني **ارني ماترني او تجيلاخلدا** (وكان) عبدالله بن ابي بكر يفتق على اربعين دارا من جيرانه عن يمينه واربعين عن يساره واربعين امامه (١٩٦) واربعين خلفه ويسع اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعباد ويعتق في كل عبد مائة

الباطل على الجملة ولا يكثر ولا ينفك حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينه وولايتهم في نفسه دون تابعه فاذا هلك النخل امرهم وتلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك بافريقية لرجل من كعب من سليم يسمى قاسم ابن مرة بن اجدف في المائة السابعة ثم من بعده لرجل آخر من بادية رياح من بطن منهم يعرفون بمسلم وكان يسمى سعادة وكان اشدد ديناً من الاول واقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم يستتب امرتا بعده كما ذكرناه جسمها يأتي ذكر ذلك في موضعه عند ذكر قبائل سليم ورياح وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يشبهون بمثل ذلك ويلبسون فيها ويتحلقون اسم السنة وليسوا عليها الا الاقل فلا يتم لهم ولا ان بعدهم شيء من امرهم انتهى

٥٤ * (فصل في ابتداء الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن معنى الحفر) *

اعلم ان من خواص النفوس البشرية التشوف الى عواقب امورهم وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقى من الدنيا ومعرفة مدد الدول وتفاوتها والتطلع الى هذا طبيعة البشر يحبون علمها ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون الى الوقوف على ذلك في المنام والاعمال من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفون ولقد نجد في المدن صنفان من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم عنه فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبياؤها وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب امرهم في الكسب والمجاه والمعاش والمعاشرة والدواوين والمال ذلك ما بين خط في الرمل ويسمونه المنجم وطرق بالحصى والمجبوب ويسمونه الحاسب ونظري المرايا والمياه ويسمونه ضارب المنجل وهو من المنكرات الفاشية في الامصار لما تقر في الشرية من ذم ذلك وان البشر محجوبون عن الغيب الا من اطلعه الله عليه من عنده في نوم او ولاية واكثر ما يعتنى بذلك ويتطلع اليه الامراء والملوك في آما ددولتهم ولذلك انصرفت العناية من اهل العلم اليه وكل امة من الامم يوجد لهم كلام من كاهن او منجم او ولي في مثل ذلك من ملك برقمونه او دولة يحمدون انفسهم بها وما يحدث لهم من الحرب والملاحم ومدة بقاء الدولة وعدد الملوك فيها والتعرض لاسمائهم ويسمى مثل ذلك المحذنان وكان في العرب الكهان والعراقون يرجعون اليهم في ذلك وقد اخبرنا عيسى بن كيسان عن العرب من الملوك والدولة كما وقع لشق وسطج في تأويل رؤيا ربيعة بن نصر من ملوك اليمن اخبرهم بملك الحبشة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهروا لملك والدولة للعرب من بعد ذلك وكذا تأويل سطج لرويا الموبدان حين بعث اليه كسرى بهامع عبد المسيح واخبرهم بظهور دولة العرب وكذا كان في جيل البربر كهان من اشهرهم موسى بن صالح من بني يقرن ويقال من غمرة قوله كلمات حد ثانية على طريقة الشعراء برطانتهم وفيها حد ثان كثير ومعظمه فيما يكون لزناته من الملك والدولة بالمغرب وهي متداولة بين اهل الجليل وهم يزعمون تاراة انه ولي وتارة انه كاهن وقد يزعم بعض فراعهم انه كان نبيا لان تاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير والله اعلم وقد يستند الجليل الى خبر الانبياء ان كان لهم كذا وقع لبني اسرائيل فان انبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم بمثل ما عندهم عنهم في السؤال عنه واما في الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع الى بقاء الدنيا ومدتها الى العموم وفيما يرجع الى الدولة واعمالها على الخصوص وكان المعتمد في ذلك في صدر الاسلام آثارا منقولة عن الصحابة وخصوصا مسلمة بن اسرائيل مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وامثالهم ما ورد باقتبسوا بعض ذلك من ظواهر ما ثوروا وتأويلات محتملة ووقع لجمعهم فروا مثاله من اهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه والله اعلم الكشف عما كانوا عليه من الولاية واذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من

ملوك واشترى بوجاهة بعشرة آلاف قطب دابة يحملها عليها فقال رجل هذه دابتي فقال اجلوها على دابته الى داره (وقال عبدالله بن زهير)

وعاذلة تحشي الردي ان يصيني تروح وتغدو بالامامة والقسم تقول هلكا ان هلكت وانما

على الله اوراق العباد كما زعم واني احب الخلد لو استطيعه وكالخالد عندي ان اموت ولم الم

(وروي) ان اعرابيا قدم على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين لي اليك حاجة الحياء يعني ان اذكرها قال فخطها في الارض فخط في الارض اني فقير فقال لعلامه يا قنبر ا كسه حتى فكساه التحلة فقال

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف اكسوك من حسن الثنا خللا ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداء السهل والجبلا ان نلت حسن ثناء نلت مكرمة لا تبغين بما قد نلته بدلا

لا ترهذ الدهر في عرف بدات به كل امرئ سوف يجزي بالذي فعلا قال علي زده مائة دينار الاولياء فاعطاه اياها فلما ولي الاعرابي قال قنبر يا امير المؤمنين لو فرقتهم في المسلمين لاصحيت بهام من شأنهم فقال له يا قنبر فاني سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم لم يقول أشكر وال من أثنى عليكم وإذا أنا كم كريم قوم فأكرموه (وقال) مطرف بن الشخير إذا أراد أحدكم مني حاجة فليرفعها في رقعة فاني أكره ان أرى في وجهه ذل الحاجة (قرئ) على القاضي أبي الوليد وأنا أسمع (١٩٧) وأمره بالبخل قلت لها اقصرى به

فليس اليه ما حيت سبيل
أرى الناس خلان الكرام
ولا أرى

بخياله في العالمين خليل
واني رأيت البخل يزري
بأمله

فأكرمت نفسي أن يقال
بخيل
ومن خير حالات الفتي
لوعلمته

إذا نال خير ان يكون ينيل
(ولعروة بن الورد)
واني امرؤ عافى اناني شركة
وانت امرؤ عافى انائك
أحد

أضحك مني أن سمعت
وان ترى
بحسبي شحوب الحق
والحق جاهد

اقسم جسمي في جسوم
كثيرة

أحسو قراح الماء والماء
بارد

(وقال) بعض الحكماء
أصل المحاسن كلها الكرم
وأصل الكرم نزاهة النفس
عن المحرم وسخاؤها بما
ملك على الخاص والعام
وجميع خصال الخير من
فروعه (وروي) انه كان
عند البهلول بن راشد
طعام فعلا السعير فامر به
فبيع له ثم أمر ان يشتري
له ربيع القفيز فقبل له

الاولياء في ذوبهم واعقابهم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان فيكم محدثين فهم اولى الناس به - ذه الرتب
الشريفة - والكرامات الموهوبة وامابعده - ذه الملة وحين عانى الناس على العلوم والاصطلاحات
وترجت كتب الحكماء الى اللسان العربي فأكثر معتمد في ذلك كلام المنجمين في الملك والدول وسائر
الامور العامة من القرائن وفي الموالي والمساائل وسائر الامور الخاصة من الطوابع لها وهي شكل
الذالك عند حدوثها فلنذكر الان ما وقع لاهل الاثر في ذلك ثم نرجع لكلام المنجمين * أما هل الاثر
فله في مدة المال وبقاء الدنيا على ما وقع في كتاب السهيلي فانه نقل عن الطبري ما يقتضي أن مدة بقاء
الدنيا منذ الملة خمسة مائة سنة ونقص ذلك بظهور كذبه ومستند الطبري في ذلك أنه نقل عن ابن عباس ان
الدنيا سبعة من جمع الاخرة لم يذكرك ذلك دليل لا وسره والله اعلم تقدر الدنيا بايام خلق السموات والارض
وهي سبعة ثم اليوم بالف سنة لقوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال وقد ثبت في الصحيحين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى غروب الشمس
وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقد مر ما بين صلاة العصر وغروب الشمس حين
صير وقت ظل كل شيء مثله يكون على التقریب نصف سبع وكذلك وصل الوسطى على السبابة فتكون
هذه المدة نصف سبع المدة كلها وخمسة مائة سنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لن يعجز الله أن يؤخر
هذه الامة نصف يوم فدل ذلك على أن مدة الدنيا قبل الملة خمسة آلاف وخمسة مائة سنة وعن وهب بن منبه
انها خمسة آلاف وستة مائة سنة أعني الماضي وعن كعب أن مدة الدنيا كلها ستة آلاف سنة قال السهيلي
وليس في الحديثين ما يشهد لشي مما ذكره مع وقوع الوجوه بخلافه فأما قوله لن يعجز الله ان يؤخر هذه
الامة نصف يوم فلا يقتضي نفى الزيادة على النصف وأما قوله بعثت أنا والساعة كهاتين فالتساوية الاشارة
الى القرب وانه ليس بينه وبين الساعة نبي غيره ولا شرع غير شرعه ثم رجع السهيلي الى تعيين أمد الملة
من مدرك آخر لو ساعده التحقيق وهو انه جمع الحروف المقطعة في اوائل السور بعد حذف المكرر قال
وهي أربعة عشر حرفا جميعها قولك (الم يسطع نصر حق كره) فأخذ عددها بحسب الجمل فكان سبع مائة
وثلاثة (١) اضافته الى المنقضي من الالف الاخرة قبل بعثته فهذه هي مدة الملة قال ولا يبعد ذلك ان
يكون من مقتضيات هذه الحروف وفوائدها قلت وكونه لا يبعد لا يقتضي ظهوره ولا التعويل عليه
والذي جمل السهيلي على ذلك انما هو ما وقع في كتاب السهيلي لابن اسحق في حديث ابني الخطيب من اخبار
اليهود وهما ابو ياسر وأخوه يحيى حين سمعا من الاحرف المقطعة الموتى والاهل على بيان المدة به هذا الحساب
فبلغت احدى وسبعين فاستقلا المدة وجاء يحيى الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله هل مع هذا غيره فقال
المص ثم استنار المر فبكت احدى وسبعين ومائتين فاستطال المدة وقال قد لبس علينا أمر
يا محمد حتى لا ندري اقلها اعطيت أم كثير اثم ذهبوا عنه وقال لهم ابو ياسر ما يدريكم له اعطى عددها
كلها تسعمائة وأربع سنين قال ابن اسحق فنزل قوله تعالى منه آيات محكمات هن ام الكتاب وآخر
متشابهات اه ولا يقوم من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد لان دلالة هذه الحروف على تلك
الاعداد ليست طبيعية ولا عقلية وانما هي بالتواضع والاصطلاح الذي يسمونه حساب الجمل نعم انه
قديم مشهور وقدم الاصطلاح لا يصير حجة وليس ابو ياسر وأخوه يحيى ممن يؤخذ رأيهم في ذلك ذل الاول من

(١) قوله هذا العدد غير مطابق كما ان المترجم التركي لم يطابق في قوله ٩٣٠ وانما المطابق للحروف
الذكورة ٦٩٣ وهو الموافق لاسيد كره عن يعقوب الكندي قاله نصر اه

تبيع وتشتري فقال نفرح اذا فرح الناس ونحزن كما يحزنوا (ولم حاتم طي فقال)
فأبنت أن لا أمنع الدهر جائعا فقولوا لهذا اللائم الآن أعفى فان أنت لم تسطع فعض الاصابع فهل ماترون الآن الاطبيعة

* فكيف يتركى يا ابن ام الطبايعا * (وقال آخر) * اصون غرضي بما الى لادنسه * لا بارك الله بعد العرض في المال
احتمال للمال ان اودى فأجعه ■ (١٩٨) ولست للعرض ان اودى بمخال (ويروى) ان رجلا سأل الحسن بن علي رضي الله عنه

شيئا فاعطاه خمسين الف درهم ونحو مائة دينار وقال انت بحمال يحمله لك فاته بحمال فاعطاه طبايعا وقال يكون كراه المجال من قبلي (ويروى) ان الليث بن سعد سألته امرأة سكرجة عسل فامر لها بنق عسل فقيل له في ذلك فقال انها سالت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر نعمتنا (ويروى) ان رجلا استضاف لعبد الله بن عامر بن كرز فلما اراد الرجل ان يرتحل لم يعنه غلمانا فسئل عن ذلك فقال عبد الله انهم لا يعينون من ارتحل عنا (وفي معناه يقول المتنبي)

اذ ارتحلت عن قوم وقد قدروا

ان لا تقارهم فالراجلون هم (الباب الحادي والثلاثون) في بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما *

الشح في كلام العرب البخل ومنع الفضل كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرها ووسواسها (ويروى) جابر ان النبي عليه السلام قال اتقوا الشح فان الشح املاك

علماء اليهود لانهم كانوا ياديه بالحجاز فغفلوا عن الصنائع والعلوم حتى عن علم شريعتهم وفقه كتابهم وملتهم وانما يتلقفون مثل هذا الحساب كما يتلقفه العوام في كل ملة فلا ينهض للسهيل دليل على ما ادعاه من ذلك ووقع في الملة في حدثان دولتها على الخصوص مسند من الاثر جالي في حديث خرجه ابو داود عن حذيفة ابن اليمان من طريق شيخه محمد بن يحيى الذهبي عن سعيد بن ابي مريم عن عبد الله بن فروخ عن اسامة ابن زيد اللبثي عن ابي قبيصة بن ذؤيب عن ابيه قال قال حذيفة بن اليمان والله ما درى انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فذة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعد الا قد سمعنا لانا باسمه واسم ابيه وقبيلته وسكت عليه ابو داود وقد تقدم انه قال في رسالته ما سكت عليه في كتابه فهو صالح وهذا الحديث اذا كان صحيحا فهو صحيح ويقتضي في بيان اجماله وتعيين مبهمة الى ما رآه من غيره يجوز اداسانها وقد وقع اسناد هذا الحديث في غير كتاب السنن على غير هذا الوجه فوقع في الصحيحين من حديث حذيفة ايضا قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فترك شيئا يكون في مقامه ذاك الى قيام الساعة الا حدث عنه حذيفة من حفظه ونسبه من نسبه قد علمه اصحابه هؤلاء هم ولفظ البخاري ما ترك شيئا الى قيام الساعة الا ذكره وفي كتاب الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون الى قيام الساعة الا أخبرنا به حذيفة من حفظه ونسبه من نسبه اه وهذه الاحاديث كلها محمولة على ما ثبت في الصحيحين من احاديث الفتن والاشراط لا غير لانه المعهود من الشارع صلوات الله وسلامه عليه في امثال هذه العمومات وهذه الزيادة التي تفرد بها ابو داود في هذا الطريق شاذة منكثرة مع ان الائمة اختلفوا في رجاله فقال ابن ابي مريم في ابن فروخ احاديثه منا كبر وقال البخاري يعرف منه وينكر وقال ابن عدي احاديثه غير محفوفة واسامة بن زيد وان خرج له في الصحيحين ووثقه ابن معين فانما خرج له البخاري استشهاده اوضحه يحيى بن سعيد واخذ بن حنبل وقال ابن حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به وابو قبيصة بن ذؤيب مجحول فتضعف هذه الزيادة التي وقعت لابي داود في هذا الحديث من هذه الجهات مع شذوذها كما مر وقد يستندون في حدثان الدول على الخصوص الى كتاب الجفري يزعمون ان فيه علم ذلك كله من طريق الاسرار والنجوم لا يزيدون على ذلك ولا يعرفون اصل ذلك ولا مستنده واعلم ان كتاب الجفري كان اصله ان هرون بن سعيد العجلي وهو رأس الزيدية كان له كتاب يروي عنه جعفر الصادق وفيه علم ما يقع لاهل البيت على العموم وبعض الاشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالهم على طريق السكراة والكشف الذي يقع لمثلهم من الاولياء وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير فرواه عنه هرون العجلي وكتبه وسماه الجفري باسم المجلد الذي كتب منه لان الجفري في اللغة هو الصغير وصار هذا الاسم علما على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق وهذا الكتاب لم تنصل روايته ولا عرف عينه وانما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يحكم بالليل ولو صح السند الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه او من رجال قومه فهم اهل السكراة وقد صرح عنه انه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فصح كما يقول وقد حذر يحيى ابن عمه زيد من سره وعصاه فخرج وقتل بالجوز جان كما هو معروف واذا كانت السكراة تقع لغيرهم فاطنك بهم علماء ودينا وآثارا من النبوة وعناية من الله بالاصل السكريم تشهد لقروعه الطيبة وقد ينقل بين اهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب الى احدث في اخبار دولة العبيديين كثير منه وانظر ما حكاه ابن الرقيق في لقاء ابي

من كان قبلكم جعلهم على ان سفكوا الدماء واستحلوا محارمهم وقد فرق بينهم مفرقون

فقالوا الشح اشد من البخل فان البخل كثر ما يقال في النفقة وامساكها قال الله تعالى سيطرقون ما يخلوا به يوم القيامة وقال تعالى ومن

يُخَلَّ فَاَتَا يَخْلُ مِنْ نَفْسِهِ وَقَالَ تَعَالَى فِي الشَّيْخِ أَشْجَعُ عَلَى الْخَيْرِ وَأَوَّلُكَ لَمْ يَثْمُنُوا وَقَالَ تَعَالَى وَمَنْ يَوْقِ شَيْخَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فَالشَّيْخُ
يَعْنِي عَلَى الْكَرَازَةِ وَالْأَمْتِنَاعُ فَهُوَ يَكُونُ فِي الْمَسَالِ فِي جَمِيعِ مَنَافِعِ الْبَدَنِ (وَقَالَ) ابْنُ عَمْرٍ (١٩٩) أَيْسَ الشَّيْخُ أَنْ يَمْنَعَ الرَّجُلَ مَالَهُ

وَأَمَّا الشَّيْخُ أَنْ يَطْمَعَ فِيمَا
لَيْسَ لَهُ وَهَذَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ
سَخَاءُ النَّفْسِ عَمَّا فِي أَيْدِي
النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ
النَّفْسِ بِالْبَذْلِ (وَقَالَ)
رَجُلٌ لَا يَنْ مَسْعُودًا نِيْ أَخَافُ
أَنْ أَكُونَ قَدْ هَلَكْتُ
سَمِعْتُ اللَّهَ - إِلَى يَقُولُ
وَمَنْ يَوْقِ شَيْخَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَأَنَا رَجُلٌ
شَيْخٌ لَا يَكْدَانُ يَخْرُجُ
مِنْ يَدِي شَيْءٌ فَقَالَ لَهُ ابْنُ
مَسْعُودٍ هَذَا لَيْسَ بِالشَّيْخِ
الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَإِنَّهُ
أَنْ تَأْكُلَ مَالَ أَخِيكَ ظُلْمًا
وَلَكِنْ ذَلِكَ الْبَخْلُ وَبُشْسُ
الشَّيْءِ الْبَخْلُ فَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا
كَأَنَّهُ (وَقَالَ) ابْنُ عَبَّاسٍ
الشَّيْخُ أَنْ يَتْبَعَ هَوَاهُ فَلَمْ
يَقْبَلِ الْإِيمَانَ وَقَالَ طَاوُسُ
الشَّيْخُ أَنْ يَخْلُ الْمَرْءَ بِمَا
فِي أَيْدِي النَّاسِ وَالْبَخْلُ
أَنْ يَخْلُ بِمَا فِي يَدَيْهِ
(وَرَوَى) أَنَسُ أَنَّ النَّبِيَّ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ
بَرٌّ شَيْءٌ مِنَ الشَّيْخِ مَنْ أَدَّى
الزَّكَاةَ وَقَرَى الضَّيْفَ
وَأَعْطَى فِي النَّائِبَةِ (وَقَالَ)
ابْنُ زَيْدٍ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا
نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمْ يَدْعِهِ الشَّيْخُ
إِلَى أَنْ يَمْنَعَ شَيْئًا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
فَقَدْ وَفَّاهُ شَيْخَ نَفْسِهِ (وَقَالَ)
أَبُو النَّبَّاحِ الْأَسَدِيُّ رَأَيْتُ
وَجُلًا فِي الطَّوَافِ يَقُولُ

عَبْدُ اللَّهِ الشَّيْخِيُّ لَعَبِيدُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ مَعَ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ وَمَا حَدَّثَنَا بِهِ وَكَيْفَ بَعَثَاهُ إِلَى ابْنِ حَوْشَبٍ دَاعِيَهُمْ
بِالْبَيْنِ فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَبِثَّ الدَّعْوَةَ فِيهِ عَلَى عِلْمِ لِقَائِهِ أَنْ دَعَوْتُهُ تَمَّ هُنَاكَ وَأَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ
الْمَهْدِيَّةَ بِعَدَاةٍ تَحَالَ دَوْلَتُهُمْ بِأَفْرِيقَةِ قَالَ بَنِيهَا لِيَعْتَصِمَ بِهَا الْقَوَاطِمُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَأَرَاهُمْ مَوْقِفَ
صَاحِبِ الْحِجَارِ ابْنِ زَيْدٍ بِالْمَهْدِيَّةِ وَكَانَ يُسَالُّ عَنْ مَتْنِ مَوْقِفِهِ حَتَّى جَاءَهُ الْحَبْرُ بِبَلُوغِهِ إِلَى الْمَكَانِ
الَّذِي عَيْنُهُ جَدَّ عَيْنَهُ فَالْتَمَسَ بِقُنْ بِالْقَفْرِ وَبَرَزَ مِنَ الْبَلَدِ فَهَرَمَ وَاتَّبَعَهُ إِلَى نَاحِيَةِ الزَّابِ فَظَفَرَهُ وَقَتْلَهُ
وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَخْبَارُ عَنْهُمْ كَثِيرَةٌ وَأَمَّا الْمَنْجَمُونَ فَيَسْتَنْدُونَ فِي حَدَثَانِ الدَّوَلِ إِلَى الْأَحْكَامِ النَّجْمِيَّةِ
أَمَا فِي الْأُمُورِ الْعَامَةِ مِثْلُ الْمَلِكِ وَالِدَوْلِ فِي الْقِرَانَاتِ وَخُصُوصًا بَيْنَ الْعُلَوِيِّينَ وَذَلِكَ أَنَّ الْعُلَوِيِّينَ زُحَلُ
وَالْمَشْتَرَى يَقْتَرِنَانِ فِي كُلِّ عَشْرِينَ سَنَةً مَرَّةً ثُمَّ يَعُودُ الْقِرَانُ إِلَى بَرَجٍ آخَرَ فِي تِلْكَ الْمَثَلَةِ مِنَ التَّثْلِيثِ الْإِيمَانِ ثُمَّ
بَعْدَهُ إِلَى آخِرِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتَكَرَّرَ فِي الْمَثَلَةِ الْوَاحِدَةِ ثَلَاثِينَ عَشْرَةَ مَرَّةً تَسْتَوِي بِرُوحِهِ الثَّلَاثَةُ فِي سِتِّينَ سَنَةً
ثُمَّ يَعُودُ فَيَسْتَوِي بِهَا فِي سِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ يَعُودُ ثَلَاثَةَ عَشْرَ مَرَّةً فَيَسْتَوِي فِي الْمَثَلَةِ ثَلَاثِينَ عَشْرَةَ مَرَّةً وَأَرْبَعُ
عُودَاتٍ فِي مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَيَكُونُ انْتِقَالُهُ فِي كُلِّ بَرَجٍ عَلَى التَّثْلِيثِ الْإِيمَانِ وَيَنْتَقِلُ مِنَ الْمَثَلَةِ إِلَى
الْمَثَلَةِ الَّتِي تَلِيهَا أَعْنَى الْبَرَجِ الَّذِي يَلِي الْبَرَجَ الْآخِرَ مِنَ الْقِرَانِ الَّذِي قَبْلَهُ مِنَ الْمَثَلَةِ وَهَذَا الْقِرَانُ الَّذِي هُوَ
قِرَانُ الْعُلَوِيِّينَ يَقْتَسِمُ إِلَى كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَوَسْطٍ فَالْكَبِيرُ هُوَ اجْتِمَاعُ الْعُلَوِيِّينَ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَلَكَ
إِلَى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا بَعْدَ ثَمَانِ مِائَتَيْنِ سَنَةً مَرَّةً وَاحِدَةً وَالْوَسْطُ هُوَ اقْتِرَانُ الْعُلَوِيِّينَ فِي كُلِّ مَثَلَةٍ ثَلَاثِينَ
عَشْرَةَ مَرَّةً وَبَعْدَ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً يَنْتَقِلُ إِلَى مَثَلَةٍ أُخْرَى وَالصَّغِيرُ هُوَ اقْتِرَانُ الْعُلَوِيِّينَ فِي دَرَجَةٍ بَرَجٍ
وَبَعْدَ عَشْرِينَ سَنَةً يَقْتَرِنَانِ فِي بَرَجٍ آخَرَ عَلَى تِلْكَ الْإِيمَانِ فِي مِثْلِ دَرَجَةٍ أَوْ دَقِيقَةٍ مِثَالِ ذَلِكَ وَقَعَ الْقِرَانُ أَوَّلَ
دَقِيقَةٍ مِنَ الْحِجْلِ وَبَعْدَ عَشْرِينَ يَكُونُ فِي أَوَّلِ دَقِيقَةٍ مِنَ الْقَوْسِ وَبَعْدَ عَشْرِينَ يَكُونُ فِي أَوَّلِ دَقِيقَةٍ مِنَ
الْأَسَدِ وَهَذِهِ كُلُّهَا نَارِيَّةٌ وَهَذَا قِرَانُ صَغِيرٍ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى أَوَّلِ الْحِجْلِ بَعْدَ سِتِّينَ سَنَةً وَيَسْمَى دَوْرُ الْقِرَانِ وَعُودُ
الْقِرَانِ وَبَعْدَ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ يَنْتَقِلُ مِنَ النَّارِيَّةِ إِلَى التَّرَابِيَّةِ لِأَنَّهَا بَعْدَ هَذَا قِرَانُ وَسْطٍ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى
الْهَوَائِيَّةِ ثُمَّ الْمَائِيَّةِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أَوَّلِ الْحِجْلِ فِي ثَمَانِ مِائَتَيْنِ سَنَةً وَهِيَ الْكَبِيرُ وَالْقِرَانُ الْكَبِيرُ يَدُلُّ عَلَى
عِظَامِ الْأُمُورِ مِثْلُ تَغْيِيرِ الْمَلِكِ وَالِدَوْلَةِ وَانْتِقَالِ الْمَلِكِ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ وَالْوَسْطُ عَلَى ظُهُورِ الْمَتَغَلِّبِينَ وَالطَّالِبِينَ
لِلْمَلِكِ وَالصَّغِيرُ عَلَى ظُهُورِ الْخَوَارِجِ وَالدَّعَاةِ وَخَرَابِ الْمَدِينِ أَوْ عِمَارَتِهَا وَيَقَعُ أَثْنَاءَ هَذِهِ الْقِرَانَاتِ قِرَانُ التَّحْسِينِ
فِي بَرَجِ السَّرَطَانِ فِي كُلِّ ثَلَاثِينَ سَنَةً مَرَّةً وَيَسْمَى الرَّابِعُ وَبَرَجُ السَّرَطَانِ هُوَ طَالِعُ الْعَالَمِ فِيهِ وَبِالزُّحَلِ
وَهُوَ طَالِعُ الْمَرْجِ فَتَعَظُمُ دَلَالَةُ هَذَا الْقِرَانِ فِي الْفَتَنِ وَالْحَرْبِ وَبُؤْسِ فِتْنِ الدَّمَاءِ وَظُهُورِ الْخَوَارِجِ وَحَرَكَةِ
الْعَسَاكِرِ وَصِيَانِ الْجُنُودِ وَالْوَبَاءِ وَالْقَحْطِ وَيَدُومُ ذَلِكَ أَوْ يَنْتَهِي عَلَى قَدْرِ السَّعَادَةِ وَالْكَوَسَةِ فِي وَقْتٍ
قَرَأْنَهُمَا عَلَى قَدْرِ تَبْسِيرِ الدَّلِيلِ فِيهِ قَالَ جِرَاسُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَاسِبِ فِي السِّكَاكِ الَّذِي أَلْفَهُ لِنِظَامِ الْمَلِكِ وَرُجُوعِ
الْمَرْجِ إِلَى الْعَقْرِ لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي الْمَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِأَنَّهُ كَانَ دَلِيلًا عَلَى أَوَّلِ النَّبِيِّ كَانَ عِنْدَ قِرَانِ الْعُلَوِيِّينَ
بِرَجِ الْعَقْرِ فَلَمَّا رَجَعَ هُنَاكَ حَدَثَ التَّشْوِيشُ عَلَى الْخُلَفَاءِ وَكَثُرَ الْمَرَضُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِينِ وَنَقَصَتْ
أَحْوَالُهُمْ وَرَبَّاهُمْ بِمَا نَهَدَمَ بَعْضُ بِيُوتِ الْعِبَادَةِ وَقَدْ يُقَالُ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ قَتْلِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ رَافِعٌ مِنْ
بَنِي أُمَيَّةٍ وَالْمَوْتُ كُلُّ مَنْ بَنَى الْعِبَاسَ فَذَا رُوعِيَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ مَعَ أَحْكَامِ الْقِرَانَاتِ كَانَتْ فِي غَايَةِ
الْأَحْكَامِ * وَذَكَرَ شَاذَانَ الْبَلْخَنِيَّ أَنَّ الْمَلَّةَ تَنْتَهِي إِلَى ثَلَاثِ مِائَةٍ وَعَشْرِينَ وَقَدْ ظَهَرَ كَذِبُ هَذَا الْقَوْلِ
وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو يَظْهَرُ بِـ الْمِائَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْهَا اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ وَلَمْ يَصِحْ ذَلِكَ وَقَالَ جِرَاسُ رَأَيْتُ فِي
كُتُبِ الْقَدَمَاءِ أَنَّ الْمَنْجَمِينَ أَخْبَرُوا كَسْرِي عَنْ مَلِكِ الْعَرَبِ وَظُهُورِ النَّبُوَّةِ قِيمَتِهِمْ وَأَنَّ دَلِيلَهُمُ الزُّهْرَةُ

اللَّهُمَّ قَتَى شَيْخَ نَفْسِي لَا يَزِيدُنِي عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِذَا وَقِيتُ شَيْخَ نَفْسِي لَمْ أُسْرِقْ وَلَمْ أَزْنِ وَلَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَإِذَا
الرَّجُلُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ (وَأَعْلَمُ) أَنَّ الْبَخْلَ يَكُونُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ أَنْ لَا يَخْأَفُ وَلَا يَشِبُّ وَهَذَا يَوْهَنُ التَّصَدِيقَ بِمَا تَكْفُلُ اللَّهُ بِهِ

و يطرق الخلال والامتناع الى جميع الاوامر بين العبد و بين الخالق و بين العبد و بين الخلق في ترك معاوتهم والنصح لهم (وقال) كسرى
لا يصحبه أى شئ أضر بابن آدم (٢٠٠) قالوا الفقير فقال كسرى الشيخ أضر من الفقير لان الفقير اذا وجد اتسع والثحيح لا يتسع ابدا ولما

وكانت في شرفها فبقي الملك فيهم أربعين سنة وقال ابو معشر في كتاب القرائن القسمة اذا انتهت
الى السابعة والعشرين من الحوت فيها شرف الزهرة ووقع القرائن مع ذلك برج العقرب وهو دليل
العرب ظهرت حينئذ دولة العرب وكان منهم نبي ويكون قوة ملكه ومدة على ما بقي من درجات
شرف الزهرة وهي إحدى عشرة درجة بتقريب من برج الحوت ومدة ذلك ستمائة وعشرين سنة
وكان ظهروا إلى مسلم عند انقضاء الزهرة ووقع القسمة أول الحمل وصاحب الحمل المشترى وقال يعقوب
ابن اسحق الكندي ان مدة الملة تنتهي الى ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال لان الزهرة كانت عند قران
الملة في ثمان وعشرين درجة وثلاثين دقيقة من الحوت فالباقي إحدى عشرة درجة وثمان عشرة دقيقة
ودقائقها ستون فيكون ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال وهذه الملة باتفاق الحكماء ويعضده الحروف
الواقعة في أول السور بحذف المكرر واعتباره بحساب الحمل قلت وهذا هو الذي ذكره السهيلي والغالب
ان الاول هو مستند السهيلي فيما نقلناه عنه قال جراس سأل هر خرافا يدا الحكيم عن مدة أردشير وولده
وملوك الساسانية فقال دليل ملكه المشتري وكان في شرفه فيعطى أطول السنين واجودها أربع مائة
وسمعا وعشرين سنة ثم تزايد الزهرة وتكون في شرفها وهي دليل العرب فعلم يكون لان طالع القرائن
الميزان وصاحبه الزهرة وكانت عند القرائن في شرفها فدل انهم يملكون الف سنة وستين سنة وسأل كسرى
أنوشروان وزيره بزرجمهر الحكيم عن خروج الملك من فارس الى العرب فاخبره ان القائم منهم يولد لخمس
واربعين من دولته ويملك المشرق والمغرب والمشتري يغوص الى الزهرة وينقل القرائن من الموائمة الى
العقرب وهو مائى وهو دليل العرب فهذه الادلة تقضي للملة مدة دور الزهرة وهي الف وستون سنة وسأل
كسرى ابرويز البوس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزرجمهر وقال فويل الرومي المنجم في ايام بني امية
ان ملة الاسلام تبقى مدة القرائن الكبير تسعمائة وستين سنة فاذا عاد القرائن الى برج العقرب كما كان في
ابتداء الملة وتغير وضع الكواكب عن هيئتها في قران الملة فينبغي ان يقرأ العمل به او يتجسس من
الاحكام ما يوجب خلاف الظن قال جراس واتفقوا على ان خراب العالم يكون باسبيل الماء والنار حتى
تهلك سائر المكنونات وذلك عند ما يقطع قلب الاسد أربع مائة وعشرين درجة التي هي حد المريج وذلك بعد
مضي تسعمائة وستين سنة وذلك جراس ان ملكا زابستان بعث الى المأمون بحكيمه فذبحه به في
هدية وانه تصرف للمأمون في الاختبارات بحرب اخيه وبعقد اللوا لظاهر وان المأمون اعظم حكمته
فسأله عن مدة ملكهم فاجابه بانقطاع الملك من عقبه واتصاله في ولداخيه وان العجم يتغلبون على
الخلافة من الديلم في دولة سنة خمسين ويكون ما يريد الله ثم يسوء حالهم ثم تظهر التركة من شمال المشرق
فيملكونه الى الشام والفرات وسيحسون وسيملكون بلاد الروم ويكون ما يريد الله فقال له المأمون من
اين لك هذا فقال من كتب الحكماء ومن ادهر الهندى الذى وضع الشطر فخرجت والترك
الذين اشاروا الى ظهورهم بعد الديلم هم السجوقية وقد انقضت دولتهم أول القرن السابع قال جراس
وانتقال القرائن الى المثلثة المائية من برج الحوت يكون سنة ثلاث وثلاثين وثمان مائة ليزدجرد وبعدها
الى برج العقرب حيث كان قران الملة سنة ثلاث وخمسين قال والذى في الحوت هو أول الانتقال والذى في
العقرب يستخرج منه دلائل الملة قال ونحوه يل السنة الأولى من القرن الاول في المثلثات المائية في ثانی
رجب سنة ثمان وستين وثمان مائة ولم يستوف الكلام على ذلك * وأمام سنة المنجمين في دولة على
الخصوص في القرن الاوسط وهيئة القلائع عند وقوعه لان له دلالة عندهم على حدوث الدولة وجهاتها

قدم الشافعي من صنعاء
الى مكة كان معه عشرة
آلاف دينار فقالوا له
تشتري بها ضعة فضرب
خيمته خارج مكة وصحب
الدنانير فكل من دخل
عليه كان يعطيه قبضة
قبضة فلما جاء وقت الظهر
قام ونفض الثوب ولم يبق
شئ (ولما) قربت وفاته
قال مروا فلانا يغسلني
وكان الرجل غائبا فلما
قدم اخبر بذلك فدعا
بثديته فوجد عليه سبعين
الف درهم دينافقضاها
وقال هذا غسلي اياه
(وروى) ان رجلا اراد
ان يؤذي عبدا لله بن عباس
فاثى وجوه البالد وقال يقول
لكم ابن عباس تغدوا اليوم
عندي فاتوه فخلوا الدار
فقال ما هذا فاخبر الخبر
فامر ان تشتري الفواكه
في الوقت وأمر بالخبز
والطبخ فاصبح القرى
فلما فرغ قال لو كلاته
اموجود لنا هذا كل يوم
قالوا نعم قال فابتعد هؤلاء
كلهم كل يوم عندنا
*) (ومن الخصال الحاربية
يجرى الكمال والجمال
ولعلها من الاصول
الصبر) *)
*) (الباب الثاني والثلاثون

في الصبر) *) الصبر زمام سائر الخصال وزعيم الغنى والظفر وملاك كل فضيلة وبه ينال كل خير ومكة قال الله تعالى من

وقمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فعظم وظائف الدين ذكر الله

ورسوله جزامه لعلهم اقامها الا الصبر فانه بغير حساب وقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهتدون بامرنا الصبر واقبل عن الدنيا وقال ابن عيينة
لما اخذوا برأس الامر جعلهم الله رؤساء وقال تعالى ولقد علم انك يضيق صدوركم بما يقولون (٢٠١) وقال تعالى قد علم انه ليحزنك

الذي يقولون فانهم لا
يكذبونك ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون وقال
تعالى ولتسعين من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم ومن
الذين اشركا اذى كثيرا
ثم نذبهم الى الصبر مع
وجود الاذى فقال وان
تصبر واوتتقوا فان ذلك
من عزم الامور فالصبر
بس النفس على الاوامر
والمكاره وعن النواهي
والمعاصي الاتري ان اهل
الجنة نودوا فقبل لهم سلام
عليكم بما صبرتم فنعيم عقيب
الدار فاخبر الله تعالى انه

آبائهم جنته بصبرهم يعني
صبرتم على طاعة الله
وصبرتم عن معصية الله
قال الله تعالى واصبر نفسك
مع الذين يدعون دينهم
بالعداوة والعشي اى احبس
نفسك الانية في امارات
حسن التوفيق وعلامات
السعادة الصبر في الملمات
والرفق عند النوازل
(وفيماروى) ان الله
تعالى اوحى الى داود عليه
السلام يا داود من صبر
علينا واصل لنا (وقال
سقيان) بلغنا ان لكل
شيء ثمرة وثمره الصبر الظفر
قال الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اصبروا وصابروا

من العـمران والقائم بين بهامن الامم وعـدم ملوكهم واسمائهم واعمارهم ونحلهم واديانهم وعوائدهم
وحروبهم كما ذكر أبوهم عشر في كتابه في القرانات وقد توجد هذه الدلالة من القران الاصغر اذا كان الاوسط
دالا عليه فن هذا يوجد الكلام في الدول وقد كان يعقوب بن اسحق الكندي منجم الرشيد والمأمون
وضع في القرانات الكائنة في الملة كتابا سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم المنسوب الى جعفر الصادق وذكر
فيه فيما يقال حدثان دولة بني العباس وانها نهايتهم واسرارها وانقرضوا والمحادثة على بعد ادائها تقع في
انصاف المائة السابعة وان بانقرضها يكون انقرض الملة ولم تقف على شيء من خبر هذا الكتاب ولا رأينا
من وقف عليه ولا له فرق في كتبهم التي طرحها هلا كوكلاء التتري في دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل
المستعصم آخر الخلفاء وقد وقع بالمغرب جزم منسوب الى هذا الكتاب يسمى بالجفر الصغير والظاهر انه وضع
لبنى عبد المؤمن لذكر الاولين من ملوك الموحديين فيه على التفصيل ومطابقة من تقدم عن ذلك من
حدثانه وكذب ما بعده وكان في دولة بني العباس من بعد الكندي منجمون وكتب في الحديثان وانظر ما نقله
الطبري في اخبار المهدى عن ابي بديل من اصحاب صنائع الدولة قال بعث الى الربيع والحسن في غزاهما
مع الرشيد ايام ابيه فجهت ما جوف الليل فاذا عندهما كتاب من كتب الدولة يعني الحديثان واذامدة
المهدى فيه عشر سنين فقلت هذا الكتاب لا يخفى على المهدى وقدمضى من دولته ماضى فاذا وقف عليه
كنت قد نعيمتم اليه نفسه قال لا الحمدلة فاستدعت عنده الوراق مولى آل بديل وقالت له انسخ هذه
الورقة وكتب مكان عشر أربعين ففعل فوالله لولا انى رأيت العشرة في تلك الورقة والاربعين في هذه
ما كنت أشك انها هي ثم كتب الناس من بعد ذلك في حديثان الدول منظوما ومنثورا ورجزا ما شاء الله ان
يكتبوه وبايدى الناس متفرقة كثير منها وتسمى الملاحم وبعضها في حديثان الملة على العموم وبعضها في
دولة على الخصوص وكلاهما منسوبة الى مشاهير من اهل الخليفة وليس منها اصل يعتمد على روايته عن
واضعه المنسوب اليه فن هذه الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مرانة من بحر الطويل على روى الراوى متداولة
بين الناس وتحسب العامة انها من الحديثان العام فيطلقون الكثير منها على الحاضر والمستقبل والذي
سمعناه من شيوخنا انها مخصوصة بدولة المتونة لان الرجل كان قبيل دولتهم وذكر فيها استيلائهم على
سنة من يدموا الى بني جود وملوكهم لعدوة الاندلس ومن الملاحم يمد أهل المغرب ايضا قصيدة تسمى
التبعية اولها
طربت وما ذاك منى طرب * وقد بطرب الطائر المغضب
وما ذاك منى للهو اراه * ولكن لتذكر بعض السبب
قر يمان خمسة ائمة بيت اواف فيما يقال ذكر فيها كثير من دولة الموحديين واشار فيه الى القاطم
وغيره والظاهر انها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب ايضا لمعة من الشعر الزجل منسوبة لبعض اليهود
ذكر فيها احكام القرانات لعصره العلويين والتحسين وغيرهم اود كرميته قتيلا بفاس وكان كذلك فيما
زعوه واوله
في صبغ ذا الازرق لشرقه خبارا * فافهموا يا قوم هذى الاشارا
فجم زحل اخبر بذي العلاما * وبذل الشكلا وهى سلاما
شاشمة زرقا بدل العماما * وشاش ازرق بدل الغراما
يقول في آخره
قد تم ذا التجنيس لانسان يهودى * يصلب ببلدة فاس في يوم عيد
حتى يجيحه الناس من البوادي * وقتله يا قوم على الفراد
وابياته نحو الخمسة مائة وهى في القرانات التي دلت على دولة الموحديين ومن ملاحم المغرب ايضا قصيدة

(٢٦ - ابن خلدون) وربطوا واتقوا الله لعلكم تتقون فعلى الفلاح على الصبر والتقوى في صبر واعلى ما فرض
الله عليكم وصابروا واعدوكم وربطوا فيه قولان قيل رابطوا على الجهاد والثاني رابطوا على انتظار الصلوات بدليل ما روى أبوهريرة رضى

الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم الادللكم على ما يحيط الله به الخطايا و يرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسبأغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا (٢٠٢) الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط (وقال) المحسن في قوله تعالى

من عروض المتقارب على روى الباع في حدثان دولة بني ابي حفص بتونس من الموحدين منسوبة لابن الابرار وقال لي قاضي قسنطينة الخطيب الكبير ابو علي بن باديس وكان بصيرا بما يقوله وله قدم في التتبع فقال لي ان هذا ابن الابرار ليس هو الحافظ الاندلسي الكاتب مقبول المستنصر وانما هو رجل خياط من اهـل تونس تواطأت شهرته مع شهرة الحافظ وكان والدي رحمه الله تعالى ينشد هذه الابيات من هذه المحمة وبقى بعضها في حفظي مطالعا

عذري من زمن قلب * يغرب بارقه الاشنب
ويبعث من جيشه قائدا * ويبقى هناك على مرقب
فتأني الى الشيخ اخباره * فيقبل كالجبل الاجب
يظهر من عدله سيرة * وتلك سياسة مستجلب

ومنها

ومنها في ذكر احوال تونس على العموم
فاما رايت الرسوم انمحت * ولم يرع حق لندي منصب
نخذ في الترحل عن تونس * وودع معالمها واذهب
فسوف تكون بهما فتنة * تضيف البرى الى المذنب
ووقفت بالمغرب على محمة اخرى في دولة بني ابي حفص هؤلاء بتونس فيها يد السلطان ابي يحيى الشهير
عاشر ملوكهم ذكر محمد اخيه من بعده يقول فيها

وبعد أي عبد الاله شقيقه * ويعرف بالوثاب في نسخة الاصل
الان هذا الرجل لم يملكها بعد اخيه وكان يعني بذلك نفسه الى ان هلك ومن الملاحم في المغرب ايضا الملعبة
المنسوبة الى الهوثي على لغة العامة في عروض البلاد التي اولها

دعني بدعي الهتان * فترت الامطار ولم تقتر
واستقت كلها الويدان * وانى عملى وتنغدر
البلاد كلها تروى * فاولى ما ميل ما تدرى
ما بين الصيف والشتوى * والعام والربيع تجرى
قال حين صحت الدعوى * دعنى نبكى ومن عذر
انادى من ذى الازمان * ذا القرن اشتد وتدرى

وهي طويلة ومحفوفة بين عامة المغرب رب الاقصى والغالب عليها الواضع لانه لم يصح منها قول الا على تأويل تحرفه العامة او الحارفي فيه من ينقلها من الخاصة ووقفت بالمشرق على محمة منسوبة لابن العربى الحاتمي في كلام طويل شبه الغازل اعلم تأويله الا الله لتخلاه اوافق عددية ورموز مغرزة واشكال حيوانات تامة ورؤس مقطعة وتماثيل من حيوانات غريبة وفي آخرها قصيدة على روى اللام والغالب انها كلها غير صحيحة لانها لم تنشأ عن اصل علمي من نجامة ولا غيرها وسمعت ايضا ان هناك ملاحم اخرى منسوبة لابن سيدنا وابن عقب وليس في شيء منها دليل على الصحة لان ذلك انما يؤخذ من القرائن ووقفت بالمشرق ايضا على محمة من حدثان دولة الترك منسوبة الى رجل من الصوفية يسمى قوله فاما رايت اصله فان رايت زيدت ما وادغمت في ان الشرطية المحذوف فونها خطأ وفي نسخة فلما رايت الاولى هي الموجودة في النسخة التونسية قاله نصر ام

واذا بتلى ابراهيم ربه بكلمات
فاتمهن قال ابتلاه بالكوكب
فصبر وابتلاه بذبح ابنه
فصبر وقال سبحانه وتعالى
استعينوا بالصبر والصلاة
ان الله مع الصابرين فبدأ
بالصبر قبل الصلاة ثم قال
قولا عظيما فجعل نفسه
مع الصابرين دون المصلين
وقال النبي عليه الصلاة
والسلام لا انصار ما يكن
عندي من خير فلان ادخره
عنكم ومن يستعفف يعفه
الله ومن يستغن يغنه الله
ومن يتصبر يصبره الله وما
اعطى احد عطاء خيرا وسع
من الصبر (وقال ابن
مسعود) قسم النبي صلى
الله عليه وسلم قسما فقال
رجل من الانصار والله
انها القسمة ما ريد بها وجه
الله فاخبرت النبي عليه
الصلاة والسلام فشق عليه
وتغير وجهه وغضب حتى
وددت اني لم اكن اخبرته
ثم قال قد اودى موسى
باكثر من هذا فصبر
(وروى) ان النبي عليه
الصلاة والسلام مر على
امراة تبكي عند قبر فقال لها
اتقي الله واصبري فقالت
اليك عنى فانك لم تصب
بمثل بيتي فلما قبل لها
هذا رسول الله جات اليه

تعتذرانها لم تعرفه وقالت سأصبر فقال النبي عليه الصلاة والسلام انما الصبر عند الصدمة الاولى
ويحتمل هذا الحديث وجهين اما الطائفي فقال معناه ان الصبر المحمود عند اول نزول المصيبة وقد فلتك بالجزع واما القاسي فقال معناه

البا حريق

ان الصدمة الاولى وقت امرها النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر وكان هذا تعليما لكل من فاته الصبر بذهول او نسيان او غلبة (و تروى)
ان النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة (٢٠٣) (وفي منشور الحكم) قالت العجوة ان لاحقة بارض

المغرب قال الجوع وانام معك

قال الايمان ان الاحق بارض

الحجاز قال الصبر انام معك

قال الملك ان الاحق بارض

العراق قال القنك انام معك

(واعلم) ان العجوة خرق

ومخرجهما من قلة العقل

واخرق من ذلك التفريط

في الامر بعد القدرة ومثل

ذلك كالتفريط على النار ان

كان ماؤه قليلا غلت بمسير

من النار وان كانت غلوة

لم تغل حتى تكثر نارها

وتطول مدتها وفي كتاب

جاويدان خرد وليس

للجهم كتاب مثله قال محرم

على السامع تكذيب

القائل الا في ثلاث من غير

الحق صبر الجاهل على

مضض المصيبة وعافل

أبغض من أحسن اليه

وجاة أحببته

(فصل) واعلم ان

الصبر على أقسام صبر على

ما هو كسب للعبد وصبر

على ما ليس بكسب فالصبر

على الكسب على قسمين

صبر على ما أمر الله تعالى به

وصبر على ما نهى الله عنه

فاما الصبر على ما ليس

بكسب للعبد فكصبره

على مقاساة ما يتصل به

من حكم الله تعالى فيها

له فيه مشقة وينقسم من

وجه آخر على اربعة اقسام فأولها الصبر على امتثال امر الله سبحانه والانتفاء عما نهى عنه والثاني الصبر على ما فات ادراكه

من مسرة أو تقصير أو فاته من مصيبة والثالث الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها ويخشى حدوثه من رهبة يخافها والرابع

الباجر يقي وكلها الغاز بالحروف اولها

ان شئت تكشف سر الجفر ياسائل * من عـلم جفر وصي والد الحسن

فافهم وكن واعيا حقا وجاهلته * والوصف فافهم كفعل الحاذق القطن

أما الذي قبل عصرى لست أذكره * لكنني أذكر الـآتى من الزمن

بشهر بيمرس يبقى بجاء بعد خستها * وحاء ميم بطيش نام فى الككن

شين له أثر من تحت سرته * له القضاء قضى أى ذلك الممن

فصر والشأم مع ارض العراق له * وأذر بيجان فى ملك الى الميم

وآل بوران لما نال طاهرهم * الفاتك الباتك المعنى بالسمين

لخلم سين ضعيف السن سئين انى * لا لوفاق ونون ذى قـرن

قـرم شجاع له عقل ومشورة * يبقى بجاء واين يعـد ذو سمين

من بعد دباع من الاعـوام قتله * الى المشورة ميم الملك ذو اللسن

هذا هو الاعرج الكلبى فاعن به * فى عصره فتن ناهيك من فتن

يأتى من الشرق فى جيش يقدمهم * عار عن القاف قاف جـد بالفتن

بقتل دال ومثل الشأم أجمعها * أبدت بشجوع على الالهين والوطن

اذا أتى زلزلت يا ويح مصر من الزلزال مازال طاء غـير مقنطن

طاه وطاء وعين كلهم حبسوا * هــكـا وينفق أمـوالا بلاغن

يسير القاف قافا عنـد جمعهم * هون به ان ذاك الحصن فى سكن

وينصبون أخاه وهو صالحهم * لاسـلم الالف سـين لـذاك نبي

تمت ولايتهم بالحاء لا أحد * من السنين يدانى الملك فى الزمن

يقال انه اشار الى الملك الظاهر وقدم اليه عليه عصر

يأتى اليه أبوه بعد هجرته * وطول غيبته والشفاف والزرن

وأبياتها كثيرة والغالب انها موضوعة ومثل صنعها كان فى القديم كثير او معروف الانتهال (حكى)

المؤرخون لاخبار بغداد أنه كان بها أيام مقتدر ووراق ذكرى يعرف بالدينالى ييل الاوراق يكتب فيها

بخط عتيق برزقيه بحر وف من أسماء اهل الدولة وبشير بها الى ما يعرف ميلهم اليه من أحوال الرفعة

والجاء كانهما لاجم ويحصل على مايريده منهم من الدنيا وأنه وضع فى بعض دفاترهم مكررة ثلاث مرات

وجاء به الى مغلج مولى المقتدر فقال له هذا كناية عنك وهو مغلج مولى المقتدر وذكرك عنه مايرضاه ويناله من

الدولة ونصب لذلك علامات يومه بها عليه فبذل له ما أغناه به ثم وضعه للوزير ابن القاسم بن وهب على

مغلج هذا وكان معزولا فاجاه باوراق مثلها وذكرا اسم الوزير بمثل هذه الحروف وبعلامات ذكرها وأنه يلى

الوزارة للثاني عشر من الخلفاء وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعداء وتعمر الدنيا فى أيامه وأوقف مغلجا

هذا على الاوراق وذكرا فيها كواش أخرى وملاحم من هذا النوع مما وقع وعالم يقع ونسب جميعه الى

دانيال فأهـب به مغلج ووقف عليه المقتدر واهتدى من تلك الامور والعلامات الى ابن وهب وكان ذلك

سببا لوزارته بمثل هذه الحيلة العريضة فى الكذب والجهل بمثل هذه الغاز والظاهر ان هذه المحمة التى

ينسبونها الى الباجر يقي من هذا النوع * ولقد سألت أكمل الدين ابن شيخ الخفعية من العجم بالديار

وجه آخر على اربعة اقسام فأولها الصبر على امتثال امر الله سبحانه والانتفاء عما نهى عنه والثاني الصبر على ما فات ادراكه

من مسرة أو تقصير أو فاته من مصيبة والثالث الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها ويخشى حدوثه من رهبة يخافها والرابع

الصبر على ما نزل من مكرهه أو حل من أمر مخوف وجميع أقسامه محمودة بكل أسان وفي كل ملة وعند كل أمة مؤمنة وكافرة (وقال أكتن بن صيني) من صبر ظفر (وقال (٢٠٤) على بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه) الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو

المصرية عن هذه المحمة وعن هذا الرجل الذي تنسب اليه من الصوفية وهو الباجري وكان عارفا بطرائقهم فقال كان من القلندية المتبعة في خلق اللحية وكان يتعمد عمار يكون بطريق الكشف ويومي الى رجال معينين عنده ويلغز عليهم بحر وفي بعضهما في ضيقها من يراه منهم ويرى بظاهر نظم ذلك في أبيات قليلة كان يتعاهد هافتة وقت عنه وولم الناس بها وجعلوها المحمة مرموزة وزاد فيها الخراصون من ذلك الجنس في كل عصر وشغل العامة بفكر رموزها وهو أمر ممتنع اذا الرزنا سيدي الى كشفه قانون يعرف قبله ويوضع له وأما مثل هذه الحروف فلا تنال على المراد منها مخصوصة بهذا النظم لا يتجاوزها رأيت من كلام هذا الرجل الفاضل شفاها كان في النفس من أمر هذه المحمة وما كنا انتهت دي لولا أن هذا الله والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

(الفصل الرابع من الكتاب الاول)

في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه سوابق ولواحق

(فصل في أن الدول أقدم من المدن والامصار وانما توجد ثمانية عن الملك وبيانه ان البناء واختطاط المنازل انما هو من منازع الحضارة التي يدعو اليها الترف والدعة كما قدمناه وذلك متأخر عن البداءة ومنازعها وأيضاً فالمدن والامصار ذاتها كل وأجرام عظيمة وبناء كبير وهي موضوعة للعامة ومولاهم لا لخصوص فتحتاج الى اجتماع الايدي وكثرة التعاون وليست من الامور الضرورية للناس التي تعينها بالولى حتى يكون نزوعهم اليها اضطراراً بل لابد من كراههم على ذلك وسوقهم اليه مضطرين بعضا الملك او مرغبين في الثواب والاجر الذي لا يفي بكثرة الاملاك والدولة فلا بد في تصدير الامصار واختطاط المدن من الدولة والملك ثم اذ انبثت المدينة وكل تشييدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الاحوال السماوية والارضية فيها فاعمر الدولة حينئذ عزمها فان كان عمر الدولة قصيراً وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمراتها وخربت وان كان امداً للدولة طويلاً ومدتها منقصة فلا تزال المصانع فيها تاشاد والمنازل الرحيمة تكثر وتتعد ونطاق الاسواق يتسع وينفتح الى أن تتسع الخطة وتتبع المسافة وينفتح ذرع المساحة كما وقع ببغداد وأمثالها * ذكر الخطيب في تاريخه ان الحجمات بلغ عددها ببغداد اربع مائة المأمون خمسة وستين ألف حجام وكانت مشغلة على مدن وامصار متلاصقة ومتقاربة تجاوز الاربعين ولم تكن مدينته وحدها يحجمها سور واحد لا فراط العمران وكذا حال القيروان وقرطبة والمهدية في الملة الاسلامية وحال مصر القاهرة بعدها فيما يبلغنا هذا العهد وأما بعد انقراض الدولة المشمدة للمدينة فاما ان يكون لصواحي تلك المدينة وما قاربها من الجبال والسايط بادية يمددها العمران دائماً فيكون ذلك حافظاً لوجودها ويسد عمرها بعد الدولة كما تراه بقاس وبجاية من المغرب وبعراق العجم من المشرق الموجود لها العمران من الجبال لان أهل البداءة اذا انتهت أحوالهم الى غاياتها من الرفعة والكسب تدعو الى الدعة والسكون الذي في طبيعة البشر فينزلون المدن والامصار ويتأهلون وأما اذا لم يكن لتلك المدينة المؤسسة مادة تقيد بها العمران بترادف الساكن من بدوها فيكون انقراض الدولة خرقاً لسياجها فزول حفظها ويتناقص عمراتها شيئاً فشيئاً الى أن يبدع عرساً كنهها وتخرب كما وقع بمصر وبغداد والكوفة بالشرق والقيروان والمهدية وقلعة بني حماد بالمغرب وأمثالها فتفهمه ووربما ينزل المدينة بعد انقراض منخططها الاولين ملأ آخرو دولة ثانية يتخذها قراراً وكرسياً تستغني بها عن اختطاط مدينة ينزلها فتحفظ تلك الدولة سياجها وتزايد مبانيها ومصانعها بتزايد احوال الدولة الثانية وترفعها وتستجد بعمرانها عمر آخر كما وقع

(وقال اردشير) الصبر الدرك (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ضياء وبالصبر يتوقع الفرج (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب (وقال ابن عباس) أفضل العدة الصبر عند الشدة (وقال عبد المجيد السكاك) لم اسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر مطيتين ما باليت أيهما ركبت (وقال) بعض الحكماء الصبر على مواقع المكره تدرك الخطوط (وقال) ابن المقفع في كتاب النتيجة الصبر صبران فاللثام أصبر أجساماً والكرام أصبر نفوساً وليس الصبر الممدوح صاحبه ان يكون قوى الجسد على الكد والعمل فان هذا من صفات الحجير ولكن ان يكون للنفس غلباً بالامور محتملاً ومجاهدة عند الحفاظ مرتبطاً (وفي منشور الحكمة) من أحب البقاء فليعد للصائب قلباً صبوراً (وقال) بن رجب لم أره يراعى تنقل الدول كالصبر ولا مدلاً للجساد كالتمهل ولا مكسبة للآجال كتوقي

بقاس

المزاج ولا عجلة للوقت كالاعجاب ولا متانة للاروة كاستعمال الهزل في موضع الجد (فاما القسم الاول) وهو

الصبر على امثال أو امر الله تعالى والانتها عن محاربه فيه يصح اداء الفرائض واستكمال السنن ويدخل في قوله تعالى انما يوفى الصابرون

أجرهم بغير حساب ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد (وقال الجنيدي) المستبر من الدنيا سهل حين على المؤمن وهجر الخلق في جنب الله شديد والمسير من النفس إلى الله شديد (٢٠٥) والصبر مع الله تعالى شديد وسئل

عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعب يس (وكان حبيب بن أبي

حبيب) إذا قرأ هذه الآية

أنا وحدثنا صابرا نعم العبد أنه

أواب بك ثم قال وأعجابه

أعطى وأثنى (وقال

الخواص) الصبر الثبات

على أحكام الكتاب والسنة

(وقال عبد الواحد بن

زيد) من نوى الصبر على

طاعة الله تعالى صبره الله

تعالى عليها وقواه ومن

عزم على الصبر عن معصية

الله تعالى أعانه الله تعالى

وعصمه منها (وقال عمر بن

عبد العزيز) للقاسم بن

محمد أوصني فقال القاسم

عليك بالصبر في مواضع

الصبر (وقال الحسن)

الصبر صبران صبر عند

المصيبة وصبر عما نهى الله

عنه وهو الأفضل وأما

يختلف الصبر بالخوف

والرجاء فان من خاف شيئا

صبر على الفراق منه وصبر

عند الكراهية لما يحذر من

ضرره ومن رجا شيئا صبر

على طلبه لئلا يفقر به (وأما

القسم الثاني) وهو الصبر

على ما فات أدراكه من

مسرة أو تقضت أوقاته من

مصيبة فإنه يتعجل به الراحة

مع اكتساب الثوبة فان

بقاس والقاهرة لهذا العهد والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق

٢ * (فصل في أن المملأ يدعو إلى نزول الأمصار) *

وذلك أن القبائل والعصائب إذا حصل لهم المملأ اضطروا للاستيلاء على الأمصار لآخرين أحدهما ما يدعو إليه الملك من الدعة والراحة وحط الأثقال واستكمال ما كان ناقصا من أمور العمران في البدو والثاني دفع ما يتوقع على الملك من أمر المنازعين والمشاعين لأن المصير الذي يكون في نواحيهم ربما يكون للمجاملين يروم منازعهم والمخروج عليهم والتبراع ذلك الملك الذي سوا إليه من أيديهم فيعتصم بذلك المصير ويغال بهم مغالبة المصير على نهاية من الصعو وبالمشقة والمصير يقوم مقام العساكر المنعقدة لما فيه من الامتناع ونسكاية الحرب من وراء الجدران من غير حاجة إلى كثير عدد ولا عظيم شوكة لأن الشوكة والعصابة إنما احتيج إليها في الحرب للثبات لما يقع من بعدد القوم بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هؤلاء بالجدران فلا يضطرون إلى كبير عصابة ولا عدد فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من المنازعين مما يفت في عضد الأمة التي تروم الاستيلاء ويخصد شوكة استيلائها فإذا كانت بين أجنابهم أمصار تنظم وهافي استيلائهم للأمن من مثل هذا الانحرام وان لم يكن هناك مصر استحدثوه ضرورة لتكميل عمرانهم أولا وحط أثقالهم وليكون شجاقا في حلق من يروم العزة والامتناع عليهم من طوائفهم وعصائبهم فتعين أن الملك يدعو إلى نزول الأمصار والاستيلاء عليها والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق لأرب سواه

٣ * (فصل في أن المدن العظيمة والهيكل المرتفعة إنما يشيدها الملك الكثير) *

قد قدمنا ذلك في آثار الدولة من المباني وغيرها وأنما تكون على نسبتها وذلك أن تشييد المدن إنما يحصل باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فإذا كانت الدولة عظيمة متسعة الممالك حشرا آفة علة من أقطارها وجمعت أيديهم على عملها ورعا استعين في ذلك في أكثر الأمر بالهندام الذي يضاعف القوى والقدر في حمل أثقال البناء لعجز القوة البشرية وضعفها عن ذلك كالمخال وغيره وربما يتوهم كثير من الناس إذا نظروا إلى آثار الأقدمين ومصانعهم العظيمة مثل أيوان كسرى وأهرام مصر وحنانيا المعلقة وشرشال بالغرب إنما كانت بقدرهم متفرقين أو مجتمعين فينبخل لهم أجساما تناسب ذلك أعظم من هذه بكثير في طولها وقدرها تناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك المباني عنها ويغفل عن شأن الهندام والمخال وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية وكثير من المنغلبين في البلاد يعان في شأن البناء واستعمال الخيل في نقل الأجرام عند أهل الدولة المعتمنين بذلك من العجب ما يشهد له بما قلناه عيانا وكثيرا نارا لأقدمين لهذا العهد جميعا العامة عادية نسبة إلى قوم عادلتوهمهم من مباني عاد ومصانعهم إنما عظمت لأعظم أجسامهم وتضاعف قدرهم وليس كذلك فقد نجد آثارا كثيرة من آثار الذين تعرف بمقادير أجسامهم من الأمم وهي في مثل ذلك العظم أو أعظم كأيوان كسرى ومباني العبيديين من الشيعة بآخرة والصنهاجيين وأثرهم باد إلى اليوم في صومعة قلعة بني حماد وكذلك بناء الأغلبية في جامع القيروان وبناء الموحدين في رباط الفتح ورباط السلطان أبي سعيد بعدد أربعين سنة في المنصور بإزاء تلمسان وكذلك الحنانيا التي جلب إليها أهل قرطاجنة الماء في القناة الرابكة عليها مائة أيضا لهذا العهد وغير ذلك من المباني والهيكل التي نقلت إليها أخبار أهلها قريبا وبعيدا وتيقنا أنهم لم يكونوا بافراط في مقادير أجسامهم وإنما هذا رأى واحد به القصاص عن قوم عاد وثمود والعائلة ونجد بيوت ثمود في الحجر منحوتة إلى هذا العهد وقد ثبت في الحديث الصحيح أنها بيوتهم عر بها الركب الحجازي أكثر السنين ويشاهدونها لا تزيد في جواهرها ومساحتها وسماكتها

صبر طائعا استراح وأحرزا ثواب وان لم يصبر حمل الهم والوزر (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه) للاشعث بن قيس أن تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وان تصبر في ثواب الله تعالى خلف من ابتلك ان تصبر جرى عليك القلم وأنت مأجور وان جزع جرى عليك

العلم وأنت مأزور ونظمه أبو تمام فقال وقال على في التعازي لاشعث وخاف عليه بعض تلك المسامحة ثم أتى بملوى عزاء وحسبة * فتؤجرهم تسلسلوا بها ثم خلقة تارجالا للنجاد والعزا (٢٠٦) وتلك الايامي للبكا والمسا ثم (وقال عمر بن الخطاب)

على المنعم مدواهم لم يبالغون فيما بعته دون من ذلك حتى انهم يزعمون أن عوج بن عناق من جيل العمالة كان يتناول السمك من البحر طريا فيشويه في الشمس يزعمون بذلك أن الشمس حارة فيساقرب منها ولا يعلمون أن الحر في الماء والدينا هو الضوء لا انعكاس الشمس عاكسة بالماء سطح الارض والهواء وأما الشمس في نفسها فغير حارة ولا باردة وانما هي كوكب مضي لا تراج له وقد تقدم شيء من هذا في الفصل الثاني حيث ذكرنا أن آثار الدولة على نسبة قوتها في أصلها والله يخلف ما يشاء ويحكم ما يريد

(فصل في أن الهياكل العظيمة جدا لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة)

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومضاغفة القدر والبشرية قد تكون المباني في عظمها أكثر من القدر مفرقة أو مضاعفة بالهندام كما قلناه فيحتاج الى معاودة قدر أخرى مثلها في أزمنة متعاقبة الى أن تتم فيبدئ الأول منهم بالبناء ويعقبه الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر الفعلة وجمع الأيدي حتى يتم القصص من ذلك ويكمل ويكون ماثلا للعيان يظن من يراه من الآخرين انه بناء دولة واحدة وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مأرب وان الذي بناه سبأ بن يشجب وساق اليه سبعين وادبا وعاقه الموت عن اتمامه فأتمه ملوك حبر من بعده ومثل هذا ما نقل في بناء قرطاجنة وقتلتها الرأبة على الحنايا العادية وكثر المباني العظيمة في الغالب هذا شأنها ويشهد لذلك أن المباني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد يشرع في اختطاطها وتأسيسها فإذا لم يتبع اثره من بعده من الملوك في اتمامها بقيت بحالها ولم يكمل القصص فيها ويشهد لذلك ايضا أننا نجد آثارا كثيرة من المباني العظيمة تعجز الدول عن هدمها وتخريبها مع ان الهدم يسير من البناء بكثير لان الهدم رجوع الى الاصل الذي هو العدم والبناء على خلاف الاصل فإذا وجدنا بناء تضعف قوته البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم علمنا ان القدرة التي أسسته مفرطة القوة وانها ليست أتر دولة واحدة وهذا مل ما وقع للعرب في ايوان كسرى لما اعتزم الرشيد على هدمه وبعث الى يحيى بن خالد وهو في محبسه يستشير في ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل واتركه ماثلا يستدل به على عظم ملك آبائك الذين سلبوا الملك لامل ذلك الهيكل فاته به في النصيحة وقال اخذته الذرة للعجم والله لا صر عنه وشرع في هدمه وجمع الأيدي عليه واتخذ له القوس وجباه بالنار وصب عليه الخل حتى اذا أدركه العجز بعد ذلك كاه وخاف القضية بعث الى يحيى يستشير ثانيا في التجاني عن الهدم فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل واستمر على ذلك لئلا يقال عجز أمير المؤمنين وملك العرب عن هدم مص من مصانع العجم فقررها الرشيد واقصر عن هدمه وكذلك اتفق للأموه في هدم الازهرام التي بمصر وجمع القعلة لهدمها فلم يحل بطائل وشرعوا في نقيبها فانتهاوا الى جوب بين الحائط الظاهر وما بعده من الحيطان وهناك كان منتهى هدمهم وهو الى اليوم فيما يقال منقذ ظاهري وزعم الزاعمون أنه وجد ركازا بين تلك الحيطان والله اعلم وكذلك حنايا المعلقة الى هذا العهد تحتاج اهل مدينة تونس الى انتخاب الحجارة لبنائهم وتسيجيد الصنائع حجارة تلك الحنايا فيحاولون على هدمها الايام العديدة ولا يسقط الصغر من جذرائها الا بعد نصب الريق وتجتمع له الحوافل المشهورة شهدت منها في أيام صباي كثير والله خلقة كم وما تعلمون

(فصل فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن تلك المراماة)

(اعلم) ان المدن قرار يتخذ الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار وما كان ذلك للقرار والمأوى وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من

رضي الله عنه لرجل ان صبرت مضي أمر الله وكنت ماجورا وان جرت مضي أمر الله وكنت مأزورا (وقال الحسن) والله لو كافنا الحجز مائة سنة فالحمد لله الذي أجرا على ما لو نهانا عنه لصبرنا له وعن هذا قالت الحكماء الحجز اتعب من الصبر ففي الحجز التعب والوزر وفي الصبر الراحة والاجر ولو صور الصبر والحجز لكان الصبر أحسن صورة وأكرم طبيعة وكان الحجز أقبح صورة وأخور طبيعة ولو كان الصبر أولاها وبالغلبة للحسن الخلقة وكرم الطبيعة (وقال بعض العلماء) لو وكل الناس بالحجز للجؤ الى الصبر (وقال شبيب بن شيبعة) لهدى ان المرأة حق ما صبر عليه ما لم يجد سبيلا الى دفعه وأنشد

واذا تصبكت مصيبة فاصبر لها

عظمت مصيبة مبتلى لا

يصبر

(وقال آخر)

وعوضت أجزا من فقيد فلا

تكن

فقد ذلك لا يأتي وأجره

يذهب

(وقال) بعض الحكماء ليس يجمع له الرشيد من تابع الخلف على فائت أو أكثر الفرع عند مستطرق

(وقال) الحكيم ان كنت جازعا على ما تفعل من يديك فاجزع على ما لم يصل اليك ومن أيقن ان كل فائت الى نقصان حسن عزائه عند

ظوارقها

ظوارقها

عزائه عند

نزول القضاء (وقال الشاعر) اذا طال المحزون أيام صبره * كساه ضنا طول المقام على الصبر ولا شك ان الصبر يحمده غيره
ولكن انفاقي عليه من العمر (وقال بعض القدماء) الصبر على أربع مراتب (٢٠٧) على الشوق والاشفاق والزهد والترقب

فن اشتاق الى الجنة سلا
عن الشهوات ومن أشق
من النار رجح عن
المحرمات ومن زهد في الدنيا
تهاون بالمصريات ومن
راقب الموت أقصر عن
المخبطات (وأما القسم
الثالث) وهو الصبر فيما
يبتغى رور وده من رغبة
يرجوها ويخشى حدوثه
من رهبة يخافها في الصبر
والتلطف تدفع عادية ما
يخاف وينال نفع ما يرجو
(قال) النبي عليه السلام
انتظار الفرج من الله بالصبر
عبادة (وقال محمد بن بشير)
ان الامور اذا اشتدت
مسالكها
فالصبر يفتح منها كل ما رجا
لا تبأس وان طال مطالبه
اذا استعنت بصبر ان ترى
فرجا
اخلق بذى الصبر ان يحظى
بحاجته
ومد من القرع للابواب
ان يلجا
(وقال بعض الرواة) دخات
مدينة يقال لها ذفار فينا
انا اطوف في خرابها اذ رأيت
مكتوبا على قصر خراب
يا من ألح عليه الهم والفكر
وغيرت حاله الايام والغير
اما سمعت بما قد قيل في
مثل

طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها فاما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها جميعا
سياج الاسوار وان يكون وضع ذلك في متنع من الامكنة اما على هضبة متوعدة من الجبل واما باسطة تدارة
بحر او نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر او قنطرة فيصعب منها لها على العدو ويتضاعف
امتناعها وحصنها وعمائير اعمى في ذلك للحماية من الاقفاق السماوية طيب الهواء والسلامة من الامراض
فان الهواء اذا كان راكدا خبيثا ويجاور المياه الفاسدة او منافع متعقبة او مروج خبيثة اسرع اليها العفن
من مجاورتها فأسرع المرض للحيوان والكائن فيه لا محالة وهذا ما شاهدوا المدن التي لم يراع فيها طيب الهواء
كثيرة الامراض في الغالب وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد المغرب يدافع بريقه فلا يكاد
ساكنها وطارقها يخلص من حصى العفن بوجهه ولقد يقال ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك من قبل ونقل
البكري في سبب حدوثه أنه وقع فيها حفرة ظهر فيها اناء من نحاس مختوم بالرصاص فلما فاض ختمه صعد
منه دخان الى الجو وانقطع وكان ذلك مبدءا لأعراض الحميات فيه وأراد بذلك ان الاناء كان مشغولا
على بعض أعمال الطلسمات لو بائه وأنه ذهب سره بذها به فرجع اليها العفن والوباء وهذه الحكاية من
مذاهب العامة ومباحثهم الركيكة والبكري لم يكن من نهاية العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا
أو يشين خرفه فتقله كما سمع والذي يكشف الحق في ذلك ان هذه الالهوية العنيفة أكثر ما يهتف بها التعفين
الاجسام وأعراض الحميات ركودها فاذا تحللها الريح ونفشت وزهبت بهائمها وشما لا خف شأن العفن
والمرض البادى منها للحيوانات والبلد اذا كان كثيرا الساكن وكثرت حركات أهله فيتموج الهواء ضرورة
وتحدث الريح المتخللة للهواء راكدا يكون ذلك معيناله على الحركة والنموذج واذا خف الساكن لم يجد
الهواء معينا على حركته وتوجهه وبقي ساكنا كذا وعظم عفته وكثر ضرره وبلد قابس هذه كانت عند
ما كانت افر بريقه مستعدة العمران كثيرة الساكن تموج بالهوام وجاف كان ذلك معينا على تموج الهواء
واضطرابه وتخفيف الأذى منه فلم يكن فيها كثير عفن ولا مرض وعند ما خف ساكنها ركدها وأهوا
المتعفن بقساد مياهاها فكثرت العفن والمرض فهذا وجهه لا غير وقد رأينا عكس ذلك في بلاد وضعت ولم
يراع فيها طيب الهواء وكانت أولا قبله الساكن فكانت أمراضها كثيرة فلما كثرتا انتقل حالها
عن ذلك وهذا مثل دار الملك بقاس لهذا العهد المسمى بالبلد المجديد وكثير من ذلك في العالم فتعدهم تجب دما
قلته لك وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور منها المساهبان يكونان البلد على نهر أو بازائها فيكون
عذبة ثرة فان وجود الماء قريب من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورة فيكون لهم في
وجوده رفقة عظيمة عامة وعمائير اعمى من المرافق في المدن طيب المرافق لسائمتهم اذ صاحب كل قرار لا بد
له من دواجن الحيوانات للنتاج والضرع والركوب ولا بد لها من الممرى فاذا كان قريبا طيبا كان ذلك
أرفق بحالهم لما يعانون من المشقة في بعده وعمائير اعمى أيضا المزارع فان الزروع هي الاقوات فاذا كانت
مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك أسهل في اتخاذها وأقرب في تحصيله ومن ذلك الشجر للعطب والبناء
فان العطب مما تاع البلوى في اتخاذها لوقود النيران للاصطلاح والطبخ والخشب أيضا ضروري لاستعقهم
وكثير مما يستعمل فيه الخشب من ضرورياتهم وقد يراعى أيضا قاربهم من البحر لتسهيل الحاجات القاصية
من البلاد النائية الا ان ذلك ليس بمغاية الاول وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات وماتدعو اليه ضرورة
الساكن وقد يكون الواضع غافلا عن حسن الاختيار الطبيعي أو عمائير اعمى ما هو أهمل على نفسه وقومه
ولا يذكر حاجة غيرهم كما نعه له العرب لا اول الاسلام في المدن التي اختطوها بالعراق واخر بريقه فانهم لم

عند الاياس فابن الله والقدر نعم للخطوب اذا احداثها طرقت ■ واصبر فقد فاز أقوام بما صبروا فكل ضيق سيأتي بعده سعة *
وكل فوت وشيك بعده انقصر (وتحتمه مكتوب بخط آخر) لو كان كل من صبر أعقب الظفر صبره ولو كان نجد الصبر في العاجل بقى العمر

ويدنى من القبر ما كان أصله لذى العقل موته وهو طفل والسلام (قلت) لو رأيت لكنت تحتها في الصبر استعجال الراحة وانتظار الفرج وحسن الظن بالله وأجره بغير (٢٠٨) حساب وفي الجزع استعجال المم ومنهك البدن واستشعار الخيبة وسوء الظن بالله وحمل الآثم

يراعوا فيها إلا الأهم عندهم من مراعى الأبل وما يصلح لها من الشجر والماء الملح ولم يراعوا الماء ولا المزارع ولا الخطب ولا مراعى السائمة من ذوات الطائف ولا غير ذلك كالقبر وان والكوفة والبصرة وأمثالها ولهذا كانت أقرب إلى الخراب لم تراع فيها إلا موارد الطبيعة

(فصل) وعما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحار أن تكون في جبل أو تكون بين أمة من الأمم موفورة العدو تكون صريحا للمدينة متى طرقتها طارق من العدو والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بها احتياجران للقبائل أهل العصابات ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة للبيات وسهل طر وقها في الأساطيل البحرية على عدوها وتحية لها ما يأمن من وجود الصريح لها وان الحضرة المتعودين للدعة قد صاروا عيالاً وأخرجوا عن حكم المقاتلة وهذه كالأسكنة بدرية من المشرق وطرابلس من المغرب وبونوق وسلاو متى كانت القبائل والعصابات موطنين بقر بها بحيث يبلغهم الصريح والتعير وكانت متوعدة المسالك على من يرومها باخطاطها في مضاب الجبال وعلى استئجارها كان لها بذلك منعة من العدو ويتسوا من طر وقها ما يكاد يذوقه من وعرها وما يتوقعونه من اجابة صريحها كما في سبته و بجاية و بلد القل على صغرها فافهم ذلك واعتبره في اختصاص الاسكندرية باسم الثغر من لدن الدولة العباسية مع ان الدعوة من ورائها بركة وافر بركة وانما اعتبر في ذلك الخافقة المتوقعة فيها من البحر اسهولة وضعها ولذلك والله أعلم كان طروق العدو للاسكندرية وطرابلس في الملة مرات متعددة والله تعالى أعلم

(فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم)

(اعلم) ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعا اختصها بنشر يقه وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وينمو بها الاجور وأخبرنا بذلك على السنن رسله وأنبأته لطفا لعباده وتسهيلا لطرق السعادة لهم * وكانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الارض حسبا في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس أما البيت الحرام الذي بمكة فهو بيت ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه أمره الله ببنائه وان يؤذن في الناس بالحج اليه فبناه هو وابنه اسمعيل كانه القرآن وقام بما أمره الله فيه وسكن اسمعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم الى ان قبضهم الله ودفنا بالحجر منه وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام أمرهما الله ببنائه معجده ونصبهما كاهن ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحق عليه السلام حواله * والمدينة مهاجرة نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه أمره الله تعالى بالهجرة اليها واقامة دين الاسلام بها فبنى معجده المحرام بها وكان لمجده الشريفي تر بناتها هذه المساجد الثلاثة قرعة عين المسلمين ومهوى أفئدتهم وعظمت دينهم وفي الآثار من فضلها ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروفي فلهذا شرى شي من الخبز عن أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت أحوالها الى ان كمل ظهورها في العالم * (فاما مكة) فالوليتها فيما يقال ان آدم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت المعمور ثم هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه وانما اقتبسوه من محل الآية في قوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ثم بعث الله ابراهيم وكان من شأنه وشأن زوجه سارة وغيرتها من هاجر ما هو معروف واوحى الله اليه ان يترك ابنه اسمعيل وأمه هاجر بالقلاة فوضعها في مكان البيت وسارعهما وكيف جعل الله لهما من اللطف في نبع ماء زمزم وعروزالرفقة من جرهم بها حتى احتملوا ما وسكنوا اليها ما نزلوا معهم ما حوالى زمزم كما عرف في موضعه فالتخذ اسمعيل بموضع الكعبة بيتا يأوى اليه وادار عليه سببا جامعا من الردم وجعله زربا للزعمه وجاء ابراهيم صلوات الله عليه مرارا لزيارة من الشام أمر في آخرها ببناء الكعبة

مع العقوبة وما أحسن يذى العقل اجتناب هذا والسلام (وقال بعض البلغاء) من صبر نال المني ومن شكر حصن النعماء (وقال الشاعر) الصبر مفتاح كل خير

وكل شربه يهون اصبر وان طال الليالي فربما ساعد المحزون وربما نيل بالصطار ما قيل هيات لا يكون (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله ما أنعم الله على عبده نعمة فانتزعها منه وعوضه صبرا الا كان ما عوضه أفضل مما انتزع منه وقرأنا ما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (وروى) ان جارية كانت لعل بن أبي طالب رضي الله عنه تنصرف في حوائجه فكأما خرجت تصدى لها خياط كان بقر بدار على ويقول لها والله اني لا أحب لك الله فلما أكثر من ذلك شكتها الى على فقال لها على اذا قال لك مرة أخرى فقولى له والله اني لا أحب لك ما الذي تريد فعاد فقال لها ذلك فقالت له وأنا والله أحب لك فيه فقال لها تصبرين واصبر حتى يوفى الصابرون أجرهم بغير

حساب فرجعت الجارية وأخبرت مولاها فدعا على رضي الله عنه الخياط فوجد أمره على الحكمة فوهبها مكان

له مع نفقة يستعين بها (وقال) على رضي الله عنه الصبر كقيل بالتجاح والتوكل لا يجبطه والعاقل لا يذل بآول نكبة ولا يفرح بآول رفعة

وكان يقال الصبر سلامة والطيش ندامة (وأما القسم الرابع) وهو الصبر على ما نزل من مكره أو حل من أمر مخوف فالصبر فيه تنفخ وجوه الآراء وتتوق مكاييد الأعداء قال الله تعالى وقت كلمته بك الحسنى على بنى إسرائيل (٢٠٩) بنصبر وأوقال تعالى واصبر وما

صبرك إلا بالله وقال تعالى

واصبر على ما أصابك إن

ذلك من عزم الأمور

وروى ابن عباس أن

النبي عليه السلام قال إن

استطعت أن تعمل لله بالرضا

في البقيين فافعل وإن لم

تستطع فاصبر فإن في الصبر

على ما تركه خير كثير وأعلم

أن النصر مع الصبر وإن

الفرج مع الكرب والصبر مع

العسر (وقال علي رضي

الله عنه) الصبر مناضل

الجدنان والجزع من

أعداء الزمان * وقال

الحكيم بمفتاح عزيمته

الصبر تعالج مغاليق الأمور

(وأشدوا)

انما أخرج مما أتقى

فأدخل في إلى والجزع

ولما حبس أبو أيوب في

السجن خمس عشرة سنة

صاقت حبلته وقل صبره

وكتب إلى بعض أخوانه

يشكو طول حبسه وقلة

صبره فرد عليه جواب رفته

صبرا بأبواب صبر مبرح

فإذا عجزت عن الخطوب فن

لها

أن الذي عقد الذي انعقدت

عقد المكاره فيك يلك حالها

صبرا فإن الصبر يعقب راحة

فلعلها أن تجلي ولعلها

فلما وقف عليها أبو أيوب

كتب إليه صبرتي ووعظتي فأنالها * وستجلى بل لا أقول لعلها * ويحلها من كان صاحب عقدها *

فما لبث بعد ذلك إلا أياما حتى أطلق مكرما (ولتيم بن المعز) سأسكت صبرا واحتسبنا فانتني *

مكان ذلك الزب فبناه واستعان فيه بانه اسمعيل ودعا الناس إلى حبه وبقى اسمعيل ساكنه ولما قبضت أمه هاجر وقام بنوه من بعده بامر البيت مع أخوالهم من جرهم ثم العماليق من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون إليها من كل أفق من جميع أهل الحجاز لآمن بنى اسمعيل وآمن غيرهم عن دنا أو نأى فقد نقل أن التبابعة كانت تسبح البيت وتعظمه وأن تبعها كساها الملاء والوصائل وأمر بتطهيرها وجعل لها مقاما ونقل أيضا أن القرس كانت تحببه وتقرب إليه وأن غزا إلى الذهب اللذين وجدهما عبد المطلب حين احتقر زعم كانا من قرابينهم ولم يرزل لجرهم الولاية عليه من بعد ولدا اسمعيل من قبل ذواتهم حتى إذا خرجت خزاعة وأقاموا بها بعدهم ما شاء الله ثم كثروا لاسمعيل وانتشروا وتشعبوا إلى كنانة ثم كنانة إلى قرين وغيرهم وساءت ولاية خزاعة فغلبتهم قرين على أمره وأخرجوه من البيت ولم يتركوا عليهم يومئذ حتى بنى كلاب فبنى البيت وسقعه بخشب الدوم وجر يد النخل وقال الاعشى

خلقت بثوبي راهب الدور والتي * بناها أقصى والمضاض بن جرهم
ثم أصاب البيت سيل ويقال حريق وتهدم وأعادوا بناءه ووجهوا النفقة لذلك من أموالهم وأنكسرت سقينة بساحل جدة فاشترى أخشابا للسقف وكانت جدرانها فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا وكان الباب لاصفا بالأرض فجعلوه فوق القامة لئلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن إتمامه فقصر وأعن قواعده وتركوا منه ستة أذرع وشبرا أذرا وهاجج دارة قصير يطاف من ورائه وهو الحجر وبقى البيت على هذا البناء إلى أن تحصن ابن الزبير بمكة حين دعاه نفسه وزحف إليه جيوش يزيد بن معاوية مع المحصين ابن غير السكوني ورمى البيت سنة أربع وستين فاصابه حريق يقال من النفط الذي رموه على ابن الزبير فأعاد بناءه أحسن ما كان بعد أن اختلقت عليه الحجابة في بناءه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لو لا قومك حديثي نوعه ذكركم لردت البيت على قواعده إبراهيم ولجعلت له بابين شرقيا وغربيا فهدمه وكشف عن أساس إبراهيم عليه السلام وجرح الوجه والأكبر حتى عاينوه وأشار عليه ابن عباس بالتحري في حفظ القبلة على الناس فأدار على الأساس الخشب ونصب من فوقها الاستار وحفظ القبلة وبعث إلى صنعاء في الفضة والكس فجعلوها وسأل عن مقطع الحجارة الأول فجمع منها ما احتاج إليه ثم شرع في البناء على أساس إبراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعة أعشار من ذراعا وجعل لها بابين لاصقين بالأرض كما روى في حديثه وجعل فرشه هاوازه بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفاش الأبواب من الذهب * ثم جاء الحجاج لمصاره أيام عبد الملك ورمى على المسجدين بالمنجنيقات إلى أن تصدعت حيطانها ثم لما ظفر باب الزبير شاو وعبد الملك فيما بناه وزاده في البيت فأمره بهدمه ورد البيت على قواعده قرين كما هي اليوم ويقال أنه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير في حديث عائشة وقال وددت أني كنت حملت أبا حبيب في امر البيت وبنائه ما تحمل فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبرا مكان الحجر وبنائها على أساس قرين وسد الباب الغربي وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقي وترك ساثرها لم يغير منه شيئا فكل البناء الذي فيه اليوم بناء ابن الزبير وبنائه الحجاج في الحائط صلة ظاهرة للعيان محجة ظاهرة بين البناءين والبناء متميز عن البناء بمقدار أصبح شبه الصدع وقد تم * ويعرض ههنا أشكال قوى لمناقاة لما يقوله الفقهاء في أمر الطواف ويحذروا الطائف أن يميل على الشاذروان الدائر على أساس المجدرون أسفلها فيقع طوافه داخل البيت بناء على أن المجدروا تقامت على بعض الأساس وترك بعضه وهو مكان الشاذروان وكذا قالوا في تقبيل الحجر الأسود لا بد من رجوع الطائف من التقبيل حتى يستوى قائما لئلا

(٢٧ - ابن خلدون) كتب إليه صبرتي ووعظتي فأنالها * وستجلى بل لا أقول لعلها * ويحلها من كان صاحب عقدها * كرمه إذ كان يملك حلها * فسا لبث بعد ذلك إلا أياما حتى أطلق مكرما (ولتيم بن المعز) سأسكت صبرا واحتسبنا فانتني *

أرى الصبر سيفا للنفس فيه فلول
يسخو ويغنى في نفسه لمجهول

(٢١٠)

عذابي ان اشكو الى الناس اتني * عليل ومن اشكو اليه عليل وان الذي يشكو الى غير نافع *
(واشدوا) دعه الدهر يجري باقداره * ويقضى عجائب أوطاره

ونعم نومة عن ولادة الامور

وخل الزمان بتدواره

فانك ترحم من قد غبطت

وتعجب من قبح آثاره

(واشدني بعضهم)

وعنني بالشكوى الى

الناس اتني

عليل ومن اشكو اليه عليل

وعنني الشكوى الى

الله انه

عليه ما ألقاه قبل أقول

* (ولا شئ)

اذا ابتليت فتسقى بالله

وارض به

ان الذي يكشف البلوى

هو الله

البأس يقطع أحيانا صاحبه

لا تأس فان الصانع الله

اذا قضى الله فاستسلم لقدرة

مالا امرى حيلة فيما قضى الله

وصرف من هذه اللفظة

صابر وصبور وصبار

ومتصبر فالمتصبر من صبر

في الله على المكروه فتارة

يجز وتارة يصبر والصابر

من لا يشكو ولا يجز

والصبار الذي لو دفع عليه

جميع البلايا والحن لم يتغير

وجهه في الحقيقة وان

تغير من وجهه الرسم

والبشرية والخلق كما

قال القائل

صابر الصبر فاستعانت به الصبر

رفصاح الصبور يا صبر صبرا

وهذا أقوى بيت قيل في الصبر واحسنه وقريب منه قول القائل صبرت على الايام صبرا أصارني *

اسرائيل

الى ان ينادي الحال لا صبر للصبر والصبور هو الثابت على هذه المقامات وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلي باخلاقي

وان من اخلاقى انا الصبور ■ يقال الصبر لله غنى والصبر بالله تقي والصبر في الله بلاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وانشدوا
اذ لعب الرجال بكل شيء ■ رايت الحب يلعب بالرجال وكيف الصبر عن حل منى ■ (٢١١)

وقال المحاسبي بين الصبر
والصبر حالة هي التمتع
وذلك اذ ارفع الله له علما
من اعلام الاخرة يده
على منازل الصابرين
عنده فيتمتع القلب بسرور
النعيم وقال ابو حنيفة
الجريري الصبر هو ان
لا تفرق بين حال النعمة
والهنة مع سكون الخاطر
فيهما والصبر هو السكون
مع البلاء مع وجدان انقال
الحجة وانشدوا

صبرت ولم اطلع هواك على

صبري

واخفيت ما بي منك عن

موضع السر

مخافة ان يشكوا ضميري

صباي

الى دمعي سر افترج ولا

ادري

وقيل للمحاسبي بما اذا

يقوى الصابر على صبره

فقال اذا علمت ان في صبرك

رضا مولاك اما سمعت

قول الحكميم

رضيت وقد ارضى اذا

كان مسخطي

من الامر ما فيه رضا صاحب

الامر

وفي معناه

صا صبر كي ترضى وان تلقى

اسرائيل واباه اسحق من قبله واقاموا بارض التيه امره الله بالتخاذق من خشب السنط عين بالوحى مقدارها
وصفتها وهما كلها وتماما ثيلها وأن يكون فيها التابوت ومائدة بها خافها ومنازة بقناديلها وأن يصنع مذبحا
للقربان وصف ذلك كله في التوراة اكمل وصف فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد وهو التابوت الذى
فيه الألواح المصنوعة عوضا عن الألواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت ووضع المذبح عندها وعهد
الله الى موسى بان يكون هرون صاحب القربان ونصبوا تلك القبة بين خيامهم في التيه يصعدون اليها
ويتقربون في المذبح امامها ويتعرضون للوحى عندها ولما ملأوا الشام وبقيت تلك القبة قبلتهم
ووضعوها على الصخرة بنيت المقدس وأراد داود عليه السلام بناء مسجده على الصخرة مكانها فلم يتم له
ذلك وعهد به الى ابنه سليمان فبناه لاربعمائة سنة من ملكه ولخمسة مائة سنة من وفاة موسى عليه السلام
واتخذ عهده من الصخر وجعل به صرح الزجاج وغشى أبوابه وحيثما نه بالذهب وصاغها كلها وتماما ثيلها
واوعيته ومنازته ومقناحه من الذهب وجعل في ظهره قبرا لضع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذى فيه
الألواح وجاء به من صهيون بلد أبيه داود تحمله الأسباز والكهونية حتى وضعه في القبر ووضعت القبة
والاوعية والمذبح كل واحد حيث أعده من المسجد وأقام كذلك ما شاء الله ثم خربه بخت نصر بعد ثمانمائة
سنة من بنائه وأحرق التوراة والعصا وصاغ الهياكل ونثر الأجار ثم لما أعادهم ملوك الفرس بناه
عزير بنى بنى اسرائيل بعدهم باعانة يهود من ملك الفرس الذى كانت الولادة لبني اسرائيل عليه من سبي
بخت نصر وحدثهم في بنائه حدود داود بن بناء سليمان بن داود عليه السلام فلم يتجاوزوها ثم تداو لهم ملوك
يونان والفرس والروم واستفعل الملك لبني اسرائيل في هذه المدة ثم لبني خيمعان من كهنتهم ثم لصهرهم
هيردوس وابنيهم من بعدهم بنى هيردوس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام وتأنق فيه حتى
أكمله في ست سنين فلما جاء طيطس من ملوك الروم وغلبهم وملأ أمرهم خرب بيت المقدس ومسجدها
وأمر أن يزرع مكانه ثم أخذ الروم يدين المسيح عليه السلام ودانو ابنته عظمى ثم اختلف حال ملوك الروم في
الاخذ بدين النصارى تارة وتركه أخرى الى أن جاء قسطنطين وتنصرت أمه هيلانة وارحلت الى المقدس
في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعهم فأخبرها القساسة بانها رعى خشبته على الارض وألقى عليها
القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة وبذت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كانها على قبره
بزعهم وخربت ما وجدت من عمارة البيت وأمرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها وبنى
مكانها اجاز بزعهم المسافة لونه بقبر المسيح ثم بنوا بارزة القمامة بنيت لهم وهو البيت الذى ولد فيه عيسى عليه
السلام وبقي الامر كذلك الى ان جاء الاسلام وحضر عمر الفتح بنيت المقدس وسأل عن الصخرة فأرى
مكانها وقد علا الزبل والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجدا على طريق البداة وعظم من شأنه
ما أذن الله من تعظيمه وما سبق من أم الكتاب في فضله حسبما ثبت ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد
مسجده على سنين مساجد الاسلام بما شاء الله من الاحتفال كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم بالمدينة وفي مسجد دمشق وكانت العرب تسميه بلاط الوليد والزم ملوك الروم أن يبعث
القلعة والمال لعمارة هذه المساجد وأن ينمقوها بالفسيفساء فأطاع لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه ثم لما
ضعف أمر الخلافة أعوام الخمسمائة من الهجرة في آخرها وكانت في ملكة العبيد بين خلفاء القاهرة من
الشيعية واختلف أمرهم زحف الفرنجة الى بيت المقدس فلكروهم وملكوا معه عامة نفور الشام وبنوا على
الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يعظمونها ويقتفرون بينائها حتى اذا سال نقل صلاح الدين بن أيوب

حسبى ان ترضى ■ يتلقى صبرى قال شيخنا وشكلك لمن تحبه اعظم من شكلك لنفسك هذا أيوب لما أصيب بنفسه قال مسنى الضمر
ويعقوب لما أصيب بحبيبه قال وأسفا على يوسف قال أحمد قال لى أبو سليمان الداراني اندري بما اذا أوال العقلاء الثلاثة عن أساء اليهم

قلت لا قال لعلمهم بان الله تعالى ابتلاهم بذلك فصبروا ويرى ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه اذا أنزلت به دى بلائى فدعاني فطاعته بالاجابة فكتب كفى فقلت (٢١٢) عبدى أرجك من شئ به أرجك وقبل في قوله تعالى فاصبر صبرا جليلا انه الصبر الذى

لا شكوى فيه ولا بث
قال أنس ما صبر من بث
وقال عمر بن الخطاب رضى
الله عنه لا تستغزروا
الدموع بالتذكر قال
الشاعر
ولا يبعث الاخران مثل
التذكر
وعما يعين على عظم الاسبى
وشدة الجزع تذكر المسار
المنقضية وتصور المضار
الذاهبة وكثرة الشكوى
والاسف وقال الشاعر
لا تكثر الشكوى الى

الصادق
وارجع الى الخالق لا الخلق
لا يخرج الغريق بالغريق
وفي منشور الحكم المصيبة
بالصبر أعظم المصيبتين
واعلم انه قل من صبر على
شدة الاونال ما يرجوه
من فرج و ينجي لمن نزلت
به مصيبة أو كان في شدة
أن يسألها على نفسه ولا
يعفل عن تذكر ما يتقنه
من وجوب القناء وتقضى
المسار فان الدنيا دار من
لاداره ومال من لا مال له
ولها يجتمع من لا عقل له
وعلمها يعادى من لا علم له
وعلمها يحسد من لا فقه له
ولها يسعى من لا ثقة له
من صعب فيها سقم ومن سقم
فيها برم ومن افقر فيها خزن

الكردى ملك مصر والشام ومحا أثر العبدىين وبدعهم زحف الى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة
حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا ملكوه من ثغور الشام وذلك نحو ثمانين وخمس مائة من الهجرة
وهدم تلك الكنيسة وأظهر الصخرة وبني المسجد على النوى الذى هو عليه اليوم لهذا العهد ولا يعرض لك
الاشكال المعروف في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أول بيت وضع فقال مكة قيل
ثم أى قال بيت المقدس قيل فكلم بينهم ما قال اربعون سنة فان المدة بين بناء مكة وبين بناء بيت المقدس
بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان لان سليمان بنى به وهو ينفى على الالف بكثير واعلم ان المراد بالوضع في
الحديث ليس البناء وانما المراد اول بيت عين للعبادة ولا يبعد ان يكون بيت المقدس عين للعبادة قبل
بناء سليمان بمثل هذه المدة وقد نقل أن الصائبة بنوا على الصخرة هيكل الزهرة فاعل ذلك انها كانت مكانا
للعبادة كما كانت الجاهلية تضع الاصنام والتماثيل حوالى الكعبة وفي جوفها والصابئة الذين بنوا هيكل
الزهرة كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام فلا تبع مدة الاربعين سنة بين وضع مكة للعبادة ووضع بيت
المقدس وان لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وان اول من بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام ففقهه
ففيه حل هذا الاشكال (وأما المدينة) وهى المسماة ببيترب فهى من بناء يثرب بن مهلاثل من العمالة
وملكها بنو اسرائيل من أيديهم في عام كوه من أرض الحجاز ثم جاورهم بنو قيلة من غسان وغلبوهم
عليها وعلى حصونها ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة اليها لما سبق من عناية الله بها فهاجر اليها و معه
ابو بكر وتبعه أصحابه ونزل بها وبني مسجده و بيوتة في الموضع الذى كان الله قد أعد له لذلك وشرفه في سابق
أزله وآواه أبناء قيلة ونصره فذلك سمي بالانصار وسمت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت على الكلمات
وغلب على قومه وفتح مكة وملكها ووطن الانصار أنه يتحول عنهم الى بلده فاهمهم ذلك فخاطبهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخبرهم انه غير متحول حتى اذا قبض صلى الله عليه وسلم كان لمحمد الشريف بها وجاء
في فضلها من الاحاديث الصحيحة ما لا يخافه ووقع الخلاف بين العلماء في تفضيلها على مكة وبه قال مالك
رحمه الله لما ثبت عنده في ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
المدينة خير من مكة نقل ذلك عبد الوهاب في المعونة الى احاديث أخرى تدل بظاهرها على ذلك وخالف أبو
حنيفة والشافعي * وأصبحت على كل حال ثمانية المسجدين الحرام وجنح اليها الامم بافدتهم من كل أوب
فانظر كيف تدرجت القضية في هذه المساجد المعظمة لما سبق من عناية الله لها وتقديره سر الله في الكون
وتدريجها على ترتيب محكم في أمور الدين والدنيا * وأما غيرها هذه المساجد الثلاثة فلا تعلم في الارض
الا بما يقال من شأن مسجد آدم عليه السلام بسريديب من جزائر الهند لكنه لم يثبت فيه شئ يعول عليه وقد
كانت للامم في القديم مساجد يعظمونها على جهة الديانة نزعهم منها بيوت النار للفرس وهياكل يونان
وبيوت العرب بالحجاز اتى أمر النبي صلى الله عليه وسلم لم يهدمها في غزواته وقد ذكر المسعودى منها بيوتنا
لسنمان ذكرها في شئ اذهى غير مشروعة ولا هى على طريف ديني ولا يلتفت اليها ولا الى الخبر عنها ويكفى
في ذلك ما وقع في النواريج فمن أراد معرفة الاخبار فعليه بها والله يهدي من يشاء سبجانه

٧ (فصل في أن المدن والامصار باقرية والمغرب قليلة) *

والسبب في ذلك ان هذه الاقطار كانت للبربر منذ آلاف من السنين قبل الاسلام وكان عمرانها كله بدويا
ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها والدول التي ملأتهم من الافرنجة والعرب لم يطل أمد ملكهم
فيهم حتى ترسخ الحضارة منها فلم تزل عوائد البدو وشؤونها فكانوا اليها أقرب فلم تكثر مبانيهم - وما أيضا

ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب لا خيرها يدوم ولا شرها يبقى ولا فيها الخلق
بقاها فاذ انصو ر حقيقتها في تذير الحوادث سهلة والمصائب هينة وقال الشاعر يميل ذواللب في نفسه * مصائب من قبل ان تنزلا

فان نزلت بغنة لمرعه ■ لما كان في نفسه مثلاً رأى الامر يقضى الى آخر * فصبر آخره اولا وقال بعض الحكماء من حاذر لم يخذع
ومن راقب لم يباع ومن كان متوقعا لم يلف متوجعا ومن لم يشعر نفسه بما ذكرنا (٢١٣) من احوال الدنيا وتقصي المسار ثم التواء

في اللجود بين اطباق التربة
والجنادل قد فارقه الاحباء
وهجرة القرباء والبعدهاء
الفتنة المحوادث وابقا فاسلمته
الصبر وضاعت عليه
الاشى وقال ابن الرومي
ان البلاء يطاق غير
مضاعف
فاذا تضاعف فهو غير مطاق
وانشدوا
تعودت مس الضر حتى
الفتنة

واسلمني حسن العزاء الى
الصبر
ووسع صدري للاذى كثيرا
الاذى
وان كنت احيانا يضيقي
به صدري
وحسن لي ياسي من الناس
كلهم
لعمري يصنع الله من حيث
لا أدري
وبعض الاعراب
تعرفان الصبر بالحر ارجل
وليس على ريب الزمان
معول
فلو كان يغني ان يرى المرء
جازعا
لناثية أو كان يغني التمدل
لكان التمزى عند كل
مصيبة
ونازلة بالحر أولى واجل
فكيف وكل ليس يعدو
جأمة

فالصنائع بعدة عن البربر لانهم أعرق في البدو والصنائع من توارى الحاضرة وانما تتم المبانى بها فلا بد
من الحذق في تعلمها فلما لم يكن للبربر انجال لم يكن لهم تشوف الى المبانى فضلا عن المدين والمدن وايضا فهم
أهل عصبية وانساب لا يخلو عن ذلك جرح منهم والانساب والعصبية اجنح الى البدو وانما يدعوا الى
المدن الدعة والسكون و يصيرسا كنهاعيا لا على حاميتها فجد اهل البدو لذلك يستنكفون عن سكنى
المدينة او الاقامة بها ولا يدعوا الى ذلك الا الترف والغنى وقيل ما هو في الناس فلذلك كان عمران افر بنية
والمغرب كله أو أكثره بدو يا اهل خيام وظوا عن وقياطن وكنن في الجبال وكان عمران بلاد العجم كله
أو أكثره قري وامصارا ورسا تيق من بلاد الاندلس والشام ومصر وعراق العجم ومماثلها لان العجم في
الغالب ليسوا باهل انساب يحافظون عليها ويتناغون في صراحتهم والقيامها الا في الاقل واكثر ما يكون
سكنى البدو لاهل الانساب لان حجة النسب اقرب واشد فكون عصبية كذلك وتزع بصاحبها الى
سكنى البدو والتجافى عن المصر الذي يذهب بالبساطة ويصير عبالا على غيره فافهمه وهو قس عليه والله
سبحانه ونعالي اعلم وبه التوفيق

٨ (فصل في أن المبانى والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلا من الدول) *
والسبب في ذلك ما ذكرنا من انه في البربر بعينه اذ العرب ايضا أعرق في البدو وابتعد عن الصنائع وايضا
فكانوا اجانب من الممالك التي استولوا عليها قبل الاسلام ولما تلبسوا بهم لم ينفسح الامد حتى تستوفى
رسوم الحضارة مع انهم استغنوا بما وجدوا من مبانى غيرهم وايضا فكان الدين اول الامر ما ناعا من المغالاة
في البنيان والاسراف فيه في غير القصد كما عهد لهم عمر حين استأذنه في بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع
الخرين في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل فقال افعلوا ولا يزيدن احد على ثلاثة ابيات ولا تطاولوا
في البنيان والزمو السنة تلمزمكم الدولة وعهد الى الوفود وتقدم الى الناس ان لا يرفعوا بنينا فوق القدر قالوا
وما القدر قال ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد فلما بعد العهد بالدين والتخرج في امثال هذه
المقاصد وغلبت طبيعة المالب والترف واستخدم العرب أمة الفرس واخذوا عنهم الصنائع والمبانى ودعاهم
الى احوال الدعة والترف فيئذ شيدوا المبانى والمصانع وكان عهد ذلك قريبا تراض الدولة ولم ينفسح
الامد لكثرة البناء واختطاط المدن والامصار الا قليلا وليس كذلك غيرهم من الامم فالفرس طالت مدتهم
آلاف من السنين وكذلك القبط والنبط والروم وكذلك العرب الاولى من عادوهم ودوا العمالة والتبابعة
طالت آمادهم ورسخت الصنائع فيهم فكانت مبانيتهم وهياكلهم أكثر عددًا وابتقى على الايام أثرها
واستبصر في هذا تجد كما قلت لك والله وارث الارض ومن عليها

٩ (فصل في أن المبانى التي كانت تحتطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل) *
والسبب في ذلك شأن البدو والبعده عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المبانى وثيقة في تشييدها وله والله
اعلم وجه آخر وهو أسه وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه في المسكان وطيب
الهوا والمياه والمزارع والمراعى فانه بالتفاوت في هذه تتفاوت جودة المصر وردائه من حيث العمران
الطبيعي والعرب يعزل عن هذا وانما يراعون مراعى ابلهم خاصة لا يبالون بالماء طاب أو خبت ولا قل
أو كثر ولا يسألون عن زكاه المزارع واتنابت والاهوية لا تنقلهم في الارض ونقلهم المحبوب من البلد
البعده واما الرايح فالقفر مختلف للهاب كلها والظعن كليل لهم بطيهم لان الرياح انما تنحبث مع القرار
والسكنى وكثرة الفضلات وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها الا

وما لامرئ عما قضى الله مرهل فان تكن الايام فينا تبدلت بيثوس ونعمى والحوادث تفعل فبالنيت مناقاة صليبة
ولا ذلت الذي ليس يحمل ولكن وجدناها نفوسا كريمة * تحمل ما لا تستطيع فتحمل وقينا بفضل الله مناقنا نفوسنا *

فهمت لنا الاعراض والناس هزل * (الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر) * قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام
يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك (٢١٤) فيكيدوا لك كيدا فلما افشى يوسف رؤياه بشهادة امرأة يعقوب اخبرته اخوته فلما به

مراعي ابلهم وما يقرب من القفر ومساكن الظعن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للندن لم تكن لها
مادة تمد عمر انهم بعد هم كما قدمنا انه يحتاج اليه في حفظ العمران فقد كانت موطنها غير طبيعية للقرار
ولم تكن في وسط الامم فعمرها الناس فلاول وهلة من انحلال امرهم وذهاب عصبيتهم التي كانت سببا
لها في عايها الخراب والانحلال كان لم تكن والله يحكم لامعقب لحكمه

١٠ * (فصل في مبادئ الخراب في الامصار) *

اعلم ان الامصار اذا اختطت اولاً تكون قليلة المساكن وقليلة آلات البناء من الحجر والجير وغيرهما
يعالي على المحيطان عند التأتى كالزليج والرخام والر بيج والزجاج والفسيفساء والصدف فيكون بناؤها
يومئذ يدو يا ولا تهافتا مدة فاذا عظم عمران المدينة وكثرت كثر آلات بكثرة الاعمال حثيثا
وكثرة الصنائع الى أن تبلغ غايتها من ذلك كما سبق شأنها فاذا تراجع عمرانها وخف سا كثر الصنائع
لاجل ذلك ففقدت الاجادة في البناء والاحكام والمهارة عليه بالتميق ثم تقل الاعمال لعدم المساكن
فيقل جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرهما فتنقص دوي يصير بناؤها وتشمدهم من الآلات التي في
مبانيهم فينقلونها من مصنع الى مصنع لاجل خلاا كثر المصانع والقصور والمنازل بقله العمران وقصوره
عما كان اولاً ثم لا تزال تنقل من قصر الى قصر ومن دار الى دار الى أن يفقد الكثير منها جلة فيعودون
الى البداوة في البناء واتخاذ الطوب عوضا عن الحجارة والقصور عن التتميق بالكلية فيعود بناء المدينة
مثل بناء القرى والمدامرو يظهر عليها سيماء البداوة ثم تفرق التناقص الى غايتها من الخراب ان قدر لها به
سنة الله في خلقه

١١ * (فصل في أن تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفه لاهلها ونفاق الاسواق انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلّة) *

والسبب في ذلك انه قد عرف وثبت أن الواحد من البشر غير مستقل بتحصل حاجاته في معاشه وانهم
متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلك والحاجة التي تحصل بتعاون طائفة منهم تشتد ضرورتها الاكثر من
عدد هم أضعافا لقوت من الخنطة مثلا لا يستقل الواحد بتحصل حصته منه واذا انتدب لتحصله السعة
او العشرة من حداد ونجار للآلات وقائم على البقرة ونازة الأرض وحصاد السنبيل وسائر مؤن الفلح
وتوزعوا على تلك الاعمال واجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فانه حينئذ قوت لضعافهم
مرات فالاعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضرورتهم فأهل مدينة او مصر اذا وزعت
اعمالهم كلها على مقدار ضرورتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالقل من تلك الاعمال وبقية الاعمال كلها
زائدة على الضرورات فتصرف في حالات الترف وعوائده وما يحتاج اليه غيرهم من أهـل الامصار
ويستجلبونه منهم باعواضه وقيمة فيكون لهم بذلك حظ من الغنى وقد تبين لك في الفصل الخامس في باب
الكسب والرزق أن المكاسب انما هي قيم الاعمال فاذا كثر الاعمال كثر قيمها بينهم فكثرت
مكاسبهم وضرورة ودعتهم الى احوال الرفه والغنى الى الترف وحاجاته من التأتى في المساكن والملابس
واستجادة الآنية والمساعدون واتخاذ الخدم والمراكب وهذه كلها أعمال تستدعي بغيرها ويختار المهرة
في صناعاتها والقيام عليها فتتق أسواق الاعمال والصنائع ويكثر دخل المصر وخرجه ويحصل اليسار
لمتخلى ذلك من قبل اعمالهم ومتى زاد العمران زادت الاعمال ثانية ثم زاد الترف تابعاً للكسب وزادت
عوائده وحاجاته واستنبتت الصنائع لتحصيها فزادت قيمها وتضاعف الكسب في المدينة لذلك ثانياً

ما حل وفي الحديث
استعينوا على قضاء المحوائج
بالكتمان فان كل ذي
نعمة محسود واهـ لم ان
كتمان السر من الخصال
المجودة في جميع الخلق
ومن الاوازم في حق وق
الملوك ومن الفرائض
الواجبة على الوزراء وجلساء
الملوك والاتباع قال على
رضي الله عنه سر ك أسيرك
فاذا تكلمت به صرت أسيره
واعلم أن أمناء الاسرار اشد
تعذرا واول وجودا من أمناء
الاموال وحفظ الاموال
أسير من كتم الاسرار فان
أحرار الاموال ممنوعة
بالابواب والاقفال وأحرار
الاسرار بارز في ذبيحها لسان
ناطق ويشبهها كلام سابق
وعبء الاسرار أثقل من
عبء الاموال وان الرجل
يستقل بالجل الثقل يحمله
وعيشي به ويقله ولا يستطيع
كتم السر وان الرجل
يكون سره في قلبه فيلحقه
من القلق والكرب مالا
يلحقه بحمل الاثقال فاذا
أذاعه استراح قلبه وسكن
حاشه وكفما ألقى عن
نفسه جبلا وقال عمر بن
عبد العزيز القلوب أوعية
والشفاه أقدالها والالسن
مقاييسها فليحفظ كل امرئ

مفتاح سره ومن أعجب الامور ان اغلاق الدنيا كلها كثر خزائنها كان أثق لها الا السر
فانه كلما كثر خزائنه كان أضيع له وكل من اظهر سر اراق دم صاحبه ومنع من بلوغ ما ربه ولو كتمه أمن من سطواته قال انوشروان من

حصن سره فله بخصه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقال بعض الحكماء سر من دمك فلا تجره في غير أوداجك
فاذا تكلمت به فقد أرقته وكان لعثمان بن عفان رضي الله عنه كاتب يقال له جمران (٢١٥) فاشتكى عثمان فقال اكتب العهد

وعدي لعبد الرحمن بن عوف
فقال جمران لعبد الرحمن
البشري فقال لعبد الرحمن
للك بشري بماذا فخبه
الخبر فأنطق لعبد الرحمن
فاخبر عثمان فقال عثمان
أعاهد الله أن لا يساكنني
جران أبدا ونفاه إلى البصرة
فلم يزل بها حتى قتل عثمان
رضي الله عنه وهو أعلم أن
كتمان الاسرار يدل على
جواهر الرجال وكما أنه لا خير
في آنية لا تملك ما فيها فلا
خير في إنسان لا يملك سره
ويروي أن رجلا أودع
سره عند رجل فقال له
افهمت قال بل جهلت
قال احفظت قال بل نسيت
وقيل لبعضهم كيف كتمت
للمستخبر قال أجد الخبير وأحلف
للمستخبر وقال الشاعر
ولو قد درت على كتمان
ما اشتكت
من الضلوع على الاسرار
والخبر
لكن أول من ينسى
سرايره
أذ كنت من نشرها يوما
على خطر
قال شيخنا ومن أحسن شيء
سمعت في كتمان السر
ما نذنيه بعض فقهاء
البصرة بالبصرة فقال
ولها سر أثري الضمير طويتها

ونفقت سوق الاعمال بها أكثر من الأول وكذا في الزيادة الثانية والثالثة لان الاعمال الزائدة كلها
تختص بالترف والغنى بخلاف الاعمال الاصلية التي تختص بالمعاش فالمرء اذا فضل بعمران واحد فضله
بزيادة كسب ورفه وبعواثد من الترف لا توجد في الاخرة فما كان عمرانه من الامصار أكثر وأوفر كان
حال اهله في الترف أبلغ من حال المصرا الذي دونه على وتيرة واحدة في الاصناف القاضية مع القاضي والتاجر
مع التاجر والصانع مع الصانع والسوقي مع السوقي والامير مع الامير والشرطي مع الشرطي واعتبر ذلك في
المغرب مثلا بحال فاس مع غيرهما من امصار الاخرى مثل بجاية وتلمسان وسبتة تجذب بينهما بونا كثير اعلی
المجتمعة ثم على الخصوصيات فحال القاضي بفاس اوسع من حال القاضي بتلمسان وهكذا كل صنف مع
صنف اهله وكذا ابضا حال تلمسان مع وهران او الجزائر وحال وهران مع الجزائر مع مادونهما الى أن تنتهي
الى المداشر الذين اعتمد عليهم في ضروريات معاشهم فقط يقصرون عنها وما ذلك الاتفاوت الاعمال فيها
فكانها كلها اسواق للاعمال والمخرج في كل سوق على نسبه فالقاضي بفاس دخله كفاء مخرجه وكذا القاضي
بتلمسان وحيث الدخل والمخرج أكثر تكون الاحوال اعظم وهم بفاس أكثر لتفاق سوق الاعمال بما
يدعو اليه الترف فالاحوال أضخم ثم كذا حال وهران وقسنطينة والجزائر وسكرة حتى تنتهي كما قلناه الى
الامصار التي لا توفى اعمالها بضرورتها ولا تعد في الامصار اذهى من قبيل القرى والمداشر فلذلك تجدد
اهل هذه الامصار الصغيرة ضعفاء الاحوال متقاربين في الفقر والخصاصة لما أن اعمالهم لا تنفي بضرورتهم
ولا يفضل ما يتأثرونه كسبا فلا تنمو وكما سبهم وهم لذلك مساكين محاييج الا في الاقل النادر واعتبر ذلك
حتى في احوال الفقراء والسؤال فان السائل بفاس أحسن حالا من السائل بتلمسان أو وهران ولقد شاهدت
بفاس السؤال يسألون أيام الاضاحي عثمان ضخما ياهم ورأيتهم يسألون كثير من احوال الترف واقترح
المسألة كل مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والمساكن كالغربال والانية ولوسأل سائل
مثل هذا بتلمسان أو وهران لاستنكر وعنف وزجر يبلغنا لهذا العهد عن احوال القاهرة ومصر من الترف
والغنى في عواثد مع ما يقضي منه العجب حتى ان كثير من الفقراء بالمغرب ينزعون من النقلة الى مصر
لذلك ولما يبلغهم من ان شأن الرفه بمصر اعظم من غير ما هو يعتد العامة من الناس ان ذلك لزيادة ايشار
في أهل تلك الاقاليم على غيرهم أو أموال مخزنة لديهم وأنهم أكثر صدقة وإيثارا من جميع أهل الامصار
وليس كذلك وإنما هو ما تعرفه من أن عمران مصر والقاهرة أكثر من عمران هذه الامصار التي لديك
فعظمت لذلك احوالهم * وأما حال الدخل والمخرج فتكافئ في جميع الامصار ومتى عظم الدخل عظم
المخرج وبالعكس ومتى عظم الدخل والمخرج اتسعت احوال الساكنين ووسع المصير كل شيء يبلغك من
مثل هذا فلا تنكره واعتبره بكثرة العمران وما يكون عنه من كثرة المكاسب التي يسهل بسببها البذل
والايشار على مبتغيه ومثله بشأن الحيوانات العجم مع بيوت المدينة الواحدة وكيف يختلف احوالها في
هجرانها وغشيانها فان بيوت اهل النعم والثروة والمواثد الخصبة منها أكثر بساحتها وأقنيتها بنثر الحبوب
وسواقط الفئات فيزدحم عليها غواشي النمل والخشاش ويحلق فوقها عصائب الطيور حتى تروح بطانا
وتقتل شجعانها وياوي بيوت اهل الخصاصة والفقراء الكاسدة ارضا قاهم لا يسرى بساحتها ديب ولا يحلق
بجوها طائر ولا تأوى الى زوايا بيوتهم فادة ولا هرة كما قال الشاعر

تسقط الطير حيث تلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

فتأمل سر الله تعالى في ذلك واعتبر غاشية الاناس بغاشية العجم من الحيوانات وفئات المواثد بفضللات

نسي الضمير بانها في طيه وفي معناه
وخفت عليه من هوى النفس شهرة * فاودعته في حيث لا تبلغ النفس قال العتيبي أسرمعاوية رضي الله عنه الى عثمان بن عفنة

ومستودعي سرا كتمت مكانه * عن الحسن خوقان يتم به الحسن

حديثا قلت لاني ان أمير المؤمنين أسرا الى حديثا فأحدثك به قال لا من كتب حديثا كان الخياري له ومن أظهره كان الخياري عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا قلت (٢١٦) يا ابت أريد دخل هذا بين الرجل وأبيه قال لا يا بني ولكن أكره ان تذلل أسنانك بأفشاء

الرزق والترف وسهولتها على من يملكها لاستغنائهم عنها في الاكثر لوجود أمثاله لديهم واعلم ان اتساع الاحوال وكثرة النعم في العمر ان تأسع لكثرة والله سبحانه وتعالى اعلم وهو غني عن العالمين

٢ * (فصل في اسعار المدن) *

اعلم ان الاسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فيها الضر وري وهي الاقوات من الخنطة وما في معناها كالباقل والبصل والثوم وأشباهه ومنها الحماجي والكمالي مثل الادم والقواكه والملابس والمساكن والمراكب وسائر المصانع والمباني فاذا اسـ تبخر المصرو كثيرا كنه رخصت اسـ عار الضر وري من القوت وما في معناها وغلت اسعار الكمالي من الادم والقواكه وما يتبعها واذا قل ساكن المصرو وضعف عمرانه كان الامر بالعكس والسبب في ذلك ان المحبوب من ضرورات القوت فتتوفر الدواهي على اتخاذها اذ كل احد لا يميل قوت نفسه ولا قوت منزله لشهره أو سنة فيبيع اتخاذها لاهل المصرو أجمع اولا اكثر منهم في ذلك المصرو وفيما قرب منه لا بد من ذلك وكل متخذ لقوته فيفضل عنه وعن اهل بيته فضلة كبيرة تسد خلة كثير من اهل ذلك المصرو فتفضل الاقوات عن اهل المصرو من غير شك فترخص اسعارها في الغالب الا ما يصيبها في بعض السنين من الاقوات السماوية ولولا احتكار الناس لها لما يتوقع من تلك الاقوات ان تليق دون ثمن ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران وأما سائر المرافق من الادم والقواكه وما اليها فانها لا تنجم بها البلوى ولا يستغرق اتخاذها اعمال اهل المصرو أجمعين ولا الكثير منهم ثم ان المصرو اذا كان مستبحرا موفورا العمران كثير حاجات الترف توفرت حينئذ الدواهي على طالب تلك المرافق والاسـ تنكثوا منها كل بحسب حاله فيبصر الموجد منها على الحاجات قصورا بالغا ويكثر المستامون لها وهي قليلة في نفسها فتزدحم اهل الأغراض ويبدل اهل الرفه والترف أثمانها باسراف في الغلاء لم حاجتهم اليها اكثر من غيرهم فيقع فيها الغلاء كما تراه * وأما الصنائع والاعمال ايضا في الامصار الموفورة العمران فسبب الغلاء فيها امور ثلاثة الاول كثرة الحاجة اليها كان الترف في المصرو بكثرة عمرانه والثاني اعترازا لاهل الاعمال لعدم ثمتهم وامتنان أنفسهم لسهولة المعاش في المدينة بكثرة اقواتها والثالث كثرة حاجتهم الى امتنان غيرهم والى استعمال الصنائع في مهنتهم فيبدلون في ذلك لاهل الاعمال اكثر من قيمة أعمالهم فزاجحة ومنافسة في الاستئثار بها فيعتز العمال والصنائع وأهل الحرف وتغلو أعمالهم وتكثر نفقات اهل المصرو في ذلك * وأما الامصار الصغيرة والقليلة الساكن فاقواتهم قليلة لقلّة العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصروهم من عدم القوت فيتمسكون بما يحصل منه في أيديهم ويحتكرونه فيعز وجوده لديهم ويغلو ثمنه على مستامه وأما مرافقهم فلا تدعو اليها ايضا حاجة بقلة الساكن وضـ عاف الاحوال فلا تنفق لديهم سـ سوقه فتخص بالرخس في سعـه وقد يدخل ايضا في قيمة الاقوات قيمة ما يعرض عليها من المكوس والمغارم للسـطان في الاسواق وابواب المحفر والحياة في منافع وصولها عن البسـوات لساكنهم وبذلك كانت الاسـ عار في الامصار اعلى من الاسـ عار في البادية اذ المكوس والمغارم والقراض قليلة لديهم او معدومة وكثرتها في الامصار لا سيما في آخر الدولة وقد تدخل ايضا في قيمة الاقوات قيمة علاجها في الفلح ومحافظ على ذلك في اسعارها كما وقع بالاندلس لهذا العهد وذلك أنهم لما ألجأهم النصارى الى سيف البحر وبلادهم المتوعدة الحبيثة الزراعة النكدية النبات وملكوا عليهم الارض الزاكية والبلد الطيب فاحتاجوا الى علاج المزارع والقطن لاصـلاح نباتها وفلحها وكان ذلك العلاج باعمال ذات قيم ومواد من الزبل وغـيره لها ثمنه وصارت في فلحهم نفقات لها خطر فاعتـبروها في سـعـرهم واختص قطر الاندلس بالغلاء منذ اضـطرهم

الاسـ عار قال فحدثت به معاوية فقال اعتقك أخى من رق الخطا وقيل لبعض الملوكة ما أصعب الاشـ عار على الانسان قال ان يعرف نفسه ويحكم سره وقال قيس بن الخطيم أجود بـمـكنون البلاد وانتي بـمـرك عن سألتي لـصـنين اذا جاؤا زلاثنين سر فانه يبيت ويكبر الوشاة قين وان ضيع الاقوام سرا فانتى

كثوم لاسرار العشير أمين يكون له عندي اذا ما مضته مكان سويدها القوادم كين قال شيخنا قلت الناس يقولون أراد بالاثنتين المودع والمودع ولا يبعدان يريد به الشـفتين وكان يقال أصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبدده لصـديقه فيوشك ان يصير عدوا وقد روى في الحديث عن النبي عليه السلام انه قال اذا حدث الرجل الرجل ثم التفت فهي امانة قلت واذا كانت امانة حرمت فيها الخيانة كالامانة في الاموال وقال أبو بكر بن خزم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يقشي على صاحبه ما يكره وقال

هشام بن عروة ما من رجل ينتقص من امانته الا انتقص ايمانه وقال جعفر بن عثمان يا ذا الذي اودعني سره * الانصارى لا ترجع أن تسـمعـه مني لم أجـرحـه على فـكرـتي * كانه لم يجـر في اذني وكان عمرو بن العاص يقول ما أنشيت سرى الى رجل فافشاء

على فليمنه إذا كان صدري أضيّق به وقال الأحنف بن قيس يضيق صدرا أحدهم بسره حتى يحدث به ثم يقول أكنمه على وفي منشور
الحكم أنقر دسرك ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وأنشدوا (٢١٧) إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه *

فصدر الذي يستودع السر

أضيّق

وفي منشور الحكم من أفشى

سره كثر عليه المتأمرون

وقال الشاعر

وسرك ما كان عند امرئ

وسر ثلاثة غير الخفي

(وقال آخر)

ولا تنطق بسرك كل سر

إذا ما جاوز الأثنين فاشي

(وقال آخر)

تبوح بسرك ضيقه

وتبغى أسرك من يكم

وكم تلك السر فيم الخاف

وفيم تحاذره أكرم

إذا ذاع سرك من مخبر

فانت أذلمته ألوم

(وقال آخر)

إذا ما ضاق صدرك من

حديث

وأفشته الرجال فن تلوم

وان عاتبت من أفشى

حديثي

وسرى عنده فانا الموم

وقال الحكم ما كنمه من

عدوك فلا تطلعن عليه

صديقك فان لم يكن لك بد

من إذاعته لقرينة تقتضيه

من صديق مساهم أو

استشارة ناصح مسالم فن

صفات أمين الأسرار ان

يكون ذاعقل ودين ونصح

ومروءة فان هذه أمور تمنع

من الإذاعة وتوجب حفظ

الأمانة ومن كذات فيه

النصارى الى هذا المعمور بالاسلام مع سواهم الاجل ذلك ويحسب الناس اذا سمعوا بغلاء الاسعار في
قطرهم انها القلة الاقوات والحبوب في أرضهم وليس كذلك فهم اكثر اهل المعمور فلما عايناه واقومهم
عليه وقل ان يخبرهم سلطان أو سوقة عن فدان أو مزرعة أو فسخ الاقليل من أهل الصناعات والمهن أو
الطرايع على الوطان من الغزاة المجاهدين ولهذا يختصهم السلطان في عطاءهم بالعولة وهي أقواتهم وعلوقاتهم
من الزرع وانما السبب في غلاء سعر الحبوب عندهم ما ذكرناه ولما كانت بلاد البربر بالعكس من
ذلك في ذكاه منابتهم وطيب أرضهم ارتفعت عنهم المئون جملة في الفلح مع كثرته وعمومه فصار ذلك سببا
لرخص الاقوات ببلدكم والله مقدور الليل والنهار وهو الواحد القهار لا رب سواه

١٣ * (فصل في قصور اهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران) *

والسبب في ذلك أن المصر الكثير العمران يكثر ترفه كما قدمناه وتكثر حاجات ساكنه من أجل الترف
وتعد تلك الحاجات لما يدعو اليه افتتاق ضرورات وتصريفه في الاعمال كلها مع ذلك عزيزه والمرافق
غالية بازدحام الأغراض عليها من أجل الترف وبالمعارم السلطانية التي توضع على الاسواق والبهايات
وتعتبر في قيم البهايات ويظم فيها الغلاء في المرافق والاقوات والاعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنه كثرته
بالغة على نسبة عمرانه ويعظم خرجه فيحتاج حينئذ الى المال الكثير للنفقة على نفسه وعياله في ضرورات
عيشهم وسائر مؤنهم والبدوى لم يكن دخله كثيرا اذا كان ساكنا كما يمكن كاسد الاسواق في الاعمال التي
هي سبب الكسب فلم يتأثر كسبا ولا مالا لافتقار علمه من أجل ذلك سكنى المصر الكبير لغلاء مراحقه
وعز حاجاته وهو في بدو يسد خلته باقل الاعمال لانه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤنونه فلا يضطر
الى المسال وكل من يتشوف الى المصر وسكناه من أهل البادية فيفسر بما يظهر عجزه ويقتضخ في استبطانه
الامن يقدم منهم تأثر المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويحجى الى الغاية الطبيعية لاهل العمران من
الدعة والترف فحينئذ ينتقل الى المصر ينظم حاله مع احوال أهله في عوائدهم وترفعهم وهكذا شأن بداية
عمران الامصار والله بكل شيء محيط

١٤ * (فصل في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرفه والفقير مثل الامصار) *

(اعلم) ان ما توفر عمرانه من الاقطار وتعددت الامم في جهاته وكثرتا كثر ما كثر ساكنه اتسعت احوال أهله وكثرت
اموالهم وامصارهم وعظمت دولهم وممالكهم والسبب في ذلك كله ما ذكرناه من كثرة الاعمال وما
سأى ذكره من انها سبب للثروة بما يفضل عنها بعد الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن من الفضلة
البالغة على مقدار العمران وكثرت فيعود على الناس كسبا يتأثرون حسبان ذلك في فصل المعاش
وبيان الرزق والكسب فيتميز يد الرفه لذلك وتنسج احوال ويحجى الترف والغنى وتكثر الجباية للدولة
بنفاق الاسواق فيكثر مالها ويشمخ سلطانها وتتنهن في اتخاذ المعاقل والحصون واختطاط المدن وتشهد
الامصار واعة بر ذلك باقطار المشرق مثل مصر والشام وعراق الجهم والهند والصين وناحية الشمال كلها
واقطارها واوراء البحر الرومي لما كثر عمرانها كيف كثر المال فيها وعظمت دولتهم وتعددت مدنها
وحواضرهم وعظمت متاجرهم وأحوالهم فالذي نشاهد له ذا العهد من احوال تجار الامم النصرانية
الواردين على المسلمين بالمغرب في رفعتهم واتساع احوالهم أكثر من أن يحيط به الوصف وكذا تجار أهل
المشرق وما يبلغنا عن احوالهم وأبلغ منها احوال أهل المشرق الاقصى من عراق الجهم والهند والصين فانه
يلغنا عنهم في باب الغنى والرفه غرائب تسير الركب ان يحمد يثها ورجا تتلقى بالانكار في غالب الامر

(٢٨ - ابن خلدون) فهو عتقاء مغرب ولا تودع سرك عند من يستدعيه فان طالب الوديعة خائن قال صاحب بن عبد القدوس لا تدع
سر الى طالبه منبئ والطالب للسر مذيع وفي الجملة اذا زال سرك عن عذبة لسانك فلا ذاعة مستولية عليه وان أودعته قلب ناصح محب

فاحتمال مراة الكتمان على قلبك أسهل عليك من التملل بتمليك شرك غيرك واعلم ان افشاء سر غيرك اقبح من اظهار سر نفسك
لانه يروح باحدى وصفتين اما الخيانة (٢١٨) ان كان مؤثما او النعمة ان كان مستخبزا وقال بعض الحكماء لابنه يابني كن جوادا

ويحسب من يسعها من العامة ان ذلك لزيادة في اموالهم اولان المعادن الذهبية والفضية اكثر بارضهم
اولان ذهب الاقدمين من الامم استاثروا به دون غيرهم وليس كذلك فعند الذهب الذي نعرفه في هذه
الاقطار انما هو من بلاد السودان وهي الى المغرب اقرب وجميع ما في ارضهم من البضاعة فانهما يجلبونه
الى غير بلادهم للتجارة فلو كان المال عتية دامو فورا لديهم لما جلبوا بضائعهم الى سواهم يبتغون بها
الاموال ولا يستغنوا عن اموال الناس بالجملة ولقد ذهب التجارون لمساروا مثل ذلك واستغروا ما في
المشرق من كثرة الاحوال واتساعها ووفور اموالها فاقوا بالان عطايا الكواكب والسهام في مواليد اهل
المشرق اكثر منها حصصا في مواليد اهل المغرب وذلك صحيح من جهة المطابقة بين الاحكام النجومية
والاحوال الارضية كما قلناه وهم انما اعطوا في ذلك السبب النجمي وبقي عليهم ان يعطوا السبب الارضي
وهو ما ذكرناه من كثرة العمران واختصاصه بارض المشرق واقطاره وكثرة العمران تقيد كثرة الكسب
بكثرة الاعمال التي هي سببه فلذلك اختص المشرق بالرفعة من بين الاقاليم لان ذلك لجزء الاثر النجمي
فقد فهمت مما اشيرنا لك اولانه لا يستقل بذلك وان المطابقة بين حكمه وعمران الارض وطبيعتهما امر لا يد
منه واعتبر حال هذا الرفعة من العمران في قطرافه بريقه وبرقة لما خفف سكانها وتناقص عمرانها كيف
تلاشت احوال اهلها وانتهوا الى الفقر والخصاصة وضعفت جباياتها فقلت اموال دولها بعد ان كانت
دول الشبهة وصنما حجة بها على ما بلغت من الرفعة وكثرة الجبايات واتساع الاحوال في نفقاتهم واعطياتهم
حتى لقد كانت الاموال ترفع من القبر وان الى صاحب مصر لما جاته ومهماته وكانت اموال الدولة بحيث
جل جوهر الكاتب في سفره الى فتح مصر الف رجل من المال يستعملها لارزاق الجنود واعطياتهم
ونفقات الغزاة وقطر المغرب وان كان في الف درهم دون افر بريقه فلم يكن بالنسبة في ذلك وكانت احواله
في دول الموحدين متسعة وجباياته موفرة وهو هذا العهد قد اقصر عن ذلك لتقصوور العمران فيه وتناقصه
فقد ذهب من عمران البر بريقه اكثر ونقص من معهوده نقصا ظاهرا محسوسا وكاد ان يلحق في احواله
بمثل احوال افر بريقه بعد ان كان عمرانه متصلا من البحر الرومي الى بلاد السودان في طول ما بين السوس
الاقصى وبرقة وهي اليوم كلها او اكثرها فقار وخلاء وصحاري الاما هو منها بسيف البحر او ما يقاربها من
التلول والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

١٥ * (فصل في تأمل العقار والضياع في الامصار وحال فوائدها ومستغلاتها) *

(اعلم) ان تأمل العقار والضياع الكثرة لاهل الامصار والمدن لا يكون دفعة واحدة ولا في عصر واحد
اذ ليس يكون لاحد منهم من الثروة ما يملك به الاملاك التي تخرج قيمها على الدولو بلغت احوالهم في
الرفعة ما عسى ان تبلغ وانما يكون ملكهم وتاثلهم لها تدريجا اما بالوراثة من آباءه وذوي رحمه حتى تتأدى
املاك الكثيرين منهم الى الواحد دوا كثر لذلك او ان يكون بحواله الاسواق فان العقار في آخر الدولة
وأول الاخرى عند دفناء الحامية وخرق السياج وتداعي المصرا الى الخراب تغل الغبطة به لقلة المنفعة فيها
بتلاشي الاحوال فترخص قيمها وتتمالك بالانعام الدسيرة وتتخطى بالميراث الى ملك آخر وقد استجد المصرا
شبابه باستفحال الدولة الثانية وانتظمت له احواله واثقة حسنة تحصل معها الغبطة في العقار والضياع
لكثرة منافعتها حينئذ ذفت عظم قيمتها ويكون لها خطر لم يكن في الاول وهذا معنى الحواله فيها ويصبح
مالها من اغني اهل المصرا وليس ذلك بسعيها وكسبها اذ قدرته تجزع من مثل ذلك واما فوائدها العقار
والضياع فهي غير كافية لما لكها في حاجات معاشه اذ هي لا تفي بعوائد الترف والسبابه وانما هي في

بالمال في مواضع الحق
ضئيلة بالاسرار عن جميع
الخفاق فان اجد جود المره
الاتفاق في وجه البر والنجل
بكتوم السر وكان يقال
صدور الاحراق والاسرار
وقال الشاعر

لم تر ان وشاة الرجا
ل لا يتركون اديما صيحجا
فلاتفس شرك الا اليك
فان لكل نصيح نصيحا
* (وقال غيره) *

ماكل مكتوم يباح به
احذر اسائك من جوابه
ليس الهوى ما كنت
تعرفه

ايام تلعب في جوانبه
هذا هو لوقد فحمت به
ضحك الحسام الى مضاربه
* (الباب الرابع والثلاثون

في بيان الخصلة التي هي
رهن بسائر الخصال وزعيم
بالمزيد من النعماء والا لاه
من ذي الحلال) *

وهي الشكر قال الله تعالى
حكاية عن سليمان عليه
السلام وقد آتاه الله ملكا
الدينار والجن والانس
والطير والوحش والرياح
تجري بأمره كيف اراد
فلما استمكن ملكه قال
صلى الله عليه وسلم هذا من
فضل ربي ليلو في الشكر
أم اكفر فاعدها نعمة

كما عدها ملوك الارض ولا حسبها كرامة من الله تعالى عليه كظنهم املوك الارض بل خاف ان تكون
استدراجا من حيث لا يعلم كما قال تعالى في امة اراد هلاكهم سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأمل لهم ان كيدى متين جاء في التفسير اصيب

عليهم النعم وأنسبهم الاستغفار وإنما الفرج بما أوتي من الدنيا والغبطة بمرورها ولا غترار بزخرفها من شـ عار الكفار لا ترى الى قول
قارون اللعين إنما أوتيته على علم عندي وكان جوابه ما قال الله تعالى فخسفناه (٢١٩) و بداه الأرض ولما أخاف سليمان عليه

السلام ان يكون استدراجا
كان جوابه ما قال الله تعالى
هذا عطافا فامتن أو أوبسك
بغير حساب واعلم أرشدك
الله ان الشكر ليس هو
حافظ النعم فقط بل هو مع
حفظه لها زعيم بزيادة
النعم وأمان من حلول النقم

والشكر على ثلاث مراتب
شكر بالقلب وشكر
باللسان وشكر بالجوارح
فاما الشكر الواجب على
جميع الخلق فشكر القلب
وهو ان يعلم ان النعمة من
الله وحده ولا نعمة على
الخلق من أهل السموات
والارض الا وبدايتهم ان
الله تعالى حتى يكون
الشكر لله تعالى عن نفسك

وعن غيرك بمعرفة نعم الله
تعالى عليك وعلى غيرك
وهذا النوع هو الذي يقال
فيه يجب على العبد ان
يشكر الله على نعمة اسديت
الى غيره والدليل على ان
الشكر محله القلب وهو
المعرفة قوله تعالى وما بكم
من نعمة فمن الله أي ايقنوا
انهم ان الله والى هذه
الكامة انتهى جميع
ما قاله الخلق في الشكر
والدليل عليه أيضا قوله
تعالى ولقد نصركم الله ببدر
وانتم اذلة فاقولوا لله العداكم

تشكرون أي اتقوا في فانه شـ كن نعمتي وخلق الله تعالى الحماية نعمة على العبد قال الله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
والعبارة عنه ان يقال الشكر اعتبار القلب بانعام الله تعالى على وجه الخضوع ويقال فيه الشكر اعانة كاف على بساط الشهود بادامة

الغالب لسد الخلة وضرورة المعاش والذي سمعناه من مشيخة البلدان ان القصـ دباقتنا المالك من العقار
والضياح إنما هو الحشية على من يترك خلفه من الذرية الضعفاء ليكون مرباهم به ورزقهم فيه ونشؤهم
بقائده ماداموا عاجزين عن الاكتساب فاذا اقتدر واعلى تحصـ يل المـ كسب سـ وافهم بانفسهم وربما
يكون من الولد من يعجز عن التكسب اضـ ع في بدنه أو آفة في عقله المعاشي فيكون ذلك العقار قواما
لحال هذا قصد المترفين في اقتنائهم واما التمول منه واجراء احوال المترفين فلا وقد يحصل ذلك عنه للقليل
او النادر بحواله الاسواق وحصول الكثرة بالانعمه منه والعالي في جنسـ ه وقيمة في المصر الا ان ذلك اذا
حصل ربما امتدت اليه عين الامراء والولاة واغتصبـ به في الغالب او ارادوه على بيعه منهم ونالت اصحابه
منه مضار ومعاطب والله غالب على أمره وهو رب العرش العظيم

١٦ * (فصل في حاجات المتولين من أهل الامصار الى الجاه والمدافعة)

وذلك ان الحضري اذا عظم قوله وكثر للعقار والضياح تأله واصبح اغني اهل المصر ورمة العيون بذلك
وانقسحت احواله في الترف والعوائد زادـ م عليها الامراء والمـ لوك وغصوبه ولما في طبـ اع البشر من
العدوان تمتد أعيانهم الى تملك ما بيده وينافسون فيه ويتحيلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلونه في ربة
حكم سلطاني وسبب من المؤاخذة طاهرية تزع به ماله واكثر الاحكام السلطانية جائرة في الغالب
اذال العدل المحض إنما هو في الخلافة الشرعية وهي قلـ له اللبث قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى
ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضوا فلا بد حينئذ لصاحب المال والثررة الشهيرة في العمران من حامية
تدود عنه وجاه يشجب عليه من ذى قرابة للالب أو خاصة له أو عصبية يتحاماها السلطان فيستظل بظلالها
ويرتع في أمنها من طوارق التعدي وان لم يكن له ذلك أصبح نهبا بوجوه التحيلات وأسباب الحكام والله
يحكم لا معقب لحكمه

١٧ * (فصل في أن الحضارة في الامصار من قبل الدول وانما ترسخ بآصال الدولة ورسوخها)

والسبب في ذلك أن الحضارة هي احوال عادية زائدة على الضروري من احوال العمران زيادة تتفاوت
بتفاوت الرفه وتفاوت الامم في القـ له والكثرة متفاوتا غير منحصـ ر تقع فيها عند كثرة التـ من في أنواعها
واصنافها فتكون بمنزلة الصنائع ويحتاج كل صنف منها الى القومة عليه والمهارة فيه وبقدريما يتزايد من
اصنافها يتزايد أهل صـ ناعتها ويتلون ذلك الجـ بل بها ومتى اتصالت الايام وتعاقبت تلك الصناعات
حـ ذق أولئك الصـ ناع في صـ ناعتهم ومهر وافى معرفتها والاعصار بطولها وانقـ اح أمدها وتسـ كر
أمثالها تسـ زدها السـ تحـ كما مورسوخا وكثـ ما يـ ع ذلك في الامصار لاسـ تجار العمران وكثرة الرفه في
أهلها وذلك كله إنما يجـ من قبل الدولة لان الدولة تجـ مع أموال الرعية وتنقـ ها في بطانتها ورجـ لها
وتنـ ع احوالهم بالجـ اه أكثر من اتساعها بالمـ ل فيكون ذلك الاموال من الرعايا وخرجها في أهل
الدولة ثم فيمن تعلق بهم من أهل المصر وهم الاكثر فعظم لذلك ثـ رتهم ويكثر غناهم وتزيد عوائد
الترف ومذايبهم وتستـ كم لديهم الصـ نائع في سائر فنونه وهذه هي الحضارة ولـ ذا تجـ د الامصار التي في
القاصية ولو كانت موفورة العمران تغلب عليها احوال البداءة وتـ عـ د عن الحضارة في جميع مـ ذاهبا
بخلاف المدن المتوسطة في الاقطار التي هي مركز الدولة ومقرها وما ذاك الا لجواره السلطان لهم وفيض
أموالهم فيهم كالـ ا يخضر ما قرب منه فاقرب من الارض الى ان ينتهي الى الجـ فوف على البعد وقد قدمنا
ان السلطان والدولة سوق للعالم فالصنائع كلها موجودة في السوق وما قرب منه واذا بعدت عن السوق

تشكرون أي اتقوا في فانه شـ كن نعمتي وخلق الله تعالى الحماية نعمة على العبد قال الله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
والعبارة عنه ان يقال الشكر اعتبار القلب بانعام الله تعالى على وجه الخضوع ويقال فيه الشكر اعانة كاف على بساط الشهود بادامة

حفظ الحرمه وقال أبو عثمان الشكر معرفة الخبز الشكر وروى أن داود عليه السلام قال الهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمته من عندك فأوحى الله تعالى اليه الا ن (٢٢٠) قد شكرتني وقال وهب بن منبه قال داود عليه السلام الهى ابن آدم ليس منه شعرة

الا وتحتها نعمة وفوقها منك نعمة فمن أين يكافئها فأوحى الله تعالى اليه يا داود انى أعطى الكثير وأرضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة ففى هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر وذلك بان ترى شكرك بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من أجل النعمة فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر الى ما لا يتناهى وهذا الشكر أيضا واجب ولحمود والوراق اذا كان شكرى نعمة الله نعمة

على له فى مثله ايجب الشكر فكيف بلوغ الشكر الا بفضل

وان طال الایام واتصل العمر

اذا مس بالسر اعلم سرورها وان مس بالضرر اعقبها

الاجر

فما منها الا له نعمة

تضيق بها الا وهام والسر

والجهر

ومن أقر بنعم الله واحسانه فقد أقر بقدر ما كاف لان

أحد الا يمكنه ان يواضى شكر نعم الله تعالى وفى مناجاة موسى عليه السلام الهى

فعلت آدم بيدك وفعلت

وفعلت فكيف شكرك فقال ان يعلم ان ذلك منى فكان معرفته بذلك شكركه الى

عوائدهم (فصل) وأما شكر اللسان فقال الله تعالى فيه وأما بنعمة ربك فحدث قيل يعنى النبوة وقيل يعنى القرآن وحكم الآية عام فى جميع النعم

افقدت البضائع جملته ثم انه اذا اتصلت تلك الدولة وتعاقب ملوكها فى ذلك المصير واحد بعد واحد استحكمت الحضارة فيهم وزادت رسوخا واعتبر ذلك فى الیوم ولما طال ملكهم بالشام نحو ما من ألف وأربعمائة سنة رسخت حضارتهم وخذقوا فى أحوال المعاش وعوائده والتفنن فى صناعاته من الطعام والملابس وسائر احوال المنزل حتى انها تتوخذ عنهم فى الغالب الى اليوم ورسخت الحضارة أيضا وعوائدها فى الشام منهم ومن دولة الروم بعدهم ستمائة سنة فكانوا فى غاية الحضارة وكذلك أيضا القبط دام ملكهم فى الخلافة ثلاثة آلاف من السنين فرسخت عوائد الحضارة فى بلادهم مصر واعتقبتهم بها ملك اليونان والروم ثم ملك الاسلام الناسخ للكل فلم تزل عوائد الحضارة بها متصلة وكذلك أيضا رسخت عوائد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العمالة والتبابعة آلاف من السنين واعتقبتهم ملك مصر وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة النبط والفرس بها من لدن السكادانيين والكمانيه والكسرى وبه والعرب بعدهم آلاف من السنين فلم يكن على وجه الارض لهذا العهد أحضر من أهل الشام والعراق ومصر وكذا أيضا رسخت عوائد الحضارة واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم ما أعقبها من ملك بنى أمية آلاف من السنين وكذا الدولتين عظيمه فاتصلت فيها عوائد الحضارة واستحكمت وأما افریقىة والمغرب فلم يكن بها قبل الاسلام ملك ضخم إنما قطع الافرنجة الى افریقىة البحر وملكوا الساحل وكانت طاعة البربر أهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قلعة وأوفاز وأهل المغرب لم تجاورهم دولة وإنما كانوا يبعثون بطاعتهم الى القوط من وراء البحر ولما جاء الله بالاسلام وملك العرب افریقىة والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب الا قليلا أول الاسلام وكانوا لذلك العهدى فى طور البداوة ومن استقر منهم بافریقىة والمغرب لم يجد بها من الحضارة ما يقد فيه من سلفه اذ كانوا بربر منغمسين فى البداوة ثم انتفض برابرة المغرب الاقصى لا قرب العهد وعلى يد ميسرة المطفرى أيام هشام بن عبد الملك ولم يراجعوا أحرار العرب بعد واستقلوا بأمر أنفسهم وان بايعوا الادريس فلا تعد دولته فيهم عربىة لان البرابرة الذين تولوها ولم يكن من العرب فيها كثير عدو بقيت افریقىة للاغالبية ومن اليهم من العرب فكان لهم من الحضارة بعض الشيء مما حصل لهم من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القبروان وورث ذلك عنهم كامئة ثم صارت بحاجة من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ أربعمائة سنة وانصرفت دولتهم واستحالت صيغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب بدو العرب الهلاليين عليها وخر بوها وبقي أثر خفي من حضارة العمران فيها والى هذا العهد يؤنس فيمن سلف له بالقلعة أو القبروان أو المهدية سلف فتجد له من الحضارة فى شؤون منزله وعوائده أحواله آثارا ملتبسة بغيرها يميزها الحضارى البصير بها وكذا فى أكثر أمصار افریقىة وليس ذلك فى المغرب وأمصاره لرسوخ الدولة بافریقىة أكثر امدامند عهد الاغالبية والشيعة وصناعاتها أما المغرب فانتقل اليه من دولة الموحدين من الاندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من أهلها اليهم طوعا وكرها وكانت من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحكمتها ومعظمها من أهل الاندلس ثم انتقل أهل شرق الاندلس عنها دجالية النصارى الى افریقىة فأبقوا فيها بامصارها من الحضارة آثارا ومعظمها بتونس امتزجت بحضارة مصر وما ينقله المسافر ون من عوائدها فكان بذلك للمغرب وافریقىة حظ صالح من الحضارة وفى عليه الخلاء ورجع على أعقابهم وعاد البربر بالمغرب الى أديانهم من البداوة والخشونة وعلى كل حال فآثار الحضارة بافریقىة أكثر منها بالمغرب وأمصارها متداول فيها من الدول السالفة أكثر من المغرب ولقرب

وروى النعمان بن بشير ان النبي عليه الصلاة والسلام قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث
بالنعم شكر وقال تعالى حكاية عن اهل الجنة انهم قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده (٢٢١) قال عامل عمر بن عبد العزيز رحمه

الله لما حفر نهر البصرة
الذي يقال له نهر عمراني
حفرته لاهل البصرة نهر
عذب لهم مشربه وجادت
عنه ولم ادرهم على ذلك شكرا
فان اذنت لي قسمة عليهم
ما انفتت عليه فكتب
اليه عمر بن عبد العزيز
اني لا احسب اهل البصرة
خلوا من رجل قال الحمد
لله حين حفر لك هذا النهر
وان الله قد رضيها شكرا
من جنته فارض بها شكرا
من نهرك والسلام وحقية
الشكر في هذا القسم
الثناء على المحسن بذكر
احسانه وعلى هذا القول
يوصف الرب تعالى بانه
شكور وحقية فشكر
العبد لله ثناؤه عليه بذكر
احسانه وشكر الله للعبد
ثناؤه عليه باحسانه
واحسان الرب للعبد انعامه
عليه وهذه اللفظة مأخوذة
من قولهم دابة شكورا اذا
اظهرت من السمن فوق
ماتعطي من العلف
ويقال وجهه شكورا اذا
كان ممتلئ المحاسن ظاهرها
وفي الحديث يقول الله
تعالى انا والجن والاناس
في نيا عظيم اخلق ويعبد
غيري وارزق ويشكر
غيري وقال بعضهم انما

عوائدهم من عوائد اهل مصر بكثرة المترددين بينهم فتقطع لهذا السرفانه خفي عن الناس واعلم انها
امور متناسبة وهي حال الدولة في القوة والضعف وكثرة الامة او الجبل وعظم المدينة او المصر وكثرة
النعمة واليسار وذلك ان الدولة والمملك صورة الخلية والعمران وكلها مادة لها من الرعايا والامصار
وسائر الاحوال واما اموال الجباية عائدة عليهم ويصارهم في الغالب من اسواقهم ومناجرهم واذا افاض
السلطان عطاؤه واما اموال في اهلها انبثت فيهم ورجعت اليه ثم اليهم منه فهي ذاهبة عنهم في الجباية والخراج
عائدة عليهم في العطاء فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال
الدولة واصله كله العمران وكثرتة فاعتبره وتأمله في الدول تجد والله يحكم لامعقب حكمه

١٨ * (فصل في ان الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وانها مؤذنة بفساده)

قد بينا لك في سلف ان المملك والدولة غاية للعبادة وان الدولة وان العمران كله من
بدوة وحضارة ومملك وسوقه عمر محسوس كما ان للشخص الواحد من اشخاص المكونات عمر محسوسا
وتبين في المعقول والمنقول ان الاربعين للانسان غاية في تزايد قواه وغواها وانها اذا بلغ سن الاربعين وقفت
الطبيعة عن اثر النشوء والنمو برهة ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط فاعلم ان الحضارة في العمران ايضا
كذلك لانه غاية لا مزيدا عليها وذلك ان الترف والنعمة اذا حصه لاهل العمران دعاهم بطبعه الى
مذاهب الحضارة والتخاق بعوائدها والحضارة كما علمت هي الترف واستجادة احواله والكاف
بالصنائع التي تؤتي من اصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيئة للماضي او الملبس او المأوى او الفرس
او الاثنية ولسائر احوال المنزل وللتأنيق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج اليها عند البدوة وعدم
التأنيق فيها واذا بلغ التأنيق في هذه الاحوال المتزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات فتتلون النفس من تلك
العوائد بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في ينالها ولا دنياها امدانها فلا تستحسب صبعة العوائد التي يمسر
نزعها واما دنياها فلكثرة الحاجات والمؤنات التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها وببانه
ان المصر بالثمن في الحضارة تعظم نفقات اهله والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران فحي كان العمران اكثر
كانت الحضارة اكمل وقد كنا قد منا ان المصر الكثير العمران يختص بالغلاء في اسواقه واسعار حاجته
ثم ترى هذا المكوس غلاء لان الحضارة انما تكون عند انتهاء الدولة في استعجالها وهو زمن وضع
المكوس في الدول لكثرة خرجها حينئذ كما تقدم والمكوس تعود على البياعات بالغلاء لان السوق والتجار
كلهم يحسبون على سلعهم وبضائعهم جميع ما ينفقونه حتى في مؤنة انفسهم فيكون المكس لذلك داخلا
في قيم البياعات واثمنها فتعظم نفقات اهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجدون وليجة عن
ذلك لما ملكتهم من اثر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسهم كلها في النفقات يتنازعون في الاملاق
والخصاصة ويغلب عليهم الفقرو يقل المستامون للبايع فتكسد الاسواق ويقسد حال المدينة وداعية
ذلك كله افراط الحضارة والترف وهذه مفسدات في المدينة على العموم في الاسواق والعمران واما فساد
اهلها في ذاتهم واحدا واحدا على الخصوص فغن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون بالوان الشرف في
تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون آخر من ألوانها فلذلك يكثر منهم الفسق
والشر والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتتصرف النفس الى الفكر في
ذلك والغوص عليه واستنجماع الخيلة له فتجدهم اجرياء على الكذب والمقامرة والغش والخلاصة والسرقة
والفجور في الايمان والربا في البياعات ثم تجددهم ابصر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه

اني الناس لانهم في موضع صبرهم يحسبون انهم في موضع شكر * (فصل واما الشكر الذي على الجوارح فقال الله تعالى اعملوا آل داود
شكرا اوقليل من عبادي الشكور فعمل العمل شكر او قال عطاء دخلت على عائشة رضي الله عنها مع عبيد بن عمر فقال لها عبيد يا ام

المؤمنين - يشنا باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فيكثت وقالت وأي شأنه لم يكن عجباً أنه أتاني في ليلة فدخل معي في فراشي حتى مس جلدي جلده (٢٢٢) ثم قال يا ابنه أبي بكر ذرني أتبعك لربي قالت قلت اني أحب قربك فاذنت له

واطراح الحشمة في الخوض فيه حتى بين الاقارب وذوي المحارم الذين تقتضي البعداوة الحياء منهم في الاقذاع بذلك وتجدهم أيضاً أبصر بالملك والمخديعة يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما يتوقعونه من العقاب على تلك القبائح حتى يصير ذلك عادة وخلقا لا كثرهم الا من عصمه الله ويموج ببحر المدينة بالسفلة من أهل الاخلاق الذميمة ويحاربهم فيها كثير من ناشئة الدولة وولدانهم عن أهل عن التأديب وغلب عليه خلق الجواروان كانوا أهل أنساب وبه وبنات وذلك أن الناس بشر مماثلون وانما تفاضلوا وتميزوا بالخلق والكنسب القضايل واجتناب الرذائل فمن استحكمت فيه صبغة الرذائل باى وجه كان وفسد خلق الخبير فيه لم ينفعه زكاه ونسبه ولا طيب منته وهذا التجرد كثير من أعقاب البيوت وذوى الاحساب والاصالة وأهل الدول منظر حين في العمار من تخبأ للحرف الدينية في معاشهم بما فسد من اخلاقهم وما تلونوا به من صبغة الشر والسفاسة واذا كثر ذلك في المدينة او الامة تأذن الله بخرابها وانقراضها وهو معنى قوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا متريفيها ففسد عوفاها حتى عليها القول فدمرناها تدميرا ووجهه حينئذ ان مكاسبهم حينئذ لا تفي بحاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة النفس بها فلا تستقيم احوالهم واذا فسدت احوال الاشخاص واحد واحد اختل نظام المدينة وخربت وهذا معنى ما يقوله بعض اهل الخواص ان المدينة اذا كثر فيها غرس النار فنج تأذنت بالخراب حتى ان كثير من العامة يتحاشى غرس النار نرج بالدور وليس المراد ذلك ولا أنه خاصة في النار نرج وانما سامعنا ان البساتين واجر الماء هو من توابح الحضارة ثم ان النار نرج والليم والسرور واما مال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة فهو من غاية الحضارة اذ لا يقصد به في البساتين الا اشكالها فقط ولا تغرس الا بعد الثفن في مذهب الترف وهذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك المصر وخرابه كما قلناه ولقد قيل مثل ذلك في الدفلى وهو من هذا الباب اذ الدفلى لا يقصد به الا تلون البساتين بنورها ما بين اجر وأبض وهو من مذهب الترف * ومن مقاسد الحضارة انهم مال في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع الثفن في شهوات البطن في الماس كل والملاذ وبمع ذلك الثفن في شهوات الفرج بانواع المنال كرج من الزنا واللواط فيفضي ذلك الى فساد النوع واموا بسطة اختلاط الانساب كما في الزنا فيجهل كل واحد به اذ هو لغير رشدة لان الماء مختلطة في الارحام فتفقد الشفقة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهدكون ويؤدي ذلك الى انقطاع النوع او يكون فساد النوع كاللواط اذ هو يؤدي الى أن لا يوجد النوع والزنا يؤدي الى عدم ما يوجد منه ولذلك كان مذهب مال كرجه الله في اللواط أظهر من مذهب غيره ودل على أنه أبصر بمقاصد الترف واعتبارها بالمصالح فافهم ذلك واعتبر به ان غاية العمران هي الحضارة والترف وأنه اذا بلغ غايته انقلب الى الفساد واخذ في الهرم كالاعمار الطبيعية للحيوانات بل نقول ان الاخلاق الخاصة من الحضارة والترف هي عين الفساد لان الانسان انما هو انسان باقته داره على جلب منافعها ودفع مضارها واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري لا يقدح في مباشرة حاجاته اما عجز الماسح ل له من الدعة أو ترفع الماسح ل له من المربي في النعيم والترف وكلا الامر من ذميم وكذا الايقه در على دفع المضار واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري بما قد فسد من خلق الانسان بالترف والنعيم في قهر التأديب فهو بذلك عيال على الحامية التي تدافع عنه ثم هو فاسد ايضا غالباً بما فسدت منه العوائد وطاعتها ما تلونت به النفس من مكائنها كما قررنا في الاقل النادر واذا فسد الانسان في قدرته على اخلاقه ودينه فقد فسدت انسانيته وصار مفسدا على الحقيقة وبهذا الاعتبار كان الذين يتربون على الحضارة وخلقها موجودين في كل دولة فقد تبين ان الحضارة هي سن الوقوف لعمر

فقام الى قرية من ماء فتوضأوا كثر صب الماء ثم قام يصلى في بيته حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع في بيته ثم سجد في بيته ثم رفع رأسه في بيته فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأتته بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا اكون عبداً شكوراً فلم لا أفعل وقد أنزل على ان في خلق السموات والارض فيعمل النبي عليه الصلاة والسلام الشكر بالعمل وبين به مراد الكتاب قال الله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خافضة للين اراد ان يذكر أو اراد شكورا أي كل واحد منهم ما يخلف الاخر فمن فاته العمل في أحدهما عمله في الاخر فعمل الاوراد والاعمال بالجوارح شكرا وروى ان النبي عليه السلام قام حتى انتفخت قدماه فقبل يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا اكون عبداً شكوراً وقال أبو هريرة دخلت على ابي حازم فقلت له رجلك الله ما شكر العيين

قال اذا رأيت بهم ما خيرا أذعته وان رأيت بهم ما شره فقلت له فاشكر الذين فقال اذا سمعت بهم ما خيرا العالم حقيقة واذا سمعت بهم ما شره فاشكر الذين قال ان لا تأخذهم بما ليس لك ولا تمنع حق الله تعالى فيهم اقامت فاشكر

البطن قال ان يكون أسفله صبراً وأعلامه علماً قلت فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لقروهم حافظون الاعلى أرواحهم
او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فان أنت فعلت فانت الشاكر حقاً وفي حكمة (٢٢٣) ادريس عليه السلام ان يستطيع

أحد ان يشكر الله تعالى

على نعمة بمثل الانعام على

خلقه ليكون صانعاً الى

الخلق مثل ما صنع به

الخالق تعالى واذا ثبت

ان فعل الطاعات شكر فان

فيها ما هو أشد ملازمة

من غيره فالطاعة في مواساة

الفقراء اشكل بالشكر

على الغني من غير هالائها

من جنس النعمة فاذا أردت

ان تحرس دوام نعم الله

تعالى عليك فادم مواساة

الفقراء والطاعة في رفع

ذوي الضعة والمحجول

والمسكنة بغير مصيبة أشبه

بالشكر على رفع قدرك

والتشويه بأسك والطاعة

في غرض الفقراء وتلطيف

أغذيتهم أشبه بالشكر على

العافية من سائر الطاعات

والطاعة في الشفاعات

عند السلاطان وقضاء

حوائج الغر باعوالأخوان

أشبه بذوي الجاه من سائر

الطاعات وعلى هذا المثال

ينبغي ان يقال سائر نعم الله

تعالى على العبد ومن

العبادات المحمودة

للشكر ان يقال معرفة

بالحنان وذكر باللسان وعمل

بالحج وأرجح (فصل)

في الكلام على الزيادة

قال الله تعالى ان شكرتم

العالم في العمران والدولة والله سبحانه وتعالى كل يوم في شأن لا يشغله شأن عن شأن

١٩ (فصل في أن الامصار التي تكون كراسي للملك تخرب بخراب الدولة وانتقاضها) *

قد استقر بنا في العمران ان الدولة اذا اختلت وانتقضت فان المصير الذي يكون كرسى بالسلطانها ينتقض
عمرانه ورمها ينتهي في انتقاضه الى الخراب ولا يكاد ذلك يخلف والسبب فيه أمور (الاول) ان الدولة
لا بد في أولها من البدوة المقتضية للتجافي عن أموال الناس والبعده عن التخذلي ويدعو ذلك الى تخفيف
الحجبة والمغارم التي منها مادة الدولة فنقل النفقات ويقصر الترف فاذا صار المصير الذي كان كرسى بالملك في
ملكه هذه الدولة المتجددة ونقضت أحوال الترف فيها نقص الترف فيمن تحت أيديها من أهل المصير لان
الرعيا تبسح للدولة فيرجعون الى خلق الدولة اما طوعاً او مكرهاً في طباع البشر من ثقل دمتبعوهم او كرهالما
يدعوا اليه خلق الدولة من الانقباض عن الترف في جميع الاحوال وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد
فتقصير لذلك حضارة المصير ويذهب منه كثير من عوائد الترف وهو معنى ما نقول في خراب المصير (الامر
الثاني) ان الدولة انما يحصل لها الملك والاستبلاء بالغلب وانما يكون بعد العداوة والحروب
والعداوة تقتضي منافاة بين أهل الدولتين وتكثر احداها ما على الاخرى في العوائد والاحول وغلب
احد المتنافيين يذهب بالآخر في الاخر فتكون احوال الدولة السابقة منه مكرمة عند أهل الدولة
الجديدة ومن يشبهه وقبيحة وخصوصاً احوال الترف فتفقد في عرفهم بذكور الدولة لها حتى تشالهم
بالندرة ويحج عوائد اخرى من الترف فتكون عنها حضارة من شأنه وفيما بين ذلك قصور الحضارة الاولى
ونقصها وهو معنى اختلال العمران في المصير (الامر الثالث) ان كل امة لا بد لها من وطن هو منشؤهم
ومنه أولية ملكهم واذا ملكوا ملكاً آخر خسرانته بالاول وامصاره تابعة لامصار الاول واتسع نطاق الملك
عليهم ولا بد من توسط الكرسي تخوم الممالك التي للدولة لانه شبه المركز لنطاق فيبعدمكانه عن مكان
الكرسي الاول وتهور ائمة الناس اليه من اجل الدولة والسلطان فينقل اليه العمران ويخف من مصر
الكرسي الاول والحضارة انما هي توفر العمران كما قدمناه فتقص حضارته وتمدنه وهو معنى اختلاله
وهذا كالموقع للسلجوقية في عدوهم بكرسيم عن بغداد الى اصبهان وللعرب قبلهم في العدول عن المدائن
الى الكوفة والبصرة ولبنو العباس في العدول عن دمشق الى بغداد ولبنو مرين بالمغرب في العدول عن
مراكش الى فاس وبالحجلة فاتخذوا الدولة الكرسي في مصر يحل بعمران الكرسي الاول (الامر الرابع) *
ان الدولة الثانية لا بد فيها من تبسح أهل الدولة السابقة واشباعها بنحو يلهم الى قصر آخر يؤمن فيه
غائاتهم على الدولة وأكثراً أهل المصير الكرسي اشباع الدولة امامن الحماية الذين نزلوا به اول الدولة أو
أعيان المصير لان لهم في الغالب مخالطة للدولة على طبقاتهم وتنوع أصنافهم بل أكثرهم ناشئ في الدولة
فهم شبيعة لها وان لم يكونوا بالشوكة والعصبية فهم بالبلد والمحبة والعقيدة وطبيعة الدولة المتجددة نحو
آثار الدولة السابقة فينقلهم من مصر الكرسي الى وطنها الممتكن في ملكها فبعضهم على نوع التعريب
والحبس وبعضهم على نوع الكرامة والتلطيف بحيث لا يؤدي الى النفرة حتى لا يبق في مصر الكرسي
الاباحة والهمل من أهل النخ والعيار وسواد العامة وينزل مكانهم حاميتاً وأشباههم ان يشد به المصير
واذا ذهب من مصر اعيانهم على طبقاتهم نقص ساكنه وهو معنى اختلال عمرانه ثم لا بد من أن يستجد
عمران آخر في ظل الدولة الجديدة وتحصل فيه حضارة اخرى على قدر الدولة وانما ذلك بمثابة من له بيت
على اوصاف مخصوصة فأظهر من قدرته على تغيير تلك الاوصاف واعادة بنائها على ما يختاره ويقترحه

لا يزيدكم فقال قوم انما خاطب الله تعالى بهذا بقوله ادعوني استجب لكم فومادون قوم والدليل عليه ان انرى من يشكر على الغني ثم
يتلى بالقرء ومن يشكر على العافية ثم يتلى بالمرض والله تعالى لا يخلف وعده وقال قوم معناه لا يزيدكم نعمة الاخرة فان قيل انما تكون

الزيادة من جنس المزيد عليه فاجابوا ان النعم الديوية والاخروية وان تفاضلت واختلفت فكلاهما متجانسة من حيث انها نعمة وقال قوم معناه لا يزيدكم خيرا ولا خيرا (٢٢٤) والصالح قد يكون في كثير من الاوقات بالمنع والسقم ونحوهما فان من سأل الله تعالى

فيخرب ذلك البيت ثم يعيد بناءه ثانيا او قد وقع من ذلك كثير في الامصار التي هي كراسي الملوك وشاهدناه وعلمناه والله يقدر الدليل والنهار والسبب الطبيعي الاول في ذلك على الجملة ان الدولة والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها وقد تقررت في علوم الحكمة انه لا يمكن انفكاك احدهما عن الاخر فالدولة دون العمران لا تنصور والعمران دون الدولة والملك متعذر لما في طباع البشر من العدوان الداعي الى الوازع فتتبعين السياسة لذلك اما الشرعية او المالكية وهو معنى الدولة واذا كانا لا ينفكان فاختلال احدهما يؤثر في اختلال الاخر كما ان عدمه مؤثر في عدمه والحال العظيم انما يكون من خلال الدولة الكلية مثل دولة الروم او الفرس او العرب على العموم او بني امية او بني العباس كذلك واما الدولة الشخصية مثل دولة انوشروان او هرقل او عبد الملك بن مروان او الرشيد فاشخاصها متعاقبة على العمران حافظا لوجوده وبقائه موقر بيمينه الشبيهة ببعضها من بعض فلا تؤثر كثير اختلال لان الدولة بالحققة الفاعلة في مادة العمران انما هي العصبة والشوكة وهي مستمرة على اشخاص الدولة فاذا ذهبت تلك العصبة ودفعتم اعضاءها اخرى مؤثرة في العمران ذهبت اهل الشوكة باجمعهم وعظم الخلل كما قررناه اولاً والله سبحانه وتعالى اعلم

٢٠ (فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض) *

وذلك انه من البين ان اعمال اهل مصر يستدعي بعضها بعضا لما في طبيعة العمران من التعاون وما يستدعي من الاعمال يختص ببعض اهل مصر فيقومون عليه هو يستصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ويجهلون معاشهم فيه وورثته من بعدهم لعموم البلوى به في مصر والحاجة اليه وما لا يستدعي في مصر يكون غفلا اذ لا فائدة لمنحله في الاحتراف به وما يستدعي من ذلك الضرورة المعاش فيوجد في كل مصر كالتخياط والحداود والتجار واما هنا وما يستدعي لعوائد الترف واحواله فانما يوجد في المدن المستبحرة في العمارة الاخذة في عوائد الترف والحضارة مثل الزجاج والصائغ والدهان والطباخ والصفار والقراش والذباخ واما هنا هذه هي متفاوتة بقدر ما تزيد عوائد الحضارة وتستدعي احوال الترف فتحدث صنائع لذلك النوع فتوجد بذلك مصر دون غيرها ومن هذا الباب المحامات لانها انما توجد في الامصار المستحضرة المستبحرة العمران لما يدعوا اليه الترف والغنى من التمتع ولذلك لا تكون في المدن المتوسطة وان نزع بعض الملوك والرؤساء اليها فيختطها ويحبس احوالها لانها اذا لم تكن لها داعية من كافة الناس فسرعانما تهجر وتخرب وتقرعن القومة لقله فائدتهم ومعاشهم منها والله يقبض ويبسط

٢١ (فصل في وجود العصبة في الامصار وتغلب بعضهم على بعض) *

من البين ان الالتحام والاتصال = وجه ودفي طباع البشر وان لم يكونوا اهل نسب واحد الا انه كما قدمناه ضعف مما يكون في النسب وانه تخصص لبه العصبة بعضا مما تخصص لبالنسب واهل الامصار كثير منهم ملتحمون بالصهر يجذب بعضهم بعضا الى ان يكونوا الحماة وقرابة قرابة وتجدد بينهم من العداوة والصداقة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله فيقترقون شيعا وعصائب فاذا نزل الهزم بالدولة وتقلص ظل الدولة عن الفاصلة احتاج اهل الامصارها الى القيام على امرهم والنظر في حماية بلدتهم ورجعوا الى الشورى وتميز العداوة عن السفلة والنقوس بطباعها متطاولا الى الغلب والرياسة فتطمع المشيخة الخلاء الجوع من السلطان والدولة القاهرة الى الاستبداد او ينفذ كل صاحبها ويستوصفون بالتباعد من الموالي والشيعة والاحلاف ويذلون ما في ايديهم للاوغاد والاشباب

ن يعطيه مالا او يصح جسمه وهو يعلم انه ان وهبه المال انفقته في المعاصي او وهبه الصحة صرف صحته الى المشي في الاثم فامنع ههنا موهبة من الله تعالى بخيلة وعن هذا قال العلماء منع الله تعالى عطا وقال قوم يمكن تقدير الاستثناء في اي لثمن شكر ثم لا يزيدكم الا ان تعصوا وافاعا قبكم بالحرم ان فاجعل ذلك كفارة لكم وهو اصل من ان اعا قبكم في الاخرة والناس لا يسمون من الذنوب ولو تهايان يسموا من الذنوب لدلت الزيادة قال الله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين وقال قوم الآية خاصة لا محالة اذ لو كانت على عمومها لوجب ان لا يموت من شكر على الحماة قال الشيخ قلت ان الله تعالى وعد الزيادة وقوله الحق وقد جعل الله العبادة علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر

فاذا راينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا انه قد اخل بالشكر الذي اخذ عليه امان لا يزيك فيه او يزيكه لغير اهله او يؤخره عن وقته او يمنع حقوا جاعليه فيه من كسوة عريان او اطعام جائع وشبهه فيدخل في قول النبي

صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانهم بترك أدب أو اخلال بحق أو
المسام بذنوب كما قال بعضهم أدنى الشكر أن لا تعصى الله بنعمه فان جوارحك كلها (٢٢٥) من نعم الله تعالى عليك فلا تنصه بها

ويحتمل أن يكون معنى
الآية أثنى شكرتم لا زيدتكم
أن شئنا لا ترى أنه قال
ومن كان ير يدحرج الدنيا
نوته منها وكثير من الخلق
ير يدحرج الدنيا ولا
يؤتونه فيكون التقدير
نوته منها لمن نشاء بدليل
قوله في الآية الأخرى

عجلناه فيها ما نشاء لمن نريد
وهكذا قوله تعالى ادعوني
أستجب لكم ثم إن كثيرا
من الناس يدعون فلا
يستجيب لهم ولما كن معنى
الآية أثنى شكرتم لا زيدتكم
شئت ولمن شئت بدليل
قوله تعالى فيكشف ما
تدعون إليه أن شاء وهذا
من باب حمل المطلق على
المقيد قال الجنيدي كنت بين
يدي السرى وأنا ابن سبع
سنين وبين يديه جماعة

يتكلمون في الشكر فقال
لي يا غلام ما الشكر فقلت
أن لا يعصى الله تعالى بنعمه
قال بوشك أن يكون حظك
من الله لسانك فلا أزال أبكي
على هذه الكلمة فان قيل
ما معنى قوله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وما تحصل من الأفعال في
الوجود يمكن احصاؤه قلنا
نعم الله تعالى على وجهين دفع
ومنع فالدفع يمكن احصاؤه
ودفع البلاء لا يمكن

فيعصو صب كل صاحب به ويتعين الغالب لبعضهم فيعطف على اكفائه ليقص من اعنتهم ويقتبضهم
بالقتل أو التغريب حتى يخضع منهم الشوكات النافذة ويقل الاظفار الحادشة ويستبد بمصره أجمع ويرى
انه قد استحدث ملكا يورثه عقبه فيحدث في ذلك الملك الا صغر ما يحدث في الملك الاعظم من عوارض
الحجة والمهرم وربما يسمو بعض هؤلاء الى منازع الملوك الاعظم اصحاب القبائل والعشائر والعصبيات
والزخوف والحرور والاقطار والامالك فينتحلون بهامن المجلس على السرير واتخاذ الالة واعداد
المواكب للسير في اقطار البلاد والتختم والحسبة والخطاب بالتعويل ما يخر من من يشاهد أحوالهم لما
انتحلوه من شارات الملك التي ليسوا بها باهل انما دفعهم الى ذلك تقاص الدولة والتحام بعض القربان
حتى صارت عصبة وقد يتبرز بعضهم عن ذلك ويجري على مذهب السذاجة فرارامن التعريض بنفسه
للسخرية والعبث وقد وقع هذا بافرقية هذا العهد في آخر الدولة الحفصية لاهل بلاد البحر يدمن
طراباس وقابس وتوزر ونقطة وقصة وبسكرة والزاب وما الى ذلك سمو الى مثلها عند تقاص ظل الدولة
عنهم من ذعقود من السنين فاستغلبوا على امصارهم واستبدوا بها على الدولة في الاحكام والجباية
وأعطوا طاعة معروفة وصفقة عمرضة وأقطعوها جانبان من الملاينة والملاطفة والانقياد وهم معزل عنه
وأورثوا ذلك اعقابهم هذا العهد وحدث في خلفهم من الغلظة والتجبر ما يحدث لاعقاب الملوك وخلفهم
ونظموا انفسهم في اعداد السلاطين على قرب عدهم بالسوق حتى محاذك مولانا امير المؤمنين أبو
العباس وانترع ما كان بأيديهم من ذلك كما نذكره في اخبار الدولة وقد كان مثل ذلك وقع في آخر الدولة
النهجانية واستقل بمصار الجريد أهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين
وملكهم عبد المؤمن بن علي ونقلهم كلهم من امارتهم بها الى المغرب ومحمد تلك البلاد آثارهم كما نذكر
في اخباره وكذا وقع بسبب لا آخر دولة بني عبد المؤمن وهذا التغلب يكون غالبا في اهل السروات
والبيوتات المرشحةين للمشيخة والرياسة في المصروف قد يحدث التغلب لبعض السفلة من الغوغاء والدمماء
واذا حصلت له العصبة والاتحام بالاوغاد لاسباب يحرمها له المدة دار في تغلب على المشيخة والعالية اذا
كانوا فاقدين للعصبة والله سبحانه وتعالى غالب على أمره

٢٢ (فصل في لغات اهل الامصار)

(اعلم) ان لغات اهل الامصار انما تكون بلسان الامة او الجمل الغالب بين علماء او المختطين لها ولذلك
كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية وان كان اللسان العربي المضرى
قد فسدت ملكته وتغير اعرابه والسبب في ذلك ما وقع للدولة الاسلامية من التغلب على الامم والدين والملة
صورة للوجود ولللك وكلها موادله والصورة مقدمة على الماسة والدين انما يستفاد من الشريعة وهي
بلسان العرب لسان النبي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من اللسان في
جميع ممالكها واعتبر ذلك في نهى عمر رضي الله عنه عن بطانة الاعاجم وقال انها خبء أي مكر وخديعة
فلما هجر الدين اللغات الأجنبية وكان لسان القائلين بالدولة الاسلامية العربية هجرت كلها في جميع
ممالكها لان الناس تبعوا لسلطان وعلى دينه فصارت ممالك اللسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة
العرب وهجر الامم لغاتهم والسننهم في جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ
ذلك لغة في جميع امصارهم ودينهم وصارت الالسنه العجمية دخيلة فيها واغربية ثم فسدت اللسان العربي
بمخالطتهم في بعض أحكامه وتغير أو اخره وان كان بقي في الدلالات على اصله وسمى لسانا حاضرا في جميع

(٢٩ - ابن خلدون) احصاؤها وما يدفع الله عنهم مما في مقدوره من ذلك وما يدفع تعالى عن العبد لا يحصى (فصل) ثم عدنا الى
أقوال العلماء والمحكماء في الشكر فقال بعض الحكماء موضع الشكر من النعمة موضع القرى من الضيفان وجده لم يرم وان عدمه

لم يقيم وأجعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد المودود صيد المفقة ودوقالوا مصيبة وجب
أجرها خير من نعمة لا يؤدي شكرها (٢٢٦) وقال بعض الحكماء من أعطى أربعمائة منع أربعمائة أعطى الشكر لم يمنع المازيد ومن

أعطى التوبة لم يمنع القبول
ومن أعطى الاستخارة لم يمنع
الحيرة ومن أعطى المشورة
لم يمنع الصواب وكان يقال
إذا رعت النعم بالشكر
فهى أطواق وإذا رعت
بالكفر فهى أغلال (قال
حبیب)

نعم إذا رعت بشكر لم تزل
نعم فان لم ترع فهى
مصائب

(و رعت) الحجاج الى الحسن
بمشرين ألف درهم فقال
الحمد لله الذى ذكرنى
(وقال) على بن ابي طالب
رضى الله عنه لا تكن
من يعجز عن شكر ما أوتى
ويبتغى الزيادة فيما بقى
ينهى ولا ينتهى ويأمر
الناس بما لا يأتى تحب
الصالحين ولا تعجل باعمالهم
وتبغض المسيئين وأنت
منهم تذكر الموت لكثرة
ذنوبك ولا تدعها فى طول
حياتك وقال المغيرة بن
شعبة اشكر من أنعم عليك
وأنعم على من شكرك فانه
لابقاء النعمة اذا كفرت
ولازوالها اذا شكرت
وان الشكر زيادة من النعم
وأمان من النقم (وكان)
الحسن يقول ابن آدم متى
تفك من شكر النعم وانت
مرت بها كلما شكرت نعمة

أمصار الاسلام وأيضا كثيرا من أهل الأمصار فى الملة لهذا العهد من أعقاب العرب المالكين لها المالكين
فى ترقيتها كثيرا والعجم الذين كانوا بها وورثوا أرضهم وديارهم واللغات متوارثة فبقيت لغة الأعقاب
على حيل لغة الآباء وان فسدت أحكامها بخالطة الأعجام شيئا فشيئا وسميت لغتهم حاضرة منسوبة الى
أهل الحواضر والأمصار بخلاف لغة البدو من العرب فانها كانت أعرق فى العروبة ولما تملك العجم
من الديلم والسجوقية بعدهم بالشرق وزياتة والبربر بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع
الممالك الاسلامية فسد اللسان العربى لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه من عنابة المسلمين بالكتاب والسنة
الذين بهم احفظ الدين وصار ذلك من بحال بقاء اللغة العربية المضربة من الشعر والكلام الا قليلا
بالامصار فلما ملك التتر والمغول بالشرق ولم يكونوا على دين الاسلام ذهب ذلك المربح وفسدت اللغة
العربية على الاطلاق ولم يبق لها رسم فى الممالك الاسلامية بالعراق وخراسان وبلاد فارس وارض
الهند والسند وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم وذهبت اساليب اللغة العربية من الشعر
والكلام الا قليلا يقع تعليمه صناعيا بالقوانين المتداولة من كلام العرب وحفظ كلامهم لمن يسهو الله
تعالى لذلك وربما بقيت اللغة العربية المضربة بمصر والشام والاندلس والمغرب لبقاء الدين طاب لها
فانحفظت بعض الشيء وأما فى ممالك العراق وما وراءه فلم يبق له اثر ولا عين حتى ان كتب العلوم صارت
تكتب باللسان العجمي وكذا تدريسه فى المدارس والله اعلم بالصواب

(الفصل الخامس من الكتاب الاول)

(فى المعاش ووجوه من الكسب والصنائع وما يعرض فى ذلك كله من الاحوال وفيه مسائل)

(فصل) فى حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية * اعلم ان
الانسان مفقور بالطبع الى ما يقوته وسمونه فى حالاته واطواره من اذن نشوه الى أشده الى كبره والله الغنى
وانتم الفقراء والله سبحانه خلق جميع ما فى العالم للانسان وامتن به عليه فى غير ما آتاه من كتابه فقال وسخر
لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وسخر لكم البحر وسخر لكم الفلك وسخر لكم الانعام وكثير من
شواهد ويد الانسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف وايدى البشر منشرة
فهى مشتركة فى ذلك وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الاستخلاف بالبعوض فالانسان متى اقتدر على نفسه
وتجاوز طوره والضعف سعى فى اقتنائه المكاسب لينفق ما آتاه الله منها فى تحصيل حاجاته وضرواته بدفع
الاعراض عنها قال الله تعالى فاتبعوا عند الله الرزق وقد يحصل له ذلك بغير سعى كالطائر المصلح للزراعة
وأمثاله الا انها انما تكون معينة ولا بد من سعيها كما يأتى فتكون له تلك المكاسب معاشا ان كانت
بقدر الضرورة والحاجة وربما شامت ولا ان زادت على ذلك ثم ان ذلك الحاصل أو المقتضى ان عادت
منفعته على العبد وحصلت له ثمرة من انفاقه فى مصالحه وحاجاته سعى ذلك رزقا قال صلى الله عليه وسلم
انما لك من مالك ما كنت فاقنت اولدت فاقنت أو تصدقت فامضيت وان لم ينفع به فى شيء من
مصلحته ولا حاجاته فلا يسمى بالنسبة الى المال رزقا والمالك منه حينئذ يسمى العبد وقدرته يسمى
كسبا وهذا مثل التراث فانه يسمى بالنسبة الى المال كسبا ولا يسمى رزقا لم يحصل به منفعة وبالنسبة
الى الوارثين متى انتفعوا به يسمى رزقا وهذا حقيقة مسمى الرزق عند أهل السنة وقد اشترط المعتزلة فى
تسميته رزقا ان يكون بحيث يصح تملكه وما لا يملك عندهم لا يسمى رزقا وانما جو الغصون والحرث
كله عن ان يسمى شيئا منها رزقا والله تعالى يرزق الغاصب والظالم والمؤمن والكافر ويختص برحمته

وهدايته

تجدد ذلك بالشكر أعظم منها عليك فانت لا تنفك بالشكر من نعمة الى ما هو أعظم منها وقال سفيان لما

جاء البشير الى يعقوب عليه السلام قال على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الحمد لله الا ان تمت النعمة (وروى) ان عثمان بن

عقار رضي الله عنه دعى الى قوم ليأخذهم على رية فافترقوا قبل ان يبلغهم فاعتق عثمان رقية شكر الله تعالى ان لا يكون جرت على يديه فضيحة رجل مسلم (و يروى) ان الحسن بن علي الترم الركن وقال الهى نعمتى (٢٢٧) فلم تجدى شاكرا وابليتتى فلم تجدى

صابرا فلا انت سلبت
النعمة بترك الشكر ولا
انت ادمت النعمة بترك
الصبر الهى ما يكون من
الكريم الا الكرم ولا من
الجافي الا الجفا وقال عون
ابن عبد الله الخبير الذى
لا شرف فيه الشكر مع العافية
والصبر عند المصيبة
(و يروى) ان غلة قالت
اسلمان بن داود عليه
السلام يا نبي الله انا على
قدرى أشكر الله منك وكان
راكباً على فرس ذلول
ففر عنه ساجداً شكر الله
ثم قال لولا انى ابحالك لاسألتك
ان تنزع منى ما اعطيتنى
(وقال صدقة بن يسار بينا
داود عليه السلام فى محرابه
اذمرت به دودة فتفكر فى
خلقها وقال ما يعيا الله
بخلق هذه فانطقها الله
تعالى فقالت له يا داود
تجيبك نفسك لا ناعلى
قدرى انا ناعلى الله اذكر الله
واشكر له منك فيما آتاك
(والمجود الوراق)
الهى لك الحمد الذى انت
أهله
على نعمة ما كنت منك
له أهلاً
متى ازددت تقصير اتردنى
تفضلاً
كانى بالتقصير أستوجب
الفضلاً

وهذا يتبعه من يشاء ولهم فى ذلك حجج ليس هذا موضع بسطها * ثم اعلم ان الكسب انما يكون بالسعى فى الاقتناء والقصد الى التحصيل فلا بد فى الرزق من سعى وعمل ولو فى تناولها وابتغاءها من وجوهه قال تعالى فابتغوا عند الله الرزق والسعي اليه انما يكون باقدار الله تعالى والهامة فالحل من عند الله فلا بد من الاعمال الانسانية فى كل مكسوب ومتمول لانه ان كان عملاً بنفسه مثل الصنائع فظاهر وان كان مقتني من الحيوان والنبات والمعدن فلا بد فيه من العمل الانسانى كما تراه والالم يحصل ولم يقع به انتفاع ثم ان الله تعالى خلق الحجر بين المعدنين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول وهما الذخيرة والقنية لاهل العالم فى الغالب وان اقتنى سواهما فى بعض الاحيان فانما هو لقصد تحصيلها بما يقع فى غيرهما من حوالة الاسواق التى هما عنهما معزل فهما اصل المكاسب والقنية والذخيرة * واذا تقرر هذا كله فاعلم ان ما يغنيه الانسان ويقتنيه من المتمولات ان كان من الصنائع فالمقادير المقتنى منه قيمة عماله وهو القصد بالقنية اذ ليس هناك الا العمل وليس بمقصود بنفسه للقنية وقد يكون مع الصنائع فى بعضها غير هام مثل التجارة والحياكة معهما الخشب والغزل الا ان العمل فيهما أكثر فقيمتها أكثر وان كان من غير الصنائع فلا بد فى قيمة ذلك المقادير والقنية من دخول قيمة العمل الذى حصلت به اذ لولا العمل لم تحصل قنيتها وقد تكون ملاحظة العمل ظاهرة فى الكثير منها فتجعل له حصصاً من القيمة عظمت أو صغرت وقد تخرج فى ملاحظة العمل كما فى أسعار الاقوات بين الناس فان اعتبار الاعمال والنفقات فيها ملاحظ فى أسعار الحبوب كما قدمناه لكنه خفى فى الاقطار التى علاج الفلح فيها وموته سيرة فلا يشعر به الا القليل من أهل الفلح فقد تبين ان المقادير والمكسبات كلها أو أكثرها انما هى قيم الاعمال الانسانية وتبين معنى الرزق وانه المنتفع به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرحه معاً ما اعلم انه اذا فقدت الاعمال او قلت بانتقاص العمل ان تأذن الله برفع الكسب ألا ترى الى الامصار القليلة الساكن كيف يقل الرزق والكسب فيها او يفقد لقلة الاعمال الانسانية وكذلك الامصار التى يكون عمرانها كثيراً يكون اهلها اوسع احوالاً واشدد رفاهية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب تقول العامة فى البالد اذا تناقص عمرانها انها قد ذهب رزقها حتى ان الانهار والعيون ينقطع جريانها فى القفر لما ان فور العيون انما يكون بالانبات والامراء الذى هو بالعمل الانسانى كالحال فى ضرور الانعام فالحال يمكن ان يلبس ولا يمتد ان تضمت وغارت بالجملة كما يحيف الضرع اذا ترك امتراؤه وانظره فى البالد انى تعهد فيها العيون لا يام عمرانها ثم يأتى عليها الخراب كيف تغور ماها جملة كأنها لم تكن والله يقدر الليل والنهار

٢ (فصل فى وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه) *

اعلم ان المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعى فى تحصيله وهو مقول من العيش كانه لما كان العيش الذى هو الحياة لا يحصل الا بهذه جماعات موضعا له على طريق المبالغة ثم ان تحصيل الرزق وكسبه اما ان يكون باخذ من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسمى مغرماً وجباية واما ان يكون من الحيوان والوحش باقتناصه واخذ بربيه من البر والبحر ويسمى اصطياداً واما ان يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المنصرفه بين الناس فى منافعهم كالابن من الانعام والحمر من دوده والعسل من نحله او يكون من النبات فى الزرع والشجر بالقيام عليه واعداه لاستخراج ثمرته ويسمى هذا كله فلحاً واما ان يكون الكسب من الاعمال الانسانية اما فى مواد معينة وتسمى الصنائع من كتابة وتجارة وخباطة وخبازة وفروسية وامثال ذلك او فى مواد غير معينة وهى جميع الامهانات والتصرفات واما ان

(وكان) لبعضهم صديق خفيته السلطان فارسى فقال له صاحبه اشكر الله تعالى فحضر الرجل فكتب اليه اشكر الله تعالى بحىء
لجوس مجوسى مبطون قيد فجعل حلقة فى رجله وحلقة فى رجل المجوسى يقوم بالليل مرات ويحتاج هذا الى أن يقوم معه ويقف على رأسه

حتى يفرغ فكتب الى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال الى متى تقول واى بلاء فوق هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذى فى وسطه فى وسطك كما وضع القيد الذى (٢٢٨) فى رجله فى ذلك ماذا كنت تصنع ولبعضهم من الرزية أن شكرى صامت *

عما فعلت وأن برئ ناطق
أرى الصنيعة منك
ثم أسرها
انى اذ انشدى الكريم
لسارق

(وقال) رجل لسهل بن
عبد الله ان اللص دخل
دارى واخذ متاعى فقال
اشكر الله تعالى لو دخل
الاص قلبك وهو الشيطان
فأخذ التوحيد ماذا كنت
تصنع (ولما) بشر ادريس
عليه السلام بالمعقرة سألت
المعقرة فقيل له فيه فقال

لا شكره فانى كنت أعمل
قبله للمعقرة فبسط الملك
جناحه فرفعه الى السماء
(ويروى) أن نبيامن
الانبياء عليهم السلام مر
بجحر صخر غير يخرج منه
الماء الكثير فتعجب منه
فانطقه الله تعالى فقال
منذ سمعت الله يقول
وقودها الناس والحجارة
فانا ابكى من خوفه فدعا
النبي عليه السلام ربه
أن يحبره من النار فأوحى
الله تعالى اليه انى أجرته
من النار فخر النبي عليه
السلام ثم عاد فوجد الحجر
يتفجر منه مثل ما كان
فتعجب فانطق الله تعالى
الحجر فقال له لم تبكى فقال
ذلك بكاء الحزن والخوف

يكون الكسب من البضائع واعداها للاعراض اما بالقلب بها فى البلاد واحتكارها وارتقاب حواله
الاسواق فيها ويسمى هذا التجارة فهذه وجوه المعاش واصنافه وهى معنى ما ذكره المحققون من اهل الادب
والحكمة كالحري وغيره فانهم قالوا المعاش اماره وتجارة وفلاحة وصناعة فاما الامارة فليست بذهب
طبيعى للمعاش فلا حاجة بنا الى ذكرها وقد تقدم شئ من احوال الجبايات السلطانية واهلها فى الفصل
الثانى واما الفلاحة والصناعة والتجارة فهى وجوه طبيعية للمعاش أما الفلاحة فهى مقدمة عليها كلها
بالذات اذ هى بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج الى نظر ولا علم ولهذا تنسب فى الخليفة الى آدم ابى البشر وانه
معلمها والقائم عليها اشارة الى انها قد دم وجوه المعاش وانسبها الى الطبيعة وأما الصناعة فهى ثانیها
ومتأخرة عنها لانها مركبة وعلمية تصرف فيها الافكار والنظار ولهذا لا توجد غالبا الا فى اهل الحضرة الذى
هو متأخر عن البدو وثان عنه ومن هذا المعنى نسبت الى ادريس الاب الثانى للخليفة فانه مستنبطها لمن
بعده من البشر بالوحى من الله تعالى وأما التجارة وان كانت طبيعية فى الكسب فالأكثر من طرقها
ومذاهبها انما هى تحيلات فى الحصول على ما بين القمطين فى الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب من تلك
القضلة ولذلك اباح الشرع فيه المكاسب لسانه من باب المقامرة لانه ليس أخذ المال الغير مجنونا فلماذا
اختص بالمشرعية

٣ * (فصل فى ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعى) *

اعلم ان السلطان لا بد له من اتخاذ الخدمه فى سائر ابواب الامارة والمالك الذى هو بسبيله من الجنة دى
والشرطى والكاتب ويستكفى فى كل باب بمن يعلم غناؤه فيه ويتكفل بآزاقهم من بيت ماله وهذا كله
مندرج فى الامارة ومعاشها اذ كلهم ينسحب عليهم حكم الامارة والمالك الاعظم هو ينبوع جداولهم وأما
مادون ذلك من الخدمه فسيما ان أكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته أو يكون عاجزا عنها لما رى
عليه من خلق التمتع والترفع فيتعذر من يتولى ذلك له ويقطعه عليه أجرا من ماله وهذه الحالة غير محمودة
بحسب الرجولية الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل أحد عجز ولا نها تزد فى الوظائف والمخرج وتدل على العجز
والمحتث للذين ينبغى فى مذاهب الرجولية التزعم عنهم الا ان العوائد تقابل طباع الانسان الى ما لو فها
فهو ابن عوائده لا ابن نسبه ومع ذلك فالخدمه الذى يستكفى به ويوثق بغناؤه كالمفقه واذ الخديم القائم
بذلك لا يعد واربع حالات اما مضايع باعده وموثوق فيما يحصل بيده واما بالاكس فيهم ما هو ان يكون
غير مضطجع باعده ولا موثوق فيما يحصل بيده واما بالاكس فى احدهما فقط مثل أن يكون مضطجعاً غير
موثوقاً أو موثوقاً غير مضطجعاً فالاول وهو المضطجع الموثوق فلا يمكن أحد استعماله بوجه اذ هو
باضطلاعه وثقته غنى عن أهل الرتب الدنياوية ومحتقر لمثال الاجر من الخدمة لاقتداره على أكثر من ذلك
فلا يستعمله الا الامراء اهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه واما الصنف الثانى وهو من ليس
بمضطجع ولا موثوق فلا ينبغى لعاقل استعماله لانه يحجب بمخدومه فى الامر من معافضيع عليه لعدم
الاصطناع تارة ويذهب ماله بالحياة اخرى فهو على كل حال كل على مولاه فهذان الصنفان لا يطمع أحد
فى استعمالهما ولم يبق الاستعمال الصنفين الا "خبر" موثوق غير مضطجع ومضطجع غير موثوق وللناس
فى الترجيح بينهما مذهبان ولكل من الترجحين وجه الا ان المضطجع ولو كان غير موثوق أرجح لانه يؤمن
من تضيقه ويحاول على التحرز من خيائنه جهداً لا استطاعة وأما المضيق ولو كان مأموفاً فضرره بالتضيق
أكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذ قانونا فى الاستكفاء بالخدمة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

فصل

وهذا بكاء الشكر والسرور وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ارحم عبادى المبتهلى

والمعافى فقال الهى ما بال المعافى فقال لقله شكرهم على عافيتى اياهم وبالرجل اعرايا بلاء حسنا فقال لا ابلالك الله بلاء يعجز عنه صبرك

وانعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك (واشكركم بعضهم) سأشكر لاني أجازيك منعما ■ بشكري ولكن كي يرى ذلك الشكر
واذكر يا مالمدي اصطفتها ■ وأخر ما يبقى على الشكر الذكر * (واشكروا) * (٢٢٩) أوليتي نعماً أبوح بشكرها *

وكفيتي كل الأمور بأسرها

فلاشكرنك ما حبيت

وان أمت

فلاشكرنك أعظمي في قبرها

(وبعض الأعراب)

الهي قد أحسنت عودا

وبدأة

الى فلم ينهض باحسانك

الشكر

فمن كان ذاع ذرلديك ووجهة

فعدري اقراري بأن ليس

لي عذر

(وكان) مطرف يقول

الهي منك تكون النعمة

وعليك تمامها وانت

تعين على شكرها وعليك

ثوابها وهذا باب عظيم من

الزعم على العباد وقد أثبتني

الله على بعض عباده فقال

انه كان عبداً لكورا

(وقال) تعالى شاكر الانعمة

اجتنابه وكذلك ساثر ما أثبتني

الله تعالى به على عباده ثم

قال فمن شكر فأنما يشكر

لنفسه ومن تركي فأنما

يترك لنفسه ان أحسنتم

أحسنتم لانفسكم ليس للرب

تعالى فيها الا قليل ولا كثير

فانه أجل من أن ينال

المخطوط وأجل من أن

يلحقه ثناء من أو شكر

شاكر فاحذر ان العلو

والجلال له دونهم وانه

يتقدس عن الناس ثناء

٤ * (فصل في ان ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بعاش طبعي) *

اعلم ان كثير من ضغفاء العقول في الامصار يحرصون على استخراج الاموال من تحت الارض ويتغنون
الكسب من ذلك ويعتقدون ان اموال الامم السالفة مخزنة كلها تحت الارض محتوم عليها كلها
بطلانهم يحرجون لا ينفذ ختامها ذلك الامن عثر على علمه واستحضر ما يحمله من الخور والدعا والقربان
فاهل الامصار بافر بركة يرون ان الافرنجة الذين كانوا قبل الاسلام يهاذبوا اموالهم كذلك وأودعوا في
الحف بالحف الكباب الى ان يجدوا السبيل الى استخراجها واهل الامصار بالشرق يرون مثل ذلك في اعم القبط
والروم والفرس ويتناقلون في ذلك احاديث تشبه حديث خرافة من انتاب بعض الطالبين لذلك الى حفر
موضع المال لم يعرف طلسمه ولا خبره فيجدونه خاليا ومهورا باليدان او يشاهد الاموال والجواهر
موضوعة والحرس دونها متضيق سيفهم او يمد به الارض حتى يظنه خسفاً أو مثل ذلك من الهدر ونجد
كثيرا من طلبة البر بالمرغوب العاجزين عن المعاش الطبعي واسبابه يتقربون الى اهل الدنيا بالاوراق
المنخرمة الحواشي اما بخطوط عجمية او بما ترجم برعهم منها من خطوط اهل الدفائن باعطاء الامارات
عليها في اما كنها يتغنون بذلك الرزق منهم بما يعثرونهم على الحفر والطلب ويموهون عليهم بانهم انما جعلهم
على الاستعانة بهم طالب الجاه في مثل هذا من مثال الحكام والعقوبات وربما تكون عند بعضهم نادرة
او غريبة من الاعمال السحرية فيؤيدها على تصديق ما بقي من دعواه وهو بمنزل عن السحر وطرقه فتولع
كثير من ضغفاء العقول بجمع الايدي على الاحتقار والتسترف في ظلمات الليل مخافة الرقباء وعيون اهل
الدول فاذا لم يعثر وا على شيء رددوا ذلك الى الجهل بالطلسم الذي ختم به على ذلك المال يخادعون به انفسهم
عن اخفاق طامعهم والذي يحمل على ذلك في الغالب زيادة على ضعف العقل انما هو الجهل زعم طالب
المعاش بالوجوه الطبيعية للكسب من التجارة والفخ والصناعة فيطالبونه بالوجوه المنخرقة وعلى غير الجحري
الطبعي من هذا وامثاله عجزا عن السعي في الكسب وركونا الى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب
في تحصيله ولا كسابه ولا يعلمون انهم يوقعون انفسهم بابتغاء ذلك من غير وجهه في نصب ومتاعب
وجهد شديد من الاول ويعرضون انفسهم مع ذلك لثال العقوبات وربما يحمل على ذلك في الاكثر
زيادة الترف وعوائده وخر وجهه عن حد النهاية حتى يقصر عنها وجوه الكسب ومذاهبه ولا يفي بما لها
فاذا عجز عن الكسب بالجحري الطبعي لم يجد وليجة في نفسه الا التمس لوجود المال العظيم دفعة من غير
كلفة ليني له ذلك بالعوائد التي حصل في اسرها فيحرص على ابتغاء ذلك ويسعى فيه جهده ولهذا فاكثروا
تراهم يحرصون على ذلك هم المترفون من اهل الدولة ومن سكان الامصار الكثرة الترف المنسعة
الاحوال مثل مصر وما في معناها فتجد الكثير منهم مغرمين بابتغاء ذلك وتخصيله ومساءلة الركب ان عن
شواذه كما يحرصون على الكيمياء كذا بلغني عن اهل مصر في مقاضاة من يلقونه من طلبة المغاربة لعلمهم
يعثرون منه على دفين أو كنز يزيدون على ذلك البحث عن تغوير المياه لما يرون ان غالب هذه
الاموال الدفينة كلها في مجارى النيل وانه أعظم ما يستدقنا ونحن نترافى تلك الافاق ويعود عليهم
اصحاب تلك الدفاتر المقتولة في الاعتذار عن الوصول اليها بحجة التلب تستر بذلك من الكذب حتى يحصل
على معاشه فيحرص سامع ذلك منهم على نضوب المساع بالاعمال السحرية لتخصيل مبتغاه من هذه كلفا
بشأن السحر متوارثا في ذلك القطر عن اوليه فعلموهم السحرية وآثارها باقية بارضهم في البراري وغيرها
وقصة سحرية ارفعون شاهدة باختصاصهم بذلك وقد تناقل اهل المغرب قصصا يندبونونها الى حكماء

من او كفر كافر قال الله تعالى يدعوكم ليعفركم فواغبا اعطى ثم اثني وقال على رضى الله عنه كفر النعمة داعية المقت ومن جازك
بالشكر فقد اعطاك اكثر مما أخذ منك وحقيق بمن أسديت اليه نعمة او قضيت له حاجة ان يكافئ فان لم يقدر فليشكر فان شكره فقد

أدى حقها (قال الشاعر) فلو كان يستغنى عن الشكر ما جد رفعة حال أو علو مكان لما أمر الرجن بالشكر خلقه * فقال اشكروني أيها الثقلان * (وقال البستي) * (٢٣٠) لئن عجزت عن شكر برك قوتي * وأقوى الوري عن شكر برك عاجز

فان ثنائي واعتقادي وطاعتي لا فلاك ما أوليته مراكز وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي وقفت علينا امرأة فقالت يا قوم تغير علينا الدهر اذ قل منا الشكر وفارقنا الغنى وحالفنا الفقر فرحم الله امرأتهم بعقل واعطى من فضل وواسى من كفاف واعان على عفاف (وانشدوا) فلو كان للشكر شخص يمين اذا ما تأمله الناظر لآلمته لآلى حتى تراه

فتعلم انى امرؤ شاكر ولا يكتنه ساكن في الضمير يحركه الكلم السائر (وقيل) لكسرى ما الشكر فقال المكافاة على قدر الطاعة قل فما لك كفر قال ترك التجزأولو بالثناء قيل وهل يكون أحد أبخل من يخجل بالثناء قال نعم من عادى على الصنعة (الباب الخامس والثلاثون) في بيان السيرة التي يصلح عليها الأمير والأمور ويستريح اليها الرئيس والمرؤس مستخرجة من القرآن العظيم) قال الله تعالى ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحه الا ام امتثالكم

المشرق تعطى فيها كقيمة العمل بالتقوير بصناعة سحرية حسب ما تراه فيها وهي هذه يا طالب السرفى التقوير * اسمع كلام الصدق من خبير دع عنك ما قد صنعوا في كتبهم * من قول بهتان ولفظ غرور واسمع لصدق مقالتى ونصيحتي * ان كنت ممن لا يرى بالزور فاذا أردت تغرور بالثرالى * حارت لها الاوهام في التدبير صور كصور تلك التى أوقفها * والرأس رأس السبل في التقوير ويدها ما سكن للجبل الذى * فى الدلو ينشل من قرار البير وبصدره ماء كما عاينتها * عدد الطلاق احذر من التكرير ويطأ على الطأت غير ملاس * مشى اللبيب الكيس التحير ويكون حول السكل خطائر * تربيعه أولى من التكرير واذبح عليه الطير والظعنه * واقصده عقب الذبح بالتخير بالسندروس وباللبان ومبعة * والقسط والبسه بنوب حرير من احمر أو اصفر لا زرق * لا اخضر فيه ولا تكدير يشده خيطان صوف أبيض * او احمر من خالص التخمير والطالع الاسد الذى قد بينوا * ويكون بده الشهر غير منير والبدن متصل بسعد عطار * فى يوم سبت ساعة التدبير

يعنى ان تكون الطأت بين قدميه كأنه يمشى عليها وعندى ان هذه القصيدة من تمويهات المتخرفين فلهم فى ذلك أحوال غريبة واصطلاحات عجبية وتتمشى التفرقة والكذب بهم الى أن يسكنوا المنازل المشهورة والدور المعروفة لئلا يفتخروا بحفروهم ويضعون المطابق فيها والشواهد التى يكتبونها فى صحائف كذبهم ثم يقصدون ضغائن العقول بامثال هذه الصحائف ويؤمنون على اكتر ذلك المنزل وسكناه ويؤمنون أن به دفيناً من المال لا يعرفون كثرته ويطالبون بالمال لاشترائه العقاقير والبغورات لمحل الطلاسم ويعدون بظهور الشواهد التى قد أعدوها هنا لك بانفسهم ومن فعلهم فينبعث لما يراه من ذلك وهو قد خدع ولبس عليه من حيث لا يشعر وبينهم فى ذلك اصطلاح فى كلامهم يلبسون به عليهم ليخفى عند محاورتهم فيما يتلونه من حفر وخبور وذبح حيوان وامثال ذلك وامال الكلام فى ذلك على الحقيقة فلا اصل له فى علم ولا خبر واعلم أن الكنوز وان كانت توجد لك فى حكم النادر على وجه الاتفاق لا على وجه القصد اليها وليس ذلك باثر تم به البلوى حتى يدخر الناس أموالهم تحت الارض ويحتفون عليهم بالاطلاسم لافى القديم ولا فى الحديث والركاز الذى ورد فى الحديث وفرضه الفقهاء وهو دفين الجاهلية انما يوجد بالعتور والاتفاق لا بالقصد والطلب وايضا فى اختزان ماله وختم عليه بالاعمال السخيرة فقد بالغ فى اخفائه فكيف ينصب عليه الادلة والامارات لمن يدعيه يكتب ذلك فى الصحائف حتى يطلع على ذخيره اهل الاعصار والا فاق هذا يناقض قصد الاخفاء وايضا فافعال العقلاء لا بد وأن تكون لغرض مقصود فى الانتفاع ومن اختزن المال فانه يختزنه لولده او قريبه أو من يؤثره واما ان يقصد اخفائه بالكلية عن كل أحد وانما هو للبلال او الهلاك او لمن لا يعرفه بالكلية عن سيأتى من الامم فهذا ليس من مقاصد العقلاء بوجه * وأما قولهم اين اموال الامم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور فاعلم أن الاموال من الذهب

فأثبت الله تعالى الممثلة بيننا وبين سائر البهائم ومعلوم انهم لا يمتثلون فى خلقنا واشكالنا وسائر ما تدركه والفضة العيون منهم ومنافقتى الممثلة فى الاخلاق فلا أحد من الخلق الا وفيه خلق من أخلاق البهائم ولهذا تجد أخلاق الخلق فى مختلفات فاذا

رأيت من الانسان خلقا خارجا عن الاعتدال فابصر ما يماثل ذلك الخلق من خلق سائر الحيوان فالحق به وعامله كما كنت تعامله فحينئذ تستريح من منازعتهم ويستريحون منك وتدوم المحبة فاذا رأينا الرجل الجاهل في خلافته (٢٣١) الغليظ في طباعه القوي في بدنه

والفضة والجواهر والامتنعة انما هي معادن ومكاسب مثل الحديد والنحاس والرصاص وسائر العقارات والمعادن والعمران يظهرها بالاعمال الانسانية ويزيد فيها او ينقصها وما يوجد منها بايدي الناس فهو متناقل متوارث وربما انتقل من قطر الى قطر ومن دولة الى اخرى بحسب اغراضه والعمران الذي يستدعي له فان نقص المال في المغرب وافر بقبية فلم ينقص بيلاذ الصقابة والا فرنجوان نقص في مصر والشام فلم ينقص في الهند والصين وانما هي الالات والمكاسب والعمران يوفرها وينقصها مع أن المعادن يذكرها البلاء كما يذكر سائر الموجودات ويسرع الى اللؤلؤ والجوهر اعظم مما يسرع الى غيره وكذا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير ينالها من البلاء والفناء ما يذهب باعبانها لا قرب وقت واما ما وقع في مصر من أمر المطالب والكنوز ففسدها من مصر في ملكة القبط منذ آلاف او يزيد من السنين وكان موتاهم يدفعون بموجودهم من الذهب والفضة والجوهر والالات على مذهب من تقدم من اهل الدول فلما انتقضت دولة القبط وملك الفرس بلادهم نقر واعلى ذلك في قبورهم وكشفوا عنه فأخذوا من قبورهم ما لا يوصف كالا هرام من قبور الملوك وغيرها وكذا فعل اليونانيون من بعدهم وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد ويكثر على الدفن فيها في كثير من الاوقات اما ما يدفنونه من أموالهم او ما يكرمونه بموتاهم في الدفن من أوعية وتوابيت من الذهب والفضة معدة لذلك فصارت قبور القبط منذ آلاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها فالدلك عنى اهل مصر بالبحث عن المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها حتى انهم ضربت المكوس على الاصناف آخر الدولة ضربت على اهل المطالب وصدرت ضريبة على من يشتغل بذلك من المحقق والمهوسين فوجد بذلك المتعاطون من اهل الاطماع الذريعة الى الكشف عنه والذرع باستخراجه وما حصروا الا على الحجة في جميع مساعيهم نعوذ بالله من الخسران فيحتاج من وقع له شيء من هذا الوسواس وابتلى به ان يتعوذ بالله من العجز والكسل في طلب معاشه كما تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينصرف عن طرق الشيطان ووسواسه ولا يشغل نفسه بالمخالات والمكاذيب من المحاكيات والله يرزق من يشاء بغير حساب

(فصل في أن الجاه مفيد للآل)

وذلك اننا نجد صاحب المال والمخطوطة في جميع اصناف المعاش أكثر يسارا وثروة من فاقد الجاه والسبب في ذلك ان صاحب الجاه مخدوم بالاعمال يقترب بها اليه في سبيل التراف والمجاجة الى جاهه فالتناس معينون له باعمالهم في جميع حاجاته من ضروري او حاجي او كمال فيحصل قيم تلك الاعمال كلها من كسبه وجميع ما شأنه أن تبدل فيه الا عواض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض فتوفر قيم تلك الاعمال عليه فهو بين قيم الاعمال يكسبها وقيم اخرى تدعوه الضرورة الى اخراجها فتوفر عليه والاعمال لصاحب الجاه كثيرة فتقيد الغنى لا قرب وقت ويزداد مع الايام يسارا وثروة ولهذا المعنى كانت الامارة احد اسباب المعاش كما قدمناه وفاقدا الجاه بالكلية ولو كان صاحب مال فلا يكون يساره الا بقدر ماله وعلى نسبة سعيه وهو لا يملك أكثر التجار ولهذا تجد اهل الجاه منهم يكونون ايسر بكثير وعملا يشهد لذلك اننا نجد كثيرا من الفقهاء واهل الدين والعبادة اذا شتهر بحسن الظن بهم واعتقد الجاهور معاملتهم الله في ارفادهم فأخلص الناس في اعانتهم على احوال دنياهم والاعمال في مصالحهم اسرعت اليهم الثروة واصبحوا مياسير من غير مال مقتني الا ما يحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم رأيا من ذلك اعدادا في الامصار والمدن وفي البدو يسعى لهم الناس في الفلح والتجر وكل قاعد بمنزله لا يبيع

يطالب عثرات الناس وسقطاتهم فثله في الاكديمين كمثل الذباب في عالم الطير فان الذباب يقع على الجسد فيتحامى صحيحه ويطلب المواضع الثقلة منه وذوات المادة والدم والنجاسة واذا بلغت بساطان يهجم على الاموال والارواح فالحق به عالم الاسود وخذ حذرک منه كما تأخذ حذرک

من الاسد وليس الا لله رب منه كما قال النابغة ■ ولا قرار على زار من الاسد ■ واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان والمناخرة فالحمقة
بعالم الثعالب واذا بليت بمن يمشى (٢٣٢) بالتمائم ويرقى بين الاحبة فالحمقة بعالم الظربان وهي دابة صغيرة تقول العرب عند

من مكانه فينمو ماله ■ يعظم كسبه ويتأمل الغنى من غير سعي ويعجب من لا يقطن لهذا السر في حال ثروته
واسباب غناه ويساره والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب

٦ * (فصل في أن السعادة والكسب إنما يحصل غالباً لأهل الخسوع

والتخلق وان هذا الخلق من أسباب السعادة) *

قد سألنا فيما سبق ان الكسب الذي يستقيده البشر إنما هو قيم أعمالهم ولو قدر أحد عطل عن العمل
جملة لمكان فاقداً للكسب بالكلية وعلى قدر عمله وشرفه بين الأعمال ووحاجة الناس اليه يكون قدر قيمته
وعلى نسبة ذلك نمو كسبه أو نقصانه وقد بينا آنفاً أن الجاه يفيد المال لما يحصل لصاحبه من تقرب الناس
اليه بأعمالهم وأموالهم في دفع المضار وجلب المنافع وكان ما يتقربون به من عمل أو مال أو ضاعف
يحصلون عليه بسبب الجاه من الأغراض في صالح أو طالح وتصير تلك الأعمال في كسبه وقيمها أموال
و ثروته فيستفيد الغنى والبسار لا قرب وقت ثم ان الجاه متوزع في الناس ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة
ينتهي في العلوى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية وفي السفلى الى من لا يملك ضراً ولا نفعاً بين أبناء جنسه
■ بين ذلك طبقات متعددة حكمة الله في خلقه بما ينظم معاشهم ويتيسر مصالحهم - هو يتم بقاؤهم لان
النوع الانساني لا يتم وجوده الا بالتعاون وأنه وان ندركه - كذلك في صورة مفروضة لا يصح بقاؤه ثم ان
هذا التعاون لا يحصل الا بالاعمال كراه عليه لجهلهم في الاكثر بمصالح النوع ولما جعل لهم من الاختيار وان
افعالهم إنما تصدر بالفكر والروية لا بالطبع وقد يتبع من المعاونة فيتعين جملة عليها فلا بد من حامل يكره
ابناء النوع على مصالحهم لتمام الحكمة الالهية في بقاء هذا النوع وهذا معنى قوله تعالى ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخيراً ودرجة رتبة خير مما يحكمون فقد تبين ان الجاه هو القوة
الحاملة للبشر على التصرف فيمن تحت أيديهم - من أبناء جنسه - هم بالاذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة
ليحكمهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل باحكام الشرائع والسياسة وعلى اغراضه فيما سوى
ذلك ولكن الاول مقصود في العناية الربانية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر النعم والداخلية في
القضاء الالهى لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسير من اجل المواد فلا يقوت الخير بذلك
بل يقع على ما ينطوى عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخليفة فتعهم ثم ان كل طبقة من
طباق اهل العمران من مدينة او اقليم لها قدرة على من دونها من الطباق وكل واحد من الطبقة السعوى
يستمد بذى الجاه من اهل الطبقة التي فوقه ويزداد كسبه تصرفا فيمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه
والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب المعاش ويتسع وينضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه
صاحبه فان كان الجاه متسعاً كان الكسب الناشئ عنه كذلك وان كان ضيقاً قلل الاثله وفاقداً الجاه وان
كان له مال فلا يكون يساره الا بمقدار عمله أو ماله ونسبة سعيه ذاهباً أو يما في تنميته كما كثر التجار واهل
الفلاحة في الغالب واهل الصنائع كذلك اذا فقدوا الجاه واقتصروا على فوائده صناعتهم فانهم يصيرون الى
الفقر والخصاصة في الاكثر ولا تسرع اليهم ثروته وانما يرمقون العيش ترميقاً ويدافعون ضرورة الفقر
مدافعة واذا تقرر ذلك وان الجاه متفرغ وان السعادة والخير مقترنان بحصوله علمت أن بذله وافادته من
اعظم النعم واجلها وان باذله من اجل المنعمين وانما يسبغ بذله لمن تحت يديه فيكون بذله نفعاً عالياً وقوة
فيحتاج طالبه ومبتغيه الى خضوع وتمام كما يسأل اهل العز والملوك والاقية مذكر حصوله فلذلك قلنا ان
الخسوع والتخلق من أسباب حصول هذا الجاه المحصل للسعادة والكسب وان اكثر اهل الثروة والسعادة

تفرق الجماعة فسا بينهم
ظربان فتفرقوا وخاصة
هذه الدوية اذا حصلت
وسط جماعة أن يتفرقوا
وكما ان الجماعة اذا قبلت
نحوهم هذه الدابة طردوها
ومنعوها الدخول بينهم
كذلك ينبغي اخراج النعم
من بين الجماعة فان لم
يقبلوا يوشك ان يفرق
ما بينهم ويقتصد قلوب
بعضهم على بعض واذا
رايت انسانا لا يسمع العلم
والحكمة وينفر من مجالس
العلماء والمحكماء يالف
سماع اخبار اهل الدنيا
وسائر الخرافات وما يجرى
في مجالس العوام فالحمقة
بعالم الخنافس فانه يجبه
أكل العذرات ويالف
روائح التبخانات ولا تراه
الا ملابسا للاخيلية
والمراحيض وينفر من
روائح المسك والورد واذا
طرح عليه المسك والورد
مات واذا رايت انسانا انما
دأبه حفظ الدنيا لا يستحي
في الوثوب عليها فالحمقة
بعالم الاحادية بان تنحى
رجل عنه واذا بليت
بالرجل تظهر عليه الديانة
والسكينة وقد نصب
أشراكه لا تقتناص الدنيا
وأكل ام - والودائع

والامانات والارامل واليتامى فالحمقة بعالم الذئاب وهو كما قال فيه القائل ذئب تراه مصليا ■ فاذا مرت به ركع بهذا
يدعو وجل دعائه * ماله قريسة لا تقع عجل بها اذا العلاء * ان القواد قد اصدع اجتر منه كما تجتر من الذئب واذا بليت بحجة

انسان كذاب فاعلم ان الانسان الكذاب كالميت في الحسم لانه لا يقبل له خبر كما لا خبر للميت وكما لا تعجب الموتى لا تعجب الكذاب (وقيل)
في المثل كل شيء شيء وصحبة الكذاب لا شيء ويجوز ان يلحق به العالم النعام فانه يدفن جميعه بيضه (٢٣٣) تحت الرمل ثم يترك واحدة على

وجه الرمل وأخرى تحت
طاقة من الرمل وسائر
بيضه في قعر الحفرة فإذا
رآه الغر يأخذ تلك البيضة
وينصرف أو يكشف عن
وجه الرمل فيجد الأخرى
فيظن انه ليس ثم شيء آخر
والخبير بحالة النعام اذا
رأى البيضة لا يزال يحفر
حتى يصل الى حاجته
ولا يغتر بتلك البيضة
كذلك الكذاب اذا سمعت
منه خبر لا تصدقه حتى تبلغ
الغاية في الكشف عنه
واذا رايت الرجل انما
دأبه أن يصنع نفسه كما تصنع
العروس لبعها يبيض
ثيابه ويعدل عمامته
ويبقى ان يمسسه شيء غيره
وينظر في عطفه وي طرح
القذى عن ثوبه ليس له
همة بين الجمساء الا نظره
الى نفسه واصلاح ما انتهى
من ثيابه فالحق به عالم
الطواويس الذي هذه
هفته فانه يتجتر في مشيته
وينظر الى نفسه ويفرش
ذنبه فيتمخذه الملوك استحضانا
له واذا بليت بانسان حقوق
لا ينسى الحقوق ويجازي
بعد المدة على السقطات
فالحق به عالم الجبال والعرب
تقول فلان أحقد من جبل
وتجنب قرب الجبل المحقود

بهذا التعلق وهذا الخد الكبير من يتخلق بالترفع والشتم لا يحصل لهم غرض الجاه فيقتصرون في التكسب
على اعمالهم ويصرون الى الفقر والخصاصة * واعلم ان هذا الكبر والترفع من الاخلاق المذمومة
انما يحصل من توهم الكمال وان الناس يحتاجون الى بضاعتهم من علم أو صناعة يتوهم ان الناس يحتاجون
الى كاتب الجيد في كتابته او الشاعر البليغ في شعره وكل محسن في صناعته يتوهم ان الناس يحتاجون
الى ما يبدعه فيحدث له ترفع عليهم بذلك وكذا يتوهم أهل الانساب ان كان في آباءه ملك او عالم مشهور او كامل
في طوره يعبرون بما رآوه او سمعوه من حال آباءهم في المدينة ويتوهمون انهم استحقوا مثل ذلك بقرايتهم
اليهم وورايتهم عنهم فهم مستكبرون في الخضر بالامر المعوم وكذلك أهل الحيلة والبصر والتجارب
بالامور قديتوهم بعضهم كمالا في نفسه بذلك واحتياجا اليه وتجاهلوا لاصناف كلهم مترفعين
لا يخضعون لاحد احب الجاه ولا يمتدقون لمن هو اعلى منهم ويستصغرون من سواهم لاعتقادهم الفضل
على الناس فيستكبرون كنف أحدهم عن الخضوع ولو كان للملك ويعدونه مذلة وهو انما وسفهاو يحاسب الناس
في معاملتهم اياه بمقدار ما يتوهم في نفسه ويحقد على من قصر له في شيء عما يتوهمه من ذلك وربما يدخل
على نفسه الهوم والاحزان من تصغيرهم فيه ويستمر في عناء عظيم من ايجاب الحق لنفسه او اباية الناس
له من ذلك ويحصل له المقت من الناس لما في طباع البشر من التآله وقل ان يسلم احدهم لآخر في
الكمال والترفع عليه الا ان يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة وهذا كله في ضمن الجاه فاذا
قد صاحب هذا الخلق الجاه وهو مقفوله كاتين لك مقته الناس بهذا الترفع ولم يحصل له حظ من
احسانهم وقد الجاه لذلك من أهل الطبقة التي هي اعلى منه لاجل المقت وما يحصل له بذلك من القعود
عن تعاهدهم وغشيان منازلهم ففسد معاشه وبقي في خصاصة وفقر أو فوق ذلك بقليل وأما الثروة فلا
تحصل له أصلا ومن هذا اشتهر بين الناس ان الكمال في المعرفة محروم من الحظ وانه قد حوسب بما
زرق من المعرفة واقتطع له ذلك من الحظ وهذا معناه ومن خلق شيء يسره والله المقدر لارب سواه ولقد يقع
في الدول اضطراب في المراتب من أهل هذا الخلق ويرتفع فيها كثير من السفلة وينزل كثير من العلية بسبب
ذلك وذلك ان الدول اذا بلغت نهايتها من التغلب والاستيلاء انقرد منها منيت الملك بملكهم وسلاطنتهم
ويش من سواهم من ذلك وانما صار وفي مراتب دون مرتبة الملك وتحت يد السلطان وكانهم خول له
فاذا استمرت الدولة وشجع الملك تساوى حينئذ في المنزلة عند السلطان كل من انتهى الى خدمته وتقرّب
اليه بنصيحة واصطغته السلطان لغناؤه في كثير من مهماته فتجد كثير من السوقة يسعى في التقرب من
السلطان بحجده ونصح ويتراف اليه بوجوه خدمته ويستعين على ذلك بعظيم من الخضوع والتخلق له
والحاشية وأهل نسب به حتى يرتفع قدمه معهم وينظمه السلطان في جلته فيحصل له بذلك حظ عظيم من
السعادة وينظم في عدد أهل الدولة وناشئة الدولة حينئذ من أبناء قومها الذين ذلوا واضعائهم ومهدوا
أكنافهم مغترون بما كان لا بائهم في ذلك من الاثار لم تسمح به نفوسهم على السلطان ويعتدون
بآثاره ويجبرون في مضمار الدولة بسببه فيقتحم السلطان لذلك ويباعدهم ويميل الى هؤلاء
المصطنعين الذين لا يعتدون بقديم ولا يذهبون الى دالة ولا ترفع انما دأبهم الخضوع له والتخلق والاعمال
في غرضه متى ذهب اليه فتسحق جاههم وتعلم منازلهم وتنصرف اليهم الوجوه والخواطير بما يحصل لهم
من قبل السلطان والمكانة عنده ويبقى ناشئة الدولة فيما هم فيه من الترفع والاعتداد بالقديم لا يزيدهم
ذلك الا بعد امان السلطان ومقتوا واثار هؤلاء المصطنعين عليهم الى أن تنقرض الدولة وهذا امر طبيعي

(٣٠ - ابن خلدون)
فاجتنب صحبة الرجل الحق ودواذ بليت بانسان منافق يظن خلاف ما يظهر فالحق به
بالم البر بوع فان البر بوع وهو فأر يكون في البرية يتخذ حجرا تحت الارض يقال له النافقة اوله فوهتان يدخل من احدهما ويخرج

من الاخرى ومنه اشتق اسم المنافق فاذا هم احديا خذ منه دخل حجره وخرج من الباب الاخر فيخفر الصبياد خلفه فلا يظهر شي كذلک حال المنافق لا يصح منه شيء (٢٣٤) وعلى هذا النمط كن في صحبة الناس تستريح منهم وترى بهم منك فاعلم ان الله ما استقامت لي

في الدولة ومنه جاء شأن المصطنعين في الغالب والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق لارب سواه

٧ (فصل في ان القاتنين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة

والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب) *

والسبب لذلك ان الكسب كما قدمناه قيمة الاعمال وانها متفاوتة بحسب الحاجة اليها فاذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة البلى به كانت قيمتها اعظم وكانت الحاجة اليها اشدد واهل هذه البضائع الدينية لا تضطر اليهم عامة الخلق وانما يحتاج الى ما عندهم الخواص من اقبل على دينه وان احتيج الى الفتيا والقضاء في الخصوصيات فليس على وجه الاضطرار والعموم فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الاكثر وانما يهتم باقامة مراسمهم صاحب الدولة تعالى من النظر في المصالح فيقسم لهم حظا من الرزق على نسبة الحاجة اليهم على النحو الذي قررناه لا يساووهم باهل الشوكة ولا باهل الصنائع من حيث الدين والمراسم الشرعية لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة اهل العمران فلا يصح في قسمهم الا القليل ولهم ايضا لشرف بضائعهم اعزة على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لاهل الجاه حتى ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق بل ولا تفرغ اوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشريفة المشتملة على اعمال الفكر والبدن بل ولا يسعهم ابتذال انفسهم لاهل الدنيا لشرف بضائعهم فهم يعزلون عن ذلك فاذل لا تعظم ثروتهم في الغالب ولما بحث بعض القضاة لا فنكر ذلك على وقوع بيدي اوراق مخرقة من حسابات الدواوين بدار المأمون تشتمل على كثير من الدخل والمخرج وكان في ما طالعته فيه اوراق القضاة والائمة والمؤذنين فوقته عليه وعلم منه صحة ما قلناه ورجع اليه وقضينا العجب من اسرار الله في خلقه وحكمته في عوالمه والله الخالق القادر لارب سواه

٨ (فصل في ان الفلاح من معاش المستضعفين واهل العافية من البدو) *

وذلك لانه اصيل في الطبيعة وبسيط في مناجاة ولذلك لا يتجدهم يتخله احد من اهل الحضرة في الغالب ولا من المترفين ويختص منخله بالمذلة قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى السكة ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الادخله الذل ووجهه البخاري على الاستكثار منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بالآلة الزرع او تجاوز الحد الذي امر به والسبب فيه والله أعلم ما يتبعها من المغرم المفضي الى التحكم والبد العالية فيكون الغارم ذليلا بائسا جائعا يتناول ايدى القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرما اشارة الى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في الممتلكات واعتبار الحقوق كلها مغرما للملك والدول والله قادر على ما يشاء والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق

٩ (فصل في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها) *

اعلم ان التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء اياما كانت السلعة من رقيق او زرع او حيوان او قماش وذلك القدر الذي يسمى ربحا فالحاوله لذلك الربح اما ان يخترن السلعة ويتحين بها حواله الاسواق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه واما بان ينقله الى بلد آخر تنفق فيه ثلث السلعة اكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار اطالب الكشف عن حقيقة التجارة انا اعلمها لك في كلمتين اشتراء الرخيص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة اشارة بذلك

الى

تعالى خالق الخلائق اجمعين وانعم عليهم بانواع النعم فاكمل حواسهم وخلق فيهم الشهوات

ثم افاض عليهم نعمه وكلماتهم اللذات وبعد هذا فاقدروا الله حق قدره ولا عظموه وحق عظمتهم بل قالوا فيه ما لا يليق به ووصفوه

صحبة الناس وسكنت نفسي واستترحت من مكابدة اخلاقهم الامن حيث سرت معهم بهذه السيرة (وقال) الرياح يابني رياح لا تحقر واصغرا تأخذون عنه فاني اخذت من الثعلب روغانه ومن القرد مكايده ومن السنور صرعه ومن الكلب نصرته ومن ابن آوى حذره وقد تعلمت من القمير مشي الليل ومن الشمس الظهور في الحين بعد الحين (الباب السادس والثلاثون) في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وشقاء الصدور وراحة القلوب

وطيبة النفوس) *

اعلم ايها الملك انه مني كلمات فيك الخصال المجودة والاخلاق المشكورة والسيرة المستقيمة وملكت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشياء مواضعها ثم ان الرعية اهتضعت حقك وجهلت قدرك ولم توفك حظك فباعتك منهم ما يسوءك ورأيت منهم ما لا يجيبك فاعلم انك لست باله فلا تطمع ان يصغولك منهم ما لا يصفو منهم لاله وفصل الخطاب في هذا الباب ان تعلم ان الله

بما يستحيل عليه وأضافوا إليه ما يتقدس عنه وسلبوه ما يجب له من الأسماء الحسنى والصفات العلى فمنهم من قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال له زوجة ومنهم من قال له ابن ومنهم من قال له البنات ومنهم من يحسمه ومنهم (٢٣٥) من يشبهه ومنهم من أنكره رأسا وقال

مالخلق صانع كما حكاها

الخالف عنه فقال غوث

ونجما وما يله كما لا الدهر

وهو مع ذلك بحيمهم وبيقيمهم

ويصع أجسامهم وحوامهم

ويرزقهم وينعشهم ويقضى

ما رزقهم واوطارهم ويعتصم

متاعا حسنا ويلبغهم آمالهم

في معظم ما يحتاجون إليه

فعاصمهم إليه صاعدة

وبركاته عليهم نازلة كل

يعمل على شاكلته وينفق

عما عنده وكل ذي حال

أولى بها (وفي مناجاة موسى

عليه السلام أنه قال الهى

أسألك أن لا يقال فى ماليس

فى فإوحى الله تعالى إليه

ذلك شئ ما فعلته لنعفى

فكيف أفعله بك وفى هذه

السيرة عبرة لمن اعتبر

وذكرى لمن أذكر مع أنك

ان التمس رضا جميع

الناس التمس ما لا يدرك

وكيف يدرك رضا المختلفين

فيا أيها الملك الذى قد كتب

الله عليه القناء والعمر

القصير والزمان اليسير

والايام المعدودة والانفاس

المقصورة كيف أردت أن

يصفوك من الرعية مالم

يصف منهم الخالقهم ورازقهم

وحميمهم ومعتيمهم هيئات

هيئات بعيد ما أملت

ومستحيل ما طلبت فكفى

الله أسوة حسنة ان ترضى منهم بما رضى منهم خالقهم وتسير فيهم بسيرة ربيهم فيهم المتركف أحسن البك فرضى منك باليسير من العمل
واكثر لك من النعم من الاموال والخول فانظر كيف يسترزلاتك ويتعمد سياتك ولا يفضحك في خاوتك في هذا ما عهد النعموس

الى المعنى الذى قررناه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لارسله

١٠ (فصل فى أى اصناف الناس يحترف بالتجارة وأيهم ينبغي له اجتناب حرفها) *

قد قدمنا ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها باغلى من ثمن الشراء ما ينتظر حواله الاسواق او نقلها الى بلد هوى فيه انفق واغلى او بيعها بالقلاء على الاآجال وهذا الرجب بالنسبة الى اصل المال يسير الا ان المال اذا كان كثير اعظم الرجب لان القليل فى الكثير كثير ثم لا بد فى محاولة هذه التنمية من حصول هذا المال بايدى الباعة فى شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم فى تقاضى انماؤها واهل النصفقة قليل فلا بد من الغش والتطقيف المحجف بالبضائع ومن المطل فى الائتمان المحجف بالرجح كتمطيل المحاولة فى تلك المدة وبها غناؤه ومن المحجود والانسكار المسحوت لرأس المال ان لم يثقيد بالكتاب والشهادة وغناه المحكام فى ذلك قليل لان المحكم انما هو على الظاهر فيعانى الناجر من ذلك أحوال الصعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الرجب الا بمكظم العناء والمشقة ولا يحصل او يتلاشى رأس ماله فان كان جريئا على الخصومة بصير بالحبس ان شديدا لما حكمة مقدما على المحكام كان ذلك اقرب له الى النصفقة بحجراة منهم ومما حكره والا فلا بد له من جاهد يدرع به بوقع له الهيبة عند الباعة ويحمل المحكام على انصافه من معاملته فيحصل له بذلك النصفقة فى ماله طوعا فى الاول وكرها فى الثانى وأما من كان فاقدا للجرأة والاقدام من نفسه فاقدا لجاهه من المحكام فينبغي له ان يحتسب الاحتراف بالتجارة لانه يعرض ماله للضياع والذهاب ويصير مأكلا للباعة ولا يكاد يتصف منهم لان الغالب فى الناس وخصوصا الرعاع والباعة شريهون الى ما فى ايدي الناس سواء هم متوثبون عليه ونولا وازع الاحكام لاصبحت أموال الناس نهبيا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

١١ (فصل فى ان خلق التجارة نازلة عن خلق الاشرف والمملوك) *

وذلك ان التجارى غالب احوالهم انما يعانون البيع والشراء ولا بد فيه من المكايسة ضرورة فان اقتصر عليهم اقتصرت به على خلقها وهى اعنى خلق المكايسة بعمدة عن المرواة التى تتخلق بها المملوك والاشراف وأما ان استرذل خلقه بما ينبغ ذلك فى أهل الطبقة السفلى منهم من المماحكة والغش والخلافة وتعماد الايمان الكاذبة على الائتمان رد او قبولا فاجدر بذلك الخلق ان يكون فى غاية المذلة لما هو معروف ولذلك تجرد أهل الرياسة يتحامون الاحتراف بهذه المحرفة لاجل ما يكسب من هذا الخلق وقد يوجد منهم من يسلم من هذا الخلق ويتحاماها اشرف نفسه وكرم جلاله الا انه فى النادر بين الوجود والله يهذى من يشاء بفضله وكرمه وهو رب الاولين والاآخرين

١٢ (فصل فى نقل التاجر للسلع) *

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع الامتنع الحاجة اليه من الغنى والفقير والسلطان والسوقة اذ فى ذلك نفاق سلعته واما اذا اختص نقله بما يحتاج اليه البعض فقط فقد يتعذر نفاق سلعته حينئذ ذبا عوازل الشراء من ذلك البعض لعراض من العوارض فنكسد سوقه وتفسد ارباحه وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها فانما ينقل الوسط من صنعها فان العالى من كل صنف من السلع انما يختص به اهل الثروة وحاشية الدولة وهم الاقل وانما يكون الناس اسوقة فى الحاجة الى الوسط من كل صنف فليحذر ذلك جهده فقيه نفاق سلعته او كسادها وكذلك نقل السلع من البلاد البعيدة المسافة او فى شدة الخطر فى الطريق فقات يكون اكثر فائدة

ويؤذنب ذوى العقول ويهتدى الى الصواب ويوضح طرق الرشاد والله درغر بن الخطاب رضى الله عنه لقد كان واعيا لما تلوته عليك فانه
روى عنه انه كتب الى عمرو بن العاص (٢٣٦) كن لرعيك ما تحب ان يكون لك اميرك (الباب السابع والثلاثون في بيان

للتجار واعظم ارباحا وكفل بحوالة الاسواق لان السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعدهم مكانها
اوشدة الغرور في طريقها فيقل حاملوها ويعجز وجودها واذا قلت وعزت غلت اثمانها واما اذا كان البلد
قريب المسافة والطريق سابل بالامن فانه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص اثمانها ولهذا تجد التجار
الذين يولعون بالدخول الى بلاد السودان ارفع الناس واكثرهم اموالا لبعدهم طريقهم ومشقة واعتراض
المقاومة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء الا في اماكن معلومة يهتدى اليها الدلاء الركان
فلا يرتكب خطرهم هذا الطريق وبعده الا الاقل من الناس فتجد سلع بلاد السودان قليلة ليدنا فتخص
بالغلاء وكذلك سلعنا لديهم فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويسرع اليهم الغنى والثروة من اجل ذلك
وكذلك المسافرون من بلادنا الى المشرق لبعده الشقة ايضا واما المترددون في افق واحد ما بين امصاره
بلدانه فقلبتهم قليلة وارباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقلها والله هو الرزاق ذو القوة المتين

١٣ (فصل في الاحتكار)

وعما اشتهر عند ذوى البصر والتجربة في الامصار ان احتكار الزرع لتحسين اوقات الغلة المشقومة وانه
يعود على فائده بالتلف والخسران وسببه والله اعلم ان الناس لم يحتاجوا الى الاقوات مضطرون الى ما
يبدلون فيها من المال اضطرارا فتبقى النفوس متعلقة به وفي تعلق النفوس بالمساكن كغيره وباله على
من يأخذ به مجانا وله الذي اعتبره الشارع في اخذ اموال الناس بالباطل وهذا وان لم يكن مجانا فالنفوس
متعلقة به لا عطائه ضرورة من غير سعة في العذر فهو كالمكره وماعد الاقوات والمأكولات من المبيعات
لا اضطرار للناس اليها وانما يبيعهم عليها القنن في الشهوات فلا يبدلون اموالهم فيها الا باختيار وحرص
ولا يبقى لهم ثمن بما اعطوه فلهذا يكون من عرف بالاحتكار تجتمع القوى النفسانية على متابعته لما
يأخذ به من اموالهم فيفسد ربحه والله تعالى اعلم وسعدت فيما يناسب هذا حكاية نظرية عن بعض
مشيخة المغرب اخبرني شيخنا ابو عبد الله الابلي قال حضرت عند القاضي بقاس لعهد السلطان ابي سعد وهو
الفقيه ابو الحسن الملبلي وقد عرض عليه ان يختار بعض الاقارب الخزانة لجزايرته قال فاطرق فلما تم قال لهم
من مكس الخزانة فاستخف الحاضر ومن اصحابه وعجبوا واولوه عن حكمة ذلك فقال اذا كانت الجبايات
كلها حراما فاخترنا منها ما لا يتابعه نفس معطية والخمر قل ان يبدل فيها احد ماله الا وهو طرب مسرور
يوجدانه غير اسف عليه ولا متعلقة به نفسه وهذه ملاحظة غريبة والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور

١٤ (فصل في ان رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخيص)

وذلك ان الكسب والمعاش كما قدمناه انما هو بالصنائع او التجارة والتجارة هي شراء البضائع والاسلع
وادخارها يتحين بها حوالة الاسواق بالزيادة في اثمانها ويسمى ربها ويحصل منه الكسب والمعاش
للمحترفين بالتجارة دائما فاذا استديم الرخص في سلعة او عرض من مأكول أو ملبوس او متمول على الجملة
ولم يحصل لتاجر حوالة الاسواق فسد الربح والنماء بطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف ففسد
التجار عن السعي فيها وفسدت رؤس اموالهم واعتبر ذلك اولابا زرع فانه اذا استديم رخصه يفسد به حال
المحترفين بسائر اطوار من الفلح والزراعة لقلة الربح فيه ويندأ ربه او فقهه فيفقدون النماء في اموالهم او
يبدونه على قلة و يعودون بالانفاق على رؤس اموالهم وفسد احوالهم ويصرون الى الفقر والخصاصة
ويضيع ذلك فساد حال المحترفين ايضا بالطنج والخبز وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرث الى صيرورته
مأكولا وكذا يفسد حال الجناد اذا كانت ارزاقهم من السلطان على اهل الفلح زرعاتها تنقل جبايتهم من

الخصلة التي فيها ملجأ
الملوك عند الشدة
ومعقل السلاطين عند
اضطراب الامور وتغير
الوجوه والاحوال

ايها الملك اذا علمت الامور
في صدرك واضطربت
عليك القواعد ومرت
في قلبك وجوه الراي
وتنكرت عليك المعارف
وأكفر لك وجه الزمان
فلا يغلبك خصلتان اترك
للناس دينهم وديناهم
ولك الامان من طوارق
المحدثان وما ياتي به الملوان
وقدر وروى أن المأمون قال
في آخر موافقة مع اخيه
الامين وقد نفدت بيوت
الاموال والحمت الاجناد
في طلب ارزاق المأمون
بقيت لاني خصلة لو فعلها
ملك موضع قدمي هاتين
فيل له وما هي فقال والله
اني لاضن بها على نفسي
فكيف على غيري فلما
خلص له الامر سئل عن
تلاب الخصلة فقال لو ان
الامين نادى في جميع بلاده
انه قد حط الخراجات
والوظائف السلطانية وسائر
الجبايات عشرين سنين لملك
الامر على ولكن الله غاب
على امره وما خشى المأمون
ان ينقض بيعته مع اهل

خراسان في امر فتنه مع اخيه الامين استشار الفضل بن سهل وكان وزيره فقال له الفضل قد قرأت القرآن
وحديث الرسول عليه السلام والذي عندي ان تجمع الفقهاء وتدعوهم الى الحق والعمل به واحياء السيرة بسط العدل والقعود على

اللبود وتواصل النظر في المظالم وتكرم القواد والملوك وابناء الملوك وتعهدها بالمواعيد الكريمة والمراتب السنية والولايات المشاكلة ففعل ذلك وخط عن اهل خراسان ربع الخراج فالت وجوه الخلائق اليه وكانوا يقولون (٢٣٧) ابن اختنا وابن عم نبينا عليه السلام

وانقاد اليه رافع بن اللمث

وكان من عظماء الملوك

بخراسان ويدخل تحت

هذه الترجمة امراتق عليه

حكماء العرب والروم

والفرس والهندوهو ان

تصطنع وجوه كل قبيلة

والمقدمين من كل عشيرة

وتحسن الى جملة القرآن

والعلم وحفاظ الشريعة

وتدني مجالسهم وتقرب

الصالحين والمترهدين

وكل ممسك بعر وقادير

وكذلك فليفعل بالاشراف

من كل قبيلة والرؤساء

المتبوعين من كل غط فهو لا

هم ازمة الخلق ومهم تلك

من سواهم فن كمال السياسة

والرياسة ان تبقى على كل

ذي رياسة رياسته وعلى

كل ذي عززته وعلى كل

ذي منزل منزلته فينبذ

يكون الرؤساء لك اعوانا

ومن دانت له الفضلاء من

كل قبيلة فاخلق به ان

يدوم سلطانته والعامية

والاتباع دون مقدمهم

وساداتهم واتباعهم اجساد

بلا رؤس واشباح بلا ارجاج

ولما قامت العامة على

السلطان بقرطبة ولبسوا

السلاح كان شيخ جالس

على كبره يعالج صنعة

فقال ما بال الناس قالوا

ذلك ويحزون عن اقامة الجندية التي هم بسببها ومطالبون بها ومنقطعون لها قفسدا حوالهم وكذا اذا استدعي الرخص في السكر او الغسل فسد جميع ما يتعلق به وقعد المحترفون عن التجارة فيه وكذا الملبوسات اذا استدعي فيها الرخص فاذا الرخص المفرط يحجب بمعاش المحترفين بذلك الصنف الرخيص وكذا الغلاء المفرط ايضا وانما معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حواله الاسواق وعلم ذلك يرجع الى العوائد المتقررة بين اهل العمران وانما يحمد الرخص في الزرع من بين المبيعات لعموم الحاجة اليه واضطرار الناس الى الاقوات من بين الغنى والفقير والاهل من الخلق هم الا كثرة العمران فيعجز الرفق بذلك ويرجع جانب القوت على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة المتين والله سبحانه وتعالى رب العرش العظيم

١٥ * (فصل في ان خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعدة من المرواة) *

قد قدمنا في الفصل قبله ان التاجر مدفوع الى معاناة البيع والشراء وجلب القوائد والارباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمماحكة والتعذيق وممارسة الخصومات والجدال وهي عوارض هذه الحرفة وههذه الاوصاف تنقص من الذكاء والمرواة ونحو ذلك فيها لان الافعال لا بد من عودا ثارها على النفس فافعال الخير تعود باثارة الخير والذكاء وافعال الشر والسفاسة تعود بصدد ذلك فتتمكن وترسخ ان سبقت وتكررت وتنقص خلال الخير ان تأخرت عنها ما ينطبع من آثارها المذمومة في النفس شأن المكايسات الناشئة عن الافعال وتتفاوت ههذه الآثار بتفاوت اصناف التجار في اطوارهم فمن كان منهم سافل الطور ونحالا لا شرار الباعة اهل الغش والخدعة والفجور في الاعمال اقرارا وانكارا كانت رداة تلك الخلق عنه اشد وغلبت عليه السفاسة وبعدة من المرواة واكتسابها بالجدلة والافلا بد له من تأثير المكايسة والمماحكة في مرواته وفقدان ذلك منهم في الجملة ووجود الصنف الثاني منهم الذي قدمناه في الفصل قبله انهم يدعون بالجاهد ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر واقل من النادر وذلك ان يكون المسال قد يوجد عنده دفعة بنوع غريب او ورثة عن احد من اهل بيته فحصلت له ثروة تعينه على الاتصال باهل الدولة وتكسبه ظهورا وشهرة بين اهل عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه الى من يقوم له به من وكلائه وحشمه ويسهل له الحكم النصفة في حقوقهم بما يؤنسونه من بره واتحاقه فيبيعه دونه عن تلك الخلق بالبعد عن معاناة الافعال المقتضية لها كما مر فيكون مر واثم ارسخ وابعده عن تلك الحاجة الا ما يسرى من آثار تلك الافعال من وراة الحجاب فانهم يضطرون الى مشاركة احوال اولئك الوكلاء ووفاقهم او خلافهم فيما يأتون او يذرون من ذلك الا انه قليل ولا يكاد يظهر اثره والله خالقكم وما تعملون

١٦ * (فصل في ان الصنائع لا بد لها من العلم) *

(اعلم) ان الصناعة هي ملكة في امر على فكري ويكون عملها وجسماني محسوس والاحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالباشرة أو عب لها أو ككل لان المباشرة في الاحوال الجسمانية المحسوسة اتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد اخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الاصل تكون الملكة ونقل المعايية أو عب واثم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عنه اكل وارسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر وعلى قدر جودة التعليم وملكة المتعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكة ثم ان الصنائع منها البسيط ومنها المركب والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للاكليات والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته او لاولاه مختص

قامت العامة على السلطان قال ولهم رأس قالوا الا قال شق الكبير يا صبي فذهبت مثلا * (الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصال الموجبة لدم الرعية للسلطان) قال حكيم الفرس ذم الرعية للملك على ثلاثة اوجه اما كرم قصر به عن قدره فاوردته ذلك ضغنوا واما انهم

يلعبه فوق قدره فأورثه ذلك بطرا وأما رجل منع حظ من الانصاف وفي الامثال احسانك الى المحرم يعمه على المكافاة واحسانك الى اللئيم المحسب يعمه على معاودة المسئلة (٢٣٨) (وقيل) للاسكندر ان فلانا يتقصصك ويسىء الشاء عليك فقال أنا أعلم انه ليس

بالضروري الذي تتوفر الدواعي على تقبله فيكون سابقا في التعليم ويكون تعلمه لذلك ناقصا ولا يزال الفكر يخرج اصنافها ومركباتها من القوة الى الفعل بالاستنباط شيئا فشيئا على التدرج حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة وانما يحصل في ازمان واجمال اذ خروج الاشياء من القوة الى الفعل لا يكون دفعة لا سيما في الامور الصناعية فلا بد له اذن من زمان ولهذا تجد الصنائع في الامصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الا البسيط فاذ ترايدت حضارتها ودعت امور الترف فيها الى استعمال الصنائع خرجت من القوة الى الفعل وتنقسم الصنائع ايضا الى ما يخص بامر المعاش ضروريا كان او غير ضروري والى ما يخص بالافكار التي هي خاصة بالانسان من العلوم والصنائع والسياسة ومن الاول الحياكة والحجارة والنجارة والحداة وامناله وامن الثاني الوراقة وهي معاناة الكتب بالانساخ والتجليد والغناء والشعر وتعليم العلم وامثال ذلك ومن الثالث المجندية وامناله والله اعلم

١٧ * (فصل في ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته) *

والسبب في ذلك ان الناس لما يستوف العمران الحضري وتمتد المدينة انما هم مهم في الضروري من المعاش وهو تخصيص الاقوات من المحنة وغيرها فاذا تمت دنت المدينة وتزايدت فيها الاعمال ووفت بالضروري وزادت عليه صرف الزائد حينئذ الى الكمالات من المعاش ثم ان الصنائع والاعمال انما هي للانسان من حيث فكره الذي يتميز به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو مقدم ضروريته على العلوم والصنائع وهي متأخرة عن الضروري وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأني فيها حينئذ واستعداد ما يطلب منها بحيث تتوفر الدواعي الترف والثروة واما العمران البدوي او القليل فلا يحتاج من الصنائع الا البسيط خاصة المسبب في الضروريات من نجار او حداد او خياط او حائك او خراز او اوجدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستحاجة وانما يوجد منها بمقدار الضرورة اذ هي كلها وسائل الى غير ما وليست مقصودة لذاتها واذا زخر بجزر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملة التأني في الصنائع واسستجاداتها فكمالت بجميع مقوماتها وتزايدت صنائع اخرى معها مما تدعو اليه عوائد الترف واحواله من جزر ودباغ وخراز وصانع وامثال ذلك وقد تنتهي هذه الاصناف اذا استبحر العمران الى ان يوجد منها كثير من الكمالات والتأني فيها في القاية وتكون من وجوه المعاش في المصير لمتحما بل تكون فائدتها من اعظم فوائد الاعمال لما يدعوا اليه الترف في المدينة مثل الدهان والصفار والحماشي والطباخ والسفاح والفراس ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقيع ومثل الوراقين الذين يعانون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها وتحييدها فان هذه الصناعة انما يدعوا اليها الترف في المدينة من الاشتغال بالامور الفكرية وامثال ذلك وقد يخرج عن الحد اذا كان العمران خارجا عن الحد كما بلغنا عن اهل مصر ان فيهم من يعلم الطيور والعجم والحجر الانسية وتخييل اشياء من العجائب بايها قلب الاعيان وتعليم الحداد والرقص والمشي على الخبوط في الهواء ورفع الاثقال من الحمولان والحجارة وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب لان عمران امصارهم لم يبلغ عمران مصر والقاهرة اذ اقام الله عمراتها بالمسلمين

١٨ * (فصل في ان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امدها) *

والسبب في ذلك ظاهر وهو ان هذه كلها عوائد لا عمران والوان والعوائد انما ترسخ بكثرة التكرار وطول الامد فتستحكم صيغة ذلك وترسخ في الاجيال واذا استحكمت الصيغة عسر نزاعها ولهذا تجد في الامصار

بشرير فينبغي ان نعلم هل ناله من ناحيته امر دعاه الى ذلك فيبحث عن حاله فوجد هارثه قار له بصله سنية فبلغه بعد ذلك انه بسط اسانيه بالشاء عليه فقال اما ترون ان الامر انما ان يقال فينا خير او شر ينبغي للسلطان ان لا يتخذ الرعية مالا وقضية فيكونوا عليه بلا وفتنة ولا يكن يتخذهم اهل ولا اخوانا فيكونون له جندا واعوانا وقدس بق المثل اصلاح الرعية خير من كثرة الجنود * (الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والنجار) *

مثل السلطان العادل مثل الياقوتة النفيسة الرقيقة في وسط العقدة ومثل الرعية مثل سائر الشذر فلا تلحظ العيون الا الواسطة واول ما يبصر المقلوبون وينقد الناقدون الواسطة وانما يثنى المثنون على الواسطة وكلما حسنت الواسطة عمرت سائر الشذر فلا يكاد يذكر كمال ابن سعد لقيت بالحجاز بين مكة والمدينة سكيمة بنت الحسين رضي الله عنهما فسفرت لي عن وجهها ابتها واذوجه كانه قطعة قرو قد اذقتها

بالجواهر والياقوت وأنواع الدرر فالتفت الى وقالت والله ما عاقتهم عليها الا لتفضحهن وكما ان جمال السالك ان يلى الواسطة الا فضل فالفضل من الشذر وان كان على خلاف ذلك كان مسمى النظم كذلك السلطان ينبغي ان يكون الاقرب

فالا قرب الله اهل العلم والعقل والادب والرأى والاصالة والشرف والمصافة وذوى الكمال من كل قبيلة وان كان على خلاف ذلك كان نقصا في التدبير وكما ان جمال العدة بواسطته كذلك جمال الرعية بكمال (٢٣٩) سلطانهم وفضله وبراعته وعدله ومثل

السلطان الجائر مثل الشوكة في الرجل فصاحبها تحت ألم وقلق ويتداعى لها سائر الجسد ولا يزال صاحبها يروم قلعها ويستعين بما في مسوره من الآلات والمناقبش والابر على اخراجها لانها في غير موضعه والطبيعي ويوشك ان تقلع بالاجرة فابن غزاليا قوت من شوك القناد

(الباب الموفى اربعين فيما يجب على الرعية اذا جارا السلطان)

اعلم ارشدك الله ان الزمان وعاء لاهله ورأس الوعاء اطيب من أسفله كما ان رأس الحجر ارق وأصفى من أسفله فلتن قات ان الملوك اليوم ليسوا كمن مضى من الملوك فالرعية ايضا ليسوا كمن مضى من الرعية واستبان تدم أميرك اذا نظرت آثار من مضى منهم باولى من يدمك أميرك اذا نظرت آثار من مضى من الرعية فاذا جارع عليك السلطان فعليك الصبر وعليه الوزر (روى) البخاري عن عباد بن الصامت قال يا ايها النبي عليه السلام فكم كان فيما أخذ علينا ان يايعنا على

التي كانت استجرت في الحضارة لتراجع عمراتها وتناقص بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الامصار المستحدثة العمران ولو بلغت مبالغها في الوفور والكثرة وما ذاك الا لان احوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الاحقاب وتداول الاحوال وتكررها وهدمها ولم تبلغ الغاية بعد وهذا كالحال في الاندلس لهذا العهد فانما نجد فيها رسوم الصنائع قاتمة واهوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو اليه عوائد امصارها كالبناء والطبخ واصناف الغناء والهوم والآلات والاوراق والرقص وتنصيب القروش في القصور وحسن الترتيب والاوزاع في البناء ووضوح الآنية من المعادن والحزف وجمع المواعين واقامة الولائم والاعراس وسائر الصنائع التي يدعو اليها الترف وعوائده فنجدهم أقوم عليها وأبصر بها ونجد صنائعها مستحكمة لديهم فهم على حصّة موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الامصار وان كان عمراتها قد تناقص والكثير منه لا يساوى عمران غيره من بلاد العدو وما ذاك الا لما قد مدناه من رسوخ الحضارة فيهم بروخ الدولة الاموية وما قبلها من دولة القوط وما بعدهما من دولة الطوائف الى هلم جاز فبلغت الحضارة فيها مبلغا لم تبلغه في قطر الاما ينقل عن العراق والشام ومصر ايضا لطول آما الدول فيها فاستحكمت فيها الصنائع وكملت جميع اصنافها على الاستجداء والتنمية ويقيت صبغتها ثابتة في ذلك العمران لا تفارقه الى ان يتنقض بالكلية حال الصبغ اذا رشح في الثوب وكذا ايضا حال تونس فيما حصل فيها بالحضارة من الدول الصنهاجية والموحدين من بعدهم وما استكمل لها في ذلك من الصنائع في سائر الاحوال وان كان ذلك دون الاندلس الا أنه متضاعف برسوم منها تنقل اليها من مصر لقرب المسافة بينهم ما وتردد المسافرين من قطر ها الى قطر مصر في كل سنة وورعها سكن أهلها هناك عصورا فينقلون من عوائد ترفهم ومحكم صنائعهم ما يقع لديهم موقع الاستحسان فصارت احوالها في ذلك متشابهة من احوال مصر لما ذكرناه ومن احوال الاندلس لما اننا كثرنا كنهان من شرق الاندلس حين الحلاء لهذا المائة السابعة وورسخ فيها من ذلك احوال وان كان عمراتها ليس بمناسب لذلك لهذا العهد الا أن الصبغة استحكمت فقليل ما تحول الا بزوال محالها وكذا نجد بالقيروان ومراكش وقلعة ابن حماد اثرا باقيا من ذلك وان كانت هذه كلها اليوم خرابا وفي حكم الخراب ولا يتفطن لها الا البصير من الناس فيجد من هذه الصنائع آثارا تدله على ما كان بها كثر الخط المحجوف في الكتاب والله الخلاق العليم

١٩ * (فصل في ان الصنائع انما استجدت وتكررت اذا كثر طلبها) *

والسبب في ذلك ظاهروها وان الانسان لا يسمح به له أن يقع مجانا لانه كسبه وممنه معاشه اذا لا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه فلا يصرفه الا في عمله قيمة في مصر له يعود عليه بالنفع وان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها اتفاق كانت حينئذ الصناعة بمنابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع فتجهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم واذالم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ولا يوجه قصد الى تعلمها فاخضعت بالترك وفقدت للاهمال ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسن بمعنى أن صناعته هي قيمته أي قيمة عمله الذي هو معاشه وايضا فها ناسراخر وهو أن الصنائع واجادتها انما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها وتوجه الطلبات اليها ومالم تطلبها الدولة وانما يطلبها غيرها من أهل المصر فليس على نسبتها لان الدولة هي السوق الاعظم وفيها اتفاق كل شيء والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فانفق منها كان أكثر باضرورة والسوق تطلبها والصناعة فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بنافعة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرته علينا وان لا تنازع الامرأهله الا ان تروا كفرا بواحدكم فيه من الله برهان ومنه قال ابن عباس من كره من أميره شيئا فليصبر عليه فانه من خرج من السلطان شبرا مات مية جاهلية ومنه قال ابن مسعود قال لنا

الذي عليه السلام انكم سترون بعدى اثره واموراته كرونها قالوا يا نبي الله قال ادوا لهم حقوقهم واسألوا الله حقكم (وروى ابو داود في سننه ان النبي عليه السلام (٢٤٠) قال سيأتيكم ركب مبغضون يطلبون منكم ما لا يجب عليكم فاذا سألوا ذلك فاعطوهم

ولا تسبوهم ولتدعوا لهم

وهذا حديث عظيم الموقع في هذا الباب فتدفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا تنازعهم فيه ونكف أسننا عن سبهم يا عبد الله لا تجعل سلاحك على من ظلمك الدعاء عليه ولكن الثقة بالله فلا محنة فوق محنة ابراهيم عليه السلام لما جعلوه في كفة المنجنيق لم تقذف به في النار قال اللهم انك تعلم ايماني بك وعداوة قومي فيك فانصرني عليهم واكفني كيدهم (وقال) مالك بن دينار وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى اني انا الله ملائكة الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الى الله اعطهم عليكم وفي بعض الكتب ابن آدم تدعو على من ظلمك ويدعو عليك من ظلمته فان شئت اجبناك واجبنا عليك وان شئت اخرت الامر الى يوم القيامة فيسعكم العفو (وقال) سليمان بن داود عليه السلام لا تجعل لمالك في الاداء المكافاة ولكن الثقة بالله وروى

وذلك ما بيننا ان الصنائع انما تستجاد اذا احتيج اليها وكثر طالها واذا ضعفت احوال المصير واخذ في الهرم بانتقاص عمرانه وقلة ساكنه تناقص فيه الترف ورجعوا الى الاقتصاد على الضرورى من احوالهم فتقل الصنائع التي كانت من توابيع الترف لان صاحبها حينئذ لا يصح له بها معاشه فيقر الى غيرها الوعوت ولا يكون خلف منه فيه ذهب رسم تلك الصنائع جملة كما يذهب النقاشون والصواغ والكباب والنساخ وامثالهم من الصنائع لمجايات الترف ولا تزال الصنائع في التناقص ما زال المصير في التناقص الى ان تضمحل والله الخلاق العليم سبحانه وتعالى

٢١ * (فصل في ان العرب ابعد الناس عن الصنائع)

والسبب في ذلك انهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري وما يدعوا اليه من الصنائع وغيرها والعجم من أهل المشرق وأم النصرانية عدوة البحر الرومي أقوم الناس عليها لانهم أعرق في العمران الحضري وأبعد عن البدو وعمرانه حتى ان الابل التي أعانت العرب على النوحش في القفر والاعزاق في البدو مفقودة لديهم بالجملة ومفقودة مراعيها والرمال المهيمة لتناجها ولهذا نجد اوطان العرب وممالكهم في الاسلام قليل الصنائع بالجملة حتى تجلب اليه من قطر آخر وانظر بلاد العجم من الصين والهند وارض الترك وأم النصرانية كيف استكثر فيهم الصنائع واستجلبها الامم من عندهم وعجم المغرب من البربر مثل العرب في ذلك لرسوخهم في البدو منذ احقاب من السنين ويشهد بذلك قلة الامصار بقطرهم كما قدمناه فالصنائع بالمغرب لذلك قلة وغير مستحكمة الا ما كان من صناعة الصوف من نسجه والحداد في خرزود بعه فانهم لما استحضروا بلغوا فيه المبالغ لعموم البلوى بها وكونه الذين أغلب الساع في قطرهم لماسهم عليه من حال البدو واما المشرق فقد درست صنائع فيه منذ ملك الامم الاقدمين من الفرس والنبط والقبط وبنو اسرائيل وبنو الروم واحقبا بما تطاولت فرسخت فيه ماحوال الحضارة ومن جملتها الصنائع كما قدمناه فلم يجمع رسمها واما اليمن والبحرين وعمان والحجاز وانه ملكه العرب الا انهم تداولوا ملكه الا قدام السنين في أم كثير من منهم واخطوا وامصاره ومدنه وبلغوا الغاية من الحضارة والترف مثل عاد ومعد والعمالة وحير من بعدهم والقبابعة والاذواء فطال امد الملك والحضارة واستحكمت صانعها وتوفرت الصنائع ورست فلم تبلى بيلي الدولة كما قدمناه فبقيت مستعدة حتى الآن واخذت بذلك الوطن كصناعة الوشي والعصب وما يستجد من حوك الثياب والحريز فيها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٢ * (فصل فيمن حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجهد بعدهم ملكة في اخرى)

ومثال ذلك الخياط اذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها ورست في نفسه فلا يجهد من بعدهم ملكة الخياطة أو البناء الا ان تكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صفتها والسبب في ذلك ان الملكات صفات للنفس والوان فلا تردهم دفعة ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لخصولها فاذا تلونت النفس بالملكه الاخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد بالوان الحاصل من هذه الملكة فكان قبولها لملكه الاخرى أضعف وهذا بين يشهد له الوجود فقل ان تجد صاحب صناعة يحكمها ثم يحكم من بعدهم اخرى ويكون فيها ما على رتبة واحدة من الاجادة حتى ان أهل العلم الذين ملكتهم فكريه ففهم بهذه المنابة ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم وأجادها في الغاية فقل ان يجهد ملكة

ابوداود في السنن قال سرقتم ملكة لعائشة رضي الله عنها فاجعلت تدعو على من اخذها فسمعها النبي عليه السلام فقال لا تسبحي عنه يعني لا تخفي عنه فنهاها عن الدعاء على الظالم كما ترى فاذا قال المظلوم في دعائه اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه

وعلى سائر الرعية لانه من قلة توفيقه ظلمك ولو كان موقفا ما ظلمك فان استجب دعائك فيه زاد ظلمك لك ومن الاقاظ المروية عن سلف هذه الامة قوهم لو كانت عندنا دعوة مستجابة ما جعلناها الا في السلطان (وقال) (٢٤١) الفضيل لو ظفرت بيبت المسال لآخذت من

حلاله وصنعت منه أطيب الطعام ثم دعوت الصالحين وأهل الفضل من الاخيار والابرار فاذا فرغوا قلت

لهم تعالوا ندعور بنا ان يوفق

ملوكنا وسائر من يلي علينا

وجعل اليه امرنا ولما قدم

معاوية المدينة دخل دار

عثمان فقالت عائشة ابنة

عثمان وأبنتاه فقال معاوية

يا بنت أخي ان الناس

أعطونا طاعة وأعطيناهم

أمانا واطهرنا لم حلت تحت

غضب واطهرنا طاعة

تحتها أقدم مع كل انسان

سيفه وهو يرى مكان

انصاره فان تكشاهم

نكثوا بنا ولا نذكرى اعلمنا

تكون ام لنا ولا نكفون ابنة

عم امير المؤمنين خير من ان

تكوني امرأة من عرض

المسلمين (وروي) ان

رجلا من العقلاء قصبه

بعض الولاة ضربه قتله

فاستعدي عليه الى المنصور

فقال له اصلحك الله اذكر

حاجتي ام اضرب لك قبلها

مثلا فقال بل اضرب لي

قبلها مثلا قال اصلحك الله

ان الطفل الصغير اذا نابه

امر يكرهه فانه يقر الى امه

اذ لا يعرف غيرها وظانها

انه لانصره فوقفها اذا

ترعرع واشتد فادى كان

فراره وشكواه الى ابيه لعلمه

علم آخر على نسبة بل يكون مقصرا فيه ان طلبه الا في الاقل النادر من الاحوال ومبني سببه على ما ذكرناه من الاستعداد وتوليته بلون الملكة الحاصلة في النفس والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق لأرب سواه

٢٣ * (فصل في الاشارة الى امهات الصنائع) *

اعلم ان الصنائع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة في العمران فهي بحيث تشد عن المحصر ولا يأخذها العدا الا ان منها ما هو ضروري في العمران او شريف بالموضوع فخصصها بالذكر وترك ما سواها فاما الضروري فالفلاحة والبناء والخياطة والنجارة والحمياكة وأما الشريفة بالموضوع فكالنوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب فالما التوليد فانها ضرورية في العمران وعامة البهائم الحيوانية اذ بها يحصل حياة المولود ويتم غالبها وموضوعها مع ذلك المولودون وامهاتهم وأما الطب فهو حفظ الصحة للانسان ودفع المرض عنه وهو يتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه مع ذلك بدن الانسان وأما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة على الانسان حاجة ومقدمة لمساعد النسيان ومبلغه ضمائر النفس الى البعدي الغائب ومخلدة نتائج الافكار والعلم في الصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني وأما الغناء فهو نسب الاصوات ومظهر جمال الاسماع وكل هذه الصنائع الثلاثة تداع الى مخالطة الملوك الاعظم في خلواتهم ومجالس أنسهم فهاهاذا شرف ليس لغيرها وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة ومتممة في الغالب وقد يختلف ذلك باختلاف الأغراض والدواعي والله اعلم بالصواب

٢٤ * (فصل في صناعة الفلاحة) *

هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الاقوات والمحبوب بالقيام على اثاره الارض لها وازدهارها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتسمية الى بلوغ غايته ثم حصاده له واستخراج حبه من غلافه واحكام الاعمال لذلك وتحصيل اسبابه ودواعيه وهي أقدم الصنائع لما اتيناها محصلة للقوت المكمل لحياة الانسان غالبا اذ يمكن وجوده من دون جميع الاشياء الا من دون القوت ولهذا اختصت هذه الصناعة بالبدء واذا قدمنا أنه أقدم من الحضر وسابق عليه فكانت هذه الصناعة لذلك بدوية لا يقوم عليها الحضر ولا يعرفونها لان أحوالهم كلها ثابته على البداوة فصنائعهم ثابته عن صنائعها وتابعة لها والله سبحانه وتعالى مقيم العباد في ما أراد

٢٥ * (فصل في صناعة البناء) *

هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للامكن والمأوى للابدان في المدن وذلك ان الانسان لما ساجل عليه من الفكر في عواقب أحواله لا بد أن يفكر فيما يدفع عنه الاذى من الحر والبرد كالنخذالبيوت المكتنفة بالسقف والمطمان من سائر جهاتها والبشر مختلف في هذه الجملة الفكرية فمنهم المعتدلون فيها يتخذون ذلك باعتدال أهالي الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس وأما أهل البدو فيمعدون عن اتخاذ ذلك اقصورا فكارهم من ادراك الصنائع البشرية فيمادرون للغيران والسكوف المعدة من غير علاج ثم المعتدلون المتخذون للأوى قديس كاثرون في البسيط الواحد بحيث يتناكرون ولا يتعارفون فيخشون طروق بعضهم بعضا فيجتاجون الى حفظ مجتمعتهم بادارة ماء أو أسوار تحوطهم ويصير جمعا مدينته واحدة ومصر او احد او يحوطهم الحكام من داخل يدفع بعضهم عن بعض وقد يحتاجون الى الاتصاف ويتخذون المعاقل والمحصون لهم ولن تحت أيديهم مثل الملوك ومن في معناهم من الامراء وكبار القبائل في المدن كل مدينة على ما يتعارفون ويصطلمون عليه ويناسب مزاج هوأهم واختلاف احوالهم في الغنى والفقر وكذا حال أهل المدينة الواحدة فمنهم من يتخذ

(٣١ - ابن خلدون) بلن اباه اقوى من امه على نصرته فاذا بلغ وصار رجلا وخر به امرشكا الى الوالى لعلمه بانه اقوى من ابنة فاذا زاد عقله واشتدت شبكته شككا الى السلطان لعلمه بانه اقوى من سواء فلن لم ينصفه السلطان شككا الى الله عز وجل وقد نزلت بي نازلة

وليس فوقك احد اقوى منك فان انصفتي والارفعت امرها الى الله في الموسم فاني متوجه الى بيته وحرمة اذ ليس فوقك احد الا الله تعالى قال بل ننصفك وامر بان (٢٤٢) يكتب الى واليه برضى عته اليه (الباب الحادى والاربعون في كما تكونوا يولى عليكم) *

القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والغرف الكبيرة لكثرة ولده وحشمة وعياله وتابعه ويؤسس جدرانها بالحجارة ويلحم بينها بالكس ويعالى عليها بالاصمغة والجص ويبلغ في ذلك بالتمجيد والتتميق اظهار اللبسطة بالغا في شأن المأوى ويهين مع ذلك الاسراب والمظامير للاختزان لا قوائمه والاصطبلات لربط مقرر بانه اذا كان من أهل الجند وكثرة التابيع والحاشية كالامراء ومن في معناهم ومنهم من يبنى الدور والبيوت لنفسه وسكنه وولده لا يبتغي ما وراء ذلك القصور وحاله عنه واقتصاره على السكن الطبيعى للبشر وبين ذلك مراتب غير منحصرة وقد يحتاج لهذه الصناعة ايضا عند تأسيس الملوك وأهل الدول المدن العظيمة والها كل المرتفعة ويبلغون في اتقان الاوضاع وعملوا الاجرام مع الاحكام اتبلغ الصناعة مبالغها وهذه الصناعة هي التي تحصل الدوامي لذلك واكثر ما تكون هذه الصناعة في الاقاليم المعتدلة من الرابع وما حواله اذ الاقاليم المنخفضة لا بناء فيها وانما يتخذون البيوت حظائر من القصب والطين وانما يوجد في الاقاليم المعتدلة وأهل هذه الصناعة القاطنون عليها متقاوتون فبهم البصير الماهر ومنهم القاصر ثم هي تتنوع انواعا كثيرة فمنها البناء بالحجارة المنجدة يقام بها الجدران مالمصقا بعضها الى بعض بالطين والكس الذي يعقد معهما ويلتحم كانهما جسم واحد ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذها الوحان من الخشب مقدار طول او عرض باختلاف العادات في التقدير واوسطه أربعة أذرع في ذراعين فينصب ان على اساس وقديوم ما بينهما بما يراه صاحب البناء في عرض الاساس ويوصل بينهما باذرع من الخشب يربط عليها بالجمال والجندرو يسد الجبهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بالوحين آخر بن صغير ينشأ موضع فيه التراب مغلطابا بالكس ويركز بالمرأز المعدة حتى ينعم ركزه ويختلط اجزؤه ثم يزداد التراب ثانيا وثالثا الى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين وقد تدخلت اجزاء الكس والتراب وصارت جمعا واحدا ثم يعاد نصب اللوحين على الصورة ويركز كذلك الى أن يتم وينظم اللوح ككاهن طرامن فوق سطر الى أن ينتظم الحائط كله ملتصقا كانه قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه الطواب ومن صنائع البناء ايضا أن تحبل الحيطان بالكس بعد أن يحل بالماء ويخمر أسبوعا أو أسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه عن افراط النارية المفسدة للالحام فاذا تم له ما يرضاه من ذلك علاء من فوق الحائط وذلك الى أن يلتحم ومن صنائع البناء عمل السقف بان يمد الخشب المحكم النجارة أو الساذجة على حائط البيب ومن فوقها اللوح كذلك موصولة بالدهس وتر ويصب عليها التراب والكس ويسط بالمرأز حتى تدخل اجزؤها وتلتحم ويعالى عليها بالكس كما يعالى على الحائط ومن صناعة البناء ما يرجع الى التتميق والتزيين كما يصنع من فوق الحيطان الاشكال المحسنة من الجص يخمر بالماء ثم يرجع جسدا وفيه بقية البلال فيشكل على التناسب فتخرج عظاما قباب الحديد الى أن يبقى له رونق ورواء ويرمى على على الحيطان ايضا بقطع الرخام والاجر والخزف أو بالاصدق أو السبع يفصل اجزاء متجانسة أو مختلفة وتوضع في الكس على نسب وأوضاع مقدرة عندهم يبدو به الحائط للعيان كانه قطع الرخام المتينة الى غير ذلك من بناء الجباب والصفار يحسب المساء بعد أن تعد في البيوت قصاص الرخام القوراء المحسنة المخرطة بالفومات في وسطها لتتبع المساء الجارى الى الصهر يجب ان يحلب اليه من خارج في القنوات المقضية الى البيوت وأمثال ذلك من أنواع البناء وتختلف الصناعات في جميع ذلك باختلاف المذق والبصر ويعظم عمران المدينة ويتسع فيكثر ورون ويرجع المحكام الى نظره هؤلاء فيمساها بمصر به من أحوال البناء وذلك أن الناس في المدن لكثرة الازدحام والعمران يتشاحون حتى في الفضاء والهواء للاعلى والاسفل

لم ازل اسمع الناس يقولون أعمالكم عما لكم كما تكونوا يولى عليكم الى ان ظفرت بهذا المعنى في القرآن قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وكان يقال ما أنكرت من زمانك فانما أفسده عليك عملك وقال عبد الملك بن مروان انصفونا يا معشر الرعية تريدون مناسرة أى بكر وعمر ولا تسير وافينوا لافى أنفسكم بسيرتهم انسال الله ان يعين كلا على كل (وقال) قتادة قالت بنو اسرائيل الهنا أنت في السماء ونحن في الارض فكيف نعرف رضاك من سخطك فواحي الله تعالى الى بعض أنبيائهم اذا استعملت عليكم خباركم فقد رضيت عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فقد سخطت عليكم وقال صبيدة السلماني لعلي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ما بال أبي بكر وعمر رانطاع الناس لهم والديناء عليهم أضيقت من شبر فاستعت عليهم ما ووليت أنت وعمان الخلافة ولم ينطاعوا لك كما قد استعت فصارت عليك كما أضيق من شبر فقال لان رعية أبي بكر وعمر كانوا مثلي ومثل عثمان ورعيتي أنا اليوم مثلك وشبهك (وكتب) اخ لمجد بن يوسف يشكو اليه جور

العمال فكتب اليه محمد بن يوسف بلغني كتابك تذكر ما أنتم فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالمعصية ان ينكر العقوبة وما أرى ما أنتم فيه الا من

شوم الذنوب والسلام * (الباب الثاني والاربعون في بيان الخصلة التي تصلح بها الرعية) * اعلم ان ادعى خصال السلطان الى اصلاح الرعية واقواها اثر افي تمسكهم باديانهم وحفظهم لماروا تهم اصلاح السلطان (٢٤٣) نفسه وتزهره عن سفساف الاخلاق

وبعد عن مواضع الزيب
وترفيهه نفسه عن
استحباب البطالة والجون
واللعب واللهو والاعلان
بالفسوق وقد كانت صحبة
محمد الامين لذلك الرجل
الخليم والمساجن الرقيق
أني نواس الشاعر وصمة
عظيمة عليه او هن بها
سلطانه ووضع عند الخصاص
والعام قدره وأطلق السنة
الحاق بالشم والثناء القبيح
على نفسه فخلعه بذلك
أخوه المأمون عن الولاية
ووجه طاهر بن الحسين
لحاربه بيغداد وحراره
حتى قتله وانفذ برأسه الى
المأمون وكان يعمل كتباً
تقرأ على المنابر من خراسان
ويقف الرجل فيذم اهل
العراق فيقول اهل فسوق
ونجور وما خورو يعيب
الامين بذلك فيقول
استصحب ابانواس شاعرا
ما جناً كافراً استخلصه
لشرب الخمر وارتكاب
المسا ثم ونييل الحارم
وهو القائل
الافاس قتي نجر او قل لي
هي الخمر
ولا تسقي سر اذا امكن
الجهر
ومجباسم من تهوى ودغني
من الكنى

ومن الانتفاع بظاهر البناء مما يتوقع معه حصول الضرر في المحيطان فيمنع جاره من ذلك الا ما كان له فيه حق ويختلفون ايضا في استحقات الطرق والمنافذ للمياه الحارثية والفضلات المرسية في القنوات وربما يدعى بعضهم حق في حائطه أو علوه أو قنائه لتضاييق الجوار أو يدعى بعضهم على جاره اختلال حائطه خشية سقوطه ويحتاج الى الحكم عليه بهدوء ودفع ضرره عن جاره عندهم من يراه أو يحتاج الى قسمة دار أو عرصه بين شرين بحيث لا يقع معها فساد في الدار ولا اموال لمنفعة أو اموال ذلك ويخفى جميع ذلك الاعلى اهل البصر العارفين بالبناء وأحواله المستدلين عليها بالمعاد والمواد كالحطب وميل المحيطان واعتدالهما وقسم المساكن على نسبة أوضاعها ومنافعها وتسريب المياه في القنوات بحلوبة ومعرفة بحيث لا تضر بما مرت عليه من البيوت والمحيطان وغير ذلك فلهم بهذا كله البصر والخبرة التي ليست لغيرهم وهم مع ذلك يختلفون بالجودة والقصور في الاحمال باعتبار الدول وقوتها فانما قدمنا ان الصنائع وكلها انما هو بكامل الحضارة وكثرتها بكثرة اطالب لها فذلك عند ما تكون الدولة بدوية في أول أمرها تنقصر في أمر البناء الى غير قطرها كما وقع للوليد بن عبد الملك حين أجمع على بناء مسجد المدينة والقدس ومسجده بالشام فبعث الى ملك الروم بالقسطنطينية في القسعة الماهرة في البناء فبعث اليه منهم من حصل له غرضه من تلك المساجد وقد يعرف صاحب هذه الصناعة أشياء من الهندسة مثل تسوية المحيطان بالوزن واجراء المياه باخذ الارتفاع واما مال ذلك فيحتاج الى البصر بشئ من مسائله وكذلك في جاراتها بالهندام فان الاجرام العظيمة اذا شيدت بالحجارة الكبيرة يجرى قدر القلعة عن رفعها الى مكانها من الحائط فيتحيل لذلك بمضاعفة قوة الحبل بادخاله في المعالق من انقاب مقدرة على نسب هندسية تصير النسيم عند معاناة الرفع خفيفاً فيتم المراد من ذلك بغير كلفة وهذا الغاية بماصول هندسية معروفة متداولة بين البشر ويحتملها كان بناء الهياكل المسائلة لهذا العهد التي يحسب الناس انها من بناء الجاهلية وان ابدانهم كانت على نسبتها في العظم الجسماني وليس كذلك وانما تم لهم ذلك بالحيل الهندسية كما ذكرناه فتعهم ذلك والله يخلق ما يشاء سبحانه

٢٦ * (فصل في صناعة النجارة) *

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك ان الله سبحانه وتعالى جعله للاحكام في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته وحاجاته وكان منها الشجر فان له فيه من المنافع ما لا ينحصر عما هو معروف لكل احد ومن منافعها اتخاذها خشباً اذا يست واول منافعها ان يكون وقوداً للنيران في معاشهم وعصا للالتكاف والذود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائم ما يخشى ميله من اثقالهم ثم بعد ذلك منافع أخرى لاهل البدو والحضر فاما اهل البدو فيخذلون منها العمود والوتاد لحياتهم والمخدوج لظلماتهم والرماح والقسي والسهام لاسلحهم واما اهل الحضر فالسقف لبيوتهم والاعمال لابيوابهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه فالحشبة مادة لا تصير الى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل واحد من صورها هي النجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها الى تقصيل الخشب او لا اما بخشب اصغر منه او الواح ثم تركب تلك الفصائل بحسب الصور والمطلوبة وهو في كل ذلك يحاول بصنعة اعداد تلك الفصائل بالانتظام الى ان تصير أعضاها لذلك الشكل المخصوص والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران ثم اذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتأنى الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف او باب او كرسي او ما عاون حدث التأنى في صناعة ذلك

فلا خير في اللذات من دونها ستر حتى تغيرت عليه نفوس الخلق وتكررت له وجوه الوري فلما بلغ الامين حبه ثم اطلقه بعد ان اخذ عليه ان لا يشرب نجر او لا يقول فيه شعر اغنى اراد السلطان اصلاح رعيته وهو متمسك على سبيل اخلاقه كان مكن او ابقاء الجسم مع فقد

واسه او اراد استقامه الجسم مع عدم حياته ولكن اراد تقويم الضلع مع اعوجاج الشخص وكيف يحيا النون مع فساد الماء ولقد اصاب الخليل في قوله اصلح نفسك لنفسك (٢٤٤) تكون الناس تبعالك وقد عاقل من اصلح نفسه ارفع انفس اعدائه ومن اعمل

جده بلغ كنه امانيه (وسئل)

بعض الحكماء بمقتضى
الانسان من عدوه فقال
باصلاح نفسه ولا يفتح
البس

اذا غدا ملك بالله ومشتغلا
فاحكم على ما لك بالويل
والحرب

اماترى الشمس في الميزان
هابطة

لما غدا وهو برج الله
والطرب

وصحبة الاشراق تورث الشر
كالريح اذا مرت على الثمن
جملت ثمننا واذا مرت على
الطيب جملت طيبا فحال

استصلاح رعيته وانت
فاسد وارشادهم وانت غاو

وهذا يتهم وانت ضال وقد
سبق المثل ومن العجايب
اعمش كحال وتقول العرب

يا طبيب طب نفسك وكيف
يقدر الاعشى على ان يهدى

والفقير على ان يغنى والذليل
على ان يعز فبعدك عن

تطهير غيرك من العيوب
قبل تطهير نفسك كبعد

الطبيب عن ابراهيم من
دابه مثله (وقال) بعض

حكما الهندان يبلغ ألف
رجل في اصلاح رجل

واحد بحسن القول دون
حسن الفعل كما يبلغ رجل

واحد في اصلاح ألف

واستجاذبه بغرائب من الصناعة كمالية ليست من الضرورى في شئ مثل التخطيط في الابواب والكراسي ومثل تهذيب القلع من الخشب بصناعة الخرم يحكم برها وتشكيلها ثم تؤلف على نسب مقبولة وتلحم بالداثر فتبدل لرى العين ملتزمة وقد أخذ منها اختلاف الاشكال على تناسب يصنع هذا في كل شئ يتخذ من الخشب فيجىء آتى ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج اليه من الالات المتخذة من الخشب من أى نوع كان وكذلك قد يحتاج الى هذه الصناعة في انشاء المراكب البحرية رية ذات الألواح والدر وهو أجرام هندسية صنعت على قالب المحوت واعتبار سجيح في الماء بقوامه وكل كاله ليكون ذلك الشئ كل أعون لها في مصادمة الماء ووجهه لهما عوض الحركة الحيوانية التي للسماك تحريك الرياح وربما أعينت بحركة المقاذيف كما في الاساطيل وهذه الصناعة من اصلها محتاجة الى اصل كبير من الهندسة في جميع اضافاتها لان اخراج الصور من القوة الى الفعل على وجه الاحكام محتاج الى معرفة التناسب في المقادير اما عمومها وخصوصها وتناسب المقادير لا بد فيه من الرجوع الى المهندس ولهذا كان أئمة الهندسة اليونانيون كلهم أئمة في هذه الصناعة فكان اوقليدس صاحب كتاب الاصول في الهندسة نجارا وها كان يعرف وكذلك بلونيوس صاحب كتاب المخروطات وميلاوش وغيرهم وفيما يقال ان معلم هذه الصناعة في الحقيقة هو نوح عليه السلام وبها أنشأ سفينة النجاة التي كانت بها مجهزة عند الطوفان وهذا الخبر وان كان ممكنا عني كونه نجارا الا ان كونه اول من علمها وتعلمها لا يقوم دليل من النقل عليه لبعده الامداد وانما معناه والله اعلم الاشارة الى قدم التجارة لانه لم يصح حكاية عنها قبل خبر نوح عليه السلام بفعل كانه اول من تعلمها فنفهم اسرار الصنائع في الحقيقة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٢٧ * (فصل في صناعة الحياكة والخياطة) *

ها تان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج اليه البشر من الرفه فالاولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن سدا في الطول والحما في العرض لذلك النسج بالالتحام الشديد فتم منها قطع مقبولة فمنها الاكسبة من الصوف للاشتمال ومنها الثياب من القطن والكتان للباس والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الاشكال والعوائد تفصل اولها بالقرص قطعاً مناسباً للاعضاء البدنية ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلا وتنبيةا وتقسيمها على حسب نوع الصناعة وهذه الثانية مختصة بالعمران المحضرى لسان اهل البدو يستغنون عنها وانما يشتمل على الانواع اشتمالا وانما تفصل الثياب وتقديرها والحماها بالخياطة للباس من مذهب الحضارة وفنونها وتقفهم هذا في سر تحريم الخط في الحج لسان مشروعية الحج مشتملة على هذا العلائق الدينية كلها والرجوع الى الله تعالى كما خلقنا اول مرة حتى لا يعلى العبد قلبه بشئ من عوائده لا طيبا ولا نساء ولا مخطا ولا خفا ولا تعرض لصيد ولا شئ من عوائده التي تلونت بها نفسه وخلقه مع انه يفقد ما بالموت ضرورة وانما يجيىء كانه واردا الى المحشر ضارعا بقلبه مخلصا اليه وكان جزاؤه ان تتم له اخلاصه في ذلك ان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه سبحانه ما أرفقك بعبادك وارحمك بهم في طلب هدايتهم اليك * وهاتان الصنعتان قديمتان في الحقيقة لسان الدف ضرورى للبشر في العمران المعتدل وأما المنحرف الى الحرف لا يحتاج اهله الى دفة وهذا يملغنا عن اهل الاقليم الاول من السودان انهم عراقي الغالب ولقد قدم هذه الصنائع ينسبها العامة الى ادريس عليه السلام وهو أقدم الانبياء اوربما ينسبونها الى هرمس وقد يقال ان هرمس هو ادريس والله سبحانه وتعالى هو الخلاق العليم

رجل بحسن الفعل دون القول وفيه قال القائل يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم فصل
تصف الدواء من السقام لذى الضنى * كما يصح به وانت سقيم ما زلت تطلع بالرشاد عقولنا عظة وانت من الرشاد عديم

أبد أن ينسك فأنهم غيها * فإذا انتهت عنه فانت حكيم * فهناك يقبل ما تقول ويقتدي ■ بالارأي منك وينفع التعليم
لأنهم عن خلق وتأتى مثله ■ عار عليك إذا فعلت عظيم ولكن أقوى الأسباب (٢٤٥) في صلاحهم عند فوت صلاحه استعماله

عليهم الخاصة منهم وذوي
الاحلام والمرآت القائمة

والاذيال الطاهرة في رأس
العامية سراتهم فهو الطريق
الى حفظ أديانهم وحروراتهم
وتماسكهم عن الانهماك
في المخطورات وملازمة
الحرمات وقال الشاعر
لا تصليح الناس فوضى
لا سراة لهم

لا سراة إذا جهلهم سادوا
(وقال) مردك الفارسي
خلفان في السلطان أقرب
الى صلاح الرعية عما
سواهما ثقة الراى وشدة
الرجة وما أحق السلطان
أن يسلك بالرعية كل سبيل
يصلحون عليه ويسودون
في حيث يكون رئيس
الرؤساء وأمير اعلی السادة
والفضل لا عوان أهلهم
وركوب شهواتهم وتوسط
لذاتهم ذهب أديانهم
وسقطت مرواتهم وبقوا
كجاء المثل في الجماعة
المذمومة تقول العرب في
القوم لا رؤساء فيهم ولا
سروات بينهم هم سواسية
كاسنان الحجار وتقول
سواسية كاسنان المشط
وفهم يقول الشاعر
سواس كاسنان الحجار
فلا ترى
لذي شية منهم على نائي
فضلا

٢٨ * (فصل في صناعة التوليد)

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الا دعى من بطن أمه من الرفق في اخراجه من رحمها
وتهيئة اسباب ذلك ثم ما يصلحه بعد الخروج على ما نذ كروهي مختصة بالنساء في غالب الامر لما اتهم
الظواهرات بعضهم على عورات بعض وتسمى القائمة على ذلك منهن القابلة اسمتهن فيهم امهني الاعطاء
والقبول كأن النساء تعطين الجنين وكانها تقبله وذلك ان الجنين اذا استكمل خلقه في الرحم واطواره
وبلغ الى غاية والمدة التي قدر الله له كنهه وهي تسعة اشهر في الغالب فيطلب الخرج بما جعل الله في
المولود من التزويج لذلك ويضيق عليه المنفذ فيسرور بما فرق بعض جوانب الفرج بالضغظ وربما
انقطع بعض ما كان في الاغشية من الالتصاق والاتحام بالرحم وهذه كلها آلام يشدها الرحم وهو
معنى الطلق فتكون القابلة معينة في ذلك بعض الشيء بغز الظهر والوركين وما يحاذي الرحم من الاسفل
تساق بذلك فعل الدافعة في اخراج الجنين وتسهيل ما يصعب منه بما يكمنها على ما تهدي الى معرفة
عسره ثم اذا خرج الجنين بقيت بينه وبين الرحم الوصلة حيث كان يتغذى منها متصلة من سرة معاه وتلك
الوصلة عضو فضلي لتغذية المولود خاصة فتقطعها القابلة من حيث لا تتعدى مكان الفضلة ولا تضر معاه
ولا يرحم أمه ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكي او بما تراه من وجوه الاندمال ثم ان الجنين عند خروجه
في ذلك المنفذ الضيق وهو رطب العظام سهل الانعطاف والانتفاء وربما تتغير أشكال أعضائه وأوضاعها
لقرب التكوين ورطوبة المواد فتتناوله القابلة بالغمر والاصلاح حتى يرجع كل عضو الى شكله
الطبيعي ووضعه المقدور ويرتد خلقه سويا ثم بعد ذلك تراجع النفساء وتحاذيها بالغمر والملاينة لخروج
اغشية الجنين لانهار بما تنأخر عن خروجه قليلا ويخشى عند ذلك ان تراجع المسكة حالها الطبيعية
قبل استكمال خروج الاغشية وهي فضلات فتعفن ويسرى عفنها الى الرحم فيقع الهلاك فتحاذر القابلة
هذا وتحاول في اعانة الدفع الى ان يخرج تلك الاغشية ان كانت قد تأخرت ثم ترجع الى المولود فتخرج
اعضائها بالادهان والذورات القابضة لتشدده وتجفف رطوبات الرحم وتحنكه لرفع لماته وتسعطه
لاستقرار بطون دماغه وتغمره بالعوق لدفع السد من معاه وتجويقه عن الالتصاق ثم تدأوى النفساء
بعد ذلك من الوهن الذي اصابها بالطلق وما لحق رحمها من الم الانفصال اذا المولود ان لم يكن عضو طبيعيا
في حالة التكوين في الرحم صيرته بالاتحام كالعضو المتصل فلذلك كان في انفصاله الم يقرب من الم القطع
وتدأوى مع ذلك ما يلحق الفرج من الم من جراحة التزريق عند الضغط في الخروج وهذه كلها أدواء نجد
هؤلاء القوابل أبصر بدوائها وكذلك ما يعرض للمولود مدة الرضاع من أدواء في بدنه الى حين الانفصال
فجدهن أبصر بهامن الطبيب الماهر وما ذاك الا لان بدن الانسان في تلك الحالة انما هو بدن انساني
بالقوة فقط فاذا جاوذا لفصال صار بدننا انسانيا بالقول فكانت حاجته حيث نذ الى الطبيب أشد فهدنه
الصناعة كاتراه ضرورة في العمران للنوع الانساني لا يتم كون اشخاصه في الغالب دونها وقد يعرض
لبعض اشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة اما بحلق الله ذلك لهم معجزة وخرق العادة كما في حق
الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم او بالمسام وهداية يلهم لها المولود ويطهر عليها فيتم وجودهم من دون
هذه الصناعة فاما شأن المعجزة من ذلك فقد وقع كثيرا ومنه ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد
مسرورا محتونا واضعا يديه على الارض شاخصا بصره الى السماء وكذلك شأن عيسى في المهد وغير ذلك
واما شأن الالهام فلا ينكر واذا كانت الحيوانات العجم تختص بعرائب من الالهامات كالنحل وغيرها فما

ولان يكون أمير اعلی الفضلاء والرؤساء خير من أن يكون أمير اعلی الاخساء والرمادية والغوغاه والادنياء (وقد قال) عبد الملك بن مروان
يوما وقد استقام له الامر من يعذري من عبد الله بن عمر فانه أبى ان يدخل في سلطاني فقال بعض جلسائه تستخصره وتضرب عنقه وتستريح

منه فقال عبد الملك ويلك اذا قتلت ابن عمر على من اكون امير او لما صار داود الى الحجاز في الدولة العباسية ليقول من هناك من بني امية قال له عبد الله بن الحسن يا ابن عم (٢٤٦) اذا سرعت في قتل ا كفاك فكن تباهي بساطنك اعف يعف الله عنك فعفا (وقال)

ارسطاطاليس للاسكندر
استصلح الرعية واذهب
شمرهم تكون رئيس الاخبار
ممدوحين ولا تكون رئيسا
لاشرار مذمومين فتكون
كرامى البقر
(الباب الثالث والاربعون
فيه ما يملك السلطان من
الرعية) *

كتب ارسطاطاليس الى
الاسكندر امالك الرعية
بالاحسان تظفر منهم بالحب
فان طلب ذلك منهم
بالاحسان هو ادم بقاء
منهم بالاعتساف واعلم انك
انما تملك الابدان فتخطاها
الى القلوب بالمعروف
(واعلم) انه اذا عدل
السلطان ملك قلوب الرعية
واذا جارم يملك منهم الارباء
والنصنع وفي سير المتقدمين
قلوب الرعية خزائن ملوكها
فما اودعوها من شئ
فليعلموا انه فيها (واعلم) ان
الرعية اذا قدرت على ان
تقول قدرت على ان تفعل
فاجتهد ان لا تقول تسلم
من ان تفعل وليس هذا
خلاف ما روى عن معاوية
ان رجلا غلظ له فغل عليه
فقليل له اتعلم على مثل هذا
فقال اني لا احول بين
الناس واستنهم ما لم يحولوا
بيننا وبين ساطننا وذلك

ذلك بالانسان المفضل عليه وخصوصا بمن اختص بكرامة الله ثم الالهام العام للوولين في الاقبال على
الشيء اوضح شاهد على وجود الالهام العام لهم فشان العناية الالهية اعظم من ان يحاط به ومن هنا يقفهم
بطلان رأى الفارابي وحكام الاندلس فيما احتجوا به لعدم انقراض الانواع واستحالة انقطاع المكونات
وخصوصا في النوع الانساني وقالوا لولا انقطعت اشخاصه لاستحال وجودها بعد ذلك لتوقفه على هذه
الصناعة التي لا يتم كون الانسان الا بها اذ لو قدرنا مولودا دون هذه الصناعة وكفاتها الى حين الفصال لم يتم
بقاؤه اصلا ووجود الصنائع دون الفكر مجتمع لانها ثمرة وتابعة له وتكلف ابن سينا في الرد على هذا الرأي
لحقا القته اياه وذهابه الى امكان انقطاع الانواع وخراب عالم التكرار ثم عوده ثانيا لاقتضايات فلاكية
واوضاع غريبة تنذر في الاحقاب بزعمه فتقتضي تخمير طينة مناسبة لزواجه بحرارة مناسبة فيتم كونه انسانا
ثم يقبض له حيوان يخلف فيه الهام لترتيبه والمخنة وعليه الى ان يتم وجوده وفصاله واظن في بيان ذلك في
الرسالة التي سماها رسالة يحيى بن يقظان وهذا الاستدلال غير صحيح وان كنا نوافقه على انقطاع الانواع
لكن من غير ما استدلل به فان دليله مبني على اسناد الافعال الى العلة الموجهة ودليل القول بالفاعل
المختار يرد عليه ولا واسطة على القول بالفاعل المختار بين الافعال والقلة القديمة ولا حاجة الى هذا
التكلف * ثم لو سلمنا هذا لا غاية ما ينبغي عليه ايراد وجوده هذا الشخص بخلق الالهام لترتيبه في
الحيوان الاعجم وما الضرورة الداعية لذلك واذا كان الالهام يخلق في الحيوان الاعجم فما المانع من
خلقه للوود نفسه كما قدرناه اولاً وخلق الالهام في شخص لمصالح نفسه اقرب من خلقه فيه لمصالح غيره فكل
المذهبين شاهدان على انفسهم ما بالطلان في مناحيهم ما ساقرت به الله تعالى اعلم

٢٩ * (فصل في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر والامصار دون البادية) *

هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائدتها فان شئت حفظ الصحة للاصحاء ودفع
المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء من امراضهم واعلم ان اصل الامراض كلها انما هو
من الاغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الجامع للطب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية
رأس الدواء واصل كل داء البردة فاما قوله المعدة بيت الداء فهو ظاهر واما قوله الحمية رأس الدواء
فالحمية الجوع وهو الاحتماء من الطعام والمعنى ان الجوع هو الداء العظم الذي هو اصل الادوية
واما قوله اصل كل داء البردة فعنى البردة ادخال الطعام على الطعام في المعدة قبل ان يتم هضم الاول
وشرحه هذا ان الله سبحانه خلق الانسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالاكل وينقذ فيه القوى
المساخرة والغاذية الى ان يصير دما ملائما لاجزاء البدن من اللحم والعظم ثم تأخذ النامية في قلب
الحمار وعظاما ومعنى الهضم طبخ الغذاء بالحرارة الغريزية طورا بعد طور حتى يصير خرايا ليعمل من البدن
وتفسيره ان الغذاء اذا دخل في القوم ولا كته الاشدق أثرت فيه حرارة القوم طبخا سيرا وقلبت مزاجه بعض
الشيء كما تراه في اللقمة اذا تناولتها طعاما ثم اجدها مضغاً فترى مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل في المعدة
فتطبخه حرارة المعدة الى ان يصير كيموسا وهو صفو ذلك المطبوخ وترسله الى الكبد وترسل ما وسب منه
في المعانة فلا ينقل الى الخارجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس الى ان يصير دما عبيطا وتطبخ عليه
رغوة من الطبخ هي الصفراء وترسب منه اجزاء باسفة هي السوداء ويصير الحار الغريزي بعض الشيء عن
طبخ الغلظ منه فهو البلمغم ثم ترسلها الى الكبد كلها في العروق والجداول ياخذها طبخ الحار الغريزي
منك فيكون عن الدم الخالص بخار حار وطبخ يد الروح الحيواني وتأخذ النامية مأخذها في الدم فيكون

الحمار

ان تفسير قوله فاجتهد ان لا تقول يعني اذا عدلت لم يتكلموا بشئ وهذه السيرة احسن من سيرة اردشير

لما رفع اليه ان جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم فوقع نحن معاشر الملوك انما غلب الاجساد لا النيات ونحكم بالعدل لا بالرضا ونفحص

عن الاعمال لاعن السرائر (قلت) وانما تحسن هذه السيرة لمن يحجز عن الاولى لان ملك الاجساد قد يكون بالعدل والظلم وملك القلوب لا يكون الا بالعدل واين هذا من قوله وقد رفع اليه انك ركبت امس في عدة قليلة وتلك (٢٤٧) حالة لا يؤمن اغتيال الاعداء فيها.

فوقع من عم اسانه آمن
أعداء وما أحسن ما قال
عبد الملك بن مروان يا أهل
الشام انما أنا لكم كالظلم
الرائح على فراخه ينقي
عنهم القذرو ويباعد عنهم
الحجرو يكنهم من المطر
ويحميهم من الضباب
ويحرسهم من الذئاب
يا أهل الشام انتم الحجة
والرداء وانتم العدة والجداء
وقالت العجم أسوس الملوكة
من قادر عبته الى طاعته
بقلوبها ولا ينبغي للوالي
أن يرغب في الكرامة
التي ينالها من العامة
كرها وان كان في التي يستحقها
بحسن الاثرو صواب
التدبير وقال عمر بن عبد
العزيز اني لاجع أن
أخرج للمسلمين أمرا من
العدل فاخاف أن لا تحمله
قلوبهم فانخرج معهم طمعا
من طمع الدنيا فانفرت
القلوب من هذا سكنت
الي هذا وقال معاوية
لزياد من أسوس الناس
انا أو انت فقال يا أمير
المؤمنين ما جعل الله رجلا
حفظ الناس بسيفه كن
أسهم الناس وأطاعوا له
باللين ويرى ان سلما
مولي زياد في رزياد
عند معاوية فقال معاوية

لجأ ثم غلبه عظاما ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجاته من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللعاب
والخاط والدمع هذه صورة الغذاء وخروجها من القوة الى الفعل لجأ ثم ان أصل الامراض ومعظمها هي
الحجيات وسببها ان الحار الغريزي قد يصفى عن تمام النضج في طبعه في كل طور من هذه فيبقى ذلك
الغذاء دون نضج وسببه غالبا كثرة الغذاء في المعدة حتى يكون أغلب على الحار الغريزي او ادخال الطعام
الى المعدة قبل أن تستوفي طبع الاول فيستقل به الحار الغريزي ويترك الاول بحاله او يتوزع عليهما
فيقتصر عن تمام الطبع والنضج وترسله المعدة كذلك الى الكبد فلا تقوى حرارة الكبد ايضا على انضاجه
وربما بقي في الكبد من الغذاء الاول فضلة غير ناضجة وترسل الكبد جميع ذلك الى العروق غير ناضج كما
هو فاذا أخذ البدن حاجته الملائمة ارسله مع الفضلات الاخرى من العرق والدمع واللعاب ان اقتدر على
ذلك وربما يحجز عن ذلك كثير منه فيبقى في العروق والكبد والمعدة وتترايد مع الايام وكل ذي رطوبة
من المتزجات اذا لم يأخذ الطبع والنضج يعفن فيتعفن ذلك الغذاء غير الناضج وهو المسمى بالخاط وكل
متعفن فيه حرارة غريبة وتلك هي المسمات في بدن الانسان بالحجى واختبر ذلك بالطعام اذا ترك حتى يتعفن
وفي الزبل اذا تعفن ايضا كيف تنبعث فيه الحرارة فتأخذ ما أخذها هذا معنى الحجيات في الابدان وهي
رأس الامراض وأصلها كواقع في الحديث وهذه الحجيات علاجها بقطع الغذاء عن المريض اسابيع
معلومة ثم يتناول الاغذية الملائمة حتى يتم برؤه وذلك في حال الصحة علاج في التحفظ من هذا المرض وأصله
كواقع في الحديث وقد يكون ذلك العفن في عضو مخصوص فيتولد عنه مرض في ذلك العضو ويحدث
جراحات في البدن اما في الاعضاء الرئيسية او في غير ها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض القوي
الموجودة هذه كلها جاع الامراض وأصلها في الغالب من الاغذية وهذا كله مرفوع الى الطبيب
وواقع هذه الامراض في أهل الحضرة والمصارا كثير لخطب عيشهم وكثرة ما كاهم وقلة اقتصاؤهم على
نوع واحد من الاغذية وعدم توقيتهم لتناولها وكثيرا ما يخطئون بالاغذية من التوابل والبقول والفواكه
رطبا وياسا في سبيل العلاج بالطبع ولا يقتصر ون في ذلك على نوع او انواع فر بما عددنا في اليوم الواحد
من ألوان الطبخ اربعين نوعا من النبات والحبوب ان فيصير للغة ذاه مخرج غريب وربما يكون غير يباع
ملائمة البدن اجزائه ثم ان الاهوية في الامصار تفسد بمخاطبة الانجزة العفنة من كثرة الفضلات والاهوية
منشطة للارواح ومقوية بنشاطها الاثر الحار الغريزي في المضم ثم الى الرياضة مفقودة لاهل الامصار اذ هم
في الغالب وادعون ساكتون لا تأخذ منهم الرياضة شيئا ولا تؤثر فيهم اثر ارف كان وقوع الامراض كثير في
المدن والامصار وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم الى هذه الصناعة وأما أهل البدو فكلهم قليل في
الغالب والجوع أغلب عليهم لقلة المحبوب حتى صار لهم ذلك عادة وربما يظن انها جيلة لاستمرارها ثم الادم
قليلة لديهم او مفقودة بالجملة وعلاج الطبخ بالتوابل والفواكه انما يمدعوا اليه ترف الحضارة الذين هم
بعزل عنه فيتناولون اغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخاطها ويقرب مزاجها من ملائمة البدن وأما اهويتهم
فقليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات ان كانوا آهلين ولا خلة لاف الاهوية ان كانوا طواعن ثم ان
الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الخيل او الصيد او طلب الحاجات المنة أنفسهم في حاجاتهم
فيحسن بذلك كله المضم ويجودو يفقد ادخال الطعام على الطعام فتكون آخرتهم أصح وابعدهم
الامراض فتقل حاجتهم الى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجه وما ذاك الا للاستغناء عنه
اذ لو احتج اليه لوجد لانه يكون له بذلك في البدن معاش يمدعوه الى سكنه سنة الله التي قد خلت في

أسكت فبا أدرك صاحبك بسنة أدركت أكثر منه بلساني (الباب الرابع والاربعون في التحذير من حجة السلطان) اتفقت
حكما العرب والعجم ووصاياهم على النهي عن حجة السلطان قال في كتاب كلبه ودمنه ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل حجة السلطان

واثمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطر اصحبه السلطان وقال
مردك احق الامور بالتميت فيها (٢٤٨) أمر السلطان فانه من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعرا لغرور وفي حكم الهند أيضا

عباده ولان تجد لسنة الله تبديلا

٣٠ * (فصل في ان الخط والكاتبه من عداد الصنائع الانسانية) *

وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو ثاني رتبة من الدلالة
اللغوية وهو صناعة شريفة اذ الكتابة من خواص الانسان التي يميز بها عن الحيوان وأضافه في تطلع
على ما في الضعائر وتنادى بها الاغراض الى البلد البعيد دفقة قضى الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها
ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم فهي شريفة به
الوجوه والمنافع وخروجها في الانسان من القوة الى الفهم على انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع
والعمران والتساخي في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة اذ هو من جملة الصنائع
وقد قدمنا ان هذا شأنها وانها تابعة للعمران ولهذا نجد اذ كثرت الدواوين لا يكتبون ولا يقرؤون ومن قرأ
منهم او كتب فيكون خطه قاصرا وقرآته غير نافذة ونجد تعليم الخط في الامصار الخارج عمراتها عن الحد
ابلق واحسن وأسهل طريقا للاستحكام الصنعة فيها كما يحكي لنا عن مصر لهذا العهد أن بها معلمين
منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين وأحكاما في وضع كل حرف ويزيدون الى ذلك المباشرة بتعليم
وضعه فتعتمد لديه رتبة العلم والحس في التعليم وتأتي ملكته على أتم الوجوه وانما أتى هذا من كمال
الصنائع ووفورها بكثرة العمران وانفساح الاعمال وقد كان الخط العربي بالغامبا عنه من الاحكام
والاتقان والجودة في دولة التبايع لما بلغت من الحضارة والترقي وهو المسمى بالخط المجبري وانتقل منها
الى الحميرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبايع في العصبية والمجديدين الملك العرب بأرض العراق
ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبايع لقصور ما بين الدولتين وكانت الحضارة وتوابعها
من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحميرة لقنه أهل الطائف وقر يش فيما ذكر يقال ان الذي تعلم
الكتابة من الحميرة هو سفيان بن أمية ويقال حرب بن أمية وأخذها من أسلم بن سدره وهو قول ممكن وأقرب
من ذهب الى أنهم تعلموها من ابياد أهل العراق لقول شاعرهم

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جيعا والخط والقلم

وهو قول بعيد لان ابياد او انزلوا ساحة العراق فلم ير الواعلي شأنهم من البدو والخط من الصنائع
الحضرية وانما معنى قول الشاعر انهم أقرب الى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقرتهم من ساحة
الامصار وضواحيها فالقول بأن أهل الحجاز إنما لقنوها من الحميرة ولقنها أهل الحميرة من التبايع ووجه
هو الا ليق من الاقوال وكان مجبر كتابة تسمى المسند حروفها منفصلة وكانوا يسمعون من تعلمها الا باذنهم
ومن جبر تعلمت مضر الكتابة العربية الا أنهم لم يكونوا يجيدون لما شأن الصنائع اذ اوقعت بالبدو فلا
تكون محكمة المذاهب ولا مثالة الى الاتقان والتمهيق لبون ما بين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها
في الاكثر وكانت كتابة العرب بدوية مثل اوقريه ما من كتابتهم لهذا العهد اذ ونقول ان كتابتهم لهذا العهد
احسن صناعة لان هؤلاء أقرب الى الحضارة ومخاطبة الامصار والدول وأما مضر فكانوا عرق في البدو
وابعد عن الحضرة من أهل اليمن وأهل العراق وأهل الشام ومصر فكان الخط العربي لاول الاسلام غير
بالغ الى العناية من الاحكام والاتقان والاجادة والى التوسط لمكان العرب من البدو والادوية والتوحش
وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لاجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت
غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اختلف

صحبة السلطان على ما فيها
من العز والثروة عظيمة
الخطر وانما تشبه بالجبل
الوعرفها الثمار الطيبة
والسباع العادية والثعابين
المهلكة فلا رقاء اليه
شديد والمقام فيه أشد وليس
يتكافأ خبير السلطان
وشره لان خير السلطان
لا يعدو زيدا الحال وشي
السلطان قد ينزل الحال
ويتلف النفس التي لها
طلب المزيد ولا خير في
الشيء الذي في سلامته مال
وجاه وفي نسكته الحاجة
والتلف ولهذا ما قيل
للعناني لم لا تحب السلطان
على ما فيه لك من الادب
قال اني رأيت يعطى عشرة
آلاف في غير شيء ويردى
من الصوري في غير شيء
ولا أدري أي الرجلين
أكون (وأخبرني) أبو
العباس المجبازي وكان
من دوح أرض الهند
والصين وانتهى الى
صين الصين الى جبل
الياقوت بالهندوان فيه
ثعابين ليس في معمر
الارض أعظم منها فان
الواحد منها يبلغ الثور
صحيحا فلا يصل أحد الى
ذلك الجبل ولا يقربه
فاذا كثرت الامطار احدثت

السيول منه المحصى وسائر ما فيه من المنافع الى مستقر المياه على مسير أيام من الجبل فيبحث الناس ذلك المحصى
فيوجد فيه الواحدة بعد الواحدة من أججار الياقوت وقال معاوية لرجل من قر يش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي

ويرضى رضا الصبي ويبتطش بطش الاسد وقال المأمون لو كنت رجلا من العامة ما صحبت السلطان وقال الاحنف بن قيس ثلاثة
لا أقولهن الا ليعتبر بهن لا اخلف جليسي الا بجا أحضره به ولا أدخل في أمر لا أدخل فيه (٢٤٩) ولا آتى السلطان الا أن يرسل الى

وقال ابن المقفع لا بد أن
وجدت من السلطان
وصحبه غنى فاعن عن
نفسك واعتزل جهلك
فانه من يأخذه السلطان
بحقه يحل بينه وبين لذة
الدنيا ومن لا يأخذه بحقه
يكسبه الفضيحة في الدنيا
والوزر في الآخرة وقال
ميمون بن مهران قال لي
عمر بن عبد العزيز يا ميمون
احفظ غنى أربعا لا تحب
سلطانا وان أمرته بالمعروف
ونهيته عن المنكر ولا تخلون
بأمرأة وان قرأتها القرآن
ولا تصل من قطع روجه
فانه لك أقطع ولا تتكلم
بكلام اليوم تعتذر منه غدا
(وفي منشور الحكم) كثرة
الاشغال مذهلة عن وجود
الذات بكنهها وكقدرنا
وبلغنا من حب السلطان
من أهل الفضل والعقل
والعلم والدين ليصلحه ففسد
هو به فكان كما قال الاول
عدوى البليد الى الجليد
سريته
والبحر يوضع في الرماد
فيخمده
ومثل من يحب السلطان
ليصلحه مثل من ذهب
ليقيم حائطا ما لا فاعتمد
عليه ليقمه فخر الحائط عليه
فاهلكه وفي كتاب كليله

التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً برسمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير الخلق من بعده
المتلقون لوجه من كتاب الله وكلامه كما يقف في هذا العهد خطو الى اوعالم تبركاً ويبيع رسمه خطأ أو صواباً وأين
نسبة ذلك من الكتابة فيما كتبه فاتبع ذلك وأثبت رسمه ونبه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفت
في ذلك الى ما يزعجه بعض المغفلين من أنهم كانوا يحكمين لصناعة الخط وان ما يتخيل من مخالفة خطوطهم
لاصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكاهوجه ويقولون في مثل زيادة الالف في لا أنضحنه انه تنبيهه على ان
الذبح لم يقع وفي زيادة الياء في يأيدانه تنبيهه على كمال القدرة الربانية وامثال ذلك مما لا أصل له الا التحكم
الحض وما جعلهم على ذلك الاعتقاد هم ان في ذلك تنزيه للكتابة عن توهم النقص في قلة اجادة الخط
وحسبوا ان الخط كمال فترههم عن نقصه ونسبوا اليهم السكمال باجادة وطلبوا تعليل ما خالف الاجادة من
رسمه وذلك ليس بحجج * واعلم ان الخط ليس بكمال اذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في
الحلال وانما يعود على اسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لاجل دلالته على ما في النفوس
وقد كان صلى الله عليه وسلم لم اميا وكان ذلك كما لا في حقه وبالنسبة الى مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع
العملية التي هي اسباب المعاش والعمران كاه اوليست الامية كما لا في حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه
ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصلية طلاحية فان السكمال في حقه هو
تنزهه عنها لجهلة بخلافنا ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الامصار وما كوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة
واحتاجت الدولة الى الكتابة اسست عملوا الخط وطلبوا الصنائع وتعلمه وتداولوه فترقت الاجادة فيه
واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان الا انها كانت دون الغاية والخط الكوفي معروف
الرسم لهذا العهد ثم انتشر العرب في الاقطار والممالك وافتتحوا افرريقية والاندلس واختلط بنو العباس
بغداد وترقت الخطوط فيها الى الغاية لما استبحرت في العمران وكانت دار الاسلام وركز الدولة العربية
وكان الخط البغدادي معروف الرسم وتبعه الافريقى المعروف رسمه القديم لهذا العهد ويقرّب من اوضاع
الخط المشرقي وتحت يرمز ملك الاندلس بالامو بين تميز واباحوا لهم من الحضارة والصنائع والخطوط فقير
صنف خطهم الاندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطما بحر العمران والحضارة في الدول الاسلامية
في كل قطر وعظم الملك ونفقت اسواق العالوم وانتسخت الكتب واجيد كتبا وتجليدها وملائ بها
القصور والخزائن الملوكة بما لا كفا له وتنافس اهل الاقطار في ذلك وتنافسوا فيه ثم لما انحل نظام
الدولة الاسلامية وتناقصت تناقص ذلك اجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة فانتقل شأنها من
الخط والكتابة بل والعلم الى مصر والقاهرة فلم تزل اسواقها نافقة لهذا العهد دوله بها معلمون برسمون
لتعليم الحروف بقوانين في وضعها واشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم او يحكم اشكال تلك الحروف
على تلك الاوضاع وقد لقنها حسنا وحذق فيها درية وكتبا واخذها قوانين علمية فتجى أحسن ما يكون
وأما اهل الاندلس فافتروا في الاقطار عند تلالشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم
أم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب وافرريقية من لدن الدولة اللتونية الى هذا العهد وشاركوا اهل
العمران بما لديهم من الصنائع وتعلموا بأذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الافريقى وعفى عليه ونسى
خط القبروان والمهدية بنسب ان عواندهما ووضائعهما وصارت خطوط اهل افريقية كلها على الرسم
الاندلسي بتونس وماليها اتوفر اهل الاندلس بها عن دالجالية من شرق الاندلس وبقي منه رسم ببلاد

(٣٢ - ابن خلدون) وضمنه لا يسعد من ابتلى بحجة الملوكة فانه لا عهد لهم ولا وفاق ولا قريب ولا حليم ولا يكرم عليهم احد
الان يطعموا فيمعه فقير بوجهه ذلك فاذا اقضوا حاجتهم تركوه ولا ودوا ولا اذاعوا الا البلاء يجرى والذنب لا يغفر له وقال بزرجمهر لا تصلح

صحبة السلطان الاباطعة والذل ولا مؤاخاة الاخوان الابالين والمواساة (وقال) بعض حكماء افرس المال والاساطان مفسدان لسل كل
أحد الارجل له عقل كامل وقالت (٢٥٠) الحكماء صاحب السلطان كراكيب الاسدي يخافه الناس وهو لمركبه أخوف وقالوا من لزم

المجريد الذين لم يخاطبوا كتاب الاندلس ولا تأسوا بحوارهم انما كان يغدون على دار الملك بتونس فصار
خط أهل افر بقية من احسن خطوط أهل الاندلس حتى اذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء
وتراجع امر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجعل فيه وجه
التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه آثار الخط الاندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك لما
قدمناه من ان الصنائع اذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالمغرب
الاقصى لون من الخط الاندلسي لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم الى فاس قريما واسستمهم اياهم
سائر الدولة ونسي عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كان لم يعرف فصارت الخطوط بافر بقية
والمغرب بين مائلة الى الرداءة بعيدة عن الجودة وصارت الكتب اذا انتسخت فلا فائدة تحصل لم تصحها منها
الا انما والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتخفيف وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا تسكاد
تقرأ الا بعد عسر ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول والله أعلم

٣١ (فصل في صناعة الوراقة) ❦

كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط وكان
سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص
العمران بعد ان كان منه في الملة الاسلامية بحر زاجر بالعراق والاندلس اذهو كله من توابع العمران
واتساع نطاق الدولة ونفاق اسواق ذلك لديهم فكثر التآلف العلمية والدواوين وحرص الناس
على تناقلها ما في الافاق والاعصار فانتهت وجعلت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ
والتصحیح والتجليد وسائر الامور الكتبية والدواوين واختصت بالمصارف العظيمة العمران وكانت
السجلات أولا لا تنتساخ العجوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهمة
بالصناعة من الجدار لكثرة الرفو وقلة التآليف صدر الملة كما نذكره وقلة الرسائل السلطانية والصكوك
مع ذلك فانقصر واعلى السكايف في الرق تشرى بالكتوبات وميلابها الى الصلحة والاتقان ثم طمأ بحر
التآليف والتدوين وكثرت رسائل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك فاستأثر الفضل بن يحيى بصناعة
السكايف وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذته الناس من بعده صحفا مكتوبة باتهم السلطانية
والعلمية وبلغت الاجادة في صناعة ماشاقت ثم وقفت عناية اهل العجوم وهم اهل الدول على ضبط
الدواوين العلمية وتصحيحها بالرواية المسندة الى مؤلفيها ووضعها لانه الشأن الاهم من التصحيح والضبط
فبذلك تسند الاقوال الى قائمها والفتيا الى المحاكم بها المجتهد في طريق استنباطها وما لم يكن تصحيح المتن
باسنادها الى مدونها فلا يصح اسناد قول لهم ولا فتيا وهكذا كان شأن اهل العجوم ولم يجله في العصور
والاجيال والافاق حتى لقد قصرت فائدة الصناعة الحديثة في الرواية على هذه فقط اذ غرثت الكبري
من عرفة صحيح الاحاديث وحسنها ومسندها ومرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت
وعحصت زبدة في ذلك الامهات المتلقاة بالقبول عند الامة وصار القصد الى ذلك لغوامن العمل ولم يتبق
ثمرة الرواية والاشتغال بها الا في تصحيح تلك الامهات الحديثة وسواها من كتب الفقه للفتيا وغير ذلك من
الدواوين والتآليف العلمية واتصال مسندها بمؤلفيها ليصح النقل عنهم والاسناد اليهم وكانت هذه
الرسوم بالمشرق والاندلس معبدة الطرق واضحة المسالك ولهذا نجد الدواوين المنتسخة لذلك العهد في
اقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام والصلحة ومنها هذا العهد بأيدي الناس في العالم اصول عتيقة

باب السلطان بصبر جميل
وكظم الغيظ واطراح
الاذى وصل الى حاجته
كالكريم لا يتعلق باكرم
الشجر لكن بادناها وكانت
العرب تقول ان لم تكن
من قريباء الملك فكمن من
بعداه (وفي) حكم الهند
انما مثل السلطان في قلة
وفائه مع اصحابه وسخائه
نفسه عن فقده منهم كمثل
الصبي والمكتب كلما ذهب
واحد جاء آخر والعرب
تقول السلطان ذو غدوات
وذو بدوات وذو تدرا
وتريد انه سريع الانصراف
كثير البدوات هجم على
الامور واصله من الدر
وهو الدفم

(الباب الخامس والاربعون
في صحبة السلطان) ❦

قال ابن عباس قال لي ابي
يا بني اني اري امير المؤمنين
يستخيلك ويستشيرك
ويقدمك على الاكابر من
اصحاب محمد عليه السلام
واني اوصيك بخلال ثلاث
لا تفشين له شرا ولا يجربن
عليك كذبا ولا تغتابن
عنده احدا (قال) الشعبي
قلت لابن عباس كل واحدة
منهن خير من ألف قال
اي والله ومن عشرة آلاف
وقالوا صحبة السلطان

شهد

بالحذر والصدق بالتواضع والعدو بالجور والعامه بالبشر ولا تحكيم لاحد يحسن وأرى الملك
الايحس أثره (قال) بعض الحكماء لا تستطاع السلطان ما كنتم ولا تنفس ما أطلعك عليه من أدل على السلطان استنقله ومن امتن

عليه عاداه ومن أظهر أنه يستشير به بعده (وقال) بعض الحكماء إذا زادك السلطان تأنسافزده اجلا لا وإذا جعلك السلطان أخافاجعله أبوان زادك احسانافزده فعل العبد مع سيده وان ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس (٢٥١) فأخذوا في الثناء عليه فعملك

بالدعاه له وان نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثري الدعاه له عند كل كلمة فان ذلك شبيهه بالوخشة والغربة الا ان تكلمه على رؤس الناس فلا تألوا بما عظمت به وذكرته وقال ابن المقفع انك لو كنت حاكمك في سلطانك ثلاث خلال رضائك ورضا سلطانك ورضا من تلي عليه ولا عليك ان تلهو عن المال

والدخرفس ما تيك منها ما يكفي ويطيب (وقال) مسلم بن عمرو ان خدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا أدناك ولا تنفجيرا اذا أقصاك وروى أن بعض الملوك استحب حكيمه فقال له أصحبك على ثلاث خلال قال وما هن قال لا تهتك لي ستر ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قائل حتى تستشير في قال هذا لك فالي عندك قال لا أنشي لك سرا ولا أدخ عنك نصيحة ولا أوتر عليك أحدا قال نعم الصاحب المستحب أنت وقيل لعبد الله بن جعفر ما تخرق قال الدالة على السلطان والوثبة قبل الامكان وقال ابن المقفع أولى الناس بالملك

تسهد بلوغ الغاية لهم في ذلك وأهل الآفاق يتناقلونها الى الآن ويشدون عليها يد الضمانة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب وأهله لا تقطع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانه تقاص عمرانه وبداهة أهله وصارت الامهات والدواوين تنسخ بالخطوط اليدوية تنسخها طلبة البربر صحائف مستحجة برداء الخط وكثرة الفساد والتخفيف فتستغل على متصفحتها ولا يحصل منها فائدة الا في الاقل النادر وأيضا فقد دخل الخل من ذلك في الغيبة فان غالب الاقوال المعزوة غير مروية عن أئمة المذهب وانما تنلقى من تلاب الدواوين على ما هي عليه وتبع ذلك ايضا ما يتصدى اليه بعض أئمتهم من التأليف لقلة بصرهم بصناعته وعدم الصنائع الوافية بقاصده ولم يبق من هذا الرسم بالاندلس الا اثاره خفية بالاحياء وهي على الاضمحلال فقد كاد العلم ينقطع بالكلية من الغرب والله غالب على أمره ويبلغنا هذا العهد ان صناعة الرواية قائمة بالمشرق وتصحح الدواوين لمن يرومه بذلك سهل على مبتغيه لانه في اسواق العلوم والصنائع كان ذلك كره بعد الا ان الخط الذي بقي من الاجادة في الانتساخ ضالبا انما هو للعجم وفي خطوطهم وأما النسخ بمصر فقد كاد يفسد بالمغرب واشدوا لله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٣٢ * (فصل في صناعة الغناء)

هذه الصناعة هي تخمين الاشعار الموزونة بقطيع الاصوات على نسب منتظمة معروفة بوقع على كل صوت منها توقيعا عند قطعه فيكون نغمة ثم تؤلف تلك النغم بعضها الى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لاجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الاصوات وذلك انه تبين في علم الموسيقى ان الاصوات تناسب فيكون صوت نصف صوت وربع آخر وخمس آخر وثمان من احد عشر من آخر واختلف هذه النسب عند تأديتها الى السمع بخبرها من البساطة الى التركيب وليس كل تركيب منها ملذوذ عند السمع بل تراكب خاصة هي التي حصرها اهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هو مذكور في موضعه وقد يساوق ذلك النظم في النغمات الغنائية بقطع اصوات اخرى من الجمادات اما بالقرع او بالنفخ في الآلات فتخذ لذلك فترى لها الذعة عند السماع فيها هذا العهد اصناف منها ما يسمى به الشبابة وهي قصبة جوفاء بالجاش في جوانبها معدودة ينفخ فيها فتصوت ويخرج الصوت من جوفها على سداة من تلك الجاش ويقطع الصوت بوضع الاصابع من اليدين جميعا على تلك الجاش وضعا معارفا حتى تحدث النسب بين الاصوات فيه وتتصل كذلك متناسبة فياخذ السمع بادراكها للتناسب الذي ذكرناه ومن جنس هذه الآلة المزمار الذي يسمى الرلامى وهو شكل القصبة منحوتة الجانبيين من الخشب جوفاء من غير تدوير لاجل اثلاثها من قطعتين منفردتين كذلك بالجاش معدودة ينفخ فيها بقصبة صغيرة توصل فينفذ النفخ بواسطة اليها وتوصت بنغمة حادة يجرى فيها من تقطيع الاصوات من تلك الجاش بالاصابع مثل ما يجرى في الشبابة ومن احسن آلات الزمر لهذا العهد البوق وهو بوق من نحاس أجوف في مقعد دار الذراع يتسع الى ان يكون انقراج مخرجه في مقدار دون الكف في شكل يرى القلم وينفخ فيه بقصبة صغيرة تؤدي الريح من الفم اليه فيخرج الصوت نغمة ناديا وفيه الجاش ايضا معدودة وتقطع نغمة منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون ملذوذا ومنها آلات الاوتار وهي جوفاء كلها اما على شكل قطعة من السكره مثل البريط والرباب او على شكل مربع كالفانون توضع الاوتار على بساطها معدودة في رأسها الى دساتر جانبها لتبث في شد الاوتار ورخوها عند الحاجة اليه بادارتها ثم تفرع الاوتار ما بعد آخرها بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر عليها بعد ان يطلى بالشمع والاندرو ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في امراره

القاحشة المقدم على السلطان بالدالة وقال يحيى بن خالد الدالة تقصد المحرمة القديمة وتضر بالحجة المتأكدة وقال بزرجه اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعمه في معصية خالفتك فان احسانه اليك فوق احسان الملوك وايقاعه بك اعظم من ايقاعه اصحاب الملوك بالمعصية لهم

والوفار لا هم - م انما احتجهم واعن الناس - ايام الهية فلا تترك الهية وان طال أنسلت بهم فهو وحسبهم منك لا تعط السلطان مجهودك في أول صحبتك له فلا تجد بعد لئلا يدم موضعا (٢٥٢) ولكن دع لئلا يدم موضعا علم السلطان وكانك تتعلم منه وأشر عليه وكانك تستشيرها اذا أحلك

او نقله من وتر الى وتر والبدا اليسرى مع ذلك في جميع آلات الاوتار توقع باصابعها على اطراف الاوتار فيما يقرع او يجلج بالوتر - تحدث الاصوات متناسبة ملاذودة وقد يكون القرع في الطسوت بالقضبان او في الاعواد بعض - هاهنا بعض على توقع متناسب يحدث عنه التذاذ بالمسموع ولينين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء وذلك ان اللذة كما تقرر في موضعه هي ادراك الملائم والمحسوس انما تدرك منه كيفية فاذا كانت مناسبة للمدرك وملائمة كانت ملاذودة واذا كانت منافية له منافرة كانت مؤلمة فالملائم من الطعوم ماناسبت كيفية حاسة الذوق في مزاجها وكذا الملائم من الملموسات وفي الروائح ماناسبت مزاج الروح القلبي البخاري لانه المدرك واليه تؤديه الحاسة ولهذا كانت الرياحين والازهار العطريات أحسن وألحجة وأشده ملائمة للروح لغلبة الحارة فيها التي هي مزاج الروح القلبي وأما المراثيات والمسموعات فالملائم فيها تناسب الاوضاع في أشكالها وكيفياتها فهو أنسب عند النفس وأشده ملائمة لها فاذا كان المرئي متناسبا في أشكاله وتخطيطه التي له بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان ذلك حينئذ متناسبا للنفس المدركة فتدرك اذراك ملائمتها ولهذا تجد العاشقين المستهترين في المحبة يعبرون عن غاية محبتهم وعشقهم بامتزاج أرواحهم بروح المحبوب وفي هذا سر تفهمه ان كنت من أهله وهو اتحاد المبدأ وان كل ماسواك اذا نظرت وتاملته رايت بينك وبينه اتحاد في البداية يشهد لك به اتحاد كمال الكون ومعناه من وجه آخر ان الوجود يشترك بين الموجودات كما تقوله الحكماة فتود ان تخرج عما شاهدت فيه الكمال لتجد فيه بل تروم النفس حينئذ الخروج عن الوهم الى الحقيقة التي هي اتحاد المبدأ والكون ولما كان أنسب الاشياء الى الانسان وأقربها الى ان يدرك الكمال في تناسب موضوعها هو شكله الانساني فكان ادراكه للجمال والحسن في تخطيطه وأصواته من المداك التي هي أقرب الى فطرته فيلهمج كل انسان بالحسن من المرئي والمسموع بمقتضى الفطرة والحسن في المسموع أن تكون الاصوات متناسبة لامتنافرة وذلك ان الاصوات لها كيفيات من الهمس والجهر والرخاوة والشدة والقلقلة والضغط وغير ذلك والتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن فالوا ان لا يخرج من الصوت الى مده دفعة بل بتدرج يخرج من مرجع كذلك وهكذا الى المثل بل لا بد من توسط المتغير بين الصوتين وتأمل هذا من افتتاح أهل اللسان التراكيب من الحروف والمتنافية أو المتقاربة المخارج فانه من باب وثانيتها تناسبها في الاجزاء كما مر أول الباب فيخرج من الصوت الى نصفه أو ثلثه أو جزء من كذا منه على حسب ما يكون التثقل مناسب على ما حصره أهل الصناعة فاذا كانت الاصوات على تناسب في الكيفيات كما ذكره أهل تلك الصناعة كانت ملائمة ملاذودة ومن هذا التناسب ما يكون بسيطا او يكون الكثير من الناس مطبوعا عليه لا يحتاجون فيه الى تعلم ولا صناعة كما تجد المطبوعين على الموازين الشعرية وتوقع الرقص وأمثال ذلك وتسمى العامة هذه القابلية بالمصنار وكثير من القراء بهذه المثابة يقرؤون القرآن فيجيدون في تلاحين أصواتهم كأنها المزامير فيطربون بحسن مساقهم وتناسب لغاتهم ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس يستوى في معرفته ولا كل الطبائع توافق صاحبها في العمل به اذا علم وهذا هو التلحين الذي يتكفل به علم الموسيقى كما نشره بعد عن ذكر العلوم وقد أنكر مالك رحمه الله تعالى القراءة بالتلحين وأجازها الشافعي رضي الله تعالى عنه وليس المراد تلحين الموسيقى - يتقى الصناعات فانه لا ينبغي ان يختلف في حظه اذ صنعت الغناء مباينة للقرآن بكل وجهه لان القراءة والاداء تحتاج الى مقدار من الصوت لتعيين أداء الحروف لا من حيث اتباع الحركات في موضعها ومقدار المد عند

السلطان من نفسه بحيث يسمع منك وينتق بك فإياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدري متى يتغير لك فيكون عون عليك إياك ان تعادي من اذا شاء يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل وفي الامثال القديمة احذر رماة الخنثة وفيه قيل لبس الشفيخ الذي يأتيل مؤتزا مثل الشفيخ الذي يأتيل عريانا وفي الامثال لا تدل فقل ولا توجف فتجف وقال الرشيد لا سمعيل بن صبيح اباك والدالة فانها تقصد الحرمه وقال سليمان بن داود عليهم السلام لا تغش السلطان ولا تقعد عنه وقال الحكماء شدة الاتعاب من السلطان تورث التهمة وشدة الانسباط تفتح باب الملالة واعلم ان من طلب العز بلاذل كانت ثمرة سعيه الذل أحرز منزلتك عند السلطان بمثل ما كتبتهم من الحمد والمناسبة واحذر ان يحطك التهاون بما رفاك اليه التحفظ ان أشقى الناس بالسلطان صاحبه كما ان أقرب الاشياء الى النار أسرها احترق من

لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطراح الاذى وصل الى حاجته (وقال الاحنف بن قيس)

لا تنقبضوا عن السلطان ولا تهاكوا عليه فانه من أشرف على السلطان أرداه ومن تضرع له تحطاه وقال ابن عباس رضي الله عنه

ثلاثة من عاداهم عذرت ذلة السلطان والولد والغريم واعلم انه انما يستطيع صحة السلطان احدى رجلين اما فاجر مصانع ينال حاجته
بفجوره ويسلم بمصانعه وامام مغفل مهين لا يحسده احدى فاما من اراد ان يحجب السلطان (٢٥٣) بالصدق والنصيحة والعفاف

فقلنا تسطيع له صحبته
لانه يجتمع عليه
عدو السلطان وصديقه
بالعداوة والحسد اما
الصديق فينافسه في
منزله فطعن عليه لنصيحته
له فاذا اجتمع عليه هذان
الصنفان كان قد تعرض
للهلاك وقال بعض الحكماء
من شارك السلطان في
عز الدنيا شاركه في ذل
الاخرة لا يوحشك من
السلطان اكرام الاشرافان
ذلك للضرورة اليهم كما
يضطر الملك الى الخجاء
فيشرط قفاه ويخرج دمه
(وفي الامثال) لا حلم لمن
لا سقم له وكان ابن عمر
اذا سافر الى مكة استعجب
معه رجال فيه ما فيه يستدفع
به شر السقهاء واهل الوغاة
والدغارة وقال المعتصم ان
للسلطان لسكرات فخرا
الرضا عن استوجب السخط
والسخط على من استوجب
الرضا ومنه قول الحكماء
خاطر من لم يج في البحر
واعظم منه خطر من صحب
السلطان وقال ابن المقفع
لابنه لا تعدن شتم السلطان
شتما ولا اغلاظة اغلاظا
فان ربح العزة تبسطه في
غير بأس ولا سخط (وقال
ساميد) احد حكماء الفرس

من يطاقه او يقصره وامثال ذلك والتجني ايضا يتعين له مقدار من الصوت لا يتم الا به من اجل التناسب
الذي قلناه في حقيقة التجني واعتبار احدثهما قد يخل بالاخر اذا تعارضوا وتقديم الرواية متعين من تغيير
الرواية المنقولة في القرآن فلا يمكن اجتماع التجني والاداء المعبر في القرآن بوجه وانما مرادهم التجني
البسيط الذي يهتدى اليه صاحب المصنوع بطبعه كما قدمناه في رد اصواته ترديد على نسب يدركها العالم
بالغناء وغيره ولا ينبغي ذلك بوجه كما قاله مالك هذا هو محل الخلاف والظاهر تنزيه القرآن عن هذا كله كما
ذهب اليه الامام رحمه الله تعالى لان القرآن محل خشوع يذكر الموت وما بعده وليس مقام التذاد بدارك
الحسن من الاصوات وهكذا كانت قراءة الصحابة رضي الله عنهم كمال اخبارهم واما قوله صلى الله عليه
وسلم لقد اوتي فرما من فرامير آل داود فليس المراد به التردد والتجني انما معناه حسن الصوت واداء
القراءة والابانة في مخارج الحروف والنطق بها واذا قد ذكرنا معنى الغناء فاعلم انه يحدث في العمران اذا توفر
وتجاوز حد الضر وروى الى المحاجي ثم الى الكمال وتفتنوا فحدثت هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الا من
فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره فلا يطالبها الا الغارغون عن سائر
أحوالهم ففتنوا في مذاهب المذوذات وكان في سلطان العجم قبل الملة منها بحر زخر في أمصارهم ومدينهم
وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به حتى لقد كان ملوك الفرس اهتماما به هذه الصناعة ولهم
مكان في دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدتهم ومجامعهم ويغنون فيها وهذا شأن العجم لهذا العهد في كل اقل
من آفاقهم ومملكتهم من عساكرهم واما العرب فكان لهم اولافن الشعر يؤلفون فيه الكلام اجزاء متساوية
على تناسب بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة ويفصلون الكلام في تلك الاجزاء تفصيلا يكون كل
جزء منها مستقلا بالافادة لا ينقطع على الآخر يسمى بونه البيت فتلائم الطبع بالجزءة او لا ثم يتناسب
الاجزاء في المقاطع والمبادئ ثم بنائية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليها فلهجوابه فامتاز من بين كلامهم
يحظ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه بهذا التناسب وجعله ديوانا لخبارهم وحكمهم وشرفهم
ومحكا لقرائنهم في اصابة المعاني واجادة الاساليب واستمر واعلى ذلك وهذا التناسب الذي من اجل
الاجزاء والمتحرك والساكن من الحروف قطرة من بحر من تناسب الاصوات كما هو معروف في كتب
الموسيقى لانهم لم يشعروا بمساواة لانهم حينئذ لم يتبحروا علما ولا عرفوا صناعة وكانت البداة اغلب
نحلهم ثم تغنى المدادة منهم في حذاء بلهم والفتيان في فضاء خلواتهم فرجعوا الاصوات وترنوا وكانوا يسمون
الترنم اذا كان بالشعر غناء واذا كان بالتهليل او نوع القراءة تغبير بالغبين المحجة والباء الموحدة وعلاها أبو
اسحق الزجاج بانها تذكر بالغابر وهو الباقي أي باحوال الاخرة وبما تناسبها في غنائهم بين التغمات
مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيقي آخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه السناد وكان أكثر ما يكون
منهم في الخفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ويستخف المحلوم وكانوا يسمون هذا
الفرج وهذا البسيط كلمة من التلاحين هو من أوائلها ولا يبعد أن تنقطع له الطباع من غير تعليم شأن
البساط كما من الصنائع ولم يزل هذا شأن العرب في بدواتهم وجاهليتهم فلما جاء الاسلام واسسوا على
ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وعلموهم عليه وكانوا من البداة والغضاضة على الحال التي عرفت
لهم مع غضايرة الدين وشدة في ترك احوال الفراغ وما ليس بنافع في دين ولا معاش فهجروا ذلك شيئا ما
ولم يكن المذوذ عندهم الا تر جميع القراءة والترنم بالشعر الذي هو دينهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف
وغلب عليهم الرفعة بما حصل لهم من غنائم لا مصاروا الى فضايرة العيش ورقة الحاشية واستعلاء الفراغ

اربعة اشياء ينبغي ان تفسر للفهم كما تفسر للبلد ولا يتكل فيها على زكاه احد تأويل الدين واخلاط الادوية وصيغة الطريق الخوف
والراي في السلطان واعلم ان السلطان اذا انقطع منك في الاخرى الاول فارحامهم مقطوعة وجبايلهم مصرومة الامن رضوانه في

وقتهم وساعتهم واذا رايت من الوالى خلا لا تتبعى فلا تكابده على ردها فانها رايضة صعبة لكن احسن مساعدته على احسن رايه فاذا استحكمت منه ناحت من الصواب (٢٥٤) كان ذاك الصواب هو الذى يبصر الخطايا اللطيفة اكثر من تبصيرك واجعل العدل من

حكمتك فان العدل يدعو بعضه الى بعض فاذا تمكن اقتلع الخطأ ولا تطلب ما قبل الوالى بالمسئلة ولا تستبطئه وان أبطل ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق والاسئلة فأنك اذا استحقته أتاك من غير طلب واذا لم تستبطئه كان أعجل له وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة القبيحة للزوج الاحق المبعوض وقال يحيى بن خالد لبعض اخوانه تذكر لى هرون الرشيد فقال له ارض بقلبه من كثيره وياك ان تسخط فيكون اسخط منك

وافترق المغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا الى العرب وغنوا جميعا بالعبادان والطناير والمعازف والمزامير وسمع العرب تخبثهم للاصوات فغنوا عليهم الشعارهم وظهر بالمدينة شريط الفارسي وطويس وسائب حاتمولى عبد الله بن جعفر فسمعوا شعر العرب وحنوه ووجدوا فيه وطار لهم ذكر ثم اخذ عنهم معبد وطبقته وابن سرىح وانظروا وما زالت صناعة الغناء تتدرج الى ان كملت ايام نبي العباس عند ابراهيم بن المهدي وابراهيم الموصلى وابنه اسحق وابنه جادو كان من ذلك في دولتهم بهعداد مات به الحديث بعده وبه وبجاسه لهذا العهد وامعنا في اللهو واللعب واتخذت آلات الرقص في الملبس والقضبان والاشعار التي يترنم بها عليه وجعل صنفا وحده واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرج وهي تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة باطراف اقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكرونها ويقرنها ويناقفون وامثال ذلك من اللعب المعذلة والاشهر والاعراس وايام الاعياد ومجاسس الفراغ واللهو وكثر ذلك بيعة دادو وامصار العراق وانتشر منها الى غيرها وكان للموصليين غلام اسمه زرياب اخذ عنهم الغناء فاجاد فصر فوه الى المغرب غير منة فخلق بالحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل امير الاندلس فبالغ في تكريمه وركب للقائه وأسنى له الجوائز والاقطاعات والمجريات واحدة له من دولته وندمائه فكان فأورث بالاندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه الى ازمان الطوائف وطما منها باشبيلية بحر زاخرو تناقل منها بعد ذهاب غضايتها الى بلاد العدو بآفrique والمغرب وانقسم على امصارها وبها الان منها صباية على تراجع عمرائها وتناقص دولها وهذه الصناعة آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لانها كالمية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ والفرح وهي ايضا اول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعها والله اعلم

٣٣ (فصل في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا الكتابة والحساب) *

قد ذكرنا في الكتاب ان النفس الناطقة للانسان انما توجد فيه بالقوة وان خروجها من القوة الى الفعل انما هو بتجدد العلوم والادراكات عن المحسوسات اول ما يتكسب به بعد باب القوة النظرية الى ان يصير ادراكا بالفعل وعقلا لمحض فانه يكون ذاتا روحانية ويستكمل حينئذ وجودها فوجب لذلك ان يكون كل نوع من العلم والنظر يقدها عقلا فريدا والصنائع ابدان يحصل عنها وعن ملكتهم قانون علمي مستفاد من تلك الملة فلهذا كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلا والملاكت الصناعة تفيد عقلا والحضارة الكاملة تفيد عقلا لانها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل ومعايشة ابناة الجنس وتحصيل الاكابر في مخالطتهم ثم القيام بامور الدين واعتبار اديانها وشرائطها وهذه كلها قوانين تنظم علومها فيحصل منها زيادة عقل والكتابة من بين الصنائع اكثر افادة لذلك لانها تشتمل على العلوم والانظار بخلاف الصنائع وبيانها ان في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس ذلك دائما فيحصل لها ملكة الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجردة فيكسب بذلك ملكة من التعقل تكون زيادة عقل ويحصل به قوة فطنة وكيس في الامور لما تعودوه من ذلك الانتقال ولذلك قال كسرى في كتابه لماراهم تلك الفطنة والذكاء فقال ديوانه اى شياطين وجنون قالوا وذلك اصل اشعثاق الديوان لاهل الكتابة ويلحق بذلك الحساب فان في صناعة الحساب نوعان في العبد بالاضم والتفريق يحتاج فيه الى استدلال كثير فيبقى متعودا للاستدلال والنظر وهو معنى العقل والله اعلم

(الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان مع الجنود) اعلم ان الجنود عدد الملك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حاسة البصيرة والذابون من الحرمة والدافعون عن العورة وهم جنات الثغور وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد المسلمين والمجد الذي يلقى العدو والسهم الذي يرمى به والاسلح المدفوع في نحره فهم يذب عن الحرم وتؤمن السبل وتسد الثغور وهم عز الارض وجاة

الفصل

الثغور والذابون عن الحرم والشوك على العدو وعلى الجنود الجند عند اللقاء والصبر عند البلاء

فان كانت لهم الغلبة فليغنوا في الطلب وان تكن عليهم فليكسر والاعنة وليجملوا بالاسنة وليذكروا اخبار عدو يتبغى للاب ان يتفقد

جندة كنفه صاحب البستان بستانه فيقلع العشب الذي لا ينفعه من العشب ما لا ينفع ومع ذلك يضر بالنبات النافع فهو بالقلع اجدر ولا يستصلح الجند الا بادرار ازرارهم وسد حاجاتهم والمكافأة لهم على قدر عنايتهم وبلائهم (٢٥٥) وجنود الملوك وعددها وقف على سعة الائمة

ونحوها وقال ابرويز
لانه شيرويه لا توسع على
جندك فيستغنوا عنك
ولا تضيق عليهم فيضجوا
منك واعطهم عطاء قصدا
وامنعهم من اجلا ووسع
عليهم في الرخاء ولا توسع
عليهم في العطاء ولما
أفضى الامر الى ابي جعفر
المنصور انفذ جيشا وقال
لقواده سير وانمئل هذه
السيرة ثم قال صدق
الاعرابي اجع كلبك
يتبعك فقام ابو العباس
الطوسي فقال يا امير
المؤمنين أخشى أن يلوح
له غيرك برغيف فيتبعه
و يدعك (ويروي) ان
كسرى صنع طعاما في
سماط فلما فرغوا ورفعت
الاسلات وقعت عينه
على رجل من اصحابه قد
أخذ ما له قيمة كثيرة
فسكت عنه وجعل الخدم
يرفعون الاسلات فلم
يجدوا الجاه فسمعهم كسرى
يتكلمون فقال ما لكم
فقالوا فقد دنا جاما من
الجامات فقال لا عليه كم
أخذ من لا يرده ورأه من
لا يقضه فلما كان بعد
أيام دخل الرجل على
كسرى وعليه حلة جميلة
وحال مستحسنة فقال له

(الفصل السادس من الكتاب الاول)

في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك
كله من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق

١ *(فصل في ان العلم والتعليم طبعي في العمران البشري)*

وذلك ان الانسان قد شاركه جميع الحيوانات في حوائطه من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك
وانما يتميز عنها بالفكر الذي يمتد به لتحصيل معاشه والتعاون عليه ببناء جنسه والاجتماع المهيئ لذلك
التعاون وقبول ما جاءت به الانبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح اخواه فهو مفر في ذلك كله
دائما لا يفتقر عن الفكر فيه طرفه عين بل اختلاج الفكر اسرع من لمخ البصر وعن هذا الفكر تنشأ العلوم
وما قدمناه من الصنائع ثم لاجل هذا الفكر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل ما تسد عليه
الطباع فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الادراكات فيرجع الى من سبقه بعلم أو زاد عليه
بمعرفة أو ادراك أو أخذه عن تقدمه من الانبياء الذين يبلغونه لمن تلغاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على
أخذه وعلمه ثم ان فكره ونظيره يتوجه الى واحد واحد من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحد بعد آخر
ويتنمى على ذلك حتى يصير الحقائق العوارض بتلك الحقيقة ملائكة له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك
الحقيقة علما مخصوصا وتنشوف نفوس اهل الجمل الناشئ الى تحصيل ذلك فيفرغون الى اهل معرفته
ويجنى التعليم من هذا فقتبين بذلك ان العلم والتعليم طبعي في البشر

٢ *(فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع)*

وذلك ان المحقق في العلم والتقني فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملائكة في الاطاعة بمباديه وقواعده
والوقوف على مسائله واسئله ما فر وعه من أصوله ومالم تحصل هذه الملائكة لم يكن المحقق في ذلك الفن
المتناول حاصل هذه الملائكة هي في غير الفهم والوعي لا نأخذ فهم المسئلة الواحدة من الفن الواحد ووعيا
مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العاقل الذي لم يحصل علما وبين العالم
الخبير والملائكة انما هي للعالم أو الشاदी في الفنون دون من سواهما فدل على أن هذه الملائكة غير الفهم
والوعي والملايكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن او في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجسمانيات
كلها محسوسة فتقتصر الى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم اوصناعة الى مشاهير المعلمين فيها
معتبرا عند كل اهل أفق وجيل ويدل ايضا على ان تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فكل
امام من الائمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على ان ذلك الاصطلاح ليس
من العلم والالكان واحدا عند جميعهم الا ترى الى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين
والمتأخرين وكذا اصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه الى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليمه
متخالفة فدل على انها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه واذا تقر ذلك فاعلم ان السند في تعليم العلم هذا
العهد قد كاد أن ينقطع عن اهل المغرب باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه وما يحدث عن ذلك من نقص
الصنائع وفقدانها كما مر وذلك ان القبروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والاندلس واستبحر عمرانهما
وكان فيهما للعلوم والصنائع اسواق نافقة وبحور زاخرة ورسخ فيها ما للتعليم لا متداد صوردهما وما كان
فيهما من الحضارة فلما خربتا انقطع التعليم من المغرب الا قليلا كان في دولة الموحدين بمراكش مستفادا
منها ولم ترسخ الحضارة بمراكش ابدا دولة الموحدية في أولها وقرب عهد انقراضها بمجدتها فلم تحصل

كسرى هذا من ذلك قال نعم ولم يقل له شيئا (وسئل عمر بن معاذ) وكان على الصوائفيم قدرت على جيوش الصائفة وكان يغزو في
كل سنة ويجري الجيوش الى بلاد الروم فقال بسمانة الظهور والقديد وكثرة الكمل (وروي) أن بعض امراء العرب كان ظاهرا لرعيته

شديد الاذى لهم في أموالهم فغرت في ذلك فقال اجمع كل بك يتبعك فوثبوا عليه فقتلوه فربما كل الحكيم
صاحبه اذ لم يشعبه (٢٥٦) * (الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان في استجابه الخراج) * أي الملك من طال عدوانه

أحوال الحضارة فيها الاقل وبعد انقراض الدولة بما كسرت فتحل الى المشرق من افر يقية القاضي أبو
القاسم بن زيتون لعهد أواسط المائة السابعة فأدرك تلميذ الامام ابن الخطيب فأخذ عنهم ولاقن تعليمهم
وحقق في العقليات والنقليات ورجع الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن وجاء على أثره من المشرق أبو عبد
الله بن شعيب الذكالي كان ارتحل اليه من المغرب فأخذ عن مشيخته مصر ورجع الى تونس واستقر بها
وكان تعليمه مفيدا فأخذ عنهما أهل تونس واتصل سنده تعليمهما في تلاميذهما جيل بعد جيل حتى انتهى
الى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وتلميذه وانقل من تونس الى تلمسان في ابن الامام
وتلميذه فانه قرأ مع ابن عبد السلام على مشيخته واحدة وفي مجالس بأعيانها وتلميذ ابن عبد السلام بتونس
وابن الامام بتلمسان لهذا العهد الا أنهم من القليلة بحيث يخشى انقطاع سندهم ثم ارتحل من زواوة في آخر
المائة السابعة أبو علي ناصر الدين المشدالي وأدرك تلميذاني عمرو بن الحاجب وأخذ عنهم ولاقن تعليمهم
وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة وحقق في العقليات والنقليات ورجع الى المغرب بعلم كثير
وتعليم مفيد ونزل بجاية واتصل سنده تعليمه في طلبتها وربما انتقل الى تلمسان عمر ان المشدالي من تلميذه
وأوطنها وبث طريقته فيها وتلميذه لهذا العهد بجاية وتلمسان قليل أو اقل من القليل وبقيت فاس وسائر
أقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ولم يتصل سنده التعليم فيهم
ففسر عليهم حصول الملكية والحقق في العلوم وأيسر طرق هذه الملكية ففق الناسان بالمحاورة والمنظرة في
المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها فيجذب طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من
أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكرتولا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة
للايصالون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تفصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجدد
ملكته قاصرة في علمه ان فاض او فاضل أو علم وما أتاهم القصور الامن قبل التعليم وانقطاع سنده والوا
لحفظهم ابلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكية العلمية وليس كذلك ومما
يشهد بذلك في المغرب ان المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة وهي بتونس
خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي اقل ما يتأتى فيها الطالب العلم حصول مستغاه من الملكية
العلمية والياس من تحصيها اطفال امدها في المغرب لهذه المدة لاجل عمرها من قلة الجودة في التعليم خاصة
لا مما سوى ذلك وأما أهل الاندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص
عمران المسلمين بها منذ مئتين من السنين ولم يبق من رسم العلم فيهم الا فن العربية والادب اقتصر واعلمه
وانحفظ سنده تعليمه بينهم فانحفظ بحفظه وأما الفقه بينهم فرسم خلوا واثربعد عين وأما العقليات فلا أثر ولا
عين وما ذاك الا لانقطاع سنده التعليم فيها لتناقص العمران وتغلب العدو على عامتها الا قليلا بسبب
البحر شغلهم بما يشبههم أكثر من شغلهم بما بعدهم والله غالب على امره وأما المشرق فلم ينقطع سنده التعليم
فيه بل اسواقه نافقة وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه وان كانت الامصار العظيمة
التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة الا ان الله تعالى قد أدا له منها ما صار اعظم
من تلك وانتقل العلم منها الى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما اليها من
المغرب فلم تزل موفورة وعمرانها متصلة لا وسند التعليم بها قائما فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة
تعليم العلم بل وفي سائر الصنائع حتى انه ليظن كثير من رحالة اهل المغرب الى المشرق في طلب العلم ان
عقولهم على الجملة اكمل من عقول اهل المغرب وانهم اشد نباهة واعظم كياسة بطريقتهم الاولى وان

زال سلطانه واعلم ان المال
قوة السلطان وعمارة
الملكية ولقائه الامن
وتناجيه العدل وهو حصن
السلطان ومادة المال والمال
أقوى العدد على العدو
وهو ذخيرة الملك وعمارة
الملكية وحياة الارض
ومن حقه ان يؤخذ من
حقه ويوضع في حقه ويمنع
من سرف ولا يؤخذ من
الرعية الا ما فضل عن
معاشها ومصلحتها ثم ينفق
ذلك في الوجوه التي يعود
عليها نفعها فيا أيها الملك
احرص كل الحرص على
عمارة الارضين والسلام
أيها الملك مرجية الاموال
بالرفق وبجانبه الخرق
فان العلة تنال من الدم
بغير أذى ولا سمع صوت
مالاتاله البعوضة بلسنتها
وهول صوتها (ولما عزل
عثمان) عمرو بن العاص
عن مصر استعمل عليها
ابن أبي السرح فعمل من
المال أكثر مما كان يحمله
عمرو فقال عثمان يا عمرو
أشعرت ان اللقاح دنت
بعدك فقال عمرو ذلك
لانكم اعففت اولادها
وقال زياد احسنوا الى
المزارعين فانكم لم تزلوا
سما تاما سمنوا وفي مشور

الحكمة من جاوز في الحب حب الدم (وفي الامثال) اذا استقصى العجل في مص أمه رفته

وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك وما استغزى بمثل العدل ولا استغزى بمثل الظلم وأسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك

الرعية وانكسار الخراج بالجور والتخامل ومثل الساطان اذا جمل على اهل الخراج حتى ضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لمحج
وياكله من الجوع فهو وان قوى من ناحية فقد ضعف من ناحية وما أدخل على نفسه (٢٥٧) من الوجع والضعف أعظم مما

دفع عن نفسه من ألم الجوع
ومثل من كاف الرعية
عن الخراج فوق طاقتها
كالذي يطين سطحه بتراب
أساس بيته ومن يدمن
خراجه مود يوشك ان
يضعف فتقع الخيمة وإذا
ضعف المزارعون عجزوا
عن عمارة الارضين
فيتركونها فتعرب الارض
ويهرب الزراع فتضعف
العمارة فيضعف الخراج
وينتج ذلك ضعف الاجناد
واذا ضعف الجند طمع
الاعداء في السلطان أيها
الملك كن بما يبقى في يد
رعيته أقرح منك بما
تأخذ منها لا يبق مع
الصلاح شيء ولا يبقى مع
الفساد شيء وصيانة القليل
أولى من تربية الجليل
فلا مال لا خرق ولا عميلة
لمصلح (وروي) ان المأمون
أرق ليلة فاستدعى سميرا
فحدثه بحديث فقال يا امير
المؤمنين كان بالموصل
يوم - قوب بالبصرة يوم -
فقطعت بومة الموصل
الى بومة البصرة بنتها لابنها
فقال بومة البصرة
لا تكلمك ابنتي الا ان
تجعل في صدقها مائة
ضبعة خراب فقالت بومة
الموصل لا اقدر عليها الا ان

نفوسهم الناطقة كل بفطرتها من نفوس اهل المغرب ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة
الانسانية وينشعرون لذلك ويولعون به لما يرون من كسبهم في العلوم والصنائع وليس كذلك وليس
بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة الواحدة اللهم الا اقاليم المنحرفة
مثل الاول والسابع فان الفرقة فيها منحرفة والنفوس على نسبتها كما مر وانما الذي فضل به اهل المشرق
اهل المغرب هو ما يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل المزيدي كما تقدم في الصنائع ونزله الا ان
تحقيقا وذلك ان الحضرة لم آداب في احوالهم في المعاش والمساكن والبناء وأموال الدين والدينا وكذا باثر
اعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلم يبق في ذلك كله آداب يوقف عندها في جميع ما يتناولونه
ويتلبسون به من اخذ وترك حتى كانها حدود لا تتعدى وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الاخر عن الاول
منهم ولا شك ان كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها علة جديدة تسمى علة لقبول صناعة
اخرى ويتبناها العقل لسرعة الادراك للمعارف ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن اهل مصر غايات لا تدرك
مثل انهم يعلمون الحجة الانسانية والحجج والاثبات العجيب من الماشي والظاهر مقررات من الكلام والافعال
يستعرب ندورها ويعجز اهل المغرب عن فهمها وحسن الملاحظات في التعليم والصنائع وسائر الاحوال
العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله واضافة في فكره بكثرة الملاحظات الخاصة له لانه نفس اذ قد منان النفس
انما تشبه بالادراكات وما يرجع اليها من الملاحظات فيزدادون بذلك كسبا لما يرجع الى النفس من
الاشياء العلمية فيظنه العامي تفاوت في الحقيقة الانسانية وليس كذلك الا ترى الى اهل الحضرة مع اهل البدو
كيف تجد الحضرة متعلية بالذكاء متمثلة من النكيس حتى ان البدوي ليطنه أنه قد فاته في حقيقة انسانيته
وعقله وليس كذلك وما ذاك الا لاجل ان الصنائع والآداب في العوائد والاحوال الحضرية
ما لا يعرفه البدوي فلما امتلأ الحضرة من الصنائع وملاحظات وحسن تعليمها ظن كل من قصر عن تلك
الملاحظات انها السكالك في عقله وان نفوس اهل البدو قاصرة بفطرتها ووجباتها عن فطرتها وليس كذلك فانا
نجد من اهل البدو من هو في اعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرتة انما الذي طهر على اهل
الحضرة من ذلك هو رونق الصنائع والتعليم فان لها آثارا ترجع الى النفس كما قدمناه وكذا اهل المشرق
لما كانوا في التعليم والصنائع ارفع رتبة واعلى قدما وكان اهل المغرب اقرب الى البدو لما قدمناه في
الفصل قبل هذا من المغفلين في بادى الراى انه لى الكمال في حقيقة الانسانية اختصوا به عن اهل المغرب
وليس ذلك بحجج فتفهمه والله يزيد في الخلق ما يشاء وهو اله السموات والارض

٣ (فصل في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعمم الحضارة) *

والسبب في ذلك ان تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع وقد كنا قد منان الصنائع انما تكثر في الامصار
وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلية والحضارة والترافى تكون نسبة الصنائع في الجوده والكثرة لانه امر
زائد على المعاش حتى فضلت أعمال اهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف
في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع ومن تشوف بفطرتة الى العلم من تشأى القرى والامصار وغير
المتدنية فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعى لفقدان الصنائع في اهل البدو كما قدمناه ولا بدله من الرحلة في
طلبه الى الامصار المستبحرة شأن الصنائع كلها واعتبر ما قرناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة
والكوكة لما كثر عمرانها صمد الاسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها البحار العلم وتقنوا في
اصطلاحات التعليم واصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتى اربوا على المتقدمين وفاقوا المتأخرين

(٣٣ - ابن خلدون) ولكن ان دام واليناسم الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك قال فاستيقظ المأمون وجلس
لظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتفقد امر الولاية (وسمعت) بعض شيوخ الاندلس من الاجناد وغيرهم يقولون مازال اهل

الاسلام ظاهرين على هدمهم وامر العدو في ضعف وانتفاض لما كانت الارض مقطعة في ايدي الاجناد فكانوا يستغلونها ويرفقون
بالفلاحين ويربونهم كالمربي (٢٥٨) التاجر تجارته وكانت الارض عامرة والاموال وافرة والاجناد متوافرين والسكران والسلاح

لما تناقص عمرها واخذت سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة وفقد العلم بها والتعليم وانقل الى
غيرها من امصار الاسلام ونحن لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما ان
عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جملة
تعليم العلم وكذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بها منذ ما تئمن من السنين في دولة الترك من ايام
صلاح الدين بن ايوب وهلم جرا وذلك ان امراء الترك في دولتهم يحشون عادية سلاطنتهم على من يتخلفونه من
ذريتهم لماله عليهم من الرق والولاء ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته فاستكثر وامن بناء المدارس
والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة ليجعلوا فيها شرا كاولدهم ينظر عليها او نصيب منها مع ما فيهم
غالبا من الجنوح الى الخيبر والتماس الاجور في المقاصد والافعال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت
الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جراتهم منها وارتحل اليها الناس في طلب العلم من العراق
والمغرب ونفقت بها اسواق العلوم وزخرت بحارها والله يخلف ما يشاء

٤ * (فصل في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد) *

(اعلم) ان العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الامصار تخصص لا تعلمها هي على صنفين صنف
طبيعي للانسان يهتدى اليه بفكره وصنف تقلي يأخذه عن وضعه والاول هي العلوم المحكية الفلسفية
وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدى بداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها
وانحاء براهنها ووجوه تعليلها حتى يفقه نظره (١) ويحكم على الصواب من الخطا فيهما من حيث هو انسان
ذو فكر والثاني هي العلوم النقلية الموضوعة وهي كلها مستندة الى الخبير عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها
للعقل الا في المحاق الفروع من مسائلها بالاصول لان الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل
السلكي بمجرد وضعه فتحتاج الى الالتحاق بوجه قياسي الا ان هذا القياس يتفرع عن الخبر بشبوت الحكم في
الاصل وهو تقلي فرجع هذا القياس الى النقل لتفرعه عنه واصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات
من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهبط بها للافادة
ثم يستمع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه تزل القرآن واصناف هذه العلوم النقلية
كثيرة لان المكلف يجب عليه ان يعرف احكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى ابناء جنسه وهي مأخوذة
من الكتاب والسنة بالنص او بالاجماع او بالالحاق فلا بد من النظر في الكتاب ببيان الفاظه واولاها
هو علم النفس ثم ياتى نادته وروايته الى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله واختلاف
روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات ثم ياتى سناد السنة الى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها
ومعرفة احوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق باخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم
الحديث ثم لا بد في استنباط هذه الاحكام من اصولها من وجه قانوني يقيد العلم بكيفية هذا الاستنباط
وهذا هو اصول الفقه وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين وهذا هو الفقه
ثم ان التكليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالايمان وما يجب ان يعتقده مما لا يعتقده وهذه هي
العقائد الايمانية في الذات والصفات وامور المحشر والنعم والعذاب والقدر والحاج عن هذه بالادلة
العقلية هو علم الكلام ثم النظر في القرآن والحديث لا بد ان تتقدم العلوم الانسانية لانه متوقف عليها
وهي اصناف فنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الادب حسبما تكلم عليها كلها وهذه العلوم

(١) قوله حتى يفقه نظره يستعمل وقف متعدية فاقول وقفته على كذا أي اطاعته عليه قاله نصر اه

فوق ما يحتاج اليه الى ان
كان الامر في آخرايام ابن
أبي عامر فرد عطايا الجند
مشاهرة بقبض الاموال
الى النطع وقدم على
الارض جبهة يجيئونها
فاكلوا الرعايا واجتاحوا
اموالهم واسد تضرعهم
فتهاوت الرعايا وضعضوا
عن العمارة فقلت الجبايات
المرتفعة الى السلطان

وضعت الاجناد وقوى
العدو على بلاد المسلمين
حتى أخذ الكثير منها ولم
يزل امر المسلمين في نقص
وأمر العدو في ظهو رالي
أن دخلها المتلثمون فردوا
الاقطاعات كما كانت في
الزمان القديم ولا أدري
ما يكون وراء ذلك

*(الباب الثامن والاربعون
في سيرة السلطان في بيت
المال)*

هذا باب سلكت فيه سلوك
الطوائف والمهند والصين
والسند وبعض ملوك
الروم خلاف سيرة الانبياء
والمرسلين والخلفاء
الراشدين فكانت الملوك
تدخر الاموال وتحتجبها
دون الرعية وتعددها ليوم
كرهية على ما بين في الباب
قبله وكانت الرسل والخلفاء
بعدهم تبذل الاموال ولا

تدخرها وتطعم الرعية وتوسع عليها فكانت الرعية هم الاجناد والحماة وهذه سيرة نبينا محمد صلى الله عليه

النقلية
وسلم وقد علمت ان جوعه كان اكثر من شعبه وانه مات ودبره حره في صاع شعير عندي هودي وكذلك الخلفاء الراشدون بعده ابو بكر

وعمر وعثمان وعلي وابنه الحسن وعمر بن عبد العزيز والنبي عليه السلام لما فتح الله عليه اليمن كان يجبي له الاموال فيقرقها اليومها وقد توضع في المجد وتقرش الانطاخ ويقرقها من الغدولم يكن له بيت مال (وروي) (٢٥٩) أبو داود في السنن ان النبي

عليه السلام صلى العشاء الاخرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعا وفي يديه خريقة فيها ذهب فقدمه ثم قال ما ظن آل محمد لو أدركه الموت وهذا عنده ولم يكن للنبي عليه السلام بيت مال ولا للخلفاء الراشدين بعده وانما كانت الخلفاء تقسم الاموال التي جبيت من حلها بين المسلمين وربما يفضل منها فضلات فيجعل في بيت من حضر من غائب او احتاج من حاضر قسم له حظه ثم يفرق حتى لا يبقى في البيت منه درهم كما روي ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أشرف على بيت المال وفيه مال فقال يا بيضاء يا حراة ابضي واجري

وغري غري ثم أمر فقسم جميع ما فيه على المسلمين وأمر قنبر ان يكسسه ويرشه ثم دخل فصلى فيه ثم كثر من الملوكة ساروا في الاموال على نحو هذه السيرة من ملوك الاسلام وملوك الروم ومعظم ما هلك بالاد الاندلس وسلط عليهم الروم ان الروم التي كانت تجاورنا لم تكن لهم بيوت أموال وكانوا يأخذون

الجزية من سلاطين الاندلس ثم يدخلون الكنيسة فيقسمها لسلطانهم على رجاله بالاطاس ويأخذون ما يأخذون وقد لا يأخذ شيئا منها وانما كانوا يصطعون بها الرجال وكانت سلاطيننا تجتلب الاموال وتضيق الرجال فكان للروم بيوت رجال المسلمين بيوت

الانقلبة كلها مختصة بالملة الاسلامية واهلها وان كانت كل ملة على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك فهي مشاركة لها في الخمس البعيد من حيث انها علوم الشريعة المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها وما على الخصوص فباينة بجميع المال لانها نسخة لها وكل ما قبلها من علوم المال فهو حرة والنظر فيها مخطوط وقد نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل السكاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنة بالذي أنزل اليك وانزل اليكم والله لكم واحد وراى النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال ألم آتكم بها بيضاء نقية وقاله لو كان موسى حيا ما وسعه الاتباعي ثم ان هذه العلوم الشريعة النقلة قد نفقت اسواقها في هذه الملة بما لا يزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين الى الغاية التي لا فوقها وهذبت الاصطلاحات وربت الفنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتميز وكان لكل فن رجال يرجع اليهم فيه واوضاع يستفاد منها التعليم واختص المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهور ومنها حسبه ما نذكره الا ان عندنا بهذه الفنون وقد كسدت لهذا العهد اسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سبل العلم والتعليم كما قدمنا في الفصل قبله وما أدري ما فعل الله بالمشرق والظن به نقاق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والحكالية لكثرة عمرانه والحضارة ووجود الاعانة لطالب العلم بالحراة من الاوقاف التي اتسمت بها أرزاقهم والله سبحانه وتعالى هو الفاعل لما يريد ويبيده التوفيق والاعانة

■ (علوم القرآن من التفسير والقراءات) ■

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الامة الان الصحابة ورواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكميات الحروف في أدائها وتنويع ذلك واشتهر الى ان استقرت منها سبع طرق معينة تواترت نقلا أيضا بأدائها واختصت بالنسب الى من اشتهر بروايتها من ائمة القراء فصار هذه القراءات السبع أصولا للقراءة وربما زيد بعد ذلك قراءات أخر لحقت بالسبع الا انها عند أئمة القراء لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لانها عندهم كميات للاداء وهو غير منضبط وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن وأباه الاكثر وقالوا بتواترها وقال آخرون بتواتر غير الاداء منها كالمدا والتسهيل لعدم الوقوف على كقيمتها بالسبع وهو الصحيح ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها الى ان كتبت العلوم ودونت فكتبت فيما كتب من العلوم وصارت صناعة مخصوصة وعلماء منفردوا بتناقله الناس بالمشرق والاندلس في جبل بعد جيل الى ان ملأ بشرق الاندلس مجاهد من موالى العامرين وكان معتنيا بهذا الفن من بين فنون القرآن لما أخذه به مولا المنصور بن أبي عامر واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته فكان سهمه في ذلك وافرا واختص مجاهد بعد ذلك بأماة دانية وقواجزائر الشرقية فنشقت بها سوق القراءة لما كان هو من أئمتها وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموما وبالقراءات خصوصا فظهر بعده أبو عمر والداني وبلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت الى روايته أسانيدها وتعددت تآليفه فيها وعول الناس عليها واعتمدوا من بينها كتاب التيسير له ثم ظهر بعد ذلك فيما يليه من العصور والاجيال أبو القاسم ابن فيره من أهل شاطبة فعمد الى تهذيب مادونه أبو عمر وتلخيصه فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها أسماء القراء بحروف ابج ترتيبا احكمه

أموال فبه هذه الخلة قهرونا ونظهر واعلينا وكان من يذهب هذا المذهب ولا يدخر الاموال تضرب فيه الامثال ويقال عدو المال بيت المال وصديقه جنده فاذا ضعف (٢٦٠) أحدهم اقوى الآخر واذا ضعف بيت المال تبدل له الحمة قوى الناصر واشتد

ليتمس عليه ما قصده من الاختصار ولا يكون أسهل للحفظ لاجل نظامها فاستوعب فيها الفن استيعابا حسنا وعنى الناس بحفظها وتلقينها الاولاد المتعلمين وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والاندلس وربما اضيف الى فن القراآت فن الرسم أيضا وفيه أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية لان فيه حروفا كثيرة وقمر رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الياء في بيايدوز زيادة الالف في لا اذبحنه ولا اوضه هو او الواو في جزاوا الظالمين وحذف الالفات في مواضع دون أخرى ومارس رسم فيه من التآت عدودا والاصل فيه مربوط على شكل المساء وغير ذلك وقد مر تعليل هذا الرسم المحكي عند الكلام في الخط فلما جاءت هذه المخالفة لأوضاع الخط وقانونه احتج الى حصرها فكتب الناس فيها ايضا عند كتبهم في العلوم وانتهت بالمغرب الى أبي عمر الداني المذكوذ فكتب فيها كثيرا من أشرفها كتاب المنقح وأخذ به الناس وعولوا عليه ونظمه أبو القاسم الشامي في قصيدته المشهورة على روى الراعي ولعل الناس بحفظها ثم كثر الخلاف في الرسم في كلمات وحروف أخرى ذكرها أبو داود سليمان بن نجاح من موالى مجاهد في كتبه وهو من تلاميذ أبي عمر والداني والمشتهر بحمل علومه ورواية كتبه ثم نقل بعد ذلك خلف آخر فنظم الخراز من المتأخرين بالمغرب أرجوزة أخرى زاد فيها على المنقح خلافا كثيرا وعزا لنا عليه واشتهرت بالمغرب واقتصر الناس على حفظها وهجر روايتها كتب أبي داود داني عمر والشامي في الرسم (وأما التفسير) فاعلم ان القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفر دانه وترا كيه وكان ينزل جلا جلا وآيات آيات لبيان التوضيح والقروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الإيمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا له وكان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين الحمل ويمنع الناس من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه كما علم من قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح أنها نهي النبي صلى الله عليه وسلم وأمثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم ولم ينزل ذلك متناقلا بين الصدر الاول والسلف حتى صارت المعارف علومها ودونت الكتب فكثرت الكثير من ذلك ونقلت الآيات الواردة فيه عن الصحابة والتابعين وانتهى ذلك الى الطبري والواقدي والعمالي وأمثال ذلك من المفسرين فكثرت وافيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآيات ثم صارت علوم اللسان صناعات من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الاعراب والبلاغة في الترا كيب فوضعت الدواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها الى نقل ولا كتاب فتتوسى ذلك وصارت تملق من كتب أهل اللسان فاحتج الى ذلك في تفسير القرآن لانه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم وصار التفسير على صنفين تفسير نقلي مستند الى الآيات الواردة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآيات وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا الا ان كتبهم ومنقولاتهم تشمل على الغث والسمين والمقبول والمردود والسبب في ذلك ان العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البداوة والامية واذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تشوق اليه النفوس البشرية في أسباب المكنونات وبدء الخلق وأسرار الوجود فالتماي سألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ باقية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حير الذين أخذوا بدين اليهودية فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم

باس الجند وقوى الملك
واذا قوى بيت المال
وامتلا بالمال والقل الناصر
وضعت الحجة فضعف الملك
فوثبت عليه الاعداء وقد
شاهدنا ذلك في بلاد
الاندلس مشاهدة واذا
كان الدفاع في الرجال
لا في الاموال وانما يدفع
بالاموال بواسطة الرجال
فلا شك ان بيت رجال
خير من بيت مال وقد قال
بعض الملوك لابنه يا بني
لا تجمع الاموال لتقوى
بها على الاعداء فان في
جمعها تقوية الاعداء
يعني اذا جمعت الاموال
أضعفت الرجال فيطمع
فك الصديق ويثب
عليك العدو وانما مثل
الملك في ملكته مثل رجل
له بستان فيها عين معينة
فان هو قام على البستان
فاحسن تدبيرها فذهب
أرضها وغرس أشجارها
وحظر على جوانبها ثم
أرسل عليها الماء اخضر
عودها فقويت أشجارها
واينعت ثمارها وزكت
بركتها فكانوا جميعا في
أمان من الضيعة ولا
يخافون فقروا ولا شتاتوا وان
هو رغب في غلتها وجناتها
ولم ينفق فيها ما يكفيها ولا

ساق اليها من الماء ويرى غلة في الغلة وضنة بالماء ضعفت عمارتها ودقت أشجارها وقلت ثمارها
وذهبت غلتها ومحق الدهر ما جنى من غلتها فافقر القوم وهلكوا وتشبوا ومثال الملك في جمع المال ليتقوى به على عدوه مثل ما أثره

يشه ويصص أصولها ويا كل مانع منها فاذله طيبها وأعجبها خصب جسمه على ذلك وقوته على عدوه فلم يزل كذلك حتى خف ريشه
فسقط إلى الأرض فأكلته الهوام والحشرات (ورأيت) في أخبار بعض الملوك أن وزيره (٢٦١) أشار عليه بجمع الأموال واقتناء

الكنوز وقال إن الرجال
وان تفرقوا عنك اليوم
ففي احتجتهم عرضت
عليهم الأموال فتمافتوا
عليك فقال له المال هل
لهذا من شاهد قال نعم هل
يحضرنا الساعة ذباب قال
لا قال فامر بأحضار حفنة
فيها عسل فحضرت فتساقط
عليها الذباب لوقتها فاستشار
السلطان بعض أصحابه في
ذلك فنهاه عن ذلك وقال
لا تغير قلوب الرجال فليس
في كل وقت أردتهم حضروا
فقال هل لذلك من دليل
قال نعم إذا أمسيتنا سأخبرك
فلما أظلم الليل قال للال
هات الحفنة فحضرت ولم
تتحضر ذبابة واحدة (وقد
روينا) عن سيرة بعض
السلطين في أرض مصر
وكان قد ملكها وكان اسمه
يلدق وورانه كان يحج مع
الأموال ولا يحفل بالرجال
فقال له أصحابه إن أمير
الجموش بالشام وهو
يتواعدك وكأنه قد قدم
عليك فاستعد الرجال
وأنفق فيهم الأموال فأومأ
إلى صناديق موضوعة
عنده وقال الرجال في
الصناديق فغزا أمير
الجموش ذلك المال في مصر
وقته وتسلم الصناديق

على ألا يتعلق له بالأحكام الشرعية التي يختاطون لها مثل أخبار بدء الخليفة وما يرجع إلى المحامدان
والملاحم وأمثال ذلك وهو لا يمثل كعب الأجرار وهو ببن منبه وعبد الله بن سلاام وأمثالهم فأمثلة
التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى
الأحكام فيتحري في الحكمة التي يجب بها العمل ويتساهل المفسرون في مثل ذلك وماؤا كتب التفسير
بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا من أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم معرفة ما يقابونه
من ذلك إلا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فلقبت بالقبول
من يومئذ فلما رجع الناس إلى التحقيق والتحصيل وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فخلص
تلك التفاسير كلها وتحري ما هو أقرب إلى الحكمة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والاندلس
حسن المنحى وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق * والصنف
الأخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والأعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب
المقاصد والأساليب وهذا الصنف من التفسير قل أن ينقرد عن الأول إذا الأول هو المقصود بالذات وإنما جاء
هذا بعد أن صار للسان وعلومه صناعة نعم قد يكون في بعض التفاسير غالباً ومن أحسن ما شتم عليه هذا
الفن من التفسير كتاب الكشف للزحشري من أهل خوارزم العراق لأن مؤلفه من أهل الاعتزال في
العقائد فبأقبح ما يحتاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في أي القرآن من طرق البلاغة فصاوب ذلك
للمحققين من أهل السنة انحرافاً عنه وتحذيراً للجمهور من مكانه مع أقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق
باللسان والبلاغة وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنية محسناً للجماع عنها فلا جرم أنه
مأمون من غوائله فلتعنت مطالعته لغرابة فنونه في اللسان ولقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض
العراقيين وهو شرف الدين الطيبي من أهل توديز من عراق الجهم شرح فيه كتاب الزحشري هذا وتبع
الفاظه وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بادلته تزييفها ويبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل
السنة لا على ما يراه المعتزلة فأحسن في ذلك ما شاء مع امتاعه في سائر فنون البلاغة وفوق كل ذي علم عليم

٦ * علوم الحديث *

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه وذلك بما ثبت في شريعتنا
من جواز النسخ ووقوعه لطفاً من الله بعباده وتحققها عنهم باعتبار مصالحهم التي تكفل لهم بها قال تعالى
ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها فإذا تعارض الخبران بالنسخ والاثبات وتعارض الجمع بينهما
ببعض التأويل وعلم تقدم أحدهما تبين أن المتأخر ناسخ ومعرفة النسخ والمنسوخ من أهم علوم الحديث
وأصعبها قال الزهري أعيان الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من
منسوخه وكان للشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة ومن علوم الأحاديث النظر في الأسانيد ومعرفة ما
يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشرطي لأن العمل إنما واجب بما يغلب
على الظن صدقه من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجهد في الطريق التي تحصيل ذلك الظن وهو
بمعرفة رواية الحديث بالعدل والضبط وإنما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعديلاً بهم وبراهينهم من
الجرح والغفلة ويكون لذلك دليلاً على القبول أو الترك وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من العصاة
والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتميزهم فيه واحد أو احداً وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها بأن
يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه وبسلامتهم من العلل الموهنة لها وتنتهي بالتفاوت إلى طرفين

والمالك فكان رأيه رأياً فاسداً لأن رجالاً يقيمهم لوقته ويصطنعهم لحاجته إنما يكونون أجناداً يجمعين وشركة ملحقين ليس فيهم عنه
ولا عندهم دفاع ولا عارسة للحروب (ومن السير) المروية في هذا الباب أنه لما فتحت العراق جي بالمال إلى عمر فقال صاحب بيت المال

أدخله بيت المال فقال لا ورب الكعبة لا يؤوى تحت سقف بيت حتى تقسمه فغطى في المسجد بالانطاع وحرسه رجال من المهاجرين والانصار فلما أصبح نظر الى الذهب (٢٦٢) والفضة والياقوت والازبرجد والدرىة لا فبكى فقال له العباس اوعبد الرحمن

ابن عوف يا امير المؤمنين والله ما هذا بيوم بكاء ولكنه يوم شكر وسرور فقال انى والله ما ذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر هذا في قوم الا وقع باسمهم بينهم ثم اقبل على القبة ورفع يديه وقال اللهم انى اعوذ بك ان اكون مستدر جافانى اسمعك تقول سنسند درجهم من حيث لا يعلمون ثم قال اين سراقه بن جهم فاقى به اشعر الذراعين دقيقههما فاعطاه سوارى كسرى وقال اليهم ما ففعل فقال قل الله اكبر قال الله اكبر قال قل الحمد لله الذى سلمهما كسرى واليسهما سراقه بن جهم اعرايا من بني مدج ثم قبلهما وقال ان الذى ادى هذا الامين فقال له رجل انا اخبرك انت امين الله تعالى وهم يؤدون اليك ما اديت لله تعالى فاذا رعت رعتوا قال صدقت وانما اليهم ما سراقه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقه ونظر الى ذراعيه كاني بك قد لبست سوارى كسرى ولم يجعل له الا السوارين (ولما ولى ابو بكر الصديق) رضى الله عنه

حكم بقبول الاعلى ورد الاسفل ويختلف في المتوسط بحسب المنقول عن ائمة الشأن وله في ذلك الفاظ اصطلاحوا على وضعها هذه المراتب المرتبة مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك من القاب المندولة بينهم وبواعلى كل واحد منها وتقلوا ما فيه من الخلاف لائمة اللسان او الوفاق ثم النظر في كيفية اخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة او كتابة او مناولة او اجازة وتفاوت رتبها وما للعلماء في ذلك من الخلاف باليقول والرد ثم اتبعوا ذلك بكلام في الفاظ تقع في متون الحديث من غريب او مشكل او تحريف او مفترق منها او مختلف وما يناسب ذلك هذا معظم ما ينظر فيه اهل الحديث وعالمه وكانت احوال نقلة الحديث في عصور السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند اهل بلده فمنهم بالحجاز ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق ومنهم بالشام ومصر والجمع معروفون مشهورون في اعصارهم وكانت طريقة اهل الحجاز في اعصارهم في الاسانيد اعلى عن سواهم وامتن في الحكمة لاسيما في شروط النقل من العدالة والضبط وتحققهم عن قبول المجهول الحال في ذلك وسند الطريقة الحجازية بعد السلف الامام مالك عالم المدينة رضى الله تعالى عنه ثم اصحابه مثل الامام محمد بن ادريس الشافعي والامام احمد بن حنبل وامثالهم وكان علم الشريعة في مبداه هذا الامر قلاصرا فاشهرها السلف وتحروا الصحيح حتى اكملوها وكتب مالك رحمه الله كتاب الموطا اودعه اصول الاحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على ابواب الفقه ثم عني الحفاظ بمعرفة طرق الاحاديث واسانيدها المختلفة وربما يقع اسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين وقد يقع الحديث ايضا في ابواب متعددة باختلاف المعاني التي اشتمل عليها او جاء محمد بن اسمعيل البخارى امام الحديثين في عصره في راج احاديث السنة على ابوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد منها ما اجمعا عليه دون ما اختلفوا فيه وكررا للاحاديث يسوقها في كل باب بمعنى ذلك الباب الذى تضمنه الحديث فذكرت لذلك احاديثه حتى يقال انه اشتمل (١) على تسعة آلاف حديث ومائتين منها ثلاثة آلاف متكررة وفرق الطرق والاسانيد عليها مختلفة في كل باب ثم جاء الامام مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله تعالى فالف مسنده الصحيح حذفه هذا البخارى في نقل الجمع عليه وحذف المتكررونه وجمع الطرق والاسانيد وبوبه على ابواب الفقه وتراجه ومع ذلك فلم يستوعبها الصحيح كله وقد استدرك الناس عليهم في ذلك ثم كتب ابو داود السجستاني وابو عيسى الترمذي وابو عبد الرحمن النسائي في السنن باوسع من الصحيح وقصدوا ما توفرت فيه مشروط العمل امامن الرتبة العالية في الاسانيد وهو الصحيح كله وهو معروف وامامن الذى دونه من الحسن وغيره ليكون ذلك اماما للسنة والعمل وهذه هي المسانيد المشهورة في الملة وهي امهات كتب الحديث في السنة فانه وان تعددت ترجع الى هذه في الاغلب ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هي علم الحديث وربما يقرع عن الناسخ والمنسوخ فيجعل فنانا برأسه وكذا الغريب وللناس فيه تاليف مشهورون ثم المؤلفات والمختلف وقد ألف الناس في علوم الحديث واكثر واومن فحول علمائهم وانتمهم ابو عبد الله الحاكمي تاليفه فيه مشهورة وهو الذى هذبه واظهر محاسنه واشهر كتابه للتأخرين فيه كتاب ابى عمرو بن الصلاح كان له عهد اوائل المائة السابعة وولاه يحيى الدين النووي عمل ذلك والفن شريف في مغزاه لانه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة وقد انقطع لهذا العهد تخرىج شيء من الاحاديث واستدراكه على المتقدمين اذ العادة تشهد بان هؤلاء الاتمة على تعددهم وتلاحق عصورهم

(١) قوله تسعة الذى في النووي على مسلم انها سبعة بتقديم السين خروجه اه

جاءه مال من المال فصب في المسجد وامر فنادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين او عدة فليحضروا وكفائهم قال ابو ايوب الانصاري فجيته فقلت يا خليفة رسول الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي لو قد جاءني مال اطيب منك هكذا وأشار

بكره فسكت أبو بكر فأنصرف ثم عاودته فسكت عني ثم أنصرف وعادته فقلت أما أن تعطيني وأما أن تبخل عني فقال ما أبخل عنك
أذهب فخذ ففنت حقة قال عدها فعددتها فوجدت فيها خمسة دنانير وأبو أيوب (٢٦٣) من أغنياء الانصار وهو تربل

النبى صلى الله عليه وسلم
دل الحديث على أن بيت
المال للغي والفقر ودل
أيضا انه لا يجب أن يساوى
فيه جميع المسلمين بل ذلك
موقوف الى اجتداد الامام
(فصل) قال الحسن
ابن علي الاسدي اخبرني أبي
قال وجدت في كتاب قطبي
باللغة الصعديّة مما نقل
بالعربية مبلغ ما كان
يستخرج لفرعون يوسف
من أموال مصر بحرق
الخراج مما يؤخذ من
وجوه الجبايات سنة
واحدة على العبد
والانصاف والرسوم
الحاربة من غير اضطهاد
ولامناقشة وبعد وضع
ما يجب وضعه لمحوادث
الزمان نظر الامام علي
وتقوية لحاكمهم من العين
أربعة وعشرون ألف ألف
وأربعة مائة ألف دينار
من ذلك ما ينصرف في
عمارة البلاد لمحق الخليج
والانفاق على الجسور
وسد الترع واصلاح
المناشئات ثم تقوية من
يحتاج الى تقويته من غير
رجوع عليه بها الاقامة
العوامل والتوسعة في البذار
وغير ذلك من الاعمال
وأجرة من يسعان به لئلا

وكفايتهم واجتهادهم لم يكونوا يغفلوا شيئا من السنة او يتركوه حتى يعثر عليه المتأخر هذا به يدعهم وانما
تنصرف العناية لهذا العهد الى تصحيح الامهات المكتوبة ووضعها بالرواية عن مصنفها والنظر في اسانيد
الى مؤلفها وعرض ذلك على ما تقر في علم الحديث من الشروط والاحكام لتتوصل الاسانيد بحكمة الى
منتهاها ولم يزدوا في ذلك على العناية بما كثر من هذه الامهات الخمسة الا في القليل * فالما البخاري وهو
أعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه واستغلقوا من اجل ما يحتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة
ورجالها من أهل النجاشي والشام والعراق ومعرفة احوالهم واختلاف الناس فيهم ولذلك يحتاج الى
امعان النظر في الثقة في تراجمه لانه يترجم الترجمة ويورد فيه الحديث بسند أو طريق ثم يترجم أخرى
ويورد فيه ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة تروية الى أن
يتكرر الحديث في ابواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها ومن شرحه ولم يستوفه - ذافيه فلم يوف حق
الشرح كابن بطال وابن المهلب وابن النين ونحوهم ولقد سمعت كثير من شيوخنا رجعهم الله يقولون شرح
كتاب البخاري دين على الامة يعنون ان احدا من علماء الامة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار
* وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به وأكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من
غير الصحيح مما لم يكن على شرطه وأكثروا موقع له في التراجم وأملوا الامام المارزي من فقهاء المالكية عليه
شرح واسماه المعلم بقوائدهم اشتمل على عبون من علم الحديث وفنون من الفقه - ثم اكمله القاضي
عياض من بعده ونعمه وسماه اكمل المعلم وتلاه ما بحبي الدين النووي بشرح استوفى ما في الكابين
وزاد عليهم ما فجاها وافي * وأما كتب السنن الاخرى وفيها معظم ما أخذ الفقهاء فكثر شرحها في كتب
الفقه الا ما يختص بعلم الحديث فكاتب الناس عليها واساتذهم وفوا من ذلك ما يحتاج اليه من علم الحديث
وموضوعاتها والاسانيد التي اشتملت على الاحاديث المجهول بها من السنة * واعلم ان الاحاديث قد تميزت
مراتبها هذا العهد بين صحيح وضعيف ومعلول وغيره اتمت له ائمة الحديث وجهات يذنه وعرفوها ولم يبق
طريق في تصحيح ما يصح من قبل ولقد كان الائمة في الحديث يعرفون الاحاديث بطرقها واسانيد
بحيث لو روى حديث بغير سند وطريقه - يظنون الى انه قد قلب عن وضعه ولقد وقع مثل ذلك
للإمام محمد بن اسماعيل البخاري حين ورد على بغداد وقصد الحديث - دثون امتحانه فساءلوه عن احاديث قبلوا
اسانيدها فقال لا اعرف هذه ولكن حدثني فلان ثم اتى بجميع تلك الاحاديث على الوضع الصحيح ورد كل
متن الى مسنده واقروا له بالامامة * واعلم ايضا ان الائمة المجتهدين تفاوتوا في الاكتفاء من هذه الصناعة
والاقلال فابو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقال بلغت روايته الى سبعة عشر حديثا ونحوها ومالك رحمه الله
انما صح عنده ما في كتاب الموطا وغايتها ثلثمائة حديث ونحوها واوجب بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده
نحو سبعون الف حديث ولكل ما داه اليه اجتاده في ذلك وقد تقول بعض المبعضين المتعسفين الى ان منهم
من كان قليل البضاعة في الحديث فلقد اذقت روايته - ولا سبيل الى هذا المعتقد في كبار الائمة لان الشريعة
تستأخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل البضاعة من الحديث فينبغي عليه طلبه وروايته والجد
والشمير في ذلك لئلاخذ الدين عن اصول صحيحة ويتلقى الاحكام عن صاحبها المبلغ لها وانما قل منهم من
قوله الذي في شرح الزرقاني على الموطا حكاية اقوال خمسة في عدة احاديثه اولها خمسة مائة ثانياها سبعة مائة
ثالثها ألف ونيّف رابعها ألف وسبعة مائة وخمسون خامسها ستمائة وستة وستون وليس فيه قول بما
في هذه النسخة قاله نصر المهوريني اه

البذار وسائر نفقات تطبيق الارضين ثمانمائة ألف دينار وما ينصرف في ارزاق الاولياء الموسومين بالسلاح ومن في جملتهم من الشادية
والعلمان واشياهم وعدة جميعهم - مع ألف كاتب موسومين بالدواوين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم - مائة ألف

واحدى عشر ألف دينار وثمانية ألف درهم ولا ينصرف للارامل والايتام يرضون به من بيت المال وان كانوا غير محتاجين حتى لا يتخلوا منها لهم من يرفعون (٢٦٤) اربعمائة الف دينار ولا ينصرف في كسنة برايتهم وسائر بيوت صلواتهم مائتا الف دينار ولما

ينصرف في الصدقات مما يصب صباو ينادي برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك من يحضر ولا يرد احد والامناء جلوس فاذا رآوا انسانا لم يحرسوه بان يأخذ أفرده بعد قبضه ما قبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدد دخل اماناء فرعون اليه وهنؤه بنقرة المال ودعه واليه بطول البقاء ودوام العز والسلامة وأنهى اليه حال تلك الطائفة فبأمر بتغيير شملها بالجمام واللباس ثم عد السماط فيا كلون بين يديه ويشربون ويستعلم من كل واحد سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان رد عليه مثل ما كان له وان كان سواه رأى وتدبير غير مستقيم ضمه الى من يشرف عليه ويأخذه بالادب والمعرفة التي لا يصلح الابهام مائتا الف دينار ولما ينصرف من نفقات فرعون الراتبية لسنته مائتا ألف دينار تكون النفقات على مائة دم تقصيلها تسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف دينار يحصل بعد ذلك ما

٧ * (علم الفقهاء وما يتبعه من القرائن) *

الفقهاء معرفة أحكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكره والاباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة ما من الادلة فاذا استقرت جت الاحكام من تلك الادلة قبل لها فقه وكان السلف يستخرجونها من تلك الادلة على اختلاف فيها بينهم ولا بد من وقوعه ضرورة ان الادلة غالبها من النصوص وهي بلغة العرب وفي اقتضا آت ألفاظها لكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف وايضا فالسنة مختلفة الطرق في الثبوت وتعارض في الاكثر احكامها فتحتاج الى الترجيح وهو مختلف ايضا فالادلة من غير النصوص مختلفة فيها وايضا فالوقائع المتجددة لا توفى بها النصوص وما كان منها غير ظاهر في المنصوص فيحمل على منصوص مشابهة بينهم ما وهذه كلها اشارات للتحلاف ضرورية الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والائمة من بعدهم ثم ان الصحابة كلهم لم يكونوا اهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وانما كان ذلك مختصا بالعلماء للقرآن العارفين بما نسخ منه ومنسوخه ومثابه ومحكمه وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم او ممن سمعهم منهم من علمهم وكانوا يسمون لذلك القراء الذين يقرؤن الكتاب لان العرب كانوا امة امية فاختص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم اغرابته يومئذ وبقي الامر كذلك صدرا الملة ثم عظمت امصار الاسلام وذهبت الامية من العرب بممارسة الكتاب وتعلم الاستنباط وكل الفقه واصبح صناعة وعلما فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء وانقسم الفقه فيهم الى طريقتين طريقة اهل الرأي والقياس وهم اهل العراق وطريقة اهل الحديث وهم اهل الحجاز وكان الحديث قبل في اهل العراق لما قدماء فاستكثر وامن القياس ومهر وافيه فالدلك قبل اهل الرأي ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي اصحابه ابو حنيفة وامام اهل الحجاز مالك بن انس والشافعي من بعده ثم انكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهرية وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والاجماع وردوا القياس الجلي والعلية المنصوصة

ينصرف في الصدقات مما يصب صباو ينادي برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك من يحضر ولا يرد احد والامناء جلوس فاذا رآوا انسانا لم يحرسوه بان يأخذ أفرده بعد قبضه ما قبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدد دخل اماناء فرعون اليه وهنؤه بنقرة المال ودعه واليه بطول البقاء ودوام العز والسلامة وأنهى اليه حال تلك الطائفة فبأمر بتغيير شملها بالجمام واللباس ثم عد السماط فيا كلون بين يديه ويشربون ويستعلم من كل واحد سبب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان رد عليه مثل ما كان له وان كان سواه رأى وتدبير غير مستقيم ضمه الى من يشرف عليه ويأخذه بالادب والمعرفة التي لا يصلح الابهام مائتا الف دينار ولما ينصرف من نفقات فرعون الراتبية لسنته مائتا ألف دينار تكون النفقات على مائة دم تقصيلها تسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف دينار يحصل بعد ذلك ما

يشمله يوسف الصديق عليه السلام ويحصله لفرعون في بيت المال لنوايب الزمان اربعة عشر ألف ألف وثمانمائة الف دينار (وقال ابو رهم) كانت ارض مصر ارضا مدبرة حتى ان الماء ليجري تحت مازلها وافينها فيحبسوه كيف

شاؤوا رزس لوه كيف شاؤوا ذلك قول فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون وكان ملك مصر عظيما لم يكن في الارض اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتي النبل منضلة لا ينقطع منها شيء عن شيء والزرع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لمدبر وافي جسورها وحافاتها (٢٦٥) والزرع ما بين الجبيلين من اوطس الى آخرها وذلك قوله تعالى

كم تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم
ونعمة كانوا فيها فاكهين
واقام الكريم المنابر وكان
بها الف منبر (وقال عبد
الله بن عمرو) استعمل
فرعون هاما ن على حفر
خليج سر دوس فأخذ في
حفره وتديره فجعل أهل
القرى يسألونه ان يجري
الخليج تحت قريتهم
ويعطوه مالا وكان يذهب به
من قرية الى قرية من الشرق
الى الغرب ومن الشمال
الى القبلة ويسوقه كيف
أراد فليس في مصر خليج
أكثر عذوفا منه فاجتمع
له من ذلك أموال عظيمة
فحملها الى فرعون وأخبره
بالخبر فقال له فرعون انه
ينبغي للسيد أن يعطف
على عبده ويقبض عليهم
من خزائنه وذخائره ولا
يرغب فيما بأيديهم رد
على أهل القرى ما أخذت
منهم فرد عليهم أموالهم
فهذه سيرة من لا يعرف
الله ولا يرجو لقاءه ولا
يخاف عذابه ولا يؤمن
بيوم الحساب فكيف
يجب ان تكون سيرة

الى النص لان النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان امام هذا المذهب داود بن علي وابنه
وأصحابهما وكانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الامة وشذاهل البيت مذاهب
ابتدعوا وهاو فقه انفرادوا به وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعض الائمة
ورفع الخلاف عن اقوالهم وهي كلها اصول واهية وشذوخل ذلك الخوارج ولم يحتفل الجمهور
بمذاهبهم بل اوسعوا ما جانب الانكار والقدح فلا تعرف شيئا من مذاهبهم ولا تروى كتبهم ولا اثر شيء
منها الا في مواضعهم فكاتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن
والخوارج كذلك ولكل منهم كتب وتاليف وآراء في الفقه غريبة ثم درس مذهب اهل الظاهر
اليوم بدر وسأنته وانكار الجمهور على منتهى له ولم يبق الا في الكتب المجلدة ووربما يعكف كثير من
الطالبين عن تكلف بانتحال مذهبهم على تلك الكتب وم اخذ فقههم منها ومذهبهم فلا يحل لو بمائل
ويصير الى مخالفة الجمهور وانكارهم عليه وربما عذب هذه النحلة من أهل البدع بنقله العلم من الكتب من
غير مفتاح المعلمين وقد فعل ذلك ابن خرم بالاندلس على علور تبته في حفظ الحديث وصار الى مذهب اهل
الظاهر ومهر فيه باجتهاد زعمه في اقوالهم وخالف امامهم داود وتعرض للكثير من أئمة المسلمين فنقم الناس
ذلك عليه وأوسعوا مذهبهم استهجانا وانكارا وتلقوا كتبهم بالاغفال والتركة حتى انها الحضر بيها
بالاسواق وربما تمزق في بعض الاحيان ولم يبق الا مذهب اهل الرأي من العراق وأهل الحديث من
الحجاز فاما اهل العراق فاما هم الذي استقرت عندهم مذاهبهم ابو حنيفة النعمان بن ثابت ومقامه في
الفقه لا يلحق شهد له بذلك أهل جلدته وخصوصا مال والشافعي * وأما أهل الحجاز فكان امامهم
مالك بن أنس الاصبغى امام دار الهجرة رحمه الله تعالى واختص بزياة مدرك آخر للاحكام غير المدارك
المعتبرة عنده غيره وهو عمل أهل المدينة لانه رأى انهم فيما ينفسون عليه من فعل او ترك متابعون لمن
قبلهم ضرورة لديهم واقفا على الجبل المباشر من لفعل النبي صلى الله عليه وسلم الاخذين
ذلك عنه وصار ذلك عنده من اصول الادلة الشرعية ووطن كثيران ذلك من مسائل الاجماع فأنكره لان
دليل الاجماع لا يخص أهل المدينة من سواهم بل هو شامل للامة واعلم ان الاجماع انما هو الاتفاق
على الامر الديني عن اجتهاد ومالك رحمه الله تعالى لم يعتبر عمل أهل المدينة من هذا المعنى وانما اعتبره من
حيث اتباع الجبل بالمشاهدة الجبل الى أن يتنهي الى الشارع صلوات الله وسلامه عليه وضرورة اقتدائهم
بمعين ذلك نعم الملة ذكرت في باب الاجماع الابواب بها من حيث ما فيها من الاتفاق الجامع بينها وبين
الاجماع الا ان اتفاق أهل الاجماع عن نظروا اجتهاد في الادلة واتفاق هؤلاء في فعل او ترك مستندين الى
مشاهدة من قبلهم ولو ذكرت المسئلة في باب فعل النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره اومع الادلة المختلف فيها
مثل مذهب الصحابي وشرع من قبلنا والاسم تحجاب لكان البقي ثم كان من بعد مالك بن أنس محمد بن
ادريس المطلبي الشافعي رحمه الله تعالى رحل الى العراق من بعد مالك واتى أصحاب الامام ابي حنيفة
وأخذ عنهم وخرج طريفة أهل الحجاز بطريفة أهل العراق واختص بمذهب وخالف ما لكارهه الله تعالى
في كثير من مذهبهم وجاء من بعدهما احمد بن حنبل رحمه الله وكان من علمه الحديث وقرأ أصحابه على
أصحاب الامام ابي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاخضعوا لمذهب آخر ووقف التقليد في الامصار

(٣٤ - ابن خلدون)

من يقول لا اله الا الله ويوقن بالحساب والثواب والعقاب (وقال ابن عباس)
رضي الله عنهم في قوله تعالى اجعلني على خزان الارض اني حفيظ دائم قال هي خزان مصر وكانت اربعين فرسخا في مثلها ولم يطع يوسف
فرعون ويحلفه وينوب عنه الا بعد ان دعاه الى الاسلام فاسلم حينئذ قال اجعلني على خزان الارض (ولما استوثق) أمر يوسف الصديق

عليه السلام وكل وصارت الاشياء اليه واراد ربك أن يعرضه على صبره لما لم يركب محارمه وحلت سبوا الغلاء والجوع مات العزيز
وذهبت الذخائر وافقرت زليخا وعي بصرها وجعلت تنكف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرجئك ويعينك فطالما حقت عليه
وأكرمته ثم قيل لها لا تفعل (٢٦٦) لانه ربما يتذكر ما كان منك اليه من المراودة والمحس فيسبى عليك ويكافئك فيعاسبق

عنده هؤلاء الاربعة وتدرس المقلدون من سواهم وسد الناس باب الخلاف وطرقها كثيرا كثرت بحسب
الاصطلاحات في العلوم ولما عاق عن الوصول الى رتبة الاجتهاد وما خشي من اسناد ذلك الى غير اهله
ومن لا يوثق برأيه ولا يدينه فصرحوا بالعجز والاعواز وردوا الناس الى تقليده هؤلاء كل من اختص به من
المقلدين وحظروا ان يتداولوا تقليدهم لما فيه من التلاعب ولم يبق الا نقل مذهبهم وعمل كل مقلد
بمذهب من قلدته منهم بعد تصحيح الاصول واتصال سندها بالرواية لا بمحصول اليوم للفقهاء غير هذا ومدعى
الاجتهاد لمذاهب العهد مردود على عقبه معجوز تقليده وقد صار أهل الاسلام اليوم على تقليده هؤلاء الاربعة
الاربعة فأما احمد بن حنبل فمقلده قليل لم يذهب مذهبهم عن الاجتهاد واصالته في معاضدة الرواية وللأخبار
بعضها يبعثوا كثيرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم أكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث
وأما أبو حنيفة فقلده اليوم أهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء النهر وبلاد العمم كلها ما كان
مذهبهم اخص بالعراق ودار الاسلام وكان تلميذه صحابة الخلفاء من بني العباس فكثرت تآليفهم
ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافات وجاءوا منها بعلم مستطرف وانظار غريبة وهي
بين أيدي الناس وبالمغرب منها شيء قليل نقله اليه القاضي ابن العربي وأبو الويلد الباجي في رحلتهم وأما
الشافعي فقلده ومبصر أكثر مما سواها وقد كان انتشر مذهبهم بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقاسموا
الحنفية في الفتوى والتدريس في جميع الامصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم وشخنت كتب
الخلافات بانواع استدلالهم ثم درس ذلك كله بدروس المشرق واقطاره وكان الامام محمد بن ادریس
الشافعي انزل على بني عبد الحكم بمصر اخذ عنه جماعة من بني عبد الحكم وأشهب وابن القاسم وابن
المواز وغيرهم ثم المحدث بن مسكين وبنوه ثم انقرض فقه اهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة
وتداول بها فقه اهل البيت وتلاشي من سواهم الى ان ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح
الدين يوسف بن أيوب ورجع اليهم فقه الشافعي وأصحابه من أهل العراق والشام فعاد الى احسن ما كان
ونفق سوقه واشتهر منهم محيي الدين النووي من الحلة التي ربيت في ظل الدولة الايوبية بالشام وعز الدين
ابن عبد السلام ايضا ثم ابن الرفعة بمصر وتوفي الدين بن دقيق العيد ثم بقي الدين السبكي بعدهما الى ان
انتهى ذلك الى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني فهو اليوم أكبر الشافعية بمصر كبير
العلماء بل أكبر العلماء من أهل العصر * وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبهم أهل المغرب
والاندلس وان كان يوجد في غيرهم الا أنهم لم يقلدوا غيره الا في القليل لما ان رحلتهم كانت غالبا الى الحجاز
وهو منهم سي سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ولم يكن العراق في طريقهم فافتقر
على الاخذ عن علماء المدينة وشيوخهم يومئذ وامامهم مالك وشيوخهم من قبله وتلميذه من بعده فرجع اليه
أهل المغرب والاندلس وقلده دون غيره من لم تصل اليهم طريقته وايضا فالبادوة كانت غالبية على أهل
المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لاهل العراق فكانوا الى أهل الحجاز اميل لمناسبة
البداوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي غصا عندهم ولم يأخذوا تنقيح الحضارة وتزيتها كما وقع في غيره من
المذاهب ولما صار مذهب كل امام عالما مخصوصا عند أهل مذهبهم ولم يكن لهم سبيل الى الاجتهاد
والقياس فاحتاجوا الى تنظير المسائل في الاحكام ونفريتها عند الاشتباه به والاستناد الى الاصول

منك اليه فقالت أنا أعلم
بحكمه وكرمه وجاست له
على رابية في طريقه يوم
خروجه وكان يركب في
زهاء مائة ألف من عظماء
قومه وأهل مملكته فلما
أحست به قامت وقالت
سبحان من جعل الملوك
عبيدا بعبصيتهم وجعل
العبيد ملوكا بطاعتهم فقال
يوسف ومن أنت قالت
أنا التي كنت اخذ منك على
صدور قدحى وأرجل جنتك
يهدى وأكرم مسواك
بجهدي وكان منى ما كان
وذقت وبال أمرى وذهبت
قوتي وتلف مالي وعي
بصري وصرت أسأل الناس
فهمهم من يرجني ومنهم
من لا يرجني بعدما كنت
معبودة أهل مصر كلها
صرت مرحومة منهم بل
محرومة منهم هذا جزاء المفسدين
فبكى يوسف عليه السلام
بكاء شديدا وقال لها هل
بقي في قلبك من حبك
اباى شيء فقالت والذي
اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة
اليك أحب الى من ملء
الارض ذهبا وفضة فضى
يوسف وأرسل اليه ان
كنت ايمانا تزوجناك وان

المقررة

كنت ذات بعل أغنيانا فقالت للرسول الملك أعرف بالله من أن يستهزئ بي هو لم يردني

في أيام شبابي وجالي فكيف يقبلني وأنا عجوز عياء فقيرة فأمر بها يوسف عليه السلام بفهزت فتر وجهها وأدخلت عليه فصف قدميه
وجعل يرضي ودعا الله باسمه الأعظم فدالته تعالى عليها الله سبحانه وأوجها لها وبصرها كهيتها يوم راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له

افرائيم بن يوسف وميشا بن يوسف وطاب في الاسلام عيشهم ما حتى فرق الدهر بينهم ما فيجب للقوى أن لا ينسى الضعيف وللغنى أن لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومغلوب اليه يصير راغبا ومسؤول يصير سائلا وراحم يصير مرحوما (فهذا يوسف) الصديق عليه السلام انظر الى ضعفه في بداخوته يوم الحب ثم ضعفهم بين يديه يوم الصاع (وهذه زليخا) (٢٦٧) ملكة مصر وسيدة أهلها عادت

تتكلف الناس في الطرقات
قال الله تعالى وأورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون
مشارك الارض ومغارها
التي باركنا فيها فكان
يوسف عليه السلام بعد
هذا يجوع ويأكل خبز
الشعير ولا يشبع فقبل له
أنجوع ويبيدك خزائن
الارض قال أخاف أن
أشبع فأنسى الخائعين
(وقد رايت) أن الحققة
بمنقبة في مثلها يتنافس
العقلاء ويرغب فيها
الملوك والوزراء وذلك أني
لما كنت بالعراق وكان
الوزير نظام الملك والغالب
على ألقابه خواجا برك
رحمه الله تعالى قدوزر لابي
الفتح ملك الترك ابن الب
ارسلان وكان قدوزر لابي
من قبله فقام بدولته ما
أحسن قيام فشد أركانها
وشيد بنياتها واستمال
الاعداء ووالى الاولياء
واستعمل الكفاة وعم
احسانه العدو والصديق
والبغض والمحبي والبغيد
والقريب حتى ألقى الملك
بحرانه وذل الخلق لسلطانه
وكان الذي مهد له ذلك
بإذن الله تعالى وتوفيقه

المقررة من مذاهب امامهم وصار ذلك كله يحتاج الى ملأمة راسخة بقدر بها على ذلك النوع من التنظير
والثفرقة واتباع مذهب امامهم فيهم ما استضاءوا وهذه الملة هي علم الفقه لهذا العهد وأهل المغرب
جميعا ملدون لما لك رحمه الله وقد كان تلميذه افتقر وابعصر والعراق فكان بالعراق منهم القاضي اسمعيل
وطبقة مثل ابن خويزمنداد وابن اللبان والقاضي أبو بكر الابهري والقاضي أبو الحسين بن القصار
والقاضي عبد الوهاب ومن بعدهم وكان بمصر ابن القاسم وأشباه ابن عبد الحكم والحريث بن مسكين
وطبقة وهم ورحل من الاندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقة به وبث مذهب مالك في
الاندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتيبي من تلامذته كتاب العتيبة ورحل من افرقية اسدين
الفرات فكتب عن أصحاب أبي حنيفة أولا ثم انتقل الى مذهب مالك وكتب على ابن القاسم في سائر
أبواب الفقه وجاء الى القيروان بكتابه وسعى الاسدية نسبة الى اسدين الفران فقرأها سجنون على اسد
ثم ارتحل الى المشرق واتى ابن القاسم وأخذ عنه وعارضه بمسائل الاسدية فرجع عن كثير منها وكتب
سجنون مسائلها ودونها وأثبت ما رجع عنه وكتب لاسد أن يأخذ بكتاب سجنون فأنف من ذلك فترك
الناس كتابه واتبعوا مدونة سجنون على ما كان فيهم من اختلاط المسائل في الأبواب فكانت تسمى
المدونة والمختلطة وعكف أهل القيروان على هذه المدونة وأهل الاندلس على الواضحة والعتيبة ثم اختصر
ابن أبي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى بالختصر ونحصره ايضا أبو سعيد البرادعي من فقهاء القيروان
في كتابه المسمى بالتهذيب واعتمد المشيخة من أهل افرقية وأخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتمد أهل
الاندلس كتاب العتيبة وهجروا الواضحة وما سواه وأول من تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الامهات
بالشرح والايضاح والتجميع فكتب أهل افرقية على المدونة ماشاء الله أن يكتبوا مثل ابن يونس والخمصي
وابن محرز التونسي وابن بشير وامثالهم وكتب أهل الاندلس على العتيبة ماشاء الله أن يكتبوا مثل ابن رشد
وأمثاله وجعل ابن أبي زيد جميع ما في الامهات من المسائل والخلاف والاقوال في كتاب النوادر فاشتمل
على جميع اقوال المذهب وفرع الامهات كلها في هذا الكتاب ونقل ابن يونس معظمه في كتابه على
المدونة وزخرت بحار المذهب المالكي في الافقيين الى انقراض دولة قرطبة والقيروان ثم تسلك به ما
أهل المغرب بعد ذلك الى ان جاء كتاب ابن عمرو بن الحجاب لمخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب
وتعديد اقوالهم في كل مسألة فجاء كالبرنامج للمذهب وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن
الحريث بن مسكين وابن المبشر وابن الهيثم وابن رشيق وابن شاس وكانت بالاسكندرية في بني عوف
بني سند وابن عطاء الله ولم أدر عن أخذها ابو عمرو بن الحجاب لكنه جاء بعد انقراض دولة العبيديين
وزهاب فقه أهل البيت وظهور فقه السنية من الشافعية والمالكية ولما جاء كتابه الى المغرب آخر المائة
السابعة عكف عليه الكثير من طلبة المغرب وخصوصا أهل بجاية لما كان كبير مشيختهم ابو علي ناصر
الدين الزواوي هو الذي جلبه الى المغرب فانه كان قرأ على أصحابه بمصر ونسخ مختصره ذلك فجاء به وانتشر
بقطر بجاية في تلميذه ومنهم من انتقل الى سائر الامصار المغربية وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد تداولوا قراءته
ويتداولونه لما يؤثر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه وقد شرحه جماعة من شيوخهم كابن عبد
السلام وابن رشد وابن هرون وكاهم من مشيخة أهل تونس وسابق حليتهم في الاجادة في ذلك ابن عبد

أنه أقبل بكلمته على مراعاة جمال الدين فبنى دورا لعلم للفقه وأنشأ المدارس للعلماء وأسس الرباطات للعباد والزهاد وأصل الصلاح
والفقر ثم أجرى لهم الجرايات والكساوى والنققات وأجرى الخير والرزق لمن كان من أهل الطلب للعلم مضافا الى أرزاقهم وعم بذلك
سائر أقطار مملكته فلم يكن من أوائل الشام وهي بيت المقدس الى سائر الشام الا على وديار بكر والعراقين وخراسان بأقطارها الى سمرقند

من ورأى من جيعون مسيرة زهاء مائة يوم حامل علم أو طالبه أو متعبدا أو زاهدا في زاوية أو كرامته شاملة له وسابغة عليه وكان الذي يخرج من بيوت أمواله في هذه الأبواب ستمائة ألف دينار في كل سنة فوشى به الوشاة إلى أبي الفتح المالك وأوغر وأصدره عليه وقالوا إن هذا المال يخرج من بيوت الأموال (٢٦٨) يقيم به جيشا يركز رأيته في سور قسطنطينية فخامر ذلك قلب أبي الفتح المالك فلما دخل

السلام وهم مع ذلك يتعاهدون كتاب التهذيب في دروسهم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

٨ * (علم الفرائض)

وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام القرىضة مما يصح باعتبار فروضها الأصول أو مناسبتها وذلك إذا هلك أحد الورثة أو انكسرت سهامه على فروض ورثته فإنه حينئذ يحتاج إلى حساب يصح القرىضة الأولى حتى يصل أهل الفروض جميعا إلى القرىضة تين إلى فروضهم من غير تجزئة وقد تكون هذه المناسبات أكثر من واحد أو اثنين وتعد لذلك بعددا أكثر أو بقدر ما تعدد يحتاج إلى الحساب وإن وكذلك إذا كانت قرىضة ذات وجهين مثل أن يقر بعض الورثة بوارث وينسكه الآخر فتصح على الوجهين حينئذ وينظر مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من أصل القرىضة وكل ذلك يحتاج إلى الحساب وكان غالبه وجعله فاما مفردا وللناس فيه تأليف كثيرة أشهرها عند المالكية من متأخري الأندلس كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم المحوفى ثم المجعدي ومن متأخري أفرقية ابن النمر الطرابلسي وأمثالهم وأما الشافعية والحنفية والمخالفون فلهم فيه تأليف كثيرة وأعمال عظيمة صعبة شاهدة لهم باتساع الباع في الفقه والحساب وخصوصا أبا المعالي رضي الله تعالى عنه وأمثاله من أهل المذاهب وهو من شريف مجتهد بين المقلوب والمنقول والوصول به إلى الحقوق في الوراثة بوجوه صحيحة يقينية عند من جهل المحظوظ وتشكل على القاسمين والعلماء من أهل الأمصار بها عناية ومن المصنفين من يحتاج فيها إلى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج إلى استخراج الجوه ولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والتصرف في الجذور وأمثال ذلك فيملاؤها تأليفهم وهو وإن لم يكن متدولا بين الناس ولا يقيد فيما يتداولونه من وراثتهم لغرابته وقلة وقوعه فهو يقيد المران وتحصيل الملكية في المتداول على أكمل الوجوه وقد يحتاج إلى أكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث المنقول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الفرائض ثلث العلم وأنهم أول ما ينسى وفي رواية نصف العلم نجره أبو نعيم الحافظ واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد بالفرائض فروض الوراثة والذي يظهر أن هذا الحمل بعدد المراد بالفرائض إنما هي الفرائض التكليفية في العبادات والعادات والموارث وغيرها وهذا المعنى يصح فيها النصبة والتولية وأما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى علم الشرع كله وأعيان هذا المراد أن جعل لفظ الفرائض على هذا الفن الخصوص أو تخصصه بفروض الوراثة إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات ولم يكن صدرا لاسلام يطلق على هذا الأعلى عمومته مشتقا من الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع وما كان المراد به في إطلاقه الإجماع الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشرعية فلا ينبغي أن يحمل الأعلى ما كان يحمل في عصرهم فهو أليق بما رادهم منه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

■ * (أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات)

(اعلم) أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرا وأكثرها فائدة وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ ومنها الأحكام والتكاليف وأصول الأدلة الشرعية هي السكك الذي هو القرآن ثم السنة المبينة له فعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت الأحكام تنلق منه بما يوحى إليه من

عليه قال يا ابت بلغني أنك تخرج من بيوت الأموال كل سنة ستمائة ألف دينار إلى من لا ينبغي ولا ينبغي عنا فبكى نظام المالك وقال يا بني أنا شيخ أعجى لونيدي ع لي فمن يز يدلم أحفظ خمسة ذنانير وأنت غلام تركي لونيدي عايك عساك تحفظ ثلاثين دينارا وأنت مشغل بلذاتك منهمك في شهواتك وأكثر ما يصعد إلى الله تعالى معاصيك دون طاعاتك وجيوشك الذين تعدهم للنواب إذا احتشدوا كاخفوا عنك بسيف طوله ذراعان وقوس لا ينتهي مدى حرماه ثلثمائة ذراع وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخجور والملاهي والمزمار والطنبو وأنا أقت لك جيشا يسمى جيش الليل إذا نامت جيوشك ليل لا قامت جيوش الليل على أقدامهم صنفوا بين يديهم فارسا وادموعهم وأطلقوا بالدعاء استنهم ومدوا إلى الله أكرمهم بالدعاء لك وجميعيوشك فانت وجيوشك في خفارتهم تعيشون ويدعائهم يمتنون ويبركائهم

تطرون وترزقون فخرق سهامهم إلى السماء السابعة بالدعاء والتضرع فكبى أبو الفتح المالك بكاء شديدا ثم قال شاباش القرآن يا ابت شاباش أكثر لي من هذا الجيش (ومن مناقب) هذا الرجل وفضائله أن رجلا قصد به يقال له أبو سعد الصوفي فقال له يا أخوانا أني لك مدرسة يبعثها مدينة السلام لا يكون في معمرها الأرض منها ما يخلد بها ذكرك إلى أن تقوم الساعة قال أفعول وكتب إلى وكلائه

بيعداد أن يمكنه من الاموال فابتاع بقة على شاطئ دجلة وخط المدرسة النظامية وبنهاها احسن بنيان وكتب عليها اسم نظام الملك وبنى حولها
أسواقا تكون محبة عليها وابتاع ضياعا وخانات وجسمات وواقفت عليها افكملت لنظام الملك بذلك رياسة وسودد دوز كرجيل طبق
الارض خبره وعم المشارق والمغرب أثره وكان ذلك في سني عشر الحسنيين وأربعمائة (٢٦٩) من الهجرة ثم رفع حساب النفقات

الى نظام الملك فبلغ ما يقارب
ستين ألف دينار ثم غنى
الخبر الى نظام الملك من
الكتاب وأهل الحساب أن
جميع ما أتفق فيه انخوم من
تسعة عشر ألف دينار وأن
سائر الاموال احتجهم بنفسه
وخانك فيها فدعا نظام
الملك الى أصحابان للحساب
فلما أحس أبو سعيد بذلك
أرسل الى الخليفة أني
العباس يقول هل لك في
أن أطبق الارض بذكرك
وأشركك فخر الاتيموه الايام
قال وما هو قال غموا نسم
نظام الملك عن هذه المدرسة
ونكتب عليهم اسمك وتزن
له ستين ألف دينار فارسل
اليه الخليفة يقول له أنفذ
من يقبض المال فلما
استوفى منه مضى الى
أصحابان فقال له نظام الملك
أنك قد رفعت الينا نحو
من ستين ألف دينار رفقة
وأحب اخراج الحساب فقال
له أبو سعيد لا تطل الخطاب
ان رضيت والا محوت
اسمك المكتوب عليها
وكتبت عليها اسم غيرك
وأرسل معي من يقبض
المال فلما أحس نظام
الملك بذلك قال يا شيخ

القرآن ويدينه بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج الى نقل ولا الى نظر وقياس ومن بعده صلوات الله
وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر وأما السنة فأجمع الكتاب رضوان الله تعالى
عليهم على وجوب العمل بما يصل اليها منها قولاً أو فعلاً لا بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه
وتعين دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل الاجماع منزلة الاجماع الكتابية على
التكبير على مخالفيه لم ولا يكون ذلك الا عن مستند لان مثاهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة
الدلة بعصمة الجماعة فصار الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات ثم نظرنا في طرق استدلال الكتاب والسلف
بالكتاب والسنة فإذا هم يقسمون الاشياء بالاشهاد منها وما ينظرون الامثال بالامثال باجماع منهم
وتسايم بعضهم بعضاً في ذلك فان كثير من الوقائع بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تدرج في
النصوص الثابتة ففاسد ما يثبت والمحذور ما ينص عليه بشرط في ذلك الالتحاق بصحح تلك المساواة بين
الشبهين أو المثلين حتى يغلب على الظن ان حكم الله تعالى فيه ما واحد وصار ذلك دليلاً لشرعها باجماعهم
عليه وهو القياس وهو رابع الادلة واتفق جمهور العلماء على أن هذه هي أصول الادلة وان خالف
بعضهم في الاجماع والقياس وأنه شذوذ والحق بعضهم بهذه الاربع ادلة أخرى لا حاجة بنا الى ذكرها
لضعف مداركها وشذوذ القول فيها فكان اول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه ادلة فأما الكتاب
فدليله المعجزة القاطعة في متنه والتواتر في نقله فلم يبق فيه مجال للاحتمال وأما السنة وما نقل الينا منها
فالاجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه معتضداً بما كان عليه العمل في حياته صلوات الله
وسلامه عليه من انفاذا الكتب والرسائل الى النواحي بالاحكام والشرائع آراء وناهيها وأما الاجماع فلا تفاهم
رضوان الله تعالى عليهم على انكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للامة وأما القياس فباجماع الصحابة رضي
الله عنهم عليه كما قدمناه هذه اصول الادلة ثم ان المنقول من السنة محتاج الى تصحح الخبر بالنظر في طرق
النقل وعدالة الناقلين لتمييز الحالة المحصلة له لا ظن بصدقه الذي هو مناط وجوب العمل وهذه ايضا من
قواعد الفن ويلحق بذلك عند التعارض بين الخبرين وطلب المتقدم منهم ما معرفة الناصح والمنسوخ وهي
من فصوله أيضاً وأبوابه ثم بعد ذلك يتعين النظر في دلالة الالفاظ وذلك ان استفادة المعاني على الاطلاق
من تراكيب الكلام على الاطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين
اللسانية في ذلك هي علوم النحو والنصرف والبيان وحين كان الكلام ملكت لا له لم تكن هذه علومها
ولاقوانين ولم يكن الفقه حينئذ يحتاج اليها لانها جلية وملاكة فسدت الملاكة في اسان العرب فبدها
الجهالة المتجردون لذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علومها يحتاج اليها الفقه في
معرفة احكام الله تعالى ثم ان هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام وهي استفادة الاحكام
الشرعية بين المعاني من أدلتها الخاصة من تراكيب الكلام وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات
الوضعية على الاطلاق بل لا بد من معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة وبها تستفاد
الاحكام بحسب ما أصل أهل الشرع وجهان هذه العلم من ذلك وجعلوه قوانين لهذه الاستفادة مثل أن اللغة
لا تثبت قياساً والمشتراك لا يراد به معنياه معا والاول لا تقتضي الترتيب والعام اذا خرجت افراد الخاص منه
هل يبقى حجة في عاها والامر للوجوب والندب وللغور والترخي والنهي يقتضي الفساد والحكمة والمطلق

قد سوغنا لك جميع ذلك كله ولا تمنع اسمنا ثم ان أبي سعيد بن بلك الاموال الرباطات للصوفية واشترى الضياع والخانات والبساتين
والدور ووقف جميع ذلك على الصوفية والصوفية الى يومنا هذا في رباط أبي سعيد الصوفي وواقفه يتقبلون بيعداد في هذه المناقب
فليتنافس المتنافسون ولمثل هذا فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جيل الذكر فاما لم نجد شيئاً

يبقى على الدهر الا الذكر حسنا كان او قبيحا وقال الشاعر ولا شيء يدوم فكن حديثا * جميل الذكرا فالدنيا حديث فانتهر فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا وتذكر بالصالحات كما ذكر واودع لنفسك في الآخرة كما ادخروا واعلم ان المأكل للبدن والموهوب للعاد (٢٧٠) والمتروك للعدو فاحترأى الثلاث شئت والسلام (وكان) ابن ابي داود الوزير واسع النفس

هل يحمل على المقيد والنص على العلة كاف في التعدد ام لا وامثال هذه فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولا يكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية ثم ان النظر في القياس من اعظم قواعد هذا الفن لان فيه تحقيق الاصل والفرع فيما يقاس ويمائل من الاحكام وينفتح الوصف الذي يغلب على الظن ان الحكم علق به في الاصل من تبيين اوصاف ذلك المحل او وجود ذلك الوصف والفرع من غير معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه في مسائل اخرى من توابع ذلك كلها قواعد هذا الفن (واعلم) ان هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة وكان السلف في غنية عنه بما ان استفادة المعاني من الالفاظ لا يحتاج فيها الى ازيد مما عندهم من الملائكة اللسانية واما القوانين التي يحتاج اليها في استفادة الاحكام خصوصا فاعلم انهم اخذوا من مذهبهم واما الاسانيد فلم يكونوا يحتاجون الى النظر فيها القرب العصر وممارسة النقطة وخبرتهم بهم فلما انقرض السلف وذهب الصدى الاول وانقلبت العلوم كلها صناعا كما قررناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون الى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الاحكام من الادلة فكتبوها فافاء برأسه سمعوا اصول الفقه وكان اول من كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه امل في فيه رسالته المشهورة تكلم فيها في الاوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس ثم كتب فقهاء الحنفية فيه موهبة قواعد تلك القواعد واولسهم والقول فيها وكتب المتكلمون ايضا كذلك الا ان كتابة الفقهاء فيها امس بالفقه والى بقى بالفروع لكثرة الامثلة منها والشواهد وبناء المسائل فيها على النكت الفقهية والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون الى الاستدلال العقلي ما لم يمكن لانه غالب فنونهم ومقتضى طريقهم فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما لم يكن وجاء أبو زيد الدبوسي من اتمهم فكتب في القياس باوسع من جميعهم وتمام الابحاث والشروط التي يحتاج اليها فيه وكتب صناعة اصول الفقه بكمالها وتهذبت مسائله وتهذبت قواعد وعنى الناس بطريق المتكلمين فيه وكان من احسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب البرهان لامام الحرمين والمستصفي للغزالي وهما من الاشعرية وكتاب العهد لعبد الجبار وشرحه المعتمد دلا في الحسين البصري وهما من المعتزلة وكانت الاربعة قواعد هذا الفن واذا كانه ثم لم يخص هذه الكتب الاربعة في لان من المتكلمين المتأخرين وهما الامام فخر الدين بن الخطيب في كتاب الحصول وسيف الدين الآمدي في كتاب الاحكام واختلقت طرائقهم في الفن بين التحقيق والحجاج فابن الخطيب اتمى الى الاستكثار من الادلة والاحتجاج والامدي مواج بتحقيق المذاهب وتقرير المسائل واما كتاب الحصول فاختصره بليد الامام سراج الدين الآرموي في كتاب التحصيل وتاج الدين الآرموي في كتاب المحاصل واقتطف شهاب الدين القرافي منه ما مدمات وقواعد في كتاب صغير سماه التنقيحات وكذلك فعل البيضاوي في كتاب المنهاج وعنى المبتدئون به الذين الكابيين وشرحهما كثير من الناس واما كتاب الاحكام للآمدي وهو اكثر تحفة في المسائل فلخصه أبو عمر وابن الحاجب في كتابه المعرف وفي المختصر الكبير ثم اختصره في كتاب آخر تداوله طلبة العلم وعنى أهل المشرق والمغرب به ومطالعته وشرحه وحصن زبدة طريق المتكلمين في هذا الفن في هذه المختصرات واما طريق الحنفية فكتبوا فيها كثيرا وكان من احسن كتابه فيها المتقدمين تأليف أبو زيد الدبوسي واحسن كتابه المتأخرين فيها تأليف سيف الاسلام

مبسوط الدين يعطى الجزيل ويستقل الكثير ولا يرد سؤال ولا يمتدئ بالنوال فقال له الواثق امير المؤمنين يوما قد بلغني بسط يدك بالاعطاء وهذا يتلف بيوت الاموال فاطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال يا امير المؤمنين ذخائر أجرها واصل اليك ومقاييس شكرها موصولة بك وانما لي من ذلك تعشقي في اصيل الثناء اليك فقال الواثق لله انت جدد بالعطاء واكثر بالشكر والثناء

(ا) اباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان في الانفاق من بيت المال وسيرة العمال

اعلم ان يوسف الصديق عليه السلام لما ملك خزائن الارض كان يجوع ويأكل الشعير فقبل له التجوع وبذلك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائعين (وروى) البيهقي باسناده قال لما استخلف ابو بكر الصديق رضي الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تريد قال السوق قال قد

جاءك ما يشغلك عن السوق قال سبحان الله يشغلني عن عيالي قال نقرض لك بالمعروف قال فانفق في سنتين وبعض اخرى ثمانية آلاف درهم ووصي ان ترد من ماله في بيت المال (وروى) هذه القصة الحسن البصري قال لما حضرنا ابا بكر الوفاة قال انظر واكم انفق من مال الله فوجدوا قد انفق في سنتين ونصف ثمانية آلاف درهم قال اقضوها عني فقبضوها عنا

البزدوي

ثم قال يا معشر المسلمين انه قد حضر من قضاء الله ماترون ولا بد لكم من رجل يلى امركم ويصلى بكم ويقايل عدوكم فان شئتم اجتمعتم وانتمرت
لكم وان شئتم اجتهدت لكم فوالذي لا اله الا هو ما آلوكم ونفسي خير افيذكروا قالوا انت خيرنا واعلمنا فاخترنا فقال قد اخترت لكم عمر
(وروي) مالك هذه القصة على غير هذا الوجه قال بلغني ان ابا بكر لما ولي لم ينفق من (٢٧١) مال الله شيئا وغدا يومان من بني عمرو بن

عوف وكانت له هناك
امراة من الانصار في جبال له
يريد ان يبيعها فلقبها
بعض المسلمين فقال له ما تصنع
هذا يشغلك عن الناس
وعن النظر في امرهم قال
فكيف اصنع قالوا اتفرغ
للتفكير في امورهم وتستنفق
من هذا المال فباع تلك
الابل وغيرها من ماله
الا الارض ثم طرحه في
بيت المال فكان ينفق
من المال على نفسه وعلى
عائلته ثم كان عمر بن
عبد العزيز فلم ينفق منه
ف قيل له قد صنع ابو بكر
وعمر ما قد علمت قال اجل
وانني اخذت من هذا
المال فان يكن لي فيه حق
فقد اسـتوفيت وزدت
ولولا ذلك لقلعت (قال)
ابن القاسم قلت لما لك
فان قولهم عن عمر انه رد
ثمانين ألفا قال كذبوا انما
يقول هذا اعداء الله هو
لم يجز لولده سلف ابي موسى
اباه حين اخذ منه نصفه
فكيف ياخذ من مال الله
ثمانين ألفا فليأتني ابو
بكر استرجع على رضى الله
عنه وجاهه سر عابا كما

البرزوى من اتهم وهو مستوعب وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية بجمع بين كتاب الاحكام وكتاب
البرزوى في الطريقتين وسمى كتابه بالبدائع فجاء من احسن الاوضاع وابدعها والائمة العلماء لهذا العهد
يتداولونه قراءة وبجحا وولع كثير من علماء الحنابلة بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن
وتعيين موضوعاته وتعيين التاليف المشهورة لهذا العهد فيه والله ينفعنا بالعلم ويجمعنا من اهل الجنة
وكرمه انه على كل شئ قدير * (واما الخلافات) فاعلم ان هذا الفقه المستنبط من الادلة الشرعية
كثرت فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وانظارهم خلافا لا بد من وقوعه لما قدمناه واتسع
ذلك في الملة اتساعا عظيما وكان للفقهاء ان يقدروا من شأونهم ثم لما انتهى ذلك الى الائمة الاربعة من
علماء الامصار وكانوا يمكن من حسن الظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم ومنعوا من تقليد سواهم
لذهاب الاجتهاد لصعوبته وتشعب العلوم التي هي مواده باتصال الزمان وافتقار من يقوم على سوي هذه
الماذاهب الاربعة فاقبعت هذه المذاهب الاربعة اصول الملة وأجرى الخلاف بين المذاهب في
والاخذين باحكامها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية والاصول الفقهية وجرى بينهم المناظرات
في تصحيح كل منهم مذهب امامه تجري على اصول صحيحة وطرائق قويمية فيحتاج بها كل على مذهبه الذي
قلده ويمسك به واجر يت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من ابواب الفقه فتسار يكون الخلاف بين
الشافعي ومالك وابو حنيفة يوافق احدهما وتارة بين مالك وابي حنيفة والشافعي يوافق احدهما وتارة بين
الشافعي وابي حنيفة ومالك يوافق احدهما وكان في هذه المناظرات بيان ما أخذ هؤلاء الائمة قوم ثارات
اختلافهم ومواقف اجتهادهم كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافات ولا بد لصاحبه من معرفة
القواعد التي يتوصل بها الى استنباط الاحكام كما يحتاج اليها المجتهد الان المجتهد فيحتاج اليها للاستنباط
وصاحب الخلافات يحتاج اليها لمحافظة تلك المسائل المستنبطة من ان يهدمها المخالف بادلتها وهو لم يرى
علم جليل الفائدة في معرفة ما أخذ الائمة وادلتهم ومران المطالع بين له على الاستدلال فيمسير ومون
الاستدلال عليه وتاليف الحنفية والشافعية فيه اكثر من تاليف المالكية لان القياس عند
الحنفية اصل لا كثير من فروع مذهبهم كما عرفت ففهم لذلك اهل النظر والبحث واما المالكية فلا اثر
اكثر معتمد لهم وليسوا باهل نظر وايضا فكثرهم اهل المغرب وهم بادية عقل من الصنائع الا في الاقل
وللغزالي رحمه الله تعالى فيه كتاب المأخذ ولا ي زيد الديبوسي كتاب التعليقة ولا بن القصار من شيوخ
المالكية عيون الادلة وقد جمع ابن الساعاتي في مختصره في اصول الفقه جميع ما ينبنى عليها من
الفقه الخلاف في مدرجات كل مسألة ما ينبنى عليها من الخلافات * (واما المجلد) وهو معرفة آداب
المنظرة التي تجري بين اهل المذاهب الفقهية وغيرهم فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول
منسـمعا وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون
صوابا ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الائمة الى ان يضعوا آدابا واحكاما يقف المناظران عند حدودها
في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمحجوب بحيث يسوغ له ان يكون مستدلا وكيف
يكون مخصوصا منقطعا ومحجـل اعتراضه او معارضته وان يجب عليه السكوت والخصم الكلام
والاستدلال ولذلك قيل فيه انه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل

وقال رجل الله ابا بكر لقد كنت والله اول القوم اسلاما واولهم ايمانا واشدهم يقينا واخوفهم لله تعالى واحوطهم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم واشبههم به هديا وخلقوا سمعا وفضلا وكرمهم عليه وارفعهم عنده فجزاك الله عن الاسلام خير اصدقت رسول الله حين
كذب الناس فسألك الله في كتابه صديقا فقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وانسته حين تخلفوا وقت معه حين

قدوا ووصحبه به في الشدة حين تفرقوا أكرم العجبة ثاني اثنين وصاحبه في الغار ورفيقه في الهجرة والمزلة عليه السكينة وخلقه في أمته أحسن
الخلافة فهو يت حين ضعف أصحابك وبرزت حين استكانوا وقت بالارحين فشاوا ومضيت بقوة اذوقوا كنت أطولهم صمتا وأبلغهم
قولا وأشجعهم قلبا وأشدهم يقينا (٢٧٢) وأحسنهم عملا كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قويا في أمر دينك

بها إلى حفظ رأى وهدمه كان ذلك الرأى من الفقه او غيره وهى طريقان طريقة البردوى وهى
خاصة بالادلة الشرعية من النص والاجماع والاستدلال وطريقة العميدى وهى عامة في كل دليل
يستدل به من أى علم كان واكثر استدلال وهو من المناحي المحسنة والمغالطات فيه في نفس الامر كثيرة
واذا اعتبرنا النظر المنطقي كان في الغالب أشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي الا ان صور الادلة
والاقيسة فيه محفوظة مراعاة تحري في اطرق الاستدلال كما ينبغي وهذا العميدى هو أول من كتب فيها
ونسبت الطريقة اليه ووضع الكتاب المسمى بالارشاد مختصر او تبعه من بعده من المتأخرين كالنسي وغيره
جاؤا على اثره وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التأليف وهى لهذا العهد مهمومة لنقص العلم
والتعلم في الامصار الاسلامية وهى مع ذلك كمالية وليست ضرورية والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

١٠ * (علم الكلام) *

هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد اليمانية بالادلة العقلية والرد على المبتدعة المخرفين في الاعتقادات عن
مذاهب السلف واهل السنة وسر هذه العقائد اليمانية هو التوحيد فدفعنا قدم هنا لطيفة في برهان عقلى
يكشف لنا عن التوحيد في أقرب الطرق والمساخذ ثم نرجع الى تحقيق علمه وفيما ينظر ويشير الى
حدوثه في الملة وما دعا الى وضعه فقول ان الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات او من
الافعال البشرية او الحيوانية فلا بد لها من اسباب متقدمة عليها بها تنبع في مسبقا القاعدة وعنها يتم كونه
وكل واحد من هذه الاسباب حادث ايضا فلا بد له من اسباب آخر ولا تزال تلك الاسباب مرتبة حتى تتم
الى مسبب الاسباب وموجدها وخالقها سبحانه لا اله الا هو وتلك الاسباب في ارتقاءها تتفصح وتتضاعف
طولا وعرضا ويحار العقل في ادراكها وتعيد لها فاذا لا يحصرها الا العلم المحيط سيما الافعال البشرية
والحيوانية فان من جملة اسبابها في الشاهد القصور والارادات اذ لا يتم كون الفعل الا بارادته والقصد اليه
والقصور والارادات امور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة يتلو بعضها بعضها تلك التصورات
هى اسباب قصد الفعل وقد تكون اسباب تلك التصورات تصورات أخرى وكل ما يقع في النفس من
التصورات مجهول سببه اذ لا يطلع أحد على مبادئ الامور والنفسانية ولا على ترتيبها انما هى أشياء يعيها
الله في الفكر يتبع بعضها بعضها والانسان عاجز عن معرفة مبادئها وغاياتها وانما يحيط علمنا في الغالب
بالاسباب التى هى طبيعة ظاهرة وتقع في مداركها على نظام وترتيب لان الطبيعة محصورة للنفس وتحت
طورها واما التصورات فخطاها اوسع من النفس لانها العقل الذى هو فوق طور النفس فلا تدرك الكثير
منها فضلا عن الاحاطة وتأمل من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر الى الاسباب والوقوف معها فانه
واديهم فيه الفكر ولا يخلو منه بطائل ولا يظفر بحقيقة قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وربما انقطع
في وقوفه عن الارتقاء الى ما فوقه فزلت قدمه وأصبح من الضالين المهالكين نعوذ بالله من الخمران
والخسران المبين ولا تحسبن ان هذا الوقوف أو الرجوع عنه في قدرتك واختيارك بل هو لون يحصل
لنفس وصيغة تستحكم من الخوض في الاسباب على نسبة لانعلمها اذ لو علمنا ما التخر زمانها فالتخر زمن
ذلك يقطع النظر عنها جملة وايضا فوجه تأثير هذه الاسباب في الكثير من مسبباتها مجهول لانها انما يوقف
عليها بالعادة لا قتران الشاهد بالاستناد الى الظاهر وحقيقة التأثير وكيفية مجهولة وما أوتيت من العلم الا

متواضعا في نفسك عظيما
محبوا الى اهل السموات
والارض فيذكرك الله عنا
وعن الاسلام خيرا (وقال)
عمر رحم الله أبابكر لقد
أتعب من بعده تعب شديدا
(وروى) البيهقي عن عمر
رضي الله عنه انه قال اني
أنزلت نفسي من مال الله
تعالى بمنزلة ولي الدائم ان
استغنيت استعفت وان
افتقرت أكلت بالمعروف
(وفي رواية أخرى) ان
احتجت أخذت منه فاذا
أسبرت رددته (وفي رواية
أخرى) أنجزكم بما استحل
من مال الله تعالى وما قال
يحل لي استحل منه حلتي
حله لاشتماء وحله للفظ
وما حج عليه واعتمر وقوى
وقوت على كقوت رجل
من قریش لامن اغنيائهم
ولامن فقرائهم ثم انا بعد
ذلك رجل من المسلمين
يصينى ما اصابهم (وقال)
انس بن مالك غلا الطعام
على عهد عمر رضي الله عنه
كل خبر الشيعير وكان
قبل ذلك لا يأكله فاستكره
بطنه فصوت فضر به بيده
وقال هو والله ماترى حتى
يوسع الله على المسلمين

(وقال) ابو عثمان النهدي رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف
فيها اثنا عشرة رقعة احدها بادم أحر (وقال) عطاء بن السائب استعمل عمر بن الخطاب السائب بن الاقرع على المدائن فدخل ايوانا
من ايوان كسرى فاذا صم يشير باصبعه الى الارض قد عقد أرمعين فقال والله ما يشير هذا الى الارض الا وشم شيء فاحنقروا فاستخروا

منه سقط فيه جوهر فكتب الى عمر بن الخطاب اما بعد فاني دعيت ايوانا من ايوان كسرى فرأيت كذا وكذا فاحتقرت فاخرجت سقطا فيه جوهر فلم أجد أحق به منك يا امير المؤمنين لم يكن من في المسلمين فاقه بينهم انما اصبنا شيئا تحت الارض فلما قدم السقط على عمر وعليه خاتم السائب فرأى عمر فيما يرى النائم كان ناراً اججت وهو يراد يلقى فيها (٢٧٣) فكتب الى السائب أن اقدم على قال

فقدمت عليه وهو يطوف

في ابل الصدقة فطقت معه

الى نصف النهار ثم دعا بقاء

فاغتسل ودعا لي بما اغتسلت

ثم ذهب الى منزله فألقى بالحلم

غليظ وخبز متحمش فقال

انظر من على الباب فاذا

سودان من الصوفية فاذن

لهم فعمل يأكل معهم

فاذا لم غليظ لا يستطيع

أن أسيغه وقد كنت

تعودت ذرمك أصهان

اذا وضعته في في دخل

بطني ثم دعا بالسقط وقال

أتعرف خاتمك قلت نعم

فقال كتبت ترفق لي ترعم

اني احق به من اين اصبته

فاخبرته قال اذهب فاجعله

في يد مال المسلمين حتى

اقدمه بينهم (وقال) قيادة

قدم عمر بن الخطاب رضى

الله عنه الشام فصنع له

طعام لم يرقبه مثله فقال

هذا النافق ابقراه المسلمين

الذين ماتوا وهم لا يشبهون

من خبز الشعير قال خالد بن

الوليد لهم الجنة فاغرو رقت

عينا عمر وقال لئن كان

حظنا في هذا الطعام

وذهبوا بالجنة لقد باينونا

بونا بعيدا (وقال) عبد الله

ابن عمر العمري ان عمر بن

قلب الا فلذلك أمرنا بقطع النظر عنها والغائها حلة والتوجه الى مسبب الاسباب كلها وفاقاعها وموجدها
لترى صفة التوحيد في النفس على ما علمنا الشارع الذي هو أعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا لا اطلاع
على ما وراء الحس قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد أن لا اله الا الله دخل الجنة فان وقف عند تلك
الاسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر وان سيج في محج النظر والبحث عنها وعن اسبابها وتأثيراتها
واحد بعد واحد فاننا الضامن له ان لا يعود الا بالحمية فلذلك نهانا الشارع عن النظر في الاسباب وأمرنا
بالتوحيد المطلق قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولا تشق بمنازعة لك الله
من انه مقدر على الاحاطة بالكائنات واسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفاهه رأيه في ذلك
واعلم ان الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه منحصر في مداركه لا يعدوها ولا مفر في نفسه بخلاف ذلك
والحق من ورائه الا ترى الاصم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الاربع والمعقولات ويسقط
من الوجود عنده صنف المسموعات وكذلك الاعى أيضا يسقط عنده صنف المربيات ولولا ما يردهم الى
ذلك تلبس الا بامو المشيخة من أهل عصرهم والكافة لما اقروا به لكنهم يتبعون الكافة في اثبات هذه
الاصناف لا بما يقتضي فطرتهم وطبيعتهم ادراكهم ولو سئل الحيوان الاعجم ونطق لوجدناه منكرا للمعقولات
وساقطة لديه بالكلمة فاذا علمت هذا فاعلم هناك ضربان الادراك غير مدركاتنا الان ادراكا كانتا مخلوقة
بحدثة وخلق الله أكبر من خلق الناس والمحصر مجبول والوجود اوسع نطاقا من ذلك والله من ورائه هم
محيط فاتهم ادراكا ومدركاتك في المحصر واتبع ما ترك الشارع به من اعتقادك وعملك فهو احرص على
سعادتك واعلم انك لا تعلم ما يقع لك من طور فوق ادراكك ومن نطاق اوسع من نطاق عقلك وليس ذلك
بقادح في العقل ومداركه بل العقل ميراث صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير انك لا تطمع ان ترز به
أمور التوحيد والآخر حرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الالهية وكل ما وراء طوره فان ذلك طمع في محال
ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع ان يزن به الجبال وهو لا يدرك على أن
الميزان في أحكامه غير صادق لكن العقل قديف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله
وبصفاته فانه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه وتقطن في هذا الغاط من يقدم العقل على السمع في أمثال
هذه القضايا وقصور فهمه واضمحلال رأيه فقد تبين لك الحق من ذلك واذا تبين ذلك فاعلم الاسباب اذا
تجاوزت في الارتقاء نطاق ادراكنا ووجودنا خرجت عن أن تكون مدركة فيفضل العقل في بيدها الاوهام
ويحارون بقطعها فاذا التوحيد هو العجز عن ادراك الاسباب وكيفيات تأثيرها وتبقى ذلك الى خالقها
المحيط بها اذ لا فاعل غيره وكلها تترقى اليه وترجع الى قدرته وعلمانه انما هو من حيث صدور رعايته وهذا
هو معنى ما نقل عن بعض الصديقين العجز عن الادراك ادراك ثم ان المعتبر في هذا التوحيد ليس هو
الايان فقط الذي هو صديق حكيم فان ذلك من حديث النفس وانما الكمال فيه حصول صفة منه
تشكف بها النفس كما ان المطلوب من الاعمال والعبادات أيضا حصول ملكة الطاعة والانقياد وتقرير
القلب عن شواغل ماسوى المعبود حتى يتقلب المر يد السالك ربانيا والفرق بين الحال والعلم في العقائد
فرق ما بين القول والاتصاف وشرحه ان كثير من الناس يعلم أن رحمة الله على المسكين قربة الى الله تعالى
مندوب اليها ويقول بذلك ويعترف به ويذكر ما أخذه من الشريعة وهو لو رأى يتيم او مسكينا من أبناء

(٣٥ - ابن خلدون) الخطاب رضى الله عنه حين قدم الشام قال لاني عبيدة اذهب بنا الى منزل قال ماتر يدالي أن تقصر عيني

على قال فدخل منزله فلم ير شيئا فقال عمر أين متاعك لا أرى الا ابدا وشنا وصحفة وانت أمير أعندك طعام فقام أبو عبيدة الى جوفه فاخرج

منها كسرات فبكي عمر فقال أبو عبيدة قد قلت لك انك تقصر عيني على يا امير المؤمنين بكفيلك من الدنيا ما بلغك المقيل فقال عمر غرتنا

الدين بعدك يا ابا عبد الله (وقال) النخعي بعث عمر بن الخطاب مصدقين فابطؤا عليه وبالناس حاجة شديدة فخاؤا بالصدق فقام فيها
 من رابعاءة تحتها في اولها واخرها يقول هذه لا فلان وهذه لا فلان حتى انتصف النهار وجاع ودخل بيته حتى اذا امكن
 كله اكله ثم قال من ادخله (٢٧٤) بطنه ابعده الله (وقال) طاوس اجذب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

المستضعفين لفرغته واستنكف ان يباشره فضلا عن التمسح عليه للرحمة وما بعد ذلك من مقامات
 العطف والحنو والصدقة فهذا انما حصل له من رجة اليتم مقام العلم ولم يحصل له مقام الحال والاتصاف
 ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بان رجة المسكين قربته الى الله تعالى مقام آخر اعلى من
 الاول وهو الاتصاف بالرحمة وحصول ملكتها حتى رأى يتيم او مسكينا بادرا اليه ومسح عليه والتمس
 الثواب في الشفقة عليه لا يكاد يصبر عن ذلك ولو دفع عنه ثم تصدق عليه بما حضره من ذات يده وكذا
 علمك بالتوحيد مع اتصافك به والعلم الحاصل عن الاتصاف ضروري وهو اوثق مبنى من العلم الحاصل قبل
 الاتصاف وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل ويتكرر مرار غير منحصرة بقرينة الملكة
 ويحصل الاتصاف والتحقيق ويحيى العلم الثاني النافع في الآخرة فان العلم الاول المجرد عن الاتصاف
 قليل الجدوى والنفع وهذا علم اكثر النظائر والمطلوب انما هو العلم الحالى الناشئ عن العادة بعلم ان
 الكمال عند الشارح في كل ما كاف به انما هو في هذا فاطلب اعتقاده فالكامل فيه في العلم الثاني
 الحاصل عن الاتصاف ومطالب عمله من العبادات فالكامل فيها في حصول الاتصاف والتحقيق بها ثم ان
 الاقبال على العبادات والمواظبة عليها هو المحصل لهذه الثمرة الشريفة قال صلى الله عليه وسلم لم في رأس
 العبادات جعلت قرعة عيني في الصلاة فان الصلاة صارت له صفة وحالا لا يجد فيها منتهى لذته وقرعة عينه وان
 هذا من صلاة الناس ومن لم يها فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اللهم وفقنا واهدنا الصراط
 المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقد تبين لك من جميع ما قررناه
 ان المطالب في التكاليف كلها حصول ملكة راسخة في النفس يحصل عنها لم اضطرابي للنفس
 هو التوحيد وهو العقيدة الایمانية وهو الذي تحصل به السعادة وان ذلك سواء في التكاليف القلبية
 والبدنية ويتفهم منه ان الايمان الذي هو اصل التكاليف وينبوعها هو بهذه المثابة ذو مراتب
 اولها التصديق القلبي الموافق للسان واعلاها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه
 من العمل مستولية على القلب فيستبمع الجوارح وتدرج في طاعتها جميع التصرفات حتى تخرط
 الافعال كلها في طاعة ذلك التصديق الايماني وهذا ارفع مراتب الايمان وهو الايمان الكامل
 الذي لا يقارف المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة اذ حصول الملكة ورسوخها مانع من الانحراف عن منهاجها
 طرفة عين قال صلى الله عليه وسلم لم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وفي حديث هرقل لما سأل
 ابا قحافة بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم واحواله فقال في أصحابه هل يرتد احد منهم سخطة لدينه قال
 لا قال وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب ومعناه ان ملكة الايمان اذا استقرت عسر على النفس
 مخالفتها شأن الملكات اذا استقرت فانها تحصل بمناجاة الجبلة والقطرة وهذه هي المرتبة العالية من الايمان
 وهي في المرتبة الثانية من العصمة لان العصمة واجبة للانبياء وجوباً سابقاً وهذه حاصلة للمؤمنين حصولاً
 تابعاً لالعمالهم وتصديقهم وهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في الايمان كالذي يتلى عليه لك من
 اقوال السلف وفي تراجم البخاري رضي الله عنه في باب الايمان كثير منه مثل ان الايمان قول وعمل
 يزيد وينقص وان الصلاة والصيام من الايمان وان تطوع رمضان من الايمان والجمعة من الايمان
 والمراد بهذا كله الايمان الكامل الذي اشرنا اليه والى ملكته وهو فعلي واما التصديق الذي هو اول

فاكل سنا ولا سنا حتى
 اكل الناس (وقال) سعيد
 ابن جبير ان عليا رضي الله
 عنه قدم الكوفة وهو
 خليفة وعليه ازاران
 قطريان قد درقا ازاره
 بخرقه ليست بقطريه من
 وراءه فجاءه اعرابي فنظر
 الى تلك الخرقه فقال
 يا امير المؤمنين كل من هذا
 الطعام والنس واركب
 فانك ميت او مقتول قال
 ان هذا خبري في صلاتي
 واصبح لقلبي واشبه بشبه
 الصالحين قبلي واحذر ان
 يقتلني من اتي من
 بعدى (وقال) الحسن ان
 عمر بن الخطاب بينا هو
 يعس في المدينة بالليل
 اتي على امرأة من الانصار
 تحمل قرية فسألها
 فذكرت ان لها اباوان
 ليس لها خادم وانها
 تخرج في الليل فتسقيهم
 الماء وتكره ان تخرج
 بالنهار فيمل عن رعاها
 القرية حتى بلغ منزلها
 وقال اغدي على عمر غداة
 يخدعك خادمها قالت لا
 اصل اليه قال انك ستجديه
 ان شاء الله تعالى فغدت
 عليه فاذا هي به فعرفت انه
 الذي حمل قرية فاذهبت

تولى فارس في اثرها وامر لها بخادم وثقة ولسا حج عمر رضي الله عنه قال كم بلغت نفقتنا يا يرفا قال ثمانية
 عشر دينارا يا امير المؤمنين قال ويحك اجفنا بيت مال المسلمين (وقال) شهر بن حوشب لما قدم عمر الشام طاف بكورها حتى نزل حص
 فقال اكتبوا لي فقراءهم فرفعوا اليه الرقعة واذا فيها سعيدين عامر فقال من سعيدين عامر قالوا اميرنا فحجب عمر وقال كيف يكون اميركم

فقيرا فقالوا انه لا يمسك شيئا فبكى عمرو بعث اليه بالف دينار يستعين بها في حاجته فجعل يسترجع فقالت له امرأته مالك اصابتك امير المؤمنين بشئ قال اعظم من ذلك اتيتي الدنيا دخلت على الدنيا واني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان فقرا المسلمين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم اباربعين عاما فوالله ما يسرني اني حبست عن الرعب

(٢٧٥)

الشمس قالت فاصنع فيه ما شئت قال هل عندك معونة قالت نعم فاتته بخمراها فصر الدنانير فيها صبرا ثم جعلها في مخلاة وبات يصلي ويبكي حتى اصبح فاعرض جثمانه جيوش المسلمين فامضاهما كلها فقالت مرأته رجل الله لو حبست منها شيئا لتعين به فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لو اطاعت امرأة من نساء اهل الجنة الى الارض الملائكة الارض من ربح المسك واني والله ما اختاركم علي بن فسكت (وروي) ان عمر رضي الله عنه استعمل على حص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه ان يقدم عليه فلم يشعر به عمير الا ان قدم ماشيا حافيا معه عكازته وادوته وفروته وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال يا عمير اخشيتنا ام البلاد بلاد سوء فقال يا امير المؤمنين اما نهالك الله ان تجهر بالسوء وعن سوء الظن وماترى من سوء الحال وقد جئت بك بالدنيا اجرها بقرابها فقال

مراتبه فلا تفاوت فيه فمن اعتبر اوائل الاسماء ووجهه على التصديق منع من التفاوت كما قال ائمة المتكلمين ومن اعتبروا اخر الاسماء ووجهه على هذه الملائكة التي هي الايمان الكامل ظهر له التفاوت وليس ذلك بقادح في اتحاد حقيقة الاولى التي هي التصديق اذ التصديق موجود في جميع رتبته لانه اقل ما يطلق عليه اسم الايمان وهو المخلص من عهد الكفر والفصل بين الكافر والمسلم لم فلا يجزى اقل منه وهو في نفسه حقيقة واحدة لا تفاوت وانما التفاوت في المحال المحاصلة عن الاعمال كما قلناه فافهم واعلم ان الشارع وصف لنا هذا الايمان الذي في المرتبة الاولى الذي هو تصديق وعين امور مخصوصة كلفنا التصديق بها بقلوبنا واعتقادها في انفسنا مع الاقرار بالسنننا وهي العقائد التي تقررت في الدين قال صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وهذه هي العقائد اليمانية المقررة في علم الكلام ولشرهاها بحجة لتبين للحقيقة هذا الفن وكيفية حدوده فنقول اعلم ان الشارع لما امرنا بالايمان بهذا الخالق الذي رد الافعال كلها اليه واوفرده به كما قدمناه وعرفنا ان في هذا الايمان نجاة عند الموت اذا حضرنا لم يعرفنا بكنهه حقيقة هذا الخالق المعبود اذ ذلك متعذر على ادراكنا ومن فوق طوارف كلفنا ولا اعتقاد تنزيهه في ذاته عن مشابهة المخلوقين والامام اصح انه خالق لهم لعدم الفارق على هذا النقص الذي يميزه عن صفات النقص والاشباه المخلوقين ثم توحيدهم بالاتحاد والالهيتم الخالق للتمانع ثم اعتقاده عالم قادر فذلك تتم الافعال شامدة قضيته اكمال الاتحاد والخلق ومريد والالم يخصص شي من المخلوقات ومقدور لكل كائن والا فلا رادة حادثة وانه بعيدا بعد الموت تكمينا لعنايته بالايجاد ولو كان لا عرفان كان عبثا فهو للبقاء السرمدى بعد الموت ثم اعتقاد بعثة الرسل للنجاة من شقاء هذا المعدل لاختلاف احواله بالشقاء والسعادة وعدم معرفتنا بذلك وعدم اطّقه بنا في الايتاء بذلك وبيان الطريقين وان الجنة للنجيم وجهنم للعذاب هذه امهات العقائد اليمانية معللة بادلتها العقلية وادلتها من الكتاب والسنة كثيرة وعن تلك الادلة اخذها السلف وارشد اليها العلماء وحققها الائمة الا انه عرض بعد ذلك خلاف في تفصيل هذه العقائد اكثر من ان نذكرها من الاسي المتشابهة فدعا ذلك الى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة الى النقل فثبت بذلك علم الكلام ولتبيين لك تفصيل هذا المجل وذلك ان القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتزويه المطلق الظاهر للدلالة من غير تأويل في آي كثيرة وهي سلوب كلها وصرحة في بابها فوجب الايمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت في القرآن آي اخرى قلبها لتوهم التشبيه مرة في الذات واخرى في الصفات فاما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرة ما ووضح دلائلها وعلما واستحالة التشبيه وقضوا بان الايات من كلام الله فامتنوا بها ولم يتعرضوا للمعناها ببحث ولا تأويل وهذا معنى قول الكثير منهم اقرؤها كما جاءت اى آمنوا بانها من عند الله ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها المحو ازان تكون ابتلاء فيجب الوقف والاذعان له وشذذ بعضهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الايات وتوغلوا في التشبيه ففريق اشبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملا بظواهر وردت بذلك فوقهم وفي التجسيم الصريح ومخالفة آي التنزيه المطلق التي هي اكثر موارد ووضح دلالة لان معقولة الجسم تقتضى النقص والافتقار وتغليب آيات السلب في التنزيه المطلق التي هي اكثر موارد ووضح دلالة اولى من

ومما عك من الدنيا قال عكازة اتوا كاهنهم او دفع بها عذوان لقيته وفرودى اجل فيه طعاعى وادواتى هذه اجل فيها ما لشرى وصلا تى وقصعتى هذه اتوصافها واغسل فيها راسى وكل فيها طعاعى فوالله يا امير المؤمنين ما الدنيا بعد الاتبعها ما معى قال فقام عمر من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر فبكى ثم قال اللهم المحبة بصاحبى غير مقتضى ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه ثم قال

ما صنعت في عملك يا عمير قال أخذت الرقة من أهل الرقة والابل من أهل الابل وأخذت الخزبة من أهل الذمة عن يدهم صاغرون ثم
 قدمها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي منها شيء عندي أتيتك به فقال عمر عد الى عملك فقال عمير أنشدك
 الله ان لا تردني الى علي فاني لم أسلم منه حتى قلت لذي الخرك الله ولقد خشيت ان يخصني له محمد صلى الله عليه وسلم (٢٧٦)

التملق بطواهر هذه التي لناعها غنية وجمع بين الدليالين بناءو يلهم ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم جسم
 لا كالأجسام وليس ذلك بدافع عنهم لانه قول متناقض وجمع بين نفي وإثبات ان كان بالمعقولة واحدة من
 الجسم وان خالفوا بينهما ونفوا المعقولة المتعارفة فقد وافقونا في التنزيه ولم يبق الا جعلهم لفظ الجسم اسما
 من اسمائه ويتوقف مثله على الاذن وفريق منهم ذهبوا الى التشبيه في الصفات كاثبات الجهة والاستواء
 والنزول والصوت والحرف وأمثال ذلك وآل قوله هم الى التجسيم فنزعوا مثل الاولين الى قوله هم صوت
 لا كالأصوات جهة لا كالجهاز نزول لا كالنزول يعنون من الأجسام وان دفع ذلك بما اندفع به الاول ولم
 يبق في هذه الظواهر الاعتقادات السلف ومذهبهم والايمان بها كما هي لك لا يكر النفي على معانيها
 بنقيها مع انها صحيحة ثابتة من القرآن ولماذا انتظر ما تراها في عقيدة الرسالة لابن أبي زيد وكاتب المختصر
 له وفي كتاب المحافظين عبد البر وغيرهم فانهم يحومون على هذه المعنى ولا تغمض عينك عن القرائن
 الدالة على ذلك في غضون كلامهم ثم لما كثرت العيوب والصناعات وولع الناس بالاندوين والبحث في
 سائر الانحاء وألف المتكلمون في التنزيه حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التنزيه في آي السالوب
 فقضوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة زائدة على أحكامها لما يلزم على ذلك من تعدد
 القديم بزعمهم وهو مردود بان الصفات ليست عين الذات ولا غيرها وقضوا بنفي السمع والبصر لكونهما
 من عوارض الأجسام وهو مردود لعدم اشتراط البنية في مدلول هذه الالفاظ وانما هو ادراك المسموع أو
 المبصر وقضوا بنفي الكلام لاشبهه ما في السمع والبصر ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس فقضوا بان
 القرآن مخلوق بدعة صرح السلف بخلافها وعظم ضررها لبدعة ولقتها بعض الخلق اعين أنهم فعل
 الناس عاينها وخالفهم أئمة السلف فاستحل خلافهم يسار كثير منهم ودمعواهم وكان ذلك سببا لانتهاض
 أهل السنة بالدلة العقلية على هذه العقائد فدفعوا في صدورهم هذه البدع وقام بذلك الشيخ أبو الحسن
 الأشعري امام المتكلمين فتوسط بين الطرق ونفي التشبيه وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على
 ما قصره عليه السلف وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه فأثبت الصفات الاربع المعنوية والسمع
 والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق النقل والعقل ورد على المبتدعة في ذلك كله وتكلم معهم فيما
 مهدوه لهذه البدع من القول بالصلاح والاصح والتحسين والتقبيح وكل العقائد في البعثة وأحوال الجنة
 والنار والنواب والعقاب وألحق بذلك الكلام في الامامة لما ظهر حينئذ من بدعة الامامة من قولهم انها
 من عقائد الايمان وأنه يجب على النبي تعيينها والخروج عن العهد في ذلك لمن هي له وكذلك على الامة
 وقصارى أمر الامامة أنها قضية مصلحية اجماعية ولا تلحق بالعقائد فلذلك ألحقوها بمسائل هذا الفن
 وسما مجموع علم الكلام اماما فيه من المناظرة على البدع وهي كلام صرف وليست براجعة الى عمل
 واما لان سبب وضعه والنحوض فيه هو تنازعهم في اثبات الكلام النفسي وكثر اتباع الشيخ أبي الحسن
 الأشعري واقتفى طريقه من بعده تلميذه كابن مجاهد وغيره وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدر
 للامة في طريقهم وهذبوا ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والانظار وذلك مثل اثبات
 الجوهر الفرد والخلاء وان العرض لا يقوم بالعرض وأنه لا يبق زمانين وأمثال ذلك مما تتوقف عليه
 أدلتهم وجعل هذه القواعد تبعاً للعقائد الايمانية في وجوب اعتقادها والتوقف على الأدلة عليها وأن بطلان

ولقد سمعته يقول أنا حبيب
 المظلم يوم فاحاجة
 حجة الله ولكن انذني لي
 الى أهلي فاذن له فاني أهله
 فبعث عمر رجلا يقال
 له خبيب بمائة دينار
 فقال اثمت عمير فانزل عليه
 ثلاثمائة فانك خائن لم يخف
 عليك في عيشه وحال أهل
 بيته وان لم يك خائنا لم
 يخف عليك فادفع اليه
 المائة فأتاه خبيب فنزل به
 ثلاثمائة بزله عيشا لا شعير
 والزيت فلما مضت ثلاث
 قال يا خبيب ان رأيت ان
 تحول الى جبر اننا فعل
 ان يكونوا أوسع عيشا منا
 أما نحن فوالله لو كان عندنا
 غير هذا لا ثركنا به (قال)
 فدفع اليه المائة وقال
 بعث بها اليك أمير المؤمنين
 فدعا بقر وخلق لامرأته
 فصرها الخمسة والستة
 والسبعة فقصها فقدم
 خبيب على عمر فقال يا أمير
 المؤمنين جئتكم من عند
 أزهد الناس وما عندهم من
 الدنيا لا قليل ولا كثير
 فبعث اليه عمر وقال
 ما صنعت في المائة يا عمير
 قال لا تساني عنما قال تتعجبني
 (قال) قسمها بيني وبين

اخواني المهاجرين والانصار قال فامر له بوسقي طعام ونوبين قال يا أمير المؤمنين أما الثوبان فأقبل
 وأما الوسعان فلا حاجة لي بهما عند أهلي صاع من بر هو كافيهما حتى ارجع اليهم (وروى) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صرار بمائة
 دينار وقال للعلام اذهب بها الى عبدة بن الجراح ثم تلك ساعة في البيت حتى ترى ما يصنع فذهب بها للعلام اليه وقال يقول لك أمير

الدليل
 وأما الوسعان فلا حاجة لي بهما عند أهلي صاع من بر هو كافيهما حتى ارجع اليهم (وروى) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صرار بمائة
 دينار وقال للعلام اذهب بها الى عبدة بن الجراح ثم تلك ساعة في البيت حتى ترى ما يصنع فذهب بها للعلام اليه وقال يقول لك أمير

المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك قال وصله الله ورحمه (ثم قال) تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انقدها ورجع الغلام الى عمر فاخبره (ووجدته) قد اعد مثلهما معاذ بن جبل فقال له اذهب بهذه الى معاذ بن جبل وتلكا في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فيها اذهب بها اليه وقال ان امير المؤمنين يقول لك اجعل هذه (٢٧٧) في بعض حاجتك فقال رحمه الله

واوصله (ثم قال) يا جارية

اذهي الى فلان بكذا والى

فلان بكذا فقالت امرأة

مما دون نحن والله مساكين

فأعطينا ولم يبق في الخرقه

الا ديناران فرمى بهما اليها

فرجع الغلام فاخبر بذلك

عمر فقال عمر انهم اخوة

بعضهم من بعض

*(الباب الموقفي خمسين

في سيرة السلطان في تدوين

الدواوين وفرض الارزاق

وسيرة العمال)*

(اعلم) ارشدك الله تعالى

ان اول من اتخذ الدواوين

وأجرى الاعطية على

ماروى عمر بن الخطاب

رضي الله عنه وكان يفضل

أهل السابقة ثم الذين

يلونهم حتى أجرى على

العامة شيئا واحدا ثمانية

واربع مائة وفرض للعمال

مائة درهم في كل سنة

(وكان) ابو بكر رضي الله

عنه يساوي بين الناس

في العطاء ولا يفضل أهل

السابقة ويقول انما

عملوا الله فاجورهم على الله

وانما هذا المال عرض

حاضر يا كاهن البر والفاجر

وليس ثمن الاعمالهم (وكان)

عمر يقول لا اجعل من

الدليل يؤذن بطلان المدلول وجعلت هذه الطريقة وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية
الان صور الأدلة تعتبر بها الاقيسة ولم تكن حينئذ ظاهرة في الملة ولو ظهر منها بعض الشيء فلم يأخذ به
المتكلمون للاستقامة المبينة للعقائد الشرعية بالجملة فكانت مهجورة عنهم لذلك ثم
جاء بعد القاضي ابى بكر الباقلاني امام الحرمين ابو المعالي فأملى في الطريقة كتاب الشامل واوسع القول فيه
ثم خصه في كتاب الارشاد واتخذ الناس اماما لعقائدهم ثم انتشرت من بعد ذلك علوم المنطق في الملة وقرأه
الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بانه قانون ومعياري للدلالة فقط يسير به الأدلة منها كما يسير من
سواها ثم نظر وافي تلك القواعد والمقدمات في فن الكلام للاقدمين فخالقوا الكثير منها بالبراهين التي
أدلت الى ذلك وربما ان كثير منها مقتبس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والاهليات فلما سير وهما معيار
المنطق ردهم الى ذلك فيما لم يعتدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار اليه القاضي فصارت هذه
الطريقة من مصطلحهم مبينة للطريقة الاولى وتسمى طريقة المتأخرين وربما أدخلوا فيها الرد على
الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الايمانية وجعلوا منهم من خصوم العقائد لتناسب الكثير من مذاهب
المتبعة ومذاهبهم - وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه الامام ابن
الخطيب وجماعة فقروا اثرهم واعتمدوا تقليدهم ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلاسفة
والتنسب عليهم شأن الموضوع في العلمين فحسبوه فيهما واحدا من اشتباه المسائل فيهما ما هو واعلم ان المتكلمين
لما كانوا يستدلون في أكثر ادعائهم بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا
والجسم الطبيعي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات الان نظره فيها مخالف
لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل
وكذا نظر الفيلسوف في الالهيات انما هو ينظر في الوجود المطلق وما يقضيه له ذاته ونظر المتكلم في الوجود
من حيث انه يدل على الوجود والجملة موضوع علم الكلام عنه ادله انما هو والعقائد الايمانية بعد
فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية فترقم البدع وتزول الشكوك
والشبهة عن تلك العقائد وانما تأملت حال الفن في حدونه وكيف تدرج كلام الناس فيه صدر رابع صدر
وكلامهم يفرض العقائد صحيحة ويستنهض الحجج والأدلة علمت حينئذ ما قرءناه لك في موضوع الفن وأنه
لا يعدوه ولقد اختلطت الطرق يقتان عنده هؤلاء المتأخرين والنسب مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث
لا يتميز أحد الفئتين من الآخر ولا يحصل عليه طلبة من كتبهم كما فعله البيضاوي في الطوالع ومن جاء
بعده من علماء العجم في جميع تاليفهم الا أن هذه الطريقة قديما يعني بها بعض طلبة العلم للاطلاع على
المذاهب والاغراق في معرفة الحاج لو فور ذلك فيها وأما محاذاة طريقة السلف بعقائدهم العلم الكلام فانما
هو للطريقة القديمة للمتكلمين وأصلها كتاب الارشاد وما حذا حذوه ومن أراد ادخال الرد على الفلاسفة
في عقائده فعليه بكتب الغزالي والامام ابن الخطيب فانها وان وقع فيها مخالفة للاصطلاح القديم فليس
فيهان الاختلاط في المسائل والالتباس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدهم وعلى الجملة
فينبغي ان يعلم ان هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم اذا المحدث
والمتبعة قد انقرضوا والائمة من أهل السنة كفوناشأنهم فيما كتبوا ودونوا الأدلة العقلية انما احتاجوا

قاتل رسول الله كن قاتل معه ولم يقدر عمر الارزاق الا في ولاية عمرا فاجرى على عمار ستمائة درهم مع عطائه لولائه وكتابه ومؤذنيه ومن

كان يلي معه في كل شهر لما بعثه وبعث معه عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق وأجرى عليه في كل يوم نصف شاة ورأسها ووجدوها

واكارعها ونصف جريب كل يوم وأجرى على عثمان بن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه (وكان) عطاؤه خمسة آلاف

درهم وأجرى على عبد الله بن مسعود مائة درهم في كل شهر وربع شاة في كل يوم وأجرى على شريح القاضي مائة درهم في كل شهر وعشرة
أجربة (وإنما) فضل عما راعاهم لانه كان على الصلاة (قال) مالك وكان عمر لا يفرض لصغير رضيع فاذا فطم فرض له فمر من الليل
وصبي يبكي يعني الرضاع وأمه لا ترضعه (٢٧٨) فقال لها عمر ارضعيه قالت اذا لا يفرض له عمر قال بلى هو يفرض له ثم فرض عمر بعد

اليها حين دافعوا ونصروا وأما الآن فلم يبق منها الا كلام تنزه الباري عن كثير ايها ماته واطلاقه ولقد
سئل الجنيد رحمه الله عن قوم مرهم من المتكلمين يفيضون فيه فقال ما هؤلاء فقيس قوم ينزهون الله
بالادلة عن صفات المحدثات وسمات النقص فقال نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب لكن فائدة
في آحاد الناس ومطابقة العلم فائدة معتبرة اذا لا يحسن بحامل السنة الجاهل بالحجج النظرية على عقائدها
والله ولي المؤمنين

١١ * (علم النصف) *

هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة واصله ان طريقة هؤلاء القوم لم تنزل عند سلف الامة وكبارها
من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية واصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى
الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهدي بما يقبل عليه المجهور ومن لذة ومال وجاء والانفراد
عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاميا في الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن
الثاني وما بعده وجمع الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقلدون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة وقال
القشيري رحمه الله ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهر انه لقب ومن قال
اشتقاقه من الصفاء او من الصفة فبعدهم من جهة القياس اللغوي قال كذلك من الصوف لانهم لم يختصوا
بلبسه ■ قلت والظاهر ان قيل بالاشتقاق انه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه كما كانوا
عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد
عن الخلق والاقبال على العبادة اختصوا بما أخذوا من ذلك ان الانسان بما هو انسان انما يتغير
عن سائر الحيوان بالادراك وادراكه نوعان ادراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم
وادراك للاحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضا والغضب والصبر والشكر وامثال
ذلك فالروح العاقل والمنصرف في البدن تتشأن ادراكات وارادات واحوال وهي التي يميز بها الانسان
وبعضها ينشأ من بعض كمنشأ العلم من الادلة والفرح والحزن عن ادراك المثل او المثلذبه والنشاط عن
الحمام والكسل عن الاعياء وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته لا بدوان ينشأ له عن كل مجاهدة حال نتيجة
تكون صفة حاصله للمفس من حزن او سرورا ونشاط او كسل او غير ذلك من المقامات ولا يزال المريد يترقى
من مقام الى مقام الى ان ينتهي الى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للعبادة قال صلى الله عليه
وسلم من مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنة فالمريد لا بد له من الترقى في هذه الاموار واصلها كلها
الطاعة والاخلاص وبتقدمها الايمان وبصاحبها وتنشأ عنها الاحوال والصفات نتائج وثمرة ثم تنشأ
عنها اخرى واخرى الى مقام التوحيد والعرفان واذا وقع تقصير في النتيجة او خلل فنه لم انه انما اتى من
قبل التقصير في الذي قبله وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية فلها يحتاج المريد الى محاسبة
نفسه في سائر اعماله وينظر في حقائقه الان حصول النتائج عن الاعمال ضروري وقصورها من الخلل فيها
كذلك والمريد بذلك بذوقه ويحاسب نفسه على اسبابه ولا يشاركهم في ذلك الا القليل من الناس لان
الغفلة عن هذا كانت شاملة وغاية اهل العبادات اذا لم ينتهوا الى هذا النوع انهم يأتون بالطاعات مخرصة

ذلك لئلا يولد مائة درهم في
كل سنة (قال ابن) جبلة
وفرض عمر للعباد لكل
عبد من ذكروا ثلثي جريمن
من برقي كل شهر وقسطين
من زيت وقسطا من خل
ومائة درهم في كل سنة
(قال) والمجرب فقبر
بالقرطبي والقسط قدر ثمن
ربع الزيت بالقرطبي
(قال) الحسن وكان عطاء
سلمات خمسة آلاف وكان
على زهاء ثمانين ألف
من الناس (وكان) يخطب
الناس في عبادة يلبس
نصفها ويقتري نصفها
فاذا خرج عطاؤه أمضاه
وكان يسف الخوص ويأكل
من سقيف يده (وقال)
الحسن قدم على عمر بن
الخطاب وفد من البصرة
مع أبي موسى الأشعري
قال فكان تدخل عليه وله
كل يوم خبز ثلاث (فربما)
وافقناهما أمدومة يسمن
واحيانا بزيت واحيانا
باللبن وربما وافقنا القديد
البابس قد دق ثم اغلى
عليه بماء وربما وافقنا
للحم الغريص وهو قليل
فقال لهم يوما اني ارى والله
تقديركم وكراهيتمكم اطعاني

فاني لو شئت لكنت اطيعكم طعما ما اوقدكم عيشا ما اهل كرا واسنة واعرف صلاة

من

وصنابا وصلائي (قال) والصلاة الشواء والصناب الخردل والصلاتي الخبز الرقاق وليكني سمعت الله تعالى غير اقواما بما فعلوه فقال
اذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاعلموا اني اراهم يومئذ لا ينفعهم ما فعلوا فاعلموا

فكلمناه فقال يا معشر الامراء هل ترضون ان تنفسكم ما ارضاه لنفسى فقلنا يا امير المؤمنين ان المدينة ارض العيش به اشد يدول ترى طعامك
يغنيما ولا يؤكل طعامك وانابا رضى ذات ريف وان اميرنا يغنيما وان طعامه يؤكل قال فنظر ساعة ثم رفع رأسه فقال قد فرضت لكم من
بيت المال شاتين وجر يمين فاذا كان بالغداة فضع احدى الشاتين على احدى الجري يمين (٢٧٩) وكل أنت واصحابك ثم ادع بشارب

ثم اسقى الذى عن يمينك
ثم اسقى الذى عن شمالك
ثم قم لحاجتك واذا كان
العشاء فضع الشاة الغابرة
على الجري اليسار
فكل أنت واصحابك الا
وأوس والناس فى بيوتهم
وأطعموا اللهم والله
ما أظن رستاقا يؤخذ منه
كل يوم شاتان وجر يمين
الا يسرعان فى خرابه
(وكان عمر) قد أطمع
جر يمين بالخل والزيت
لثلاثين رجلا فكفاهم
فاجراه على كل رجل فى كل
شهر عن كان فى الديوان
مـ كان ما كانت فارس
تجربيه على خيولهم
وأساورهم (وقال) سعيد
ابن المسيب وأبوسلمة كان
عمر بن الخطاب رضى الله
عنه أبا العيال يسلم على
أبوابهم ويقول ألكن
حاجة وأيتكن تريد أن
تشتري شيئا فیرسلن معه
بحوائجهم ومن ليس
عندها شيئا اشترى لها
من عنده واذا قدم الرسول
من بعض الثغور يتبعه
بنفسه فى منازلهم يكتب
ازواجهن ويقول أزواجكن
فى سبيل الله وأنتن فى بلاد

من نظر الفقه فى الاجزاء والامثال وهؤلاء لا يحشون عن نتائجها بالاذواق والمواجد ليطلعوا على انها خاصة
من التقصير أولا فظهر ان أصل طريقهم كلها محاسبة النفس على الافعال والتروك والكلام فى هذه
الاذواق والمواجد التى تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للى ردم مقامها ويترقى منها الى غير هاتهما ثم مع ذلك
آداب مخصوصة بهم واصطلاحات فى الفاظ تدور بينهم اذا اوضاع اللغوية انما هى للمعاني المتعارفة فاذا
مرض من المعاني ما هو غير معتارف اصطلاحنا من التعبير عنه بالفاظ يتسرف فهمه منه فلهذا اختص هؤلاء
بهذا النوع من العلم الذى ليس لواحد غيرهم من اهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين
صنف مخصوص بالفقهاء واهل الفتاوى الاحكام العامة فى العبادات والعادات والمعاملات وصنف
مخصوص بالقوم فى القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام فى الاذواق والمواجد المعارضة
فى طريقها وكيفية الترقى منها من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التى تدور بينهم فى ذلك فلما كتبت
العلوم ودونت وأنف الفقهاء فى الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من اهل هذه
الطريقة فى طريقهم ففهم من كتب فى الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء فى الاخذ والترك كما فعله
القشيري فى كتاب الرسالة والسهروردي فى كتاب عوارف المعارف وامثالهم وجمع الغزالي رحمه الله بين
الامرین فى كتاب الاحياء فدون فيها احكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم
فى عباراتهم وصار علم النصوص فى الملة علما مدونا بعد ان كانت الطريقة عبادة فقط وكانت احكامها انما
تتلقى من صدور الرجال كما وقع فى سائر العلوم التى دونت بالسكك من التفسير والحديث والفقه
والاصول وغير ذلك ثم ان هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب المحس والاطلاع
على عوالم من أمر الله ليس لصاحب المحس ادراك شي منها والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف
ان الروح اذا رجع عن المحس الظاهر الى الباطن ضعفت احوال المحس وقويت احوال الروح وغلب
سلطانه وتجدد نشوه واعان على ذلك الذكرفانه كانه غذاء لتنمية الروح ولا يزال فى غنى وتزید الى أن يصير
شهودا بعد ان كان علميا يكشف حجاب المحس ويتم وجود النفس الذى لها من ذاتها وهو عين الادراك
فتمعرض حينئذ للواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الالهى وتقرب ذاته فى تحقيق حقيقتها من الافق
الاعلى أفق الملائكة وهذا الكشف كثير ما يعرض لاهل المجاهدة فليدركون من حقائق الوجود ما لا
يدرك سواهم وكذلك يدركون كثير من الواقعات قبل وقوعها ويتصرفون بهمهم وقوى نفوسهم فى
الموجودات السفلية وتضطرب طوع ارادتهم فانهظ ما منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون ولا يتجربون
عن حقيقة شيء لم يؤمر وبالبالكلم فيه بل يعدون ما يقع لهم من ذلك محنتا ويتعذرون منه اذاهاجهم وقد
كان الصحابة رضى الله عنهم على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ لكنهم
لم يقع لهم بها عناية وفى فضائل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم كثير منها وتبعهم فى ذلك اهل
الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقهم من بعدهم ثم ان قوما من
المتأخرين انصرفت عنايتهم الى كشف الحجاب والمدارك التى وراءه واختلفت طرق الرياضة عنهم فى ذلك
باختلاف تعليمهم فى امانة القوى المحسية وتعذيب الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس ادراكها الذى
لها من ذاتها تمام نشوتها وتعذيبها فاذا حصل ذلك زعموا ان الوجود قد انحصر فى مداركها حينئذ وانهم

رسول الله ان كان عند كن من يقرأ والا فاقرب من الابواب حتى أقرأ لكن ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فافا كنهن حتى تبعث
بكنهن ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة يقول هذه دواة وقرطاس فادنين من الابواب حتى أكتب لكن ويمر الى المغيبات فيأخذ
كنهن فيبعث بها الى أزواجهن (وقال) الربيع بن زياد الحارثي كنت عاملا لابى موسى الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن

المخاطب يأمره بالقدوم عليه هو وعمله وأن يستخلفوا جملته في المدينة أنيت يرفأ فقلت يا يرفأ مسترشد وابن سبيل أي الهيات أحب
إلى أمير المؤمنين أن يرى فيه عمله فأومأ إلى الخشونة فتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولبست عمامتي على رأسي فدخلنا
على عمر فصفقنا بين يديه فصعد فينا (٢٨٠) وصوب فلم تأخذ عينه غيري فدعاني فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثي (قال)

وما تتولى من أعمالنا قلت
البحر بن قال وكم تر ذق
قلت الفأ قال كثيرها تصنع
بها قلت اتقوت منها شيئا
وأعود على أقارب لي فها
فضل منهم فعلى فقراء
المسلمين قال فلا بأس أرجع
إلى موضعتك فرجعت
إلى موضعي من الصف
فصعد فينا وصوب فلم تقع
عنه الأعلى فدعاني فقال
كم سنك قلت خمس
وأربعون سنة قال الآن
حين استكملت (ثم دعا)
بأطعمهم وأصحابي حديثه
عهد بلبين العيش وقد
تجووعنا له فأني بخبز وأعضاء
بغير فعل أصحابي يعافون
ذلك وجعلت أكل وجعلت
أنظر إليه يلحظني من
بينهم ثم سمعت مني كلمة
تمنيت أني سخطت في
الأرض ولم أقلها فقلت
يا أمير المؤمنين إن الناس
يحتاجون إلى سلامتك
فلو عمدت إلى طعام ألبس
منه ما ذفر جرنى ثم قال
كيف قلت فقلت قلت
يا أمير المؤمنين لو تنظر إلى
قوتك من أطعمين أن
يخبز لك قبل أراذك أياه
بيوم ويطلع لك اللحم

كشفوا ذات الوجود وتصوروا حقائقها كلها من العرش إلى التلحش هكذا قال الغزالي رحمه الله في
كتاب الاحياء بعد أن ذكر ضرورة الرياضة ثم أنهدم ذلك الكشف لا يكون صحيحا كاملا عندهم الا اذا
كان ناشئا عن الاستقامة لان الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوقة وان لم يكن هناك استقامة
كالسحرة والنصارى وغيرهم من المتراضين وليس مرادنا الا الكشف الناشئ عن الاستقامة
ومثاله ان المرأة الصقيمة اذا كانت محبوبة او مقهورة وحودى بها جهة المرقى فانه يتشبع كل فيه معوجا
على غير صورته وان كانت مسطحة تشبع كل فيها المرقى صحيحا فالاستقامة لنفس كالانسياط للمرأة
فيما ينطبق فيها من الاحوال ولما عني المتأخر ونهـ هذا النوع من الكشف تكاملا وفي حقائق
الموجودات العلوية والسفلية وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك وقصرت مدارك
من لم يشاركهم في طريقهم عن فهم أدواقهم وواجههم في ذلك وأهل الغيبة بين منكر عليهم ومسلم لهم
وأيس البرهان والدليل بنافع في هذه الطريق ردا وقبولا اذهي من قبيل الوجدانيات وربما قصد بعض
المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فاني بالانغمض فلا غمض بالنسبة إلى أهل النظر
والاصطلاحات والعلوم كما فعل القرغاني شارح قصيدة ابن الفارض في الديباجة التي كتبها في صدر ذلك
الشرح فانه ذكر في صدور الوجود عن الفاعل وترتيبه ان الوجود كله صادر عن صفة الوجدانية التي هي
مظهر الاحدية وهما معا صادران عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير ويسمون هـ هذا الصدور
بالتجلى وأول مراتب التجليات عندهم تجلى الذات على نفسه وهو يتضمن الكمال بافضة اليجاد والظهور
لقوله في الحديث الذي يتناقض لونه كنت كنزا مخفيا فاحببت ان أعرف فخلقته الخلق ليعرفوني وهـ هذا
الكمال في اليجاد المتميز في الوجود وتفصيل الحقائق وهو عندهم عالم المعاني والمخصرة الكمالية والحقيقة
المجدية وفيها حقائق الصفات والالوه والتم وحقائق الانبياء والرسل أجمعين والكمال من أهل الملة المجدية
وهذا كله تفصيل الحقيقة المجدية ويصدر عن هذه الحقائق حقائق أخرى في الحضرة المباشرة وهي مرتبة
المثال ثم عنها العرش ثم الكرسي ثم الافلاك ثم عالم العناصر ثم عالم التركيب هـ ذاتي عالم الرقي فاذا تجليات
فهو في عالم الفتى ويسمى هذا المذهب مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات وهو كلام لا يقتدر أهل
النظر على تحصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدة والوجدان وصاحب
الدليل وربما أنكر بظاهر الشرح هذا الترتيب وكذلك ذهب آخرون منهم إلى القول بالوحدة المطلقة وهو
رأي أغرب من الأول في تعقله وتفاريعه يزعمون فيه ان الوجود له قوى في تقاضيه يلزم بها كانت حقائق
الموجودات وصورها واهوا والعناصر انما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادتها الهيا في نفسها قوة
بها كان وجودها ثم ان المركبات فيها تلك القوى متضمنة في القوة التي كان بها التركيب كالقوة المعدنية
فيها قوى العناصر بهيولاها وزيادة القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية تتضمن القوة المعدنية وزيادة قوتها في
نفسها وكذا القوة الانسانية مع الحيوانية ثم الفلك يتضمن القوة الانسانية وزيادة وكذا الذات الروحانية
والقوة الجامعة لكل من غير تفصيل هي القوة الالهية التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجزئية ووجهها
وأحاطت بها من كل وجه لامن جهة الظهور ولامن جهة الخفاء ولامن جهة الصور ولامن جهة المادة
فان كل واحد هو نفس الذات الالهية وهي في الحقيقة واحدة بسيطة والاعتبار هو الفصل لها كالا انسانية مع

الحيوانية
كذا فتوى بالخبر ليناو بالحكم غير يضاف لذن غيظه ثم قال ههنا عت قلت نعم (قال) يا ربيع انالوشنما
لما ناهذه الرحاب من صلاتك وسنالك يعني خبر الخواري ولكني رأيت الله تعالى عاب على قوم شهودهم فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا واستمتعتم بها ثم أمر ابا موسى باقرارى على على وان يستبدل بصاحبى (وقال) قبصة بن ذؤيب دعا عمر بن الخطاب عليه السلام

سعدو كان على أهل حص فقال هلام يحبك أهل الشام قال اني احبهم فاجبوني قال مالك قلت عبدى وفرسى وبعلى وخادمى (قال)
فاذا تبس في الشاة قلت عصابة أشد بهارأسى وجبة وكساء قال فالتبس في الصيف قلت قيصاور يطة فأعطاني عمر ألف دينار
(وقال) خذها واستنق منها وأعط منها قلت لا اربى فيها واستجد من هو أوج اليهامنى (٢٨١) قال خذها فان النبي عليه السلام

دفع الى مالا وهو دون
الذى أعطيتك فقلت
له كما قلت لي فقال يا عمر
ما آتاك الله من هذا
المال عطاء من غير ان
تعرض له أو تشرف له
نفسك فأقبله فأخذه
فانطلق به الى امرأته فقال
أترين رجلا له هذا من
فقراء المهاجرين هو أم من
الاغنياء فقالت بل من
الاغنياء فقسمها حتى
بقيت منها صرة أظن فيها
ثلاثين وأخذ ذلك فقالت
له امرأته أليس لي انا حق
فأعطاهما اياه (وقال) زياد
ابن حيوثة ينادي بخن خن خن
اذا با امرأة تسأل عن دار
عمر بن عبد العزيز يرضى
الله عنه فأرشدناها الى
الدار فرأت دارا متشعبة
فقالت لحياط هناك استأذن
لى على فاطمة امرأة عمر بن
عبد العزيز قال فادخلي
وصوتى بها فانها اتأذنت لك
فدخلت فلما أبصرت
ما هناك قالت جئت أرم
فقري من بيت الفقراء
واذا رجل يعمل في الطين
فسألتها عن أمير المؤمنين
فقالت هو ذلك يعمل
في الطين فقالت له يا أمير

الحيو انية الاترى انهما مندرجة فيهما كائنة بكونها فتارة يملونها بالجنس مع النوع في كل موجود كما ذكرناه
وتارة بالكل مع الجزء على طريقة المثال وهم في هذا كله يفرقون من التركيب والكثرة بوجه من الوجوه
وانما أوجبهاعندهم الوهم والخيال والذي يظهر من كلام ابن دهقان في تقرير هذا المذهب ان حقيقة
ما يقولونه في الوحدة شبيهة بما تقوله الحكياء في الألوان من ان وجودها مشروط بالضوء فاذا عدم الضوء
لم تكن الألوان موجودة بوجهه وكذا عندهم الموجودات المحسوسة كلها مشروطة بوجود المدرك
الحسى بل والموجودات المعنوية والمتوهمة ايضا مشروطة بوجود المدرك العقلى فاذا لم يوجد المدرك
مشروط بوجود المدرك البشرى فلو فرضنا عدم المدرك البشرى بجملة لم يكن هناك تفصيل الوجود بل هو
بسيط واحد فالحجر والبرد والصلابة واللين بل والارض والماء والنار والسماء والكواكب انما وجدت
لوجود الحواس المدركة لها لا ما جعل في المدرك من التفصيل الذى ليس في الموجود وانما هو في
المدرك فقط فاذا فقدت المدرك المفصلة فلا تفصيل انما هو ادراك واحد وهو انما لا غيره ويعتبرون ذلك
بحال النائم فانه اذا نام وفقد الحس الظاهر فقد كل محسوس وهو في تلك الحالة الا ما يفصله له الخيال قالوا
في كذا اليقظان انما يعتبر تلك المدركات كلها على التفصيل بنوع مدركه البشرى ولو قدر فقد مدركه فقد
التفصيل وهذا هو معنى قولهم الموهوم لا الوهم الذى هو من جملة المدراك البشرية وهذا المخلص رأيهم على
ما يفهم من كلام ابن دهقان وهو في غاية السقوط لانا نقطع بوجود البلد الذى نحن مسافرون عنه واليه
يقينا مع غيبته عن أعيننا وبوجود السماء المظلمة والكواكب وسائر الاشياء الغائبة عنا والانسان قاطع
بذلك ولا يكابر أحد نفسه في اليقين مع ان المحققين من المتصوفة المتأخرين يقولون ان المرء عند الكشف
ربما يعرض له توهم هذه الوحدة ويسمى ذلك عندهم مقام الجمع ثم يترقى عنه الى التمييز بين الموجودات
ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام العارف الحق ولا بد للاريد عندهم من عقبة الجمع وهى عقبة صعبة
لانه يحتش على المرء من وقوفه عندها فتخسر صفقته فقد تبدت مراتب اهل هذا الطريقة ثم ان هؤلاء
التأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى
الحلول والوحدة كما اشرنا اليه ومثلوا بالحكماء منه مثل الهروى في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن العربي
وابن سبعين وتلميذهما ابن العقبى وابن الفارض والتجمل الاسرائيلى في قصائدهم وكان سلفهم محاطين
للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين ايضا بالحلول والهيبة الاثمة مذهبهم لا يعرف لولهم فأشرب
كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة
القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون انه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه
الله ثم يورث مقامه لا آخر من أهل العرفان وقد أشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول
التصوف منها فقال جل جنب الحق أن يكون شرعة لكل وارد أو بطلع عليه الا الواحد بعد الواحد وهذا
كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعى وانما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقوله الرافضة
ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الابدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء حتى انهم لما أسندوا
لباس خرقه التصوف ليحعلوه اصلا لاطريقتهم وتخليهم رفعوه الى على رضى الله عنه وهو من هذا المعنى ايضا
والافعل على رضى الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخليه ولا طريقة في لباس ولا حال بل كان أبو بكر وعمر

(٣٦ - ابن خلدون) المؤمنين مات زوجي وترك ثمان بنات فبكى عمر بكاء شديدا ثم قال فاماتن يدين قالت تفرض لمن قال تفرض
لا كبرى ما اسمها قالت فلانة فكاتبها فقالت الحمد لله قال ما اسم الثانية قالت فلانة فكاتبها فقالت الحمد لله حتى كتب السابعة فقالت
جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين فطرح القلم من يده وقال لها اما انك لو وليت الحمد لأهلها لآتمناها لى لى لى السبع فليواسين هذه الثامنة

باب الحادى والخمسون فى أحكام أهل الذمة) (روى) عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذراري بنا وأموالنا (٢٨٢) وأهل ملتنا وشرطنا انكم على أنفسنا ان لا نحدث فى مدائننا ولا فى احوالنا ديرا ولا كنيسة

رضى الله عنه ما أزهـم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثروا عبادته ولم يختص أحد منهم فى الدين بشئ يؤثر عنه فى الخصوص بل كان الصحابة كلهم أسوة فى الدين والزهد والجاهدية شهود لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة فى امر القاطمى وما شجئوا كتبهم فى ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام ينفي او اثبات وانما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم فى كتبهم والله يهدي الى الحق ثم ان كثيرا من الفقهاء وأهل الفتيا اتدبوا الرد على هؤلاء المتأخرين فى هذه المقالات وامثالها وشملوا بالكبر سائر ما وقع لهم فى الطريقة والمحقق ان كلامهم معهم فيه تفصيل فان كلامهم فى اربعة مواضع أحدها الكلام على المجاهدات وما يحصل من الاذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الاعمال لتحصل تلك الاذواق التى تصير مقاما ويرتقى منه الى غيره كما قلناه وثانيها الكلام فى الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسى والملائكة والوحى والنبوة والروح وحقائق كل موجود غائب او شاهد وتركيب الاكوان فى صدورهم من موجداتها وتكونها كأمروا ثلثها التصرفات فى العوالم والاكوان بأنواع الكرامات ورابعها ألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثيرين من أئمة القوم يعبرون عنها فى اصطلاحهم بالسطحات تستشكل ظواهرها فنفكر ومحسن ومثأول فاما الكلام فى المجاهدات والمقامات وما يحصل من الاذواق والمواجد فى نتائجها ومحاسبة النفس على التقصير فى اسبابها فامر لا مدفع فيه لاحد واذواقهم فيه صحيحة والتحقق بها هو عين السعادة وأما الكلام فى كرامات القوم واخبارهم بالغيبات وتصرفهم فى الكائنات فامر صحيح غير منكر وان مال بعض العلماء الى انكارها فليس ذلك من الحق وما احتج به الاستاذ أبو اسحق الاسفراينى من أئمة الاشعرية على انكارها لا لاتباسها بالمجزة فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهم بالتحدى وهو دعوى وقوع المجزة على وفق ما جاء به قالوا ثم ان وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدر لان دلالة المجزة على الصدق عقلية فان صدقة نفقها التصديق فلو وقعت مع الكاذب لتبدلت صدقة نفقها وهو محال هذا مع ان الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات وانكارها نوع مكبرة وقد وقع للصحابة وأكابر السلف كثير من ذلك وهو مع ائمة مشهور وأما الكلام فى الكشف واعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من التشابه لما أنه وجد فى عندهم وفاقد الوجهة ان عندهم بعزل عن اذواقهم فيه والافات لا تعطى دلالة على مرادهم منه لانهم لم توضع الا لانكارها وكثرة من المحسوسات فينبغى أن لا تعرض لكلامهم فى ذلك وتركه فيما تر كنهان التشابه ومن رزقه الله فهم شئ من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرم بها سعادة وأما الالفاظ الموهمة التى يعبرون عنها بالسطحات ويأخذهم بها أهل الشرع فاعلم ان الانصاف فى شأن القوم انهم أهل غيبة عن المحسوس والواردات تملأهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور وفى علم منهم فضله واقتداؤه جل على القصـد الجميل من هذا وان العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها كوقوع لابي يزيد وامثاله ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فؤاخذ بما صدر عنه من ذلك اذ لم يبين لنا ما يحمله لنا على تأويل كلامه وأما من تكلم بمثلها وهو حاضر فى حسه ولم يملكه الحال فؤاخذ ايضا ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل المخلاج لانه تكلم فى حضوره ومالك لماله والله أعلم وسلف المتصوفة من أهل الرسالة اعلام الملة الذين

ولا قلبه ولا صومعة راهب ولا تجدد ما خرب منها ولا ما كان محتطاً منها فى خطط المسلمين فى الليل ولا نهار وإن توسع أبوابها للمادة وابن السبيل وإن تنزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نقوى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو اليه أحد ولا نمنع أحداً من ذوى قرابتنا الدخول فى الاسلام إن أرادوه وإن نوقر المسلمون ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس ولا تشبه بهم فى شئ من لباسهم من قانسوة ولا عمامة ولا نعالين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكلم بكلامهم ولا نتركب بالسروج ولا نقتل بالسيوف ولا نتخذ شيأ من السلاح ولا نخمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخجور وإن تجز مقدم رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وإن نشد الزنا نير على اوساطنا ولا نظهر صلباننا وكتبنا فى شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم

ولا نضرب نواقيسنا فى كنائسنا الاضرب باخفيها ولا نرفع أصواتنا بالقرعة فى كنائسنا فى شئ من حضرة المسلمين أشربنا ولا نخرج شعائنا ولا باعوثنا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران فى شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نخجورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطالع على منازلهم (فلما أتيت) عمر رضى الله عنه بالسكاب فزاد فيه ولا يضرب أحدا

من المسلمين شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وأولادنا عليه الأمان فان نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم وضعناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق فكاتب اليه عمر رضي الله عنه ان أمض ما سألوه والحق فيه حرفين اشترطتهم ما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم ان لا يشتر واشيا من سبائا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا (٢٨٣) فقد خلع عهده (وروي) نافع عن سالم

مولي عمر بن الخطاب ان عمر كتب الى أهل الشام في النصارى أن يقطع ركبهم وان يركبوا على الكف وان يركبوا في شق وان يلبسوا خلاف زي المسلمين ليعرفوا (وروي) ان بني تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا أمير المؤمنين ان اقوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى حجاما ففعلوا فجزوا صبيهم وشق من أرديتهم خرمنا حتى تموتها وأمرهم ان لا يركبوا السروج ويركبوا الا الكف من شق واحد (وروي) ان أمير المؤمنين المتوكل اقصى اليهود والنصارى ولم يستعجلهم وأذلهم وأقصاهم وخالف بين زيهم وزي المسلمين وجعل على أبوابهم مثالا للشياطين لانهم أهل ذلك وقرب منه أهل الحق وباعد عنه أهل الباطل والاهواء فاحيا الله به الحق وأمات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه مادامت الدنيا (وكان) عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا

اشترنا اليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا النوع من الادراك انما همهم الاتباع والافتداء ما استطاعوا ومن عرض له شيء من ذلك اعرض عنه ولم يحفل به بل يقولون منه ويرون انه من العوائق والحن وانه ادراك من ادراك النفس بخلاف حاد وان الموجودات لا تنحصر في مدارك الانسان وعلم الله اوسع وخلقه اكبر وشريعته بالهداية املا فلا ينطقون بشيء مما يدركون بل حظروا الخوض في ذلك ومنعوا من يكشف له الحجاب من اصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده بل ياتزمون طريقتهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الاتباع والافتداء ويا مروان اصحابهم بالترامها وهكذا ينبغي ان يكون حال المريد والله الموفق للصواب

١٢ * (علم تعبير الرؤيا) *

هذا العلم من العلوم الشرعية وهو واحد في الملة عند ما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها واما الرؤيا والتعبير لمسا فقد كان موجودا في السلف كما هو في الخلف وورعا كان في الملوك والامم من قبل الا انه لم يصل الى الان لا اكتشافه به بكلام المعبرين من أهل الاسلام والافاروقيا وجودة في صنف البشر على الاطلاق ولا بد من تعبير ما فاقه كان يوسف الصديق صلوات الله عليه يعبر الرؤيا كما وقع في القرآن وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر رضي الله عنه والرؤيا مدرك من مدارك الغيب وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وقال لم يبق من المبشرات الا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له واول ما يبدى به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وكان النبي صلى الله عليه وسلم لم اذا انقفل من صلاة الغداة يقول لاصحابه هل رأى أحد منكم اليه الرؤيا يسألهم عن ذلك ليس يتشرب ما وقع من ذلك مما فيه ظهور الدين واعزازهم واما السبب في كون الرؤيا مدركا للغيب فهو ان الروح القلبية وهو البخار اللطيف المنبعث من تجويف القلب اللحمي ينتشر في اشريات ومع الدم في سائر البدن وبه تكمل أفعال القوى الحيوانية واحساسها فاذا أدركه الملال بكثرة التصرف في الاحساس بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغشى سطح البدن ما يغشاها من برد اليه لاختسار الروح من سائر أقطار البدن الى مركزه القلبي فيستجم بذلك معاودة فعله فتعطلت الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم كما تقدم في أول الكتاب ثم ان هذا الروح القلبي هو مطية للروح العاقل من الانسان والروح العاقل مدرك لجميع ما في عالم الامر بذاته ان حقيقة وذاته عين الادراك وانما يمنع من تعقله للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشياء تعالى بالبدن وقواه وحواسه فلو قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع الى حقيقة وهو عين الادراك فيعقل كل مدرك فاذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا بد له من ادراك الحق من عالمه بقدر ما تجرد له وهو في هذه الحالة قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها وهي الشاغل الاعظم فاستعد لقبول ما هنا لك من المدارك الثلاثة من عالمه واذا أدرك ما يدرك من عوالمه رجع الى بدنه اذ هو مادام في بدنه جسماني لا يمكنه التصرف الا بالمدارك الجسمانية والمدارك الجسمانية لا علم لها بالاشياء الدماغية والمتصرف منها هو الخيال فانه ينتزع من الصور الخمسة صور اخيالية ثم يدفعها الى المحافظة تحفظها الى وقت الحاجة اليها عند النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها صور اخرى نفسانية عقلية فيترقى التجريد من الحسوس الى

في دينهم ولا تحل في دين الله الرشا وما استقدم عمر بن الخطاب اباموسى الاشعري من البصرة وكان عاملا على الحساب دخل على عمر وهو في المسجد فاستأذن لكتابة وكان نصرا فاقال له عمر قال لك الله وضرب بيده على فخذه وابت ذميا على المسلمين اما سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منكم حنيفا فقال يا أمير

المؤمنين لي كتابته وله دينه فقال لا كرمهم اذا ما نهم الله ولا اعزهم اذا اذلهم الله ولا اذنبهم اذا اقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر بن الخطاب ان العدد قد كثروا ان الجزية قد كثرت فذمتهم بالا عاظم فكتب اليه عمر انهم اعداء الله وانهم لنا غششة فانزلهم حيث انزلهم الله ولا تردوا اليهم شيئا وقال عمر ان بن اسد (٢٨٤) اتانا كتاب عمر بن عبد العزيز الى محمد بن المنتشر اما بعد فانه بلغني ان في عملك

رجلا يقال له حسان بن برزى على غير دين الاسلام والله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا اتاك كاذبي هذافادع حسان الى الاسلام فان اسلم فهو منا ونحن منه وان ابي فلا تستعين به ولا تأخذ من غير اهل الاسلام على شيء من اعمال المسلمين فقرأ الكتاب عليه فاسلم (ولما) خرج النبي عليه السلام الى بدر تبعه رجل من المشركين فحققه عند الحرة فقال اني اريد ان اتبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فان استعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة ففرح به اصحاب النبي عليه السلام وكانت له قوة وجلد فقال جئت لا تبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فان استعين بمشرك ثم لحقه على ظهر البيداء فقال له مثل ذلك قال تؤمن بالله ورسوله قال نعم فخرج به وهذا اصل عظيم في ان لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقا تل بين يدي النبي عليه السلام ويراق دمه فكيف استعما لهم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عمار بن ابي اهل القرآن فكتبوا اليه انا وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في اهل القرآن خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم خير

المعقول والخيال واسطة بينهما وذلك اذا أدركت النفس من عالمها ما تدركه ألقته الى الخيال في صورته بالصورة المناسبة له ويدفعه الى الحس المشترك فيراه الناس كأنه محسوس في منزل المدرك من الروح العقلي الى الحسي والخيال ايضا واسطة هذه حقيقة الرؤيا ومن هذا التقرر يظهر للفرق بين الرؤيا بالصالحية واضغاث الاحلام الكاذبة فانها كلها صور في الخيال حالة النوم لكن ان كانت تلك الصورة من نزلة من الروح العقلي المدرك فهو رؤيا وان كانت مأخوذة من الصور التي في المحافظة التي كان الخيال اودعها اياها منذ اليقظة فهي اضغاث احلام وامام معنى التعبير فاعلم ان الروح العقلي اذا أدرك مدركه واقاه الى الخيال في صورته فانما يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الاعظم في صورته الخيال بصورة البحر او يدرك العداوة في صورته الخيال في صورة الحية فاذا استيقظ وهو لم يعلم من أمره الا أنه رأى البحر او الحية فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد ان يثبته ان البحر صورة محسوسة وأن المدرك وراءها وهو يتدبى بقرائن اخرى تعين له المدرك فيقول مثله لاهو السلطان لان البحر خلق عظيم يناسب ان يشبه به السلطان وكذلك الحية يناسب ان تشبه به بالعدو لعظم ضررها وكذا الاواني تشبه بالنساء لانهن اوعية وأمثال ذلك ومن المرقى ما يكون صريحا لا يقتصر الى تعبير لجلالها ووضوحها واقرب الشبه فيها بين المدرك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تقتصر الى تأويل والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تقتصر الى التعبير والرؤيا التي من الشيطان هي الاضغاث واعلم ايضا ان الخيال اذا ألقى اليه الروح مدركه فانما يصوره في القوالب المعتادة للحس مالم يكن الحس ادركه قط فلا يصوره فيه فلا يمكن من ولد اعنى ان يصور له السلطان بالبحر ولا العدو بالحية ولا النساء بالاواني لانه لم يدرك شيئا من هذه وانما يصوره الخيال أمثال هذه في شبهها ومناسبتها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشمومات وليتحفظ المعبر من مثل هذا فرجما اختلط به التعبير وفسد قانونه ثم ان علم التعبير علم بقوانين كلية يعني عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتأويله كما يقولون البحر يدل على السلطان وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الغيظ وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الهم والامر الفادح ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو وفي موضع آخر يقولون هي كاتم سر وفي موضع آخر يقولون تدل على الحياة وأمثال ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين الكلية ويعبر في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي تعين من هذه القوانين ما هو الباقى بالرؤيا وتلك القرائن منها في اليقظة ومنها في النوم ومنها ما ينقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه وكل ميسر لما خلق له ولم يزل هذا العلم متناقلا بين السلف وكان محمد بن سيرين فيه من أشهر العلماء وكتب عنه في ذلك القوانين وتناقلها الناس لهذا العهد والى الف الكرام في فيه من بعده ثم ألف المتكلمون المتأخرون وأكثروا المتداول بين أهل المغرب لهذا العهد كتب ابن أبي طالب القسيري الى من علماء القيروان مثل الممتع وغيره وكتاب الاشارة للسامى وهو علم مضى بنور النبوة للناسبة بينهما كما وقع في الصحيح والله علام الغيوب

١٣ (العلوم العقلية واصنافها)

واما العلوم العقلية التي هي طبيعة للانسان من حيث انه ذوق كرهى غير مختصة بعمل بل يوجد النظر فيها لاهل الملل كلها ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الانساني منذ كان عمران

المخلقة

يدى

النبي عليه السلام ويراق دمه فكيف استعما لهم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عمار بن ابي اهل القرآن فكتبوا اليه انا وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في اهل القرآن خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم خير

﴿فصل﴾ و متى نقض الذي العهد بمخالفته لشي من الشروط المأخوذة عليه لم يرد الى ما منه والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق وقال اصحاب الشافعي ويلزمهم ان يميز واعن المسلمين في اللباس وان لبسوا قلائس ميزوها عن قلائس المسلمين بالخرق ويشدون الزناير في اوساطهم ويكون في رقابهم خاتم من رصاص أو نحاس او جرس يدخل (٢٨٥) معهم الحجام وليس لهم ان يلبسوا العمام

والظلمسان وأما المرأة فتشد الزناير تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحجام ويكون أحد خفيها أسود والاخر أبيض ولا يكون الخيل ويركبون البغال والحمير بالا كف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدون بالسلام ويلبثون الى أضيق الطريق ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز بل يمنعون وان تمكروا دارا عالية أقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالنجر والخنزير والناقوس والجهر بالنزوة والانجيل ويمنعون من المقام في الخاز وهي مكة والمدينة والجماعة ويجعل الامام على كل طائفة منهم رجلا يكتب اسماءهم وحلاهم يستوفى جميع ما يؤخذون به من جميع الشروط وان امتنعوا من اداء الجزية والتزام احكام الملة انتقض عهدهم وان زنى احدهم بمسلة او اصابها

الحليقة وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على اربعة علوم الاول علم المنطق وهو علم يصمم الذهن عن الخطا في اقتناص المطالب المجهولة من الامور الحاصلة المعلومة وفائدته تمييز الخطا من الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها اليقف على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكره ثم النظر بعد ذلك عندهم اما في المحسوسات من الاجسام العنصرية والمكونة عنهما من المعدن والنبات والحيوان والاجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التي تنبعث عنها الحركات وغيرها ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو الثاني منها واما ان يكون النظر في الامور التي وراء الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وهو الثالث منها والعلم الرابع وهو الناظر في المقادير ويشتمل على اربعة علوم وتسمى التعاليم اولها علم الهندسة وهو الناظر في المقادير على الاطلاق المانفصلة من حيث كونها معدودة او المتصلة وهي اما ذو بعد واحد وهو الخط او ذو بعدين وهو السطح او ذو ابعاد ثلاثة وهو الجسم التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها امام من حيث ذاتها او من حيث نسبة بعضها الى بعض وثانيها علم الارتمطاطي وهو معرفة ما يعرض لكم المنفصل الذي هو العدد ويؤخذ له من الخواص والعوارض اللاحقة وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الاصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد ومعرفة معرفة تلاحين الغناء واربعا علم الهيئة وهو تعيين الاشكال للافلاك وحصر اوضاعها وتعدد احوالها كوكب من السيارة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها واقبالها وادبارها فهذه اصول العلوم الفلسفية وهي سبعة المنطق وهو المقدم منها وبعده التعاليم فالارتمطاطي اولها ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الالهيات ولكل واحد منها فروع تنفرع عنه فن فروع الطبيعيات الطب ومن فروع علم العدد علم الحساب والقراض والمعاملات ومن فروع الهيئة الاذياج وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلها للوقوف على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروع النظر في النجوم علم الاحكام النجومية ونحن نتكلم عليها واحدا بعد واحد الى آخرها واعلم ان اكثر من عني بها في الاجيال الذين عرفنا اخبارهم الامتان العظيمة تان في الدولة قبل الاسلام وهما فارس والروم فكانت اسواق العلوم نافذة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفورا فيهم والدولة والسلطان قبل الاسلام وعصرهم لم يكن له هذه العلوم محور زاخرة في آفاقهم وامصارهم وكان لا كذا ناسين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط عناية بالسحر والنجامة وما يتبعها من الطالسم وأخذ ذلك عنهم الامم من فارس ويونان فاختص بها القبط وطمى بحرفا فيهم كل وقع في الملة لومن خبرها روت وماروت وشأن السحرة وما نقله أهل العلم من شأن البراني بصعيد مصر ثم تنابعت الممال بحظر ذلك وتحريمه فدرست علومه وبطالت كان لم تكن الا بقايا ينقلها منتحلوه هذه الصنائع والله اعلم بهتت مع ان سموف الشرع قائمة على ظواهرها مانعة من اختبارها واما الفرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيما وطاقاتهم عالما كانت عليه دواتهم من الضخامة واتصال الملب والقد يقال ان هذه العلوم انما وصلت الى يونان منهم حين قتل الاسكندر ذارا وغلب على مملكة الكينية فاستوى على كتبهم وعلومهم ما لا يأخذة المحصر ولما فتحت ارض فارس ووجدوا فيها كتب كثيرة كتب سبعة عديني ابي وقاص الى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتقليد المسلمين فكتب اليه عمر ان اطرحوها في الماء

بشكاح او آوى عينا لكفار او دل على عورة للمسلمين او فتن مسلما عن دينه أو قتل أو قطع عليه الطريق او ذكر الله ورسوله بما لا يجوز قيل ينتقض وان فعل ما يمنع منه لا ضرر فيه كترك الغبار واظهار النجر وما أشبه ما عزر عليه ومتى فعل ما يوجب نقض العهد رد الى ما منه في أحد القولين وقتل في الحين في القول الآخر ﴿فصل﴾ في تقدير الجزية باختلاف بين العلماء فقيل انهم مقدرة الاقل والاكثر

على ما كتب به عمر الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوقع على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى من دونه اثنا عشر درهما وهذا مذهب ابي حنيفة وابن حنبل واحد قولي الشافعي وجعلوه كانه حكم امام فلا ينقض وقيل انه امر دودة الى الامام في الزيادة والنقصان (٢٨٦) وهو الاقيس وقيل انها مقدرة الاقل دون الاكثر فيجوز للامام ان يزيد على ما قدره عمر

فان يكن ما فيه اهدى فقد هدانا الله باهدى منه وان يكن ضالا فقد كفانا الله فطر حوافي الماء وفي النار
وذهبت علوم الفرس فيما عن أن تصل اليها وأما الروم فكانت الدولة منهم ليونان اولاً وكان لهذه العلوم
بينهم مجال رحب وجملها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغـيرهم واختص فيها المشاؤون منهم
اصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم كانوا يقرؤون في رواق يظلمهم من الشمس والبرد على ما زعموا واتصل
فيها سـنة تعليمهم على ما يزعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه بقراط الدين ثم الى تلميذه أفلاطون ثم الى
تلميذه ارسطو ثم الى تلميذه الاسكندر الافرو دسي وتامسـ طيون وغيرهم وكان ارسـطو معلماً للاسكندر
ملكهم الذي غلب الفرس على ملكهم وانترع الملك من ايديهمـ وكان ارسطوخم في هذه العلوم قدما
وأبعدهم فيها صيتا وكان يسمى المعلم الاول فطار له في العالم ذكر * ولما انقرض أمر اليونان وصار الامر
للقياصرة واخذوا يدين النصرانية هجروا تلك العلوم كما تقتضي به الممل والشرايع فيها وبقيت في صحفها
ودواوينا مخددة باقية في خزائنهم ثم ملكوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء الله بالاسلام وكان
لا هله الظهور الذي لا كفاله وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه للامم وابتداء أمرهم بالسذاجة والغفلة عن
الصنائع حتى اذا تبجح السلطان والدولة واخذوا من الحضارة بالخط الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتغنوا
في الصنائع والعلوم تشوقوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمة بما سمعوا من الاساقفة والافسة
المعاهدين بعض ذكـر منها وما عساه واليه افكار الانسان فيها فبعث ابو جعفر المنصور الى ملك الروم ان
يبعث اليه بكتب النعماليم مترجمة فبعث اليه بكتب اوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون
واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصا على الظفر بما بقي منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما
كان يتخله فانبعث لهذه العلوم حرصا وافر والرسـل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين واتساعها
بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك فاوعى منه واستوعب وعكف عليها النظار من اهل الاسلام وحذقوا
في فنونها وانتهت الى الغاية أنظارهم فيها وخالقوا كثير من آراء المعلم الاول واختصوه بالرد والقبول
لوقوف الشهرة عنده ودوتوا في ذلك الدواوين وأربوا على من تقدمهم في هذه العلوم وكان من أكابرهم
في المـلة ابو نصر الفارابي وأبو علي ابن سينا بالمشرق والقاضي أبو الولبـدين رشـد والوزير ابو بكر بن الصائغ
بالاندلس الى آخرين بلغوا الغاية في هذه العلوم واختص هؤلاء بالشهرة والذكـر واقتصر كثير على انتحال
التعاليم وما يضاف اليها من علوم النجامة والسحر والطلاسمات ووقفت الشهرة في هذا المختل على مسلمة
ابن احمد الجرجيني من اهل الاندلس وتلميذه ودخل على المـلة من هذه العلوم وأهلها ما دخله واسـتهوت
الكثير من الناس بما جنحوا اليها وقلدوا آراءها والذنب في ذلك ان ارتكبه ولو شاء الله ما فعلـه ثم ان
المغرب والاندلس لما ركزت ريج العمران بهما وتناقصت العلوم بتناقصه اضمحل ذلك منهـ ما الا قليلا
من رسومه تجدها في تقارير من الناس وتحت رقبة من علماء السنة ويبلغنا عن اهل المشرق ان بضائع
هذه العلوم لم تنزل عندهم موفورة وخصوصا في عراق العجم وما بعده فيما وراء النهر وأنهم على تبع من
العلوم العقلية لتوفر عمر انهم واستحكـم الحضارة فيهم ولـقد وقفت بمصر على تـاليف متعددة لرجل من
عظماء هـرة من بلاد خراسان يشـهر بسـعد الدين الفتازي منها في علم الكلام وأصول الفقه والبيان
تشـهد بان له ملكة راسخة في هذه العلوم وفي اثنا عشر ما يدل له على أنه اطلع على العلوم الحكيمة

ولا يجوز ان ينقص عنه
وقال بعضـهم يجوز ان
يساوي بينهم من كل واحد
دينار وقال مالك يؤخذ
من الموسر بعون درهما
ومن الفقير دينار وعشرة
دراهمـ ويتخرجـ على
مذهب مالك في وجوب
تقدير طرفيها قولان بناء
على العشر المأخوذ منهـ
هل هو تقدير شرعي لا يجوز
فيه الزيادة والنقصان
وعن مالك فيه روايتان ولا
خزية على النساء والمماليك
والصبيان والمجانين وكتب
عـمر بن عبد العزيز الى
عبد الحميد بن عبد الرحمن
سلام عليك اما بعد فان
اهل الكوفة قد اصابهم
بلا موشدة وجور من العمال
وسن سنة سنها عليهمـ
عمال السوء فاحرز عليهم
ارضهم ولا تحمل خرابا على
عامر ولا عامر على خراب
ولا تأخذ من الخراب الا
ما يطيقون ولا من العامر
الا وظيفة الخراج الا وزن
سبعة لیس لها اس ولا
اجور والضربين ولا اداة
الفضة ولا هدية النير وز
والمهر جان ولا ثمن المحصف
ولا اجور البيوت ولا دراهم

النكاح ولا خراج على من اسلم من اهل الارض والواجب ان يؤخذ ما ضرب به عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وهو من كل جريب عشرة دراهم ومن كل جريب نخل ثمانية دراهم ومن كل جريب حنطة اربعة دراهمـ ومن كل جريب شعير
دروهمان * (فصل) * واما السكائس فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الاسلام ومنع ان تحدث

كنيسة وأمر أن لا تظهر عليه خارحة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها
بصناعة وهذا مذهب علماء المسلمين اجمعين وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة
ولا حديثة وهكذا قال الحسن البصري قال من السنة ان تهدم الكنائس التي (٢٨٧) في الامصار القديمة والحديثة ويمنع أهل

الذمة من بناء ما خرب قال
الاصمطيحي ان طينوا
ظاهر الحائط منعوا وان
طينوا داخله الذي يليهم لم
يمنعوا ويمنعون ان يعالوا
على المسلمين في البناء وتجوز
المساواة وقيل لا تجوز
(الباب الثاني والخمسون
في بيان الصفات المعتمدة
في الولاية)

اعلم أرشدك الله تعالى ان
منزلة العمال من الوالي
منزلة السلاح من المقاتل
فاجتهد جهدك في ابتغاء
صالح العمال واذا فقد الوالي
عمال اصدق كان كقد
المقاتل السلاح يوم الحرب
ويحتاج الى طبقات الرجال
كما يحتاج الحرب الى
اصناف العدة فمنها الدرق
للاستحسان والسيف
للمناجزة والرمح للطاعة
والسهم للباعث والدروع
للتحصن واسلحهم منها موضع
ليس للرجال الملك
كالاداة للصانع لا يسد بعضها
مسد بعض كذلك طبقات
الرجال للملك منهم للرأى
والمشورة ومنهم لادارة
الحرب ومنهم لمباشرة
الحرب ومنهم لمجمع
الاموال ومنهم لمفظها

وقد ما عالمة في سائر الفنون العقلية والله يؤيد نصره من يشاء كذلك بلغنا هذا العهد ان هذه العلوم
الفلسفية ببلاد الافرنجة من ارض رومة وما اليها من العدو الشمالية نافقة الاسواق وأن رسومها هناك
متجددة وبجاس تعليمها متعددة ودواوينها جامعة متوفرة وطلبتها متكثرة والله اعلم بما هناك وهو
يخلق ما يشاء ويختار

(العلوم العددية)

وأولها الارتماطيقي وهو معرفة خواص الاعداد من حيث التأليف اما على التوالي او بالتضعيف مثل
ان الاعداد اذا توالفت متفاضلة بعدد واحد فان جمع الطرفين منها مساو لجمع كل عددين بعدهما من
الطرفين بعدهما واحد ومثل ضعف الواسطة ان كانت عدة تلك الاعداد فردا مثل الافراد على تواليها
والازواج على تواليها ومثل ان الاعداد اذا توالفت على نسبة واحدة يكون أولها نصف ثانيها وثانيها نصف
ثالثها الخ او يكون أولها ثلث ثانيها وثالثها ثلث رابعها الخ فان ضرب الطرفين أحدهما في الآخر كضرب
كل عددين بعدهما من الطرفين بعدد واحد أحدهما في الآخر ومثل ربع الواسطة ان كانت العدة فردا
ذلك مثل اعداد زوج الزوج المتوالية من اثنين فأربعة فثمانية فستة عشر ومثل ما يحدث من الخواص
العددية في وضع المثلثات العددية والمربعات والخمسات والمسدسات اذا وضعت متتالية في سطورها بان
يجمع من الواحد الى العدد الاخير فتكون مثلثة وتتوالى المثلثات هكذا في سطر تحت الاضلاع ثم تزيد
على كل مثلث ثلث الضلع الذي قبله فتكون مربعة وتزيد على كل مربع ثلث الضلع الذي قبله فتكون
مخمسية وهلم جرا وتوالي الاشكال على توالي الاضلاع ويحدث جدول ذو طول وعرض في عرضه
الاعداد على تواليها ثم المثلثات على تواليها ثم المربعات ثم الخمسات الخ وفي طوله كل عدد واحد كاله بالغا
ما بلغ وتحدث في جمعها وقسمتها على بعض طولها وعرضها خواص غريبة استقرت منها وتقررت
في دواوينهم مسائلها وكذلك ما يحدث للزوج والفرد وزوج الفرد وزوج الزوج والفرد
فان لكل منها خواص مختصة به تضعها هذا الفن وليست في غيره وهذا الفن اول اجزاء التعاليم وانبتها
ويدخل في البراهين الحساب والحكماء المتقدمين والمتأخرين فيه تأليف واكثرهم يدرجون في التعاليم
ولا يقررونه بالتأليف فعلم ذلك ابن سينا في كتاب الشفا والنجاة وغيره من المتقدمين واما المتأخرون
فهو عندهم مهجور اذ هو غير متداول ومنفعة في البراهين لافي الحساب فهو مهجور ولذلك بعد ان استخلصوا
زبدته في البراهين الحسابية كما فعله ابن البناء في كتاب رفع الحجاب والله سبحانه وتعالى اعلم
(ومن فروع علم العدد صناعة الحساب) وهي صناعة علمية في حساب الاعداد بالضم والتفريق
فالضم يكون في الاعداد بالافراد وهو الجمع وبالتضعيف تضاعف عددا بآخر واعداد آخر وهذا هو
الضرب والتفريق ايضا يكون في الاعداد اما بالافراد مثل ازالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح او
تفصيل عدد باخره متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم والتفريق في الصحيح
من العدد او الكسر ومعنى الكسر نسبة عدد الى عدد تلك النسبة تسمى كسرا وكذلك يكون بالضم
والتفريق في الجذور ومعناها العدد الذي يضرب في مثله فيكون منه العدد المراد بجمع فان تلك الجذور ايضا
يدخلها الضم والتفريق وهذه الصناعة حادثة احتيج اليها الحساب في المعاملات وألف الناس فيها كثيرا

ومنهم للحماية ومنهم للكتابة ومنهم للجمال والفخر ومنهم للمباهاة ولذكروهم من للدعاء والوقار ومنهم للعلم والفتيا وحفظ اساس
الملة فلا يكمل للملك عالم يجمع هذه الطبقات وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لمسامات كسرى بلغ موته رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال من استخلفوا قالوا ابنته بوران قال ان يعلى قوم اسندوا أمرهم الى امرأة وقال ابن عباس لما كانت فتنة الحرة قيل من استعمل

القوم قالوا عبد الله بن مطيع على قر يش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الانصار قال أمير ان هلك والله القوم وامس يشترط الا في الامامة
العلمي دون سائر الولايات (ولما) استخضر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وكان من الخطباء قال له هشام بلغني انك تخطب
الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة (٢٨٨) قال زيد فقد كان اسمعيل بن ابراهيم بن أمة واسحق بن حرة ومحرم عليه السلام من

ولد اسمعيل ثم اتهمه في أمر فقال له زيد أنا أحلف لك قال هشام ومن يصدقك قال زيد انه ليس أحد فوق ان يأمر بقتل الله ولا أحد دون ان يؤمر بقتل الله وقال بعض الخلفاء دلوني على رجل استعمله على امر قد أهمني قالوا وكيف تريد قال اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كانه أميرهم واذا كان في القوم وهو أميرهم كان كانه رجل منهم قالوا ما نعلمه الا الربيع بن زياد الحارثي قال صدقتموها ويروي ان عمر بن عبد العزيز استشار في قوم يستعملهم فقال له بعض اصحابه عليك يا اهل العدل قال ومن هم قال الذين ان عدلوا فهم ومارجوت وان قصر واقل الناس اجتهد عمر (ولما قدم البريد من بشر بن مروان على عبد الملك بن مروان سأله عن بشر قال يا امير المؤمنين هو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف فقال عبد الملك ذاك الاعسر الاجود الذي كان يامن عنده البري ويخاف لديه السقيم ويعاقب على قدر الذنب ويعرف موضع العقوبة الشديدي في غير ضعف اللين في غير ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال سهامة الحكيم اعتبر الرجال بافعالهم لا بعظم اجسامهم فان الذئب مع عظمه لا يأكل الا ميتا وطير السماء مع ضعفه يتحامي ميت السمك ويأكل الحي منها (وفي) حكم الهند السلطان الحازم ربحا حب الرجل فاقصاه واطرحه مخافة ضره كالمسوع يقطع اصبعه ان لا ينتشر السم في جسمه

وتداولوها في الامصار بالتعليم للولدان ومن احسن التعليم عندهم الابن يدعيه الاتهام عارف متفحصة وبراheim منتظمة فينشأ عنهما في الغالب عقل مضى ودرب على الصواب وقديقال من اخذ نفسه بتعليم الحساب اول امره انه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المبادئ ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقا ويتعود الصدق ولازمه مذهبها ومن احسن التأليف الميسرة فيهم المذهب العبد بالمغرب كتاب الحصار الصغير ولابن البناء المراكشي فيه تلخيص ضابط لقوانين اعماله مفيد ثم شرحه بكتاب سماه دفع الحجاب وهو مستغلق على المبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المبادئ وهو كتاب جلبل القدر ادر كنا المشيخة تعظمه وهو كتاب جذير بذلك وانما جاءه الاستعلاق من طريق البرهان ببيان علوم التعاليم لان مسائلها واعمالها واضحة كلها واذا قصد شرحها فافتتوها واعطاء العمال في تلك الاعمال وفي ذلك من العسر على الفهم ما لا يؤجد في اعمال المسائل فتأملها والله يهدي بنوره من يشاء وهو القوي المتين * (ومن فروعه الجبر والمقابلة) وهي صناعة يستخرج بها العلم من الجهول من قبل المعلوم المفروض اذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك فاصطلحوا فيها على ان جعلوا للمجهول مراتب من طريق التضعيف بالضرب او لها العدد لان به يتعين المطلوب الجهول باستخراجها من نسبة المجهول اليه وثانيها الشيء لان كل مجهول فهو من جهة ابهامه شيء وهو ايضا جذرا لما يلزم من تضعيفه في المرتبة الثانية وثالثها المال وهو امر مهم ومابعه ذلك فعلى نسبة الاس في المضروبين ثم يقع العمل المفروض في المسئلة فتخرج الى معادلة بين مختلفين او اكثر من هذه الاجناس فيقابلون بعضها ببعض ويحبرون ما فيها من الكسر حتى يصير صحيحا ويحطون المراتب الى اقل الاسوس ان أمكن حتى يصير الى الثلاثة التي عليها مدار الجبر عندهم وهي العدد والشيء والمال فان كانت المعادلة بين واحد واحدتين فالمال والجذور يزول ابهامه بمعادلة العدد ويتعين المال وان عادل الجذور يتعين بعدها وان كانت المعادلة بين واحد واحدتين آخرجه العمل الهندسي من طريق تفصيل الضرب في الاثنين وهي مهمة فيعينها ذلك الضرب المفصل ولا يمكن المعادلة بين اثنين واثنين واكثر ما انتهت المعادلة بينهم الى ست مسائل لان المعادلة بين عدد وجذر ومال مفردة او مركبة تجب ستة اوائل من كتب في هذا الفن أبو عبد الله الخوارزمي وبعده أبو كامل شجاع بن اسلم وجماع الناس على اثره فيه وكتابه في مسائل الست من احسن الكتب الموضوعة فيه وشرحه كثير من اهل الاندلس فاجادوا ومن احسن شروحاته كتاب القرشي وقديبلغنا ان بعض أئمة التعاليم من اهل المشرق انه سى المعاملات الى أكثر من هذه الستة اجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج لها كلها أعمالا واتبعه براهين هندسية والله يزيد في الخلق ما يشاء سبحانه وتعالى * (ومن فروعه ايضا المعاملات) وهو تصرف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحات والركوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات يصرف في ذلك صناعة الحساب في الجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها والغرض من تكثير المسائل المفروضة فيها حصول الممران والدربة بتكرار العمل حتى ترسخ الملائكة في صناعة الحساب ولاهل الصناعة الحسابية من اهل الاندلس تأليف فيها متعددة من اشهرها معاملات الزهراوي وابن السمع وأبي مسلم بن خالدون من تلميذ مسلمة الجريطي وامثالهم * (ومن فروعه ايضا الفرائض) وهي صناعة حسابية في صحيح السهام لذوى القروض في الوراثات اذا تعددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت

الذنب ويعرف موضع العقوبة الشديدي في غير ضعف اللين في غير ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال سهامة الحكيم اعتبر الرجال بافعالهم لا بعظم اجسامهم فان الذئب مع عظمه لا يأكل الا ميتا وطير السماء مع ضعفه يتحامي ميت السمك ويأكل الحي منها (وفي) حكم الهند السلطان الحازم ربحا حب الرجل فاقصاه واطرحه مخافة ضره كالمسوع يقطع اصبعه ان لا ينتشر السم في جسمه

وربما بغض الرجل فأكرم نفسه على ثوابته وتقر به لئلا يحد منه كساره المرء على الدواء المشع لنقعه الا ان للاسلام شر وطا فلا
تستقيم هذه السيرة عليها الا ترى ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما افضت الخلافة اليه كان معاوية والبايع على الشام من قبل عمر ثم
عثمان فامسار في امره فقال له بعضهم اقره على امرته وارسل اليه بهذه فاذا دخل (٢٨٩) في بيعتك فاعزله فقال له رجلك

الله انا امرني ان اطالب العدل

بالمجور ثم عزله فكان

سبب عصيانه وهكذا

أشاروا عليه فقالوا يا أمير

المؤمنين لو فضلت هؤلاء

الاشراف ومن تتخوف

منهم وانما الناس اصحاب

دنيا حتى اذا استوثق الامر

عدت الى التسوية فقال

أنا مروني ان اطالب العدل

بالمجور فعين وليت عليه

والله لو كان مالي لسويت

بينهم ولم افضل بعضهم

على بعض فكيف والمال

لهم واعطاء المال في غير

حقه تبذير وسرف وهو

يرفع ذكر صاحبه في الدنيا

ويضعه عند الله في الآخرة

ولن يضع امرؤ ماله في غير

حقه وعند غير أهله الا حرمه

الله تعالى شكرهم وصير

لغيره ودهم فان بقي معه

منهم من يظهر له الود والشكر

فذلك ملق وخديعة

لينال منه فان زلت به

النعل يوم ما فاحتاج الى

معونته ومكافاته ما سأل

من مبرته فشر خليل

والأم خدين واياك ايها

الوالي وحب المدح فان

من أحب المدح عدك

مدح نفسه واذا علم ذلك

سماه على ورثته او زادت الفروض عند اجتماعها وتراجعها على المال كله او كان في الفريضة اقرار
وانكار من بعض الورثة فيحتاج في ذلك كله الى عمل يعين به سهام الفريضة من كتحص و سهام الورثة
من كل بطن مصحاح حتى تكون حظوظ الوارثين من المال على نسبة سهامهم من جهة سهام الفريضة
فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسره وجزره ومع لومه ومجهوله وترتب على ترتيب
أبواب الفرائض الفقهية ومساثلها فاشتغل حينئذ هذه الصناعة على جزء من الفقه وهو احكام الوراثة من
الفروض والعول والاقرار والانكار والوصايا والتبذير وغير ذلك من مساثلها وعلى جزء من الحساب وهو
تصحيح السهمان باعتبار الحكم الفقهي وهي من أجل العلوم وقد يورد أهلها احاديث نبوية تشهد بفضائلها
مثل الفرائض ثلث العلم وانها أول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندى ان ظواهر تلك الاحاديث كلها
انما هي في الفرائض العينية كما تقدم لافرائض الوراثة فانها اقل من ان تكون في كتبها ثلث العلم وأما
الفرائض العينية فكثيرة وقد ألف الناس في هذا الفن قديما وحديثا وأوعبوا ومن احسن التأليف فيه
على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي ابي القاسم الخوافي وكتاب ابن المنجر والمجدي
والصردى وغيره. لم يكن الفضل للخوافي فكاتبه مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا ابو عبد الله
سليمان الشطبي كبير مشيخة فاس فوضح وأوعب ولامام الحرميين فيها تأليف على مذهب الشافعي
تتمهديات سابع باعه في العلوم وروسخ قدمه وكذا الخفعية والحنابلة ومقامات الناس في العلوم مختلفة والله
يهدي من يشاء بيمينه وكرمه لا رب سواه

(العلوم الهندسية)

هذا العلم هو النظر في المقادير المتصلة كالخط والسطح والجسم واما المنفصلة كالاعداد وفيما يعرض
لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزوياه مثل قائمتين ومثل ان كل خطين متوازيين لا يلتقيان
في وجه ولو خرجا الى غير نهاية ومثل ان كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان
ومثل ان الاربعة مقادير المتناسبة ضرب الاول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وأمثال ذلك
والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليدس ويسمى كتاب الاصول وكتاب الاركان
وهو أبسط ما وضع فيها للعلمين وأول ما ترجم من كتاب اليونانيين في الملة ايام ابي جعفر المنصور ونسخه
مختلفة باختلاف المترجمين فمنها الخمين بن اسحق والثابت بن قرة وليوسف بن الحاجب ويشتمل على خمس
عشرة مقالة اربعة في السطوح وواحدة في الاقدار المتناسبة وأخرى في نسب السطوح وبعضها الى بعض
وثلاث في العدد والعاشر في المنطقات والقوى على المنطقات ومعناه الجذور وخمس في الجسيمات وقد
اختصره الناس اختصارات كثيرة كفاية له ابن سينا في تهاليم الشفاء فأردله جزأ منها اختصره به وكذلك ابن
الصائغ في كتاب الاقتصاد وغيرهم وشرحه آخرون شروحا كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق
واعلم ان الهندسة تفيد صاحبها اضاءة في عقله واستقامة في فكره لان براهينها كلها بمنزلة الانظمة جليلة
الترتيب لا يكاد الغلط يدخل اقيمتها الترتيبها وانظمةها فيبعد الفكر بما راس تهاعن الخطا ويؤشأ
اصحابها عقل على ذلك المهيج وقد زعموا انه كان مكتوبا على باب افلاطون من لم يكن مهندسا فلا يدخل
منزلنا وكان شيوخنا رحمه الله يقولون ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون للثوب الذي يغسل منه

(٣٧ - ابن خلدون)

منك جعله الناس سلبا لقضاء حوائجهم منك فيمنعذ يكون قضاء الحوائج لنفسك لاهم
وقال النبي عليه السلام أحسنوا في وجوه المداحين التراب وسمع المقداد رجلا يدح عثمان بن عفان فأخذ كنانا من تراب فلقاه في وجهه
وسمع النبي عليه السلام رجلا يدح رجلا فقال قطعتم ظهر أخيك وسمعها ما أفلح بها ما ووصف اعرابي أميراف قال كان اذا ولي لم

عقل ولا ينقص له قوة
وقال الصنابحي كتب
عمر بن الخطاب الى أبي
عبيدة كتابا في مثل أذن
الغارة أما بعد فإنه لا يقيم
أمر الله في الناس الا حصيف
العمدة بعيد الغرلة لا يطلع
الناس منه على عورة ولا
يخفى في الحق على الجرة
ولا يخاف في الله لومة لائم
(وقال) مالك جاء رجل الى
عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وسأله ان يكتب له
كتابا في أمر فقال اذهب الى
منزلنا فانتني بدواة وقرطاس
فذهب فلم يجد فقال اطلب
عندهم شيئا فذهب فلم
يجدهم الا اذن فردود
فكتب له في تلك الاذن
(ولما) ولي المؤمن يحيى
ابن اكرم قضاء البصرة
بعد ان استمع من عقله وعلمه
وامتنحه بمسائل فوجده
فوق ما يرى بدلتاه وجوه
البصرة فراوا شابا صبيا
ما بهت له حيتته فتعجبوا
ونظر بعضهم الى بعض
يقبلون الا كف ويغمزون
المحوا جب فقال له بعضهم
كم سن القاضي أصلحه الله
قال مثل سن عتاب بن
أسيد لما ولاه النبي عليه

يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم شاهد منهم فالحسن راج والمسي مخاطف وقال عبد الله بن الزبير يوما
لا يبعدن ابن هند ان كانت فيه مخارج ما نجد ما في أحديه مده أبدا والله ان كنا نعرفه وما الليث الحرب على برائته باجر أمه فبنت قارق لنا
وان كنا لنخذه وما ابن لبلة من الارض (٢٩٠) بأدهى منه والله لوددت أنا متعنا به مادام في هذا حجر وأشار الى أبي قبيس لا يتخون له

الاقدار وينقبه من الاوضار والادوار وانما ذلك لما اشرفنا اليه من ترتيبه وانتظامه * (ومن فروع هذا
الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والخرومات) * أما الاشكال الكرية ففهي كتابان من كتب
اليونانيين لثاودوس-يوس وميلاوش في سطوحها وقطوعها وكتاب ثاودوس-يوس مقدم في التعليم على
كتاب ميلاوش لتوقف كثير من براهينه عليه ولا بد منه-المن يريد الخوض في علم الهيئة لان براهينها
متوقفة عليهم ما قاله الكلام في الهيئة كله كلام في الكرات السماوية وما يعرض فيها من القطوع والدوائر
باسباب الحركات كإثبات كره فقيديتوقف على معرفة احكام الاشكال الكرية سطوحها وقطوعها وأما
الخرومات فهو من فروع الهندسة أيضا وهو علم ينظر فيما يقع في الاجسام المخروطة من الاشكال
والقطوع ويبرهن على ما يعرض لذلك من العوارض يبراهين هندسية متوقفة على التعليم الاول وفائدتها
تظهر في الصنائع العملية التي موادها الاجسام مثل التجارة والبناء وكيف تصنع التماثيل الغريبة والهيكل
النادرة وكيف يتحمل على جر الانقال ونقل الهيكل بالهندام والميخال وامثال ذلك وقد أفرده بعض المؤلفين
في هذا الفن كتابا في الحمل العملية يتضمن من الصناعات الغريبة والحيل المستظرفة كل غريبة وربما
استعان على الفهم لصعوبة براهينه الهندسية وهو موجود بآيدي الناس ينسبونه الى بني شاكر والله
تعالى اعلم * (ومن فروع الهندسة المساحة) * وهو فن يحتاج اليه في مسح الارض ومعناه استخراج مقدار
الارض المعلومه بنسبة شبر وذراع او غيرهما ونسبة ارض من ارض اذا قويت بمثل ذلك ويحتاج الى
ذلك في توظيف الخراج على المزارع والقدن وبساتين الغراسه وفي قسمة المحواط والاراضي بين الشركاء
او الورثة وامثال ذلك وللناس فيها موضوعات حسنة وكثيرة والله الموفق للصواب بمنه وكرمه * (المنابر
من فروع الهندسة) * وهو علم يبين به اسباب الغلط في الادراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها بناء على
ان ادراك البصر يكون بمخروط شعاعي رأسه يقطعه الباصر وقاعدته المرئي ثم يقع الغلط كثيرا في رؤية
القريب كبروا البعيدة غير او كذا رؤية الاشباح الصغيرة تحت الماء ورواء الاجسام الشفافة كبيرة
ورؤية النقطة النازلة من المطر خطا مستقيما والساعة دائرية وامثال ذلك فبين في هذا العلم اسباب ذلك
وكيفياتها بالبراهين الهندسية ويثبت به أيضا اختلاف المنظر في القمر باختلاف العروض الذي ينبغي
عليه معرفة رؤية الالهة وحصول الكسوفات وكثير من امثال هذا وقد ألف في هذا الفن كثير من اليونانيين
وأشهر من ألف فيه من المسلمين ابن الهيثم وغيره فيه ايضا تأليف وهو من هذه الرابضة وتفاير بها

(علم الهيئة)

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتغيرة ويستدل بكيفيات تلك الحركات على
اشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية كما يبرهن على أن مركز
الارض مبدان مركز فللك الشمس بوجود حركة الاقبال والادبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة
للكواكب على وجود أفلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فللكها الاعظم وكما يبرهن على وجود الفلك
الثامن بحركة الكواكب الثابتة وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكوكب الواحد بعدد ادائهم له وامثال
ذلك وادراك الموجود من الحركات وكيفياتها واجناسها انما هو بالرصد فانما علمنا حركة الاقبال
والادبار به وكذا تراكيب الافلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وامثال ذلك وكان اليونانيون

السلام مكة فها بوه محدة جوابه وعرفوا فضله وكان لعناب بن أسد احدي وعشرون سنة لما ولي مكة وكان
يعتقون
عمر يقول لا يصلح ان يلي أمورا للناس الا حصيف العقل وافر العلم قليل الغرة بعيد الهمة شديد في غير عنف ابن في غير ضعف جواد في غير
سرف لا يخاف في الله لومة لائم وقال أيضا ينبغي ان يكون في الوالي من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده في الحق كقتل عصاة وورث يكون

ليه من الرقة والحنو والرافة والرحمة ما يجوز من قتل غصقوز بغير حق (ويروى) ان الرشيد بدأ حضر رجلا ليواليه القضاء فقال له اني
لا احسن القضاء ولا انا فقهه فقال له الرشيد فبك ثلاث خلال لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة وتلك حلم يمنعك من الجحلة ومن لم
يجعل قل خطؤه وانت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثير صوابه وأما الفقه فنضم (٢٩١) اليك من تنفعه فولي فاجد وافي

مطعنا وقال اياس بن معاوية
استحضرني عمر بن ميمونة
فخضرت فساكنني فسكنت
فلما أطأت قال ايه قلت
سل عما يدالك قال أتقرأ
القرآن قلت نعم قال فهل
تقرض الغرائض قلت نعم
قال فهل تعرف من أيام
العرب شيئا قلت أنا بها أعلم
قال فهل تعرف من أيام
الحكم شيئا قلت أنا بها أعلم
قال اني أريد أن أستعين
بك قلت ان في ثلاثا لا أصل
معهن للعمل قال ما هن
قلت انادميم كثرى وأنا
حديد وأنا عي قال أما
الدماثة فاني لأر يدان
أحسن بك وأما العي فاني
أراك تعرب عن نفسك
وأما سوء الخلق فقومك
السوط فولاني وأعطاني
ألف درهم فهو أول ما متولته
وقال سليمان بن داود
عليهما السلام ما ملاقة
لبوة سلبت أشبالها
باصعب من لقاء جاهل
راض عن نفسه
*(الباب الثالث والخمسون)
في بيان الشروط والعهود
التي تؤخذ على العمال)*
اعلم أرشدك الله انه يجب
أن يولي على الأعمال أهل

يعتنون بالرصد كثير او يتخذون له آلات التي توضع ليرصد بها حركة الكواكب المعين وكانت تسمى
عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين عليه في مطابقة حركتها بحركة الفلك منقول بأيدي الناس
وأما في الاسلام فلم تقع به عناية الا في القليل وكان في أيام المأمون شي منه وصنع الآلة المعروفة للرصد
المسماة ذات الحلق وشرع في ذلك فلم يتم ولم يات اتصال الاحقاب وان مطابقة حركة الآلة في الرصد بحركة
الفلك والى الكواكب انما هو بالتقريب ولا يعطى التحقيق فاذا طال الزمان ظهرت تفاوت ذلك بالتقريب
وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست على ما يفهم في المشهور انها تعطي صورة السموات وترتيب الافلاك
والكواكب بالحقيقة بل انما تعطي ان هذه الصور والهيئات للافلاك لزمت عن هذه الحركات وانت
تعلم انه لا يبعد ان يكون الشيء الواحد لازما لمختلفين وان قلنا ان الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على
وجود المزموم ولا يعطى الحقيقة بوجهه على انه علم جليل وهو واحد اركان التعاليم ومن احسن التأليف فيه
كتاب المحسوطي منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونان الذين أسماؤهم بطليموس على ما حقه
شرح الكتاب وقد اختصره الأئمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا وادرجه في تعاليم الشفاء والخصص ابن
رشدأ يضامن حكماء الاندلس وابن السمع وابن الصلت في كتاب الاقتصار ولا بن الفرغانى هيئة مخصصة
قريبها وحذف براهين الهندسية والله علم الانسان ما لم يعلم سبحانه لا اله الا هو رب العالمين *(ومن فروع
علم الازياج)* وهي صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما يخص كل كوكب من طرق حركته وما
أدى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب
في أفلاكها الاى وقت فرض من قبل حساب حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ولهذا
الصناعة قوانين كالمقدمات والاصول لها في معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية وأصول متقدمة
من معرفة الأوج والمضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول
مرتبة تسهلا على المتعلمين وتسمى الازياج ويسمى استخراج مواضع الكواكب لوقت المقرض لهذا
الصناعة تعديلا وتقويما للناس فيه تأليف كثيرة للتقدمين والمتأخرين مثل البتاني (١) وابن السككاد
وقد عول المتأخرون لهذا العهد بالغرب على زيج منسوب لابن اسحق بن منجيم تونسي في أول المائة
السابعة ويزعمون أن ابن اسحق عول فيه على الرصد وأن يهوديا كان بصقابة ماهرا في الهيئة والتعالم
وكان قد عني بالرصد وكان يبعث اليه ما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها فكان أهل المغرب
لذلك عنوا به لونا فاة مبناه على ما يزعمون والخصص ابن البتاني آخر سمى المنهاج فولع به الناس لما سهل من
الاعمال فيه وانما يحتاج الى مواضع الكواكب من الفلك لتنبئ عليها الاحكام النجومية وهو معرفة
الآثار التي تحدث عنها باوضاعها في عالم الانسان من الملب والدول والموايد البشرية كما نبينه بعد وتوضح
فيه ادلتهم ان شاء الله تعالى والله الموفق لما يحبه ويرضاه لا معبود سواه

(علم المنطق)

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود والمعرفة للآليات والحجج المقيمة للتصديقات ودلائل ان
(١) قوله البتاني يفتح الموحدة وتشديد المنناة كما ضبطه ابن خلدون في ترجمته قبيل آخر الحمددين اه

الحزم والكفاية والصدق والامانة وتكون التولية للغنا لا للهوى وملأك الولايات وأساسها ان لا يولي الأعمال طالب لها ولا رغب
فيها روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي رجل فلما سلمنا عليه قال صاحبي يا رسول
الله استعملني فقال عليه السلام انا لا نستعمل على عملنا من أرادته فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما عرفت الذي في نفسه (وقد روى)

عن نزيهه وقد قيل له ما بال ملك آل ساسان صار امره الى ما صار اليه قال لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال والله درع وبن
العاصي حيث قال موت الف من العيلة اقل ضرر رامن ارتفاع واحد من السفلة وقال العلامة بن أيوب غضب المأمون على بعض اصحابه
غضبا شديدا ثم قال له لا املك الله (٢٩٢) او يبلغك دولة السفلى وقال رجل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لرجل قد آذاه

أدركت امرأة الصبيان
وقال المستوعر الا كبروكان
قد عرفى الجاهلية ثمانية
سنة
وماسقطت يوما من الدهر
أمة

الى الذل الان يسود
ذميمة
اذا ساد فمنا بعد ذلك لثمننا
تصدى لنا ذل وقد اديها
وما قادها للخير لا يجرب
عليه باقبال الامور كرمها
وما كل ذى لب يعاش
بفضله

ولكن لتدبير الامور
حكيمها

واعلموا ان معظم ما يدخل
على الدول من الفساد من
تقليد الاعمال اهل
الحرص عليهم لانه لا يخطبها
الاصل في ثوب ناسك
وذئب في مسلاخ عابد
حريص على جمع الدنيا
نايل دينه وحروده دليل
على الخيانة يتخذون عباد
الله حولا واماوالمهم دولا واذا
اهتضمت حقوق المسلمين
واكثرت اموالهم فسدت
نياتهم وقلت طاعتهم
فانتقضت الامور ودب
الفساد الى الممالك وقد
ذكرنا في اول الكتاب

الاصل في الادراك انما هو المحسوسات بالحواس الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الادراك من
الناطق وغيره وانما يتميز الانسان عن ابدراك الكليات وهى مجردة من المحسوسات وذلك بان يحصل في
الخيال من الاشخاص المتفقة صورة منطبقة على جميع تلك الاشخاص المحسوسة وهى الكلى ثم ينظر
الذهن بين تلك الاشخاص المتفقة واشخاص أخرى توافقه في بعض فيحصل له صورة تنطبق ايضا عليهم
باعتبار ما تتفق فيه ولا يزال يرتقى في التجريد الى الكل الذى لا يحد كليا آخر معه يوافقه فيكون لاجل ذلك
يسمى طاو هذا مثل ما يجرد من اشخاص الانسان صورة النوع المنطبقة عليها ثم ينظر بينهم وبين الحيوان
ويجرد صورة الجنس المنطبقة عليهم ما ثم ينظر ماو بين النبات الى ان يتنهي الى الجنس العالى وهو الجوهر
فلا يحد كليا يوافقه في شئ فيقف العقل هناك عن التجريد ثم ان الانسان لما خلق الله له الفكر الذى
به يدرك العلوم والصنائع وكان العلم اما تصورا للمساهايات ويعنى به ادراك ساذج من غير حكم معه واما
تصديقاى حكما بثبوت امر لا مرفصا راسعى الفكر في تحصيل المطالبات اما بان تجمع تلك الكليات بعضها
الى بعض على جهة التاليف فتحصل صورة في ذهن كليمه منطبقة على افراد في الخارج فتكون تلك
الصورة الذهنية مقيدة لمعرفة ماهية تلك الاشخاص واما بان يحكم بأمر على أمر فيثبت له ويكون ذلك
تصديقا وغايته في الحقيقة راجعة الى التصور لان فائدة ذلك اذا حصل انما هى رفعة حقائق الاشياء
التي هي مقتضى العلم وهذا السعى من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد فدافقضى
ذلك تمييز الطريق الذى يسعى به الفكر في تحصيل المطالب العلمية لتمييزها الصحيح من الفاسد فكان ذلك
قانون المنطق وتكلم فيه المتقدمون اول ما تكلموا به بجلا وجلا ومفترقا ولم تهذب طرقه ولم تجمع مسائله
حتى ظهر في يونان ارسطو فذهب مباحثه ورتب مسائله وفصوله وجعله اول العلوم الحسكية وفاقحتها
ولذلك يسمى بالعلم الاول وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى النص وهو يشتمل على ثمانية كتب اربعة
منها في صورة القياس وأربعة في مادته وذلك ان المطالب التصديقية على الخفاء فمنها ما يكون المطلوب فيه
اليقين بطبعه ومنها ما يكون المطلوب فيه الظن وهو على مراتب فينظر في القياس من حيث المطلوب الذى
يفيده وما ينبغى ان تكون مقدماته بذلك الاعتبار ومن أى جنس يكون من العلم او من الظن وقد ينظر
في القياس لابعبار مطلوب مخصوص بل من جهة انتاجه خاصة ويقال للنظر الاول انه من حيث المادة
ونعني به المادة المنتجة للمطلوب المخصوص من يقين او ظن ويقال للنظر الثانى انه من حيث الصورة وانتاج
القياس على الاطلاق فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية الاول في الاجناس العاللة التي ينتهى اليها
تجريد المحسوسات وهى التي ليس فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات والثاني في القضايا التصديقية
واصنافها ويسمى كتاب العبارة والثالث في القياس وصورة انتاجه على الاطلاق يسمى كتاب القياس
وهذا آخر النظر من حيث الصورة ثم الرابع كتاب البرهان وهو النظر في القياس المنتج لليقين وكيف
يجب ان تكون مقدماته يقينية ويختص بشروط أخرى لافادة اليقين مذ كورة فيه مثل كونها ذاتية
وأولية وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعارف والحدود اذا المطلوب فيها انما هو اليقين لوجوب
المطابقة بين الحد والحد ولا تحتتمل غيرهما فلذلك اختصت عند المتقدمين بهذا الكتاب والخامس كتاب
المجدل وهو القياس المفيد قطع المشاغب وإفهام الخصم وما يجب أن يستعمل فيه من المشهورات ويختص

الا تارفى كراهية الولايات (وقال المأمون) ما فتى على قط فتى في مملكتى الا وجدت سببه جورا لعمال
(فان قيل) فامعنى قول يوسف عليه السلام للملك اجعلنى على خزان الارض انى حفظ علمي (قلنا) يوسف كان نبيا من انبياء الله تعالى وانما
من نفسه بالكفاية والامانة بين يدي من لا يتحقق بواطن أسراره ولا يعلم خصائصه وفضائله ويرى الامور والاعمال والولايات في

أيدي من ليسوا أهلها ويجوز مثل هذا اليوم لمن حصل بين يدي جبار لا يعلم منزلته ولا ما عنده من الخصال والقضائل أن يذ كر بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيسلم بذلك من شره وعن هذا قال بعض أصحاب الشافعي إذا كان القضاء في يده من لا يصلح له وجب أن بخطبه من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وفقهاء الامصار على خلاف هذا الرأي (٢٩٣) ويحتمل أن يكون يوسف عليه السلام قد أوحى إليه بما يصير

أمره الله من الملك والعدل ونشر كلمة الاسلام فلهذا نبه على نفسه ومن عجيب ما يروى في هذا الباب ان لقمان الحكيم كان عبدا أسود حبسا غليظا الشفتين مصفح القدمين لامرأة من بني الحسحاس وكان جلسا لداود عليه السلام فأتاه جبريل عليه السلام بالنبوة من عند الله الذي يصطفى النبوة من يشاء فقال لقمان يا جبريل ان أرى في ربي فسمع وطاعة وان خيرني اخترت الحكمة فرضى الله تعالى قوله فأعطاه الحكمة وصرف عنه الرسالة الى داود عليه السلام فكان داود يقول طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة أوتي داود البلية وروى أنه جالس داود عليه السلام وداود يعمل الدروع فأقام حولا يصير صنعة الدروع ولا يعلم ما يصلح له ولا يسأل عن ذلك فلما تم حول لبس داود الدرع وقال درع حصينة ليوم حرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله وكان عمر بن الخطاب

أيضا من جهة افادته لهذا الغرض بشروط أخرى من حيث افادته لهذا الغرض وهي مذ كورة هناك وفي هذا الكتاب يذ كر المواضع التي يستنبط منها صاحب القياس قياسه وفيه عكوس القضايا والسادس كتاب السقطة وهو القياس الذي يفيد خلاف الحق ويغالط به المناظر صاحبه وهو فاسد وهذا انما كتب لي عرف به القياس المغالطي فيحذر منه * والسابع كتاب الخطابة وهو القياس المقيس لترغيب الجمهور وجههم على المراد منهم وما يجب ان يستعمل في ذلك من المقالات ■ والثامن كتاب الشعر وهو القياس الذي يفيد التمثيل والتشبيه خاصة للاقبال على الشيء أو النقرة عنه وما يجب ان يستعمل فيه من القضايا التحيلية هذه هي كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين ثم ان حكماء اليونانيين بعد ان تهذبت الصناعة ورتبت رأوا انه لا بد من الكلام في الكلمات الخمس المقيمة للتصور فاستدركوا فيها مقالة تختص بهام مقدمة بين يدي الفن فصارت تسع وترجت كلها في الملة الاسلامية وكتبها وتدو لها فاسقة الاسلام بالشرح والتلخيص كما فعله الفارابي وابن سينا ثم ابن رشد من فلاسفة الاندلس وابن سينا كتاب الشفاء اسـ تعجب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها ثم جاء المتأخرون بغير واصـ طلاح المنطق والحكمة واما بالنظر في الكلمات الخمس عمرته وهي الكلام في المحـ ودور الرسوم نقـ لوها من كتاب البرهان وحـ دقوا كتاب المقولات لان نظر المنطق فيه بالعرض لا بالذات والمحـ قوا في كتاب العبارة الكلام في العكس لانه من توابع الكلام في القضايا ببعض الوجوه ثم تكلموا في انقياس من حيث انتاجه للطالب على العموم لا بحسب مادة وحـ دقوا النظر فيه بحسب المادة وهي الكتب الخمسة البرهان والمجلد والخطابة والشعر والسقطة ودرجها لم يعلم بعضهم باليسـ ير منها الماسما وأغفلوها كان لم تكن وهي المهـ م المعتمد في الفن ثم تكلموا فاعلموا وضـ موه من ذلك كلاما مستبحرا ونظروا فيه من حيث انه فن برأسه لانه من حيث انه آلة للعلوم فطال الكلام فيه واتسع وأول من فعل ذلك الامام فخر الدين بن الخطيب ومن بعده افضل الدين الخوينجي وعلى كتبه معتمد المشاركة لهذا العهد وله في هذه الصناعة كتاب كشف الاسرار وهو طويل واختصر فيها مختصر الموجز وهو حسن في التعليم ثم مختصر الجـ ل في قدر أربعة اوراق اخذ بمجامع الفن وأصوله فتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كان لم تكن وهي مئة من ثمر المنطق وفادته كما قلناه والله الهادي للصواب

١٨ * (الطبيعية)

وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فينظر في الاجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعدن وما يتكون في الارض من العيون والزلازل وفي الجيوم السحاب والبخار والعدو والبرق والصواعق وغير ذلك وفي مبداء الحركة للاجسام وهو النفس على تنوعها في الانسان والحيوان والنبات وكتب ارسطو فيه موجوده بين أيدي الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة أيام المأمون وألف الناس على حذوها وأوعب من ألف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء جمع فيه العلوم السبعة للفلاسفة كما قدمنا ثم خصه في كتاب النجاة وفي كتاب الاشارات وكانه يخالف ارسطو في الكثير من مسائلها يقول برأيه فيها واما ابن رشد فلخص كتب ارسطو وشرحها متبعه لغير مخالف وألف الناس في ذلك كثير لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتبرة في الصناعة ولا هل المشرق عناية

رضي الله عنه اذا بحث عاملا اشتراط عليه أن لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا يأكل النقي ولا يتخذ حاجبا ولا يغلق بابا عن حوائج الناس وما يصلحهم ويقول له اني لا استعملك على إشارهم ولا أعرضهم ولا أعلمهم وانما استعملك لتصلى بهم وتقضي بينهم بالعدل (وروى) عبيدة بن رفاع قال بلغ عمر بن الخطاب أن سعد بن أبي وقاص اتخذ قصر اوجعـ ل عليه بابا وقال انقطع الصوت فأرسل عمر محمد بن

مسئلة وكان عمر اذا أحب ان يؤتى بالامر كما هو عليه بعنه فقال له انت ساعد افارق عليه ما به فقدم الكوفة فلما اتى الباب أخرجه فزنده واستورى ناراً ثم أحرق الباب فأتى سعاد الخبر ووصف له بصفته فعرفه فخرج اليه سعاد فقال له محمد انه قد بلغ أمير المؤمنين انك قلت انقطع الصوت خلف سعاد بالله (٢٩٤) ما قال ذلك فقال له محمد فعل الذي أمرنا له ونؤدى عنك ما تقول ثم ركب راحلته

فلما كان بين البرية أصابه من الحمى والجوع ما الله به أعلم فأبصر غمها فأرسل غلامه بعمامة فقال اذهب فابتع منهم شاة فجاء الغلام بالشاة وهو يصلى فاراد ذبحها فاشار الله أن كف فلما قضى صلاته قال انظر فان كانت مملوكة فاسمها فارد الشاة ونخذ العمامة وان كانت حرة فاذبح الشاة فذهب فاذا هي مملوكة فرد الشاة واتخذ العمامة فاخذ بخطام ناقته ففعل لا يمر ببقلة الا خطفها حتى آواه الليل الى قوم فأتوه بخبز وابن وقالوا لو كان عندنا شيء غير هذا اتيناك به فقال بسم الله كل حلال اذهب السعيب خير من ما كل السوء حتى قدم المدينة فقبل بأهله فابتعد من الماء ثم راح فلما أبصره عمر رضي الله عنه قال له لو لا حسن الظن بك ما رأينا انك أديت وذكر وانته أسرع السير فقال قد فعلت وهو يعتذر ويخلف بالله ما قال فقال عمر هل أمر لك بشئ قال ما رأيت مكاناً ان تأمرلى فقال عمران ارض العراق

بكتاب الاشارات لابن سينا وللإمام ابن الخطيب عليه شرح حسن وكذا الامدى وشرحه ايضا نصير الدين الطوسي المعروف بنجواحه من أهل المشرق وبحث مع الامام في كثير من مسائله فأوفى على انظاره وبحبونه وفوق كل ذي علم عليم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

١٩ * (علم الطب) *

ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة برأى المرض بالادوية والاغذية بعد أن يثبث المرض الذي يخص كل عضو من اعضاء البدن وأسباب تلك الاغراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الادوية مستدلين على ذلك باخرجة الادوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أولاً في السحجية والفضلات والنفض محاذين لذلك قوة الطبيعة فانها المدبرة في حالتي الصحة والمرض وانما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشيء بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب ويرى ما افردوا بعض الاعضاء بالكلام وجعلوا علماً خاصاً كالعين وعلاؤها وأكحالها وكذلك الحكة وبالغن من منافع الاعضاء ومعناها والمنفعة التي لاجلها خلقت كل عضو من اعضاء البدن الحيواني وان لم يكن ذلك من موضوع علم الطب الا أنهم جمعوا له من لواحقه وتوابعه وامام هذه الصناعة التي ترجمت كتبه فيهم من الاقدمين جالينوس يقال انه كان معاصراً لعيسى عليه السلام ويقال انه مات بصعقة في سبيل تغلب ومطابقة اغتراب وتآليفه فيها هي الامهات التي اقتدى بها جميع اطباء بعده وكان في الاسلام في هذه الصناعة ائمة جاؤا من وراء الغاية مثل الرازي والجوسي وابن سينا ومن اهل الاندلس ايضا كثير وأشهرهم ابن زهر وهى هذا العهد في المدن الاسلامية كانها تقتصت لوقوف العمران وتناقصه وهى من الصنائع التي لا تستدعيها الا الحضارة والترفع كما ينبغي بعد

(فصل ل) وللبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص متوارثين عن مشايخ الحمى وبخائزهم وما يصح منه البعض الا انه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المزاج وكان عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث بن كادة وغيره والطب المنقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس من الوحي في شئ وانما هو امر كان عادياً للعرب ووقع في ذكر احوال النبي صلى الله عليه وسلم لم من نوع ذكر احواله التي هي عادة وجيلة لا من جهة ان ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل فانه صلى الله عليه وسلم لم انما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال انتم أعلم بما موردينا كم فلا ينبغي أن يحمل شئ من الطب الذي وقع في الاحاديث الصحيحة المنقولة على أنه مشروع فليس هناك ما يدل عليه الا انهم اذا استعملوا على جهة التبرك وصدق العقد الايمانى فيكون له اثر عظيم في النفع وليس ذلك في الطب المزاجي وانما هو من آثار الحكمة الايمانية كالموقع في مداواة المبطون بالعسل والله الهادى الى الصواب لا رب سواه

٢٠ * (الفلاحة) *

هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهى النظر في النبات من حيث تنميته وتشتؤ به بالسقى والعلاج

أرض ريفية وان أهل المدينة يموتون حولي من الجوع فخشيت أن آمر لك بشئ يكون لك بارده ولى الحار وروى زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يدعى هنياعلى الحمى فقال يا هنياعلى اضمم جناحك عن المسلمين واتق دعوة المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة وأدخل رب الصريمة والغنيمة ويا لك ونعم ابن عوف ونعم ابن عقان فانهم ان تهلك ماشيتهم

يرجعان الى زرع ونخل وان رب الصرىمة والغنيمه ان تهلك ماشيتهم ما يتنى بسببه فقول يا امير المؤمنين افتاركم انال اباالك فاما
والكلالة يسرع على من الذهب والورق وايم الله انهم ليرون انى قد ظلمتهم انما التلاذهم قاتلوا عليهم فى الجاهلية واسلموا عليهم فى الاسلام
والذى نفسى بيده لولا المسال الذى اُجل عليه فى سبيل الله ما حيت عليهم من بلادهم شبرا (٢٩٥) (ومر) يوم ايناه يبنى بحجارة وجص
فقال لمن هذا فاذكر والله

انه لعامل من عماله على
البحرين فقال اُبت الدراهم
ان لا تخرج أعناقها وقاسمها
ماله (وكان) يقول لى على
كل خائن أمينان الماء
والطين وكان أنوشروان
يكتب على عهد العمال
سبس خيار الناس بالخبرة
واخرج للامة الرغبة

بالرغبة وسس سقلة الناس
بالاخافة (وقال) سليمان
ابن داود عليهم السلام كما
يصلح المهمز للفرس والرسن
للحمار كذلك يصلح القضب
لظهر الجاهل وفى الامثال
من لم يصلح بالدين اصلح
بالثلبين وقال هلال
ابن سنان استعمل النبي
صلى الله عليه وسلم المقداد
على سرية فلما رجع قال
له النبي صلى الله عليه وسلم
كيف رايت الامارة ابا
مغيرة قال خرجت يا رسول
الله وما أدري أن فى فضلا
على أحد من القوم فإنا
رجعت الا وكانهم عبيدى
قال وكذلك الامارة ابا مغيرة
الامن وقاه الله شرها قال
والذى بعثك بالحق لا اعمل
على عمل أبدا (وقيل)
لعمربن الخطاب رضى

وتعمده بمثل ذلك وكان للقدمين بها عناية كثيرة وكان النظر فيها عندهم عاما فى النبات من جهة غرسه
وتتميته ومن جهة خواصه وروحانيته ومشاكلها الروحانيات الكواكب والهيكل المستعمل ذلك كله
فى باب السحر فخطمت عنانهم به لاجل ذلك وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية
منسوبة لعلاء النبط مشتملة من ذلك على علم كبير ولما نظرا هل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب
وكان باب السحر سدودا والنظر فيه محظورا فاقصروا منه على الكلام فى النبات من جهة غرسه وعلاجه
وما يعرض له فى ذلك وحذفوا الكلام فى الفن الاخر منه جملة واخصروا بن العوام كتاب الفلاحة النبطية
على هذا المنهج وبقي الفن الاخر منه مغفلا نقل منه مسلمة فى كتبه السحرية امهات من مسائله كما نذكره
عند الكلام على السحر ان شاء الله تعالى وكتب المتأخرين فى الفلاحة كثيرة ولا يعدون فيها الكلام فى
الغراس والعلاج وحفظ النبات من دوائجه وعوائقه وما يعرض فى ذلك كله وهى موجودة

٢١ * (علم الالهيات) *

وهو علم ينظر فى الوجود المطلق فأولا فى الامور العامة للجسمانيات والروحانيات من المساهبات والوحدة
والكثر والوجوب والامكان وغير ذلك ثم ينظر فى مبادئ الموجودات وانها روحانيات ثم فى كيفية صدور
الموجودات عنها ومراتبها ثم فى احوال النفس بعد مفارقة الاجسام وعودها الى المبدأ وهو عنددهم علم
شريف يزعمون أنه يوقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه وان ذلك عين السعادة فى زعمهم وسيأتى الرد
عليهم وهو قال للطبيعيات فى ترتيبهم ولذلك يسمى علم ما وراء الطبيعة وكتب المعلم الاول فيه موجودة بين
أيدي الناس ولخصه ابن سينا فى كتاب الشفاء والنجاء وكذلك لخصها ابن رشد من حكماء الاندلس ولما
وضع المتأخرون فى علوم القوم ودونوا فيها وورد عليهم الغزالي ما رد منها ثم خلط المتأخرون من المتكلمين
مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة لعموضها فى مباحثهم وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الالهيات
ومسائلهم بمسائلها فصارت كأنها فن واحد ثم غير وترتيب الحكماء فى مسائل الطبيعيات والالهيات وخطوطهما
فناوا حدادوا الكلام فى الامور العامة ثم اتبعوه بالمجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها الى آخر
العلم كما فعله الامام ابن الخطيب فى المباحث المشروقة وجميع من بعده من علماء الكلام وصار علم الكلام
مختلط بمسائل المحكمة وكتبه محشوة بها كان الغرض من موضوعها ومسائلها ما واحد وانس ذلك على
الناس وهو غير صواب لان مسائل علم الكلام انما هى عقائد متلقاة من الشريعة كما نقلها السلف من غير
رجوع فيها الى العقل ولا تعويل عليه معنى انها لا تثبت الا به فان العقل زول عن الشرع وانظار وما
تحدث فيه المتكلمون من اقامة الحجج فليس يحشأ عن الحق فيها فالتعليل بالدليل بعد ان لم يكن معلوما هو
شأن الفلسفة بل انما هو التماس حجة عقلية تعضد عقائد الايمان ومذاهب السلف فيها وتدفع شبه اهل
البدع عنها الذين زعموا ان مداركهم فيها عقلية وذلك بعد ان تقرض صحيحة بالدلة النقلية كما نقلها السلف
واعتمدوها وكثير ما بين المقامين وذلك ان مدارك صاحب الشريعة اوسع لا تساع نطاقها عن مدارك
الانظار العقلية فهى فوقها ومحاطة بها لاسمادها من الانوار الالهية فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف
والمدارك الحاط بها فاذا مدانا الشارع الى مدرك فينبغى ان تقدمه على مداركنا ونشقى به دونها ولا ننظر فى
تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه بل نعتد ما امرنا به اعتقادا وعلمنا ونسكت عما لم نفهم من ذلك ونفوضه

الله عنه ما يمنع أن تفشى العمل فى الافاضل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال هم أجل من أن أدنسهم بالعمل وقال ابراهيم
لنخعي كان عمر اذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعن يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود
المريض فإن قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا كتب اليه أن أقبل ومثل السلطان اذا ولى العمال الظالمين مثل من يسترعى غنمه الذئاب

ومثل من يربط الكلب العقور بياحه وان العامة تشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوذ به المالك بن مروان لانه استرعاه الرعية وقد قيل ومن يربط الكلب العقور بياحه * فعقر جميع الناس من رباط الكلب وكان العلامة بن أيوب لما ولي فارس من قبل المأمون يكتب عهد العمال فيقرؤه (٢٩٦) على من يحضره من أهل ذلك العمل ويقول أنتم عبوني عليه فاستوفوه منه ومن تظلم الى منه

الى الشارع ونعزل العقل عنه والمتكلمون انفساد عاهم الى ذلك كلام اهل الاتحاد في معارضات العقائد السلفية بالبدع النظرية فاحتاجوا الى الرد عليهم من جنس معارضاتهم واستدعى ذلك الحجج النظرية ومحاذاة العقائد السلفية بها وأما النظر في مسائل الطبيعيات والاهليات بالتصحيح والبطل لان فليس من موضوع علم الكلام ولا من جنس انظار المتكلمين فاعلم ذلك لتمييزه بين الفئتين فانهم ما يختلطان عند المتأخرين في الوضع والتأليف والمحق ومغايرة كل منهما صاحبه بالموضوع والمسائل وانما جاء الالتباس من اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتياج اهل الكلام كانه انشاء لطلب الاعتداد بالدليل وليس كذلك بل انما هو رد على المخددين والمطلوب مقرر وض الصدق معلوم وكذا جاء المتأخرون من غلاة المتصوفة المتكلمين بالمواد ايضا فخلطوا مسائل الفئتين بينهم وجعلوا الكلام واحدا فيها كلها مثل كلامهم في النبوات والاتحاد والحوال والوحدة وغير ذلك والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متغايرة مختلفة وأبعد هاهنا من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة لانهم يدعون فيها الوجدان ويفرون عن الدليل والوجدان بعيد عن المدارك العلمية وابحاثها وتوابعها ككيفية ونسبته والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والله اعلم بالصواب

٢٢ * (ع- علوم السحر والطلسمات) *

هو علم بكيفية استعدادات تقدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر ما يغير معين او يجمعين من الامور السماوية والاول هو السحر والثاني هو الطلسمات ولما كانت هذه العلوم معجزة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة الى غير الله من كوكب او غيره كانت كتبها كالمفكود بين الناس الاما وجد في كتب الامم الاقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط والكلدانيين فان جميع من تقدمه من الانبياء لم يشعروا بالشرائع ولا جاؤا بالاحكام انما كانت كتبهم مواظ ووحيد الله وتذ كبريا الجنة والنار وكانت هذه العلوم في اهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي اهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التاليف والالتزام ولم يترجم لنا من كتبهم فيها الا القليل مثل الفلاحة النبطية من اوضاع اهل بابل فاخذ الناس منها هذا العلم ونفخوا فيه ووضعوا به ذلك الاوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندى في صور الدرج والكواكب وغيرهم ثم ظهر بالشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة فتصنع كتب القوم واستخرج الصناعات وخصص على زبدتها واستخرجها ووضع فيها غير هاهنا التاليف واكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء لانها من توابعها لان احالة الاجسام النوعية من صورة الى اخرى انما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو من قبيل السحر كما نذكره في موضعه ثم جاء مسلمة بن اجداجرى بطى امام اهل الاندلس في العالم والسحريات فخلص جميع تلك الكتب وهدبها وجمع طرقها في كتابه الذى سماه غاية الحكيم ولم يكتب احد في هذا العلم بعده ولتقدم ههنا مقدمة يبين بها حقيقة السحر وذلك ان النفوس البشرية وان كانت واحدة بالنوع فهى مختلفة بالخواص وهى اصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد في الصنف الاخر وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصنعة فانفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام لها خاصية تستعدها لمعرفة الربانية ومحاطة باللائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر وما يتبع

فعل انصافه ونفقه جانيا وراجعا ويا امر العمال ان يقرأ عهد على اهل عمله في كل جمعة ويقول لهم هل استوفيتم (الباب الرابع والخمسون في هدايا العمال والرشا على الشفاعات) روى ابو داود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من شفيع لاخيه شفاعة فاهدى له هدية عليها فقبلها فقد اتى بابا عظيما من ابواب الربا والسر فيه انك اذا قدرت على قضاء حاجة من عند السلطان الظالم او الباطل الفاهرة صار ذلك واجبا عليك وروى البخارى في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا يقال له ابن الانبية فلما جاء قال يا رسول الله هذا لكم وهذا الى قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما بال الرجل نستعمله على عمل من اعمالنا فيقول هذا لكم وهذا الى افلا قعد في بيت ابيه وامه فينظر هل يهدى له قال مالك وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشاطر

العمال في اخذ نصف اموالهم وشاطر ابا هريرة وقال له من اين لك هذا المال فقال ابو هريرة دواب تناجحت وتجارا تداوات فقال اذا لشطر وانما شاطرهم حين ظهرت لهم اموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم وروى مالك عن ابن عمر انه اشترى هو وعبيد الله اخوه ابلا فبعثا بها الى الحمى فرعت فقال جر رعية فى الحمى فشاطرها وشاطرها عن ابى

وقاص حين قدم من الكوفة كأنه رأى أن ما أصاب العامل من غير رشوة وإن كان حلالاً فلا يستحق ذلك لأن له بالامرة قوة على أن ينال من الحلال ما لا يناله غيره ففعله كالمضارب للمسلمين ولم يدفع أبو موسى الأشعري ما لا من يثبت المال لعبد الله وعبيد الله أبي ع- ر بن الخطاب بالبصرة اشترى ما منه بضاعة فربحت بالمدينة فأراد عمران يأخذ جميع الربح فربا (٢٩٧) عبيد الله فحكم بينهم بنصف الربح

فأخذ جميعه نصف الربح وأخذ عمر النصف لبيت المال (وكتب) عمر بن عبد العزيز إلى عماله أما بعد فأنما هلك من كان قبلكم بمنعهم الحق حتى يشتري وبسطهم الباطل حتى يفتدي الملك بالدين يقوى والدين بالمال يبقى (وكان) عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر إذا قدم عليه العمال أن يدخلوا نهرا ولا يدخلوا البلاكي لا يحتجبوا شيئا من الأموال وقال عتاب بن أسيد والله ما أصبت في عملي الذي ولاني النبي صلى الله عليه وسلم الأثويين مع قدين كسوتهم مامولاي كيسان وروى أن عليا رضي الله عنه استعمل أباه مسعود الانصاري على السواد فرجع إلى داره وقد امتلأت فقال ما هؤلاء قالوا كذلك يصنعون بالرجل إذا استعمل قال كل هؤلاء يريدون أن يأكلوا في أمانتي ويروى في أمارتي فرجع إلى علي وقال لا حاجة لي في العمل وقد ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سبرة ليستعمله فقال يا رسول الله

ذلك من التأثير في الاكوان واستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية او شيطانية فاما تأثير الانبياء فقد دلهي وخاصة ربانية ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات بقوى شيطانية وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الاخر والنفوس الساحرة على مراتب ثلاثة يأتي شرحها فاولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر والثاني بعين من مزاج الافلاك او العناصر او خواص الاعداد ويسمونه الطلسمات وهو اضعف رتبة من الاول والثالث تأثير في القوى المتخيلة - له مد صاحب هـ ذ التأثير الى القوى المتخيلة فيتنصرف فيها بنوع من التصرف ويليقي فيها أنواعا من الخيالات والمخاكات وصورا مما يقصده من ذلك ثم ينزلها الى الحس من الرائيين بقوة تنقل المؤثرة فيه فينظر الراؤن كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك كما يحكي عن بعضهم انه يرى البساتين والانهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك ويسمى هـ ذاعدا الفلاسفة الشعوذة او الشعنة وهذا تفصيل مراتبهم ثم هذه الخاصية تكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها وانما تخرج الى الفعل بالرياضة والرياضة السحر كلها انما تكون بالتوجه الى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية والاشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذالك توجه الى غير الله وسجود له والوجهة الى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفرا والاكفر من مواده واسبابه ككرايات ولهذا اختلف الفقهاء في قتل الساحر هل هو لكفره السابق على فعله أو لنصرته بالافساد وما ينشأ عنه من الفساد في الاكوان والكل حاصل منه ولما كانت المرتبتان الاوليان من السحر حقيقة في الخارج والمرتبة الاخيرة الثالثة لاحقيقة لها اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة أو انما هو تخيل فالتاثلون بان له حقيقة ونظروا الى المرتبتين الاوليين والتاثلون بان لاحقيقة له ونظروا الى المرتبة الثالثة الاخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الامر بل انما جاء من قبل اشتباه هذه المراتب والله أعلم وواعلم ان وجود السحر لا مزية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن قال الله تعالى ولكن الشياطين كفر وأيعلمون الناس السحر وما أنزل على المالكين بابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولانما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهم ما يفرقون به بين المرعوز وجهه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله وسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل اليه انه يفعل الشيء ولا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاق وقوف طاعة ودفن في برذر وان فانزل الله عز وجل عليه في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرأ على عقة دة من تلك العقد التي سحر فيها الا انحلت واما وجود السحر في أهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسر يانين فكثير ونطق به القرآن وجاءت به الاخبار وكان للسحر في بابل ومعمر ازمان بعثة موسى عليه السلام أسواق نافقة ولهذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من آثار ذلك في البرابي بصعيد مصر وشواهد دالة على ذلك ورأينا بالعيان من بصور صورة الشخص المسحور بخواص اشياء مقابلة لمساوئه وحاوله موجودة بالمسحور وأمثال تلك المعاني من أسماء ووصفات في التأليف والتفريق ثم يتكلم على تلك الصورة التي أقامها مقام الشخص المسحور وعينا أو معنى ثم ينفث من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتكرير مخارج تلك الحروف من الكلام السوء ويعقد على ذلك المعنى في سبب أعداءه لذلك تفاؤلا بالعقد والالزام وأخذ العهد

(٣٨ - ابن خلدون) اختلني قال اقدم في بيتك وفي الامثال ان الهدية تسمى وتضم وقال بعض الحكماء الرشوة رشاء الحاجة واشد بعضهم اذا أتت الهدية دار قوم تطايرت الامانة من كواها (ولبعضهم) ان الهدية حلوة كالسحر تجتلب القلوب تدني البعيد من الهوى حتى يصير قريبا وترد مضطغن العداوة بعد جفوة جيبيا (ومما قلته في الرشوة) وأكرم من يدق الباب شخص

تقبل الجمل مشغول بالدين ينوء اذا شئ نفسه ونفخا * ويتطعم بابه بالركبتين وأكرم شافع يمشي عليها * أبو المنقوش فوق الصقعتين
(وقلت أيضا) اذا كنت في حاجة مرسلًا * وأنت بانجازها مغرم فاسرل باكم خلاصة * به صمم أعطش أبكم
ودع عنك كل رسول سوى * (٢٩٨) رسول يقال له الدرهم (وكتب) عبد الملك بن مروان الى قاضيه الحرث بن عامر وقد

أوتشني بكرمه
اذا رشوة من باب بيت
تحت
لنساكن فيه والامانة فيه
سعت هر بامنه ووات
كانها
حليم تولى عن جواب سفيه
*(الباب الخامس
والخمسون في معرفة
حسن الخلق)*
اعلموا أرشدكم الله تعالى ان
هذا الباب مما غلط الخلق
فيه وقبلوا القوس ركوة
فعمدوا الى أخلاق العامة
وخلائق الغوغاء والادنياء
وما يجري بينهم اذا تلاقوا
وتعاشروا من الافراط في
مدح بعضهم بعضا وتعاظمهم
الكذب والتصنع والمق
والمراآة والمعاريض عن
الامور المكنونة التي يسوء
اظهارها والافتخار في سلك
المزاج والمهاترة فهذا وما
أشبهه عندهم من حسن
الخلق وهو عندنا نقض
ما نص الله عليه ورسوله
من حسن الخلق فاول ذلك
أن تعلم أنه لم تحتوا الارض
على بشر أحسن خلقا من
محمد صلى الله عليه وسلم
فكل من تخلف باخلاق
رسول الله صلى الله عليه

على من أشرك به من الجن في نفسه في فعله ذلك استشعارا للعزيمة بالعزم ولتلك البنية والاسماء السبعة روح
خبيثة تخرج منه مع النفخ متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفث فتزل عنها أرواح خبيثة ويقع عن ذلك
بالمسحور ما يحاوله الساحر وشاهدنا بضامن المنتحلين للمسحور وعمله من يشير الى كساء أو جلد ويحكم عليه في
سره فاذا هو مقطوع متفروق ويشير الى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج فاذا امأوها ساقطة من بطونها
الى الارض وسعدنا ان بارض الهند هذا العهد من يشير الى انسان في تحت قلبه ويقع ميتا ويقتب عن قلبه فلا
يوجد في حشاه ويشير الى الرمانة وتفتح فلا يوجد من حبو بها شئ وكذلك سمعنا ان بارض السودان وأرض
الترك من يسحر السحاب فيمطر الارض المخصوصة وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب في الاعداد
المختابة وهي رك رفد أحد العددين مائتان وعشرون والآخر مائتان وأربعة وعشرون ومعنى المختابة
ان اجزاء كل واحد التي فيه من نصف وثلاث وربع وسدس وخمس وامثالها اذا جع كان مساويا للعدد
الآخر صاحبها فتسمى لاجل ذلك المختابة ونقل اصحاب الطلسمات أن لتلك الاعداد أثر في الالفه بين
المختابين واجتماعهم اذا وضع لهم امثالان أحدهما بطالع الزهرة وهي في بيتها اوشرفها ناطرة الى القمر
نظرمودة وقبول ويجعل طالع الثاني سابع الاول ويضع على أحد التمانين أحد العددين والآخر على
الآخر ويقصد بالاكثر الذي يراد ان تلافه أعني المحبوب ما أدري الاكثر كية أو الاكثر اجزاء فيكون
لذلك من التأليف العظيم بين المختابين ما لا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر قاله صاحب الغاية وغيره من
أئمة هذا الشأن وشهدت له التجربة وكذا طالع الاسد ويسمى أيضا طالع المحصى وهو ان يرسم في قالب
هنداصبع صورة أسد شائلا ذنبه عاضا على حصة قد قسمها بنصفين وبين يديه صورة حبة منسابة من
رجليه الى قبالة وجهه فاغرة فاهالي فيه وعلى ظهره صورة عقرب يتدب ويختبئ برسمه حلول الشمس
بالوجه الاول او الثالث من الاسد بشرط صلاح النيرين وسلامتهما من النحوس فاذا وجد ذلك وعثر عليه
طبع في ذلك الوقت في مقدار المثلقال فادونه من الذهب وغمس بعد في الزعفران محلولا بماء الورد ورفع
في خرقة حريرة فقرأ فأنهم يزعمون ان لمسكه من العز على السلاطين في مباشرتهم وخدمتهم وتسخيرهم له
ما لا يعبر عنه وكذلك للسلاطين فيه من القوة والعلو على من تحت أيديهم كذلك ايضا اهل هذا الشأن
في الغاية وغيرها وشهدت له التجربة وكذلك وفق المسدس المختص بالشمس ذكره أنه يوضع عند حلول
الشمس في شرفها وسلامتها من النحوس وسلامة القمر بطالع ملوكي يعتبر فيه نظر صاحب العاشر
لصاحب الطالع نظرمودة وقبول ويصلح فيه ما يكون في موايد الملوك من الادلة الشريفة ويرفع في خرقة
حريرة فقرأ بعد أن يغمس في الطيب فزعموا ان له أثر في صحابة الملوك وخدمتهم ومعاشرتهم وامثال
ذلك كثير وكتاب الغاية لمسلم بن أحمد النجريطي هو مدونة هذه الصنعة وفيه استيفاءها وكما لمساؤها
وذكر لنا ان الامام الفخر بن الخطيب وضع كتابا في ذلك وسماه بالمرالمكتوم وأنه بالمشرق يتداوله أهله
ونحن لم نقف عليه والامام لم يكن من أئمة هذا الشأن فيما نظن ولعل الامر بخلاف ذلك وبالمغرب صنف
من هؤلاء المنتحلين لهذه الاعمال المسخرة يعرفون بالبعجين وهم الذين ذكرت اولاً أنهم يشيرون الى
الكساء والجمل فينخرق ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتبعج ويسمى أحدهم لهذا الفه بياسم البعاج
لان أكثر ما ينتحل من السحر يعج الانعام يهرب بذلك اهلها ليعطوه من فضلها وهم مستترون بذلك في

وسلم أو قاربها أو بعضها كان أحسن الناس خلقا وكل خلق ليس يعد من أخلاقه صلى الله عليه وسلم
فليس من حسن الخلق وهذا فصل الخطاب في هذا الباب لمن عقل وانما أوتي الناس في هذا الباب لانهم استحسنوا الاخلاق العامة
واستحسنوا الاخلاق النبوية مجهلهم باخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم لموها أنا تلوع عليكم من أخلاق الانبياء والمرسلين والاولياء

والاصفياء والعلماء والصابحين مانرجوان ينفعنا الله وايالك به قال الله تعالى لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم
فخص الله نبيه من كريم الطبائع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بمآثره غير ثم ما اثبت الله تعالى عليه بشئ
من فضائله بمثل ما اثبت عليه بحسن الخلق فقال وانك لعلى خلق عظيم وعن هذا قال الشيوخ (٢٩٩) ان الله سبحانه دعا الخلق الى حسن

الخلق ودعائه عليه السلام

من حسن الخلق (قال عبيد الله بن عمير) قلت لعائشة

أم المؤمنين صفي لي خلق

رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقلت لي أما تقرأ القرآن

كان خلقه القرآن وحسبك

بهذا القول منقبة للرسول

صلى الله عليه وسلم وتعرف

لك بحسن الخلق فاذا كان

خلق النبي صلى الله عليه

وسلم القرآن فالقرآن يجمع

كل فضيلة ويحث عليها

وينهي عن كل نقيصة

ورذيلة وبوضوحها وببينها

ولذلك لما أنزل الله تعالى

خذ العفو وأمر بالعرف

وأعرض عن الجاهلین

قال النبي صلى الله عليه وسلم

ما هذا يا جبريل قال ان الله

تعالى يأمرک ان تصل من

قطعک وتعطي من حرمک

وتعفو عن ظلمک فهذا من

حسن الخلق كما ترى فانظر

اين اخلاق العامة من هذا

الخط وان احدهم يقطع من

وصله ويحرم من اعطاه

ويظلم من سالمه ويغضب

على من اتهمه وانما اقتصر

على هذه الكلمات لانها

أصول الفضائل وينبوع

المناقب لان في أخذ العفو

الغاية خوفا على أنفسهم من الحكم لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه بذلک وأخبر وفي ان
لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفرية واشراك الروحانيات الجن والكواكب سطرت فيها حقيقة
عندهم تسمى الخزيرية يتدارسونها وان بهذه الرياضة والوجهة يصلون الى حصول هذه الافعال لهم وان
التأثير الذي لهم انما هو فيعاسوى الانسان الحر من المنافع والحيوان والرقيق ويعبرون عن ذلك بقولهم
انما نفعل فيما تشي فيه الدراهم اى ما يملك ويبيع ويشترى من سائر المتكاملات هذا ما زعموه وسألت
بعضهم فاجابوني به وأما أفعالهم فظاهرة موجودة وقفنا على الكثير منها وعانيتنا من غير رغبة في ذلك هذا
شأن السحرة والطلسمات وآثارها في العالم فاما الفلاسفة فقروا بين السحرة والطلسمات بعد أن أثبتوا انهما
جميعا أثر للنفس الانسانية واستدلوا على وجود الاثر للنفس الانسانية بان لهما آثارا في بدنهما على غير الجحري
الطبيعي واسبابه الجسمية بل آثار عارضة من كيميائيات الارواح نارية كالسحونة المحادثة عن الفرح
والسرور ومن جهة التصورات النفسانية أخرى كالذي يقع من قبل التوهم فان الماشي على حرف حائط
او على جبل منتصب اذا قوى عنده توهم السقوط سقط بلا شك ولهذا تجد كثير من الناس يعددون
أنفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يمشون على حرف الحائط والجبل المنتصب ولا يخافون
السقوط فثبت ان ذلك من آثار النفس الانسانية وتصورها للسقوط من اجل الوهم واذا كان ذلك
اثر للنفس في بدنهما من غير الاسباب الجسمية الطبيعية فثابت ان يكون لها مثل هذا الاثر في غير
بدنها اذ نسبتها الى الابدان في ذلك النوع من التأثير واحدة لانها غير حالة في البدن ولا منطبعة فيه
فثبت انها مؤثرة في سائر الاجسام واما النفرة عندهم بين السحرة والطلسمات فهو ان السحر لا يحتاج
الساحر فيه الى معين وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب واسرار الاعداد وخواص
الموجودات وارضاع القلب المؤثرة في عالم العناصر كما يقوله المنجمون ويقولون السحر اتحاد روح
بروح والطلسم اتحاد روح بحسب ومعهناه عندهم ربط الطوائف العلوية السماوية بالطوائف السفلية
والطوائف العلوية هي روحانيات الكواكب ولذلك يستعين صاحبها في غالب الامر بالنجامة والساحر
عندهم غير ملتصب لسحره بل هو مقلد عندهم على تلك الجهة المختصة بذلك النوع من التأثير
والفرق عندهم بين المعجزة والسحر ان المعجزة قوة الهية تبعث في النفس ذلك التأثير فهو مؤثر بروح
الله على فعله ذلك والساحر انما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوة النفسانية وبامداد الشياطين في بعض
الاحوال فيمنهم ما الفرق في المعجزة والحقيقة والذات في نفس الامر وانما نستدل نحن على التفرقة
بالعلامات الظاهرة وهي وجود المعجزة اصحاب الخبير وفي مقاصد الخبير وللنفوس المتمحضة للخير
والتحدى بها على دعوى النبوة والسحر انما يوجد لصاحب الشر في أفعال الشرقي الغالب من التفرقة
بين الزوجين وضرر الاعداء وامثال ذلك وللنفوس المتمحضة للشر هذا هو الفرق بينهما ما عند الحكماء
الالهييين وقد يدور جدل بعض المتصوفة واصحاب الكرامات تأثير اضافي احوال العالم وليس معدودا من
جنس السحر وانما هو بالامداد الالهي لان طريقتهم ونجاتهم من آثار النبوة وتوابعها ولهم في الممدد
الالهي حظ على قدر حالهم وايمانهم وتمسكهم بكلمة الله واذا اقتدر احد منهم على افعال الشر فلا يأتها لانه
متمسك فيها بآتيه ويذره للامر الالهي فلا يقع لهم فيه الاذن لا يأتونه بوجه ومن آتاه منهم فقد عدل عن

صلة القاطع والصفح عن الظالم واعطاء المانع وفي الامر بالمعروف والتقوى الله وصلة الرحم ووصون اللسان وغض الطرف عن المحرمات وفي
تقوى الله يدخل جميع آداب الشرع فرضها ونفلها وفي الاعراض عن الجاهلین والصفح والحلم وقوة النفس عن معاراة السفه ومجاراة
يوح فهذه الاصول الثلاث تضمن محاسن الشرع نصا وتنبيها وضحا واعتبارا (وروي) انس قيل يا رسول الله أى المؤمنين أفضل قال

أحسنهم خلقا (وروى) أبو داود في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم لم قال بعثت لأتمم مكارم الأخلاق اقتضى الحديث أن كل نبي
مبعوث إلى أمة إنما بعث ليعلم الخلق حسن الخلق وأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الأخلاق فاذن حسن الخلق امتثال
الشرائع بأسرها (وروى) البخاري (٣٠٠) من ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا قال وان من أحبكم إلى

أحسنكم أخا لا قوا كان
النبي صلى الله عليه وسلم في
بعض أسفاره وعليه رداء
نجراني غليظ الحاشية
فجذبه أعرابي جبدة شديدة
حتى أثرت حاشية الرداء في
عنقه وقال يا محمد رمي من
مال الله الذي آتاك فلست
تأمرني بما لك ولا بما لآبئيك
فالتفت إليه النبي صلى الله
عليه وسلم وقال مروا له ولم
يكلمه بشيء (وروى) معاذ
ابن جبل أن النبي صلى الله
عليه وسلم لم قال له حسن
خلقك للناس يا معاذ بن
جبل * واعلموا أن الخلق
الحسن أفضل مناقب العبد
وبه يظهر جواهر الرجال
والإنسان مستور بخلقهم
مشهور بخلقهم ألا ترى أن
الله تعالى خص نبيه صلى
الله عليه وسلم بما خصه به
من الفضائل ثم لم يثن عليه
بشيء من خصاله بمثل ما أثنى
عليه بخلقهم وقال بعض
المفسرين في قوله تعالى
وانك لعلى خلق عظيم قال
لا تخاصم ولا تتخاصم من شدة
معرفتك بالله تعالى وقيل
لم يؤثر فيك جفاء الخلق
بعدم معرفتك بالحق وقال
الحاشية كظم الغيظ

طريق الحق وربما سلب حاله ولما كانت المعجزة بامداد روح الله والقوى الإلهية فلا ذلك لا يعارضها شيء
من السحر وانظر شأن سحرة فرعون مع موسى في معجزة العصا كيف تلقفت ما كانوا يأفكون وذهب
سحرة واضمحلت كان لم يكن وكذلك لما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم في المعوذتين ومن شر الغائيات
في المعوذات قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرؤها على عقدة من العقد التي سحر فيها إلا انحلت فالسحر
لا يثبت مع اسم الله وذكره وقد نقل المؤرخون أن فر كس كاويان وهي راية كسرى كان فيها الوفق المثبني
العدي منسوبا بالذهب في أوضاع فلكية صمدت لذلك الوفق ووجدت الراجية يوم قتل رستم بالقادسية
واقعة على الأرض بعد أن هزم أهل فارس وشه ماتهم وهو فمعا ترعهم أهل الطلسمات والالواق مخصوص
بالغلب في الحروب وان الراجية التي يكون فيها أومعها لا تنهزم أصلا إلا أن هـ ذه عارضها المدد الإلهي من
إيمان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بكامة الله فانحل كل عقد سحري ولم يثبت
وبطل ما كانوا يعملون وأما الشريرة فلم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كله بابا واحدا محظورا لأن
الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهتدي به في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا وفي معاشنا الذي فيه صلاح
دينانا وما لا يهتدي به في شيء منه ما فأن كان فيه ضرر أو نوع ضرر كالسحر المحاصل ضرره بالوقوع ويلحق به
الطلسمات لأن أثرهما واحد وكالتجامة التي فيها نوع ضرر رباعية التأثير فسد العقيدة الإيمانية ببرد
الأمور إلى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل محظورا على نفسه في الضرر وإن لم يكن مهما علينا ولا فيه
ضرر فلا أقل من أن تركه قربة إلى الله فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فجعلت الشريرة بابا
السحر والطلسمات والشعوذة بابا واحدا لما فيه من الضرر وخصه بالتحريم وأما الفرق عندهم
بين المعجزة والسحر فالذي ذكره المتكلمون أنه راجع إلى التحدي وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه
قالوا أو السحر مصروف عن مثل هذا التحدي فلا يقع منه وقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير
مقدور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية لأن صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال
الصدق كاذبا وهو محال فإذا لا تقع المعجزة مع الكاذب بطلاق وأما الحكماء فالفرق بينهم ما عندهم كما ذكرناه
فرق ما بين الخير والشر في نهاية الطرفين فالساحر لا يصد منه الخير ولا يستعمل في أسباب الخير وصاحب
المعجزة لا يصد منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر وكانها على طرفي النقيض في أصل فطرتها ما والله
يهدي من يشاء وهو القوى العزيز لا رب سواه

(فصل) ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية الإصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعبان عندما يستحسن

بعينه مدركا من الذوات أو الأحوال ويقرط في استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم معه

سلب ذلك الشيء عن اتصف به فيؤثر فسادا وهو جملة فطرية أعني هذه الإصابة بالعين والفرق بينهما وبين

التأثيرات وان كان منها ما لا يتسبب ان صدوره راجع إلى اختيار فاعلمها والفطرية منها قوة صدورها لا

نفس صدورها ولهذا قالوا القاتل بالسحر أو بالكرامة يقتل والقاتل بالعين لا يقتل وما ذلك إلا لأنه ليس مما

يريد ويقتصد به أو يتركه وإنما هو مجبور في صدوره عنه والله أعلم بما في الغيوب ومطلع على ما في السرائر

٢٢ * (علم أسرار الحروف) *

وهو المسمى لهذا العهد بالسميائيل وضمة من الطلسمات اليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة

واظهار الطلاقة والبشر لا المبتدع أو فاجر إلا ان يكون فاجرا إذا انبسطت استحياء والعقود عن الزاين الاباد أو

اقامة حدو كلف الذي عن كل مسلم ومعاهد لا التغيير منكر أو أخذ مظلة مظالم فهذا حسن الخلق وقيل حسن الخلق ان لا تتغير عن يقف

في الصف بجنبك (وقيل) لا لا يخف من تعلمت حسن الخلق قال من قيس بن عاصم المنقري قال بينهما هو ذات يوم جالس في داره اذ جاءته

فاستعمل

خادم له بسعة ودع عليه شوائف فسقط من يده ما فوق على ابن له فبات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وكان
ابن عمر اذا رأى واحدا من عبده يحسن الصلاة يعتقه فغير فوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مما آتاه فـ كان يعتقه فقيل له في
ذلك فقال من خدعنا في الله اتخذنا له وقال الفضيل لوان امرأ احسن الاحسان كله (٣٠١) وكانت له دجاجة واساء اليها لم

يكن من المحسنين (وكان
الحجاسي) يقول فقدنا ثلاثة
اشياء حسن الوجه مع الصيانة
وحسن القول مع الامانة
وحسن الاخاء مع الوفاء وقال
الحسن بن علي رضوان الله
عليه عنوان الشرف حسن
الخلق وكان عبد الله بن
محمد الرازي يقول حسن
الخلق استغفار ما منك
واستغاث ما اليك (وقال
سهل) حسن الخلق ان لا
تطمع فيما ليس لك وليس
بهذه الصفة أحد الا الله
تعالى وقيل حسن الخلق
تحمل انقال الخلق وقال
شاه الكرمان في علامة حسن
الخلق كف الاذى واحتمال
المؤن وقيل حسن الخلق
ان تكون من الناس
قريباً وفيما بينهم غريباً
وقيل حسن الخلق قبول ما
يرد عليك من جفاء الخلق
وقضاء الحق بلا ضجر ولا
قلق وقيل الخلق الحسن
احتمال المكروه بحسن
المدارة (وقالت امرأة)
لما لك بن دينار يا مرأتى
فقال يا هذه وجدت اسمي
الذي أضله أهل البصرة
وفي الحديث ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان تسعوا

فاسـ عمل استعمال العام في الخاص وحـ ذلك هـ ذا الـ لم في الملة بعد صدر منها وعند ظهـ ور الغلاة من
المتصوفة وجنوحهم الى كشف حجاب المحس وظهور الخوارق على أيديهم هو التصرفات في عالم العناصر
وتدوين الكتب والاصطلاحات ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبهم وزعموا أن السكـ
الاسمائي مظاهره اواح الافلاك والكواكب وان طبائع الحروف وأسرارها سارية في الاسماء فهي
سارية في الكوان على هذا النظام والا كوان من لدن الابداع الاول تمتلئ في اطواره وتعرب عن اسرار
في ذلك علم أسرار الحروف وهو من تعاريف علم السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله
تعدت فيه ما لا يحصى لف البوني وابن العربي وغيرهما من أتباع آثارهما وواحدة له عندهم ومثيرة تصرف
النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالاسماء المحسنى والكلمات الالهية الناشئة عن الحروف المحيطية بالاسرار
السارية في الكوان ثم اختلقوا في سر التصرف الذي في الحروف بما هو غفيم من جعله للزاج الذي فيه وقسم
الحروف بقسمة الطبائع الى اربعة اصناف كما للعناصر واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع
التصرف في طبيعتها فلا وانفعالا بذلك الصنف فتشعرت الحروف بقانون صناعي يسعون به التكسير الى
نارية وهو اثنىة وماثية وترابية على حسب تنوع العناصر فالالف للنار والباء للهواء والجيم للماء والـ
للتراب ثم ترجع كذلك على التوالي من الحروف والعناصر الى أن تنفذ فتعين لعنصر النار حروف سبعة الالف
والحاء والطاء والميم والقاف والسين والذال وتعين لعنصر الماء سبعة أيضاً الباء والواو والياء والنون والضاد
والتاء والظاء وتعين لعنصر الهواء سبعة أيضاً الكاف والصاد والقاف والـ والغين وتعين لعنصر
التراب أيضاً سبعة الدال والحاء واللام والعين والراء والخاء والـ والسين والحروف النارية لدفع الامراض الباردة
ومضاعفة قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها محاسناً أو حكاماً كما في تضعيف قوى المريح في الحروب
والقتل والقتل والمائية أيضاً لدفع الامراض الحارة من حيات وغيرها وتضعيف القوى الباردة حيث
تطلب مضاعفتها محاسناً أو حكاماً كما في تضعيف قوى القمر وأمثال ذلك ومنهم من جعل سر التصرف الذي في
الحروف للنسبة العددية فان حروف الابداع على اعدادها المتعارفة وضوابطها فيهن من أجل تناسب
الاعداد تناسب في نفسها أيضاً كما بين الباء والكاف والراء دلالاتها كما على الـ من كل في مرتبة فالباء
على اثنين في مرتبة الـ واحد والكاف على اثنين في مرتبة العشرات والراء على اثنين في مرتبة المئين وكذلك
بينها وبين الدال والميم والتاء دلالاتها على الاربعة وبين الاربعة والـ اثنين نسبة الضعف وخرج للاسماء
أوافق كمال الاعداد حيث كل صنف من الحروف بصنف من الاوافق الذي يناسبه من حيث عدد الشكل
أو عدد الحروف وامتزج التصرف من السر المحرف والسر العـ دى لاجل التناسب الذي بينهن ما فاما سر
التناسب الذي بين هذه الحروف وأمرجة الطبائع أو بين الحروف والاعداد فأمرس على القهـ اذ ليس
من قبيل العـ لوم والقياسات وانما مستندهم فيه الذوق والكشف البوني ولا ننظر أن سر الحروف
كما يتوصل اليه بالقياس العقلي وانما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الالهى وأما التصرف في عالم
قوله ترتيب طبائع الحروف عند المغاربة غير ترتيب المشارقة ومنهم الغزالي كما ان الجمل عندهم مخالف
في ستة أحرف فان الصاد عندهم بستين والضاد بتسعين والسين المهمة بثلاثمائة والظاء بثلاثمائة والعين
بثلاثمائة والسين بالنف ام

الناس باموالهم ولكن سعوهم بسط الوجه وحسن الخلق (وروى) ان أبا عثمان اجاز بسكة وقت الهجـ فالتقى عليه من فوق سطح
طست رماذ فغير أصحابه بسطوا ألسنتهم في الملقى فقال أبو عثمان لا تقولوا شيأ من استحق ان يصب عليه النار فصوصح على الرماد لم يميز
ان يغضب وقيل لبراهيم بن ادهم هل فرحت في الدنيا قط قال نعم مرتين احدهما كنت قاعد اذ ات يوم فجاء انسان فيال على والثانية

كنت جالسا فاجاء انسان فصنعني (وكان اويس القرني) اذ ارآه الصبيان رموه بالحجارة وكان يقول ان كان لابد فارموني بالحجارة الصغار كي لا تدموا على ساق فتتبعوني الصلاة (وروي) ان عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعا ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال نعم (٣٠٢) قال فما جعلك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك ففككاسات قال امض فانت حروجه

الله وهذا كالتري قوة الهية
يقرغها الله على المصطفين
من عباده واهل الصفوة
من اوليائه لا تترى الى قوله
تعالى فيمارة من الله
لنت لم ولو كنت فضا غلظ
القلب لا نقضوا من حولك
فخره عن حقائق البشرية
والبسمة من نعوت الربوبية
حتى قواه على صحتها
وصبره على تبليغ الرسالة
اليهم مع الذي كان يقاسيه
من اخلاقهم مع كونه
مستغرقا باستيلاء الحق
تعالى عليه يختص برحمته
من يشاء وقال النبي صلى
الله عليه وسلم لم المؤمن
ألف مألوف ولا خير فيمن
لا يألوف ولا يؤلف وانما
سمى بالآدمي لانه تألف
من الجواهر والالوان
(وقال عليه السلام)
لرجلين متباغضين آدم
الله بينهما كما أي ألف بينكما
ومنه سمي الادمي كقول
لانه يؤلف الطعام ويحسنه
ومنه قول النبي صلى الله
عليه وسلم لرجل اراد ان
يتزوج امرأة انظر اليها فانه
أخرى ان يؤدم بينكما أي
يؤلف بينكما وروي ان
معمروفا الكرخي نزل الدجلة

الطبيعة بهذه الحروف والاسماء المر كبة فيها وتأثرا لا كوان عن ذلك فأمر لا ينكر لثبوتها من كثير منهم
تواتر او قد يظن ان تصرف هؤلاء وتصرف اصحاب الطلسمات واحد وليس كذلك فان حقيقة الطلسم
وتأثيره على ماحقه اهله أنه قوى وروحانية من جوهر القهر تفعل فيما له ركب فعل غلبة وقهر بأسرار
فلكية ونسب عديدة وبخورات جالبات لروحانية ذلك الطلسم شديدة فيه بالمهمة فائدتها ربط الطبايع
العلوية بالطبايع السفلية وهو عندهم كالخبرة المر كبة من هواثية وأرضية ومائية ونارية حاصلات في جملتها
تجمل وتصرف ما حصلت فيه الى ذاتها وتقبله الى صورتها وكذلك الا كسير للاجسام المعدنية كالخبرة
تقلب المعدن الذي تسرى فيه الى نفسها بالا حالة ولذلك يقولون موضوع الكيمياء جسد في جسد لان
الا كسير اجزاء كلها جسدانية ويقولون موضوع الطلسم روح في جسد لانه ربط الطبايع العلوية بالطبايع
السفلية والطبايع السفلية جسد والطبايع العلوية روحانية وتحقق الفرق بين تصرف أهل الطلسمات
وأهل الاسماء بعد أن تعلم أن التصرف في عالم الطبيعة كما انما هو للنفس الانسانية والمهم البشرية ان
النفس الانسانية محيطة بالطبيعة وحكمة علمها بالذات الا أن تصرف أهل الطلسمات انما هو في استئصال
روحانية الافلاك وربطها بالصور أو بالنسب المعدنية حتى يحصل من ذلك نوع مزاج يفعل الاحالة
والقلب بطبيعته فعل الخيرة فيما حصلت فيه وتصرف اصحاب الاسماء انما هو بما حصل لهم بالمجاهدة
والكشف من النور والاهي والامداد الرباني فيمضغ الطبيعة لذلك طائفة غير مستعصية ولا يحتاج الى مدد
من القوى الفلكية ولا غيرها لان مدده أعلى منها ويحتاج أهل الطلسمات الى قليل من الرياضة تقدر
النفس قوة على استئصال روحانية الافلاك وأهون بها وجهة وزياضة بخلاف أهل الاسماء فان رياضتهم
هي الرياضة الكبرى وليست لقصد التصرف في الاكوان اذ هو حجاب وانما التصرف حاصل لهم بالعرض
كرامة من كرامات الله لهم فان خلاصا صاحب الاسماء عن معرفة أسرار الله وحقائق الملكوت الذي هو نتيجة
المشاهدة والكشف واقتصر على مناسبات الاسماء وطبايع الحروف والكلمات وتصرف بهما من هذه
الحقيقة وهؤلاء هم أهل السيمياء في المشهور كان اذا لفرق بينهم وبين صاحب الطلسمات بل صاحب
الطلسمات أوثق منه لانه يرجع الى اصول طبيعية عليية وقوانين مرتبة وأما صاحب اسرار الاسماء اذا
فاته الكشف الذي يطالع به على حقائق الكلمات وآثار المناسبات بقوات الخلوص في الوجهة وليس له
في العلوم الاصطلاحية قانون برهاني يعمل عليه يكون حاله أضعف رتبة وقديم زج صاحب الاسماء قوى
الكلمات والاسماء بقوى الكواكب فيعلم ان كرامات الاسماء المحسني أو ما يرسم من أوقافها بل واسائر
الاسماء أوقافا تكون من حظوظ الكواكب الذي يناسب ذلك الاسم كقوله البوني في كتابه الذي
سماه الاغصاط وهذه المناسبات بقية عندهم هي من لدن الحضرة العمانية وهي برزخية الكمال الاسماء
وانما تنزل تفصيلها في الحقائق على ما هي عليه من المناسبات واثبات هذه المناسبات عندهم انما هو
بحكم المشاهدة فاذا خلاصا صاحب الاسماء عن تلك المشاهدة وتلقى تلك المناسبات بتقليد كان عمله بمثابة
عمل صاحب الطلسم بل هو أوثق منه كما قلناه وكذلك قديم زج ايضا صاحب الطلسمات عمل وقوى
كواكبه بقوى الدعوات المؤلفة من الكلمات الخصوصية لمناسبة بين الكلمات والكواكب الا أن
مناسبة الكلمات عندهم ليست كما هي عند اصحاب الاسماء من الاطلاع في حال المشاهدة وانما

يتوضأ ووضع مصحفه ولم يفته فجاهت امرأة فاخذتها فبنتها معروف وقال يا أختي انما معروف

يرجع

باب اس عليك الب ابن يقرأ قالت لا قال فزوج قالت لا قال فهاقي المصحف ونحذي الثوب (وروي) ان ابا ذر كان على حوض يسقي اباه
فأفسر عن بعض الناس اليه فانه كسر الحوض فجلس ثم اضطجع فقبل له في ذلك فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا اذا غضب الرجل

ان يجلس فان ذهب عنه والا فليضطجع (وقال علي بن ابي طالب) رضي الله عنه اننا لصانع كفارني قطعها وقال ابو ذر اننا لنكسر في وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم وقال الحرث بن قيس يعجبني من القراء كل ما يلقى مضجعا فاما الذي تلقاه بدمرو يلقاك بعبوس من عليك بسلامه فلا اكثرت الله في المسلمين مثله وقال عمرو بن الزبير مكتوب في الحكمة (٣٠٣) بني لتكن كلمات طيبة وليكن

وجهك طلقا وتكن
أحب الى الناس من
يعطيهم العطاء ومن يعصب
صاحب السوء لا يسلم ومن
يعصب صاحب الصالح لا ينج
(وروي) ان ابراهيم بن
أدهم خرج الى بعض
البراري فاستقبله جندي
فقال له ابن العمران فاشار
الى المقبرة فضرب رأسه
فاوضحه فلما جاوزة قيل له
هذا ابراهيم بن أدهم زاهد
خراسان فخافه يعتذر اليه
فقال انك لما ضربتني
سألت الله لك الجنة فقال
لم فقال قد علمت اني اؤجر
على ذلك فلم ارد ان يكون
نصيبي منك الخير ونصيبي
من النهر (وحكي) أن
أبا عثمان الحيري دعا
انسان الى ضيافة فلما وافى
باب الدار قال يا أستاذ ليس
لي وجه في دخولك وقد
ندمت فانصرف رجلا
الله فرجع أبو عثمان فلما
وافى منزله عاد اليه الرجل
وقال يا أستاذ ندمت وأخذ
يعتذر وقال احضر الساعة
فقام أبو عثمان ومضى
معه فلما وافى دراهم قال
مثل ما قال في الاولى وأخذ
يعتذر ثم كذلك في الثالثة

يرجع الى ما اقتضته اصول طريقهم المتحررة من اقسام الدكا كبحر جميع ما في عالم المكنونات من
جواهر واعراض وذوات ومعاني والحروف والاسماء من جملة ما فيه فليكن واحد من الدكا كبحر
قسم منها يخصه ويدنون على ذلك مبانى غريبة منكرة من تقسيم سور القرآن وآية على هذا النحو
كما له مسجلة الجري في الغاية والظاهر من حال البو في انما طهانه اعتبر طريقتهم فان تلك
الانماط اذا تصفعتها وتصفت الدعوات التي تضمنتها وتقسيمها على ساعات الدكا كبحر السبعة
ثم وقفت على الغاية وتصفت قيامات الدكا كبحر التي فيها وهي الدعوات التي تختص بكل كوكب
يسمونها قيامات الدكا كبحر اي الدعوة التي يقام له بها - هـ ذلك امامانه من مادتها اوبان
التناسب الذي كان في اصل الابداع وبرزخ العلم قضى بذلك كله وما أوتيت من العلم الا قليلا
وايس كل ما حرمه الشارع من العلوم يذكر الثبوت فقد ثبت ان المتحرر حق مع حظره لكن حسنا من العلم
بما علمنا (ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج الاجوبة من الاسئلة) * بارتباطات بين الكلمات
حرفية يوهمون انها اصل في معرفة ما يحاولون علم من الكائنات الاستقبالية وانما هي شبه المعاينة
والمسائل السبالية ولهم في ذلك كلام كثير من ادعية وأعجبه زياره العالم السبتي وقد تقدم ذكرها ونسب
عنا ما ذكره في كيفية العمل بتلك الزياره بدائرها وجدولها المكتوب حولها ثم نكشف عن الحق فيها وانما
ليست من الغيب وانما هي مطابقة بين مسئلة وجوابها في الافادة فقط وقد أشرنا الى ذلك من قبل وليس
هنا دار واية يعول عليها في صحة هذه القصيدة لانا نذكر هنا اصح النسخ منها في ظاهر الامر والله الموفق بعه

وهي هذه
يقول سبتي ويحمد ربه ■ مصل على هادي الناس أرسلا
حجج المبعوث خاتم الانبيا ■ ويرضى عن الصحب ومن لهم تلا
الاهذه زياره العالم الذي ■ تراه بحيك وبالعقل قد خلا
من احكم الوضع فيحكم جسمه ■ يدرك احكاما تدبرها العلا
ومن احكم الربط فيدرك قوة ■ ويدرك للتعوى وللحل حصلا
ومن احكم التصريف فيحكم سره ■ ويعقل نفسه وصحله الولا
وفي عالم الامر تراه محققا ■ وهذا مقام من بالاذكار كمالا
فهذه سر اثر عليكم بكتهم ■ اقها دوائر والحاء عدلا
فطاء لها عرش وفيه نقوشنا ■ بنظم ونثر قد تراه محجولا
ونسب دوائر كنسبة فلما كها ■ وارسم كواكب لادراجها العلا
واخرج لاوتار وارسم حروفها ■ وكور بمثل على خدم خلا
أقمش كل ذي يره وسويوته ■ وحق بهامهم ونورهم جلا
وحصل علوم الطباع مهندسا ■ وعلم الموسيقى والارباع مثلا
وسو لموسيقى وعلم حروفهم ■ وعلم باللات فيحق وحصلا
وسودوائر ونسب حروفها ■ وعلمه اطلق والاقليم جدولا
أميرنا فهو نهاية دولة ■ فنانة آت وحكم لها خلا

والرابعة وأبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال يا أستاذ انما أردت اختبارك والوقوف على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويمدحه فقال أبو
عثمان لا تمدحني على خالق تجده مثله مع الكلاب فالكلاب اذا دعى حضر واذا جرح انزعج (وروي) ان بعض الفقراء نزل على جعفر بن
حنظلة وكان جعفر يخدمه والفقير يقول نعم الرجل أنت لولم تكن يهوديا فقال له جعفر عقيب ذلك لا تقدر فيما تحتاج اليه من الخدمة

فصل في تعسف الشفاء على الهداية (وروي) ان ابا جعفر القمودي المتعبد لقيه بعض الاجناد معه كلب لصيد فقال له خذ هذا الكلب وقده خلقي فاني فضر ب راسه بالسوط حتى اوجعه فقال له بعض المنارين ويحك هذا ابو جعفر القمودي العابد فنزل عن فرسه وجعل يقبل يديه ويعتذ راليه فقال أنت (٣٠٤) في حل قال ابراهيم بن الحسن سمعت ابراهيم القمودي ليالي عديده اذا فرغ من خربه في

جوف الليل يدعو ويقول اللهم اغفر لصاحب الكلب ارجه (وقيل) مكتوب في الانجيل عبيد اذكرني حين تغضب اذكرني حين تغضب وقال بعض المفسرين في قوله تعالى وقولوا للناس حسنا أي كل من لقيته فقل له حسنا من القول وقال لقمان لابنه ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاثة المحل عند الغضب والنجاع في الحرب والآخر عند الحاجة اليه وروي ان عبد الله الخياط كان له مجوسي يخيط عنده الثياب ويدفع له دراهم زيوفا وكان عبد الله يأخذها فجاء المجوسي يوما بالدرهم فلم يجده فاعطاها التلميذه فلم يقبلها فدفع له صحاحا فلما رجع عبد الله قال تلميذه وهذه دراهم المجوسي وذكر قصته فقال عبد الله بئس ما فعلت انه معاملي بهذه المعاملة منذ اعوام وانا اصبر عليها والقيها في البئر لئلا يغربها غيري (وروي) ان معاوية نظر الى ابنه يزيد يضرب أمة له فقال أتضرب من لا تتمتع منك لقد حالت

وقطر لا ندلس فابن لمودهـم ■ وجاء بنو نصر وظفرهـم تلا ملوك وفرسان واهل الحكمة * فان شئت نصهم وقطرهـم حلا ومهدى توحيد بنونس حكمهـم * ملوك وبالشرق بالافاق نزلا واقسم على القطر وكن منقدا * فان شئت للروم فبالحرشكلا ففئس وبرشون الراعزهم * وافر نسهم بال وبالطاء مكلا ملوك ككناوة ودلوله قافهم * واعراب قومنا بترقيق اعلا فهند حباشي وسند فهرمس * وفرس طاطاري وما بعدهم طالا فقصرهـم حاءو يزدجردهـم ■ لكاف وقبطهم بلامه طولا وعباس كاهـم شريف معظم * ولا كن تركي بذال الفعل عطلا فان شئت تدقيق الملوك وكلهم * ففتح بيوتهم نسب وجدولا على حكم قانون الحر وفعلها * وعلم طبائعها وكماله مثلا فن علم العلم لم يعلمنا * ويعلم اسرارها لوجودها ككلا فبرسخ علمه ويعرف ربه ■ وعلم ملاحيم بحساميه فصلا وحيث اتى اسم والعروض يشقه * فحكم الحكيم فيه قطعا ليعتلا وتأتبك أحرف فسـ وانضربها * وأحرف سيبويه تأتبك فصلا فيمكن بتذكير وقابل وعوض * بترنيم الغالي للأجزاء خللا وفي العدة والمجزوم يعرف غالبا ■ وزد لبح وصفه في العقل فعلا وانحتر لمطلع وسـويه رتبة * واعكس بحذريه وبالذور عدلا ويدركها المره فيبلغ قصده * وتعطى حروفها وفي نظامها انجلا اذا كان سعدا والكوكب أسعدت * ففسبك في الملك ونيل اسمه العلا وايقاع دالمهم بمرموزة * فنسب دناديه التجديف فيه منلا وأوتار زيرهم فلهما بجهـم * ومثناهم المثلث بجيمه قدجلا وأدخل بافلاك وعدل بجدول * وارسم أبا جادو باقيه جلا وجوز شذوذ الكوتجبري ومثله * اتى في عروض الشعر عن جملة ملا فاصل لدينا واصل لفقها * وعلم لبحونا فاحفظ وحصلا فادخل لفسطاط على الوفق جذره * وسبح باسمه وكبروه ملا فتخرج ابياتنا وفي كل مطلب * ينظم طبيعى وسر من العـلا وتبقى بحصرها كذا حكم عدـم ■ فعلم القوانيخ ترى فيه منلا فتخرج أبياتنا وعشرون ضعفت * من الالف طبعا فباصاح جدولا تربك صنائعا من الضرب اكلمات ■ فصخ لك المني وصخ لك العـلا وسبح بـزيرهم وأثنى بـقرة ■ أقهادوا اثر الزير وحـصلا

القدرة بيني وبين أولى التراث وقال بعضهم أصل سوء الخلق ضيق القلب وضيقه على قسمين أدناه وأهونه ان لا يتسع لمراد الخلق وأقصاه وشده ان لا يتسع لمراد الحق وقال المحاسبي أصل سوء الخلق الإعجاب وهل يسوء خلق الرجل الا من يحبه وتكبره وانه لا يرى فوقه أحدا ولا يعرف قدر نفسه فقد اخله الغر وتقال الحسن في قوله تعالى وثيابك فطهر أى وخلقتك حسن

أقها

يستحب أن يكون المؤمن
وليس اطلاق الوجهه
والتبسم في وجه أخيك
منها عندها المكاره
ما ذكرناه في أول الباب من
التلق والتصنع وفصل
الخطاب في هذا الباب
ما روى هذين أبي هالة في
صفة مجلس النبي صلى
الله عليه وسلم فقال كان
أصحابه كلهم على رؤسهم
الطير ومعلوم أن من كان
على رأسه طائر لا يبرح
فانه لا يتحرك ولا يتكلم
ولا يطر فبعينه حذراً أن
يفر الطائر وقال ابن المقفع
كان لي صديق من أعظم
الناس في عيني وكان رأس
ما عظمه في عيني صغير الدنيا
في عينه كان خارجاً من
سلطان فرجه فلا يدعوا له
مؤنة ولا يستخف له رأياً
ولا بدناً وكان خارجاً من
سلطان الجاهة فلا يقدم
أبداً الا على ثقة بمنفعة كان
كثير دهره صامعاً فاذا قال
بدا الفاتلين وكان متضاعفاً
مستضعفاً فاذا جاء الحمد فهو
الليث عاديماً كان لا يدخل
في دعوى ولا يشرك في مرأى
ولا يدلي بحجة حتى يرى
قاضياً عدلاً وشهوداً عدلاً ولا

المجزر المحجوب في العمل
 ص ١٠ هـ ع ٥
 إقامة السؤال عن الملوك
 ع-ح-
 مقام الاولانور ع-و مقامها هـ حج لا
 * (الانفصال الروحاني والانتقاد الرباني) *

ايا طالب السر اهليل ربه * لدى اسمائه الحسنى تصادف منها
 طبيعة لك احياء الانام بقلوبهم * كذلك ريسهم وفى الشمس اعملا
 ترى عامة الناس اليك تقيدوا ■ وما قلته حقاً وفى الغير أهـ ملا
 طر يفت هذا السبل والسبل الذى ■ أقوله غـ يركم ونصر كـ واجتلى
 اذا شئت تحيا فى الوجود مع التقي ■ ودينا متينا اوتى كن متوصلا
 كذا النون والجند مع سر صـ نعة * وفى سر بسطام اراك مسر بلا
 وفى العالم العلوى تكون محرمنا * كذا قات الهند ووصوفية الملا
 طـ ريق رسول الله بالحق ساطع * وما حكم صنع منزل جـ بريل أنزلا
 فبطشك تهليل وقوسك مطلع * ويوم الخدس البدء والاحداثجلى
 وفى جمعة أيضا بالاسماء منهـ له * وفى اثنين للحسنى تكون مكمل
 وفى طائه سر وفى هائه اذا ■ اراك بها مع نسبة الكل أعظلا
 وساعة سعد شرطهـ فى نقوشها ■ وعود ومصلحـ كى بخور تحصلا
 وتـ لم عليها آخر الحشر دعوـ وة ■ والاخلاص والسبع المتانى مرتلا
 (اتصال أنوار الكواكب) * بله فى لاهى لا ظغش لـ سمع ق صـ ه فوى

وفي يدك اليماني حديد وخاتم * وكل براسك وفي دعوة فلا
وآية حشر فاجعل القلب وجهها * واتلوا اذ انام الانام ورتلا
هي السرفى الا كوان لاشئ غير هاهي الآية العظمى في حق وحصل
تكون بها اقربا اذا جدت خدمة ■ وتذكر أسراراً من العالم العلوي
سرى بها ناجى ومعروف قبله * وباح بها الحق لاجبها فاعقلا
وكان بها الشبلى يداب دائماً * الى ان رقى فوق المردين واعتلى
فصف من الانسان قلبك جاهدا * ولازم لا ذكار وصم وتنقل
فسال سر الله وملاحقه * عليم بأسرار العالم ومحصوله
عـ حـ وسلم عـ حـ حـ كـ لم مع الماع = سمعنا وعطونا الحذف كصرح بدم

*) مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وحب وتعشق
وفناء القناعت وتوجهه وراقبة وخلة دائمة*)
الانفعال الطبيعي

وكان لا يلوم أحدا على ما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره كان لا يشكو وجعا إلا إلى من
يرجوع عنده البر ولا صاحب إلا أن يرجع عنده النصيحة لها جميعا وكان لا يتبرم ولا يتعخط ولا يشتكي ولا ينتقم من الولي على العدو ولا
ينقل عن الولي ولا يخص نفسه دون أخوانه بشيء من اهتمامه وحياته وقوته فافق هذه الأخلاق فإن لم تطاق فخذ القليل خير من ترك

الجميع وروى ان حكيماً سمع رجلاً يذم الزمان وأهله وأنه قد فسد الناس ولم يبق أحد يحسب فقال له يا هذا أنت طلبت صاحباً يؤذيه فلا ينتصر وتسال منه فلا ينتصف وتأكل رحله ولا يرزؤك بشئ وتجفوع عليه فيحلم الم تنصف في الطلب فلم تجد حاجتك وليكن ان أردت صاحباً يؤذيك فلا تنتصر ويجفوك فلا تنتقم ويأكل رحلك فلا تسال منه شيئاً وجدت اصحاباً (٣٠٧) واخواناً واخلاناً وانا اول من يصيبك

❖ (فصل في الفرق بين المداينة والمداواة) ❖

من داري سلم ومن داهن اثم وهذا باب اختطاط على معظم الخلق فداهنواوهم يحسبون اثمهم يدارون فالمداهنة منهى عنها والمدارة مأثور بها قال الله تعالى في المداينة ودواو تدهن فدهنون وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المداواة راس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس وامرت بمداواة الناس

كما امرت باداء الغرائض (واعلم) انه اذا سقمت المداواة صارت مداينة فالمداهنة ان تداري الناس على وجه يذهب فيه دينك والمدارة تخالفهم على وجه يسلم لك دينك وذلك ان هذه الامة ترات على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قالت له قريش يا محمد اعبد آلهتنا سنة ونؤمن بك

فأبى قالوا فشهراً فأبى قالوا فبوماً فأبى قالوا ساعة فأبى قالوا فاستلمها بيدك ونؤمن بك فوقف النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وطمع ان يفعل ان يؤمنوا فأنزل الله تعالى ودواو تدهن

لبرجيس في المحبة الوفق صرفوا ❖ بقزدير او نحاس الخياط ❖ كدلا وقيل بفضة صحيحاً رأيت ❖ فجعل طالعاً خطوطه ماء لا توضح به زيادة النور للقر ❖ وجعل للقبول شمسه أصلاً ويومه والنجور عودهم ❖ ووقت لساعة ودعوته ألا ودعوته بغاية فهي أعلمت ❖ وعن طسمان دعوة ولها جلا وقيل بدعوة حرف لوضعها ❖ بحر هواء او مطالب أهلاً فتمنقش أحرفاً بدال ولا مها ❖ وذلك وفق لاربع حصلاً اذا لم يكن بهوى هواءك دلالها ❖ فدل ليمدواو زينب معطلا فحسن لبائنه وبائنه ❖ اذا ❖ هواءك وباقيهم قليله جلا ونقش مشا كل بشرط لوضعهم ❖ وما زدت انسيبه لفعلا عدلا ومفتاح مريم ففعلها ماسوا ❖ فمورى وبسطا على بسورتها تالا وجعلك بالقصد وكن متفقدا ❖ ادلة وحشي لقبضة مديلاً فأعكس بيوتها بالف ونيف ❖ فباطنها سر وفي سرها النجلا

❖ (فصل في المقامات للنهاية) ❖

للب الغيب صورة من العالم العلا ❖ وتوجد هادارا وملبسها الخلا ويوسف في الحسن وهذا شبيهه ❖ بنشر وترتيل حقيقة انزلا وفي يده طول وفي الغيب ناطق ❖ فيحكي الى عود يجابوب بلهلا وقدجن به لول بعشق جمالها ❖ وعند تجايب البس طام اخذلا ومات اجله واشرب حبها ❖ جنيد وبصري والجسم أهملها فطلب في التلهيل غاية هومن ❖ باسمائه الحسنى بالنسبة خلا ومن صاحب الحسنى له الفوز بالمنى ❖ ويسهم بالزاني لدى جيرة العلا وتخبى به بالغيب اذا جدت خدمة ❖ تريك عجائباً بمن كان موثلاً فهذا هو الفوز وحسن تناله ❖ ومنه ساريادات لنفس يرها تالا

❖ (الوصية والتختم والايمان والاسلام والتحرير والابهلية) ❖

فهذا قصيدنا وتسعون عده ❖ وما زاد خطبة وختم ما وجدولا عجت لآيات وتسعون عددا ❖ تولد اياتاً وما حصرها النجلا فن فهم السر فيهم نفسهم ❖ وفيهم نفسهم يران شباه أشكلا حرام وشري لاظهار سرنا ❖ لناس وان خصوا وكان التأهلا فان شئت أهله فغلظ عيهم ❖ وتفههم برحلة ودين تطولا لعل ان تنجو وسامع سرهم ❖ من القطع والافشا فترأس بالاعلا فنجل لابعاس لسره كاتم ❖ فنال سماعات وتابعه علا

فدهنون وقيل له ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً اذا لا ذنالك ضعف الحياة وضعف الممات ومثاله ان تقول للظالم ابقاك الله ومن دعا الظالم بالبقاء فقد أحب ان يعصى الله سبحانه وهذا باب ينبغي لذوى الدين حفظه وقد رأى بعض الفقهاء الخرج من هذه الهدية بالتعريض وكان الفقيه بن الحضر بقرطبة له جاز نصراني يقضي حوائجه وينفعه وكان الفقيه يكثر ان يقول ابقاك الله وتولاه

أقر الله عنك يسرى والله ما يسرك جعل الله يومى قبل يومك لا يتر بدع على هذه الكلمات فيتمسح النصرانى بها وتسره فعوتب القديس في ذلك فقال انما ادعو بعمار يرض قد علم الله ذلك من نيتى اما قولى ابقاك الله وتولاك فاريد ان يبقيه الله لغرم الجزية ويتولاها بالاعذاب واما قولى أقر الله عنك فاريد (٣٠٨) أن تقر حركتها بستر يعرض لها فلا تتحرك جفونها واما قولى يسرى والله ما يسرك فان

العافية تسرى كما تسره
وأما قولى جعل الله يومى
قبل يومك فاريد أن يجعل
الله تعالى اليوم الذى أدخل
فيه الجنة برجته قبل اليوم
الذى يدخل فيه النار بكفره
(الباب السادس والخمسون
فى الظلم وشؤمه وسوء
عاقبته) *
قال الله تعالى ومن لم يحكم
بما أنزل الله فأولئك هم
الكافرون وقال تعالى
ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الظالمون وقال
تعالى ومن لم يحكم بما أنزل
الله فأولئك هم الفاسقون
فكل من لم يحكم بما جاء
من عند الله ورسوله كذب
فيه هذه الاوصاف الثلاثة
الكفر والظلم والفسق
وقال سبحانه وتعالى ولا
تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون (وقال) أحمد بن
حضرويه لو أذن لى فى
الشفاعة ما بدأت الا بالظالمين
لانى ثبتت لعزبة الله تعالى
فى قوله ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون قال
ولا اغتتم سقر الا يكون
فيه من لا يؤذنى ويظلمنى
شوقا منى لعزبة الله تعالى
للظالمين وقال ميمون بن

وقام رسول الله فى الناس خاطبا * فن يراس عرشا فذلك اكلا
وقدر كى الارواح اجسادهم ظهر * فالت لقتلهم بدق تطولا
الى العالم العلوى يقى فناونا * ويلبس اثواب الوجود على الولا
فقدتم نظاما وصل الهنا * على خاتم الرسل صلاة بها العلا
وصلى اله العرش ذو الجحد والعلا * على سيد ساد الانام وكلا
محمد الهادى الشفي مع امامنا * واصحابه اهل المكارم والعلا

مرتبة مائة من المحله شرح اسع د م م ٨ ~ ا س ح و ط ع
وتعديل الكواكب عند كل تاريخ مطلوب د ش ر ك ل و و ه ا ه لوطرح الاوتار الكلية
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠
ح ادعو عو عو عو ص ح
كلمة الزايرة

*) كيفية العمل فى استخراج اجوبة المسائل من زايرة العالم بحول الله
منقولاً عن لقيناه من القاين عليها

السؤال له ثلث مائة وستون جوابا بعد هذه الدرج وتختلف الاجوبة عن سؤال واحد فى طالع مخصوص
باختلاف الاسئلة المضافة الى حروف الاوتار وتاسب العمل من استخراج الحرف من بيت القصيد
(تنبيه) * تركيب حروف الاوتار والمجدول على ثلاثة اصول حروف عربية تنقل على هياكلها وحروف
برسم الغبار وهذه تبدل فتم ما ينقل على هياكلها متى لم ترد الا دوائر اربعة فان زادت عن اربعة نقلت الى
المرتبة الثانية من مرتبة العشرات وكذلك المرتبة المائتين على حسب العمل كما سنبينه ومنها حروف برسم الزمام
كذلك غير ان رسم الزمام يعطى نسبة ثانية ففى بمنزلة واحد الف وبمنزلة عشرة وهى نسبة خمسة من خمسة
بالعربى فاستحق البيت من الجدول ان توضع فيه ثلاثة حروف فى هذا الرسم وحرفان فى الرسم فاخترنا
من الجدول بيوتاً خالية حتى كانت اصول الادوار زائدة على اربعة حسبت فى العدد فى طول الجدول وان لم
ترد على اربعة لم يحسب الا العاشر منها *) (والعمل فى السؤال يقتصر الى سبعة اصول) * عدة حروف الاوتار
وحفظ ادوارها بطرحها اثني عشر اثنى عشر وهى ثمانية ادوار فى الكامل وستة فى الناقص ابداء معرفة
درج الطالع وساطان البرج والدوران الاصل وهو واحد ابداء وما يخرج من اضافة الطالع للدور
الاصلى وما يخرج من ضرب الطالع والدور فى ساطان البرج واطافة ساطان البرج للطالع والعمل بجمعه
ينتج عن ثلاثة ادوار مضرورة فى اربعة تكون اثني عشر دورا ونسبة هذه الثلاثة الادوار التى هى كل دور
من اربعة نشأة ثلاثة كل نشأة لها ابتداء ثم انها تضرب ادوارا رباعية ايضا ثلاثة ثم انها من ضرب ستة فى
اثني عشر فكان لها نشأة يظهر ذلك فى العمل وينتج هذه الادوار الاثني عشر نتاج وهى فى الادوار اما ان
تكون نتيجة او اكثر الى ستة فأول ذلك نقرض سؤالاً عن الزايرة هل هى علم قديم او محدث بطالع
اول درجة من القوس اثنا عشر حروف الاوتار ثم حروف السؤال فوضعت حروف وتراس القوس ونظيره من

مهران كفى بهذه الاتية وعيد الاظلم وتعزبه للظلم وقال كعب لابي هريرة فى التوراة
من يظلم يخرب بيته فقال ابو هريرة وذلك فى كتاب الله تعالى فتلاب بيوتهم خاوية بما ظلموا فالظلم ادعى شئ الى سلب النعم وحلول النقم
(وروى) مسلم فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه قال يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما

فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاسطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تحطون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تباعوا ضري فتضروني وان تباعوا نفعي فتنفعونني يا عبادي (٣٠٩) لوان اولكم وآخركم وانسكم وحنكم كانوا

على اتقي قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لوان اولكم وآخركم وانسكم وحنكم كانوا على اخص قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لوان اولكم وآخركم وانسكم وحنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل انسان مسئلة ما نقص ذلك مما عندي الا كما يشقن الخيط اذا دخل في البحر يا عبادي انما هي اعماسكم احصياكم ثم اوفيكما ياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه يرويه ابو ادريس الخ. ولا يني عن ابي ذر ومسندا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو ادريس اذا حدثه جني على ركبته وروى عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انظروا ظلمات يوم القيامة وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس يردى بيننا وبين الله حجاب وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

راس الجوزاء وثالثه وتر راس الدلو الى حد المركز واضفنا اليه حروف السؤال ونظرنا عدتها واقل ما تكون ثمانية وعشائين واكثر ما تكون ستة وتسعين وهي جملة الدور الصحيح فكانت في سؤالنا ثلاثا وتسعين ويختصر السؤال ان زاد عن ستة وتسعين بان يسقط جميع ادوار الا اثني عشرية ويحفظ ما خرج منها وما بقي فكانت في سؤالنا تسعة اثنان في الحروف ما لم يبلغ الطالع اثنى عشرة درجة فان بلغها لم تثبت لها عدة ولا دور ثم اثبتت اعدادها ايضا ان زاد الطالع عن اربعة وعشرين في الوجه الثالث ثم تثبت الطالع وهو واحد وساطان الطالع وهو اربعة والدور الاكبر وهو واحد وجميع ما بين الطالع والدور وهو اثنان في هذا السؤال واضرب ما خرج منه ما في ساطان البرج يبلغ ثمانية واضف الساطان للطالع فيكون خمسة فهذه سبعة اصول ما خرج من ضرب الطالع والدور الاكبر في ساطان القوس ما لم يبلغ اثنى عشر فيه تدخل في ضلع ثمانية من اسفل الجدول صاعد او ان زاد على اثنى عشر طرح ادوارا وتدخل بالباقي في ضلع ثمانية وتعلم على منتهى العدد والخمسة المستخرجة من الساطان والطالع يكون الطالع في ضلع السطح المبسوط الاعلى من الجدول وتعد متواليات ادوارا وتحفظها الى ان يقف العدد على حرف من اربعة وهي الف او باء او جيم او زاي فوق العدد في عملنا على حرف الالف وخلاف ثلاثة ادوار فضر بنا ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة وهو عدد الدور الاول فاثبت ما وجد واجمع ما بين الضلعين القائم والمبسوط يكن في بيت ثمانية في مقابلة البيوت العارضة بالعدد من الجدول وان وقف في مقابلة الخالي من بيوت الجدول على احدها فلا يعتبر وتستقر على ادوارك وادخل بعدد ما في الدور الاول وذلك تسعة في صدر الجدول سالي البيت الذي اجتمع فيه وهي ثمانية مارا الى جهة اليسار فوقع على حرف لام الف ولا يخرج منها ابدا حرف مركب وانما هو اذن حرف تاء اربعة مائة برسم الزمام فعمل عليها بعد نقلها من بيت القصيد واجمع عدد الدور للسلطان يبلغ ثلاثة عشر ادخل بها في حروف الاوتار واثبت ما وقع عليه العدد وعلم عليه من بيت القصيد ومن هذا القانون ندري كم تدور المحرور في النظم الطبيعي وذلك ان تجمع حروف الدور الاول وهو تسعة لسلطان البرج وهو اربعة تبلغ ثلاثة عشر اضعفها بمثلها تكون ستة وعشرين اسقط منها درج الطالع وهو واحد في هذا السؤال الباقي خمسة وعشرون فعلى ذلك يكون نظم الحروف الاول ثم ثلاثة وعشرون مرتين ثم اثنان وعشرون مرتين على حسب هذا الطرح الى ان ينتهي للواحد من آخر البيت المنظوم ولا تقف على اربعة وعشرين لطرح ذلك الواحد ولا ثم ضع الدور الثاني واضف حروف الدور الاول الى ثمانية الخارجة من ضرب الطالع والدور في السلطان تكن سبعة عشر الباقي خمسة فاضف في ضلع ثمانية بخمسة من حيث انتهت في الدور الاول وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بسبعة عشر ثم بخمسة ولا تعد الخالي والدور العشرين فوجدنا حرف تاء خمسا وانما هو نون لان دورنا في مرتبة العشرات فكانت الخمسة مائة بخمسين لان دورها سبعة عشر فلم تكن سبعة عشر اكانت مئينا فاثبت نونا ثم ادخل بخمسة ايضا من اوله وانظر ما حاذي ذلك من السطح تجد واحدا فقهر العدد واحدا يقع على خمسة اضف لها واحدا السطح تكن سبعة اثبت واو او علم عليها من بيت القصيد اربعة واضفها للثمانية الخارجة من ضرب الطالع مع الدور في السلطان تبلغ اثنى عشر اضف لها الباقي من الدور الثاني وهو خمسة تبلغ سبعة عشر وهو ما للدور الثاني فدخلنا بسبعة عشر في حروف الاوتار فوقع العدد على واحد اثبت الالف وعلم عليها من بيت القصيد واسقط من

من كانت لاختيه عنده مظنة من عرض او شي فليقبله منه قبل ان لا يكون درهم ولا دينار ان كان له مال صالح اخذ منه بقدر مظنته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فعمل عليه وروى سعيد بن زريق قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم من الارض شبرا طوقه من سبع ارضين قال ابو جعفر الطحاوي معناه انه يقاب شجاعا قرع فبطوقه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكاة

يجي بماله يوم القيامة فجا اقرع يتبعه ويقول انا مال انا كثر فكأن هذا دخلا في قوله تعالى سيطو قون ما يخلوا به يوم القيامة
وروى ابوهريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مطل الغنى ظم وروى ابو موسى الاشعري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليملئ
للاظالم حتى اذا اخذهم ليقلته وقرأ (٣١٠) وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذهم شديدا وروى انس ان النبي صلى

الله عليه وسلم قال انصر
اخذك ظالم او مظلوما قالوا
يا رسول الله كيف هذا
انصره مظلوما فكيف
انصره ظالما قال تأخذ فوق
يده وروى ابوهريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم
قال صنفان من اهل النار
لم اوهما ناس معهم سباط
كاذناب البقر يضربون
بها الناس ونساء كاسيات
عاريات ما ثلث عملات
على رؤسهن مثل اسنمة
البحث لا يربن الحنة
ولا يجدن ريحها وقال الله
تعالى واذا اردنا ان نهلك
قريه امرنا مترفيا ففسقوا
فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا وفي الآية
تأويلان أحدهما أمرناهم
بالطاعة ففسقوا أي خرجوا
عن الطاعة والثاني على
قراءة المدينى أي كثرنا
عددهم وأسبغنا النعم عليهم
ففسقوا وتباعدوا ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم
خير المال سكة مأبورة
ومهرة مأبورة أي كثيرة
التناج (واعلموا) أن حشرات
الارض وهوامها تلعن
العصاة وقال مجاهد اذا
اشعثت الارض تقول

حروف الاوتار ثلاثة حروف مدة الخارج من الدور الثاني وضع الدور الثالث واضف خمسة الى ثمانية تكن
ثلاثة عشر الباقي واحد انقل الدور في ضلع ثمانية بواحد وادخل في بيت القصيد بثلاثة عشر وخذ ما وقع
عليه العدد وهو ق وعلم عليه وادخل بثلاثة عشر في حروف الاوتار واثبت ما خرج وهو سين وعلم عليه من
بيت القصيد ثم ادخل على السين الخارجة بالباقي من دور ثلاثة عشر وهو واحد فخذ ما يلي حرف سين
من الاوتار فكان ب أثبتا وعلم عليهما من بيت القصيد وهذا يقال له الدور المعطوف وميزانه صحيح وهو ان
تضعف ثلاثة عشر بمثلها وتضيف اليها الواحد الباقي من الدور تبلغ سبعة وعشرين وهو حرف باد المستخرج
من الاوتار من بيت القصيد وادخل في صدر الجدول بثلاثة عشر وانظر ما قبله من السطح واضعه بمثلها
وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر فكان حرف جيم وكانت الجملة سبعة فذلك حرف زاي فأثبتناه
وعلمنا عليه من بيت القصيد وميزانه ان تضعف السبعة بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكن
خمس عشرة وهو الخامس عشر من بيت القصيد وهذا آخر اوتار الثلاث وادخل في الدور الرابع م وله من العدد
تسعة باضافة الباقي من الدور السابق فاضرب الطالع مع الدور في السلطان وهذا الدور آخر العمل في البيت
الاول من الرباعيات فاضرب على حرفين من الاوتار واضع بثمانية وادخل بتسعة من دور
الحرف الذي اخذته آخر من بيت القصيد فالتاسع حرف راء فائتبه وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بتسعة
وانظر ما قبلها من السطح يكون ج قهقر العدد واحد يكون الف وهو الثاني من حرف الراء من بيت القصيد
فأثبتته وعلم عليه وعلم على الثاني تسعة يكون ألف ايضا فأثبتته وعلم عليه وادخل في حروف الاوتار
واضعف تسعة بمثلها تبلغ ثمانية عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راء أثبتا وعلم عليهما من بيت
القصيد ثمانية وأربعين وادخل بثمانية عشر في حروف الاوتار تقف على س أثبتا وعلم عليهما اثنين واضف
اثنين الى تسعة تكون احد عشر ادخل في صدر الجدول بأحد عشر تقابلها من السطح ألف أثبتا وعلم عليهما
سبعة وضع الدور الخامس وعدته سبعة عشر الباقي خمسة اضعب بخمسة في ضلع ثمانية واضرب على
حرفين من الاوتار واضعف خمسة بمثلها واضفها الى سبعة عشر عدد دورها الجملة سبعة وعشرون ادخل
بها في حروف الاوتار تقف على ب أثبتا وعلم عليهما اثنين وثلاثين واطرح من سبعة عشر اثنين التي هي في أس
اثنين وثلاثين الباقي خمسة عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف على ق أثبتا وعلم عليهما ستة وعشرين
وادخل في صدر الجدول بست وعشرين تقف على اثنين بالغبار وذلك حرف ب أثبتا وعلم عليه أربعة
وخمسين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور السادس وعدته ثلاثة عشر الباقي منه واحد فثبت
اذن ان دور النظم من خمسة وعشرين فان الادوار خمسة وعشرون وسبعة عشر وخمسة وثلاثة عشر وواحد
فاضرب خمسة في خمسة تكن خمسة وعشرين وهو الدور في نظم البيت فانقل الدور في ضلع ثمانية بواحد
ولكن لم يدخل في بيت القصيد بثلاثة عشر كما قدمناه لانه دور ثان من نشأة تركيبة ثمانية بل أضفنا
الاربعة التي من اربعة وخمسين الخارجة على حروف ب من بيت القصيد الى الواحد تكون خمسة تضيف
خمسة الى ثلاثة عشر التي للدور تبلغ ثمانية عشر ادخل بها في صدر الجدول وخذ ما قبلها من السطح وهو
ألف أثبتته وعلم عليه من بيت القصيد اثني عشر واضرب على حرفين من الاوتار ومن هذا الجدول تنظر
أحرف السؤال فخرج منها زده مع بيت القصيد من آخره وعلم عليه من حروف السؤال ليكون دخلا في

البراهم هذا من اجل عصاة بني آدم فذلك قوله تعالى اوانك يعلمهم الله ويعلمهم اللاعنون وفي الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحسل تموت بذبذب ابن آدم يعني ان ذنوب الخلق يمتنع القطر فلا تثبت الارض فتتهلك الدواب
والحشرات وسمع ابوهريرة يقول ان الظالم لا يضره الا نفسه فقال بلى والله ان الجباري لتموت هزلا في وكره ما ظلم الظالم وقال ابن

مسعود خطبة بني آدم قتلت الحسل (وروي) مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد
أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال الرجل وان كان شياً يسيراً يا رسول الله قال وان كان قضيباً من اراك وقال ابن عباس ما ظهر
الغلول في قوم قط الا فشا فيهم الموت ولا تنقص قوم المكيال والميزان الا انتقص عنهم الرزق (٣١١) ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم
ولا خفر قوم بالعهد الا سلبوا

عليهم العدو وقال بعض
الحكماء اذ كر عند الظلم
عدل الله فيك وعند القدرة
قدرة الله عليك لا يعجزنك
رحب الذراعين بسفك
الدماء فان له قاتلاً لا يموت
(وروي) ان بعض الملوك
رقم على بساطه

لا تظلم اذا ما كنت مقتدراً
فالظلم مصدره يفضى الى
الندم
تنام عينك والمظلموم
منتهب

يدعو عليك وعين الله
لم تتم
أشدنا قاضي القضاة أبو
عبد الله الدامغانى رحمه
الله ببغداد

اذا ما هممت بظلم العباد
فكن ذاكر اهل يوم المعاد
فان المظالم يوم القصاص
لمن قد تزودها شر زاد
وقال مخنون بن سعيد

كان يز يد بن حاتم الحكيم
يقول ما هبت شياً قط هييتي
رجلاً ظلمته وأنا أعلم ان
لناصر له الا الله فيقول لي
حسبك الله الله بيني وبينك
وقال بلال بن سعيد اتقوا
الله فيمن لا ناصر له الا الله
وقال أبو سليمان الدراني

العدد في بيت القصيد وكذلك تفعل بكل حرف بعد ذلك مناسباً لمروق السؤال فما خرج منها زده
الى بيت القصيد من آخره وعلم عليه ثم أضيف الى ثمانية عشر ما علمته على حرف الالف من الاتحاد فكان
اثني تبلغ الجملة عشر من ادخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راء اثني وعلم عليه من بيت القصيد
سبعة وتسعين وهو نهاية الدور في الحرف الوترى فاضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور السابع وهو
ابتداء مخترع ثان يذشأ من الاختراعين ولهذا الدور من العدد تسعة تصنف لها واحداتكون عشرة للنشأة
الثانية وهذا الواحد تزيده بعد الى اثني عشر دورا اذا كان من هذه النسبة أو تقصه من الاصل تبلغ الجملة
خمس عشرة فاصعد في ضلع ثمانية وتسعين وادخل في صدر الجدول بعشرة تقف على خمسةائة وانما هي
خمسون نون مضاعفة لثلاثها وتلك في اثنيها وعلم عليها من بيت القصيد اثني وخمسين وأسقط من اثني
 وخمسين اثني وأسقط تسعة التي للدور الباقي واحد واربعون فادخل بها في حروف الاوتار تقف على واحد
 اثني وكذلك ادخل بها في بيت القصيد تجد واحد فذا ميزان هذه النشأة الثانية فعلم عليه من بيت
القصيد علامتين علامة على الالف الاخير الميزاني وأخرى على الالف الاولى فقط والثانية أربعة وعشرون
واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثامن وعدته سبعة عشر الباقي خمسة ادخل في ضلع ثمانية
 وخمسين وادخل في بيت القصيد بخمسة تقم على عين بسبعين اثنيها وعلم عليها وادخل في الجدول بخمسة
 وخمسة ماقابها من السطح وذلك واحد اثني وعلم عليه من البيت ثمانية واربعين وأسقط واحد من ثمانية
 واربعين للاس الثاني وأضيف اليها خمسة الدور الجملة اثنيان وخمسون ادخل بها في صدر الجدول تقف على
حرف ب عبارية وهي مرتبة مثبنة لترايد العدد فتكون مائتين وهي حرف راء اثنيها وعلم عليها من القصيد
 اربعة وعشرين فاقفل الامر من ستة وتسعين الى الابداء وهو اربعة وعشرون فاضف الى اربعة وعشرين
 خمسة الدور وأسقط واحد تكون الجملة ثمانية وعشرين ادخل بالنصف منها في بيت القصيد تقف على ثمانية
 اثبت ٢ وعلم عليها وضع الدور التاسع وعدده ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد في ضلع ثمانية بواحد وليست
نسبة العمل هنا كنسبتها في الدور السادس لتضاعف العدد ولانه من النشأة الثانية ولانه اول الثلث
 الثالث من مربعات البروج وآخرا الستة الاربعة من المثلثات فاضرب ثلاثة عشر التي للدور في اربعة التي هي
 مثلثات البروج السابقة الجملة اثنيان وخمسون ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف اثني عبارية وانما
 هي مثبنة لتجاوزها في العدد عن مرتبة الاحاد والعشرات فاثبت مائتين راء وعلم عليها من بيت القصيد
 ثمانية واربعين وادخل في ثلاثة عشر الدور واحد الاس وادخل باربعة عشر في بيت القصيد تبلغ ثمانية
 فعلم عليها ثمانية وعشرين واطرح من اربعة عشر سبعة يبقى سبعة اضرب على حرفين من الاوتار وادخل
 بسبعة تقف على حرف لام اثنيها وعلم عليه من البيت وضع الدور العاشر وعدده تسعة وهذا ابتداء المثلثة
 الرابعة واصعد في ضلع ثمانية بتسعة تكون خلافاً فاصعد بتسعة ثانية تصير في السابع من الابداء اضرب
 تسعة في اربعة اصعد بنا تسعين وانما كانت تضرب في اثني وادخل في الجدول بستة وثلاثين تقف على اربعة
 زمامية وهي عشرة فاخذناها احادية اقله الادوار فاثبت حرف دال وان أضفت الى ستة وثلاثين واحداً
 الاس كان حدها من بيت القصيد فعلم عليها ولودخلت بالتسعة لا غير من غير ضرب في صدر الجدول
 لو قف على ثمانية فاطرح من ثمانية اربعة الباقي اربعة وهو المقصود ولودخلت في صدر الجدول بثمانية

لما دخل اخوة يوسف عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه وكان على وجهه برقع خفي لا يكبرهم وكان ابن خالته فقال له بسم اوصاك أبوك قال
 بأربع قال وما هن قال يا بني لا تتبع هوالك فتفارق ايمانك فان الايمان يدعو الى الجنة والهوى يدعو الى النار ولا تكثر من طغى بما
 لا يعينك فسقط من عينه ولا تسيء بربك الظن فلا يستجيب لك ولا تكن ظالماً فان الجنة لم تخلق للظالمين (وبكى) على بن الفضل يوماً

فقبل له ما يبيحك فقال أبكي على من ظلمني اذ وقف غدا بين يدي الله تعالى ولم يكن له حجة ولمجد والوراق اني وهبت الظالم ظلمي *
وتركت ذلك له على علمي ورايته أسدى الى يدا * لما بان بجهله حلي رجعت اسأته عليه واحد * ساني فآب مضاعف الجورم
وغدوت ذأجرو محمدا (٣١٢) وغدا بكسب الذم والاثم مازال يظلمني وأرجه * حتى ربيت له من الظلم

عشر التي هي تسعة في اثنين لوقف على واحد زماحي وهو عشرى فاطرح منه اثنين تكرار التسعة الباقى
ثمانية نصفها المطلوب ولودخلت في صدر الجدول بسبعة وعشرين بضر بها في ثلاثة لوقعت على عشرة
زمانية والعمل واحد ثم ادخل بتسعة في بيت القصيدة واثبت ما خرج وهو ألف ثم اضر بتسعة في ثلاثة
اتى هي مركب تسعة الماضية واسقط واحد وادخل في صدر الجدول ستة وعشرين واثبت ما خرج وهو
مائتان بحرف راء وعلم عليه من بيت القصيدة تسعة وتسعين واضر ب على حرفين من الاوتار وضع الدور
الحمدى عشر وله سبعة عشر الباقى خمسة اضعف في ضلع ثمانية بخمسة وتحسب ما تكرر عليه المشى في الدور
الاول وادخل في صدر الجدول بخمسة تقف على خال في هذا مقابلة من السطح وهو واحد فادخل بواحد في
بيت القصيدة تكن سين اثبته وعلم عليه اربعة ولو يكون الوقف في الجدول على بيت عامر لا ثبتنا الواحد
ثلاثة واضعف سبعة عشر ثلثها واسقط واحد واضعفها ثلثها وازدها اربعة تبلغ سبعة وثلاثين ادخل بها
في الاوتار تقف على ستة اثبته وعلم عليها واضعف خمسة ثلثها وادخل في البيت تقف على لام اثبته وعلم
عليها عشرين واضر ب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثاني عشر وله ثلاثة عشر الباقى واحد اضعف في
ضلع ثمانية بواحد وهـ ذا الدور آخر الادوار آخر المثلثات اربعة واثبت المثلثات
الرابعة والواحد في صدر الجدول يقع على ثمانية زمانية وانما هي آحاد ثمانية وليس معان من الادوار
الا واحد فلزاد عن اربعة من مربعات اثني عشر او ثلاثة من مثلثات اثني عشر كانت ح وانما هي
د فاثبتها وعلم عليها من بيت القصيدة اربعة وسبعين ثم انظر مانا سبها من السطح تكن خمسة اضعفها ثلثها
للاس تبلغ عشرة اثبت ي وعلم عليها وانظر في أى المراتب وقعت وجدناها في الرابعة دخلنا بسبعة في
حروف الاوتار وهذا المدخل يسمى التوليد المحرفى فكانت ف اثبتها واضف الى سبعة واحد الدور
المجمل ثمانية ادخل بها في الاوتار تبلغ س اثبتها وعلم عليها ثمانية واضرب ثمانية في ثلاثة الزائدة على
عشرة الدور فاتها آخر مربعات الادوار بالمثلثات تبلغ اربعة وعشرين ادخل بها في بيت القصيدة وعلم على
ما يخرج منها وهو مائتان وعلامتها ستة وتسعون وهونهاية الدور الثاني في الادوار المحرفية واضرب على
حرفين من الاوتار وضع النتيجة الاولى ولها تسعة وهذا العددي ناسب أبدا الباقى من حروف الاوتار بعد
طرحها ادوار وذلك تسعة فاضر ب تسعة في ثلاثة التي هي زائدة على تسعين من حروف الاوتار واضف
لها واحد الباقى من الدور الثاني عشر تبلغ ثمانية وعشرين فادخل بها في حروف الاوتار تبلغ ألف اثبته
وعلم عليه ستة وتسعين وان ضربت سبعة التي هي ادوار المحرفى التسعينية في اربعة وهي الثلاثة الزائدة
على تسعين والواحد الباقى من الدور الثاني عشر كان كذلك واضعف في ضلع ثمانية بتسعة وادخل في
الجدول بتسعة تبلغ اثنين زمانية واضرب تسعة فيما ناسب من السطح وذلك ثلاثة واضف لذلك سبعة
عددا الاوتار المحرفية وطرح واحد الباقى من دور اثني عشر تبلغ ثلاثة وثلاثين ادخل بها في البيت تبلغ
خمسة فاثبتها واضف تسعة ثلثها وادخل في صدر الجدول ثمانية عشر وخذ ما في السطح وهو واحد ادخل
به في حروف الاوتار تبلغ م اثبته وعلم عليها واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الثانية ولها
سبعة عشر الباقى خمسة فاضعف في ضلع ثمانية بخمسة واضرب خمسة في ثلاثة الزائدة على تسعين تبلغ خمسة
عشر اضف لها واحد الباقى من الدور الثاني عشر تكن تسعة وادخل ستة عشر في بيت القصيدة تبلغ ث

وكأنما الاحسان كان له
وانا لمسى اليه في المحكم
وروى أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله
تعالى استغضبي على
من ظلم من لا يجحدنا صرا
غيرى (وقال ابن مسعود
لما كشف الله العذاب
عن قوم يونس ترادوا المظالم
حتى ان كان الرجل ليقلع
الحجر من أساسه فيرده الى
صاحبه وقال نور بن زيد
الحجر في البنيان من غير حله
هر بون على خرابه وقال
غيره لو ان الجنة وهى دار
البقاء أسست على حجر من
الظلم لا وشك أن تحرب
وقال المحكم العدل حرمة
والظلم ظلمات فالعدل يجز
البك المحو المجور يهجم
عليك المحو المج فاحذر من
لاجنة له الا الثقة بنزول
الغدير ولا سراح له الا
الابتهاج الى مقاب الدول
قال مالك بن دينار قرأت
في بعض الكتب يا معشر
الظلمة لا تحالوا أهل الذكر
فاتهم اذا ذكر وفي ذكرتهم
برجتي واذا ذكرتموني
ذكرتكم بلعنتى وقال أبو
امامة يحيى الظالم يوم
القيامة حتى اذا كان على

جسدهم لقيه المظالم وعرف ما ظلم به فابى يرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم
من الحسنات فان لم يجحدوا حسنات لعل عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الدرك الاسفل من النار ومن صحح مسلم ان هشام بن
حكيم مر بالشام على أناس وقد أقبلوا في الشمس وصب على رؤسهم الزيت قال ما هذا قال يعذبون في الخراج قال اما انى سمعت النبي

صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا واخبرني رجل عن كان يقرأ العلم بالاسكندرية قال كان ههنا شيخ يكون عينه كاسين يدور حولهم فرايته في النوم بعد وفاته فقلت له من اين تجي فقال لي لا تسأل فاعدت عليه فقال لا تسأل فساأته
 قال من الحميم فقلت له فالي اين تذهب قال الى مثل الدار التي خرجت منها قلت فكيف (٣١٣) لقيت قال وماذا لقيت كان محمي

قد جعل في هاون ودق حتى صار مثل المخ (واخبرني) رجل من أهل العلم والدين قال رأيت فلانا لبياع في النوم بعد وفاته فقلت ما فعل الله بك قال أنا محبوس عن الجنة قلت فيماذا قال كنت أبيع في الدكان فيزدحم الناس علي فأخذوا زورهم فاضعها في قبي وكلما تقرغت وزنتها وأعطيت كل انسان حقه فأختلطت في في الفضلات فجاء اثنان فدفعوا لخدمتهما بقضة الاخر وكانت أنقص من فضته بحجة ثم حوسبت فبقي على حبة فقلت فادفع له الحبة وتخلص فجعل يقلب كفيه ويقول من اين ادفع له من اين ادفع له فذكرها مرات (ويروى) ان يونس عليه السلام لما نبذ بالعراء وأثبت الله عليه شجرة من يقطين كان يأوي الى ظلها فيمست فيه كي عليها فأوحى الله تعالى اليه تبكي على شجرة فقدتها ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت ان أهلكهم وقيل لابن

اثبتوه علم عليه اربعة وستين وأضف الى خمسة الثلاثة الزائدة على تسعين وزد واحد الباقي من الدور الثاني عشر يكن تسعة ادخل بها في صدر المجدول تبلغ ثلاثين فمامية وانظر ما في السطح تجدد واحد اثبتوه علم عليه من بيت القص يدور هو التاسع ايضا من البيت وادخل بثسعة في صدر المجدول تقف على ثلاثة وهي عشرات فاثبت لام وعلم عليه وضع النتيجة الثالثة وعددها ثلاثة عشر الباقي واحد فانه في ضلع ثمانية بواحد وأضف الى ثلاثة عشر الثلاثة الزائدة على التسعين وواحد الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ سبعة عشر وواحد النتيجة تكون ثمانية عشر ادخل بها في حروف الاوتار تكن لاما اثبتها فهذا آخر العمل والمثال في هذا السؤال السابق اردنا ان نعلم ان هذه الزايرة علم محدث أو قديم بطالع أول درجة من القوس اثنتي عشرة حروف الاوتار ثم حروف السؤال ثم الاصول وهي عدة الحروف ثلاثة وتسعون ادوارها سبعة الباقي منها تسعة الطالع واحد سلطان القوس اربعة الدور الاكبر واحد درج الطالع مع الدور اثنان ضرب الطالع مع الدور في السلطان ثمانية اضافة السلطان للطالع خمسة بيت القصيد

سؤال عظيم الخلق حزن فغن اذن غرائب شك ضبطه الحمد مثلا

حروف الاوتار ص ط ه ر ث ك ه م ص ص و ن ب ه س ا ن ل م ن ص
 ع ف ص و ر س ك ل م ن ص ع ف ض ق ر س ت ث خ ذ ط غ
 ش ط ي ع ح ص ر و ح ر و ح ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د ه
 و ز ح ط ي

(حروف السؤال) ا ل ذ ا ي ر ج ة ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م
 الدور الاول الدور الثاني ١٧ الباقي الدور الثالث ١٣ الباقي الدور الرابع
 الدور الخامس ١٧ الباقي الدور السادس ١٣ الباقي الدور السابع ٩ الدور الثامن ١٧
 الباقي الدور التاسع ١٣ الباقي الدور العاشر ١٣ الدور الحادي عشر ١٧ الباقي
 الدور الثاني عشر ١٣ الباقي النتيجة الاولى ٩ النتيجة الثانية ١٧ الباقي النتيجة الثالثة ١٣ الباقي

(٤٠ - ابن خلدون) السعك الاسدي أيام معاوية كيف تركت الناس قال بين مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي وقال بعض الحكماء أفقر الناس أكثرهم كسبا من حرام لانه استدان بالظلم ما لا بد له من رده وقال رجل كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحجاج فسميته ووقعت فيه فقال عمر ان الرجل ليظلم بالظلم ولا يزال المظلوم يشتم الظالم ويسبه حتى يستوفي حقه فيكون للظالم حق عليه وقال

عمرو بن دينار روى رجل في بني اسرائيل من رأى في فلا يظلم أحد اذا وادرجل قد ذهب ذراعاه من عضده وهو يبكي ويقول من رأى في فلا يظلم أحد اذا فسئل عن حاله فقال بينهما أنا أسير على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام اذ مررت بنبطى قد اصطاد تسعة أنوان فأخذت منه نونا وهو كاره بعد ان ضربت (٣١٤) رأسه فعض النون ابهامى عضته يسيرة ثم أكلناه فوقعت الالكفة في ابهامى فاتفقت الاطباء

الى قطعه فقطعه فوقعت في كفى ثم ساءدى ثم عضدى فن رأى في فلا يظلم أحد اذا فخرجت أسبح في البلاد واريد قطع عضدى اذ رفعت لى شجرة فأويت الى ظلها فنعست فقبل لى في المنام لى شئ تنقطع اعضاءك رد الحق الى أهله فجئت الصادقات يا عبيد الله أنا تملى كل قاعنقى فقال ما أعرفك فأنخبرته فبكي وتضرع وقال أنت في حل فلما قالما تناثر الدود من عضدى وسكن الوجع فقلت له بماذا دعوت على قال لما ضربت رأسى وأخذت السمكة نظرت الى السماء بكيت فقلت يا رب أشهد أنك عدل تحب العدل وهما ذامتك عدل وانك الحق تحب الحق وخلقته وخلقته وجعلته قويا جعلته ضعيفا فاسألك يا من خلقتى وخلقته أن تجعله عبرة لخلقك (وقال معاوية) ان أولى الناس بالعفو أقدرهم على الانتقام وان أنقص الناس عقلا من ظلم من دونه وقال بعض الحكماء الظلم على ثلاثة أوجه ظلم لا يغفره الله

٥ ع ح و ٦ في اى ٦

س	١	٠	٠	٠	٠	غ	٢٣
و	٢	٠	٠	٠	٠	ر	٢٤
ا	٣	٠	٠	٠	٠	ا	٢٥
ل	٤	٠	٠	٠	٠	ى	٢٦
ع	٥	٠	٠	٠	٠	ب	٢٧
ط	٦	٠	٠	٠	٠	ش	٢٨
ى	٧	٠	٠	٠	٠	ك	٢٩
م	٨	٠	٠	٠	٠	ض	٣٠
ا	٩	٠	٠	٠	٠	ب	٣١
ل	١٠	٠	٠	٠	٠	ط	٣٢
خ	١١	٠	٠	٠	٠	ه	٣٣
ل	١٢	٠	٠	٠	٠	ا	٣٤
ق	١٣	٠	٠	٠	٠	ل	٣٥
ح	١٤	٠	٠	٠	٠	ج	٣٦
ز	١٥	٠	٠	٠	٠	د	٣٧
ت	١٦	٠	٠	٠	٠	م	٣٨
ف	١٧	٠	٠	٠	٠	ث	٣٩
ص	١٨	٠	٠	٠	٠	ل	٤٠
ن	١٩	٠	٠	٠	٠	ا	٤١
ا	٢٠	٠	٠	٠	٠		
ذ	٢١	٠	٠	٠	٠		
ن	٢٢	٠	٠	٠	٠		

ف وزاوس ردا اس ابارق اع ارض ح رح ل دارس ال دى وس رادم ن ال ل دورها على خمسة وعشرين ثم على ثلاثة وعشرين مرتين ثم على واحد وعشرين مرتين الى أن تنتهى الى الواحد من آخر البيت وتنقل الحروف جميعا والله أعلم ن ف روح روح ال ود س ادررس ره ال درى س وان س درواب لا ام رب وال عل ل هذا آخر الكلام فى استخراج الاجوبة من زايحة العالم منظومة وللقوم طرائق اخرى من غير الزايحة يستخرجون بها اجوبة المسائل غير منظومة وعندهم ان السرفى استخراج الجواب منظوما من الزايحة انما

وظلم لا يتركه الله وظلم لا يعبأ الله به شأفا ما الظلم الذى لا يغفره الله فهو الشر لا يتركه الله فظالم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم الذى لا يعبأ الله به فظلم العبد ما بينه وبين الله تعالى وقال ميمون بن مهران من ظلم رجلا مظلمة ففاته ان يخرج فاستغفر الله دبر كل صلاة رجوت أن يخرج من مظلمته (وقال يوسف بن اسباط) توفى رجل من الحواريين فوجدوا عليه وجدا شديدا وشكوا

ذلك الى المسيح صلى الله عليه وسلم فوقف على قبره ودعا فاجابه الله تعالى وفي رحله نعلان من نار فقال غسي عن ذلك فقال والله ما عصبت
قط الا اني مرتب بظلمهم فلم أنصره فشنعت هاتين النعتين وأما أنا فافوض بك اذا فعلت باحدم مكرها فادع الله تعالى له واستغفر له كما فعل
موسى عليه السلام لما أذى هرون وأخذ بلحيته ورأسه ثم تبين له برأته وان بنى اسرائيل (٣١٥) غلبوه عليه وعلى عبادة الجبل

فقال رب اغفر لي ولا تخي
وأدخلنا في رحمتك وأنت
أرحم الراحمين (وروي)
ان قوم لوط كانت فيهم
عشرة خصال فاهلكهم
الله بها كانوا يتبعون في
الطرق وتحت الاشجار
المثمة وفي المياه الجارية
وفي شطوط الانهار وكانوا
يخذفون الناس بالحصى
فدمونهم واذا اجتمعوا في
المجلس اظهر والمنكر
بأخراج الریح منهم والطم
على رقابهم وكانوا يرفعون
ثيابهم قبل أن يتغوطوا
ويأتون بالطامة الكبرى
وهي اللواط قال الله تعالى
أنتم لتأتون الرجال
وتقطعون السبل وتأتون
في ناديكم المنكر والتنادي
المجلس ويلعبون بالجمام
ويرمون بالجمام
وضرب الدف وشرب الخمر
وقص اللحية وتطويل
الشارب والتضييق ولبس
الحجرة وتزويد عليهم هذه
الامية باتيان النساء
بعضهن بعضا وانما جعلهم
على آيات الرجال انهم
كانت لهم ثمار كثيرة في
منازلهم وحوادثهم فاصابهم
قحط وقلة من الثمار فقالوا

م وخرجهم بيت مالک بن وهيب وهو سؤال عظيم الخلق البيت ولذلك يخرج الجواب على رويهم وأما
الطرق الاخرى فيخرج الجواب غير منظوم فنطرا فقم في استخراج الاجوبة ما نقله عن بعض المحققين منهم

(فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الارتباطات الحرفية)

اعلم ارشدنا الله واياك ان هذه الحروف اصل الاسئلة في كل قضية وانما تستنتج الاجوبة على تجزئته
بالكيفية وهي ثلاثة واربعون حرفا كما ترى والله علام الغيوب او ل ا ع ظ س ال م خ ي ل ز
ق ت ا ر ذ ص ف ن غ ش الك ي ب م ص ب ح ط ل ج ه د ن ل ث ا
وقد نظمها بعض الفضلاء في بيت جعل فيه كل حرف مسمى من حرفين وسماه القطب فقال

سؤال عظيم الخلق خت فصن اذن * غرائب شئ ضبطه الحمد مثلا
فاذا أردت استنتاج المسئلة فاحذف ما تكره من حروفها واثبت ما فضل منه ثم احذف من الاصل وهو
القطب لكل حرف فضل من المسئلة حرفا يماثله واثبت ما فضل منه ثم اخرج الفضائل في سطر واحد تبدأ
بالاول من فضله والثاني من فضل المسئلة وهكذا الى أن يتم الفضلان أو يتفاد أحدهما قبل الآخر فتضع
البقية على ترتيبها فاذا كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج موافقا لعدد حروف الاصل قبل الحذف
فالعامل صحيح حينئذ تصف اليها خمس نونات لتعدل بها الموازين الموسيقية وتكمل الحروف ثمانية
واربعين حرفا فتمر بها جدولا مريعا يكون آخر ما في السطر الاول اول ما في السطر الثاني وتنقل البقية على
حالتها وهكذا الى أن تتم عبارة الجدول ويعود السطر الاول بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة
الحركة ثم تخرج وتر كل حرف بقية مربعة على أعظم خبر يوجد له وتضع الترتيم مقابل الحرفه ثم تستخرج
النسب العنصرية للحروف المحدولية وتعرف قوتها الطبيعية وموازينها الروحانية وغرائرها النفسانية
واسوسها الاصلية من الجدول الموضوع لذلك وهذه صورته

ا	القوى	الموازين	الغرائز	الاسوس	و
ب	٢٨ هـ	٤ هـ ٤ لا	٤	ص ح	الموازين
ج	٤ ٣ ٢	٤ ر لا	٣ ٠ لا	ر ح	ط
د	٤ ٤ ٤	٤ ر سم	٤ ٤ ٤ لا	ر ٣ ٤	م
هـ	٨ ٤ ٤	٤ لا	٤ ٤ ٤	ر سم	ن
و			٤ ر ح	٨ ٤	ي
ز			٤ ك	٤ ٤	ك

٢ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠

بأى شئ تمنع ثمارنا حتى لا يطررها أحد من الناس فاصطلموا على ان من وجدوه فيها نسكوه وغرموه أربعة دراهم ففعلوا وما سبهم بها
أحد من العالمين قال ابن عباس فكان بدء القاحشة فيهم أنهم هموا بذلك فجاءهم ابليس في هيئة صبي أجمل شئ رآه الناس فنسكوه
وتجبروا على ذلك وقال أبو العاتية أما والله ان الظلم لثم ولكن المني هو الظلم الى ديان يوم الدين غصي وعند الله فيجوع المخصوم

سل الأيام عن أم تقضت ■ فتخبرك المعالم والرسوم (وروى) أن أنوشروان كان له معلم حسن التأديب فعلمه حتى فاق في العلوم
فضر به المعلم يوماً من غير ذنب فأوجعه فمات أنوشروان عليه فلما سأل الملك قال له ما جـ لك على ما صنعت من ضر بي يوم كذا وكذا فظلم
قال لما رأيتك ترغب في العلم (٣٦) رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه

■ (الباب السابع والخمسون)
في تحريم السعاية والنميمة
وقبحهما وما يؤل إليه
أمرهما من الأفعال الرديئة
والعواقب الذميمة ■
قال الله تعالى ولا تطع كل
حلاف مهين هما زمناه
بنعيم منافع للخير معتد أنيم
عتل بعد ذلك زعيم فذكر
الله تعالى في القرآن أصناف
أهل الكفر والالحاد
والثعلث وأهل الدهر
والظلم والفسوق وأشباههم
ولم يسب الله سبحانه أحداً
منهم إلا أنما في هذه
الآية وحسبك بها حصة
ورذيلة وستوطا وضعة
وهذه الآيات ترات في الوليد
ابن المغيرة في أصح الأقوال
واللهماذا المغتاب الذي يأكل
لحموم الناس الطاعن فيهم
وقال الحسن البصري هو
الذي يغمز بأخيه في المجلس
وهو المزمرة للزمن والعقل في
اللغة الغليظ وأصله من
العتل وهو الدفع بالقوة
والعنف وقال علي رضي
الله عنه ■ الحسن البصري
العتل الفاحش السيئ
الخلق وقال ابن عباس
العتل القاتل الشديد
المنافق وقال عبيد بن عمير

ثم تأخذ وتركل حرف بعد حرف به في أسوس أو تاد الفلك الأربعة واحدة ذر ما يلي الأوتاد وكذلك السواقط
لأن نسبتهما مضطربة وهـ هذا الخارج هو أول رتب السريان ثم تأخذ مجموع العناصر وتخط منها أسوس
المولدات يبقى أس عالم الخلق بعد عرضة لعدد الكونية فتجـ مل عليه به بعض الجردات عن المواد وهي
عناصر الامداد يخرج أفق النفس الاوسط وتطرح أول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط
وهذا مخصوص بعوالم الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في أفق النفس الاوسط يخرج
الأفق الاعلى فتجـ مل عليه أول رتب السريان ثم تطرح من الرابع أول عناصر الامداد الاصلية يبقى ثالث
رتبة السريان فتضرب مجموع أجزاء العناصر الأربعة أبداً في رابع مرتبة السريان يخرج أول عالم التفصيل
والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل والثالث في الثالث يخرج ثالث عالم التفصيل والرابع في
الرابع يخرج رابع عالم التفصيل فتجمع عوالم التفصيل وتخط من عالم الكل تبقى العوالم الجردة فتقسم
على الأفق الاعلى يخرج الجزء الاول ويقسم المنكسر على الأفق الاوسط يخرج الجزء الثاني وما انكسر
فهو الثالث ويتعين الرابع هذا في الرابع وان شئت أكثر من الرابعي فتقسم أكثر من عوالم التفصيل
ومن رتب السريان ومن الأوقاف بعد الحروف والله يرشدنا وإياك وكذلك اذا قسم عالم التجريد على أول
رتب السريان يخرج الجزء الاول من عالم التركيب وكذلك الى نهاية الرتبة الاخيرة من عالم الكون فافهم
وتدبر والله المرشد المعين ■ ومن طريقهم أيضاً في استخراج الجواب قال بعض المحققين منهم اعلم ايدينا
الله وإياك بروح منه ان علم الحروف جليل يتوصل العالم به لما لا يتوصل بغيره من العلوم المتداولة بين
العالم وللعـ مل به شرائط تلزم وقد يستخرج العالم اسرار الحقيقة وسرار الطبيعة فيطلع بذلك على نتيجتي
الفاسفة أعني السيميا وأختها ويرفع له حجاب الجهولات ويطلع بذلك على مكنون خبايا القلوب وقد شهدت
جماعة بارض المغرب عن اتصال بذلك فأظهر الغرائب وخرق العوائد وتصرف في الوجود بتأيد الله
واعلم ان ملائكة كل فضيلة الاجتهاد وحسن المصلحة مع الصبر مفتاح كل خير كما ان الخرق والعجالة رأس
الحمرمان فاقول اذا أردت أن تعلم قوة كل حرف من حروف الفايطوس اعني أبجد الى آخر العدد وهذا أول
مدخل من علم الحروف فانظر ما لذلك الحرف من الأعداد فذلك الدرجة التي هي مناسبة للحرف هي قوته
في الجسمانيات ثم اضرب العدد في مثله تخرج لل قوته في الروحانيات وهي وتره وهذا في الحروف المنقوطة
لا يتم بل يتم لغير المنقوطة لان المنقوطة منها مراتب المعاني يأتي عليها البيان فيما بعد واعلم ان لكل شكل
من أشكال الحروف شكلاً في العالم العلوي اعني الكرسي ومنها المتحرك والساكن والعلوي والسفلي كما
هو مرقوم في أما كنه من الجدول الموضوع في الزيار واعلم ان قوى الحروف ثلاثة أقسام الاول
وهو اقلها قوة تظهر بعد كتابتها فتكون كتابته لعالم روحاني مخصوص بذلك الحرف المرسوم فتخرج
ذلك الحرف بقوة نفسانية وجميع هـ مة كانت قوى الحروف مؤثرة في عالم الاجسام الثاني قوتها في الهيمنة
الفكرية وذلك ما يصدر عن تصرف الروحانيات لها فهي قوة في الروحانيات العلويات وقوة شـ كلمة
في عالم الجسمانيات الثالث وهو ما يجب مع الباطن أعني القوة النفسانية على تكونه فتكون قبل النطق
به صورة في النفس بعد النطق به صورة في الحروف وقوة في النطق واما طابعها فهي الطبيعية
النسوبة للمولدات في الحروف وهي الحرارة واليبوسة والحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة والبرودة

العتل الاكول الشروب القوى الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة وقال يمان هو الحافي القاسي اللثيم
العمر وقال مقاتل العتل الضخم وقال الكلبى الشديد في كفره عند العرب عتل وقيل العتل الشديد المخصوصة بالباطل والزنيـ هو
الذي لا يعرف من ابوه قال حسان بن ثابت ■ وأنت زنيـ نبط في آل هاشم ■ كما نبط خلف الراكب القديح الفرد (وقال غيره)

زئيم ليس يعرف من أبوه * بنى الام ذو حسب لثيم وقال أكثر النقلة هذا رجل انما ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة وعن هذا قال القدماء لا يكون غامما الا فى نسبته شئ وسعى رجل الى بلال بن أبى بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف حتى أكشف عنه ذلك فكشف عنه فاذا هو لغير رشدة يعنى ولد زنا وقال أبو موسى الاشعرى لا يعنى على الناس (٣١٧) الاولد بنى وقيل الزئيم الذى

له زئمة فى عتقه يعرف بها كما تعرف الشاة قال ابن عباس لما وصفه الله تعالى بذلك الحال المذمومة لم يعرف حتى قيل زئيم فعرف لانه كانت له زئمة يعرف بها كما تعرف الشاة بزئمتها (ومن ذلك) قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة تزلت فى الوليد بن عتبة بن أبى معيط بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق بعد الواقعة وكان يبينه وبينهم عداوة فى الجاهلية فخرجوا يلقونه تعظيما لامر النبى صلى الله عليه وسلم ففرغ ورجع الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال منعوني صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب النبى صلى الله عليه وسلم عليهم ثم كشف أمرهم فوجد ما قاله كذبا فزلات هذه الآية وسماه الله تعالى فاسقا (ومن ذلك) قول الله سبحانه سمعوا من الكذب كالون للسمت فشرى الله تعالى بين السامع والقائل فى القبح وسأوى بينهم فى الذم فكان فيه تنبيه على ان السامع غام فى الحكم

والرطوبة فهذا سر العدد اليماني والحجارة جامعة للهواء والنار وهما ا ط م ف ش ذ ح ز ك س ق ث ظ والبرودة جامعة للهواء والماء ب و ي ن ص ت ض د ح ل ع ر خ غ واليبوسة جامعة للنار والارض ا ه ط م ف ش ذ ب و ي ن ص ت ض فهذه نسبة حروف الطبائع وتداخل أجزاء بعضها فى بعض وتداخل أجزاء العالم فيها علىيات وسهلات باسم باب الامهات الاول اعنى الطبائع الاربع المنفردة حتى اردت استخراج مجهول من مسألة ما فحق طالع السائل او طالع مسئلته واستنطق حروف او تادها الاربعة الاول والرابع والسابع والعاشر من متوية مرتبة واستخرج أعداد القوى والاو تاد كما سنبين واجل وانسب واستخرج الجواب يخرج لك المطلوب اما بصرى اللفظ او بالمعنى وكذلك فى كل مسألة تقع لك بيانه اذا اردت أن تستخرج قوى حروف الطالع مع اسم السائل والحاجة فاجمع اعدادها بالجمل الكبير فكان الطالع الجمل رابعة السرطان سابعة الميزان عاشره الجدى وهو أقوى هذه الاوتاد فأسقط من كل برج حرف التعريف وانظر ما يخص كل برج من الاعداد المنطقة الموضوعه فى دائرتها واحذف اجزاء الكبر فى النسب الاستنطاقية كلها وأثبت تحت كل حرف ما يخصه من ذلك ثم اعداد حروف العناصر الاربعة وما يخصها كالاول وارسم ذلك كله أحرفا ورتب الاوتاد والقوى والقرائن سه طراءم ت ز ج و كس و اضرب ما يضرب لاستخراج الموازين واجمع واستخرج الجواب يخرج لك الضمير وجوابه مثاله افرض ان الطالع الجمل كما تقدم ترسم ح م ل فلهما من العدد ثمانية لها النصف والربع والثمن د ب ا الميم لها من العدد أربع لها النصف والربع والثمن والعشر ونصف العشر اذا اردت التدقيق م ك ي ه د اللام لها من العدد دلتا لثون لها النصف والثلثان والثلث والخميس والسادس والعشر كى و ه ج وهكذا تفعل بسائر حروف المسئلة والاسم من كل لفظ يقع لك وامام السائل استخراج الاوتاد فهو ان تقسم مربع كل حرف على أعظم جزء يوجد له مثاله حرف دله من الاعداد اربعة مرتبة هاسته عشر اقصمها على أعظم جزء يوجد لها وهو اثنان يخرج وتر الدال ثمانية ثم تضع كل وتر مقابل الحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية كما تقدم فى شرح الاستنطاق ولها قاعدة تطرد فى اسم استخراجها من طبع الحروف وطبع البيت الذى يحل فيه من الجداول كما ذكر الشيخ لمن عرف الاصطلاح والله اعلم

فصل فى الاستدلال على ما فى الضمائر الخفية بالقوانين المحرفية *

وذلك لو سأل سائل عن علم لم يعرف مرضه ما علمته وما الموافق ليرثه منه فخر السائل ان يسمى ماشا من الاشياء على اسم العلة الجوهرة لتجعل ذلك الاسم قاعدة لك ثم استنطق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسائل واليوم والساعة ان اردت التدقيق فى المسئلة والاقتصر على الاسم الذى سماه السائل وفعلت به كما ينبى فاقول مثلا سمى السائل فرسا فثبت الحروف الثلاثة مع اعدادها المنطقة بيانه ان للقائم العدد ثمانين ولها م كى ح ب ثم الراء لها من العدد مائتان ق ن كى ثم السين لها من العدد ستون ولها م ل ك فالواو عدد تام له ج ب والسين مثله ولها م ل ك فاذا بسطت حروف الاسماء وجدت عنصرين متساويين فاحكم لاكثرهما حروفا بالغلبة على الآخر ثم اجل قوله لعل هذه عبارة بعض المشارقة لان هذا ترتيب المشارقة لا ترتيب المغاربة الذى قدمه اه

(واما ما روى فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم) فروى مسلم فى الصحيح قال همام كنا مع حذيفة فقيل له ان رجلا رفع الحديث الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال حذيفة سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة ثمانى وفى لفظ آخر غام وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم بشئ اركم قالوا بلى يا رسول الله قال من شارك المشاؤون بالتمجيد المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب

وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذوا الوجهين ملعون ذوا اللسانين ملعون كل سارق ملعون كل قاتل ملعون كل منان فالسارق المحرس بين الناس يأتي بينهم العداوة والقنات النمام والمنان الذي يحمل الخنزير ومن به وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم عرّف بقرين فقال (٣١٨) انهم اليعدبان ومايعدبان في كثير اما احدهما فـ كان لا يستبرئ من البول واما الآخر

عدد حروف عناصر اسم المطلوب وحروفه دون بسط وكذلك اسم الطالب واحكامه للاكثر والاقوى بالغلبة
وصفة قوى استخراج العناصر

بياض بالاصل

فتكون الغلبة هنا للتراب وطبيعته البرودة واليبوسة طبع السواد فتحكم على المر يض بالسواد فاذا ألقت من حروف الاسماء كل ما على نسبة تقر بيده خرج موضع الوجود في الحلق ويوافق من الادوية حقنة ومن الاشربة شراب الليمون هذا ما خرج من قوى اعداد حروف اسم فرس وهو مثال تقر يبي مختصر واما استخراج قوى العناصر من الاسماء العلمية فهو ان تسمى مثلا محمدا فتقسم احرفه مقطعة ثم تضع اسماء العناصر الاربعة على ترتيب الفلك يخرج لك ما في كل عنصر من الحروف والعدد ومثاله

ناري	ترابي	هوائي	مائي
ا ا ا	ب ب ب	ج ج ج ج ج	د د د د د
ه ه ه	و و و	ز ز ز ز ز	ح ح ح ح ح
ط ط ط	ي ي ي	ك ك ك ك ك	ل ل ل ل ل
م م م	ن ن ن	ص ص ص ص ص	ع ع ع ع ع
ف ف ف	ض ض ض	ق ق ق ق ق	ر ر ر ر ر
س س س	ت ت ت	ث ث ث ث ث	خ خ خ خ خ
ذ ذ ذ	ظ ظ ظ	غ غ غ غ غ	ش ش ش ش ش

فبعد اقوى هذه العناصر من هذا الاسم المذكور عنصر الماء لان عدد حروفه عشر وحرفاته عشر من حروفه ثمانية عشر الغلبة على بقية عناصر الاسم المذكور وهكذا يفعل بجميع الاسماء حينئذ تضاف الى اوتارها والوزن المنسوب لاطالع في الزايرة اولوتر البنت المنسوب لمالك بن وهيب الذي جعله قاعدة مزج الاسئلة وهو هذا سؤال عظيم الخافي خرت فصن اذن غرائب شلت ضبطه الحمد مثلا وهو وتر مشهور لاستخراج المجهولات وعلمه كان يعتمد ابن الرقام واصحابه وهو عمل تام قائم بنفسه في المثالات الوضعية وصفة العمل بهذا الوتر المذكور ان ترسمه مقطعة بمتراججا لفاظ السؤال على قانون صفة التكسير وعدة حروف هذا الوتر اعني البست ثلاثة واربعون حرفا لان كل حرف مشدود من حرفين ثم تحذف ما تكرر وعند المزج من الحروف ومن الاصل لكل حرف فضل من المسئلة حرافيمائه وتثبت الفضلين سطر اعتر جابعضه بعض الحروف الاول من فضلة القطب والثاني من فضلة السؤال حتى يتم الفضل ثلثا جميعا فتكون ثلاثة واربعين فضلة في اليها خمس نونات ليكون ثمانية واربعين لعلها الموازين الموسيقية ثم تضع الفضلة على ترتيبها فان كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج يوافق العدد الاصل قبل

فكان يمشي بالنميمة فاخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين فغرز في كل قبر واحدة فقالوا يا رسول الله لم فعلت هذا قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وذلك ببركة يده صلى الله عليه وسلم (وأما السعاية) الى السلطان والى كل ذي قدرة ومكة فهي المهلكة والمخالفة تجتمع الى الخصال المذمومة الغيبة ولؤم النميمة والتغوير بالنفوس والاموال والقدح في المنازل والاخوال وتسليب العز يزعه وتخط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم من دم اراقه حتى ساعوكم حريم استبيح بنميمة باغ وكم من صفيين تقاطعا ومن متواصلين تباعدوا ومن محبين بناغضا ومن القيين تهاجروا ومن زوجين افتراقا فليتنى الله ربه رجل ساعدته الايام وترأخت عنه الاقدار ان يصبح لساع او يسمع لنمام وروى ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة لا يدخلها ديوث والافلاخ قالد ديوث الذي يجمع بين النساء والرجال سمي بذلك لانه يدث بينهم والقلاع الساعى الذي يقع في الناس عند الامراء لانه يقصد الرجل المتكبر عند السلطان فلا يزال يقع فيه حتى يقامه (وقال) كعب اصاب الناس فحط شديده على عهد موسى صلى الله عليه وسلم فخرج موسى يستسقي بني اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج ثانية فلم يسقوا ثم خرج الثالثة فاوحى الله تعالى اليه انى لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيكم نماما فقال يا رب من هو

المحذوف
بزال يقع فيه حتى يقامه (وقال) كعب اصاب الناس فحط شديده على عهد موسى صلى الله عليه وسلم فخرج موسى يستسقي بني اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج ثانية فلم يسقوا ثم خرج الثالثة فاوحى الله تعالى اليه انى لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيكم نماما فقال يا رب من هو

حتى تخرج منه من بيننا فاحي الله تعالى اليه يا موسى أنها كم عن النعمة وآتيا فاقابوا فاسل الله سبحانه عليهم الغيث * ولما اتي اسقف
نجران عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له يا امير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة قال ومن قاتل الثلاثة قال الرجل باي الامام بالحديث
الكذب فيقبله الامام فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وامامه فقال عمر ما اراك (٣١٩) ابعدت ووجدنا في حكم القدماء ابغض
الناس الى الله المثلث قال

الاصمعي هو الرجل يسعى
بالنميمة ياخيه الى الامام
فيهلك نفسه وأخاه وامامه
(وذكرت السعاية) عند
المأمون فقال لو لم يكن من
عبيهم الا انهم اصدق ما
يكونون ابغض ما يكون
عند الله تعالى * وقال حكيم
القرن الصدوق زين كل
احد الا السعاية فان الساعي
أذم وآثم ما يكون اذا
صدق (وروي) ان رجلا
سعى بخاله عند الوليد بن
عبد الملك فقال له الوليد اما
انت فتخبرنا انك جارسوه
ان شئت ارسلنا معك فان
كنت صادقا ابغضناك وان
كنت كاذبا عاقبناك وان
شئت تاركناك قال تاركني
يا امير المؤمنين قال قد
تاركناك * ولله در الاسكندر
حين وشى اليه واش به رجل
فقال له الاسكندر ان شئت
قبلك على صاحبك بشرط
ان تقبله عليك وان شئت
أقطنك قال أقطني قال قد
أقطنك كف عن الشر بكف
عني الشر (ومن العجب)
الذي لا يحب بعده ان
الرجل يشهد عندك في
باقه بقل فلا تقبله حتى

الحذف فالعمل صحيح ثم عمر بما خرجت جنولا لم بها يكون آخر ما في السطر الاول ما في السطر الثاني
وعلى هذا النسق حتى يعود السطر الاول بعينه وتوالي الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتركل
حرف كما تقدم وتضعه مقابل الحرف ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية لتعرف قوتها
الطبيعية وموازينها الروحانية وغرائزها النفسانية وأسسها الاصلية من الجدول الموضوع لذلك وصفة
استخراج النسب العنصرية هو ان تنظر الحرف الاول من الجدول ما طبيعته وطبيعته البت الذي حل
فيه فان اتفقت فحسن والا فاستخرج بين الحرفين نسبة ويتبع هذا القانون في جميع الحروف الجدولية
وتحقيق ذلك سهل على من عرف قوانينه كما هو مقرر في دوائر الموسيقى ثم تأخذ وتركل حرف بعد ضربه
في أسوس او تاد الفلك الاربعة كما تقدم واحذر ما يلي الا وتاد وكذلك السواقط لان نسبتها مضطربة وهذا
الذي يخرج المثلث هو اول مراتب السريان ثم تأخذ مجموع العناصر وتحط منها أسواس المولدات يبقى اس
عالم الخلق بعد عروضة لادالكونية فتعمل عليه بعض المجردات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج
افق النفس الاوسط وتطرح اول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا مخصوص
بعوالم الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في افق النفس الاوسط يخرج الافق الاعلى
فتعمل عليه اول رتب السريان ثم تطرح من الرابع اول عناصر الامداد الاصلية يبقى ثالث رتبة السريان
ثم تضرب مجموع أجزاء العناصر الاربعة ابدافى رابع رتب السريان يخرج اول عالم التفصيل والثاني في
الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل وكذلك الثالث والرابع فتجمع عوالم التفصيل وتحط من عالم الكل تبقى
عوالم المجردة فتقسم على الافق الاعلى يخرج الجزء الاول ومن هنا يطرد العمل في التامة وله مقامات
في كتب ابن وحشية والبوني وغيرهما وهذا التدبير يجري على القانون الطبيعي المحكمى في هذا الفن
وغيره من فنون الحكمة الالهية وعليه مدار وضع الزيج الحرفية والصنعة الالهية والنير جات الفلسفية
والله الملموم به المستعان وعليه التكلان وحسبنا الله ونعم الوكيل

٢٤ * (علم الكيمياء) *

وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل الى ذلك
فيتصفقون المكنونات كلها بعد معرفة اخر جتها وقواها العلم يعرفون على المادة المستعدة لذلك حتى من
الفضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعذرات فضلا عن المعادن ثم يشرح الاعمال التي
تخرج بها تلك المادة من القوة الى الفعل مثل حل الاجسام الى أجزاءها الطبيعية بالنصعيد والتقطير وجد
الذائب منها بالتكليس واماء الصاب بالغمر والصلابة وامثال ذلك وفي زعمهم انه يخرج بهذه الصناعات
كلها جسم طبيعي يسمونه الاكسير وانه يلقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب والفضة
بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير والنجاس بعد ان يحوى بالنار فيعود ذهب البريزا
ويكنون عن ذلك الاكسير اذا الغرو اصطلاحاتهم بالروح وعن الجسم الذي يلقي عليه بالجسم قد فسر
هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقبل هذه الاجساد المستعدة الى صورة الذهب
والفضة هو علم الكيمياء وما زال الناس يؤلفون فيها قديما وحديثا ويرى الكلام فيها الى من ليس
من اهلها وامام المدونين فيها جابر بن حبان حتى انهم يخصونها به فيسمونها علم جابر وله فيها اسماء جعول رسالة

تسأل الناس عنه هل هو من اهل الثقة والعدالة والامانة والصيانة ثم يتم عندك بحديث فيه الهلاك وفساد الاحوال فتقبله * وقال يحيى
ابن زيد قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما ما سقي السم اخبرني من سقاك فدمعت عيناه وقال انا في آخر قدم من الدنيا واول قدم من
الآخرة تأمرني ان اغتر * قال رجل للمهدي عندي نصيحة يا امير المؤمنين قال لمن نصيحتك هذه انا ام لعامة المسلمين أم لنفسك قال لك

يا أمير المؤمنين قال المهدي ليس الساعي باعظم عورة ولا أقبح حالا من قبل سعائته ولا تخلو من ان تكون حاسدة نعمة فلا نشفي العظما
أوعدوا فلا تعاقب لك عدوك ثم أقبل على الناس وقال أيها الناس لا ينصح لنا ناصح الا بالله فيه رضا والمسلمين فيه صلاح (وروى)

ان ساعيا سعي برجل الى الفضل بن (٣٢٠) سهل فوقع على ظهر كتابه نحن نرى قبول السعاية أشهر من السعاية دلالة

والقبول اجازة وليس من
دل على شيء مكن قبل واجاز
لان من فعل اشهر من قال
(ويروى) ان رجلا رفع
الى المنصور نصيحة فوقع على
ظهره ما هذه نصيحة لم يرد بها
وجه الله تعالى ولا جواب
عندنا لمن آثرنا على الله تعالى
(وروى) ان رجلا قال
للمأمون يا أمير المؤمنين الله
الله في اصحاب الاخبار فانهم
قوم ان أعطوا كذبوا وان
حرموا كذبوا فان أعطوا
مدحوا وهم كاذبون وان
حرموا ذموا وهم كاذبون
فقال المأمون لله درهمان كلمة
ما أقصد هاوايين فضلهما وأمر
ان تثبت في أمور اصحاب
الاخبار (وقال مروان بن
زنباع) العبد سي يابني
عبدس احفظوا عني ثلاثا
من نقل اليكم نقل عنكم
وياكم والتزويج في البيوتات
السوء واستكثر وامن
الصديق ما استعظم
واسءتقلوا من العدو ما
استعظم فان استكثره
يمكن وقال بعض الحكماء
احذروا اعداء العقول
والصوص الموداة وهم
السعاة والنمامون اذا سرق
للصوص المتاع سرقوا

كلها شبيهة بالاغار وزعموا انه لا يفتح مقفلها الا من احاط علما بجميع ما فيها والطغرائي من حكماء المشرق
المتأخرين له فيها دواوين ومناظرات مع اهلها وغيره من الحكماء وكذب فيها مسئلة الجريطي من
حكماء الاندلس كتابه الذي سماه رتبة الحكميم وجعله قرينا للكتابة الاخرى في السحر والطلسمات الذي
سماه غاية الحكميم وزعم ان هاتين الصناعتين هما تيجان للحكمة ومخرنان للعلوم ومن لم يقف عليهما
فهو فاقدة ثمر العلم والحكمة اجمع وكلامه في ذلك الكتاب وكلامهم اجمع في تاليفهم هي الغازية تعذر
فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم في ذلك ونحن نذكر سبب عدولهم الى هذه الرموز والاغار ولا ين
المغربي من أئمة هذا الشأن كلمات شريفة على حروف المعجم من ابداع ما يجي في الشعر مغرزة كلها
لغز الاحاجي والمعاينة فلا تكاد تفهم وقد ينسبون للغز الى رحمة الله بعض التاليف فيها وليس يصحح لان
الرجل لم تكن مداركه العالية لتقف عن خطا ما يذهبون اليه حتى يتجمله وربما نسبوا بعض المذاهب
والاقوال فيها الى الذين يزيد بن معاوية وريب مروان بن الحكم ومن المعلوم البين ان خالد بن الجليل
العربي والبداءة اليه اقرب فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة فكيف له بصناعة غريبة المنحى مجتدة
على معرفة طبائع المركبات وأخرجتها وكتب الناظرين في ذلك من الطبائعات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم
العلم الا ان يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية تشبها باسمه فمكن * وأنا نقل لك هنا
رسالة ابي بكر بن بشرون لابي السمع في هذه الصناعة وكلاهما من تليذ مسلمة فيستدل من كلامه فيها على
ما ذهب اليه في شأنها اذا اعطيت حقه من التأمل قال ابن بشرون بعد صدر من الرسالة خارج عن الغرض
والمقدمات التي لهذه الصناعة الكريمة قد ذكرها الاولون واقتصر جميعها أهل الفلسفة من معرفة تكون
المعادن وتخليق الاجار والجواهر وطباع البقاع والاما كن فنحننا اشتهاها من ذكرها ولا يكن أبين لك من
هذه الصنعة ما يحتاج اليه فيبدأ يعرفه فتدقوا لينا في لطلاب هذا العلم ان يعلموا اول ثلاث خصال اولها
هل تكون والثانية من أي تكون والثالثة من أي كيف تكون فاذا عرف هذه الثلاثة وأحكمها فقد
ظفر بمطلوبه وبلغ نهايته من هذا العلم فأما البحث عن وجودها والاستدلال عن تكونها فقد كفيينا
بما بعثنا به اليك من الاكسيروا ما من أي شيء تكون فانما يريدون بذلك البحث عن الحجر الذي يمكنه
العمل وان كان العمل موجودا من كل شيء بالقوة لانها من الطبائع الاربع منها تر كبت ابتداء واليها
ترجع انتهاء ولكن من الاشياء ما يكون فيه بالقوة ولا يكون بالفعل وذلك ان منها ما يمكن تفصيلها ومنها
ما لا يمكن تفصيلها فالتى يمكن تفصيلها تعالج وتدبر وهي التي تخرج من القوة الى الفعل والتي يمكن
تفصيلها لا تعالج ولا تدبر لانها فيها بالقوة فقط وانما لم يمكن تفصيلها الا استغراق بعض طبائعها في بعض
وفضل قوة الكبير منها على الصغير فينبغي للاب وفقك الله ان تعرف أوفى الاجار المنفصلة التي لا يمكن فيها
العمل وجنسه وقوته وعمله وما يدبر من الحلال والعقد والتقية والتكليس والتشيق والتقليب فان من لم
يعرف هذه الاصول التي هي عماد هذه الصنعة لم ينجح ولم يظفر بخير أبدأ وينبغي لك ان تعلم هل يمكن ان
يسمعان عليه بغيره او يكتفى به وحده وهل هو واحد في الابداء او شاركه غيره فصار في التدبير واحدا
فسمى حجرا وينبغي لك ان تعلم كيفية عمله وكيفية اوزانه وأزمانه وكيف تتركيب الروح فيه وادخال
النفس عليه وهل تقدر اننا نرى على تفصيلها منه بعدتر كيمها فان لم تقدر فلاي علة وما السبب الموجب لذلك

فان

المودات وقال حكيم العرب اياك والسعاة فانهم اعداء عقلك واصوص عدلك فيقرقون

بين قولك وفعلك (وفي المثل السائر) من اطاع الواشي ضيع الصديق وقد يقطع الشجر فينبت ويقطع اللحم بالسيف فيندمل واللسان
لا يندمل جرحه واحق الناس برعاية ما رعى من هذه الخلال ونقلته من هذه الحكم واستودعته من هذه السير من آتاه الله سلطانا

ويمكن له في الارض قدما فذو القدرة اذا اطاع الواشي هلك العالم (وكان) بعض الحكماء يقول من اراد ان يسلم من الاثم ويبقى له الاخوان فيجعل نفسه بينهم وبينهم قاضيا عدلا ويحكم بالعدل ولا يقبل احدا في احد ولا في نفسه الا بشهود وتعديل فانما قد احببنا بقول اقوام وابنه صنا بقول آخرين فاصبحنا ناديين ومن اطيف حكمة الله تعالى في التمجيد لماعلم (٣٢١) من شؤمها واستطارة شرورها

وعوم مضرتها في الوري
حكم بفسق النمام حتى لا
يقبل له قول فيسترى
الخلق من شره (وقال ابن
عمر) وفدا لله الحاج ووفد
الشيطان قوم يرسلهم
السلطان الى الناس
ويسألهم عن حالهم فيخبرونه
ان الناس راضون وليسوا
براضين واعلموا ان الله
تعالى خلق الانسان على
اغضاء شتى لسانه كرها
الا ان كثيرا وطول
تبعها فخلق الله الحواس
الشريفة والاعضاء
النافعة النفيسة فمن
افضل ما ركب فيه اللسان
الذي هو آلة النطق
والبيان وبه فصل بينه
وبين البهائم ثم فضله على
سائر الحيوان وامتن عليه
في اول سورة الرحمن فقال
تعالى الرحمن علم القرآن
خلق الانسان علمه البيان
وخلق فيه أعضاء تدل
وتستهان وجعلها مجرى
للفضل الطعام والشراب
فمن يتبع سقطات الكلام
ويروى عثرات الانام التي
هي كالعو رات الواجب
سترها ودفنها كان قد
استعمل اشرف الالات

فان هذا هو المطلوب فافهم واعلم ان الفلاسفة كلها مدحت النفس وزعمت انها المدبرة للجسد والحاملة
له والدافعة عنه والفاعلة فيه وذلك ان الجسد اذا خرجت النفس منه مات وبرد فلم يقدر على الحركة
والامتاع من غيره لانه لا حياة فيه ولا نور وانما ذكرت الجسد والنفس لان هذه الصفات شبيهة بجسد
الانسان الذي تركب عليه على الغذاء والعشاء وقوامه وتماها بالنفس الحية النورية التي بها يفعل العظام
والاشياء المتقابلة التي لا يقدر عليها غير هابا بالقوة الحية التي فيها وانما انفعّل الانسان لاختلاف تركيب
طبايعه ولوانعقت طبايعه لتسلمت من الاعراض والتضاد ولم تقدر النفس على الخروج من بدنه وان كان
خالدا باقيا فسبحان مديبر الاشياء تعالى واعلم ان الطبايع التي يحدث عنها هذا العمل كيفية دافعة في
الابتداء ففضيلة محتاجة الى الانتهاء وليس لها اذا صارت في هذا الجسد ان تستحيل الى ما منه تتركب
كما قلناه تفارق الانسان لان طبايع هذا الجوهر قد لزم بعضها بقاء وصارت شيئا واحدا شديدا بالنفس
في قوتها وفعلها وبالجسد في تركيبه وبجسده به لان كانت طبايعه مفرقة باعياتها فباغما من
افاعيل الطبايع ان القوة للضعيف الذي يقوى على تفصيل الاشياء وتركيبتها وتماها فلذلك قات
قوى وضعيف وانما وقع التغيير والقضاء في التركيب الاول للاختلاف وعدم ذلك في الثاني للاتفاق
وقد قال بعض الاولين التفصيل والتقطيع في هذا العمل حياة وبقاء والتركيب موت وفناء وهذا الكلام
دقيق المعنى لان الحكماء اراد بقوله حياة وبقاء خروجه من العدم الى الوجود لانه مادام على تركيبه الاول
فهو فان لمحالة فاذا ركب التركيب الثاني عدم القضاء والتركيب الثاني لا يكون الا بعد التفصيل
والتقطيع فاذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة فاذا بقي الجسد المحلول انبسط فيه لعدم الصورة
لانه قد صار في الجسد بمنزلة النفس التي لا صورة لها وذلك انه لا وزن له فيه وسترى ذلك ان شاء الله تعالى
وقد ينبغي لك ان تعلم ان اختلاط اللطيف بالاطيف اهلون من اختلاط الغليظ بالغليظ وانما اراد بذلك
التشاكل في الارواح والاجساد لان الاشياء تتصل بالاشياء كالماء وذكرت لك ذلك لئلا تعلم ان العمل اوفى
وايسر من الطبايع اللطائف الروحانية منها من الغليظة الجسمانية وقد يتصور في العقل ان الاجزاء اقوى
واصبر على النار من الارواح كما ترى الذهب والمديد والنحاس اصبر على النار من الكبريت والزئبق
وغيرهما من الارواح فاقول ان الاجساد قد كانت ارواحا في بدنها فلما اصابها حر الكيان قلبها اجسادا
لزجة غليظة فلم تقدر النار على اكلها الا فراط غاظها وتزجها فاذا افرطت النار عليها صيرتها ارواحا كما
كانت اول خلقها وان تلك الارواح اللطيفة اذا اصابها النار ابلقت ولم تقدر على البقاء عليها فيذبحي لك ان
تعلم ماصير الاجساد في هذه الحالة وصير الارواح في هذا الحال فهو اجل ما تعرفه اقول انما ابلقت تلك
الارواح لاشتتعالها ولما فتم وانما اشتعلت لكثرة رطوبتها ولان النار اذا احست بالرطوبة تعلقت بها
لانها هوائية تشاكل النار ولا تزال تغتذي بها الى ان تقوى وكذلك الاجساد اذا احست بوصول النار اليها
لعلها تلزجها وغلظها وانما صارت تلك الاجساد لا تشتعل لانها مركبة من ارض وماء صابر على النار
فلطيفة متحدة بكثرة طول الطبخ اللين الماسج للاشياء وذلك ان كل من لا شئ انما يتلاشى بالاشياء بالانفارقة
لطيفة من كثرة ودخول بعضها في بعض على غير التحليل والموافقة فصارت تلك الانضمام والتداخل
مجاورة لا محازجة فسهل بذلك افتراقهما كالسوء والذهن وما اشبههما وانما وصفت ذلك لتستدل به

(٤١ - ابن خلدون)

في اخص المستعمالات فصارت كمن يحس بالسانه سواء اخيه وجعل

اكرم جوارحه لاختصاص اجناس المستعرضين ورضي ان يقع من الناس موقع الذباب من الطير يتبع ثقل الجسد ويتحامي صحبه وقد
كان له في شر المحاسن شغل ولا يمكن اهل كل ذي حال اولى بها وفي هذا سبق المثل ان لم تكن ملحا تصليح فلا تكن ذبابا تقسدم من لم يقدر

على جميع الفضائل فليكن هـ مته ترك الرذائل واذا تتبع الامام عورات الناس افسدهم (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم هم بالخروج يومافد مع قومامن اصحابه يضحكون فامتنع من الخروج اليهم حذرأن لا يفسد قلبه عليهم ولوعلم الذي يسمع اخبار الناس مايجني على نفسه لعلم ان اصمهم كان هنا (٣٢٢) لعبسه وانعم اباله من سماع الاخبار يا واحدماذا عمل ثقلة الاخبار جعلوا اليك الصدق

او الكذب فتكون في سماع الكذب عن قال الله تعالى فيه سماعون للكذب ا كالون للسمع وتكون في سماع الصدق جمالا لهم حرج الصدر على الخلق معاديا لهم متبعين العثرات الخلق وخرنا لسطقاتهم قد وعيت منهم مايجب ستره وحفظت مايجب نسيانه ثم لاتستطيع النصفه من قائل لانك ان كنت ذا قدرة اهلك الرعية ثم لاتستطيع ان تهلك جميع الرعية وان كنت سوقة لم يشف غيظك ثم افسدت اخوانك وابغضت من يجب ان تحبه واحببت من يجب ان تبغضه ثم لاتزال تتحمل الحسائف وتريد الاحقاد والضغائن وترصد اكل قائل يوما يشقى صدرك فيه فاعني العاقل عن هذه البلية ولله دو عمرو بن العاص روى انه لا حاره رجل يومافقال له الرجل اما والله ان هشت لاتفـ رغن لك فقال له عمر وبن العاص الا ان وقعت في الشغل يا ابن اخي (الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته) *

على تركيب الطبائع وتقابلها فاذا علمت ذلك علما شافيا فقد اخذت حفظك منها وينبغي ان تعلم ان الانحلاط التي هي طبائع هذه الصناعات موافقة بعضها لبعض مفصلة من جوهر واحد يحكمها نظام واحد بتدبير واحد لا يدخل عليه غريب في الجز منه ولا في الكل كما قال الفيلسوف انك اذا احكمت تدبير الطبائع وتأليفها ولم تدخل عليها غريبا فقد احرى بها في الحكمة وقوامه اذا الطبيعة واحدة لا غريب فيها فمن ادخل عليها غريبا فقد زاعغ عنها ووقع في الخطا واعلم ان هذه الطبيعة اذا دخل لها جسد من قرائنها على ما ينبغي في الحمل حتى يشا كلها في الرقة واللاطفة انبسط فيه ووجرت معه حيثما جرى لان الاجساد مادامت غليظة جافة لا تنبسط ولا تتراوج وحل الاجساد لا يكون بغير الارواح فافهم هـ ذلك الله هذا القول واعلم هـ ذلك الله ان هذا الحل في جسد الحيوان هو الحق الذي لا يضل ولا ينقض وهو الذي يقبل الطبائع ويمسكها ويظهر لها الوان وازمارا عجيبة وليس كل جسد يحمل خـ لاف هـ ذاهو الحل التام لانه يخالف للحياة وانما حله بما يوافقه ويدفع عنه حرق النار حتى يزول عن الغلظ وتقلب الطبائع عن حالاتها الى ما لها ان تتقلب من اللطافة والغلظ فاذا بلغت الاجساد نهايتها من التخليل والتلطيف ظهرت لها هنالك قوة تمسك وتغوص وتقلب وتنقذ وكل عمل لا يرى له مصداق في اوله فلا خـ يرفيه واعلم ان البارد من الطبائع هو يبيد الاشياء ويعقد رطوبتها والحر من الطبائع يظهر رطوبتها ويعيد قديسها وانما افردت الحر والبرد لانها فاعلان والرطوبة واليبس منفعلان وعلى انفعال كل واحد منهما صاحبه تحدث الاجسام وتتككون وان كان الحرا كثر فعلا في ذلك من البرد لان البرد ليس له نقل الاشياء ولا تحركها والحر هو علة الحركة وتمي ضعفت علة اليبس وهو الحرارة لم يتم منها شيء أبدا كما انه اذا فطرت الحرارة على شيء ولم يكن ثم برد احرقتة واهلكته في اجل هذه العلة احتيج الى البارد في هذه الاعمال ليقوى به كل ضد على ضده ويدفع عنه حر النار ولم يحذر الفلاسفة كثر شيء الا من النار الحارقة وأمرت بتطهير الطبائع والافئاس واخراج دنسها ورطوبتها ونفي آفاتها واساخا عنها على ذلك استقام رأيهم وتدبيرهم فانما عملهم انما هو مع النار اولا واليه يصير آخر فاذللك قالوا يا كم والنيران المحرقات وانما ارادوا بذلك نفي الآفات التي معها فتجمع على الجسد آفاتين فتكون اسرع هلاكا وكذا كل شيء انما يتلاشي ويفسد من ذاته انضاد طبائعه واختلافه فيتمسك بين شيئين فلم يجد ما يقويه ويعينه الا قهرته الا قوة وأهلكته واعلم ان الحكماء كلها ذكروا ان الارواح على الاجساد مرارا ليكون الزم اليها واقوى على قتال النار اذ هي باشرتها عند الالفة اعني بذلك النار انما تنصرف فاعلمه ونقل الا ان على الحجر الذي يمكن منه العمل على ما ذكرته الفلاسفة فقد اختلفوا فيه فمنهم من زعم انه في الحيوان ومنهم من زعم انه في النبات ومنهم من زعم انه في المعادن ومنهم من زعم انه في الجميع وهذه الدعوى ليست بناحجة الى استقصائها ومنظرة اهلها عليهم الان الكلام يطول جدا وقد قلت فيما تقدم ان العمل يكون في كل شيء بالقوة لان الطبائع موجودة في كل شيء فهو وكذلك فتريد ان تعلم من أي شيء يكون العمل بالقوة والعمل فنقص الى ما قاله الحراني ان الصمغ كله احدث صبغين اما صبغ جسد كالزعفران في الثوب الابيض حتى يحول فيه وهو مضمحل منقوص التركيب والصبغ الثاني تغليب الجوهر من جوهر نفسه الى جوهر غيره ولونه كتغليب الشجر بل التراب الى نفسه وقلب الحيوان والنبات الى نفسه حتى يصير التراب نباتا والنبات

قال الله تعالى ولاكم في القصاص حياة يا اولي الالباب يعني اذا علم القاتل والقاطع انه يقتص منه ا حيا وانا ولم يقدم على الفعل فيكون في ذلك حياته وحياة الذي هم به (روى) ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يقضى بين الناس في الدمار روى ابوهريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده لاجية مظلمة فليتحلها منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل

أن يؤخذ لآخيه من حسنة فان لم يكن له حسنة اتأخذ من سيماء أخيه فطرح عليه وهذا حديث صحيح زواه البخاري فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزروا زورا غير فكيف يؤخذ الظالم بذنب ركبته المظالم قلنا معنى الآية لا يعاقب أحد بذنب أحد ابتداء وامافي مسئلتنا فخلية بقيت عنده وليس له فاعيا فهو الذي اكتسب هذا الوزر (٣٢٣) وهو المعنى بقوله تعالى وليحملن أثقالهم

وأثقالا مع أثقالهم ووروى

أبو سعيد الخدري أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال

يخلص المؤمنون من النار

فيحسبون على قنطرة بين

الجنة والنار ليقص لبعضهم

من بعض مظالم كانت بينهم

في الدنيا حتى اذا هذبوا

وتقوا أذن لهم في دخول

الجنة فالذي نفسي بيده

لا أحدهم اهدي لمنزله في

الجنة منه بمنزله في الدنيا

وروى أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال قبل موته

من كانت له عندي مظنة

فلبأت حتى أقصمه من

نفسى فقام سوار بن غزية

فقال يا رسول الله انك

ضربتني على بطني ليه

العقبة فاجعنتي فقال

النبي صلى الله عليه وسلم

دونك فاقص فقال

يا رسول الله انك ضربتني

وأنا مكشوف البطن فكشف

الذي صلى الله عليه وسلم

بطنه فاذا هو كالقباطي

يعني ثياب مصر فاكب

عليه يقبله فقال يا سوار

ما حملك على هذا فقال

يا رسول الله دناءة هؤلاء

المشركين ولا ندري فأردت

أن يكون آخر العهد بك

حيوانا ولا يكون الا بالروح المحي والحيوان الذي له توليد الاجرام وقلب الاعيان فاذا كان هذا كذا فنقول ان العمل لا بد أن يكون اما في الحيوان واما في النبات وبرهان ذلك انه ما مطبوعان على الغذاء وبه قوامهما وتمامهما فاما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قل خوض الحكة فيه واما الحيوان فهو آخر الاساتحة الثلاث ونهايتها وذلك ان المعدن يستحيل نباتا والنبات يستحيل حيوانا والحيوان لا يستحيل الى شيء هو الالف منه الا أن ينعكس راجعا الى الغلظ وانه ايضا لا يوجد في العالم شيء يتعلق به الروح المحية غيره والروح الالف ما في العالم ولم تتعلق الروح بالحيوان الا بشا كلته اياها فاما الروح التي في النبات فانها يسيرة قيمها غلظ وكثافتها هي مع ذلك مستغرقة كامنة فيه لغلظها وغلظ جسد النبات فلم يقدر على الحركة لغلظها وغلظ روحه والروح المتحركة الالف من الروح الكامنة كثير او ذلك ان المتحركة لما قبول الغذاء والتنقل والتنفس وليس للكامنة غير قبول الغذاء وحده ولا تجري اذا قبست بالروح المحية الا كالارض عند الماء كذلك النبات عند الحيوان فالعمل في الحيوان اعلى وارفع واهون وايسر فينبغي للعاقل اذا عرف ذلك ان يجرب ما كان سهلا ويترك ما يحشى فيه عسرا وعلم ان الحيوان عند الحكة ينقسم اقساما من الامهات التي هي الطبائع والمحيثة التي هي المواليد وهذا معروف متيسر الفهم فلذلك قسمت الحكة الى العناصر والمواليد اقساما مادية واقساما مادية فعملوا كل متحرك فاعل حيا وكل ساكن مفعولا ميتا وقسموا ذلك في جميع الاشياء وفي الاجساد الدائمة وفي العقاقير المعدنية فسموها كل شيء يذوب في النار ويطير ويشعل حيا وما كان على خلاف ذلك سموه ميتا فاما الحيوان والنبات فسموا كل ما انفصل منها طبائع اربعا حيا وما لم يتفصل سموه ميتا ثم انهم طلبوا جميع الاقسام المحية فلم يجدوا وفق هذه الصناعة مما ينفصل فصولا اربعة ظاهرة للعيان ولم يجدوه غير الحجر الذي في الحيوان فيجنوا عن جنسه حتى عرفوه واخذوه ودبروه فكيف لهم منه الذي أرادوا وقد يتكف مثل هذا في المعادن والنبات بعدد جميع العقاقير وخطاها ثم تفصل بعد ذلك فاما النبات فانه ما ينفصل به بعض هذه القصول مثل الاشنة وان اما المعادن ففيها اجساد اوارواح وانفاس اذا خرجت ودبرت كان منها ما له تأثير وقد دبرنا كل ذلك فكان الحيوان منها اعلى وارفع وتدبيره اسهل وايسر فينبغي لك أن تعلم ما هو الحجر الموجود في الحيوان وطريق وجوده انا بينا ان الحيوان ارفع المواليد وكذا ما تركب منه فهو الالف منه كالنبات من الارض وانما كان النبات الالف من الارض لانه انما يكون من جوهره الصافي وجسده اللطيف فوجب له بذلك اللطافة والرقوة وكذا هذا الحجر المحيواني بمنزلة النبات في التراب وبالمجلة فانه ليس في الحيوان شيء ينفصل طبائع اربعا غير فافهم هذا القول فانه لا يكاد يخفى الا على جاهل بين الجهالة ومن لا عقل له فقد اخبرتك ماهية هذا الحجر واعلمت جنسه وانا بين لك وجوه تدبيره حتى يكمل الذي شرطناه على انفسنا من الانصاف ان شاء الله سبحانه (التدبير على بركة الله) خذ الحجر الكريم فاودعه القرعة والانبى وفصل طبائعه الاربع التي هي النار والهواء والارض والماء وهي الجسد والروح والنفس والصبيغ فاذا عزلت الماء عن التراب والهواء عن النار فارفع كل واحد في انائه على حدة وخذ الماء بط اسفل الاناء وهو الثقيل فاغسله بالنار الحارة حتى تذهب النار عنه وسواده يزول غلظه وحفاؤه ويبضه تبويضاً حكما وطير عنه فضول الرطوبة المستحبة فيه فانه يصير عند ذلك ماء بيض لا ظلمة فيه ولا وسخ

أن أقبل بطنك فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لعلنا ان الله تعالى لا يدع القصاص في المظالم بين العباد لان الله تعالى أعذل من أن يدع مظلمة لاحد عند نبى ولا غيره وفي الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة أنا ظالم ان فاني ظلم ظالم يروى أن داود عليه السلام يقدمه خضمه الى الله يوم القيامة فيقضى له عليه فيدفعه الى أورياس

ثم يستوهبه الله تعالى من أوريا ثم يعرض أوريا على ذلك الجنة وقال حبيب دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه فوجد غلامه يعلف ناقة له وإذا في علفه شيء فأخذ بذنه فمركها ثم ندم فقال اغلامه قم فاقصص مني فابى الغلام فلم يزل به حتى قام فأخذ بذنه ثم قال يعرك وهو يقول شدد حتى عرف عثمان (٣٢٤) انه قد بلغ منه ثم قال واهل القصص الدنيا قبل قصاص الاخرة (روى) عون بن عبد

الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا خادما له فلم يجبه أو كان نائما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا القصص لا وجعتك ضربا وروى ابن وهب في موطنه عن ابن شهاب قال وقد أقاد النبي صلى الله عليه وسلم والخليفان من أنفسهم ليس اثنين بهم ولم يعمدوا حيقا وكانوا سلاطين ومن صحيح مسلم روى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لادرمه لم ولا متاع فقال ان المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا أنفت حسناته قيل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار قال مالك وبلغني ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما ولي الخ لافة ضرب رجلا ثم ندم وقال مالي ولهذا اردت ان اعلمهم

ولا تضاد ثم اعلم ان تلك الطبائع الاول الصاعدة منه فطهرها أيضا من السواد والتضاد وكر رعليها الغسل والتصعيد حتى تطف وترق وتصفو فاذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك فابدأ بالتركيب الذي عليه مدار العمل وذلك ان التركيب لا يكون الا بالترجيح والتعقيل فاما التزويج فهو اختلاط اللطيف بالغليظ وأما التعقيل فهو التمشية والسخي حتى يختلط ببعضه بعض ويصير شيئا واحدا لا اختلاف فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالماء فعند ذلك يقوى الغليظ على امساك اللطيف وتقوى الروح على مقابلة النار وتصير عليها وتقوى النفس على الغوص في الاجساد والديب فيها وانما وجد ذلك بعد التركيب لان الجسد المحلول لما ازدوج بالروح مازجه بجميع أجزائه ودخل بعضها في بعض لتشا كلها فصار شيئا واحدا ووجب من ذلك أن يعرض للروح من الصلاح والفساد والبقاء والتبوت ما يعرض للجسد لموضع الامتزاج وكذلك النفس اذا امتزجت بهما ودخلت فيهما فمدمة التدبير اختلطت أجزاؤه ما يجتمع أجزاءه الاخرين اعني الروح والجسد وصارت هي وماء شيا واحدا لا اختلاف فيه بمنزلة الجزء الكلي الذي سلمت طبائعه واتفقت أجزاؤه فاذا اتى هذا المركب الجسد المحلول والروح عليه النار وأظهر ما فيه من الرطوبة على وجهه ذاب في الجسد المحلول ومن شأن الرطوبة الاشتعال وتعلق النار بها فاذا اردت النار التعلق بها منعهما من الاتحاد بالنفس مما زج الماء فان النار لا تتحد بالدهن حتى يكون خالصا وكذلك الماء من شأنه النفور من النار فاذا ألتح عليه النار وأردت تطهيره حبسه الجسد بالباس الممازج له في جوفه فخره من الطير ان في مكان الجسد دعة لا مساك الماء والماء دعة لبقاء الدهن والدهن دعة لثبات الصبغ والصبغ دعة لظهور الدهن واطهار الدهنية في الاشياء المظلمة التي لا نور لها ولا حياة فيها فهذا هو الجسد المستقيم وهكذا يكون العمل وهذه النصفية التي سألت عنها وهي التي سميتها الحكة بيضة واياها يعنون لا بيضة الدجاج وهو اعلم ان الحكة كما لم تسمها بهذا الاسم لغیر معنى بل اشبهتها بالقدسات مسلمة عن ذلك يوما وليس عنده غيري فقلت له أيها الحكمي الفاضل اخبرني لا شيء سميت الحكة كماء مركب الحيوان بيضة اختيارا منهم لذلك أم لمعني دعاهم اليه فقال بل لمعني غامض فقلت أيها الحكمي وما ظهرك لهم من ذلك من المنفعة والاستدلال على الصناعة حتى شبهوها وسعوا بيضة فقال لشبهها وقربتها من المركب ففكر فيه فانه سيظهر لك معناه فبقيت بين يديه مفرقا لا اقدر على الوصول الى معناه فلما رأى ما بي من الفكر وان نفسي قد مضت فيها اخذ بعضدي وهزني هزة خفيفة وقال يا أبا بكر ذلك للنسبة التي بينهما في كمية الانوان عند امتزاج الطبائع وتأليفها فلما قال ذلك انجلت عني الظلمة واضاء لي نور قلمي وقوى عقلي على فهمه فنهضت شاكر الله عليه الى منزلي وأقبت على ذلك شكلا هندسيا يبرهن به على صحة ما قاله مسلمة وأنا واضع ذلك في هذا الكتاب مثال ذلك ان المركب اذا تم وكل كان نسبة ما فيه من طبيعة الهواء الى ما في البيضة من طبيعة الهواء كنسبة ما في المركب من طبيعة النار الى ما في البيضة من طبيعة النار وكذلك الطبيعة ان تجعل لسطح البيضة هزوح فاذا اردنا ذلك فانا نأخذ أقل طبائع المركب وهي طبيعة اليوسفة ونضيف اليها مثلهما من طبيعة الرطوبة ونديرهما حتى تنشف طبيعة اليوسفة بطبيعة الرطوبة وتقبل قوتها وكان في هذا الكلام رزاو لكنه لا يخفى عليك ثم تحمل عليها جميعا مثلهما من الروح وهو الماء فيكون الحجة مع ستة

امثال

فسمعت عائشة فارسلت الى عمر فجاهد عمر فقال له اني قد ضربت رجلا وقد كنت معاني من هذا

ان اضرب فقال عمر كذلك الامام فقال فما الخرج قال ان تأتي الرجل فتسأله ان يجعلك في حل فتابه فاس تحلاه ذات النار على ان الامير والمأمور في القصص سواء اذا جني أحدهما على الآخر وان الامير اذا ظلم المأمور زال تأمره عليه في ذلك المعنى وكان الامير في

ذلك المعنى كعض المؤمر عليهم حتى يتحاكموا الى السلطان الاعظم وكان عمر يقول انما بعثت امرأى ليعلموا الناس دينهم ويقسموا بينهم
فيهم ولم يعدلوا فيهم ولم ابعثهم ليضربوا اباشارهم ويحلقوا اشاءهم من ظلمه امير فلا امره عليه دوني حتى اخذله بحقه قال عمرو بن
العاص الله الله يا امير المؤمنين ان ادب رجل رجلا من رعيته انك لتقصه منه فقال عمر (٣٢٥) كيف لا اقصه منه وقد رايت النبي

صلى الله عليه وسلم يقص
من نفسه (فاما القصص
بين البهائم) فاختلف الناس
في حشرها وفي جريان
القصص بينها فكان ابن
عباس يقول حشرها موتها
قال وحشر كل شيء الموت
الاجن والانس فانهم ما
يوافيان يوم القيامة وقال
عظيم المفسرين انها تحشر
ويقتص منها قال ابن
حبيب تحشر البهائم وقال
قتادة يحشر كل شيء حتى
الذباب وقال أبو الحسن
الاشعري لا تقطع باعادة
البهائم والمجانين ومن لم
تبلغه الدعوة ويجوز ان
يعادوا ويدخلوا الجنة
ويجوز ان لا يعادوا والدليل
على نبوت الاعادة في الجملة
قوله تعالى واذا الوحوش
حشرت وقال تعالى وما من
دابة في الارض ولا طائر يطير
بحناجره الا امم امثالكم
الى ان قال ثم الى ربهم
يحشرون (وروي) مسلم
في صحيحه عن أبي هريرة
أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لتؤذن الحقوق
الى أهلها يوم القيامة حتى
يقاد للشاة الجمجمة من
الشاة القرناء وقال أبو ذر
انطلقت شاتان عند النبي

امثال ثم تحمل على الجميع بعد التدبير مثله الامن طبيعة الهواء التي هي النفس وذلك ثلاثة اجزاء فيكون
الجميع تسعة امثال اليوسفة بالقوة وتجعل تحت كل ضلعين من المركب الذي طبيعة محيطة بسطح
المركب طبيعة فتجعل اول الضلعين المحيطين بسطح طبيعة الماء وطبيعة الهواء وهما ضلعان اح د
وسطح الجسد وكذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة الاذان هما الماء والهواء ضلعان هـ ز فاقول ان
سطح الجسد يشبه سطح هـ ز وطبيعة الهواء التي تسمى نفسا وكذلك سطح المركب والحق كما لم تسم
شيئا باسم شيء الا شبهه به والكلمات التي سألت عن شرحها الارض المقدسة وهي المنفعة من الطبايع
العالمية والسفلية والنحاس هو الذي اخرج سواده وقطع حتى صار هباء ثم جرى بالزجاج حتى صار نحاسا
والمغنيسيا حجرهم الذي تجمد فيه الارواح وتخرجه الطبيعة العلوية التي تستجيب فيها الارواح لتقابل
عليها النار والفرقة لون احمر فان يحذته الكيان والراسص حجر له ثلاث قوى مختلفة الشخوص ولكنها
متشابهة ومتجانسة فالواحدة روحانية نيرة صافية وهي القاعلة والثانية نفسانية وهي متحركة حساسة
غير انها اغلاط من الاولى ومركزها دون مركز الاولى والثالثة قوة أرضية حادة قابضة منعكسة الى مركز
الارض لتقلها وهي المسكة الروحانية والنفسانية جميعا والمحيط بهما واسائر الباقية فبتدعة
وتخترعة الباس على الجاهل ومن عرف المقدمات استغنى عن غير هاء هذا جميع ما سألتني عنه وقد بعثت به
اليك مقصرا ونرجو بتوفيق الله ان تبلغ املك والسلام انتهى كلام ابن بشرون وهو من كبار تلامذة
مسلمة الجعري طيبي الاندلس في علوم الكيمياء والسيما والسحر في القرن الثالث وما بعده وأنت
تري كيف صرف الفاظهم كلها في الصناعة الى الرمز والالغاز التي لا تسكاد تبين ولا تعرف وذلك دليل على
انها ليست بصناعة طبيعية ■ والذي يجب ان يعتد في امر الكيمياء هو الحق الذي يعرضه الواقع
انها من جنس آثار النفوس الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعة امام نوع الكرامة ان كانت النفوس
خبرة او من نوع السحرة ان كانت النفوس شريرة فاجرة فاما الكرامة فظاهرة واما السحر فلان الساحر كما
ثبت في مكان تحقيقه يقلب الاعيان المادية بقوته السحرية ولا بد له مع ذلك عندهم من مادة يقع فعله
السحري فيها كتحريك بعض الحيوانات من مادة التراب والشجر والنبات والجملة من غير مادتها المخصوصة
بها كواقع لسحرة قروان في الجبال والعصى وكما قيل عن سحرة السودان والهنود في قاصية الجنوب
والترك في قاصية الشمال انهم يسحرون الجوالا ومطار وغير ذلك ■ ولما كانت هذه تخليقا للذهب
في غير مادته الخاصة به كان من قبيل السحر والمتكلمون فيه من اعلام الحكماء مثل جابر ومسلمة ومن
كان قبلهم من حكماء الامم انما نحو هذا المنحى ولهذا كان كلامهم فيه الغاذا حذر اعليهم ان انكار الشرائع
على السحر وانواعه لا أن ذلك يرجع الى الضميمة بها كما هو رأي من لم يذهب الى التحقيق في ذلك وانظر
كيف سمي مسلمة كتابه فيمارتبه الحكيم وسعى كتابه في السحر والطلسمات غاية الحكيم اشارة الى عموم
موضوع الغاية وخصوص موضوع هذه لان الغاية اعلى من الرتبة فكان مسائل الرتبة بعض من مسائل
الغاية وتشاركها في الموضوعات ومن كلامه في القئين يبين ما قلناه ونحن نبين فيما بعد دغلاط من يزعم
ان مدارك هذا الامر بالصناعة الطبيعية والله اعلم الخبير

صلى الله عليه وسلم فقال اندرون فيما انتطخاقت لا ادري قال لكن الله يدري وسيفضي بينهم قال أبو ذر لقد تر كذا النبي صلى الله عليه
وسلم وما يقلب طائر جناحه في السماء الا ذكرنا منه علما وقال أبو ذر ان الحجر ليس مثل عن نكبه اصبع الرجل وفي الحديث الصحيح في
سلم البخاري وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياتني أحدكم على رقبته بعير له رغاء على رقبته بقرة لها خوار على رقبته شاة تهر

ثم بسط لها بقاع قرقر فتطوّه باطرافها وتنطه بقرونها كما امرت عليه أولا ما عادت أخراها والحديث وارد في مانع الزكاة وقال أبو الحسن
لا تجوز المقاصة بين البهاشم لأنها غير مكافئة ولا يجزى عليها القلم قال وما ورد في ذلك من الاخبار ونحو قوله صلى الله عليه وسلم يقتص للجماء
من القرناء ويسئل العود لم خدش (٣٢٦) العود فعلى سبيل المثل والاختبار عن شدة التقص في الحساب وأنه لا بد أن يقتص للظلم

من الظالم وأبى ذلك الاستاذ
هذا الفصل وما بعده مهم لأن هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضررها في الدين كثير فوجب
أن يصمدع بشأنها ويكشف عن المعتقد الحق فيها أو ذلك أن قوما من عقلاء النوع الانساني زعموا أن
الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك ذواته واحواله بأسبابها وعلاها بالانظار الفكرية والاقيسة
العقلية وان تصحج العقائد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل
وهو لا يسمعون فلا سعة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة فبحثوا عن ذلك وشعروا به
وحوموا على اصابه الغرض منه ووضعوا قانونا يهتدى به العقل في نظره الى التمييز بين الحق والباطل
وسموه بالمنطق ومحصل ذلك ان النظر الذي يفيد تمييز الحق من الباطل انما هو للذهن في المعاني المتبرعة
من الموجودات الشخصية فيجرد منها الاوصاف والمنطقية على جميع الاشخاص كما ينطبق الطابع على جميع
النقوش التي ترسمها في طين او شمع وهذه المجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الاوائل ثم تجرد من تلك
المعاني الكلية اذا كانت مشتركة مع معاني اخرى وقد تميزت عنها في الذهن فتجرد منها معاني اخرى وهي
التي اشتركت بها ثم تجرد ثانيا ان شاركها غير وثالثها ان ينتهي التجريد الى المعاني البسيطة الكلية
المنطقية على جميع المعاني والاشخاص ولا يكون منها تجريد بعد ذلك ذواهي الاجناس العالية وهذه
المجردات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تأليف بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها تسمى
المعقولات الثواني فاذا انظر الفكري في هذه المعقولات المجردة وطالب تصور الوجود كما هو فلا بد للذهن من
اضافة بعضها الى بعض ونفي بعضها عن بعض بالبرهان العقلي اليقيني ليحصل تصور الوجود تصورا صحيحا
مطابقا اذا كان ذلك بقانون صحيح كما هو وصف التصديق الذي هو تلك الاضافة والحكم متقدم عندهم
على صنف التصور في النهاية والتصور متقدم عليه في البداية والتعليم لان التصور التام عندهم هو غاية
الطلب الادراك وانما التصديق وسيلة له وما تسمعه في كتب المنطقيين من تقدم التصور وتوقف
التصديق عليه فبمعنى الشهور لا بمعنى العلم التام وهذا هو مذهب كبيرهم ارسطو ثم يزعمون ان السعادة
في ادراك الموجودات كلها ما في المحس وما وراء المحس بهذا النظر وتلك البراهين وحاصل مداركهم في
الوجود على الجملة وما آلت اليه وهو الذي فرغوا عليه قضايا انظارهم انهم عثروا أولا على الجسم الساقط
بحكم الشهود والمحس ثم ترقى ادراكهم قليلا فاشعروا بوجود النفس من قبل الحركة والمحس في الحيوانات
ثم احسوا من قوى النفس سلطان العقل ووقف ادراكهم فقصوا على الجسم العالي السماوي يتخوم
القضاء على امر الذات الانسانية ووجب عندهم أن يكون للقلب نفس وعقل كمالا لانسان ثم انهوا ذلك
نهاية عدد الاحاد وهي العشرة مفضلة ذواتها جل وواحد اول مفرد وهو العاشر ويزعمون ان السعادة
في ادراك الوجود على هذا النحو من القضاء مع تهذيب النفس وتخليتها بالقضائل وان ذلك ممكن للانسان
ولولم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة والذيلة من الافعال بمقتضى عقله ونظره وميله الى الحمود ومنها واجبت له
للاذموم بقطرته وان ذلك اذا حصل للنفس حصلت لها البهجة والذلة وان الجهد بذلك هو الشقاء
السرمدى وهذا عندهم هو معنى النعيم والعذاب في الآخرة الى خبط لهم في تفاصيل ذلك معروف من
كلماتهم وامام هذه المذاهب الذي سئل مسائلها ودون علمها وسطر حجاجها فاما بغنا في هذه الاحكام
هو ارسطو المقدوني من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ افلاطون وهو معلم الاسكندر ويروي

أبو اسحق الاسفهراني
قال في الجامع الجلي يجزى
القصاص بينها قال ويحتمل
انها كانت تعقل هذا
التدور في دار الدنيا فلماذا
أجرى فيه القصاص وكلام
الاستاذ له وجه في الصحة
لان البهية تعرف النفع
والضرر فتقرر من العصا
وتقبل الى العلف وينزجر
الكلاب اذا زجروا يستأسد
اذا أشلى والطير والوحش
يقوم من الجوارح استدفاعا
لشرها ثم ان لم يجز عليها
القتل في الدنيا فأنما رفع
القتل عنها في الاحكام
فان قيل القصاص انتقام
وهو خرافة على جنائية وقعت
من مخالفة الامر والبهاشم
ليست بمكافئة ولا لما عقول
ولا جاءها رسول والعقول
عندكم لا يجب بها شيء على
العقلاء فضلا عن البهاشم
وفي هذا انفصال عن قول
الاستاذ انها كانت تعقل
هذا القدر اذا لا يجب بالعقل
شيء ويشهد له قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا فاجاب انها ليست
مكافئة لان من ضرورة
التكليف ان يعلم الرسول

والمرسل وذلك من خصائص العقلاء وهم الثقلان واذا لم تسكن مكافئة كانت في المشيئة يفعل الله بها
ما اراد كما سلب عليهم في الدنيا الاستغفار والذبح فلا اعتراض عليه والله تعالى ان يفعل في ملكه ما اراد من تنعيم وتعذيب واذا جاز ان
الاهمية ابتداء جاز ان يؤلفها بعد حياتها والا لية محمولة على من يعلم الرسول والمرسل ثم ان لم يجز عليهم القلم في الدنيا فأنما رفع القلم عنها

الاحكام ولكن فيما بينها تؤاخذ وقد روى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الوزغ فانه كان ينفع على ابراهيم عليه السلام
فهذه عجماء عوقبت على سوء صنيع جنسها وفيه دليل على ان الله تعالى ان يعذب ملكه لا بالمعصية وقد ضرب موسى عليه السلام الحجر
الذي مر بثوبه وبنو اسرائيل ينظرون عورته رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣٢٧) قال فضر به بعصاه والحجر يفر

وموسى يقول ثوبى حجر
ثوبى حجر قال أبو هريرة
قوالذى نفسى بيده انه
لنذب بالحجر ستة أو سبعة
ودرى فى نفسه يرقوله
تعالى وقودها الناس
والحجارة انها الحجارة التى
تكسر الناس فى الدنيا
ودرى ان المسيح عليه
السلام مريحيل فسمع
انينه فسأله عن ذلك فقال
سمعت الله يقول وقودها
الناس والحجارة فلا أدري
أكون من تلك الحجارة
أم لا وقد تناول بعضهم قول
ابن عباس حشرها موتها
تتشرب لضرب من القصاص
بينهم تصير ترابا قلت
وتأويل ابن عباس بعيد
لان الحشر الجمع وليس
فى موتها جمعها بل فيه
تفرقتها وتفرقة أجزائها ثم
قد قال والى ربهم يحشرون
وانما يكون الحشر الى
الرب تعالى باعادة الحياة
اليها وجمعها الى ربها
*(الباب التاسع والخمسون
فى الفرج بعد الشدة)*
قال الله تعالى وهو الذى
ينزل الغيث من بعد
ما قنطوا وقال سبحانه أمن
يجيب المضطر اذا دعاه

المعلم الاول على الاطلاق يعنون معلم صناعه المنطق اذ لم تكن قبله مهذبة وهو اول من رتب قانونها
واسستوفى مسائلها واحسن بسطها ولقد احسن فى ذلك القانون ما شاء لو تكفل له بقصدهم فى الالهييات ثم
كان من بعده فى الاسلام من أخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رايه حذوا والنعل بالنعل الا فى القليل وذلك ان
كتب أولئك المتقدمين لما ترجعوا الخلفاء من بنى العباس من اللسان اليونانى الى اللسان العربى تصفحها
كثير من أهل الملة وأخذ من مذاهبهم من أصله الله من متخلى العلوم وجادلوا عنها واختلفوا فى مسائل من
تفارىعها وكان من أشهرهم أبو نصر الفارابى فى المسائل الرياضية لعهد سفي الدولة وأبو علي بن سينا فى
المسائل الخمسة لعهد نظام الملك من بنى بويه باص بهان وغيرهما * واعلم ان هذا الرأى الذى ذهبوا اليه
باطل بجميع وجوهه فأما سنادهم الموجودات كلها الى العقل الاول واكتفاؤهم به فى الترقى الى
الواجب فهو قصور وعما وراء ذلك من رتب خلق الله فالوجود أوسع نطاقا من ذلك ويخلق ما لا تعلمون
وكانهم فى اقتصارهم على اثبات العقل فقط والغفلة عما وراءه بمثابة الطبيعيين المقتصرين على اثبات
الاجسام خاصة المعرضين عن النقل والعقل المعتقدين انه ليس وراء الجسم فى حكمة الله شئ وأما البراهين
التي يزعمونها على مدعياتهم فى الموجودات ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهى قاصرة وغير وافية
بالغرض أما ما كان منها فى الموجودات الجسمانية ويسمونه العلم الطبيعى فوجه قصوره ان المطابقة بين
تلك النتائج الذهنية التي تستخرج بالحدود والاقبسة كفى زعمهم وبين ما فى الخارج غير يقينى لان تلك
احكام ذهنية كلية عامة والموجودات الخارجية متشخصة بموادها ولعل فى المواد ما يمنع من مطابقة
الذهنى الكلى للخارجى الشخصى اللهم الا ما يشهد له الحس من ذلك فدل عليه شهوده لا تلك البراهين فأين
اليقين الذى يحجب عنه فيها وربما يكون تصرف الذهن ايضا فى المعقولات الاول المطابقة للشخصيات
بالصور الخيالية لا فى المعقولات الثبوتية التي تجر يدنا فى الرتبة الثانية فيكون الحكم حينئذ يقينيا بمثابة
الحسوسات اذ المعقولات الاول اقرب الى مطابقة الخارج اكمل الانطباق فيها فانسلم لهم حينئذ دعواؤهم
فى ذلك الا انه ينبغى لنا الاعراض عن النظر فيها اذ هو من ترك المسئلة لا ليعنيه فان مسائل الطبيعيات
لا تمنا فى ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها * وأما ما كان منها فى الموجودات التي وراء الحس وهى
الروحانيات ويسمونه العلم الالهى وعلم ما بعد الطبيعة فان ذواتها مجهولة وأساها لا يمكن التوصل اليها ولا
البرهان عليها لان تجر يد المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية انما هو ممكن فيما هو مدرك لنا
ونحن لا ندرك الذوات الروحانية حتى تجر مدعيات اخرى بحجاب الحس بيننا فلا يتأتى لنا
برهان عليها ولا مدرك لنا فى اثبات وجودها على الجلالة الامتجده بين جنسين من أمر النفس الانسانية
واحوال مداركها وخصوصا فى الرؤيا التي هى وجدانية لكل احد وما وراء ذلك من حقيقة واصفاتها فامر
غامض لاسمىل الى الوقوف عليه وقد صرح بذلك محققوهم حيث ذهبوا الى أن لا مادته لا يمكن
البرهان عليه لان مقدمات البرهان من شرطها ان تكون ذاتية وقال كبيرهم افلاطون ان الالهييات
لا يوصل فيها الى يقين وانما يقال فيها بالاحق والاولى يعنى الظن واذا كنا انما نحصل بعد التعب والنصب
على الظن فقط فكيفنا الظن الذى كان اولافأى فائدة له هذه العلوم والاشغال بها ونحن انما غنايتنا
بتخصيل اليقين فيما وراء الحس من الموجودات وهذه هى غاية الافكار الانسانية عندهم واما قولهم ان

ويشكف السوء وقال تعالى ان مع العسر يسرا وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر
ان يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود والذى نفسى بيده لو كان العسر فى حجر راطيه اليسر لن يغلب عسر يسرين ومعنى هذا انه عرف
العسر ونكر اليسر ومن عادة العرب اذا ذكرت اسماء عرفاتهم أعادته كذلك فهو وفاد انكرته ثم كررته كذلك فهم اثنان وقال بعضهم

ان يكن نال الزمان يلاوى * عظمت عندها المخطوب وجات
فاصطبر وانتظر بلوغ مداها * فالرزايا اذا تواتت تولت
وقال ابن عباس اول ما اتخذ النساء (٣٢٨) النطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقة لتعفى أثرها على سارة ثم جاءها ابراهيم وابنها

وتلتها قوارع ناكات * سئمت دونها الحماة ومملت
واذا أو هنت قوالك وجات * كشفت عنك جلة فتجالت

اسمعيل وهى ترضعه حتى
وضعهما عند البيت عند
دوحة فوق زمزم في أعلى
المسجد وليس بمكة يومئذ
أحد وليس بها ماء فوضه
هناك ووضع عند حاجبها
فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم
وقفا ابراهيم منطقة فقبضته
أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم
أين تذهب وتتركنا بهذا
الوادى ليس فيه أنيس
ولا شئ فقالت ذلك مرار
وجعل لا يلتفت اليها
فقالت له الله أمرك بهذا
قال نعم قالت اذا لا يضعبنا
ثم رجعت فانطلق ابراهيم
حتى اذا كان عند الثنية
حيث لا يرونه استقبل
البيت بوجهه ثم دعا بهؤلاء
الدعوات ورفع يديه فقال
رب انى اسكنت من ذريتى
بوادى غير ذى زرع عند
بيتك المحرم حتى يبلغ
يشكرون وجعلت أم
اسمعيل ترضع اسمعيل
وتشرب من ذلك الماء حتى
اذا تقدموا فى السقاء عطشت
وعطش ابنها وجعلت
تنظر اليه يتلوى فانطلقت
كراهية ان تنظر اليه
فوجدت الصفا أقرب
جبل فى الارض يليها

فقامت عليه ثم استقبلت الوادى هل ترى أحد فلم تر أحد ثم سعت سعى الانسان المجهد حتى جاوزت الوادى
ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحد فلم تر أحد ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لم فلان
سعى الناس بينهم ما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقلت صه تريدنكمها فسمعت أيضا فقالت قد سمعت ان كان عندك غرض

فأذا هي بالماء عند موضع زرم فبحث بعقبه أوقال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه وتقول بدها هكذا وجعلت تعرف من الماء في سقائها وهو يغور بعد ما تعرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم سمعيل لو تركت زرم أوقال لو لم تعرف لك كانت عيننا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فإن ههنا بيت الله تعالى بينه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله (ومنها قصة الثلاثة الذين خلفوا) وذلك أن كعب بن مالك ومراثة بن الربيع وهلال بن أمية تختلفوا عن غزوة تبوك ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلام الثلاثة قال كعب فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لنا الأرض بما رحبت فها هي التي أعرف وكنيت أطوف في الأسواق وأشهد الصلاة مع المسلمين ولا يكلمني أحدوا في رسول الله (٣٢٩) صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وأقول

في نفسي هل حرك شفتيه
بردا السلام أم لا حتى إذا
طال ذلك على من جفوة
الناس تسورت جدار حائط
أني قتادة وهو ابن عبي
وأحب الناس إلى فسلمت
عليه فوالله ما رد على السلام
فلما سمعت خمسون ليلة من
يوم نهي رسول الله عن
كلامنا صليت صلاة الفجر
وأنا على ظهر بيت من
بيوتنا فبينما أنا جالس
على الحالة التي ذكرها
الله تعالى قد ضاقت على
نفسى وضافت على الأرض
بما رحبت وما كان من
شيء أهم علي من أن أموت
فلا يصلي على النبي أو
يموت النبي صلى الله عليه
وسلم فأكون من الناس
في تلك المنزلة لا يكلمني
أحد ولا يصلي على فأنزل
الله تو بتنا فسمعت صوت
صارخ من أعلى الجبل
يا كعب بن مالك ابشر
تفررت ساجدا لله تعالى

هيئات لما توقعون وأما قوله - إن الإنسان مس - ثقل تهذيب نفسه واصلاحها بما لبسته المحمود من الخلق
ومجانبة المذموم فامر بني على أن ابتهاج النفس بأدراك الذي لها من ذاتها وعين السعادة الموعود بها
لأن الرذائل عاتقة للنفس عن تمام ادراكها ذلك بما يحصل لها من الملكات الجسمانية والوانها وقد
بيننا أن أثر السعادة والشقاوة من وراء الادراكات الجسمانية والروحانية فهذا التهذيب الذي توصلوا إلى
معرفة انما تقع في البهجة الناشئة عن الادراك الروحاني فقط الذي هو على مقاييس وقوانين وأما ما وراء
ذلك من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امتثال ما امر به من الأعمال والأخلاق فامر لا يحيط به مدارك
المدركين وقد تنبه لذلك زعيمهم - أبو علي بن سينا فقال في كتاب المبدأ والمعاد ما معناه أن المعاد الروحاني
وأحواله هو ما يتوصل اليه بالبراهين العقلية والمقاييس لأنه على نسبة طبيعية محفوظة وتيرة واحدة
فلما في البراهين عليه سعة وأما ما زاد الجسماني وأحواله فلا يمكن ادراكه بالبرهان لأنه ليس على نسبة
واحدة وقد بسطنا لنا الشريعة المحمدية فيلنظر فيها ولترجع في أحواله اليها فهذا العلم كما رأيت غدير
واف بمقاصدهم التي حوموا عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها وليس له فيما علمنا الاثمة واحدة
وهي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة والحجج لتحصيل مملكة الجوده والصواب في البراهين وذلك أن نظم
المقاييس وترتيبها على وجه الأحكام والاتقان هو كما شتر طوره في صناعتهم المنطقية وقولهم بذلك في علومهم
الطبيعية وهم كثير ما يستعملونها في علومهم الحكمية من الطبيعيات والتعالييم وما بعدها فيستولي الناظر
فيها بكثرة استعمال البراهين بشر وطها على مملكة الاتقان والصواب في الحجج والاستدلالات لأنها وإن
كانت غير وافية بمقصودهم فهي أصح ما علمناه من قوانين الاظهار هذه هي ثمرة هذه الصناعة مع الاطلاع
على مذاهب أهل العلم وآرائهم ومضارها ما علمت فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من معاطبها وليكن نظر
من ينظر فيها بعد الاطلاع من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه ولا يكمن أحد عليها وهو خلو من
علوم الملة فقل أن يسلم لذلك من معاطبها والله الموفق للصواب والحق والمساوي اليه وما كنا ننتدى لولا
أن هدانا الله

٢٦ * (فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها) *

هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى
الذكاء وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجموعة فتكون لذلك اوضاع الافلاك والذكاء والذكاء
دالة على ما سيحدث من نوع نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية فالمتقدمون منهم يرون أن معرفة
قوى الذكاء وتأثيراتها بالتجربة هو أمر تقصر الأعمار كلها لو اجتمعت عن تحصيله إذا التجرب رتبة انما

(٤٢ - ابن خلدون)

وعرفت أن قد جاء الفرج فجعلت ثوبي على الصارخ بشراه والله
ما أمالك غيره ما ثم آتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وهو يبرق وجهه من السرور فقال ابشر بخير يوم مر عليك منذ
ولدتك أمك فقلت يا رسول الله إن من توبتي أن أتخضع من مالي صدقة إلى الله تعالى وإلى رسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك (وروي) أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم لم يمشب ودرج في وضع ربي فيه فلما جن
عليه الليل رأى كوكبا يقال انه رأى الزهرة فقال هذا ربي فلما اقل قال لا أحب الا - فلما رأى الشمس - مر بارغا قال هذا
ربي فلما اقل بعد طلوع الفجر قال آئن لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين فلما أصبح ورأى الشمس بارغة قال هذا ربي

هـذا كبر فلما أفات قال يا قوم اني بري عما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا ما انا من المشركين
وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هذان يعني الى الاسلام ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا
تذكرون قالوا يا ابراهيم انما تخاف من آلهتنا ان تصيبك بسوء ان انت سببتنا او عبتنا قال وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم
بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي القرينين أحق بالامن ان كنتم تعلمون وكان آزر يصنع أصناما يعبد هاهنا قومه ثم يعطيهم ابراهيم يبيعها
في كسرها ويذهب بها الى نهر لهم فيصبعها فيه على رؤسها ويقول لها اشربي استشريها واطهارا لقومه فساد ما هم عليه ففشا ذلك عندهم
من غير ان يبلغ ذلك غمرو فقول (٣٣٠) ما بد أقومه ان نظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم يعني من الغيظ عليهم وعلى أصنامهم

فحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم والظن وادوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن
فيحتاج تكرره الى آماد واحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من اعمار العالم واما ذهب ضعفاء منهم
الى ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحى وهو رأى فائل وقد كفونا مؤنة ابضاله ومن اوضح
الدلة فيه ان تعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابعدا الناس عن الصنائع وانهم لم يتعرضوا للاخبار
عن الغيب الا ان يكون عن الله فكيف يدعون استنباطها بالصناعة ويشيرون بذلك لتابعيهم من الخلق
واما بطليموس ومن تبعه من المتأخرين فيرون ان دلالة الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج
يحصل للكواكب في الكائنات العنصرية قال لان فعل النيران واثرها في العنصر يات ظاهرا لا يسع احدا
بحده مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وانزجتها ونضج الثمار والزرع وغير ذلك وفعل القمر في الرطوبات
والمساء وانضاج المواد المتعفنة وفواكه القنا وسائر افعاله ثم قال ولنا فيه ما بهداهما من الكواكب
طريقان الاولى التقليد لمن نقل ذلك عنه من أئمة الصناعة لانه غير منعق للنفس الثانية المحسوس
والتجربة بقياس كل واحد منها الى النيران الاعظم الذي عرفنا طبيعته واثره معرفة ظاهرة فننظره ليزيد
ذلك الكوكب عند القران في قوته ومزاجه فتعرف موافقته له في الطبيعة او ينقص عنها فتعرف
مضادته ثم اذا عرفنا قواها مفردة عرفنا هامة كبره وذلك عند تناظرها باشكل التمثيل والتربيع وغيرهما
ومعرفة ذلك من قبل طبائع البروج بالقياس ايضا الى النيران الاعظم واذا عرفنا قوى الكواكب كلها فهي
مؤثرة في الله واهو ذلك ظاهر والمزاج الذي يحصل منها لله او يحصل له ما تقتضيه من المولدات وتتخلق به
اللطيف والبرزق تصير حال البدن المتكون عنها والنفس المتعلقة به الفائضة عليه المكتسبة له ما منه
ولما يتبع النفس والبدن من الاحوال لان كيفيات البرزق والنطقة كيفيات ما يتولد عنه وما ينشأ
منه ما قال وهو مع ذلك ظني وليس من اليقين في شيء وليس هو ايضا من القضاء الالهي يعني القدر انما هو من
جمله الاسباب الطبيعية لا لكائن والقضاء الالهي سابق على كل شيء هذا يحصل كلام بطليموس واصحابه وهو
منصوص في كتابه الاربع وغيره ومنه يتبين ضعف مدرك هذه الصناعة وذلك ان العلم الكائن او الظن
به انما يحصل عن العلم بجمله اسبابه من الفاعل والقابل والصورة والغاية على ما تبين في موضعه والقوى
النجومية على ما قررناه انما هي فاعلة فقط والجزء العنصري هو القابل ثم ان القوى النجومية ليست هي
الفاعل بجملتها بل هناك قوى اخرى فاعلة معها في الجزء المادي مثل قوة التوليد والاب والنوع التي في
النطقة وقوى الخاصة التي تميز بها صنف صنف من النوع وغير ذلك القوى النجومية اذا حصل كلها
وحصل الله لم فيها انما هي فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة للكائن ثم انه يشترط مع العلم بقوى

فقلوا انه مطعون وكانوا
يقرون من الطاعون اذا
سمعوا به فتولوا عنه
مدبرين فراغ الى آلهتهم
فدخل عليهم قود وضعوا
لهما طعاما وشربا فقال ألا
تأكلون ما لكم لا تنطقون
فاقبل عليهم ضربا باليمين
وكسرها وقطع أيديها
وارجلها حتى جعلها جذاذا
وأراق طعامها وشربها
وعمد الى الفأس فعلقه بيد
المهمل العظيم ثم خرج عنها
وتركها فلما رجع قومه
من عيدهم دخلوا بيت
أصنامهم فلما رأوا ما صنع
بهارا عنهم ذلك وأعظموه
وقالوا من فعل هذا ما لهتنا
انه لمن الظالمين فقال بعضهم
سمعنا قتي يذكرهم يقال له
ابراهيم سمعنا يسبها
ويستهزئ بها فقال غمرو
فأتوا به على أعين الناس
لعلهم يشهدون فلما أتى
بابراهيم صلى الله عليه وسلم
قالوا أنت فعلت هذا

بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا
انكم أنتم الظالمون قالوا اننا قد ظلمناه بما نسبنا اليه ثم قالوا وقد عرفوا انها لا تضر ولا تنفع لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفعبدون من
دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم وما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فقال له غمرو وذحين سمع ذلك منه صف لنا الهك الذي
تعبدون تدعو الى عبادته قال ابراهيم ان ربي الذي يحيا ويميت قال غمرو ذونا احيى وأميت قال كيف ذلك قال آخذ رجلين قد استوجبا
القتل في حكمي فاقتل أحدهما فاكون قد أمته واعقودن الاخر فاكون قد أحييته فقال ابراهيم ان كنت صادقا فاحي الذي قتلت
برزعمك اخرج روحا من جسدي من غير ان تقتله ان كنت صادقا وان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عنه ذلك

النجوم

نمرود ولم يرد الى ابراهيم شيئا و امر به الى السجن فلبث فيه سبع سنين وجعل يدعو اهل السجن الى الله تعالى والى الاسلام حتى ظهر امره
وفشاوا تبعه قوم كثير على دينه فلهذا ارادوا ان يحرقوا ابراهيم واجتمع امرهم على ذلك بنوحير اطول جداره ستون ذراعا ووضعوه على
سفع جبل منيف لا يرام ولا يرقا ولا يطوا والمجد اذ لا يمشی فيه أحد الا لائق عنه واذن نمرود ذابها الناس احتطبوا النار ابراهيم ولا
يتخلفن عنها ذكر ولا أنثى ولا حولا عبد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك القى في تلك النار فعملوا في ذلك أربعين ليلة حتى
ان المرأة منهم تنذر ذلك على نفسها اثني رجب غائبا ووافق عليها حتى اذا اكمل ذلك قد فوافيه النار حتى انه كان يسمع وهج النار على
المسافة البعيدة فلما بلغ ذلك وضع ابراهيم في كفة المتجنين قال وهب بن منبه فبلغني (٣٣١) ان السماء والارض والبحار وما

فيها اضجوا الى الله تعالى
ضجة واحدة قالوا يا ربنا

ليس في ارضك أحد يعبدك

غيره فاذن لنا في نصرته

فاوحى الله تعالى اليهم ان

استغاث بشئ منكم

فانصروه واغشوه وان

دعاني فانا وليه وناصره فلما

وضعوه في كفة المتجنين

وقذفوه قال حسبي الله ونعم

الوكيل اللهم انك تعلم

ايماني بك وعداوة قومي

فيمك فانصرني عليهم ونجني

من النار فاوحى الله تعالى

الى النار ان كوني بردا

وسلاما على ابراهيم

فاطاعت النار ربه ولولم

يقبل سلاما لمات من

شدة البرد ولت ابراهيم في

النار سبعة أيام وظن قومه

انه قد احترق ثم قال نمرود

انظروا ماذا فعل ابراهيم

فاني رايت الليلة في نومي ان

جدار هذا الحيز قد تهدم

ونخرج ابراهيم يمشي قال

وذاب النحاس الذي سبده

النجوم وتأثيراتها يزيد حدس وتخمين وحينئذ يحصل عنده الظن بوقوع الكائن والمحدس والتخمين
قوى للناظر في فكره وليس من علل الكائن ولا من أصول الصناعة فاذا فقد هذا الحدس والتخمين رجعت
ادراجها عن الظن الى الشك هذا اذا حصل العلم بالقوى النجمية على سداده ولم تعتبره آفة ومذا معوز
لما فيه من معرفة حسابات الكواكب في سيرها المتعريف بأوضاعها ولما ان اختصاص كل كوكب
بقوة لا دليل عليه ومدرك بطليموس في اثبات القوى للكواكب الخمسة بقدراسها الى الشمس مدرك
ضعيف لان قوة الشمس غالبية لجميع القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل أن يشعر بالزيادة فيها
او النقصان منها عند المقارنة كما قال وهذه كلها قاذحة في تعريف الكائنات الواقعة في عالم العناصر بهذه
الصناعة ثم ان تأثير الكواكب فيما تحتها باطل اذ قد تبين في باب التوحيد ان لافاعل الا الله بطريق
استدلال كراميته واحتج له اهل علم الكلام بما هو غني عن البيان من ان اسناد الاسباب الى المسببات
مجهول السببية والعقل متهم على ما يقضي به فيما يظهر بادى الرأى من التأثير فاعل اسنادها على غير
صورة التأثير المتعارف والقدرة الالهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علوا وسفلا سيما والشرع
بردا لحوادث كلها الى قدرة الله تعالى ويبرأ مما سوى ذلك والنبوات ايضا منكرة لشان النجوم وتأثيراتها
واستقراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله ان الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته وفي قوله
أصبح من عبادى مؤمن بنى وكافر بنى فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بنى كافر بالكواكب
وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بنى مؤمن بالكواكب الحديث الصحيح فقه بان المتبطلان هذه
الصناعة من طريق الشرع وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضار في العمران
الانسانى مما تبعث في عقائد العوام من الفساد اذا اتفق الصديق من احكامها في بعض الاحيان اتفاقا لا
يرجع الى تعديل ولا تحقيق فبلهج بذلك من لا معرفته ويطن اطراد الصديق في سائر احكامها وليس
كذلك فيقع في رد الاشياء الى غير خالقها ثم ما ينشأ عنها كثير في الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه
ذلك التوقع من تطاول الاعداء والمتر بصين بالدولة الى الفتك والثورة وقد شاهدنا من ذلك كثير فليتنبه
ان تحظر هذه الصناعة على جميع اهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول ولا يقدح في ذلك
كون وجودها طبيعيا للبشر بمقتضى مداركهم وعلومهم فالخير والشر طبيعتان موجودتان في العالم لا يمكن
نزعهما وانما يتعلق التكليف باسباب حصولهما فيتعين السعي في اكتساب الخير باسبابه ودفع الشر باسباب
الشر والمضار هذا هو الواجب على من عرف مقاس هذا العلم ومضاره وليعلم من ذلك انها وان كانت صحيحة
في نفسها فلا يمكن احدا من اهل الملة تحصيل علمها ولا ما كتب ابل ان نظرها ناظر وظن الاطاعة بها فهو في

باب الحيز واحترق الجدار فصار رمادا فاطلعوا على ابراهيم فرأوه صحيحا سليما وخرج الى الناس ينظرون اليه على تلك الحال فلما رآهم
خرج يمشي حتى قعد الى أمه وهي في الجمع وأقبلت سارة وكانت اول من آمن به حتى جلست اليه فقالت يا ابراهيم انى آمنت بالذى جعل
النار بردا وسلاما قالت لها أم ابراهيم احذرى القتل على نفسك فقالت اليك عنى فاني لا أخاف شيئا وقد آمنت بالله ابراهيم وحول ابراهيم
جميع من الناس لا يحصى عددهم يأمر ون لا يجد داله عذابا فارسل الله تعالى ريحا عاصفا فسفت رماد تلك النار في وجوههم وعيونهم
فقروا عنه وقام ابراهيم داعيا الى الله تعالى ومذكرا به وقال بجاهد وقتاده وغيرهما ان نبى الله سليمان بن داود عليهم السلام انطلق الى
الحمام ومعه جنى يقال له صخر ولم يكن سليمان عليه السلام يدخل الحمام الا لحاتم فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فالتقام في البحر

فألقته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقى على الشيطان شبه سليمان فخاف فجاس على كرسيه وسلط على جميع ملك سليمان غير نسائه
فجعل يقضي بين الناس والناس يشكرون قضايه حتى قالوا لقد فتى نبي الله سليمان وهكث على ذلك أربعين يوماً ثم أقبل في حالته تلك
وهو جائع نائع حتى انتهى إلى صيادين في البحر فاستطعم أحدهم من صيده وقال له أنا سليمان فقام إليه بعضهم فضر به بعضاً فشح وجهه
فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم على ضر به آياه ثم أعطوا سليمان سمكتين مما قد تغير عندهم وتين ولم يشغله
ما كان فيه من الضرب عن أن يقوم إلى شاطئ البحر فشقي بطونهم ما وغسلهم أفو جدهم في بطن أحدهم فأخذته فادسه فرد الله عليه
بهاءه وملاكه وجاءت الطير (٣٣٢) فحامت عليه فعرف القوم أنه سليمان فجاءوا يعترفون له (وروى) وهب بن منبه

غاية القصور في نفس الامركان الشريعة لما حظرت النظر فيها فقد الاجتماع من اهل العلم ان لقرايتها
والتحليق لتعليمها وادوار المولى بها من الناس وهم الاقل واقل من الاقل انما يطالع كتبها ومقالاتها في
كسر بيته مسترا عن الناس وتحت ربة الجمهور مع شعب الصناعة وكثرة قروعه وادعائها صياها على الفهم
في كيف يحصل منها على طائل ونحن نجد افقه الذي عم نفعه ديناً وديناً وسهلت ما خذته من الكتاب
والسنة وعكف الجمهور على قراءته وتعليمه ثم بعد التحقيق والتجميع وطول المداينة وكثرة المجالس
وتعددتها انما يحذف فيه الواحد بعد الواحد في الاعصار والاجبال في كيف يعلم مهجور للشريعة مضروب
دونه سد الحظر والتعريم ممكنة وممكنة عن الجمهور وصعب المأخذ محتاج بعد الممارسة والتفصيل لاصوله
وفروعه الى مزيد حدس وتخمين يمكنه من الناظر فابن التحصيل والحدق فيه مع هذه كلها ومدعى
ذلك من الناس مردود على عقبه ولا شاهد له يقوم بذلك لغلبة الفتن بين اهل الملة وقلة جلته فاعتبر ذلك
يتبين لك صحة ما ذهبنا اليه والله أعلم بالغيب فلا يظهر على غيبه احدا * ومما وقع في هذا المعنى لبعض
اصحابنا من اهل العصر عند ما غلب العرب عساكر السلطان أبي الحسن وحاصره بالقيروان وكثر
ارجاف الفريقين الاولياء والاعداء وقال في ذلك أبو القاسم الروحي من شعراء اهل تونس

استغفر الله كل حين * قد ذهب العيش والهناء * أصبح في تونس وأمسي * والصبح لله والمساء
الخوف والجموع والمانيا * يحدثها المهرج والوباء * والناس في مريه وحب * وماعسى ينفع المراء
فاجدى ترى عليا * حل به الهلك والتواء * وآخر قال سوف يأتى * به اليكم صباراء
والله من فوق ذا وهذا * يقضى لعبديه ما يشاء * ياراصد الخنس الجوارى * ما فعلت هذه السماء
مظلمة وناوقة دز عتم * أنكم اليوم أملياء * من خميس على خميس * وجاءت وأربعاء
ونصف شهر وعشر ثمان * وثالث ضمه القضاء * ولا ترى غير زور قول * أذاك جهل أم ازدراء
انا الى الله قد علمنا * ان ليس يستدفع القضاء * رضيت بالله الى الها * حسبكم البدر أود كما
ما هذه الانجم السوارى * الاعباد يد أوامه * يقضى عليهم وليس تقضى * وما لها في الورى اقتضاء
ضلت عقول ترى قديما * ما شأنه الجرم والقناء * وحكمت في الوجود طبعها * يحده الماء والهواء
لم ترحبوا ازاء مر * تغذوه موترة وماء * الله ربى ولست أدري * ما الجواهر الفرد والحلاء
ولا الهبول التي تنادى * مالى عن صورة عراء * ولا وجود ولا انه عدم * ولا نبوت ولا انتفاء
ولست أدري ما الكسب الا ما جلب البيع والشراء * وانما مذهبي وديني * ما كان والناس اولياء
اذلا فصول ولا اصول * ولا جدال ولا ارتباء * ما تبع الصدور واقتنينا * ياخذنا كان الاقتفاء

ان الله تعالى وهب لآبراهيم
اسحق فلما كان ابن سبع
سنين أوحى الله تعالى الى
ابراهيم ان يذبحه وان
يجعله قربانا فآتكم ابراهيم
ذلك عن اسحق وأمه
وجميع الناس وأسره الى
خليل له يقال له العازر
وكان أول من آمن به من
قومه يوم أحرق فقال له
ان الله سبحانه رفع اسمك في
الملا الأعلى على جميع
أهل البلاء حتى كنت
أرفعهم بليّة ليرفعك الله
بقدر ذلك في المنزلة
والفضائل وقد علمت ان
الله تعالى لم يبتلك بذلك
ليقتلك ولا لفضلك فلا
يسوان بالله ظنك وأعوذ
بالله ان يكون ذلك حتما
منى على الله تعالى أو سخطا
بحكمه الذى حكم على عباده
ولكن هذا حسن الظن بالله
فان عزم ربك على ذلك
فكن عند حسن علمك
ولا حول ولا قوة الا بالله

العلی العظیم فتعزى ابراهيم عليه السلام بقوله واسند له رأيه وبصيرته وانطلق باسحق فلما صعد الجبل
ومعه السكين والجبل وأداة القربان فقال له اسحق يا أبت أرى معك أداة القربان ولا أرى قربانا قال ابراهيم يا بني القربان بعين ربك
ينظر اليه وان شاء رحم أباك فلم يقطن اسحق فلما وافي رأس الجبل قال ابراهيم يا بني ان الله تعالى أمرني أن أذبحك وأجعلك قربانا يرفعك
اليه ويتقبلك فانظر ماذا ترى فتهلل اسحق واستبشر فقال له والده لقد فجعت يا بني يا امر ما فجع به والدوله واني لارى من سرورك بذلك
وشكرك لربك أمر أرحو به العافية والفرج فقال يا أبت لم يكن شيء من الدنيا أحب الى من البر بلك وبامى وقد جرمته رنى فاذا أردت
ذبحى فاشدد وثاقى فاني أخاف حين يفارقنى عقلى واجدد ألم الحديد ان يتحرك منى عضو فيؤذيك وأنا أكره ان أختبم بذلك عملى فاذا

فرغت من امرى فافترى اى السلام وقل لها لا تجزى فقد اكرم الله لك ابنتك في جنته فلما فرغ من وصية عمه ابراهيم صلى الله عليه وسلم اليه فعصيه بعمامته ما بين منه كبيه الى الكعبين ثم كبه لوجهه وكره ان يستقبل وجهه كي لا تدركه له رجة اذا هو تسخط فادخل يده من تحت حلقه فلما اراد ان يحز انقلب السكين فاجس ابراهيم في نفسه ثم عاد الثانية فلما اراد ان يحز انقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انك كذلك تجزى المحسنين ان هذا هو البلاء المبين وفديناه بذيبح عظيم هذا فداه الله لك به فنظر ابراهيم خلفه فاذا بكش تدلوى قرنه الايمن على ساق شجرة فوجه ابراهيم الى القبلة وقبلته يومئذ مكة فذبحه ابراهيم وقصبه اسحق فلما فرغ منه وضعه ابراهيم على حجره فرفع الله اليه وتقبله (قال أبو هريرة) ولم ياصار (٣٣٣) يوسف عليه السلام الى مصر واسترق

بعد الحرة رية خرج جرجا
شديد او جعل يبكي الليل
والنهار على ابويه واخوته
ووطنه وما ابتلى به من
الرق فاحماله من الليالي
يدعور به تعالى وكان من
دعائه ان قال يارب
أخرجتنى من أحب البلاد
الى وقرقت بينى وبين
اخوتى وأبوى ووطنى
فاجعل لى فى ذلك خيرا
وفر جاوخر جان حيث
احتسب ومن حيث لا
أحسب وحجب الى البلاد
التي أنا فيها وحببها الى كل
من يدخلها وحببني الى
أهلها وحببهم الى ولائتي
حتى تجمع بينى وبين أبوى
وأخوتى فى بئر منكم ونعمة
وسرور تجمع لثابته خير الدنيا
والآخرة أنك سميع
الدعاء فأتى يوسف فى نومه
فقال له ان الله تعالى قد
استجاب لك دعائك وأعطاك
مناك وورثك هذه البلاد
وسلطانها وجمع اليك

كانوا كل يعلمون منهم ولم يكن ذلك الهذاه يا أشعري الزمان انى * أشعري الصيف والشتاء
أنا أجرى بالشرا * والخبر عن مثله جزء * وأتى ان أكن مطيعا * قرب أعصى ولى رجاء
وأنتى تحت حكم بار * أطاعه العرش والعرش ليس باستطاركم ولكن * أتاحه الحكيم والقضاء
لو حدث الاشعرى عن * له الى رأيه انتماء * فقال اخبرهم بانى * مما يقولونه براء
٢٧ * (فصل فى انكارثرة الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتكالمها) *

اعلم ان كثير من العاجزين عن معاشهم يحملهم المطامع على انتكالم هذه الصنائع ويرون انها احدمها
المعاش ووجوهه وان اقتناء المال منها يسر واسهل على مبتغيه فيرتكبون فيها من المنابع والمشايق
ومعاناة الصعاب وعسف الحركات وخسارة الاموال فى النفقات زيادة على النبل من غرضه والعطب آخر
اذا ظهر على خبيثة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً وانما اطعمهم فى ذلك رؤية ان المعادن تستحيل
ويقلب بعضها الى بعض للمادة المشتركة فيحاولون بالعلاج صيرورة الفضة ذهباً والنحاس والقصدير
فضة ويحسبون انها من مكنات عالم الطبيعة وهم فى علاج ذلك طرق مختلفة لا اختلاف مذهبهم فى التدبير
وصورته وفى المادة الموضوعه عندهم للعلاج السماسة عندهم بالحجر المكرم هل هى العذرة او الدم او
الشعر او البيض او كذا او كذا مما سوى ذلك وجهه التدبير عندهم بعد تعين المسادة ان تمهى بالفهر على
حجر صلد اماس وتسقى اثنا عشر اماناً بالماء بعد ان يضاف اليها من العقاقير والادوية ما يناسب القصد منها
ويؤثر فى انقلابها الى المعدن المطلوب ثم تحفف بالشمس من بعد السقي او تطبخ بالنار او تصعد او تسكس
لاستخراج ماؤها او ترابها فاذا رضى بذلك كله من علاجها وتم تدبيره على ما اقتضته اصول صنعيته حصل
من ذلك كله تراب او مائع يسعونه الا كسير ويزعمون انه اذا اتى على الفضة الحماة بالنار عادت ذهباً
او النحاس المحم بالنار عادت فضة على حسب ما قصد به فى عمله ويزعم المحققون منهم ان ذلك الا كسير مادة
مركبة من العناصر الاربعه حصل فيها بذلك العلاج الخاص والتدبير مزاج ذوقوى طبيعية تصرف
ما حصلت فيه اليها وتقلبه الى صورتها وزجاجها وتثبت فيه ما حصل فيها من الكيفيات والقوى كالخبرة للخبر
تقلب العين الى ذاتها وتعمل فيه ما حصل لها من الانفشاش والمشااشة ليحسن هضمه فى المعدة ويستعمل
سريعاً الى الغذاء وكذا كسير الذهب والفضة فيما يحصل فيه من المعادن يصرفه اليه ما يقلبه الى
صورته ما هذا يحصل زعمهم على الجملة فتعدهم عاكفين على هذا العلاج يبتغون الرزق والمعاش فيه
ويتناقلون احكامه وقواعده من كتب لا تامة الصناعات من قبلهم يتداولونها بينهم ويتناظرون فى فهم
لغوزها وكشف اسرارها اذهى فى الاكثر تشبه المعنى كما ليف جابر بن حيان فى رسائله السبعين ومسلمة

أبو بك وأخوتك وأهل بيتك فطوب نفسا واعلم ان الله تعالى ان يخلف وعده وبدعاء يوسف صارت مصر محبوبة يتجهم من دخلها فلا
يكاد يخرج منها قال قتادة ما سكنها نبي قبله ولما جمع الله شمله وتسكملت النعمة عليه اشفاق الى لقاء به فقال رب قد أتيتنى من الملك
وعلمتى من تأويل الاحاديث فاطرا السموات والارض أنت ولى فى الدنيا والاخرة توفنى مسلماً والحقنى بالصالحين * ولما وجه
سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن أبى مسلم فلما ولى يزيد بن
عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبى مسلم افر يقية فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبى مسلم فأتى به فى شهر رمضان عند المغرب وفى
يد بن أبى مسلم عن قودع بن قيس فقال له يزيد بن دحان دنا منه محمد قال نعم قال اما والله لما سألت الله تعالى ان يعينى منك بغير عهد ولا عقد

فقال محمد وأنا والله فطامسا ألمت الله ان يحبر في منك و يمدني فقال يز يدفوا الله ما أجارك ولا أعاذك وان سابتني ملك الموت الى قبض روحك اسبقته والله لا كانت هذه الحجة حتى أقتلك فاقام المؤذن الصلاة فوضع يز يد العنة ودو تقدم ليصلي وكان أهل افر يقيه قد اجتمعوا على قتله فلما ركع ضرب به رجل على رأسه بعمود فقتله و قيل لمحمد بن يز يد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير واحيا الاسير سنة الله التي قد خلت في عباده طلوع الحياة من شفا الموت وحضور الموت من معدن الحياة (ويروي) ان سلطان صقلية ارق ذات ليلة ومنع النوم فارس الى قائد البحر وقال انقذ الان مركبا الى افر يقيه يا توني باخبارها فعمر القائد المراكب وأرسله لمحبه فلما أصبحوا اذا بالمراكب في موضعه (٣٣٤) لم يبرح فقال له الملك اليس قد فعلت ما امرتك به قال نعم قد امتثلت امرك وانفذت

المركب فرجع بعد ساعة وسجدت مقدمة المركب بخاء ومعه رجل فقال الملك ما منعك ان تذهب حيث امرتك قال ذهبت بالمركب فبينما اننا في جوف الليل والبحارون يمدفون اذا أنا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته في اسماعنا نادى به مرارا يا بليك يا بليك وهو ينادي يا الله يا غياث المستغيثين ونحن نجيبه يا بليك يا بليك وقد دفنا المركب نحو الصوت فاق لنا هذا الرجل غريبا في آخر رمق من الحياة فاخذناه من البحر وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افر يقيه فغرقت سفينتنا منذ أيام ومازات اسبح حتى وجدت الموت فلم أشعر الا بالفتور من فاجيتكم فسبحان من أسهر ساطانا وارق جبارنا في قصره لغريق في البحر حتى

المجر يطى في كتابه رتبة الحكيم والطغرائي والمغير في قصائده العربية في اجادة النظم وأمثالها ولا يحلون من بعده هذا كله بطائل منها فافوضت يوما شيخنا بالبركات التلقين كبير مشيخة الاندلس في مثل ذلك ووقفته على بعض التأليف فيها قصة حط يلا ثم رده الى وقال لي وأنا الضامن له أن لا يعود الى بيته الا بالحنية ثم منهم من يقتصر في ذلك على الداسة فقط اما الظاهرة كتمويه الفضة بالذهب او النحاس بالفضة او خلطهما على نسبة جزء او جزأين أو ثلاثة او الحقية كالقاء الشبه بين المعادن بالصناعة مثل تبويض النحاس وتليينه بالزرق المصعد فيجى عجم معدنية اشبه بالفضة ويخفى الاعلى النقاد الماهرة في قدر أصحاب هذه الداس مع دلسهم هذه سكة يسير بونها في الناس ويطبعونها بطابع السلطان ثم يها على الجمهور بالخلاص وهؤلاء اخس الناس خرفة وأسوأهم عاقبة لتلبسهم بسرقة اموال الناس فان صاحب هذه الداسة انما هو يدفع نحاسا في الفضة وفضة في الذهب ليستخلصها لنفسه فهو سارق أو شرم من السارق ومعظم هذا الصنف لدينا بالمغرب من طلبة البربر المتهذبن باطراف البقاع ومساكن الانغماد يأوون الى مساجد البادية ويمهون على الاغنياء منهم بان يديهم صناعة الذهب والفضة وانفوس مولعة بحبهم والاستهلاك في طلبهم ما فيحصلون من ذلك على معاش ثم يبق ذلك عندهم تحت الخوف والرقبة الى أن يظهر العجز وتقع الفضيحة فيقرنوا الى موضع آخر ويستجدون حالا أخرى في اسهوا بعض أهل الدنيا باطباعهم فيما لديهم ولا يزالون كذلك في ابتغاء معاشهم وهذا الصنف لا كلام معهم لانهم بلغوا الغاية في الجهل والرداءة والاحتراف بالسرقه ولا حاسم اعلمهم الا شدة دالهم كام عليهم وتناولهم من حيث كانوا وقطع أيديهم متى ظهر واعلى شأنهم لان فيه افساد للسكة التي تع بها البلى وهى معقول الناس كافة والسلطان مكاف باصلاحها والاحتياط عليها والاشدة دالهم على مقسديها وأمان انتحل هذه الصناعة ولم يرض بحال الداسة بل استنكف عنها ونزه نفسه عن افساد سكة المسلمين وتوقودهم وانما يطلب حالة الفضة للذهب والرصاص والنحاس والقردير الى الفضة بذلك النحوم العلاج وبالا كسيرا المحاصل عنده فلنا مع هؤلاء متكلم وبحث في مداركهم لذلك مع انالاه لم أن أحدا من أهل العلم تم له هذا الغرض او حصل منه على نغمة انما تذهب اعمارهم في التدبير والفهر والصلاية والتصعيد والتكليس واعتيام الاخطار بجمع العقاقير والبحث عنها وينتقلون في ذلك حكايات وقعت لغيرهم عن تم له الغرض منها او وقف على الوصول يقنعون باستماعها والمفاوضة فيها ولا يستريون في تصديقها شأن السكافين المغرمين بوساوس الاخبار فيما يكافون به فاذا سئلوا عن تحقيق ذلك بالمعاينة أنكره وقالوا انما سمعنا ولم نره كذا شأنهم في كل عصر وجيل واعلم ان انتحال هذه الصنعة قديم في العالم وقد تكلم الناس فيها من المتقدمين

استخرجهم من تلك الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحشة لا اله الا انت سبحانك واخبرني رجل و المتأخرين كان أمام المسجد الجامع بالاسكندرية قال كنت بصقلية أيام فتن العدو فرحفت البنا في البحر سفن تقارب ثلثة سفينته وأرست في الساحل فرأينا أحرارهم ولا وفيها الشيخ الصالح العابد ابن المستطاري فلما الناس اليه واستجمعوا حوله يتهركون به وينتظرون الفرج على يديه قال فنظر الى السماء حينما وسجد وعفر خديه بالأرض يقلم ما يميننا وشمالا قال فوالله ما ذهبنا حتى هبت ريح مرقها كل مرقق فلم يجتمع منها اثنان (واخبرني) أبو القاسم بن فائق رحمه الله قال كنت في طريق الحج باز فعمش الناس في مقارزة تبوك ففقد الماسع ولم يوجد الا عند صاحب لي جمال فجعل يبيع به بالدنانير بارفع الاثمان فجاء رجل كان موسوما بالصالح عليه مقطرة يحمل ركوة ومعه شيء من دقيق فتش

في الى المجال ليعلمه الماء بذلك الدقيق فكلمته فاني على ثم عاودته فاني قال فبسط الرجل النطع في الارض ونثر عليه الدقيق ثم رمق
الماء وقال المني انا عبدك وهذا دقيقي ولا املك غيره وقد اني ان يقبله ثم ضرب بيده في النطع وقال وعزتك لا برحت حتى اشرب فوالله
ما تفرقنا حتى نشا المصالح فامطر للحين فشرب الماء ولم يبرح فـ كان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رب اشعب اغبر ذي طمرين لا يؤبه
لهوا قسم على الله لا به (واخبرني) شيخ من عن كان يصحب العلماء بالقيروان يقال له حريز قال اخبرني عبد السكافي الديباجي قال رايت
بالقيروان آية عظيمة وذلك ان رجلا جاء بصبي له وقد اسكت فلا يتكلم فدخل به الى الفقيه أبي بكر بن عبد الرحمن وقال له ان ابني هذا
قد اسكت منذ ايام فلا يتكلم فادع الله ان يفرج ما نزل به قال فدعا الشيخ ساعة (٣٣٥) ثم مسح وجه الصبي فاستفاق الصبي

فقال له قل لا اله الا الله فقال
الصبي أشهد أن لا اله الا الله
وأشهد أن محمدا رسول الله
ثم التفت الى الرجل وقال
اكتما على الى الموت ثم
التفت الى جاريته فقال
اكتبي على هذا الى الموت
وأنت حرة فلما كان يوم
توفي الشيخ أبو بكر واجتمع
الناس لمنازته وتكاثرت
الامم قام الرجل فاستنصت
الناس فسكتوا فقال يا أهل
القيروان اسمعوا قصتي
مع هذا الشيخ وذكر الحديث
كلمته (وحدثني) هذا
الشيخ قال نزل عندنا
بالقيروان قصة لم يسمع في
السالفين مثله او ذلك ان
بعض الجزارين اصبح
كبشاً ليذبحه فتخط بين
يديه فاذلت منه وذهب
فقام الجزاري يطلبه وجعل
يمشي الى أن دخل خربة
فاذا فيه رجل مذبح يتخط
في دمه ففزع وخرج
هارباً واذا صاحب الشرطة

والمتأخر بن فلنقل مذهبهم في ذلك ثم نتلوها بما يظهر فيها من التحقيق الذي عليه الامر في نفسه منقول
ان مبنى الكلام في هذه الصناعة عند الحكماء على حال المادتين السبعة المنطوقة وهي الذهب والفضة
والرصاص والقصدير والنحاس والحديد والمخارصين هل هي مختلفات بالفصول وكلها انواع قاعة بأنفسها
او انها مختلفة بنحو اقصى من الكيفيات وهي كلها اصناف لنوع واحد فالذي ذهب اليه أبو نصر الفارابي
وتابعه عليه حكماء الاندلس انها نوع واحد وان اختلافها في الكيفيات من الرطوبة واليبوسة
واللين والصلابة والالوان من الصفرة والبياض والسواد وهي كلها اصناف لذلك النوع الواحد والذي
ذهب اليه ابن سينا وتابعه عليه حكماء المشرق انها مختلفة بالفصول وانها انواع متباينة كل واحد منها قائم
بنفسه متحقق بحقيقة له فصل وجنس شأن سائر الانواع وبني أبو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها
بالنوع امكان انقلاب بعضها الى بعض لا مكان تبدل الاعراض حينئذ وعلاجها بالصناعة في هذا الوجه
كانت صناعة الكيمياء عنده ممكنة هالة المأخذ وبني ابو علي ابن سينا على مذهبه في اختلافها بالنوع
انكار هذه الصناعة واستحالة وجودها بناء على ان الفصل لا سبيل بالصناعة اليه وانما يتخلقه خالق الاشياء
ومقدرها هو والله عز وجل والفصول مجهولة المحققين رأسا بالتصور فكيف يحاول انقلابها بالصناعة وغلظه
الطغرائي من اكابر اهل هذه الصناعة في هذا القول ورد عليه بان التدبير والعلاج ليس في تخليق الفصل
وابداعه وانما هو في اعداد المادة لقبوله خاصة والفصل يأتي من بعد الاعداد من لدن خالقه وبارئه كما
يفيض النور على الاجسام بالصلابة والامهاع ولا حاجة بنا في ذلك الى تصوره ومعرفة قال واذا كنا قد عثرنا
على تخليق بعض الحيوانات مع الجهل بقصو لها مثل العقرب من التراب والنتن ومثل الحيات المتكونة
من الشعر ومثل ما ذكره اصحاب الفلاحة من تكون النحل اذا فقدت من عجاجيل البقر وتكون القصب
من قرون ذوات الطائف وتصيير سكر الحشوش والقرون بالعسل بين يدي ذلك الفلح للقرون فما المانع اذا
من العثور على مثل ذلك في الذهب والفضة فتتخذ مادة تصير فيها التدبير بعد ان يكون فيها استعداد اول
لقبول صورة الذهب والفضة ثم تحاولها بالعلاج الى ان يتم فيها الاستعداد لقبول فصلها انتهى كلام
الطغرائي بعينه وهذا الذي ذكره في الرد على ابن سينا صحيح لكن لنا في الرد على اهل هذه الصناعة مأخذ آخر
يتبين منه استحالة وجودها وبطلان مزعمهم اجمعين لا الطغرائي ولا ابن سينا وذلك ان حاصل علاجهم
انهم بعد الوقوف على المادة المستعدة بالاساس تعداد الاول يجعلونها وضوعا ويحاذون في تدبيرها وعلاجها
تدبير الطبيعة في الجسم المعدني حتى احالته ذهباً وفضة ويضاعفون القوى الفاعلة والمنفعة لئتم في زمان
اقصر لانه تبين في موضعه ان مضاعفة قوة الفاعل تنقص من زمن فعله وتبين ان الذهب انما يتم كونه

والرجال عندهم خبر القتل وجعلوا يطالبون خبر القاتل والمقتول فأصابوا به السكين وهو ملوث بالدم والرجل مقتول بالخربة
فقبضوه وجعلوه الى السلطان فقال له أنت قتلت الرجل قال نعم قال فما زالوا يستنطقونه وهو يعترف اعترافاً لا اشكال فيه فأمر به
السلطان ليقتل فاخرج للقتل واجتمع الامم انيصر واقتله فلما هو باقتله اندفع رجل من الحلقة المجتمة معين فقال لهم لا تقتلوه انا قاتل
القتيل فقبض وجعل الى السلطان فاعترف وقال انا قتلت فقال له السلطان قد كنت معافي من هذا فاجللك على الاعتراف قال رايت هذا
الرجل يقتل ظلماً فكرهت ان اتقي الله تعالى بدم رجلين فأمر به السلطان فقتل ثم قالوا للرجل يا أيها الرجل ما دعاك الى الاعتراف بالقتل
وأنت بري فقال الرجل فاحيلني رجل مقتول بالخربة وأخذوني وأنا خارج من الخربة وبهدى السكين ملطخة بالدم فان أنكرت من

يقباني وان اعتذرت من يعذرتي فلي سبيله وانصرف مكرما (ولما وزر نجر الملك) نظام الدين لسنجار الملك وكان انجر الملك ابن عم يقال له شهاب الملك وكان يخاف منه على منزله فقال للملك سنجر لاجل حماة الى معك الان تقتل ابن عمي شهاب الملك فاني سنجر فزال يراجعته الى أن أمر به فحبس في بليد يقال لها بيق وكان والي ذلك البلد يكرمه لجلالته وحلاله اهل بيته واخلى له دارا في القلعة مشرفة ثم جعل نجر الملك يفسد قلب سنجر ويحمله على قتل شهاب الملك الى أن أرسل سنجر الى واليه بقتل شهاب الملك فاستعظم الوالي قتله واخره اياما ثم لم يجد بدا من قتله فعزم على قتله في يوم جمعة فبينما شهاب الملك يطالع من طاقات الدار اذا بقارس يركض فاجلس في نفسه خيفة منه وقال هذا يز يد أن يقتلني فوصل القارس (٣٣٦) وقال مات نجر الملك فلي سبيل شهاب الملك ثم وزر لسنجر فبجنان الفعالي لما يريد

(اخبرني) أبو الفضل المعبر

بمصر قال كان بمصر ملوك بني حمدان وكان الرئيس ناصر الدولة وكان يشكو وجع القولنج فأعيا الاطباء ولم يوجد له شفاء ثم ان السلطان دس على قتله فارصده رجل معه خنجر فلما جاء في بعض دهايز القصر وثب عليه الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة في أسفل خصرته فأصاب طرف الخنجر المجر الذي هو القولنج فخرج ما فيه الخلط ثم عافاه الله تعالى فصع وبرى كاحسن ما كان (ولما كنت بالاسكندرية) نزلت سفن العدو بساحل مدينة برفا فاقذوا قوما من المسلمين وقتلوا بعضهم وأسروا بعضهم فأخذوا رجل منهم وشككاه من خلفه فلما نهوا السفينة عمد اليه بعض الاعلاج فرفسه والقاه في البحر ثم طعنه برمح كان معه فلم يخطئ

في معدنه بعد ألف وثمانين من السنين دورة الشمس الكبرى فاذا تضاعفت القوى والكيفيات في العلاج كان زمن كونه اقصر من ذلك ضرورة على ما قلناه أو يتجرون بعلاجهم ذلك حصول صورة مزاجية لتلك المادة تصيرها كالخيرة فتفعل في الجسم المعالج الا فاعيل المطبوعة في حالته وذلك هو الاكسبر على ما تقدم واعلم ان كل متكون من المولدات العنصرية فلا بد فيه من اجتماع العناصر الاربعة على نسبة متفاوتة اذ لو كانت متكافئة في النسبة لمات متراجها فلا بد من الجزء الغالب على الكل ولا بد في كل مختزج من المولدات من حرارة غريزية هي الفاعلة لكونه الحافظة لصورته ثم كل متكون في زمان فلا بد من اختلاف اطواره وانتقاله في زمن التكوين من طور الى طور حتى ينتهي الى غايته وانظر شأن الانسان في طور النطفة ثم العلقه ثم المضغة ثم النصور ثم الجنين ثم المولود ثم الرضيع ثم ثم الى نهايته ونسب الاجزاء في كل طور تختلف في مقاديرها وكيفياتها والالكان الطور بعينه الاول هو الاخر وكذا الحرارة الغريزية في كل طور تختلف لها في الطور الاخر فانظر الى الذهب ما يكون له في معدنه من الاطوار منذ ألف سنة وثمانين وما يستعمل فيه من الاحوال فيحتاج صاحب الكيمياء الى أن يساوق فعل الطبيعة في المعدن ويحاذيه بتدبيره وعلاجه الى أن يتم ومن شرط الصناعة ابدان تصور ما يقصد اليه بالصناعة في الامثال السائرة للحكمة اول العمل آخر الفكرة وآخر الفكرة اول العمل فلا بد من تصور هذه الحالات للذهب في احواله المتعددة ونسبها المتفاوتة في كل طور واختلاف الحار والغريزي عند اختلافها ومقدار الزمان في كل طور وما ينوب عنه من مقدار القوى المضاعفة ويقوم مقامه حتى يحاذي بذلك كاهل الطبيعة في المعدن أو تعدل بعض المواد صورة مزاجية تكون كصورة الخيرة للخبز وتعمل في هذه المادة بالمنااسبة لقواها ومقاديرها وهذه كلها انما يحصرها العلم المحيط بالعلوم البشرية قاصرة عن ذلك وانما حال من يدعي حصوله على الذهب بهذه الصناعة بمثابة من يدعي بالصناعة تخليق انسان من المتي ونحن اذا سلمنا له الاحاطة بأجزائه ونسبته واطواره وكيفية تخليقه في رجه وعلم ذلك علما محصلا بتقصاه له حتى لا يشك منه شيء عن علمه سلمنا له تخليق هذا الانسان وأنى له ذلك * ولتقرب هذا البرهان بالاختصار ليسهل فهمه فنقول حاصل صناعة الكيمياء وما يدعون به هذا التدبير انه مساوقة الطبيعة المعدنية بالفعل الصناعي ومحاذاتها به الى أن يتم كون الجسم المعدني او تخليق مادة بقوى وافعال وصورة مزاجية تفعل في الجسم فعلا طبيعيا فتصيره وتقلبه الى صورتها والفعل الصناعي مساووق بتصورات احوال الطبيعة المعدنية التي يقصد مساوقتها ومحاذاتها او فعل المادة ذات القوى فيها تصور مقص الا واحدة بعد أخرى وتلك الاحوال لانهاية لها والعلم البشري عاجز عن الاحاطة بمادونها وهو بمثابة من يقصد تخليق انسان او حيوان او نبات هذا يحصل هذا البرهان

وهو

نصل الرمح جبل السكت في قطعه وانحلت يد الرجل فسيح حتى لمح بالشاطئ سلما ووصل الى

الاسكندرية في عافية (وحدثني) بعض الشاميين ان رجلا خبازا يذبحها ويخبز في تنوره بمدينة دمشق اذ عبر عليه رجل يسبح الشمس قال فاشترى منه وجعا ياكل بالخبز الحار فلما فرغ سقط مغشيا عليه فنظروا فاذا هو ميت فحملوا بتر بصون به ويحملون له الاطباء فلم يوسن دلائله وموضع الحياة منه فقضوا بانانه ميت فعسل وكفن وحمل الى الجبانة فبينما هم خارجون به من باب المدينة اسست قبلهم رجل طبيب يقال له البير ودي وكان طبيبا ماهرا حاذقا بالطب فسمع الناس يلهمجون بقصته فقال لهم خطوه حتى اراه قال فخطوه وجعل يقيه وينظر في امارات الحياة التي يعرفها ثم فتح فوه وسفقه شيئا وقال حقنه فاندفع ما هناك يسيل واذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم وعاد كما كان الى

دكانه (وكان رجل) يمشي بين غدا فيبينها وفي الطريق اذا بدا وقد وقعت عليه فخرت كالجبل العظيم واذا في الحائط طاقة فاختط رأسه فصارت الدار كوما خرج الرجل من الطاقة سليما (وحدثني) أبو القاسم الحضرمي قال كنت باليمن في أرض الصليحي فوشى بي إلى السلطان فأمر بقتلي فأخرجت وقدمت للقتل وتركني السيف ثم قال لي مدر قبلك فددت عنقي لقضاء الله تعالى ثم قال لي السيف اشتد فقلت دونك يا هذا فبينما نحن كذلك اذا بصالح من داخل القصر لا تقتلوه لا تقتلوه فخلوا سبيلي (وجرت بقرطبة قصة غريبة) في أيام المنصور بن أبي عامر وذلك ان رجلا يعرف بقاسم بن محمد السنبسي شهد عليه بالزندقة فحبسه المنصور ومدة مع جماعة من الاديان من وجوه قرطبة فمرو قون بالانهمالك والزندقة وكان ينادى عليهم في كل جمعة (٣٣٧) يوقعون اثر صلاة الجمعة بسباب الجامع الاعظم من كانت عنده

شهادة فيهم فليؤدوها فثبت على قاسم عند القاضي سجل شهادات الشهود بأنواع منكرة تتضمن الزندقة والكفر فطلعوا إلى القصر وعقدوا مجلسا عظيما واستشير الفقهاء فيه فأوجبوا قتله فاستحضر قاسم فحضر وحضر أبوه وحضر ابنان صغيران لقاسم ولبسوا ثياب الحداد وجعل أبوه معه نعشا وجالس وجعل أبوه والصبيان سيكون على باب القصر واحضر لضرب عنقه سيف يعرف بابن الجندى ودفعت إليه أسياف من القصر فجعل يرونها ويلس شفاها وأبوه وابناه ينظران وحضر الفقيه أبو عمر والمكودي الاشبيلي على كره منه وكان يأبى الحضور فاستنقوه فقال يا هؤلاء ان الدماء لا تسفك إلا بالحق الواضح دون الشبه

وهو أوثق ما علمته وليست الاستحالة فيه من جهة الفصول كما رأيت ولا من الطبيعة انما هو من تعذر الاطاعة وقصور البشر عنها وما ذكره ابن سينا بعزل عن ذلك وله وجه آخر في الاستحالة من جهة غاية ذلك ان حكمة الله في الحجر بن وندورهما انه ما قيم لمكاسب الناس ومتمولاتهم فلو حصل عليه ما بالصنعة لبطأت حكمة الله في ذلك وكثر وجودهما حتى لا يحصل احدهم اقلتا ثم ما على شيء وله وجه آخر من الاستحالة ايضا وهو ان الطبيعة لا تترك اقرب الطرق في أفعالها وترتكب الاغوص والابعد فلو كان هذا الطريق الصناعي الذي يزعمون انه صحيح وانه اقرب من طريق الطبيعة في معدنها واقل زمانا لما تركته الطبيعة إلى طريقها الذي سلكته في كون النضة والذهب وتخليقها وما تشبه الطغرائي هذا التدبير بما عثر عليه من مفردات لا مثاله في الطبيعة كالاعتق والتخل والحية وتخليقها فأما صحيح في هذه أدى إليه العثور كما زعم وأما الكيمياء فلم يتقل عن احدهم أهل العلم انه عثر عليها ولا على طريقها وما زال مستحلوها يجتهدون فيها خبط عشواء إلى هلم جرا ولا يظفرون إلا بالأكاليات الكاذبة ولو صح ذلك لاحد منهم لمخطفه عنه أولاده أو تلميذه وأصحابه وتوقف في الاصدقاء وضمن تصديقه صحة العمل بعده إلى أن ينتشروا ويبلغ اليان إلى غيرنا وأما قولهم ان الأكسير بمثابة الخميرة وانه مركب يحيل ما يحصل فيه ويقلبه إلى ذلك فاعلم ان الخميرة انما تقرب العجين وتعدله لضم وهو فساد والفساد في المواد سهل يقع بايسر شيء من الافعال والطبايع والمطلوب بالا كسير قلب المعدن إلى ما هو أشرف منه وأعلى فهو تكوين وصلاح والتكوين أصعب من الفساد فلا يقاس الا كسير بالخميرة وتحقيق الامر في ذلك ان الكيمياء ان صح وجودها كما تزعم الحكيما المتكاملون فيها مثل جابر بن حيان ومسلمة بن أحمد الجعفي وأمثالهم فليست من باب الصناعات الطبيعية ولا تتم بأمر صناعي وليس كلامهم فيها من منحنى الطبيعيات انما هو من منحنى كلامهم في الامور السخرية وسائر الخوارق وما كان من ذلك للملاح وغيره وقد ذكر مسئلة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها في كتاب رتبة الحكيمة من هذا المنحنى وهذا كلام جابر في رسالته ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة بنا إلى شرحه وبالجملة فاعرها عندهم من كليات المواد الخارجة عن حكم الصناعات فكما لا يتدبر ما منه الخشب والحيوان في يوم أوشهر خشبا وحيوانا في ما عدا بحر في تخليقه كذلك لا يتدبر ذهب من مادة الذهب في يوم ولا شيء ولا يتغير طريق عاداته إلا بأمر فادما وراء عالم الطبايع وعمل الصناعات فكذلك من طاب الكيمياء طابا لصناعها ضيع ماله وعمله يقال لهذا التدبير الصناعي التدبير العقيم لان نيلها ان كان صحيحا فهو واقع مما وراء الطبايع والصناعات فهو كالشيء على الماء وامتطاء الهواء والنقود في كثائف الاجساد ونحو ذلك من كرامات الاولياء الخارقة للعادة او مثل

(٤٣ - ابن خلدون) احسبوا ان السنبسي فروجا بماذا تذببحونه فقال القاضي ابن الشرفي بما ثبت عندي وأمعنت النظر فيه قال الفقيه أوقفني عليه فاحذ السجل ونظرفيه فقال أخبرني بمن قتلته من هؤلاء الشهود فقال بهذا وهذا حتى عد خمسة قال الفقيه فيجمعهم يقتله قال نعم قال فلوشهد منهم اثنان خاصة كنت تقتله قال لا انما قوتى بعضهم بعضا وركي أكثرهم عندي فالتفت الفقيه إلى الفقهاء المشاورين فنقلوا يا هؤلاء بالعدم يقتل المسلمون عندكم ويسفك دماؤهم فليست أرى قتله ولا أشير به فخرج الفقهاء إلى قواه ولم يروا عليه شيئا بعدما اقتوا يقتله منذ ستة أشهر فانقض الجمع وشيم السيف وطار البشير إلى ابن أبي عامر فأخبره بالجلس فقال ابن أبي عامر مضيتم تقتلون ابن السنبسي فدفنتم القاضي قد اجتهدنا للدين ولا قاتل لمؤجل فحبس أياما ثم أطلق فكان ابن ذكوان الفقيه يقول للقاضي في مثل هذا قال

القائل اذا سئل بم عرفته الله قال يتقضه عزائي ومعنى الدعائم على اسان الفقه هم الشهود الذين لو انقروا منهم اثنان لم يثبت الحكم ولا قبل فيه فاذا كثروا قوي بعضهم بعضا فلا يثبت الحكم بهم (وفي تقض هذا ما حدثنى القاضي) أبو مروان الداني بطرطوشة وقد ولي قضاءها فنذكرنا يوما فقال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأووا الى دار خراب هناك ليستكنوا من الرياح والامطار واستوقدوا نارهم وسوا معيشتهم وقرب تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم لاهل القافلة يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا تدخلوا هذه البقعة فابوا الادخول لها وبات الرجل منتبذا خارجا عنهم لم يقرب ذلك المكان ثم أصبحوا في عافية وجعلوا دوابهم فيبيناهم كذلك اذ دخل الرجل الخربة (٣٣٨) ليستوقد ببقية النار فخر عليه الحائط فبات مكانه (و بلغني) عن بعض الفقهاء ان جيشا

تخليق الطير ونحوها من معجزات الانبياء قال تعالى واذا تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فنفخ فيها فمكون طير اباذني وعلى ذلك فسيل تيسيرها مختلف بحسب حال من يؤتاها فربما يؤتىها الصالح ويؤتىها غيره فنكون عنده معارضة وربما يؤتىها الصالح ولا يملك ايتاءها فلا تتم في يد غيره ومن هذا الباب يكون عملها سحريا فقد تبين انها لما تقع بتأثيرات النفوس وخوارق العادة اما مجزة او كرامة او سحر او لهذا كان كلام الحكماء كلهم فيهم المبالغة لا يضفر بحقيقة الامن خاض لمحة من علم السحر واطلع على تصرفات النفوس في عالم الطبيعة وأمر رزق العادة غير متحصرة ولا يقصد احد الى تحصيلها والله بما يعملون محيط وأكثر ما يحمل على القياس هذه الصناعة وانتحالها هو كقولنا الهنوز عن الطرق الطبيعية للمعاش وابتعاؤه من غير وجوه الطبيعة كالقلاحة والتجارة والصناعة فيستعجب العاجز ابتغاءهم من هذه ويروم الحصول على الكثير من المال دفعة بوجوه غير طبيعية من السكينة ما وغيرها أو أكثر من يعني بذلك الفقراء من أهل العمران حتى في الحكماء المتكلمين في انكارها واستحسانها فان ابن سينا القائل باستحسانها كان علامة الوزراء فكان من أهل الغنى والثروة والقاراني القائل بامكانها كان من أهل الفقر الذين يعوزهم أدنى بلغة من المعاش واسبابه وهذه مهمة ظاهرة في انظار النفوس المولعة بطرقها وانتحالها والله الرزاق ذو القوة المتين لا رب سواه

من الجيوش كان بصقلية فاهضاً من مكان الى مكان فعدوا ساعة لبعض شأنهم فاذا عقر يدب فضر به بعض الاجناد بقرعة كانت ثم رفع المقرعة الى نحو عنقه فاذا بالاعقر قد تشمت باهداب المقرعة وهو لا يشعر فلدغته في عنقه ففرضي مكانه (واخبرني القاضي) أبو الوليد الباجي عن أبي ذر قال كنت أقرأ على الشيخ ابي حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث في حانوت رجل يبيع العطر فجاء رجل طواف بطبق يحمله في يده وأعطاه عشرة دراهم وقال له ادفع الى أشياء سماها من العطر فاخذها في طبقه ومشى فسقط الطبق من يده وتفرق جميع ما كان فيه فبكى الطواف وخرج حتى رجلاه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تحب لنا بعض هذه الاسباب

٢٨ * (فصل في ان كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل) *

(اعلم) انه مما اضرب بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها فيقع القصور ولا بددون رتبة التحصيل ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بكتب المدونة مثلاً وما كتب عليها من الشروح والفقهية مثل كتاب ابن يونس والأخميم وابن بشير والتمهيدات والمقدمات والبيان والتحصيل على العينية وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة القبروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والاحاطة بذلك كله وحينئذ يسلم له منصب القضاء وهي كلها متكررة والمعنى واحد والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها والعمر يتقضى في واحد منها ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الامر بدون ذلك بكثير وكان التعليم سهلاً وأخذهم قريلاً ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحوّلها ويمثل ايضا عالم العربية من كتاب سيمويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين

قال نعم فنزل وجمع ما تجمع منها وجبر له ما نقص وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له والبغداديين لا تجزع فامر الدنيا ليس من ذلك فقال الطواف أظن أيها الشيخ ان جرحي لضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى متى كنت في القافلة الفلانية فضاء لي هميان فيه أربعة مائة دينار أو أربعة آلاف دينار الشك من أبي ذر ومعه ما فصوص قيمته مثل ذلك فاجزعت لضياعها ولكن ولدي في هذه الليلة مولود فاحتجت في البيت الى ما تحتاج اليه النفس ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فاشققت ان اشتري بها حوائج النفس فابقي بغير رأس مال ولا أقدر على التكسب فقلت اشتري بها شيئاً أو طوف صدر نهاري فعمسى استفضل شيئاً أسد به رمقي وبيتي رأس المال اتصرف فيه فلما قدر الله تعالى بضياعه جزعت فقلت لا عندي مال أرجع به اليهم ولا ما اكسب به وعلمت أنه لم يبق لي الا

الفرار عنهم - موتهم على هذه الحال يهلكون بعدى فهذا الذى أوجب جزى قال الشيخ أبوذر وكان رجل من الجنه جالس على باب داره يستوعب الحديث فقال للشيخ أبى حفص أنا أريد إذا تممت أمره أن تدخل معه عندى وقام فظننا أنه يريد أن يعطيه شيئاً قال قد خلنا عليه فأذن لنا فقال الجندى للطواف عجبت من جرعك فأعاد عليه القصة فقال الجندى وكنت فى تلك القافلة قال نعم وكان بهام من عظام الناس فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال له وما علامه الهيمان وفى أى موضع سقط منك فوصف المكان والعلامه فقال له الجندى لو رأيته كنت تعرفه قال نعم فأخرج الجندى هيمان ووضع به بين يديه فقال هذا هيمانى وعلامه صحة قولى أن فيه من الايجار ماضقه كذا وكذا ففتح الهيمان فوجد الايجار على ما ذكر فقال الجندى خذ مالك (٣٣٩) بارك الله فيه فقال الطواف هذه

الايجار قيمتها مثل الدنانير او اكثر فخذ أنت الدنانير ففقدى طمعة بذلك فقال الجندى لا آخذ على أمانتى شيئاً فدخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء فبكى الجندى بكاء شديداً وانتحب فقال له أبو حفص علام تبكى وقد أدى الله أمانتك وقد بذل لك مالا كثيراً وان شئت عرضنا عليه أن يعده عليك فقال ما أبكى لذلك وإنما أبكى لاني أعلم انه قد حان أجلى فانه ما كان بقى أمل أوله ولا أمانة أتمناها الآن يأتي الله بصاحب هذا المال فيأخذه فلما قضى الله تعالى ذلك بفضله ولم يبق لى أمل علمت انه قد حان أجلى قال الشيخ أبو ذر فربما انقضى شهر حتى توفي وصلينا عليه (قال القاضي) وحدثني أبو القاسم ابن الحسين بالموصل قال لقد جرت ههنا في هذا

والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب فى ذلك وكفى يطالب به المتعلم وينقض عمره دون ولا يطمع أحد فى الغاية منه الا فى القليل النادر مثل ما وصل اليه بالمرغوب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام ظهر من كلامه فيها انه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل الا لاسيوييه وابن جنى وأهل طبقتها العظم ملكته وما لحاظ به من أصول ذلك الفن وتقاريعه وحسن تصرفه فيه ودل ذلك على أن الفضل ليس مختصراً فى المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتأليف ولكن فضل الله يؤتية من يشاء وهذا نادر من نوادر الوجود والافاضة اهران المتعلم ولو قطع عمره فى هذا كله فلا يبق له بتحصيل علم العربية مثلاً الذى هو آلات ووسيلة فكيف يكون فى المقصود الذى هو الثمرة ولكن الله يهدى من يشاء

٢٩ * (فصل فى أن كثرة الاختصارات المؤلفة فى العلوم مخلة بالتعليم) *

ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والاختصار فى العلوم يولعون بها ويدقون منها برناجاً مختصراً فى كل علم يشغل على حصر مسائله وأداتها باختصار فى الالفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلاً بالبلاغة وعسر على الفهمور بما عمدوا الى الكتب الامهات المطولة فى الفنون للتفسير والبيان فاختصروها وتقرىباللحفظ كما فعله ابن الحاجب فى الفقه وأصول الفقه وابن مالك فى العربية والمخونجى فى المنطق وأمثالهم وهو فساد فى التعليم وفيه اخلال بالتحصيل وذلك لان فيه تخليطاً على المبتدى بالقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما سيأتى ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم يستتبع الالفاظ الاختصار العويصة للفهم بتراحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل منها لان الالفاظ المختصرات تجدها لاجل ذلك صعبة عويصة فيقطع فى فهمها حظ صالح عن الوقت ثم بعد ذلك فالملكه الحاصلة من التعليم فى تلك المختصرات اذا تم على سداد ولم تعقبه آفة فهمية ملكه قاصرة عن الملكات التى تحصل من الموضوعات المستطاة المطولة بكثرة ما يقع فى تلك من التكرار والاحالة المقربين لمحصل الملكة النسيمة واذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة فقصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فاركبوهم صعباً يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وكما هو من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له والله سبحانه وتعالى اعلم

٣٠ * (فصل فى وجه الصواب فى تعليم العلوم وطريق افادته) *

(اعلم) ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيداً اذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا يلقى عليه

المسجد وهو هذه الدار والحانوت وأشار اليها قصة عجيبة كان يسكن هذه الدار رجل من التجار من يسافر الى الكوفة فى تجارة الخبز فيبنيها هو يحمل الخبز فى خرجه على حماره وهو جميع ماله نزلت القافلة فأراد انزاله عن الحمار فقل عليه فأمر اناسا هناك فأعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل لياً كل فاجابه وأكل ثم سأله عن أمره فأخبره انه رجل خرج من الكوفة لأمرا بخرجه دون زاد فقال له الرجل تكون معى وتعيننى على سفرى ويكون طعامك عندى فقال الرجل انى حرص على خدمتك ومحتاج الى طعامك فصار معى فى طريقه فقدمه على أحسن حال قال فوصلاتك ريت فبزلت الرفقة خارج المدينة ودخل الناس لقضاء حوائجهم فقال الرجل للخادم احفظ رحلتنا حتى ادخل واشترى حاجتنا ثم دخل وقضى حوائجه فابطأ هناك ثم خرج فلم يجد الرفقة ولا وجد صاحبه فظن انه لما رحلت الرفقة

دخل معها فلم يزل يسعى حتى وصل الى الرفقة بعد الجهد فسألهم عن صاحبهم فقالوا ما جاء معنا ولا رأيناه ولكنه ارتحل الاسباب هلى الحجار
ودخل على اترك وطنك امرته بذلك فذكر الرجل راجعا الى تكرير وسأل عنه فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيش منه وسار الى الموصل
مسلوب المال فوافاهن اراجا ناعرا ينافقه برامجهودا فاستحيا أن يدخل نهرا فيشمت العدو ويحزن الصديق فبقى حتى أمسى ثم دخل فدفق
باب الدار فقبل من هذا فقال فلان يعنى نفسه فظاهر واسرور اعظم واجحة اليه وقالوا الحمد لله الذى جاء بك فى هذا الوقت على ما نحن فيه من
الضرورة والحاجة والفاقة جلت جميع مالك وطال سقرك واحتاج أهلك وقد ولدت اليوم ولد والله ما وجدنا ما نشترى به شيئا للنفساء واقفا
كانت هذه الليلة طاوية على حالها (٣٤٠) فتخيل لنا فى دقيق ودهن نسرجه به فلا سراج عندنا فزاده ذلك غما وكره ان يخبرهم بحاله

فيحزنهم واخذوا عاء الزيت
وجرا باللدقيق وخرج الى
هذا الحانوت وكان فيه رجل
يمبيع الدقيق والزيت
والعسل ونحوه وقد أغلق
دكانه واطقام صباحه ونام
فناداه فأجابه وعرفه وشكر
الله على سلامته فقال الناجر
لصاحب الحانوت اقدح
زنادا اذن لك الدراهم فى
دقيق وزيت وعسل
احتجت اليه الساعة وكره
ان يخبره بتأخير الثمن
فتمنع منه ففدح البلياع
الزناد واستصبح فقال له
الناجر زنى من الدقيق
كذا ومن الزيت كذا ومن
العسل كذا ومن السم كذا
ومن الملح كذا وبينما هو
كذلك اذ حانت منه النفاة
الى قعر الحانوت فرأى فيه
خرجه الذى هرب به صاحبه
فلم يلب ان وثب عليه
والترمه والى يده فى أطواق
صاحب الحانوت وجذبه الى
نفسه وقال يا عدو الله ابن

مالى فقال له صاحب الحانوت مالك يا فلان فوالله ما علمت متعبيا ولا علمتني جنيت عليك ولا على سواك فاذا قال خرجى فرلى الملكة
به خادم خدمتى بجميع مالى وبمحمارى قال مالى علم غير ان رجلا ورد على بعد العشاء واشترى منى عشاء واستضافنى فأضفته وجعلت هذا
المخرج فى حانوتى وهذا الحجار فى دار جازنا والرجل فى المسجد بائث فقال له احمل معى المخرج وانفض الى الرجل فرفع المخرج معه وألقاه
هلى عاتقه ومشي الى المسجد فاذا الرجل نائم فى المسجد فركضه برجله فقام الرجل مذعورا فقال له مالك فقال له أين مالى يا خاشن قال هوذا
على عنقك والله ما تغادر منه ذرة قال فأين الحجار قال هو عند هذا الحائى لك فنهض الى داره فوجد متاعه سليما واستخرج الحجار من الموضع
الذى كان فيه هو وسع على أهله وأخبرهم بقصته فزاد أهله فرحا وتبركا بذيال المولود ولما وفى موسى عليه السلام لاصهره شعيب عليه

السلام الاجل الذي اجله لرعي غنم شعيب التي رعاها موسى عوضا عن مهر ابنته اخذ موسى عليه السلام زوجته وكر راجعا من مدين فلما وافى الوادي المقدس عند جانب الطور اخبرهم الليل بظلمته فامسوا باثنتين فيبينما هم كذلك اذ ضرب زوجته الطاق وكانت حاملا وليس عندهم ما يحتاج اليه النفساء من الغذاء والدواء ما يصلح به شأنهم فبقوا في ضيق من الحال وقلة من الحية له فخرج موسى عليه السلام يلتمس ويظفر يميناً وشمالاً عسى فرج لما امسوا وفيه من الضر راذا رأى نارا فقال لاهله اكنثوا اني انست نارا على آتيكم منها بقميس أو اجد على النار هدى فلما اتاها الضيق ما يكون ذراعاً وأخرجه قلباً وآيسه عن رفيق نودى من شاطئ الوادي الايمن يا موسى اني انا ربك وهكذا الطائف الحق سبحانه مع من سلم لامره ورجا فضله وتكلم بالهدى والبشرى (٣٤١) يفسح الله فيه امله ويعطيه فوق

ما سأله هذا موسى عليه السلام خرج يقبس نارا نودى بالنبوة وعن هذا قال علماءنا ليس في خصال الخير وان جلت ولا في أنواع الاعمال وان عظمت اعلی من حسن الظن بالله تعالى ونظمه بعض الشعراء فقال
أيها العبد كن لما است
ترجو
من نجاح أرجى لما أنت راج
ان موسى مضى ليقبس نارا من ضياءه وآه الليل داج فأتى أهله وقد كالم الله وناجاه وهو خير مناج
كذلك الرب كما اشتد بالعب
ددنت منه راحة الانقراج (وروى) ان العدو نزل بساحة افر يقية في عدد كثير من المراكب ففني ماؤه وم وعطش وانفقر المسلمون لهم في خلق عظيم من تلك السواحل والحصون فنعوهم التزول لاستقاء الماء وأرسلوا

المملكة الناشئة عنه والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخطأ على المتعلم علمان معا فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما - ما لم يفسح من تقسيم البال وانصرفه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر فحينئذ قل أن يستصعبان ويعود منهما - ما بالخيبة وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصر عليه فربما كان ذلك أحد - در يتخصص به والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب (فصل) واعلم أيها المتعلم اني أنصحك بقائدة في تعلمك فان تلقيتهم بالقبول وأمسكتهم باليد الصنعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة وأقدمك مقدمة تعينك في فهمها وذلك ان الفكر الانساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبدعاته وهو وجودان حركة للنفس في البطن الاوسط من الدماغ تارة يكون مبدأ للأفعال الانسانية على نظام وترتيب وتارة يكون مبدأ للعالم ما لم يكن حاصلا بان يتوجه الى المطلوب وقد تصور طريقه ويروم نفيه أو اثباته فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما ما لم يسرع من لمح البصر ان كان واحدا ويتقل الى تحصيل آخر ان كان متعدد او يصير الى الظفر بمطلوبه هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من بين سائر الحيوانات ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه أنه لم يمداده من خطئه لانها وان كان الصواب لها ذاتيا الا انه قد يعرض لها الخطأ في الاقل من تصور الطرفين على غير صورتهم من اشتباه الهيات في نظم القضايا وترتيبها الانتاج فتعين المنطق للتخلص من ورطة هذا الفساد اذا عرض فللمنطق اذا أمرصناعي مساوق للطبيعة الفكرية ومنطوق على صورة فعلها ولا يكونه امر اصناعيا استغنى عنه في الاكثر ولذلك تجد كثيرا من فحول النظائر في الخلية يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة المنطق ولا سيما مع صدق النية والتعرض لرجة الله فان ذلك أعظم معنى ويساكون بالطبيعة الفكرية على سدادها فيقضي بالطلب مع الى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه ثم من دون هذا الامر الصناعي الذي هو المنطق مقدمة أخرى من التعلّم وهي معرفة الالفاظ ودلائلها على المعاني الذهبية تردها من مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان بالخطاب فلا بد أيها المتعلم من تجاوز ذلك هذه الحجب كلها الى الفكر في مطلوبك فأول دلائل الكتابة المرسومة على الالفاظ المقولة وهي اخذها ثم دلالة الالفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوالها المعروفة في صناعة المنطق ثم تلك المعاني مجردة في الفكر كاشتراطها يقتضيه بالمطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض لرجة الله ومواهبه وليس كل أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه الحجب في التعليم بسهولة بل ربما وقف الذهن في حجب الالفاظ بالمنافشات او عثر في اشتراك الدلالة بشغب الجدال والشبهات فتعد عن تحصيل المطلوب ولم يكدي يتخلص من تلك الغمرة الا قليلا ممن هداه الله فاذا ابتليت بمثل ذلك

الى المسلمين ان يخلوهم واستقاء الماء فابوا اقتضاء فعطشهم حتى أشرفوا على الهلاك ففتحوا الناحية لهم وأخذوا في الدعاء والاستسقاء الى الله تعالى والتضرع اليه فلم يلبث بأوشك من السماء ان اقلت باوراقها ثم أرخت ماء كثيرا فبسط القوم انطاعهم وجفانهم وآلاتهم فشرى بوا ولموا وانهم فضج المسلمون عند ذلك وقالوا هؤلاء كفار واعدا الله ورسوله قد أخلصوا الى ربهم وانابوا اليه وسألوه ما يحبون به رفقهم فاغاثهم ففتح أحق بالدعاء والتضرع الى الله سبحانه وأولى بالاجابة منهم ثم جدد المسلمون الدعاء والصلاة والابتنال الى الله تعالى في أن يرهم آية يقوى بها قلوب الضعفاء ويزايد شكر أهل المعرفة والاولياء فيبينما هم كذلك اذ أرسل الله عليهم ريحا فبددتهم وخرقتهم كل غرق وكسرت مراكزهم ولم يجتمع منهم اثنان ومن عجائب صنع الله تعالى في هذا الباب ان رجلا من ديار بكر جاء الى بيت المقدس وزار

قبر الخليل صلى الله عليه وسلم وأكل من ضيافته فطارت حبة عدس من ذلك الطعام في خيشومه ورام خروجهما بكل حيلة فاجتزته حتى
تركته مضى ثم رجع الى بلاده فينماها وجالس اذ عطس فطارت العدسة في الارض فاذا طارت قد انقطعت الوقها وبرئ الرجل فسبحان
من جعل أنف هذا الرجل حرا لقوت هذا الطائر على بعد الشقة والمسافة وأما أنا فلما هممت بالرحيل من بلدي الى المشرق في طلب
العلم كنت لا أعرف التجارة ولا الى حرفة أوجه اليها فجزعت من الخروج وكنت أقول ان ذهبت نفقتي ماذا أفعل وكان أقوى المال
في نفسي ان أحفظ البساتين بالاجرة وأدرس العلم بالليل ثم استخرت الله تعالى فرحلت وكانت معي نفقة وافرة في هميان على وسطى وكنت
أسمع المسافرين يقولون من نام بالليل (٣٤٢) في القيا في وله نفقة على وسطه فليحلمها فان اللصوص اذا كبرت الخلق يتدرون أوساطهم

وعرض لك اربابك في فهمك او تشعيب بالشبهات في ذهنك فاطر ح ذلك وانما يجب الالتفات وعوائق
الشبهات واترك الامر الصناعي جملة واخاض الى فضاء الفكر الطبيعى الذى فطرت عليه وسر ح نظرك فيه
وفرغ ذهنك فيه للغوص على مرامك منه واضعالمها حيث وضعها كابر الانظار قبل مستعرضا للفتح من
الله كما فتح عليهم من ذهنهم من رحمة وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فاذا فغلت ذلك اشرقت عليك انوار الفتح
من الله بالانظر بمطوبك وحصل الامام الوسط الذى جعله الله من مقتضيات هذا الفكر ونظره عليه كما قلناه
وحينئذ فارجع به الى قوال الادلة وصورها فأفرغ فيها ووفقه حق من القانون الصناعي ثم اكسبه صور
الالفاظ وأبرزه الى عالم الخطاب والمشاهدة وثيق العرى صحيح البنيان * وأما ان وقفت عند المناقشة
والشبهة في الادلة الصناعية وتخصيص صوابها من خطئها وهذه أمور صناعية وضعية تستوى جهاتها
المتعددة وتشابه لاجل الوضع والاصطلاح فلا تميز جهة الحق منها اذ جهة الحق انما تستبين اذا كانت
بالطبع فيستمر ما حصل من الشك والارتباب وتسدل الحجب على المطلوب تقع بالناظر عن تخصصه
وهذا شأن الاكثرين من النظار والمتأخرين سيما من سبقته له عجمة في لسانه فربطت عن ذهنه ومن
حصل له شعب بالقانون المنطقي تعصب له فاعتقد انه الذريعة الى ادراك الحق بالطبع فيقع في الحيرة بين
شبه الادلة وشكوكها ولا يكاد يخلص منها والذريعة الى درك الحق بالطبع انما هو الفكر الطبيعى كما
قلناه اذا جرد عن جميع الاوهام وتعرض الناظر فيه الى رحمة الله تعالى واما المنطق فانه هو واصف الفعل
هذا الفكر فساوقه لذلك في الاكثر فاعته به ذلك واستمطر رحمة الله تعالى متى أعوزك فهم المسائل تشرق
عليك انوارها بالهام الى الصواب والله الهادى الى رحمة وما العلم الامن عند الله

٣١ (فصل في أن العلوم الالهية لا توسع فيها الانظار ولا تفرع المسائل)

(اعلم) ان العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير
والمحديث والفقه وعلم الكلام والطبيعية والاهليات من الفلسفة وعلم الهيئة وآلية وسيلة لهذه العلوم
كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات وكالمنطق للفلسفة ووربما كان آلة تعلم الكلام ولاصول الفقه
على طريقة المتأخرين فأما العلوم التى هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفرع المسائل
واستكشاف الادلة والانظار فان ذلك يز يد طالبها كما في ملكته وايضا طالعانيها المقصودة واما العلوم التى
هى آلة لغيرها مثل العربية والمنطق واماثلها فلا ينبغي أن ينظر فيها الا من حيث هى آلة لذلك الغير فقط
ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل لان ذلك يخرج لها عن المقصود اذا المقصود منها ما هى آلة لا غير
فكلاما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعوبة الحصول على

فخرجت من بلاد السويدية
الى انطاكية وهى اذذاك
حرب للروم فسر ينالبتنا
وأصبحنا على باب انطاكية
فاخذتني عيني وحملت
الهميان ونمت ولم استيقظ
الا ضحوه النهار فاستيقظت
ومددت يدي الى الهميان
فلم احده فجعلت أنظر الى
القافلة وألقت الى الناس
وقد أسقط في يدي ولم
يبقى لي حيلة فاسترجعت
ورفعت أرمي الى الله
سبحانه واذا برجل من أهل
القافلة ملتقنا الى فوق
وجهي في وجهه فاذا هو
يخحك لما رأى ما بي فقام
مالك أيها الفقيه قلت خير
فراجعني فقلت خير فقام
الى وقال خذهم منك
عافاك الله فسأله كيف
ظفرت به فقال راسك قد
تدخرجت ذراعين أو ثلاثة
والتفت فرأيت سوادا
في الموضع الذى كنت فيه
نأما فسرته اليه واخذته

فاذا هو الهميان رحمة الله عليه ورضوانه لديه * (الباب الستون في بيان الخصلة التي هي ام الخصال ويتبوع ملكتها
الفضائل ومن فقد هالم يكمل فيه خصلة وهي الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس) * قالت الحكماء أصل الخيرات كلها في
ثبات القلب ومنه تستمد جميع الفضائل وهو الثبوت والقوة على ما يوجبها العدل والعلم والحب غير يزيحجمها سوء الظن بالله تعالى والشجاعة
غير يزيحجمها حسن الظن بالله تعالى مثل الاحنف عن الشجاعة فقال صبر ساعة وسئل ابو جهل عن الشجاعة فقال تصبرون على حر
السيوف فواق ناقة وهو ما بين الحبطين واعلم ان القادم للقتال طر يده من طرائد الموت فاستقبال الموت خير من استدباره وقد قال الاول رب
حياة سببها التعرض للوفاة ووفاته سببها طاب الحياة ومن حرص على الموت في الجهاد وهبت له الحياة وقالوا الهزيمة شقرة من شقاء الموت والفار

يمكن من نفسه والمقاتل يدفع عن نفسه وقالوا ثمرة الشجاعة الامن من العدو واعلم ان من قتل في الحرب مدبراً أكثر من قتل مقبلاً وقالوا
تأخيراً لاجل حصن المحارب وقيل لبعضهم في أي جنة تحب ان تلقى عدوك قال بادبار دولته وانقضاء مدته واعلم ان الشجاعة لمن كانت له
الدولة واذا انقضت المدة لم تغن كثرة العدد وقال على رضى الله عنه اذا انقضت المدة كانت الهلكة في الجملة واعلم ان كل كريمة ترفع أو
مكرمة تكتسب لا تتحقق الا بالشجاعة الا ترى انك اذا هممت ان تمنع شيئاً من مالك خارط بك ووهن قلبك وعجزت نفسك فشحت
به واذا حققت عزك وقويت نفسك وقهرت ذلك الهجز أخرجت المال المضنون به وعلى قدر قوة القلب وضعفه تكون طبيعة النفس
بأخراجه أو كراهية النفس لأخراجه مع أخراجه وعلى هذا النمط جميع الفضائل (٣٤٣) مهمالم يقارنها قوة نفس لم تتحقق

وكانت مخدوعة وروى
ان الرسول صلى الله عليه
وسلم قال الشجاعة والحسين
غرائز يضعها الله تعالى
فمن يشاء من عباده فالحسان
يقرب من أمه وأبيه والشجاع
يقاتل عن لا يؤوب به الى
رحله فبقة القلب يصاب
امثال الاوارم والانتها عن
الزواج وبقة القلب
يصاب كساب الفضائل
وبقة القلب ينتهي عن
اتباع الهوى والتقص مع
بالذائل قال الشاعر
جمع الشجاعة والخضوع
لربه
ما أحسن الحراب في الحراب
وبقة القلب يصبر المجلس
على ايذاء المجلس وحقها
الصاحب وبقة القلب
يكتم الاسرار ويدفع العار
وبقة القلب يقتحم الامور
الصعاب وبقة القلب
يتحمل اثقال المكارة
وبقة القلب يصبر على
اخلاق الرجال وبقة

ملكها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائقاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات اطول وسائلها
مع ان شأنها اهم والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشغال بهذه العلوم
الآلية تضيق للعمر وشغلا لا يعنى وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة النحوصناعة المنطق واصول
الفقه لانهم اوسعوا دائرة الكلام فيها وكثروا من التقاريع والاستدلالات بما أخرجها عن كونها آلة
وصيرها من المقاصد دور ما يقع فيها انظار لا حاجة بها في العلوم المقصودة فهي من نوع اللغو وهي أيضاً
مضرة بالمعلمين على الاطلاق لان المتعلمين اهتموا بهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتموا بهم بوسائلها فاذا
قطعوا العمر في تحصيل الوسائل بقي ينظرون بالمقاصد فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الا اتموا
لا يستجروا في شأنها وينبوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده فنزعت به همته بعد ذلك الى شيء
من التوغل فليبرق له ماشاء من المراتي صعبا الوساو كل ميسر لما خلق له

٣٢ (فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه) *

(اعلم ان تعليم الولدان للقرآن شعار من شعار الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم لما
يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الاحاديث وصار القرآن
اصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعد من المالكات وسبب ذلك ان تعليم الصغار شدرسو خا وهو اصل
لما بعده لان السابق الاول للقلوب كالاساس للمساكنات وعلى حسب الاساس واساليه يكون حال ما ينبنى
عليه واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من المالكات
فأما اهل المغرب فذهبهم في تعليم القرآن للولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارس بالرسم
ومسائله واختلاف جملة القرآن فيه لا يخطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لامن حديث ولا من
فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى أن يحدق فيه أو ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً
عن العلم بالجملة وهذا مذهب اهل الامصار بالمغرب ومن تبهم من قرى البربر أم المغرب في ولدانهم الى أن
يجاوزوا حد البلوغ الى الشبيبة وكذا في الكبير اذا راجع مداوسة القرآن بعد طائفة من عمره فهم لذلك
أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم وأما اهل الاندلس فذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث
هو وهذا هو الذي يراعى في التعليم الا أنه لما كان القرآن اصل ذلك وأسهل منبع الدين والعلوم جعلوه
اصلاً في التعليم فلا يقتصر ون لذلك عليه فقط بل يخطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب
والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكاتب ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن
دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها الى أن يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شذا

القلب تنفذ كل عزيمة وروية اوجبها الحزم والعدل وبقة القلب يضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبهم مشحونة بالضعائن والاحقاد
كما قال ابو ذر وانا لنكشر في وجوه قوم وان فلو بنا لتعلمهم وقال على رضى الله عنه انا انصافاً كفا ترى قطعها وليس الصبر والشجاعة وقوة
النفس ان تكون مصر في الحال لجو في الباطل ولان تكون جاداً عند الضرب صبوراً على التعب مصمماً على التعزير والتهور فان
هذه صفة الحميز والخنازير ولكن ان تكون صبوراً على أداء الحقوق عليك صبوراً على سماعها والقائها اليك غالباً هو الكمال
لشها واثم ما للفضائل بجهدك عاملاً في ذلك على الحقيقة التي لا يحيل عنها حياة ولا موت حتى يكون عندك موتك على الخير الذي
اشار به العلم وأوجب العدل خيراً من البقاء على ماوجب رفض العلم والعدل كما قال على بن الحسين رضوان الله عليهم ما يابني وما يابني ابوك

لو ان الخاني خالفوه اذا كان على الحق وهل الخير كله للمحق الا بعد الموت ومن هذا قالت حكما الهند اذا لم يكن للالب من نفسه - معين كان في جميع اموره ضعية فاحذولا واعلم ان الجبن مقنلة والحرص محرمة والعجز ذل والجبن ضعف والجبان يعين على نفسه يقر عن امه وابيه وصاحبته وبنيه واعلم ان كل كريمة ما بين الحلمتين والشجاع يحصى عن لا يناسبه وبقى مال الجار والرفيق بمهجة والجبان يخاف مالا يحس به والجبان حقة - من فرقه واعلم ان الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة اوجه رجل اذا التقى الجمعان وتزاحف الزحفان واكتحلت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكرو وينادي هل من مبارزو الثاني اذا التحم القوم واختلطوا ولم يدرك احد من ائني ياتيه الموت يكون رابط الجاش (٣٤٤) سا كن القلب حاضر اللب لم يخامره الدهش ولا خالطته الحيرة فينقلب بقلب المسالك

بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما وبرز في الخط والكاتب وتعلق باذيال العلم على المجلة لو كان فيهم - ند لتعليم العلوم ليكنهم يقطعون عند ذلك لا تقطاع سند التعليم في آفاقهم ولا يحصل بايديهم الا ما حصل من ذلك التعليم الاول وفيه كفاية لمن ارشده الله تعالى واسمعد اذا وجد المعلم وأما اهل افريقية فيخلطون في تعليمهم للولد ان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قواني العلوم وتلقين بعض مسائلها الا ان عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقرائنه أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تتبع لذلك وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن أقرب الى طريقة اهل الاندلس لان سند طريقهم في ذلك متصل بشيخة الاندلس الذين اجازوا عند تغلب النصارى على شرق الاندلس واسمعد قروا بتونس وعندهم اخذوا لدانهم بعد ذلك وأما اهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا ولا أدري بم عنايتهم منها والذي ينقل لنا ان عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشيبانية ولا يخلطون بتعليم الخط بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلوم له على انفراد كتمانته لم سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان واذا كتبوا لهم الاواح فخط قاصر عن الاجادة ومن أراد ان يعلم الخط فعلى قدر ما يسوغ له بعد ذلك من المهمة في طلبه - هو يتبعه من اهل صنعة فاما اهل افريقية والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن مائة الانسان جملة وذلك ان القرآن لا ينشأ عنه في الغالب مائة كما ان البشر مصر وفون عن الايمان بمنزله فهم مصر وفون لذلك عن الاسمعد عمل على اساليبهم والاحتذاء بها وليس لهم مائة في غير اساليبهم فلا يحصل لصاحب مائة في اللسان العربي وحظه المجهود في العبارات وقلة التصرف في الكلام وربما كان اهل افريقية في ذلك أخف من اهل المغرب لما يخلطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه فمقدرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل الا ان مائة في ذلك قاصرة عن البلاغة لما ان أكثر محفوطهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة كما - باقي في قصه - له وأما اهل الاندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية عن اول العمر حصول مائة صاروا بها اعرف في اللسان العربي وقصروا في سائر العلوم بعد ذلك عن مدارسة القرآن والحديث الذي هو اصل العلوم واساسها فكانوا لذلك اهل حظ وأدب بارع أو مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته الى طريقة غريبة في وجه التعليم وأعاد في ذلك وأبدوا قدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب اهل الاندلس قال لان الش - مردويان العرب ويدعوا الى تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة ثم ينتقل منه الى الحساب فيعمر فيه - حتى يرى القوانين ثم ينتقل الى درس القرآن فانه يتيسر عليه بهذه

لامره القاسم على نفسه - والثالث اذا انهزم أصحابه يلزم الساقه ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه ويرجي ضعيةهم ويمدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فين وقع اقامه ومن وقف جملة ومن كردس فرسه كشف عنه حتى يشس العدو منهم وهذا أجدهم شجاعة وعن هذا قالوا المقاتل وراء الفارين كما يستغفر من وراء الغافلين ومن أكرم البرم الدفاع عن الحرم (وقالوا) لكل واحد يومان لا بد منهما - احدهما لا يخل عليه - والثاني لا يغفل عنه فاما للجبان والفرار وكان شيوخ المنة يمحكون في بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا في المعترك قطعة من بيضة الحديد قدر ثلثها

بما حوته من الرأس فيقال انه لم يرقط ضر به اقوى منها وكان شيوخ الجند في بلدنا طروشة يحكون انهم خرجوا في أيام سيف الملة في سرية الى بلاد العدو فبينما هم يسرون اذ لقيتهم سرية للار ومير يدون منامانر يد منهم قال وعرف بعضهم بعضا وكان فينا صناديد الفرسان وفيهم صناديد الروم فتوافقنا ساعة ثم شدنا وشدوا فالتقينا ونجحنا الساعة ثم مضى الله تعالى اكلناهم فبعناهم حصيدا كانهم خرو على الاوضاع وكان هناك بقرهم قرية فيها شئ من الخرفشربناه وسكرنا ثم اشتبهنا شئ الخ الخ فقمنا قطع من لحمهم ونجعل على الناروا كلنا منها ففرغ من كئنا سرناه منهم وبلغ الحديث الى الروم فقصت النصارى تعجبا منا وقد ذن العرب في قلوبهم (وردوي) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتى عمرو بن معديكرب فقال له يا عمر وای السلاح افضل في الحرب فقال لعن

المقدمة

أيها نسأل قال ما تقول في السهام قال منها ما يخطئ ويصيب قال فما تقول في الرمح قال أخوك وربيما خالك قال فما تقول في السيف قال ذلك ذاك لا أم لك قال فما تقول في الترس قال هو الدائرة وعليه تدور الدوائر وكان عمر وهذا من شجعان العرب وابطالها نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه اني عابر على الحسرة فان أسرعتي مقدار جزر الخزور ووجدتوني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي وقعدة رفي القوم وأنا قائم بينهم وان أبطأتهم ووجدتوني قتيلا بينهم ثم انعمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بني زيد على ما تدعون صاحبكم والله ما اري ان تدركوه حيا فحملوا فانتهم واليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ رجل فرس رجل من العجم فامسكه وان الفارس لم يضرب فرسه فباي قدر الفرس ان يتحرك فلما غشينا رمى الرجل بنفسه وخطى فرسه (٣٤٥) فركبه عمر وقال أنا أبو نور كدت والله

تقتدونى قالوا ابن فرسك قال ربي بنشابة فغار وشب فصرعنى (ويروى) ان عمرا حمل يوم القادسية على رستم وهو الذى قدمه يزدجرد ملك الفرس على قتال المسلمين فاستقبل عمرو رستم على قبل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط القيل عليه مع خرج كان عليه فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانتهزمت الهجم وروى ان قاتل رستم زعيم بن فلان وأما الضربة التى حكيناها التى حازت ثلث البيضة بما حوته من الرأس فلم يسمع بمثلها فى جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعاقبتها كنيسة لهم وكانوا اذا عيروا بانتهزاهم يقولون لقينا أقواما هذا ضرب بهم فبرحل أبطال الروم اليها لبروها وانما كانت العرب تفخر فى هذا الباب بقول الفريز تواب يصف ضربة سيف

المقدمة ثم قال ويا غفلة اهل بلادنا ان يؤخذ هذا الصبى بكاتب الله فى أول أمره يقرأ أملا لا يفهم وينصب فى أمر غيره أهم عليه ثم قال ينظر فى اصول الدين ثم اصول الفقه ثم المجلد ثم الحديث وعلموه ونهسى مع ذلك ان يختلط فى التعليم علمان الا ان يكون المتعلم لم يقابل ذلك بحجوة الفهم والنشاط هـ اذا أشار اليه القاضى أبو بكر رحمه الله وهو لم يمرى مذهب حسن الا أن العوائد لا تساعده عليه وهى امال بالاحوال ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرآن ايشارة للتبرك والثواب وخشية ما يعرض للولدى جنون الصبى من الآفات والقواطع عن العلم فيقوته القرآن لانه ما دام فى الحجر منقاد للحكم فاذا تجاوز البلوغ وانحل من ربة القهر فربما عصفت به رياح الشبهة فآلت به بساحل البطالة فيغتنمون فى زمان الجور بركة الحكم تحصيل القرآن ثلثا يذهب خلوها منه ولو حصل اليقين باستمراره فى طاب العلم وقبوله التعليم لكان هذا المذهب الذى ذكره القاضى أولى ما اخذ به اهل المغرب والمشرق ولكن الله يحكم ما يشاء لامعقب له كما سبحانه

٣٣ * (فصل فى أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم) *

وذلك ان ارماف الحد فى التعليم مضر بالمتعلم سيما فى أصاغر الولد لانه من سوء الملة ان يكون من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك او الخدم سـ طاب القهر وضيق على النفس فى انبساطها وذهب بنشاطها ودعاء الى الكسل وحمل على الكذب والخيث وهو النظار بغير ما فى ضميره خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه وعمله المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقها فوسدت معانى الانسانية التى له من حيث الاجتماع والقرن وهى الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عبلا على غيره فى ذلك بل وكسبت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانتقضت عن غايتها ومدى انسانيتها فارتبكس وعاد فى أسفل السافلين وهكذا وقع لكل أمة حصلت فى قبضة القهر ونال منها العسف واعتبره فى كل من يملك امره عليه ولا تكون المملكة الكافلة له رفيقة به وتجذب ذلك فيهم استقراء وانظره فى اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى انهم يوصفون فى كل افاق وعصر بالخرج ومعناه فى الاصطلاح المشهور الخباثت والكبد وسببه ما قلناه فيمنعنى للعلم فى متعلمه والوالدى ولده ان لا يستبدوا عليهم فى التأديب وقد قال محمد بن أبى زيد فى كتابه الذى ألفه فى حكم المعلمين والمتعلمين لا ينبغي ماؤدب الصبيان ان يزيديهم ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة أسواط شيأ ومن كلام عمر رضى الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله حرصا على صون النفوس عن مذلة التأديب وعلمان المقدر الذى عينه الشرع لذلك أملاك له فانه أعلم بمصلحته ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد يعلم ولده محمد الامين فقال يا أحرار أمير المؤمنين

(٤٤ - ابن خلدون) ابقى الحوادث والايام من غمر * آثار سيف قديم أثره بادية تظل تحقر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والقيدين والهادى وينشد قول النابغة فى السيف أيضا يقد السيلوى المضاعف نسجه * ويوقد بالصقاح نار الجباب وابن هذا من قد الحديديا حواه من الرأس وابن الثرى وابن الحسام من المنجل ولولا كراهة التطويل لذكرنا من أمثال هذا ما فيه العجب وقد قالوا السيف ظل الموت السيف لعاب المنية والرمح رشاء المنية والسهام رسل لا تؤامر من أرسلها والرمح أخوك وربيما خالك والدرع مشغلة للراجل ومتعبة للفارس وانها الحصن حصين والترس يجن وعليه تدور الدوائر * (الباب الحادى والستون فى ذكر الحر وبوتدبيرها وحيلها وأحكامها) * من حرم الملك ان لا يحقر عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقير افكم من

في القرآن قال الله تعالى
وأعدوا لهم ما استطعتم من
قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم
فقوله تعالى ما استطعتم
مستعمل على كل ما في مقدور
البشر من العدة والآلة
والحيلة وفسر النبي صلى الله
عليه وسلم القوة بفر على أناس
يرمون فقال لا إن القوة
الرمي إلا إن القوة الرمي ألا
إن القوة الرمي وكان بعض
أصحابه إذا أراد الفوز ولا
يقص أنظاره ويترك كعادته
ويراه قوة فأول ذلك أن
يقدم بين يدي اللقاء عملا
صالحا من صدقة وسلام
ورد مظلمة وصلة رحم
ودعاء خالص وأمر معروف
وتغيير منكر وأمثال ذلك
فقد كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يأمر بذلك
ويقول إنما تقا تلون
بأعمالكم وروى أن بريدا
ورد عليه بفتح للمسلمين فقال
له عمر أي وقت لقيتم العدو

برغوث أسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا وقال الشاعر
ولا تحقرن عدو دارمك * وإن كان في ساعديه قصر
فإن السيوف تحز الرقاب
وتجزعنا تنال الأبر وفي الأمثال لا تحقرن الذليل فربما شق بالذباب العزيز ومثل العدو مثل النار إن تداركت أولها سهل أطلقوها
وإن تركت حتى استحك ضرامها صعب حرامها وتضاعفت بليتها ومثله أيضا مثل الجرح الرديء إن تداركته سهل برؤه وإن أغفلته حتى نفل
عظمت بليته وأعيال أطباء برؤه (واعلموا) أن الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتباً وتبوا فيها ترتيباً فلا يسع أهل سائر الأقاليم جهلاً إذا
لكل أمة في الغالب نوع من التدبير وصنف من الحيلة وضرب من المكيمة وجنس من اللقاء والكر والفر وتعبية المواقب وحل بعضهم
على بعض ولكن نصف منه أشياء (٣٤٦) تجري مجرى المعادلات كما تختلف في إنهاء أئمة الحروب ويندأ أولاً بما ذكره الله تعالى

قد دفع إليك مهجة نفسه وحره قلبه فصير يدك عليه مبسوطاً وطاعته لك واجبة فذكر له بحيث وضعك
أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الأخبار ورواه الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدنه
وأمنه من الضحك إلا في أوقاته وخذه بنعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد إذا
حضر واجلسه ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت معتم فائدة تقبده أياها من غير أن تحزنه فقيمت ذهنه ولا تمنع في
مساخطة فيستحل الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والآلية فإن أباهما فليكن بالشدة والغلظة أم
٣٤ * (فصل في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة فريده كمال في التعلم) *

والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقيهم وما يستحلون به من المذاهب والقضايا تارة
علماً وتعلماً والقارة تارة محاكاة وتلقيناً بالباشرة إلا أن حصول الممالك من المباشرة والتلقين أشد
استحساناً وأقوى رسوخاً فلي قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الممالك من رسوخها والأصطلاحات أيضاً
في تعليم العلوم مخلفة على المتعلم حتى لا يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك المباشرة
لاختلاف الطرق فيهما من المعلمين فلقاء أهل العلوم وتعداد المشايخ يقيده تمييز الأصطلاحات بما يراه من
اختلاف طرقهم فيها فيجرب العلم عنها ويعلم أنها النجاة لتعليم وطرق توصيل وتنهض قواه إلى الرسوخ
والاستحسان في الممالك ويصح معارفه ويبرزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين
وكثيرهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا من يسر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحلة لا بد منها في
طلب العلم لاكتساب القوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم
٣٥ * (فصل في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها) *

والسبب في ذلك أنهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني وانتزاعها من المحسوس وتجربتها في
الذهن أموراً كلية عامة ليحكم عليها بأمر العموم لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا أمة ولا صنف
من الناس ويطبقون من بعد ذلك الكلي على الخارجيات أيضاً فيقيسون الأمور على أشباهها وأمثالها
بما اعتادوه من القياس الفقهي فلا تزال أحكامهم وانظارهم كلها في الذهن ولا تصير إلى المطابقة إلا بعد
الفراغ من البحث والنظر ولا تصير بالجملة إلى مطابقة وإنما يتفرع ما في الخارج عما في الذهن من ذلك
كالأحكام الشرعية فإنها فروع عما في المحفوظ من أدلة الكتاب والسنة فتطلب مطابقة ما في الخارج لها
عكس الانظار في العلوم العقلية التي تطلب في صحتها مطابقتها لما في الخارج فهم متعودون في سائر انظارهم
الأمور الذهنية والانظار الفكرية لا يعرفون سواها والسياسة يحتاج صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج وما
يلحقها من الأحوال ويتبعها فأنها خفية وأصل أن يكون فيها ما يمنع من المحاقها بشبه أو مثال وينافي

قال غدوة قال ومثي انهزم قال عند الزوال فقال عمر ان الله وان الله راجعون وقام الشرك للإيمان من غدوة
الى الزوال لقد أحدثتم بعدى حدثاً واحداً حدث بعدكم حدثاً والشأن كل الشأن في استجداء القواد وانتخاب الامراء واصحاب الولاية
فقد قالت حكيم العجم أسديقود الف ثعلب خير من ثعلب يقود الف أسد فلا ينبغي أن يقدم على الجبش إلا الرجل ذو البسالة والنجدة
والشجاعة والجرأة ثبت الجنان صادم القلب جريء رابض الجأش صادق البأس عن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارس السوء ونازل
الأقران وقارع الأبطال عارفاً بوضع الفرص خبيراً بمواقع الشدة منه فإنه إذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كان جميعهم كأنه مثله فإن
من ذلك بصير ابن صنف العدو ومواقف الغرة منه ومواقف الشدة منه فإنه إذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كان جميعهم كأنه مثله فإن

الكل
الكل

رأى لقراع الكنايب وجها والاردود الغنم للزريبة (واعلم) ان الحزب خذعة عند جميع العقلاء واخر ما يجب ركوبه قرع الكنايب
وحمل الجيوش بعضها على بعض فليبدأ بتصرف الحيلة في نيل الظفر (قال) نصر بن سيار كنت أمير خراسان من قبل مروان الجعدي آخر
ملوك بني أمية قال وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للقائد العظيم القباد أن يكون فيه عشرة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك
وبحث الدجاجة وقاب الاسد وحيلة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركى وغارة الذئب وسمن تغير وهي
دويمة تكون بخراسان تمنع على الثعلب والشقاء وكان يقال اسد خلق الله تعالى عشرة الجمال الحديدي تحت الجمال والنازنا كل
الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان (٣٤٧) يقنى الريح لمحاكاة السحاب والسكر يصرع

الانسان والنوم يذهب

السكر والهم يمنع النوم

فاشد خلق ربك اللهم فاول

ذلك ان بيت جواسيد في

عسكر عدوه يستعلم أخباره

مع الساعات ويستعلم

رؤسائهم وقادتهم وذوي

الشجاعة منهم يدس اليهم

ويهدمهم وعدا جبالا

ويوجه اليهم بضروب

الخدعة ويقوى أطعمهم

في ان يثابروا معده من

الهبات الفائرة والولايات

السنية وان راى وجها

عاجلهم بالهدايا والتخف

وسألهم اما الغدر صاحبهم

واما عبرته وقت اللقاء

ويشئ على السنتهم كتبها

مداسة الله ويثبها في

عسكره ويكتب على السهام

اخبارا خروقة ويرى بها في

جيوشهم ويضرب بينهم بما

في الميسور من ذلك فان

جميع ما ذكرناه تنفق فيه

الاموال والحيل واللقاء

تنفق فيه الارواح والرووس

ووجوه الخداع فيه

لا تحصى والمحاضر فيها

من الغائب والله دراهمها

كتب اليه الحجاج يستعمله في حرب الازارقة رد الجواب فقال ان من البلاد ان

يكون الرأي عند من يملكه لا عند من يصبره وقال المختار ليزيد بن أنس حين ولاه الجزيرة وامر به بقتال عبد الله بن زياد امض الى عدولة

برأى غير مستبد وبجزم غير متمكل ولا تركن الى الدولة فربما انقلب واستشر من لا يطمع في عمل ولا تسر بقلبك واستخر الله تعالى

قبل اقدامك توفيقا وأوصت أم الذبالب العبيبة ابنتها القتالة وهو من أشد العرب يابني لا تنشب في حرب ان وثقت شدتك حتى تعرف

وجه المهرب منها فان النفس اقوى شيء اذا وجدت سبيل الحيلة واطعف شيء اذا نبشت منها واوجد الشدة ما كانت الحيلة مدبرة لها اذا

لم يكن النصر من الله تعالى فابذلها واختراس من المحارب خلسة الذئب وطرم منه طيران الغربا فان الحذر زمام الشجاعة والتهور عدو

الكلبي الذي يحاول تطبيقه عليهم ولا يقاس شيء من أحوال العمران على الاخر اخذ كما اشبهت بها في أمر واحد
فلا علم ما يختلفا في أمور فتكون العلماء لاجل ما تعودوه من تعميم الاحكام وقياس الامور بعضها على
بعض اذا نظر وافي السياسة افرغوا ذلك في قالب انظارهم ونوع استدلالاتهم فيقعون في الغلط كثيرا ولا
يؤمن عليهم ويلحق بهم اهل الذكاء والكيس من اهل العمران لانهم ينزعون بثقوب اذهانهم الى
مثل شأن الفقهاء من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة فيقعون في الغلط والعمى السليم الطبع
المتوسط الكيس لقصوره عن ذلك وعدم اعتياده اياه يقتصر لكل مادة على حكمها وفي كل صنف
من الاحول والاشخاص على ما اختص به ولا يعدي الحكم بقياس ولا تعميم ولا يفارق في أكثر نظره
المواد المحسوسة ولا يجاوزها في ذهنه كالساج لا يفارق البر عند الموح قال الشاعر
فلا تنوغلن اذا ما سبحت * فان السلامة في الساحل

فيكون مأموئنا من النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملاته ابناء حسنه فيحسن معاشه وتندفع آفاته ومضاره
بأستقامة نظره وفوق كل ذي علم عليم ومن هنا يبين ان صناعة المنطق غير مأمنة الغلط لكثرة ما فيها من
الانزاع وبعدها عن المحسوس فانها تنظر في المعقولات الثواني ولعل في المواد فيها ما يمنع تلك الاحكام
ويثابها عند مراعاة التطبيق اليقيني وأما النظر في المعقولات الاول وهي التي تجر يدنا قريب فليس كذلك
لانها خيالية وصور المحسوسات حافظة مؤذنة بتصديق انطباقه والله سبحانه وتعالى اعلم به التوفيق

٢٦ * (فصل في أن جملة العلم في الاسلام أكثرهم الجهم) *

من الغريب الواقع ان جملة العلم في الملة الاسلامية أكثرهم الجهم لان العلوم الشرعية ولا من العلوم
العقلية الا في القليل النادر وان كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيجته مع ان الملة
عربية وصاحب شر يعتز بالعربي والسبب في ذلك ان الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة تقتضي
أحوال السذاجة والبداءة وانما احكام الشرع التي هي أوامر الله ونواهيها كان الرجال ينقلونها في
صددورهم وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع واصحابه والقوم
يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين ولا دفعوا اليه ولا دعوتهم اليه حاجة وحري الامر على
ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمعون المختصين بحمل ذلك ونقله القراء الذين يقرؤون الكتاب
وليسوا اميين لان الامية يومئذ صفة عامة في الصحابة كما كانوا عابدين لجملة القرآن يومئذ قراء اشارة الى
هذا فقرأ الكتاب الله والسنة المأثورة عن الله لانهم لم يعرفوا الاحكام الشرعية الا منه ومن الحديث
الذي هو في غالب موارد تفسيره وشرح قال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما

لا تحصى والمحاضر فيها من الغائب والله دراهمها كتب اليه الحجاج يستعمله في حرب الازارقة رد الجواب فقال ان من البلاد ان
يكون الرأي عند من يملكه لا عند من يصبره وقال المختار ليزيد بن أنس حين ولاه الجزيرة وامر به بقتال عبد الله بن زياد امض الى عدولة
برأى غير مستبد وبجزم غير متمكل ولا تركن الى الدولة فربما انقلب واستشر من لا يطمع في عمل ولا تسر بقلبك واستخر الله تعالى
قبل اقدامك توفيقا وأوصت أم الذبالب العبيبة ابنتها القتالة وهو من أشد العرب يابني لا تنشب في حرب ان وثقت شدتك حتى تعرف
وجه المهرب منها فان النفس اقوى شيء اذا وجدت سبيل الحيلة واطعف شيء اذا نبشت منها واوجد الشدة ما كانت الحيلة مدبرة لها اذا
لم يكن النصر من الله تعالى فابذلها واختراس من المحارب خلسة الذئب وطرم منه طيران الغربا فان الحذر زمام الشجاعة والتهور عدو

الشدة وقال ابو السرايا وكان أحد القناتك لابنه يابني كن بحبلتك اوثق منك بشدتك وبحدرك اوثق منك بشجاعتك فان الحرب حرب
 المتهور وغنيمة المحذر واعلم ان الدول اذا زالت صارت حيلها وبالاعليها واذا أذن الله تعالى في حلول البلاء كانت الافة في الحيلة
 وقالت الحيلة كما اذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة واذا انقضت مدة الدول أدبرت سنة الغفلة عن سنة الحذر ويغلب الضعف باقبال
 دولته كما يغلب القوى بفناء مدته وقالوا سعاد الدول ونحوها مقرونة بسعادة الملك ونحوها وقالوا أبهى زى على كل امرئ دولته فاذا
 انقضت بدت عورته وقالوا رب حيلة اهلكت المحتال فمن الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون حجة الرجال وكما الابطال في
 القلب فانه مهمهم انكسر الجناحان (٣٤٨) فالعيون ناظرة الى القلب فاذا كانت رايته تخفى وطوله تضرب كانت حصنا

كتاب الله وسنتي فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد فابعد احتيج الى وضع التفاسير القرآنية وتقييد
 الحديث مخافة ضياعه ثم احتيج الى معرفة الاسانيد وتعديل الناقيل للتمييز بين الصحيح من الاسانيد وما
 رونه ثم كثر استخراج احكام الوقائع من الكتب والسنة وفسد مع ذلك اللسان فاحتيج الى وضع القوانين
 النخوية وصارت العلوم الشرعية كلها مملكت في الاستنباطات والاستخراج والتنظير والقياس
 واحتاجت الى علوم أخرى وهي وسائل لها من معرفة قوانين العربية وقوانين ذلك الاستنباط والقياس
 والذبح عن العقائد الايمانية بالادلة لكثرة البدع والاحاد فصار هذه العلوم كلها علموا ذات مملكات
 محتاجة الى التعليم فاندرجت في جملة الصنائع وقد كنا قدمنا ان الصنائع من منتهى الحضر وان العرب
 أبعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حصرية بقويدها العرب وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم
 الجهم أو من في معنائهم من الموالى واهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للجهم في الحضارة واحوالها من
 الصنائع والحرف لانهم أقوم على ذلك للحضارة الراشحة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة النحو
 سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعده ما وكلهم عجم في أنسابهم وانما روي في اللسان العربي
 فاكتمسبه بالمرى ومخالطة العرب وصير وقوانين وفنما من بعدهم وكذا جملة الحديث الذين حفظوه عن
 اهل الاسلام أكثرهم عجم او مستعجمون باللغة والمربى وكان علماء اصول الفقه كلهم عجم كما يعرف وكذا
 جملة علم الكلام وكذا أكثر المفسرين ولم يبق بمحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم وظهر مصداق قوله صلى الله
 عليه وسلم لو تعلق العلم باكناف السماء لئله قوم من اهل فارس وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة
 وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلتهم الرياسة في الدولة العباسية وما دفعوا اليه من القيام بالملك عن
 القيام بالعلم والنظر فيه فانهم كانوا اهل الدولة وحاميتها وأولى سياستها مع ما يتحققهم من الانفة عن انتقال
 العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع والرؤساء أبا يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجبر اليها ودفعوا ذلك
 الى من قام به من الجهم والمولدين وما زالوا يرون لهم حق القيام به فانه دينهم وعلومهم ولا يمتنعون حجتها
 كل الاحتقار حتى اذا خرج الامر من العرب جملة وصار للجهم صارت العلوم الشرعية غريبة النسبة عند اهل
 الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وامتن حجتها بما يرون أنهم بعداء عنهم مشغلين بما لا يعني ولا
 يجدي عنهم في الملك والسياسة كما ذكرناه في نقل المراتب الدينية فهذا الذي قرناه هو السبب في ان جملة
 الشريعة او عامتهم من الجهم وأما العلوم العقلية أضاف لم تظهر في الملة الابعة من تميز جملة العلم ومؤلفوه
 واستقر العلم كله صناعة فاختصت بالجهم وتركتها العرب وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها الا المعربون
 من الجهم شأن الصنائع كما قلناه أولا فلم يزل ذلك في الامصار مادامت الحضارة في الجهم وبلادهم من العراق

للجناحين يأوى اليه كل
 من هزم وأذا انكسر القلب
 تمزق الجناحان مثال ذلك
 الطائر اذا انكسر إحدى
 جناحيه يربحى عود ولو
 بعد حين وان انكسر
 الرأس ذهب الجناحان ولا
 تبقى كثرة انكسار جناحي
 العسكر وثبات القلب ثم
 يرجع الفارون الى
 القلب ويكون الظفر لهم
 وقل عسكر انكسر قلبه
 فافلح او تراجع اللهم الان
 يكون مكيدة من صاحب
 الجيش فيخل القلب قصدا
 وتعمدا ولا يغادر به كبير
 أمر حتى اذا قوسطه العدو
 اشتغل بنهبه وأطبقت
 عليه الجناحان ومن أعظم
 المكائد في الحرب الكتمان
 ولا يحصى كثرة كم
 عسكر استبجحت بضته
 وقل عزمه بالكتمان وذلك
 ان الفارس لا يزال على حية
 في الدفاع وحى الذمار حتى
 يلبثت فيرى وراءه بندا

منشورا ويسمع ضرب الطبول حينئذ همته خلاص نفسه وانما كن همته وراء ذلك وعليه
 مدار الحروب في اصطناع الشجعان واختيار الابطال فاصطنع ذوى البسالة والاقدام والجراعة ولا علمك أن لا يكثر او لا يبعده عليك أن
 يكثر او لا تنس بيت الشاعر والانس ألف منهم وكواحد * وواحد كالألف ان أمرني بل قد جرب ذلك فوجد الواحد
 منهم خيرا من عشرة آلاف وسأحكى لك من ذلك ما تقضى منه العجب فهم في الجيش وان قلوا كالانفة اللين في ذلك لما اتقى
 المستعين بن هود مع الطاغية بن رديميل النصراني على مدينة وشقة في تغور بلاد الاندلس وكان العسكران كلمة تكافئين كل واحد منهما
 يراهق عشرين الف مقاتل بين خيل ورجل فحدثني رجل عن حضر الواقعة من الاجناد قال ما دنا اللقاء قال الطاغية بن رديميل لمن يثق

بعقله وممارسته للحروب من رجاله استعلم من في صكر المسلمين من الشجعان الذين عرفهم كإبراهيم بن قيس ومن غاب منهم ومن حضر
فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان حتى عد سبعه رجال قال انظر الان من في عسكرى من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب
منهم فعدوهم فوجدوهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكاً مسروراً وهو يقول يا بياضك من يوم ثم ناشب الحرب بينهم
فلم تزل المصاهرة بين الفريقين لم يول أحد منهم دبره ولا ترشح عن مقامه حتى فنى أكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم فلما كان وقت العصر
نظر والينا ساعة ثم حملوا علينا حملة ودخلونا مدخله ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحاولوا بيننا وبين أصحابنا وصرنا وبيننا فكان ذلك
سبب وهتنا وضعفنا ولم نقيم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة معهم فاشارة مقدموا (٣٤٩) العسكر على السلطان أن يخو

بنفسه وانكسر عسكر
المسلمين وتفرق جمعهم
وملك العدو مدينة وشقة
فليعتبر ذو الحزم والبصرة
من جمع يحتوى على
اربعين الف مقاتل ولا
يخضروهم من الشجعان
المعدودين الان خمسة عشر
رجلاً ولا يعتبر بضممان العلي
بالظفر واستبشاره بالغنمة

لما زاد في ابطاله رجل
واحد (وسمعت) استاذنا
القاضي ابا الوليد الباجي
رحمه الله يحكى قال بينما
المنصـور وبين ابى عامر في
بعض غزواته اخذ وقف
على نشر من الارض
مرتفع فرأى جيوش
المسلمين بين يديه ومن
خلفه وعن يمينه ويساره
قدموا السهل والجبل
فالتفت الى مقدم العسكر
وهو رجل يعرف بابن
المعصفي فقال كيف ترى
هذا العسكر ايها الوزير
قال ابن المعصفي ارى جمعا

وخراسان وما وراء النهر فلما سخرت تلك الامصار وذهبت منها الحضارة التي هي سر الله في حصول العلم
والصنائع ذهب العلم من العجم جملة لما شملهم من البداوة واختص العلم بالامصار الموفورة الحضارة ولا أوفر
اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم وايوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع وبقي بعض الحضارة فيما
وراء النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها فلهم بذلك حصنة من العلوم والصنائع لا تنكر وقد دلتنا
على ذلك كلام بعض علمائهم في تاليف وصلت الينا الى هذه البلاد وهو سعد الدين التقي تاليفي وأما
غيره من العجم فلم نر لهم من بعد الامام ابن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاما يعول على نهايته في
الاصابة فاعتبر ذلك وتأمله ترجعنا في احوال الخلافة والله يخلق ما يشاء لا اله الا هو وحده لا شريك له
الملا بوله الحمد وهو على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله

٣٧ * (فصل في علوم اللسان العربي) *

أركانه أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والادب ومعرفته ضرورة على أهل الشريعة اذ ما أخذ الاحكام
الشريعة كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها
من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة وتفاوت في التأكيذ بتفاوت
مراتبها في التوفيق بمقصود الكلام حسب ما يتبين في الكلام عليها فافنا والذي يتحصل ان الاهم المقدم
منها هو النحو اذ به يتبين اصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولا بهل
أصل الافادة وكان من حق علم اللغة التقدم لولا ان أكثر الاوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف
الاعراب الدال على الاستناد والسند والمستند اليه فانه تغير بالنحو ولم يبق له أثر فذلك كان علم النحو اهم
من اللغة اذ في جهله الاخلال بالتفاهم جملة وليست كذلك اللغة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

* (علم النحو) *

اعلم ان اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لسانى فلا بد ان تصير ملكة
مستقرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل امة بحسب اصطلاحاتهم وكانت الملكة الحاصلة
للعرب من ذلك احسن الملكات وأوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني
مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من الجبر وراعي المضاف ومثل الحروف التي تفضي بالافعال
الى الذوات من غير تكلف الفاظ أخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب وأما غيرهما من اللغات فكل
معنى أو حال لا يبدله من الفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم أطول مما تقدره بكلام
العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم أو تبت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا فصار

كثيرا وجيشا واسعا فقال له المنصور لا يعجزنا ان يكون في هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والبسالة فسكت ابن المعصفي فقال
المنصور وما سكو تلك اليس في هذه الجيوش ألف مقاتل قال لا قال فتعجب المنصور ثم انعطف عليه فقال افيهم خمسمائة رجل من الابطال
المعدودين قال لا لفتنى المنصور ثم انعطف عليه فقال افيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال افيهم خمسون من الابطال قال لا فسيبه
المنصور واستخف به وأمر به فاخرج على أقبح صفة فلما توسطوا بالادامشركين اجتمعت الروم وتصافى الجمع ان فبرز عليج من الروم بين
الصفيين شاك في سلاحه يركو يفر وهو ينادى هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقط له العليج ففرح المشركون
وصاحوا واضطرب لها المسلمون ثم جعل العليج يرح بين الصفيين وينادى هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا

ساعة فقتله العليج وجعل يكره ويحمل وينادي هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل فقط له العليج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت تكون كسرة فقيل المنصور ما لها غير ابن المحصني فبعث اليه فحضر فقال له المنصور ألا ترى ما يصنع هذا العليج السكاب منذ اليوم قال يعني جميع ما جرى قال في الجملة فيه قال وما الذي تريد قال ان تكفي المسلمين شره قال نعم الآن ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من اهل النجور على فرس قد تشرت اورا كهاهز الا وهو يحمل قرينة مابين يديه على القرس والرجل في نفسه وحلته غير متصنع فقال له ابن المحصني الاترى ما يصنع هذا العليج منذ اليوم قال قد رأيت في ذاتي فيه قال اريد رأسه الا ان قال نعم فحمل القرينة الى رجليه وليس لامة حربه وبرز اليه فتجاولا ساعة (٣٥٠) فلم ير الناس الا المسلم خارجا اليهم بر كض ولا يدرون ما هنالك واذا الرجل يحمل رأس

العليج فألقى الرأس بين يدي المنصور فقال له ابن المحصني من هؤلاء الرجال أخبرتك انه ليس في عسكريك منهم ألف ولا جسمائهم ولا مائة ولا نجسون ولا عشرون ولا عشرة فرد ابن المحصني الى منزلته وأكرمه (واعلم) ان أول الحرب شكيوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى الحرب شقاء عابسة وشوواء كالحة حرور في حياض الموت شمس في الوطيس تغذى بالنفوس الحرب أولها الكلام وآخرها الحجام الحرب مرة المذاق اذا قلصت عن ساق من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف جسم الحرب الشجاعة وقبلها التدبير وعينها الحذر وجناحها الطاعة واسنانها المكيدة وقائدها الرفق وسائقها النصر وقال الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقالوا الحرب غشوم

للحروف في انتمهم والحركات والميات أى الاوضاع اعتبارا في الدلالة على المقصود وغير متكلفين فيه الصناعات يستفيدون ذلك منها فإما هي ملكة في أنفسهم يأخذها الآخر من الأول كما أخذ صيغنا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز طلب الملك الذي كان في أيدي الامم والدول وخاطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى اليها السمع من الخالقات التي للفرسين والسمع ابو الملكات اللسانية ففسدت بما ألقى اليها مما يغايرها لجنوحها اليه باعتياد السمع وخشى اهل العلوم منهم ان تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينتقل القرآن والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجازي كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه السكيات والقواعد يقيسون عليها سائر انواع الكلام ويلحقون الاشياء بالاشباه مثل أن القاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته اعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا وأمثال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم لا يفيدوها بالسكاب وجعلوها صناعات لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو وأول من كتب فيها أبو الاسود الدؤلى من بني كنانة يقال بأشادة على رضى الله عنه لانه رأى تغير الملكة فأشار عليه بحفظها ففرغ من كتابته بطلها بالقوانين المحاضرة المسماة مقرأة ثم كتب فيها الناس من بعده الى ان انتهت الى الخليل بن احمد الفراهيدى أيام الرشيد اذ حوج ما كان الناس اليها لذهاب تلك الملكة من العرب فهذب الصناعة وكل ابوابها وأخذها عنه سيبويه فأكمل تفاريها واستكثر من ادتها وشووا هذها ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار اماما لكل ما كتب فيها من بعده ثم وضع ابو على القارسي وابو القاسم الزجاج كتابا مختصرة للمتعلمين يحذون فيها حذوا الامام في كتابته ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدثت الحلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة المصيرين القديمين للعرب وكثرة الادلة والحجاج بينهم وتباينت الطرق في التعليم وكثر الاختلاف في اعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في تلك القواعد وطال ذلك على المتعلمين وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار فاقتصر واكثر من ذلك الطول مع استيعابهم جميع ما نقل كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وأمثاله أو اقتصرهم على المبادئ للمتعلمين كما فعله الزخشرى في المفصل وابن الحاجب في المقدمة له ووربما نظموا ذلك نظاما مثل ابن مالك في الارجوزتين الكبرى والصغرى وابن ططى في الارجوزة الالفية وبالجملة قالنا لعل في هذا القن أكثر من أن تحصي أو يحاط بها وطريق التعليم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين والكوفيون والبصريون والبغداديون والاندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كادت هذه الصناعة أن تؤذن بالذهاب لما رأينا من النقص في سائر العلوم والصنائع بتناقض العمران ووصل اليها بالمغرب لهذه العصور وروى ان من مصر منسوب الى جلال

سميت بذلك لانها تنطى الى غير الحافى قال الشاعر لم أكن من جناتها علم الله وانى بحرها اليوم صالى الدين وقال آخر رأيت الحرب يجنيها الناس ويصلى حرقا قوم براء وقال آخر الحرب أول ما تكون فتية * تسمى بيزتها لكل جهول حتى اذا اضطربت وشب ضرامها * عادت عجوزا غير ذات خليل شطاء ينفركونها وتغيرت * مكروهة للشم والتقبيل (وقال بعض الحكماء) قد جمع الله تعالى آداب الحرب في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيمت فثمة فاثبتوا واذا كروا لله كثير العلمكم بقلوبكم واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين واستوصى قومكم كشم بنى ص بنى في حرب أرادوها فقال أقبلوا الخلاف على امرائكم واعلموا ان كثرة الصباح فشل ولا جماعة لمن اختلف وتشتوا فان أحرم الفريقين الركين

سميت بذلك لانها تنطى الى غير الحافى قال الشاعر لم أكن من جناتها علم الله وانى بحرها اليوم صالى الدين وقال آخر رأيت الحرب يجنيها الناس ويصلى حرقا قوم براء وقال آخر الحرب أول ما تكون فتية * تسمى بيزتها لكل جهول حتى اذا اضطربت وشب ضرامها * عادت عجوزا غير ذات خليل شطاء ينفركونها وتغيرت * مكروهة للشم والتقبيل (وقال بعض الحكماء) قد جمع الله تعالى آداب الحرب في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيمت فثمة فاثبتوا واذا كروا لله كثير العلمكم بقلوبكم واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين واستوصى قومكم كشم بنى ص بنى في حرب أرادوها فقال أقبلوا الخلاف على امرائكم واعلموا ان كثرة الصباح فشل ولا جماعة لمن اختلف وتشتوا فان أحرم الفريقين الركين

(وقال) عتبة بن ربيعة يوم بدر لا صحابه الا ترون اصحاب محمد جنباً على الركب كأنهم خرس يملطون تملط الحيات (ورأيت) غير واحد من ألف في الحر وب يكره رفع الصوت بالتكبير ويقولون يذكر الله في نفسه واعلم أرشدك الله تعالى ان الله تعالى قد اوضح لنا في كتابه حلة النصر وعله الهزيمة والفرار فقال يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله وينصر الله ويؤتكم الله فاعلموا ان الله هو الغني العزيز فعلمت المعاصي قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان انما استرلهم الشيطان ببعض ما كسبوا أي بشؤم ذنوبهم وتركهم المركز الذي رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم لم يوتب الرماة يوم أحد على ثلثة الجبل لئلا يجمعوا قريشاً أن يخرجوا عليهم كيئاماً من ذلك الموضع ثم اتقى المسلمون فانهزم الكفار فقال الرماة (٣٥١) لا تقوتنا الغنائم فأقبلوا على الغنائم

وتركو المركز الاول فخرجت

خيل المشركين من هناك
واقبلوا على المسلمين
فكانت مقتلة أحد ولحقف
قائد الجيش العلامة التي
هو مشهور بها فان عدوه
قد يستعلم حليته والوان

خيله رايته ولا يلزم خيمته
ليلا ونهارا ولا يمدل زيه
وغير خيمته ويعمى
مكانه كي لا يلتص عدوه
غرته واذا سكنت الحرب
فلا يمش في النفر السير
من قومه خارج عسكره
فان عيون عدوه قد انكبت
عليه وعلى هذا الوجه كسر
المسلمون جيوش افرريقية
عند فتحها وذلك ان الحرب
سكنت في وسط النهار
فخرج مقدم العدو ويمشي
خارج العسكر بتميز عساكر
المسلمين فعماء الخبر الى عبد
الله بن أبي السرح وهو قائم
في قبته فخرج فيمن وثق به
من رجاله وحمل على العدو
فقتل الملب وكان الفتح

الدين بن هشام من علمائها السوفية فيه أحكام الاعراب مجلة ومفصلة وتكلم على الحروف والمقررات والمحمل وحذف ما في الصناعة من المتكر رفي أكثر أبوابها وسمها بالمغني في الاعراب وأشار الى نكت اعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظامت سائر هافوقنا منه على علم جم يشهد به بل قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها وانه يخفى طريقته منخلة اهل الموصل الذين اقتفوا اثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليمه فأتى من ذلك بشئ عجيب ذال على قوة ملكته واطلاعه والله ينز يد في الخلق ما يشاء

(علم اللغة)

هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالاعراب واستنبتت القوانين لحفظها كما قلناه ثم استمر ذلك الفساد بلبسة النجوم ومخاطبتهم حتى تأدى الفساد الى موضوعات الالفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ملامع هجئة المتعربين في اصطلاحاتهم الخالقة لصرح العربية فاحتج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والندو بن خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشعر كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الحيلة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي ألف فيها كتاب العين فحصر فيه مركات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وهو غاية ما ينتهي اليه التركيب في اللسان العربي وتأتي له حصر ذلك بوجوه عديدة حاصرة وذلك أن جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الاعداد على التوالي من واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد لان الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ثم الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين فيكون واحداً فتكون كلها الاعداد على التوالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين فتجمع كلها بالعمل المعروف عند أهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثنائي لان القديم والتأخير بين الحروف معاً بفي التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين لان كل ثنائية يز يد عليها حرفاً فتكون ثلاثة فتكون الثلاثية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفاً بعد الثنائية فتجمع من واحد الى ستة وعشرون على التوالي العددي يضرب فيه جملة الثلاثيات ثم تضرب الخارج في ستة جملة مقلوبات الكلمات الثلاثية فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم وكذلك في الرباعي والخماسي فان حصرته لتركيب بهذا الوجه ورتب أبوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف واعتمد فيه ترتيب الخارج فبعد البحر وفي الحلق ثم ما بعد ذلك من

ولما عبر طارق مولى موسى بن نصير الى بلاد الاندلس لم يفتتحها وموسى اذ ذاك بافرريقية خرجوا في الجزيرة الخضراء وتحصنوا في الجبل الذي يسمى اليوم جبل طارق وهم في ألف وتسعمائة رجل فطمعت الروم فيهم فاقتلوا ثلاثة أيام وكان على الروم تدمير استخلفه لدر يق ملك الروم وكان قد كتب الى لدر يق يعلمه ان قوما لا تدري امن الارض ام من السماء قد وصلوا الى بلادنا وقد لقيتهم فانهض الى بنفسك فأتاه لدر يق في تسعين ألف عنان ولقيهم طارق وعلى خيله مغيث الرومي مولى لالويد بن عبد الملك فاقتلوا ثلاثة أيام اشد قتال فزأ طارق ما الناس فيه من الشدة فقام فخصهم على الصبر وورغهم في الشهادة وبسط في آمالهم ثم قال أين المقر البحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم وأننا فاعل شياً فافعلوا كفعلنا فوالله لا قصدن ما غيبتهم فاما أن أقتله واما ان أقتل دونه

فاستوثق طارق من خيله وعرف حيلة لدريق وعلامته وخيمته ثم جل مع أصحابه عليه جملة رجل واحد فقتل الله تعالى لدريق بعد قتل
ذريع في العدو وحى الله تعالى المسلمين فلم يقتل منهم كثير وانهمز الروم فاقام المسلمون يقتلونهم ثلاثة ايام واحتر طارق رأس لدريق
و بعث بها الى موسى وبعث بها موسى الى الوليد بن عبد الملك وسار معيثة الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة ولم يكن معه غير المائدة
التي تذكر اهل الكتاب انها مائدة سليمان بن داود عليهم السلام فدفع اليه ابن اخنت لدريق المائدة والتاج فقومت المائدة بمائتي
الف لما فيها من الجواهر التي لم يرمثلها وبهذه الحيلة قهر البارسلان ملك الترك ملك الروم ووقعه وقتل رجاله واباد جمعه وكانت الروم
قد جفت جيوشا يقل ان يجمع (٣٥٢) لمن بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كآب متواصلة وعساكر مترادفة

حروف الخنك ثم الاضراس ثم الشفة وجعل حروف العلة آخروهي الحروف الهوائية وبدان حروف
الخلق بالعين لانه الاقصى منها فذلك سمي كتابه بالعين لان المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم
الى مثل هذا وهو تسميته بآول ما يقع فيه من الكلمات والالفاظ ثم بين المهمل منها من المستعمل وكان
المهمل في الرباعي والخمسي أكثر لقلته استعمال العرب له لثقله ولحق به الثاني لقلته دورانه وكان
الاستعمال في الثلاثي أغلب فكانت اوضاعه أكثر لدورانه وضمن الخليل ذلك كله في كتاب العين
واستوعبه احسن استيعاب واوعاه وجاء ابو بكر الزبيدي وكتب لهشام المؤيد بالاندلس في المائة الرابعة
فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل كله وكثير من شواهد المستعمل ولخصه للتحفظ
احسن تلخيص والف الجوهري من المشاركة كتاب الصحاح على الترتيب المنعريف لحروف المعجم فجعل
البداهة منها بالهمزة وجعل النجدة بالحروف على الحرف الاخير من الكلمة لاضطرار الناس في الاكثر الى
اواخر الكلام وحصر اللغة اقتداء بحصر الخليل ثم ألف فيها من الاندلسيين ابن سيده من اهل دانية في دولة
علي بن مجاهد كتاب المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب وعلى نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعريض
لاشذافات الكلام وتصاريفها فجاء من احسن الدواوين ولخصه محمد بن ابي الحسين صاحب المستنصر من
ملوك الدولة المحفصة بتونس وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار اواخر الكلام وبناء التراجيم
عليها فكانت اولى رحم وسبلى ابوة هذه اصول كتب اللغة في ما علمنا وهناك مختصرات اخرى مختصة
بصنف من الكلام ومستوعبة لبعض الابواب اولكها الا ان وجه المحصر فيها خفي ووجه المحصر في تلك
جلى من قبل التراكيب كما رأيت ومن الكتب الموضوعات ايضا في اللغة كتاب الزنجشري في المجاز بين فيه
كل ما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت به من المدولات وهو كتاب شريف الافادة ثم لما كانت
العرب تضع الشيء على العدم ثم تستعمل في الامور الخاصة الفاظ اخرى خاصة بها فوق ذلك عندنا بين
الوضع والاستعمال واحتاج الى فقه في اللغة عزيز المأخذ كل وضع اليبض بالوضع العام لكل ما فيه بياض
ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالاشهب ومن الانسان بالازهر ومن الغنم بالالمخ حتى صار استعمال
الايض في هذه كلها الخواص وخرجوا عن لسان العرب واختص بالتأليف في هذا المنحى الثعالبى واقرده في
كتاب له سماه فقه اللغة وهو من آكد ما يأخذ به اللغوي نفسه ان يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس
معرفة الوضع الاول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك واكثر ما يحتاج الى ذلك
الاديب في فني نظمه ونثره حذر ان يكثرت مخننه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها وهو أشد
من اللحن في الاعراب والخش وكذلك ألف بعض المتأخرين في الالفاظ المشتركة وتكفل بحصرها وان لم

وكراديس يتلو بعضها
بعضا لا يدركهم الطرف
ولا يخصهم العدد وقد
استعدوا من السكراع
والسلاح والمجانيق
والالآت المعقدة لفتح
الحصون في الحرب بما
لا يحصى وكانوا قد قدموا
بلاد المسلمين الشام ومصر
والعراق وخراسان وديار
بكر ولم يشكوا ان الدولة
قد دارت لهم وان نجوم
السعود قد خدعتهم ثم
استبقوا بلاد المسلمين
فتواترت اخبارهم الى بلاد
المسلمين واضطربت لها
عما لك الاسلام فاحتشد
للقائهم البارسلان التركي
وهو الذي يسمى الملك
العاذل وجمع جوده
بمدينة اصبهان واستعد
بما قدر عليه ثم خرج
يؤمهم فلم يزل العسكران
يتدانان الى ان عادت
طلائع المسلمين الى المسلمين
وقالوا للبارسلان غدا

يتراهي النجمان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدد لا يحصىهم الا الذي خلقهم وما المسلمون
فيهم الا كلمة جاثع فبقي المسلمون واجين لسادها هم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظروا بعضهم الى بعض فقال المسلمون ما راوا من كثرة
العدو وقوتهم ولاتهم فأمر البارسلان أن يعد المسلمون فبلغوا اثني عشر ألف تركي واداهم منهم كالرقة في ذراع الحمار فجمع ذوى الرأي
من أهل الحرب والندبير والشفقة على المسلمين والنظر في العواقب واستشارهم في استعمال صواب الرأي فتشاوروا وبرهه ثم أجمع رأيهم
على اللقاء فتواعد القوم وتحالفوا وناصحوا الاسلام وأهله ثم تأهبوا أهبة اللقاء وقالوا للبارسلان نسمي الله ونحمل على القوم فقال
البارسلان يا معشر أهل الاسلام امهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا في شرق البلاد وغربها فاذا زال

الشمس وفات الأقيامو علمنا ان المسلمين قد صلوا ودعوا لنا واصلينا نحن عملنا أمرنا فصرنا الى أن زالت الشمس ثم صلوا ودعوا الله تعالى أن ينصر دينه وان ير بط على قلوبهم بالصبر وان يوهن عدوهم وأن يلقى في قلوبهم الرعب وكان البارسلان قد استوثق من خيمة ملك الروم وعلامته وفرسه وزيه ثم قال لرجاله لا يتخلف أحدكم أن يفعل كفعلى ويضرب بسيفه ويرمى بسهمه حيث أضرب بسيفي وأرمي بسهمي ثم حمل جميعهم حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها فخاصوا اليه وقتل من حوله واسمر ملك الروم وجهه لولا ينادون بلسان الروم قتل الملك فدمعت الروم ان ملكهم قد قتل فتبددوا وتفرقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم أياما وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم واستحضر ملك الروم بين يدي البارسلان بحبل في عنقه فقال له البارسلان ما كنت تصنع (٣٥٣) في لو أخذتني قال فهل تشك اني كنت أقلك فقال له البارسلان

أنت أقول في عيني من ان أقتلك اذهب وابه وبيعه و فحين تريد فـ كان يقاد بالحبل في عنقه وينادي عليه من يشترى ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادي عليه بالدرهم والغلوس فلم يدفع فيه أحدا شيأ حتى باعوه من انسان بكعب فأخذ الذي كان تولى ذلك من أمره الكتاب والملك وجهه الى البارسلان وقال قد طفت جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل فيه أحدا شيأ الا رجل واحد دفع لي فيه كتابا قال قد أنصف لان الكتاب خير منه فاقبض الكتاب وادفع اليه هذا الكتاب ثم انه أمر بعد ذلك بإطلاقه فذهب الى قسطنطينية فعزله الروم وكناه بالأنار فانظر ماذا أتى على الملوك اذا عرفوا في الحروب من

تبلغ الى النهاية في ذلك فهو مستوعب لالا كثر وأما المختصرات الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالمدلول من اللغة الكثير الاستعمال تسهيلات حفظها على الطالب فكثيرة مثل الالفاظ لابن السكيت والفصح لتعريب وغيرهما وبعضها اقل لغة من بعض لاختلاف نظرهم في الالهام على الطالب للحفظ والله الخلاق العالم لأرب سواه

(علم البيان)

هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم الاسانية لانه متعلق بالالفاظ وما تنبئ به ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني وذلك ان الامور التي يقصد العلم بكلمتها افادة السامع من كلامه هي اما تصوره مفردات تسندو بسند اليها وبقي بعضها الى بعض والدالة على هذه هي المفردات من الاسماء والافعال والحروف واما تميز المسندات من المسند اليها والازمنة ويولد عليها بغير الحركات وهو الاعراب وابنية الكلام استوهذه كلها هي صناعة النحوي يبقى من الامور المكنة في الالفاظ التي تحتاج الى الدلالة احوال المتخاطبين والقاعين وما يقصد به حال الفعل وهو محتاج الى الدلالة عليه لانه من تمام الافادة واذا حصلت لكلام فقد دلت غاية الافادة في كلامه واذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس كلام العرب فان كلامهم واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الاعراب والابانة ألا ترى أن قولهم زيد جاءني مغاير لقولهم جاءني زيد من قبل ان المتقدم منهما هو الالهام عند المتكلم فكن قال جاءني زيد أفاد ان اهتمامه بالجيء قبل ان الشخص المسند اليه ومن قال زيد جاءني أفاد ان اهتمامه بالشخص قبل الجيء والمسند وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول او بهم او معرفة وكذا تأكيده الاسناد على الجملة كقولهم زيد قائم وان زيد قائم وان زيد قائم متغايرة كلها في الدلالة وان استوت من طريق الاعراب فان الاول العاري عن التأكيدها في الذهن والثاني المؤكدين كيدان يقيد المتردد والثالث يقيد المنكر فهي مختلفة وكذلك تقول جاءني الرجل ثم تقول مكانه بعينه جاءني رجل اذا قصدت بذلك التذكير تعظيمه وانه رجل لا يعادله أحد من الرجال ثم الجملة الاسنادية تكون خبرية وهي التي لها خارج تطابقه اولا وانشائية وهي التي لا خارج لها كالطلب وانواعه ثم قد يتبعين ترك العاطف بين الجملتين اذا كان للثانية محمل من الاعراب فيشرك بذلك منزلة التابع المفرد فتعاطف كيد او بدلا بعطف أو يتبعين العطف اذا لم يكن للثانية محمل من الاعراب ثم يقتضي المحل الاطناب والايجاز فيورد الكلام عليهم ثم قد يبدل باللفظ ولا ير يد منطوقه ويريد لازمه ان كان مقردا كما تقول زيد اسد فلا تريد حقيقة الاسد المنطوق وانما تريد شجاعة اللازمة وتسند ما الى زيد وتسمى هذه استعارة وقد تريد باللفظ المركب

(٤٥ - ابن خلدون) الجملة والقصد في المكيدة (واعلم) أن القدماء قالوا الكثرة لأرب والقلة للنصر وقد قال تعالى و يوم حين اذ عجبتمكم كثيرا فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فالكثرة أبدأ يعجبهم الا عجب ومع العجب الهلاك وخير الاصحاب أربعة وخير السرايا أربعة وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يغلب جيش يبلغ اثني عشر الفا من قلة اذا اجتمعت كلمتهم فاما صفة اللقاء وهو أحسن ترتيب رأياه في بلادنا وهو أرحى تدبير فاعله في لقاء عدونا أن تقدم الرحالة بالدري السكاملة والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة فيصفقوا صفا وفهم ويركزوا ركزهم ورمحهم خلف ظهورهم في الارض وصدورهم شارعة الى عدوهم وهم جاثون في الارض وكل رجل منهم قد ألقم الارض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون التي ترق

سهاهم من الدروع والحميل خلف الرماة فاذا جلت الروم على المسلمين لم يترشح الرجال عن هياتها ولا يقوم رجل منهم على قدميه فاذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجال بالمازاريق وصعدوا الرماح تلقاهم فأخذوا بمنة ويسرة فيخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجال فقتل منهم ما شاء الله ولقد حدثني من حضر مثل هذه الواقعة في بلدي طرطوشة قال صافقت الروم على هذا الترتيب فملاوا علينا فبينما رجل منا كان في آخر الصف فقام على قدميه فحمل عليه عجم من العدو فصاب غرته فقتله ولم يبرز المقتدر بالله بن هو دملك الاندلس من سر قسطة في تغور بلاد الاندلس للقاء الطاغية ردميل عظيم الروم وكان كل واحد منهم قد احتش بدعاني ميسوره فالتقى المسلمون والكفار ثم تنازلوا للقتال (٣٥٤) وتصافقوا ودام القتال بينهم صدرا كبيرا من النهار وكان المسلمون في خسران

الدلالة على ملزومه كما تقول زيد كثير الرماد تروى به ما نزل ذلك عنه من الجود وقرى الضيف لان كثرة الرماد ناشئة عنهم ما فهمي دالة عليهم - ما وهذه كاهدالة زائدة على دلالة الالفاظ المقرود والمركب وانما هي هيات واحوال لواقعات جمعت للدلالة عليهم الاحوال وهيات في الالفاظ كل بحسب ما يقتضيه مقامه فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التي لهيات والاحوال والواقعات وجعل على ثلاثة اصناف الصنف الاول يبحث فيه عن هذه الهيات والاحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات المحال ويسمى علم الالفاظ والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي الاستعارة والكناية كما قلناه ويسمى علم البيان والمحجوبين ما صنفنا آخره وهو النظم في ترتيب الكلام وتحسينه بنوع من التتميق اما يصحح بقص له او تجنيس يشابه بين الالفاظ او ترصيع يقطع اوزانه او تورية عن المعنى المقصود ببايها معنى اخفى منه لا يشارك اللفظ بينهما او امثال ذلك ويسمى عندهم علم البديع والاطلاق على الاصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان وهو اسم الصنف الثاني لان الاقدمين اول ما تكلموا فيه ثم تلاحت مسائل الفن واحدة بعد اخرى وكتب فيها جعفر بن يحيى والمجاهد وقدامة وشاهلهم املاآت غير واقية فيها ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئا فشيئا الى ان محض السكاكي زبدته وهذب مسائله ورتب أبوابه على نحو ما ذكرناه انما ترتيب وألف كتابه المسمى بالمفتاح في النحو والنصر يف والبيان فعمل هذا الفن من بعض أجزائه وأخذ المحدثون من كتابه وللخصوص انه هات هي المتداولة لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب التبيين وابن مالك في كتاب المصباح وجلال الدين القزويني في كتاب الايضاح والنخبة وهو اصغر حجم من الايضاح والعناية بهذا العهد عند اهل المشرق في الشرح والتعليق منه اكثر من غيره وبالجملة فالشارقة على هذا الفن اقوم من المغاربة وسببه والله اعلم انه كمال في العلوم اللسانية والصنائع السكاكية توجد في العمران والمشرق او فرج رانان المغرب كما ذكرناه او نقول لعناية العم وهو معظم اهل المشرق ك تفسير الزختمري وهو كله مبني على هذا الفن وهو اصله وانما اختص بأهل المغرب من اصنافه علم البديع خاصة وجعلوا من جملة علوم الادب الشعرية وفروعه الالفاظ وعددوا أبوابا ونوعوا انواعا وزعموا انها احصوها من لسان العرب وانما جعلهم على ذلك الولوع بتزيين الالفاظ وان علم البديع سهل المأخذ وصعبت عليهم ما أخذوا البلاغة والبيان لدقة انظارهم وانغموض معانيهم فاجتفوا عنهم ما ورنى في البديع من اهل افرقية ابن رشيق وكتاب العمدة له مشهور وجرى كثير من اهل افرقية والاندلس على منحاها واعلم ان ثمة هذا الفن انما هي في فهم الاعجاز من القرآن لان اعجاز في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام مع

فأفزع المقتدر ذلك وفرق المسلمون من شر ذلك اليوم فدعا المقتدر رجلا من المسلمين لم يكن في الثغور اعرف بالحرب منه يسمى سعداره فقال له المقتدر كيف ترى في هذا اليوم فقال سعداره هذا يوم اسود ولكن قد بقيت لي حيلة فذهب سعداره زيه زى الروم وكلامه كلامهم لمجاورتهم وكثرة مخايلهم فانغمس في عسكر الكفار ثم صعد الى الطاغية ردميل فألقاهم اشكا في السلاح مكفنا في الحديد لا يظهر منه الا عيناه فجعل يتخلله ويترصده غرته الى ان أمكنته الفرصة فحمل عليه فطعنه في عينه فخر صريعاً باليدين والقدم ثم جعل ينادي بلسان الروم قتل السلطان يا معشر الروم فشا عتقه في العسكر فتخاذلوا وولوا منهم زمين وكان الفتح باذن الله تعالى

ولما استضعف الروم صقلية وضر بواعلهم الخراج فكانوا يحملون اليهم الخراج السكاك يحملون الاموال الى العرب بافرقية ويستجدون بهم على الروم فقال لهم ملك الروم انما مثلي ومثلكم يا اهل صقلية مثل رجل له زوجتان عجوز وصبية فكان اذا باتت عند الصبية تلقط الشيب من تحتية لتصبه فيرذه في العجوز واذا باتت عند العجوز تلقط الشعر الاسود من تحتية لتصبه فيه فوشك ان دام هذا به ان يصبح اطلس كذلك حالكم معي ومع العرب اذا اديتم المسالى ولم يوشك ان تنفذ اموالكم فنبهوا فقر ارضعاهم فأتسلهم كما واتسلهم البلاد ويروى انه لما هم بحصار صقلية امر ان يبسط بساط في الارض ثم جعل في وسطه دينارا ثم قال لو جوه رجاله من اخذ منه كم هذا الدينار ولم يسط البساط علمنا انه يصلح للبلد فوقه واحوله ولم يصل احد اليه

فلما اعياهم ذلك ما وانا حية من البساط من عنده وامر كل واحد ان يطوى عما يليه حتى طوى البساط فذروا ايديهم فلحقه والديغار
فحينئذ قال لهم اذا اردتم مدينة صقلية خذوا ما حوله من الحصون والمدن الصغار والاضلاع والقرى حتى اذا ضعفتم اخذتموها وكان
بسر قسطة فارس يقال له ابن فحقون وكان يناسبني فبقع خال والدني وكان اشجع العرب والعجم وكان المستعين ابوا المقدر يرى له ذلك
ويعظمه وكان يجري عليه في كل عطية جسمه اتقدينا وكان النصرانية باسرها قد عرفت مكانه وهما بت لقاء فيجئ كي ان الرومي اذا
سقى فرسه فلم يشرب يقول له اشرب هل ابن فحقون رايت في المساء فسدته نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فأوغروا به صدر
المستعين فغضبهم اياما ثم ان المستعين انشأ غزوة الى بلاد الروم فتوافقت المسلمون والمشركون (٣٥٥) صقوفاتهم برز على الى وسط الميدان

ينادي هل من مبارز فخرج

اليه فارس من المسلمين

فتجاولا ساعة فقتله الرومي

وصاح الكفار سرورا

وانكسرت نفوس المسلمين

وجعل الرومي يكر بين

الصفيين وينادي هل من

اثنين لواحد فخرج اليه

فارس من المسلمين فقتله

الرومي فصاح الكفار سرورا

وانكسرت نفوس المسلمين

وجعل يحول بين الصفيين

ينادي ويقول ثلاثة

لواحد فلم يستجري احد من

المسلمين ان يخرج اليه

بقي الناس في حيرة فقبل

للسلطان ما لا اله الا هو الوليد

ابن فحقون فدعاه وناطف

به وقال له اماتري ما يصنع

هذا العلي فقال هو بعيني

قال فما الحيلة فيه فقال

ابو الوليد فماذا تريد فقال

اكف المسلمين شره فقال

الساعة يكون ذلك ان

شاء الله تعالى فلبس قيصر

كتان واسمى على

الكمال فجاء يختص بالالفاظ في انقائها وجودة رصفها وتر كيبها وهذاهو الاعجاز الذي تقصر الافهام
عن دركه وانما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخاطبة اللسان العربي وحصول ملكته فمدرك
من اعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه اعلى مقام في ذلك لانهم
فرسان الكلام وجهابذته والذوق عندهم موجودا وافر ما يكون واسمحه واجوج ما يكون الى هذا الفن
المفسرون واكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جارا لله الزخشي ووضع كتابه في التفسير يروى تبع
آي القرآن باحكام هذا الفن بما يبدى البعض من اعجازه فانقر دهم هذا الفضل على جميع التفاسير لولا انه
يؤيد عقائد اهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة ولاجل هذا يتحاشاه كثير من اهل السنة
مع وفور بضاعته من البلاغة فن احكم عقائد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشاركة حتى يقدر على
الرد عليه من جنس كلامه او يعلم انه بدعة فيعرض عنها ولا تضرب في معتقده فانه يتعين عليه النظر في هذا
الكتاب للتعرف بشئ من الاعجاز مع السلامة من البدع والاهواء والله الهادي من يشاء الى سواء السبيل

(علم الادب)

هذالعلم لاموضوع له ينظر في اثبات عوارضه وانقيادها وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته وهي
الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه
تحصل به الحكمة من شعره على الطبقة وسجع متساو في الاجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة اثناء
ذلك متفرقة يستقرى منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من ايام العرب يفهم
به ما يقع في اشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الانساب الشهيرة وال اخبار العامة والمقصود بذلك كله ان
لا يتحفي على الناظر فيه شئ من كلام العرب واساليبهم ومناحي بلاغتهم اذا تصفحه لانه لا يتحصل الملكة من
حفظه الا بعد فهمه فاحتاج الى تقديم جميع ما وقف عليه ففهمه ثم انهم اذا ارادوا احدث هذا الفن قالوا
الادب هو حفظ اشعار العرب واخبارها والادب من كل علم بطرف يرى يدون من علوم اللسان والعلوم
الشرعية من حيث متونها فاقطوع هي القرآن والحديث اذا لم يدخل لغو غير ذلك من العلوم في كلام العرب
الامازدب اليه المتأخر ون عند كفهم بصناعة الديع من التورية في اشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات
العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها وسمعتها من
شيوخنا في مجالس التعليم ان اصول هذا الفن واركانه اربعة دواوين وهي ادب الكتاب لابن قتيبة
وكتاب الكامل للبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي وما سوى
هذه الاربعة فليس لها وافر فرغ عنها وكتب المحدثين في ذلك كثيرة وكان الغناء في الصدد الاول من اجزاء

سرجه بلا سلاح واخذ بيده سوطا طويل الطرف وفي طرفه عقدة معقودة ثم رزاليه فحجب منه النصراني ثم حمل كل واحد منهم ما على
صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن فحقون واذا ابن فحقون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الارض لاشئ منه في السرج ثم طفر على
سرجه وحمل عليه وضرب به بالسوط في عنقه فالتوى على عنقه فحذبه بيده من السرج فاقتله من سرجه وجابهه بجرحه فالتوى بين يدي
المستعين فعلم المستعين انه كان قد اخطأ في صنعه معه فأكرمه وورده الى أحسن احواله ايها الاجناد أقبلوا الخلفاء على الاعراء فلا تظفر مع
اختلاف ولا جماعة لمن اختلف عليه قال الله تعالى ولا تنازعوا فتقشوا وتذهب ربحكم وأول الظفر الاجتماع وأول الخذلان الافتراق
وعناد الجماعة السمع والطاعة وانما أتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين من العصبان وكان قد ظهر أهل العراق على أهل

الشام واضعة تحت صفوى معاوية فاحسن بالشروانه مغلوب فقال لعمر بن العاص اذهب فخذ لنا الامان من ابن عمك يعني علما فادار
عمر والحيلة فامرهم ان يرفعوا المصاحف في اطراف الرماح وينادون ندعوكم الى كتاب الله تعالى فلما رأى ذلك اصحاب على كفوا عن
الحرب فقال لهم على رضى الله عنه اى قوم هذه مكي مدتهم ولم يبق في القوم دفاع فصوره وتركو القتال وكان ذلك سبب الحكمين
واعلموا ان من اخزم مكايده الحرب ذكاء العيون واستطلاع الاخبار وانشاء الغلبة واطهار السور ورواية المحدث والاحتراس من العدو وان
لا تخرج هارب الى قتال ولا تضيق امانا على مستأمن وقال بعض المصنفين كثرة التكبير عند اللقاء فسل غصوا الاصوات وتجليبوا السكينة
واكملوا الوثام واحتموا الجبن (٣٥٦) وادعوا الليل فانه اخفى للويل الليل يكفك الجبان ويصف الشجاع الليل المدد

هذا الفن لما هو تاسع للشعر اذا الغناء انما هو تلحينه وكان الكتاب والفضل لاه من الخواص في الدولة
العباسية ياخذون أنفسهم به حرصا على تحصيل اساليب الشعر وفنونه فلم يكن انتقاله قادحا في العدالة
والمرورة وقد ألف القاضي أبو الفرج الاصبهاني وهو وما هو كتابه في الاغانى جمع فيه اخبار العرب وأشعارهم
وانسابهم وايامهم ودولهم وجعل مناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشييد
فاستوعب فيه ذلك اتم استيعابا ووافاه ولعمرى انه ديوان العرب وجامع اشعار الخاسن التي سلفت لهم في
كل فن من فنون الشعر والناريج والغناء وسائر الاحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلم وهو الغاية
التي يسو اليها الاديب ويقف عندها وافي له بها ونحن الآن نرجع بالتحقيق على الاجال فيما تكلمنا
عليه من علوم اللسان والله الهادي للصواب

٣٨ (فصل في أن اللغة ملكة صناعية)

(اعلم ان اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة اذهى ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها
وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها وليس ذلك بالنظر الى المفردات وانما هو بالنظر الى التراكيب
فاذا حصلت الملكة النامية في تركيب الالفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف
الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من افادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى
البلاغة والملكات لا تحصل الا بشكر الالفاظ لان الفعل يقع اولاً وتعود منه للذات صفة ثم تكرر فتكون
حالا ومعنى الحال انها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة اى صفة راسخة فالتكلم من العرب
حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام اهل جيله واساليبهم في مخاطباتهم وكيفية
تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها اولاً ثم يسمع التراكيب بعدها
فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يشكر الى أن يصير
ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كاحدهم هكذا تصيرت الالسن واللغات من جيل الى جيل وتعلمها العجم
والاطفال وهذا هو معنى ما نقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع اى بالملكة الاولى التي اخذت عنهم
ولم يأخذوها عن غيرهم ثم انه لما فسدت هذه الملكة تضر بمخاطبتهم الاعاجم وسبب فسادها ان الناس
من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كصفات اخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن
مقصوده لكثرة الخاطفين للعرب من غيرهم وسمع كصفات العرب ايضا فاخطأ عليه الامر واخذ من
هذه وهذه فاستحدثت ملكة وكانت ناقصة عن الاولى وهذا معنى فساد اللسان العربي ولهذا كانت لغة
قريش أفصح اللغات العربية واصرحها بالبعد عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتشفهم من

الاعظم المحارم يحذر عدوه
على كل حال الماوية ان
قرب والغارة ان بعد
والحكمين ان انكشف
والاستطراذ اذ اولى الجهل
قوة الجراة من اعتز بقوته
فقدوه من ليس من القوة
التورط في الهوة لكن أشد
ما كنت حذرا ما كنت
عند نفسك أكثر قوة
وعندا من اس تضعف
عدوه واعتبر ومن اغتر ظفر به
عدوه اشعر وقلوبكم في
الحرب الجراة فلتها سبب
الفقر واذا كروا الضعائن
فانها تبعث على الاقدام
والتزموا الطاعة فانها
حصن المحارب اذا وقع
اللقاء من القضاء اذا التقى
السيف السيف زال الحبار
رب مكيدة ابلغ من نجدة
رب كلمة هزمت عسكرا
الصبر سبب النصر الظفر
مع الصبر اجعل قتال عدوك
آخر حبل النصر مع التدبير
لا ظفر مع بنى ولا تغتر

تقريب

بالاقياء افضل قوتهم على الضعفاء لا تجبنوا عند اللقاء لا تملوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور

ولا تغلوا عند الغنائم ترموا الجهاد عن عرض الدنيا
(الباب الثاني والستون في القضاء والقدر والتوكل والطلب)
اعلم وفقك الله تعالى ان مذهب الخلق في القضاء والقدر وخلق الافعال وارادة الكائنات منتشرة ولا يخرج عن علمه وقضائه وقدره
وحكمه حادث فن خالقنا في القضاء والقدر وفاقنا في العلم وقد تبين الخلق فيه وتشتت مذاهبهم وتقاطعوا فيه وتدابروا وكل حزب بما
لديه فرحون ولم نضع هذه الترجمة لاستيفاء ما قالوا والاحتجاج لكل فريق لان ذلك يستدعي مجاداة واسفار وانما نذكر في هذا الكتاب
احكاما ظاهرة قريية من العقول لتعريب الفائدة على الناظر فيه فاعلم اولاً ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضرر

وايمان وكفر وطاعة ومعصية بقضاء وقدر وكذلك لا يطهر ما اثر بجناحيه ولا يدب حيوان على بطنه وزحليه ولا تطهر به وضوء ولا تسقط ورقة
 الابيضائه وقدره وارادته ومشيئه كما لا يجري شيء من ذلك الاوقدس به ثم اعلم ان القدر والطلب لا يتناقضان والتوكل والكسب
 لا يتضادان وذلك ان تعلم ان كل ما قضى الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما علم الله تعالى انه يكون فهو كائن ومن خالفنا في القضاء
 والقدر وافقنا في العلم فرب امر قدر الله تعالى وصوله اليك بغير طالب فهو واصل ورب امر قدر وصوله اليك بعد الطلب فلا يصل الا بالطلب
 والطلب ايضا من القدر ولا فرق بين الامر المطلوب وبين الطلب في انه مأمور ان في ههنا قلنا انه لا يتناقضان وكذلك التوكل مع
 الكسب لان التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح ولا يتضاد شيان في محلين (٣٥٧) بعدما يتحقق العبدان المقدوران قبل

الله تعالى فان تعسر شيء
 فبقتديره وان اتفق
 فبمسيره قال انس جاء
 رجل على ناقه له فقال
 يا رسول الله ادعها وتوكل
 فقال اعقلها وتوكل
 والتوكل والاعتصام بالقدر
 يستمدان من العقل والطلب
 والكسب يستمدان من
 الامر فالتمس على الله تعالى
 هو الثقة بما ضاعه والقطع
 يكون ما حكم به في رأم امر
 من الامور ليس الطريق
 في تحصيله ان يغلق باب
 عليه ويقوض امره الى
 ربه وينظر حصول ذلك
 الا قرب الطريق ان يشرع
 في طلبه على الوجه الذي
 شرعه الله فيه وقد ظاهر
 النبي صلى الله عليه وسلم
 بين درعين واتخذ خندقا
 حول المدينة يستظهر به
 ويحترس من العدو واقام
 الرماة يوم أحد ليحفظوه
 من خالد بن الوليد وكان
 يلبس لامة الحرب ويعبي

تقف وهذيل وخزاعة و بنى كنانة و غطفان و بنى أسد و بنى تميم و امامن بعد عنهم من دريعة و لخم و جذام
 و غسان و اباد و قضاعة و عرب اليمن الجاورين لامم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة المملكة
 بمخالطة الاعاجم وعلى نسبة بعدهم من قریش كان الاحتجاج بلغاتهم في الحكمة والفساد عند اهل
 الصناعة العربية والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٣٩ ﴿فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وجحير﴾

وذلك انما نجد في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضري ولم يفقد منها الادلة المحركات
 على تعين الفاعل من المفعول فامتضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد
 الان البليان والبلاغة في اللسان المضري اكثر واعرف لان الالفاظ باعتماد الدلالة على المعاني باعتمادها
 ويبقى ما تقتضيه الاحوال ويسمى بساط المسال محتاجا الى ما يدل عليه هو كل معنى لا بدوان تكتنفه
 احوال تخصه فيجب ان تعتبر تلك الاحوال في تأدية المقصود لانها صافاته وتلك الاحوال في جميع الالسن
 اكثر ما يدل عليها بالالفاظ تخصها بالوضع واما في اللسان العربي فاما يدل عليها باحوال وكيفيات في
 تراكم الالفاظ وتآلفها من تقديم او تأخير او حذف او حركة اعراب وقد يدل عليها بالحروف غير
 المستقلة ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات
 كما قدمناه فكل الكلام العربي لذلك او جزوا قل الالفاظ وعبارة من جميع الالسن وهو مذموم
 قوله صلى الله عليه وسلم لم اوتيت جوامع الحكم واخترت في الكلام اختصارا واعتبر ذلك بما يحكي
 عن عيسى بن عمر وقد قال له بعض النحاة اني اجد في كلام العرب تكرارا في قولهم زيد قائم وان زيد قائم
 وان زيد قائم والمعنى واحد فقال له ان معانيها مختلفة فالاول لا فائدة الخالي الذهن من قيام زيد والثاني
 لمن سمعه فانه كرهه والثالث ان عرف بالاصرار على انكاره فاختلقت الدلالة باختلاف الاحوال وما زالت
 هذه البلاغة والبليان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفت في ذلك الى خرفشة النحاة اهل صناعة
 الاعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون ان البلاغة لهذا العهد ذهبت وان اللسان العربي
 فساد اعتبارا بما وقع واخر الحكم من فساد الاعراب الذي يتداولون قوانينه وهي مقالة دسها التشيع
 في طباعهم والافهام التصوري في افئدتهم والافئتن نجد اليوم الكثير من الفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها
 الاولى والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الابانة ووجود في كلامهم لهذا العهد واساليب اللسان
 وفنونه من النظم والنثر ووجوده في خطاطباتهم وفهم الخطيب المصقع في محافلهم وبجسامعهم والشاعر
 المفلق على اساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك ولم يفقد من احوال اللسان المدون

الجيوش ويا عمرهم وبنهاهم بما فيه مصالحهم واسترتى و امر بالاسترقاء وتداوى و امر بالداواة وقال انزل الداء الذي انزل الدواء (فان قيل)
 قد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرتى او اكنوى فقد برئ من التوكل (قلنا) اليس قد قال اعقلها وتوكل و ظاهر بين درعين
 وسائر ما ذكرناه آنفا (فان قيل) هذا الجمع بين ذلك (قلنا) معناه من استرتى واكنوى متكللا على الرقية والسكي وان البرء من قبلها ما خاصة
 فهذا يخرجهم من التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله تعالى فاما من باشر الاسباب والادوية وتغاطى بتدبير الامور
 بنفسه واعوانه وماله على ما جرت به سيرة الله تعالى في أرضه وعادته في خلقه غير معتد على شيء من ذلك بل هو واثق القلب ان ما حصل
 فبقتديره وما تعسر فبقتديره معتد في ذلك على المسبب لا على الاسباب فهذا هو التوكل لكن شرطه ان يمشی في ذلك كله مع الاثر ولا يسلب

طريقه عافيه معصية فليس يستدرج ما عند الله بما فيه وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من ابتغى ارباح معصية الله كان ابعدا رجا
 وأقر بجي مما تقي ومن ظن ان الطالب والاكتساب يناقض التوكل فقع في بئس - وأغلق بابا به متكلا على الله تعالى في زعمه كان عن
 العقل خارجا وفي تبه الجهول والجأو يقال له قبح يا هذا الذبحت وحضر الطعام فهو الى الطعام احوج منه الى المعرفة وينبغي لاهله أن
 يداووه ألا ترى ان الله تعالى قال لمريم وهزي اليك النخل فجزع النخل فقه - لا امرها بالسكون ثم جل الرطب الى فيها وهكذا القول فيمن له دابة
 أو بستان يؤمر بسقي البستان وحفره واصلح شأنه ويؤمر بان يعلف الدابة ويسقيها وأنشدوا الم تر ان الله قال لمريم
 اليك فهزي الخبز تساقط الرطب (٣٥٨) ولو شاء أجنى الخبز من غير هزها * اليها ولو كن كل شيء له سبب

والاحركات الاعراب في اواخر الكلم فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومهمها معروف وهو
 الاعراب وهو بعض من احكام اللسان وانما وقعت العناية بالسان مضر لما فسد بمخاطتهم الاعاجم حين
 استولوا على عمالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت أولا
 فانقلب لغة أخرى وكان القرآن منزلا به والحديث النبوي منقول بالغة وهما الاصلا الدين والملة فخشي
 تناسيها وانغلاق الافهام عنهما بقدر ان اللسان الذي تنزله فاحتيج الى تدوين احكامه ووضع غايته
 واستنباط قوانينه وصار علما ذا فصول وابواب ومقدمات ومسايل سمى اهلها بعلم النحو وصناعة العربية
 فاصبح فنا محفوذا وعلما مكتوبا وسما الى فهم كتاب الله وسنة رسوله واذا وعلما لواعث تنبيه هذا اللسان
 العربي لهذا العهد واستقر بنا احكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية في دلالاتها بما مورأ أخرى موجودة فيه
 فتكون لها قوانين تخصها ولعلماء تكون في اواخره على غير المنهاج الاول في لغة مضر فليست اللغات
 ومذكاتها مجانا ولقد كان اللسان المضرى مع اللسان المجيرى بهذه المثابة وتغيرت عند مضر كثير من
 موضوعات اللسان المجيرى وتصاريف كلماته تشبه بذلك الانقال الموجودة لدينا - لا فالمن يحمله
 القصور على انهم اللغة واحدة ويلتبس اجزاء اللغة المجيرية على مقاييس اللغة المضرية وقوانينها كما يزعم
 بعضهم في اشتقاق القليل في اللسان المجيرى انه من القول وكثير من اشباه هذا وليس ذلك بصحيح ولغة مجير
 لغة أخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من اوضاعها وتصاريفها وحركات اعزائها كما هي لغة العرب لهذا
 مع لغة مضر الآن العناية بالسان مضر من اجل الشريعة كما قلناه جل ذلك على الاستنباط والاسم مقراء
 وليس عندنا لهذا العهد ما يحكم لنا على مثل ذلك ويدعوننا اليه وعما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد
 حيث كانوا من الاقطار شأنهم في النطق بالقاف فانهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الامصار
 كما هو مذكور في كتب العربية انه من أقصى اللسان وما فوقه من الخنك الاعلى وما ينطقون بها ايضا من
 مخرج الكاف وان كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الخنك الاعلى كما هي بل يجيئون بها متوسطة
 بين الكاف والقاف وهو موجود للجيل اجمع حيث كانوا من غرب او شرق حتى صار ذلك علامة عليهم من
 بين الامم والاجيال ومختصا بهم لا يشارههم فيها غيرهم حتى ان من يريد التعرّب والانتساب الى الجيل
 والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها وعندهم انه انما يقيم العربي الصريح من الدخيل في العربية
 والمضرى بالنطق بهذه القاف يظهر بذلك انها لغة مضر بعينها فان هذا الجيل السابقين معظمهم
 ورؤسائهم شرقا وغربا في ولد منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان من سلالة بن منصور ومن
 بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور وهم لهذا العهد اكثر الامم في المعور وأغلبهم

وهكذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو بخاصا وتروح بطانا فلم يحمل ارزاقها اليها في أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد كان جهيل ريس القنصل مدارس يرى من تصديق القدر وتكذيب الطالب دون أمل زمانه من الملوك ما يحجزه عن الطالب والتدبير فاخرجه اخوته من سلطانه وقهره على مملكته فقال له بعض الحكماء ان ترك الطالب يضعف المهمة ويذل النفس وصاحبه سائر الى اخلاق ذوات الاجرة من الحيوان كالضب وسائر الحشرات تشأ في اجرتها وفيه يكون موتها ثم جعلوا بين القدر والطالب وقالوا انهم كالعدلين على ظهر الدابة ان جل في واحد منهما ما أرجح مما جل في الآخر

سقط وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وقت بغية وضربوا فيه مثلا وهم
 عجب ما قالوا ان اعمى ومقعدا كانا في قرية بقر وضربا قائل لا اعمى ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما كل يوم احتسابا قوتهم
 من الطعام والشراب فلم يزل الا في عافية الى ان ذلك المحتسب قافا ما بعده اياما فاشد جوعهما وبلغ الضرر منهما ما جده فاجعوا رايهم ما على
 ان يحمل الا اعمى المقعد فبذل المقعد على الطريق ببصره يستقل المقعد يحمل الا اعمى فيدوران في القرية يستطعمان اهلها ففعلوا ففعل
 امرهما ولولم يفعلوا لكاف كذلك القدر وسببه الطالب والطالب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه فأخذ جهيل في الطالب فظن
 باعدائه ورجع الى ما كانه فكان جهيل يقول لا تدعن الطالب انك لا على القدر ولا توجهدن نفسك في الطالب معتمدا عليه مستغنيا

بالقدر فانك اذا اجهدت نفسك بالطلب بوجوه التدبير المحمودة مصدقا بالقدر نلت متحاول ولم تلتو عليك الامور وان علمت بذلك
فالتوى عليك امر من مطلوبك فذلك من اعانة القدر وانك قد اتيت ذنبه اذ قد جوارحك واستكشف ظاهرك باطنك وتب الى
الله تعالى من كل ذنب اتيت به بجارحة من جوارحك واخرج من كل مظلمة ظلمت افاذا علمت ذلك قابلك الحظ وساعدك القدر ان شاء الله تعالى
وواعلم ان هذا الاصل الذي قررناه يخرج عليه ما ورد في القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الامر بالنوكل على الله والتسليم
الله والتفويض له من ذلك ان سليمان الخواص تلا يوما قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت فقال ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية
ان يلجأ الى احد غير الله قلنا نعمناه لا يلجأ الى الاسباب اعتمادا عليها ولكن يلجأ اليها (٣٥٩) وانما بان الله تعالى يفعل ما يشاء

كما امر النبي صلى الله عليه

وسلم بعقل الناقه وابس

دوعين الاتري ان من يطلب

الزرع والولد ثم يعد في

بيته لم يظأ زوجته ولا بذر

ارضه معة مدافى ذلك على

الله تعالى وانما بان ان تلد

امرأته من غير وقاع وتنبت

أرضه الزرع من غير بذر

كان عن المعقول خارجا

ولام الله تاركا وللأمة

والحكمة في القدر الفاظ

بارعة على السبر والامتحان

منها ما روى ان على بن

أبي طالب رضى الله عنه

سئل عن القدر فأعرض

عن السائل فأبى الا الجواب

فقال على اخبرني أخفاك

الله كما تشاء او كما يشاء

فامسك الرجل فقال على

للحاضر بن اترونه يقول

كما تشاء اذ اوالله أضرب

عنه فقال الرجل كما يشاء

فقال على أيحييتك كما

تشاء او كما يشاء قال كما يشاء

قال أيحييتك كما تشاء او كما

وهم من اعقاب مضر وسائر الجبل منهم في النطق بهذه القاف أسوة وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجبل بل
هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك انها لغة ضراة الاولين ولعلمها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها
وقد ادعى ذلك فقهاء اهل البيت وزعموا ان من قرأ في أم القرآن اهدنا الصراط المستقيم بغير القاف التي
لهذا الجبل فقد نحن وافسد صلاته ولم أدر من اين جاء هذا فان لغة اهل الامصار ايضا لم يستحدثوها
وانما تناقلوها من لدن سلفهم وكان اكثرهم من مضر لما نزلوا الامصار من لدن الفتح واهل الجبل ايضا
لم يستحدثوها لانهم ابعد من مخالطة الاعاجم من اهل الامصار فهاذير يج فيما يوجد من اللغة لديهم انه
من لغة سلفهم هذامع اتفاق اهل الجبل كلهم شرقا وغربا في النطق بها وانما الخاصية التي يتميز بها العربي
من الهجين والمصري ففهم ذلك والله الهادي المبين

٤٠ * (فصل في ان لغة اهل الحضرة والامصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر) *

اعلم ان عرف التخاطب في الامصار وبين الحضرة ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغة اهل الجبل بل هي لغة
أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجبل العربي الذي لعهدنا وهي عن لغة مضر ابعدا فما
انها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغاير الذي يعد عند صناعة اهل النجوم منا وهي مع
ذلك تختلف باختلاف الامصار في اصطلاحاتهم فلهذا اهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة اهل المغرب وكذا
اهل الاندلس معهم ما وكل منهم متوصل بلغته الى تادية مقصوده والابانة عما في نفسه وهذا معنى اللسان
واللغة ووفقا لان الاعراب ليس بضائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد واما انها ابعد عن اللسان الاول من
لغة هذا الجبل فلان البعد عن اللسان انما هو بمخالطة العجمة فمن خاط العجم اكثر كانت لغته عن ذلك
اللسان الاصل ابعدا لان الملكة انما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة متميزة من الملكة الاولى التي كانت
للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم فعلى مقدار ما يسمعونه من العجمة ويربون عليه يبعدون عن الملكة
الاولى واعتبر ذلك في امصار افرقية والمغرب والاندلس والمشرق اما افرقية والمغرب فخالطت العرب
فيها البرابرة من العجم بوفور عراياهم ولم يكديخلو عنهم مصر ولا جيل فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي
الذي كان له موصات لغة أخرى متميزة والعجمة فيها الغلب لما ذكرناه فهي عن اللسان الاول ابعدا وكذا
المشرق لما غلب العرب على اعمه من فارس والترك فخالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الكرة والفلاحين
والسبي الذين اتخذوهم خولا ودايات وأطهارا وراضع ففسدت لغتهم بقساد الملكة حتى انقلبت لغة أخرى
وكذا اهل الاندلس مع عجم الجلالة والافرنجة وصار اهل الامصار كلهم من هذه الاقاليم اهل لغة أخرى
مخصوصة بهم تختلف لغة مضر ويخالف ايضا بعضها بعضا كما نذكره وكانها لغة أخرى لاستحكام ملكتها

يشاء قال كما يشاء قال كما يشاء قال أفيد ذلك حيث تشاء اوحيت يشاء قال حيث يشاء قال قم فليس لك من
لامرشي وروى ان رجلا قدر يا وجوسي تماظر افعال القدرى للمجوسى مال لا تسلم فقال المجوسى لو اراد الله تعالى لاسامت فقال القدرى
لو اراد الله ان تسلم والى الشيطان يبعثك قال المجوسى فانما مع اقوامها وروى في الاسرائيليات ان نبيا من انبياء الله تعالى مرفق منصوب
واذا طائر قرىب منه فقال الطائر يا نبي الله هل رايت اقل عقلا من هذا انصب هذا الفخ لصيد في فيه وأنا انظر اليه قال فذهب عنه ثم
رجع فاذا الطائر في الفخ فقال له عجب لك اولست القائل آتفا كذا وكذا فقال يا نبي الله اذا جاء الحين لم يبق آذن ولا عين وقال رجل من
الاوراج لعلى رضى الله عنه ارايت من جنبى سبل الهدى وسبل بي سبل الردى أحسن الى ام اساء فقال له على ان كنت استوجبت عليه

حقا فقد أساء وان كنت لم تستوجب عليه شيئا فهو يفعل ما يشاء (وقال) يعقوب بن مهران لعلان القدرى سل فاقوى ما تسكرون اذا سألتم فقال لعلان أساء الله ان يعصى فقال يعقوب ان يعصى كارهافا تقطع غيلان وروى ان رجلا قال لبرز جهر تعالى ننظر في القدر فقال وما تصنع بالنظر في القدر رأيت ظاهرا استدلت به على الباطن ورأيت احق مرزوقا وعاقلنا حروما فاعلمت ان التدبير ليس الى العباد وقال بعضهم يخيب الفتى من حيث يرزق صاحبه * ويعطى المني من حيث يحرم طالبه ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك فقال له يزيد بن المهلب انت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يدى سليمان فقال موسى ان المدهد يندس (٣٦٠) الماس في الارض الفيا في ويصير القريب منه والبعيد على بعده في التخوم ثم ينصب له

في اجابهم والله يخلق ما يشاء ويقدر

٤١ * (فصل في تعليم اللسان المضرى)

اعلم ان ملكة اللسان المضرى لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة اهل الجبل كلهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن وانما هي لغة اخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه الان اللغات لما كانت ملكات كما كان تعلمها المحكشان سائر الملكات ووجه التعليم لمن يتخى هذه الملكة ويروم تحصيلها ان يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على اساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في اسجاعهم واشعارهم وكلمات المولدين ايضا في سائر فنونهم حتى ينزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمثنو ومنزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ثم يتصرف به بذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاء وحفظه من اساليبهم وترتيب الفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرة ما روى وخواوة ويحتاج مع ذلك الى سلامة الطبع والتفهيم الحسن لمنازع العرب واساليبهم في التراكييب ومراعاة التطبيق بينهما وبين مقتضيات الاحوال والذوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطبع السليم فيهما كما نذكر وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة القول المصنوع نظما ونثرا ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر وهو الناقد البصير باللغة فيها وهكذا ينبغي ان يكون تعلمها والله يهدي من يشاء به فضله وكرمه

٤٢ * (فصل في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم)

والسبب في ذلك ان صناعة العربية انما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفية لانفس كيفية فليست نفس الملكة وانما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا مثل ان يقول بصير بالخياطة غير محكم لما ذكرنا في التعبير عن بعض انواعها الخياطة هي ان يدخل الخيط في خرت الابرة ثم يغرزها في لفتي الثوب بمجتمعين ويخرجها من الجانب الاخر بمقدار كذا ثم يردّها الى حيث ابتدأت ويخرجها قدام منفذها الاول بمطرح ما بين الثقبين الاولين ثم يعادى على ذلك الى آخر العمل ويعطى صورة العمل والتثبيت والتقييم وسائر انواع الخياطة واعمالها وهو اذ اطواب ان يعمل ذلك بسد لا يحكم منه شيئا وكذا الوسل عالم بالتجارة عن تفصيل الخشب فيقول هو ان تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه واخر قبالة تلك تمسك بطرفه الاخر وتعاقبانه بينكما واطرافه المضرسية المحددة تقطع ما عرت عليه ذامبة وجائية الى ان ينتهي الى آخر الخشبة وهو لو طواب بهذا العمل أو شئ منه لم يحكمه وهكذا العلم بقوانين الاعراب مع هذه الملكة في نفسهما فان العلم بقوانين الاعراب انما هو علم بكيفية

الصبي الفخ بالدودة والحبة فلا يصبره حتى يقع فيه وفي الاسرائيليات ان المدهد كانت رائدة سليمان بن داود عليهم السلام الى الماء فتقدم معسكره ثم تنظر الارض فتقول الماء ههنا على الفقامة او اقل او اكثر فتبادر الجحش تحفره فلا يلحق سليمان الاوقد استعد الماء واعلموا ان المارب مما هو مقتضى مقدر كالمنقلب في كف الطالب وانشد بعضهم واذا خشيت من الامور مقدرا وفررت منه فتحوه تتوجه والشار طبع على ما في غير مخبر هو اى ولو خبرت كنت المهذبا اريد فلا اعطى واعطى فلم ارد وقصر عاى ان ينال المغيما واصرف عن قصدى وعلى مقصر

العمل

وامسى وما اعطيت الا التعجبا ولما وقع الطاعون بالكوفة فرابن ابي لبلى

على جماره يطلب النجاة فسمع منشد اينشد ان يسبق الله على جمار * ولا على ذى منعة طيار او يأتى الخنف على مقدار * قد يصيح الله امام السارى فذكر واجعا الى الكوفة وقال اذا كان الله امام السارى فلات حين مهرب وانشد بعضهم اقام على المسير وقد انيخت مطايا وغرد حادياها وقال اخاف عادية الالى * على نفسي وان اتى رداها ومن كذبت منيته بارض * فليس يموت في ارض سواها ولما قتل كسرى بزر جهر وجدوا في منطقته كتابا فيه اذا كان القدر حقا فاحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طبا عا فالثقة بكل أحد عجزوا اذا كان الموت بكل احد نازلا فاطمأنتة الى الدنيا حتى وقال ابن عباس وجعفر بن محمد والحسن البصرى

في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لو حامن ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن
وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الديناوتعلم اياها كيف يطمئن اليها الا الله محمد رسول الله وقال يحيى بن معاذ عجبت من ثلاث رجل يريد تناول رزقه بتدبيره
وهو يرى تناقص تدبيره ورجل شغلته هم غده وعالم مقتون يعيب على زاهد مغبوط ومن عجيب ما نزل بالاستسكة درية ان رجلا من
خدمة السلطان غاب عن خدمته اياما فقبضه الشرط وجملوه الى دار السلطان فانساب منهم في بعض الطريق وتراعى في بئر والمدينة
مسربة تحت الارض باسراب يمشي الماشي فيها فاعلمنا بخبرها وايدور هالان (٣٦١) في دورها آبارا على تلاب السروب فلا

زال الرجل يمشي الى ان لاح
له بئر مضية فطلم فيها واذا
البئر في دار السلطان فطاع
الرجل في دار السلطان
قاده السلطان فكان فيه
المثل السائر الفار من القضاء
الغالب كالمغلب في يد
الطالب وقال ابن مسعود
ان الرجل ليشرف على
الامر من الامارة والتجارة
او غير هاذ كره الله تعالى
فوق سمواته فيقول للملك
اصرف عن عبدي هذا
الامر فاني ان ايسره له ادخله
به جهنم فيظل يتعيط على
جيرانه فيقول سبقني فلان
وحسبني فلان وما صرّفه
عنه الا الله تعالى وانشدوا
قالوا تقيم وقد احأ
ط بك العدو ولا تقرب
فاجبتهم الشيخ ما
لم ينتفع بالعلم غير
لانلت خير اما بعد
مت ولا عداني الدهر شر
ان كنت اعلم ان غي
والله ينفع او يضر

العمل وليس هو نفس العمل ولذلك نجد كثير من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية الخيطين
علماء بتلك القوانين اذا شغل في كتابة سطرين الى اخيه او ذى مودته او شوكوى ظلامة او قصد من قصوده
اخفا فيها عن الصواب واكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المتصوّد على اساليب
اللسان العربي وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملائكة ويحيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن
اعراب القاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولا شيئا من قوانين صناعة العربية فمن هذا تعلم ان
تلك الملائكة هي غير صناعة العربية وانما مستغنية عنها بالجملة وقد نجد بعض المهرة في صناعة الاعراب
بصير اجمال هذه الملائكة وهو قليل واتفاق واكثر ما يقع للمخاطبين الكتاب سيبويه فانه لم يقتصر على
قوانين الاعراب فقط بل ملأ كتابه من امثال العرب وشواهد اشعارهم وعباراتهم فكان فيه جزء صالح
من تعليم هذه الملائكة فوجد العاكف عليه والمحصل له قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في
محفوظه في اما كنه ومفاصل حاجاته وتنبه له شأن الملائكة فاستوفى تعليمها فكان ابلغ في الافادة ومن
هؤلاء المخاطبين الكتاب سيبويه من يغفل عن التفتن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه
ملائكة واما المخاطبون لكتب المتأخرين العاربة عن ذلك الامن القوانين النحوية مجردة عن اشعار العرب
وكلامهم فقلما يشعرون لذلك بامر هذه الملائكة او ينبهون لاشانها فتجدهم يحسبون انهم قد حصلوا على
رتبة في لسان العرب وهم ابعد الناس عنه واهل صناعة العربية بالاندلس ومعلوم اقرب الى تحصيل
هذه الملائكة وتعليمهم سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وامثالهم والتفقه في الكثير من التراكم في
مجالس تعليمهم فسبق الى المبتدئ كثير من الملائكة اثناء التعليم فتقطع النفس لها واستعد الى تحصيلها
وقبولها واما من سواهم من اهل المغرب واقربى قبيلة وغيرهم فاجر واصناعة العربية مجردة عن العلوم بحسبها
وقطعوا النظر عن التفقه في تراكم كلام العرب الا ان اعرابا وشاهدا او رجوا مذمبا من جهة الاقتضاء
الذهني لامن جهة محامل اللسان وتراكم كنهه فاصبحت صناعة العربية كأنها من جهة قوانين المنطق
العقلية او المجدول وبعثت عن مناحي اللسان وملائكته وما ذلك الا عدولهم عن البحث في شواهد اللسان
وتراكم كنههم وتراكم اساليبه وغفلتهم عن المران في ذلك للتعلم فهو احسن ما تفهمه الملائكة في اللسان وتلك
القوانين انما هي وسائل للتعليم لكانهم ابحروها على غير ما قصد بها واصاروها علما بحتا وبعدها عن ثمرتها
وتعلم مما قرئناه في هذا الباب ان حصول ملكة اللسان العربي انما هو بلمرة الحفظ من كلام العرب حتى
يرتسم في خياله المنوال الذي تسجوا عليه تراكم كنههم فيمنهج هو عليه وينزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخاطا
عبادتهم في كلامهم حتى حصلت له الملائكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم والله مقدر

(٤٦ - ابن خلدون) استأذن العقل على المجد فقال اذهب لاحاجة لي بك فقال العقل ولم فقال انك تحتاج الى ولا
احتاج اليك (واوصي) حكيم ابنه فقال يا بني رزقك الله جدا يتجمل به ذوو العقول ولا رزقك عقلا يتخدم به ذوو الجود وكان يقال
افراط العقل مضر بالجود وروى ان رجلا خيرا في امر فاني ان يختار وقال أنا بجدى اوثق مني بعقلي فافرغوا في الامثال اسع بجد لا بدك
اسع بجد او دع جددك لا كذلك الجدد الجدد اغنى من الكدد واعلم ان زمام الامور التوفيق ولم ينزل من السماء الى الارض اقل من
التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقد كنت جعيت فيه كتابا من جملة كتابي في الاسرار هل
التوفيق مكتسب او موهبة بلا سبب فلا تزد عليه ومن لطيف ما وقعت عليه في مجاري القضاء والقدر ان الهارب من المقدر

كالمنفلة في يد الطالب فانزل في مدينة الاسكندرية في قضية الرجل الذي تقدم ذكره * (الباب الثالث والسبعون وهو جامع من اخبار ملوك العجم وحكاياتهم وهو يشتمل على خمسة فصول) * (الاول) يشتمل على اخبار رفعت اليها بعد الفراغ من الكتاب فالحقناها (والثاني) يشتمل على حكم الحكيم الفرس خاصة (والثالث) يشتمل على حكم حكيم الهند خاصة (والرابع) يشتمل على حكم حكيم العرب خاصة (والخامس) يشتمل على حكم مجموعة من متجنبة رسة ذلك لتتظرف في عقول القوم واغراضهم ومنتهى مرامهم من كتاب خاوي دان خرد الفارسي قال ثلاثة لا يصلح فسادهم بشئ من الخيل العداوة بين الاقارب وتحاسد الاكفاء والركاكة في القول وثلاثة لا يستفسد صلاحهن بنوع (٣٦٢) من الذكر والخيل العداوة في العلماء والقنوع في المستبصرين والسخاء في ذوي الاخطار

الامور كلها والله أعلم بالغيب

٤٣ * (فصل في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه وبيان انه لا يحصل غالب الاستعراب من العجم) *

اعلم ان لفظة الذوق يتداولها المعتنون بقنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان وقد مر تفسير البلاغة وانها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للترا كيب في افادة ذلك فالتام كلام بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على اساليب العرب وانحاء مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده فاذا اتصت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه امر التركيب حتى لا يكاد يتخوف فيه غير منحنى البلاغة التي للعرب وان سمع تركيها غير جاد على ذلك المنحنى محه ونبتاعه سمعه بأدنى فكر بل وبغير فكر الا بما استفاد من حصول هذه الملكة فان الملكات اذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات ان الصواب للعرب في لغتهم اعرابا وبلاغة امر طبيعي ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها ساجبة له وطبيع وهه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص ترا كيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبط اهل صناعة اللسان فان هذه القوانين انما تفيد دعما ليدلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محالها وقد مر ذلك واذا تقرر ذلك فلا بد من البلاغة في اللسان تهدي البليغ الى وجود النظم وحسن التركيب الموافق لترا كيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولورام صاحب هذه الملكة حيداعن هذه السبيل المعينة والترا كيب الخصوصية لما قدر عليه ولا واقفه عليه لسانه لانه لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكته الراسخة عنده واذا عرض عليه الكلام حائدا عن اسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم اعرض عنه ومجهوع لم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم ورعا يعجز عن الاحتجاج لذلك كما تصنع اهل القوانين النحوية والبيانية فان ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفاد بالاستقراء وهذا امر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم ومثاله لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشأ ورعى في جيلهم فانه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الاعراب والبلاغة فيها حتى يستولى على غايتها وليس من العلم القانوني في شئ وانما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجميل بحفظ كلامهم واسعادهم وخطبهم والمداومة على ذلك بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشأ في

وثلاث لا يشبع منهن -
الحياة والعافية والمال
وقال ابن لقمان لا يبع
يا ابت ما الداء العياء قال
دعونه ولوده قال فما
الجرح الدوى قال المرأة
السوء قال فما المحل الثقيل
قال الغضب ولما قرأ هذه
الحكاية أبو عباد الكاتب
وكان ظريفا في اخباره
قال والله الغضب أخف
على من ريشة وكان اسرع
الناس غضبا فقبل له
انما غنى لقمان ان احتمال
الغضب ثقیل فقال لا
والله لا يقوى على احتمال
الغضب الا الجمل وغضب
يوماعلى بعض اصحابه فرماه
بدواة فشبهه فعمل الدم
يسيل فقال ابو عباد صدق
الله العظميم حيث قال
والذين اذا ما غضبوا هم
يعفرون فاستدعاه المأمون
وقال ويحك لا تحسن أن
تقرأ آية من كتاب الله تعالى
قال بلى والله يا امير المؤمنين

جيلهم

اني لا قرأ من سورة واحدة الف آية ففحك المأمون وامر باخراجه وقيل لا نؤشر وان ما العقل

قال القصد في كل الامور قيل في المروءة قال ترك الريبة قيل في السخاء قال ان تنصف من نفسك قيل في الحق قال الاغراق في الذم والمجد وقيل لبعض الحكماء ما الحزم سوء الظن وقال بعضهم في قوله الحزم سوء الظن قال انما اراد سوء الظن بنفسه لا بغيره قيل في الصواب قال المشورة قيل في الذي يجمع القلوب على المودة قال كف بذول وشر جميل قيل في الاحتياط قال الاقتصاد في الحب والبغض وقال معاوية لزياد حين ولاه العراق يا زياد ليكن حبك وبغضك قصدا فان الغيرة كائنة واجبة للرجوع والنزوع بغيره من قلبك واحذر صولة الانهمالك فانها تؤدي الى المهالك وهو مثل قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه احبب جبينك وناما عسى أن يكون يغيبك

يوما ما وبغض يغضك هو ناما عسى ان يكون حبيبك يوما ما ومن ذلك قول الاول وأحب حبيبك جبار ويدا فليس يع- والى ان تضمر ما
وقال آخر ولا تأسن الدهر من حب كاشم * ولا تأمن الدهر صرم حبيب وسئل بزرجمهر عن العقل فقال ترك ما لا يعنى قيل
فما الخرم قال انتهز الفرصة قيل فما الخلم قال العفو عند المقدرة قيل فما الشدة قال ملك الغضب قيل فما الخرق قال حب مغروق وبغض
مفرط وقيل لبعض الملوك وبلغ في المنزلة والقدر ما لم يبلغه أحد من ملوك زمانه ما الذى بلغ بك هذه المنزلة قال عفوى عند قدرتى ولبنى
بعد شدتى وبذلى الانصاف ولوى لنفسى وبقائى فى الحب والبغض مكانا لموضع الاستبدال وقال الاسكندر لبعض الحكماء وأراد سقرا
أرشدنى لأخزم أمرى قال لا تملك كن قلبك محبة الشئ ولا يستولى عليك بغضه (٣٦٣) واجعلها مقصدا فان القلب كاسمه

يتقلب وله خاصية في
القلب تنزع وترجع
واجعل وزرك الثابت
وسميرك النيقظ ولا تقدم
الابعد المشورة فانها نعم
الدليل واذا فاعت ذلك
ملك قلب وعيتك ملك
استعباد قال الشاعر
وما سعى الانسان الا لانس
ولا القلب الا انه يتقلب
وقيل لبعض الحكماء
الدليل الناصح قال غريزة
العقل مع الطبع قيل فما
القائد المشفق قال حسن
المنطق قيل فما العناية
المعي قال تطبيعك من
لا طبع له وقال الفضل بن
مروان سألت رسول ملك
الروم عن سيرة ملكهم قال
بذل عرفه وجرده سيقه
فاجتمعت عليه القلوب
رغبة ورهبة لا ينقص جنده
ولا يخرج رعيته سهل
النوال خزن النكاح الرجاء
والخوف معقودان في يده
قلت فكيف حكمه قال

حيلهم وورى بين احياء لهم والقوانين بعزل من هذا واسم تعير هذه الملكة عند ما ترسخ وتسقرا اسم الذوق
الذى اصطلح عليه اهل صناعة البيان وانما هو موضوع لادراك الطعوم لكن لما كان محل هذه
الملكة فى اللسان من حيث النطق باللام كما هو محل لادراك الطعوم اسم تعير لها سمى وايضا فهو
وجدادى اللسان كما ان الطعوم محسوسة له ففقد له ذوق واذا تبين لك ذلك علمت منه ان الاعاجم
الداخلى فى اللسان العربى الطارئ عليه المضطرب الى النطق به لخاططة اهل كالفرس والروم والترک
بالمشرق وكالبربر بالمغرب فانه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظه فى هذه الملكة التى قررنا امرها لان
قصاراهم بعد طائفة من العمر وسبق ملكة اخرى الى اللسان وهى لغتهم ان يعنوا بما يتداوله اهل
مصر بينهم فى المحاوراة من مفرور مركب ما يضرطون اليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لاهل
الامصار وبعدها عنها كما تقدم وانما لهم فى ذلك ملكة اخرى وليست هى ملكة اللسان المطبوعة ومن
عرف تلك الملكة من القوانين المسطرة فى الكتب فليس من تحصل الملكة فى شئ انما حصل احكامها
كما عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتناء والتكرار للكلام العربى فان عرض لك ما سمعته
من ان سيمويه والغارسي والزنخشيروا من فرسان الكلام كانوا اعجابا مع حصول هذه الملكة
لهم فاعلم ان اولئك القوم الذين تسمع عنهم انما كانوا اعجابا فى نسبهم فقط واما المرمى والنشأة فكانت بين
اهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراءها وكانهم فى اول
نشأتهم من العرب الذين نشؤوا فى احياءهم حتى ادركوا كنه اللغة وصاروا من اهلها ففهموا وانما كانوا اعجابا
فى النسب فليسوا باعجاب فى اللغة والكلام لانهم ادركوا الملة فى عنقوانها واللغة فى شباها ولم تذهب
آثار الملكة ولا من اهل الامصار ثم عكفوا على الممارسة والمداولة لكلام العرب حتى استولوا على غايته
واليوم الواحد من العجم اذا خاطب اهل اللسان العربى بالامصار فاول ما يجد تلك الملكة المقصودة من
اللسان العربى مخفية الا نادر ويجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة اخرى مخالفة لملك اللسان العربى
ثم اذا فرضنا انه اقبل على الممارسة لكلام العرب وأشعارهم بالمداولة والمخاطبة يستفيد فحصلها فقل ان
يحصل له ما قدمناه من ان الملكة اذا سبقتهم ملكة اخرى فى المحل فلا تحصل الا ناقصة مخدوشة وان
فرضنا عجميا فى النسب سلم من مخالطة اللسان العجمى بالكلمة وذهب الى تعلم هذه الملكة بالمداولة
فربما يحصل له ذلك لكنه من النذور بحيث لا يخفى عليك بما تقررون بما يدعى كثير من ينظر فى هذه
القوانين البيانية حصول هذا الذوق له بها وهو غلط او مغالطة وانما حصلت له الملكة ان حصلت فى تلك
القوانين البيانية وليست من ملكة العبارة فى شئ والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

يرد الظلم ويردع الظالم ويعطى كل ذى حق حقه فالرعية اثنان راض ومغتبط قلت فكيف هيبتهم له قال يتصور فى القلوب فنفغضى
له العيون قال فنظر رسول ملك الحبشة الى اصغائى اليه واقبال عيني عليه وكانت الرسل تنزل عندى فقال لترجمانه الذى يقول الرومى
قال يصف له ملكهم ويذكر سيرته فكلم الترجمان بشئ فقال لى الترجمان يقول ان ملكهم ذواناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو
سطوة عند المغالبة وذو عقوبة عند الاجرام قد كسار عيته جميع نعمته وقصرهم تعنيف عقوبته فهم يترآونه ترائى الملل حبالا
ويخافونه مخافة الموت نكالا وقد وسعهم عدله وردعهم سطوته علة فلا تمنهه فرجة ولا تؤيسه غفلة اذا عطى اوسع واذا عاقب اوجع
فالناس اثنان راج وخائف فلا راى خائب الا مل ولا الخائف بعيد الاجل قلت فكيف وهبهم له قال لا ترفع اليه العيون اجفانها ولا

تبعه الابصار انسانها كان رعيته تطافرت عليهم اقصوروا واندقال فحدث المأمون بهذين الحديثين فقال لي كم قيمتهم ما عندك قلت الف درهم قال يا فضل ان قيمتهما اكثر من الخلافة اما علمت حديث امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قيمة كل امرئ ما يحسن أفترى احدامن الخطباء البلقاء يحسن أن يصف احدامن خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة قلت لا قال فقد امرت له ما بعشرين الف دينار معجلة لهما واجعل العدة مادية بيني وبينهم ما على العود فقلوا لا حقوق الاسلام واهله رايت اعطاءهم ما في بيت المال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه وقال الفضل بن سهل كان غدي رسول ملك الروم وكان يحديثني عن أخت للملك يقال لها خاتون قال اصابتنا سنة احترم شواظها علمنا (٣٦٤) بحراة المصائب وصنوف الآفات فنزع الناس الى الملك فلم يدروا يحجبهم به فقالت

٤٤ * (فصل في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعد عن اللسان العربي كان حصولها له اصعب واعسر) *

والسبب في ذلك ما يسبق الى المتعلم من حصول ملكة منافية للملكة المطلوبة بما سبق اليه من اللسان المضري الذي افادته العجمة حتى نزل بها اللسان عن ملكته الاولى الى ملكة اخرى هي لغة المحضر لهذا العهد ولهذا نجد المعلمين يذهبون الى المسابقة بتعليم اللسان للولدان وتعتقد النخاة أن هذه المسابقة بصنعاتهم وليس كذلك وانما هي بتعليم هذه الملكة بمخاطبة اللسان وكلام العرب نعم صناعته النخوة اقرب الى مخاطبة ذلك وما كان من لغات اهل الامصار عرق في العجمة وابعدهن لسان مضر قصير صاحبه عن تعلم اللغة المضرية وحصول ملكته التامة كن المناقاة حينئذ واعتبر ذلك في اهل الامصار فاهل افر بقيمة والمغرب لما كانوا عرق في العجمة وابعدهن اللسان الاول كان لهم قصور وتام في تحصيل ملكته بالتعليم ولقد نقل ابن الرقي ان بعض كتاب القير وان كتب الى صاحب له يا اخي ومن لا عذمت ففقد اعلمني ابو سعيد كلاما انك كنت ذكرت انك تكون مع الذين تأتي وعاقنا اليوم فلم يتبأ لنا الخروج واما اهل المنزل الكلاب من امر الشين فقد كذبوا هذا باطلا ليس من هذا حرفا واحدا وكفى اليك وانا مشتاق اليك ان شاء الله وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المضري شبيهة ما ذكرنا وكذلك اشعارهم كانت بعيبة عن الملكة نازلة عن الطبقة ولم تنزل كذلك لهذا العهد ولهذا ما كان بافر بقيمة من مشاهير الشعراء الا ابن رشيق وابن شرف واكثر ما يكون فيها الشبهاء طارئين عليها ولم تنزل طبقتهم في اللغة حتى الا ن ماثلة الى القصور واهل الاندلس اقرب منهم الى تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم وامتناعهم من المحفوظات اللغوية نظما ونثرا وكان فيهم ابن حيان المؤرخ امام اهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لهم فيها وابن عبدربه والقسطلي واما لهم من شعراء ملوك الطوائف ما نزلت فيها بحار اللسان والادب وتداول ذلك فيهم مشين من السنين حتى كان الانقضاء والجلاء ايام تغلب النصرانية وشغلوا عن تعلم ذلك وتناقص العمران فتناقص ذلك شأن الصنائع كلها فقصرت الملكة فيهم عن شأنها حتى بلغت المحضض وكان من آخرهم صالح بن شريف ومالك بن المرحل من تليها الطبقة الاشبيلية بسبب بطة وكتاب دولة ابن الاخر في أولها وألقت الاندلس أفلاذ كبدها من اهل تلك الملكة بالجملة الى الدعوة لدعوة الاشبيلية الى بسطة ومن شرق الاندلس الى افر بقيمة ولم يلبثوا الى أن انقرضوا وانقطع سبب تعليمهم في هذه الصناعة لعسر قبول العدو لها وصعوبتها عليهم بعوج ألسنتهم ورسوخهم في العجمة البربرية وهي منافية لما قلناه ثم عادت الملكة من بعد ذلك الى الاندلس كما كانت ونجدها ابن بشر بن وابن جابر وابن الجباب وطبقتهم ثم ابراهيم

له خاتون ايها الملك ان الحزم علق لا يخلق جديد ولا يمتن عزيزه وهو دليل الملك على استصلاح رعيته وزاجله عن استفسادها وقد فرغت رعيته من الملك افضل العجز عن الاتجاء الى من لا تريده الاساءة الى خلقه عزاولا ينقصه العود بالاحسان اليهم ملكا كما هو احدى اولى بحفظ الوصية من الموصى ولا يركوب الدلالة من الدال ولا يحسن الرعاية من الراعي ولم تنزل في نعمه لم تغيرها نعمة وفي رضالم يذكره مسخط الى ان جرى القدر بما عصى منه البصر وذهل عنه الحذر فسلب الموهوب والسالب هو الواهب فعذابه بشكر النعم وعذبه من قطع النعم حتى تنسه نفسك ولا تجعل الحياء من التذلل للعزيز المذل شر كابنك وبين رعيته فسحق مذموم

العاقبة والكن مرهم ونفسك بصرف القلوب الى الاقرار لله بكنهه القدرة وتذلل الاسن في الدعاء بمحض الشكر فان الملك ربما عاقب عبده ليرجعه عن شيء فعل الى صالح عمل وليعنه على دؤب شكر يحوز به فضل أجرفا مرها الملك ان تقوم فيهم فتذهرهم بهذا الكلام ففعلت فرجع القوم عن بابه وقدم على الله تعالى منهم الوعظ في الامر والنهي فقال عليهم المحول وما يهتفهم مقتدة فمة كان سلبها وتواترت عليهم الزيادات بجميل الصنيع فاعترف الملك بالفضل فقلدها الملك بعده وجعل الرعية على الطاعة له في المحبوب والمكر وهما فعل الله باعدائه وضرائر نعمته لما شكره أعاد لهم من نعمه ما كان قد استرجعهم وزادهم من فضله ما تمنوه فكيف بمن يوحدهونه ويؤمنون به لو صدقت نياتنا وصحت ضمائرنا وقال الواقدي توفي رسول بعض الملوك بدمشق في خلافة هشام فوجدني

الساحلي

جيبه لوح من ذهب مكتوب فيه اذا ذهب الوفاء نزل البلاء واذا مات الاعتصام عاش الانتقام واذا ظهرت الخيانات امتحنت البركات وقال
الوضاحي وجه النوشروان رسول الله الى ملك قد اجتمع على محاربه امره ان يتعرف سيرته في نفسه ورعيته فرجع اليه فقال وجدت عنده الهزل
اقوى من الحمد والكذب اكثر من الصدق والجور ارفع من العدل فقال انوشروان رزقت الظفر به سراليه وليكن عملك في محاربه بيهما هو
عنده اضعف واقل واوضح فانك منصور وهو مخدول فسار اليه فقتله واستولى على مملكته وقال نزل جهر المزعج آفة الحمد والكذب عدو
الصدق والجور مفسد الملك فاذا استعمل الملك الهزل ذهب هيئته واذا استعجب الكذب استخف به واذا بسط الجور فسد سلطانه وكان
نقش خاتم رستم وهو احد ملوك الفرس الهزل مبعضة والكذب منقصة والجور مفسدة وقتل بعض اصحاب اسفند يارو رجل من الترك فاصيب
في عنقه لوح ذهب مكتوب فيه آفة الشدة التهييب وآفة المنطق الحياء وآفة كل شيء الكذب (٣٦٥) وقيل لبعض الحكماء ما قيمة الصدق

قال الخلد في الدنيا قيل فما
قيمة الكذب قال موت
عاجل قيل فما قيمة العدل
قال ملك الاندلس قيل فما
قيمة الجور قال ذل الحياة
قال وسأل ملك الهند
الاسكندر وقد دخل بلاده
ما علامة الملك ودولته قال
له الخلد في كل الامور قال
فما علامة زواله قال
الهزل فيه قال فاسرور
الدنيا قال الرضا عار زقت
قال فما غمها قال المحرص
على ما الملك لا تناله وقال
نزر جهر ثلاث هن سرور
الدنيا وثلاث هن غمها فاما
السرور فالرضا بالقسم
والرضا بالطاعة في النعم ونفي
الاهتمام بالرزق لغد واما
الغم فحرص مسرف وسؤال
مخجف وتغنى ما يلهو ومر
بعض الملوك بعلام يسوق
جارا غير منيعت وقد
عنف عليه في السوق فقال
يا غلام ارفق به فقال
الغلام يا ايها الملك في الرفق
به مضرة عليه قال وما

الساحل الطريحي وطبقته وقفاهم ابن الخطيب من بعدهم الها ملك لهذا العهد سهه داسعاية أعدائه
وكان له في اللسان ملكة لا تدرك واتبع اثره تلمية ذهبه وبالجملة ففسأن هذه الملكة بالاندلس أكثر
وتعلمها أيسر وأسهل بما هم عليه لهذا العهد كما قدمناه من معاناة علوم اللسان ومخاطبتهم عليها وعلى
علوم الآداب وسند تعليمها ولان أهل اللسان العجمي الذين تقسمهم انهم انما هم طارئون عليهم وليست
عجمتهم أصلا للغة أهل الاندلس والبربر في هذه العدو وهم اهلها ولسانهم لسانها الا في الامصار فقط وهم
فيها منغمسون في بحر عجمتهم وروايتهم البربرية فيصعب عليهم تحصيل الملكة اللسانية بالتعليم
مخلاف أهل الاندلس واعتبر ذلك بحال أهل المشرق لعهد الدولة الاموية والعباسية فكان شأنهم شأن
أهل الاندلس في تمام هذه الملكة واجادتها لبعدهم لذلك العهد عن الاعاجم ومخاطبتهم الا في القليل
فكان أمرهم هذه الملكة في ذلك العهد ما أقوم وكان فحول الشراء والكتاب او فرتوفر العرب وأبنائهم
بالمشرق وانظر ما اشتمل عليه كتاب الاغانى من نظمهم ونثرهم فان ذلك الكتاب هو كتاب العرب وديوانهم
وفيه لغتهم وأخبارهم وأيامهم وملتهم العربية وسيرتهم وآثار خلفائهم وملوكهم وأشعارهم وغنائهم
وسائر مغانيهم له فلا كتاب او عجب منه لاحوال العرب وبقي أمر هذه الملكة مستحسنا كما في المشرق في الدولتين
وربما كانت فيهم أبلغ ممن سواهم ممن كان في الجاهلية كما نذكره بعد حتى تلاشي أمر العرب ودرست لغتهم
وفسد كلامهم وانقضى أمرهم ودولتهم وصار الامر للاعاجم والملك في أيديهم والتغلب لهم وذلك في دولة
الديلم والسلاجقة وخلاطو أهل الامصار والحواضر حتى بعدوا عن اللسان العربي ومملكته وصارتم تعلمها
منهم مقتصرا عن تخصص يلهوا وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد في المنظوم والمشور وان كانوا أكثر من منه
والله يخلق ما يشاء ويختار والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لأرب سواه

٤٥ * (فصل في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر) *

اعلم ان لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون
اوزانه كلها على روى واحد وهو القافية وفي النثر وهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل
على فنون ومذاهب في الكلام فاما الشعر فله الملاح والمجاهور والرائع واما النثر فله السجع الذي يؤتى به
قطعا ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا ومنه المرسل وهو الذي يوافق فيه الكلام اطلاقا
ولا يقطع اجزاء بل يرسل ارسلان من غير تعقيد بقافية ولا غيرها ويسمى سجعيا في الخطب والدعاء وترغيب
الجمهور وترهيبهم واما القرآن وان كان من المنشور لانه خارج عن الوصفين وليس يسمى مراسلا مطلقا ولا
مسجعا بل تفصيل آيات ينتهي الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية

مضرتة قال تطول طريقه ويشد جوعه وفي العنف احسان اليه قال وما الاحسان اليه قال يخف جملة ويطول اكله فاعجب الملك بكلامه
وقال له قد أمرت لك باف درهم قال رزق مقدور وواهب مأجور قال وقد أمرت باثبات اسمك في حشمتي قال كفت مؤنة ورزقت بها
معونة قال لولا انك حديث السن لاستوزرتك قال ان يعدم الفضل من رزق العقل قال فهل تصلح لذلك قال انما يكون الحمد والثناء بعد
التعزية ولا يعرف الانسان نفسه حتى يلوها قال فاستوزره فوجده ذارأي صليب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق قال وكتب
الاسكندر الى ارسطاطاليس وقد نفذ في الشرق والغرب وبلغ منهم ما لم يبلغه احد دقبله كتب الى لفظا موزنا ينفذ ويردع فيكتب
اليه اذا استولت بك السلامة فقد ذكر العطب واذا هنتك العافية فخذت نفسك بالبالاعوا اذا اطمان بك الامن فاستشعر الخوف واذا

بلغت نهاية الامر فاذا كرم الموت فان احببت نفسك فلا تجعل لها في الاساءة اليها نصيبا قال ووعظ بعض الحكماء بكافة قال له ايها الملك ان الدنيا دار عمل والاخرة دار ثواب ومن لا يقدم لا يجد فنه نفسك حلاوة عيشها بترك الاساءة اليها او اعلم ان زمان العافية بعد البلاء ومن السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكون في حال من هذه الثلاثة غير متوقع لاضدادها ولا تجعل نفسك عرضا لسهام الملائكة فان الدهر عدو ابن آدم فاحترز من عدوك بغاية الاستعداد واذ اذكرت في نفسك وعدوها استغثت عن الوعظ (قال) وكتب الاسكندر على باب الاسكندرية اجل قريب في يد غيرك وسوق حثيث من الليل والنهار واذ انتهت المدة حمل بيمنك وبين العدة فاحتمل قبل المنع (٣٦٦) واكرم اجدك بحسن صحبة السائقين واذا آمنتك السلامة فاستوحش بالعطب فانه الغاية

والاخرى بعد ما وبتى من غير التزام حرف يكون سبعا ولا قافية وهو معنى قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها ما شفى تقشعر منه جلود الذين يحشون بهم وقال قد فصلنا الآيات ويسمى آخر الآيات منها فواصل اذ ليست اسجعا ولا الاتزم فيها ما يلزم في السجع ولا هي ايضا قواف واطلق اسم المتشافي على آيات القرآن كله على العموم لما ذكرناه واختصت بام القرآن للعناية فيها كالنجم للثريا ولهذا سميت السبع المثاني وانظر هذا مع مقاله المفسرون في تحليل سميتها بالمتشافي يشهد ذلك الحق برحان ما قلناه واعلم ان لكل واحد من هذه القنون اساليب تختص به عند اهلها لا تصح للفن الاخر ولا تسمى بعمل فيه مثل النسب المختص بالشعر والمجد والدعاء المختص بالطب والدعاء المختص بالمخاطبات وامثال ذلك وقد استعملت المتأخرون اساليب الشعر وموازينه في المنشور من كثرة الاسجاع والتزام النقيضة وتقدم النسب بين يدي الاغراض وصار هذا المنشور اذا تأملت من باب الشعر وفنه ولم يفتقر الى الوزن واستمر المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات السلطانية وقصر والاستعمال في المنشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وخطوا الاساليب فيه وهجر والمرسل وتناسوه وخصوصا اهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الاسلوب الذي اشرنا اليه وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من احوال الخطاب والمخاطب وهذا الفن المنشور المقتضى ادخل المتأخرون فيه اساليب الشعر فوجب ان تنزه المخاطبات السلطانية عنه اذ اساليب الشعر تنافيها لاودعية وخطا الحمد بالمثل والاطناب في الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو ضرورة الى ذلك في الخطاب والتزام النقيضة ايضا من لاودعية والترزين وجمال الملك والاساطين وخطاب الجهور وعن الملوك بالترغيب والترهيب ينافي ذلك بما ينه والحمد وفي المخاطبات السلطانية الترسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجييع الا في الاقل النادر وحيث ترسله الملائكة ارسلها من غير تكاف له ثم اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فان المقامات مختلفة ولكل مقام أسلوب يخصه من اطناب او ايجاز وحذف او اثبات او تصريح او اشارة وكتابة واستعارة واما اجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على اساليب الشعر فذموم وما حمل عليه اهل العصر الاستيلاء للجمعة على السنتهم وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فمحذور وعن الكلام المرسل لمعدامه في البلاغة وانقصاص خطوبه وولعوا بهذا المسجع يلقون به مانقصة هم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويجبرونه بذلك القدر من الترزين بالاسجاع والالقاء البديعة ويغفلون عما سوى ذلك واكثر من اخذ بهذا الفن وبالغ فيه في سائر الخاء

واذا فرحت للعافية فاحزن للبلاء فاليه تكون الرجعة واذا بسطك الامر فاقبض نفسك عنه بذكر الاجل فهو الموعد واليه المورود (وقال) ابن الاعرابي حدثني من رأى بين اصبهان وفارس حجرا مكتوبا عليه العافية مقرونة بالبلاء والسلامة مقرونة بالعطب والامن مقرون بالخوف وما ضرب أنوشروان عنق بزرجمهر لما رغب عن دين الجوسية وانتقل الى دين المسيح عليه السلام وجد في منطقته كتابا فيه ثلاث كلمات اذا كان القدر حقا فاحرص باطل واذا كان الغد رقي الناس طبا عافا فائقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فاطمأئنة الى الدين الحق ولما تاب الله تعالى على النبي سليمان عليه السلام ورد عليه ملكه كتب على كرسيه اذا صحت العافية

نزل البلاء واذا تمت السلامة تخم العطب واذا تم الامن علن الخوف (وحقر) كلامهم حقير بقارس فوجد فيه لوح رخام فيه أربعة أسطر محفورة أولها أيها المعافي اشر بالبلاء والثاني أيها السالم توقع العطب والثالث أيها الا من خذ أهبة الخوف والرابع أيها الموسر ان بعد عنك العمر ولما نزل أبو مسلم مدينة سمرقند أتاه اسبند نها فقال أيها الملك ان بالقد هارجر امدفونافيه ثلاثة أسطر وجدت في الكتاب ان سليمان بن داود عليهما السلام بعث به ودفن في هذا الموضع ووجد انك أنت الذي تستخرجوه وتعمل بما فيه فأمر به فأخرج فاذا أول سطر منه الحزم انتهى القرصة وترك الوفاق يخاف عليه القوت والسطر الثاني الرياسة لا تتم الا بحسن السياسة والسطر الثالث لم يقتل الا بامن ترك الا بامن لم يصب من لم يحب في كان أبو مسلم يقول علم جليل به

تم هذه الدولة ان لم ينزل القدر بما يحول بيننا وبين المحذور فلم ينزل يستعمل هذا الكلام الى ان قدم العراق فاعجبه القدر عن الاستعانة
 المحذورة له ابو جعفر المصور ولما حج ابو مسلم قيل له ان بالحيرة نصرانيا قد أتت عليه مائتا سنة وعنده علم من العلم الاول فوجه اليه تأتي به فلما
 نظر الشيخ الى أبي مسلم قال قدمت بالكفاية ولم تأل في العناية وقد بلغت النهاية أحرقت نفسك لمن سيستحسبك وكان قد عانت
 ومسلك فيكي ابو مسلم فقال لا تبك فانك لم تتوث من خرم وثيق ولا من رأى رتيق ولا تدبير نافع ولا من سيف قاطع ولا كن ما يستجمع احد
 لأمه الا أسرع في تقريب اجله قال فحقى تراه يكون قال اذا تواطأ الخليفة فان على امركان والتقدير في يدي من يبطل معه التدبير وان
 رجعت الى خراسان سلمت وهيئات فاراد الرجوع فكتب اليه السلطان بالمضى ووجهه (٣٦٧) اليه من يحثه فلو لان البصر يعمرى
 اذ انزل القدر لكانت هذه

لآلة تقع موقع العيان
 وتبعث على التيقظ في
 المحذور والاحتياط في الحرب
 على ان لكل نفس غاية
 ولكل امر نهاية (وقيل)
 لمجاليوس وهو حكمة
 الطب وفلسوفه وقد نهكت
 العلة الاتعاج فقال اذا
 كان الداء من السماء بطل
 الدواء واذا قدر الرب بطل
 حذر المربوب ونعم الدواء
 الاجل وبش الداء الامل
 وقال بعض الغزاة فتحنا حصنا
 من بلاد الروم فرأينا فيه
 صورة الاسد من حجر
 مكتوب عليه المحلة خير
 من الشدة والتأني أفضل
 من العجلة والجهل في
 الحرب أخزم من العقل
 والتفكير في العاقبة مادة
 الجزع (وقال) أحمد بن
 سهل وجه ملك الروم الى
 هرون الرشيد بثلاثة أسداف
 مع هدايا كثيرة وعلى سيف
 منها مكتوب ايها المقاتل

كلامهم كتاب المشرق وشعر اوه هذا العهد حتى انهم لم يخلوا بالاعراب في الكلمات والنصريف اذا
 دخلت لهم في تجنيس أو مطابقة لا يجتمعان معاً فيرجحون ذلك الضنف من التجنيس ويدعون الاعراب
 ويقسمون بنية الكلمة عساها تصادف التجنيس فتأمل ذلك بما قدمناه لك تنق على صحة ما ذكرناه
 والله الموفق للصواب بحمده وكرمه والله تعالى أعلم

٤٦ * (فصل في انه لا تنفق الاجادة في فني المنظوم والمنشور مع الا لالقل) *

والسبب في ذلك انه كجائنه ملكة في اللسان فاذا تسبقت الى محله ملكة اخرى قصرت بالحل عن تمام
 الملكة اللاحقة لان تمام الملكات وحصولها للطبايع التي على الفطرة الاولى اسهل وأيسر واذا تقدمتها
 ملكة اخرى كانت منازعة لها في المادة القابلة وعاقبة عن سرعة القبول فوَقعت المناقاة وتعدرا تمام
 في الملكة وهذا موجود في الملكات الصناعة كلها على الاطلاق وقد برهننا عليه في موضعه بنحوم هذا
 البرهان فاعتبر مثله في اللغات فانها ملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة وانظر من تقدم له شيء من العجمة
 كيف يكون قاصراً في اللسان العربي أبداً فالاعجمي الذي سبق له اللغة الفارسية لا يستولي على ملكة
 اللسان العربي ولا يزال قاصراً فيه ولو تعلمه وعلمه وكذا البربري والرومي والافرنجي قل ان تجد احدا منهم
 محكماً لملكته اللسان العربي وما ذلك الا لما سبق الى السنتهم من ملكة اللسان الاخرى حتى ان طالب العلم
 من أهل هذه اللسان اذا طلبه بين أهل اللسان العربي جامعاً قصر في معارفه عن الغاية والتحصيل وما أتى
 الا من قبل اللسان وقد تقدم لك من قبل ان الاسن واللغات شبيهة بالصنائع وقد تقدم لك أن الصنائع
 وملكاتها لا تزدهم وان من سبق له اجادة في صناعة فقل ان يجيد اخرى أو يستولي فيها على الغاية والله
 خلقكم وما تعلمون

٤٧ * (فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه) *

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات الا اننا لا نكتسب
 في الشعر الذي للعرب فان أمكن ان تجد فيه أهل اللسان الاخرى مقصودهم من كلامهم والافكل لسان
 احكام في البلاغة تخصه وهو في لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحى اذ هو كلام مفصل قطعاً قطعاً
 متساوية في الوزن متحدة في الحرف الاخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً
 ويسمى الحرف الاخير الذي تتفق فيه روي او قافية ويسمى جملة الكلام الى آخره قصيدة وكلية وينفرد
 كل بيت منه باقائه في تراكيبه حتى كانه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده واذا افرد كان تاماً في بابه
 في مدح أو تشييب اورثاء فيعرض الشاعر على اعطاء ذلك البيت ما يستقل في افادته ثم يستأنف في البيت

اجل تنعم ولا تفكر في العاقبة فتزعم وعلى الثاني منها مكتوب اذ لم تصل ضرورة سيفك فصلها بالقاء خوفك وعلى الثالث مكتوب الثاني
 فيما لا يخفى عليه الفوات افضل من العجلة الى ادراك الامل وقال الحسن بن سهل قرأت في كتاب جاو يدان خرد ثلاث تبطل مع ثلاث
 الشدة مع المحيلة والعجلة مع التأني والاسراف مع القصد (وقال) الخضر بن علي رأيت بعدن حجراً عليه مكتوب بالحجيرة ايها الشديدا حذر
 المحيلة ايها العجول احذر التأني ايها المحارب تأس من الفكر في العاقبة ايها الطالب موجود الا تقطع أملك من بلوغه (وكتب) قيصر الى
 كسرى اخبرني بأربعة اشياء لم أجدهم يعرفها واخبرها عندك اخبرني ماء عدو الشدة وصديق الظفر ومدرك الامل ومفتاح الفقر فكتب
 اليه المحيلة عدو الشدة والصبر صديق الظفر والتأني مدرك الامل والوجود مفتاح الفقر (وقال) بعض الملوك الحكيم وأراد سقراً أو فقي

على أشباه من حكمته عمل بها في سفرى فقال اجعل تأنيك زمام عجلتك وحيلتك رسول شديك وعقولك ملك قدرتك وأناضامن لك
قلوب وعيتك ان لم تحرجهم بالشدة او تبطرهم بالاحسان اليهم وقال الخضر بن علي قرأت في كتاب جاو يدان خردوهو اجل كتاب لافرس
الحيلة أنفع من أقوى الشدة وأقل التأني اجل من اكثر العجلة والدولة رسول القضاء المبرم واذا استبد الانسان برأيه عيت عليه المرشد
وكان التجسك ان ابو برزجر حامل القدر وضيع الحال مغفمه المنطق فلما اتت لبزجر خمس عشرة سنة وحضر في مجلس الملك وقد
جاست الوزراء على كراسيها والمرآة في مجالسها وقف بجبال الملك ثم قال الحمد لله المأمول نعمه المرهوب تقمه الدال عليه بالرغبة اليه
المؤيد الملك بسعوده في القالب (٣٦٨) حتى رفع شأنه وعظم سلطانه وانار به البلاد واعاش به العباد وقسم له في التقدير وجوه

الاخر كلاما آخر كذلك ويسر تطرد للخروج من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود بان يوطئ المقصود
الاول ومعاتبه الى ان تناسب المقصود الثاني ويعد الكلام عن التناظر كما يستطرد من التشبيب الى
المدح ومن وصف الببغاء والطول الى وصف الركب والخيول والطياف ومن وصف الممدوح الى وصف
قومه وعساكره ومن التفتيح والعداء في الرثاء الى التأثر وأمثال ذلك ويراعي فيه اتفاق القصيدة كلها في
الوزن الواحد حذر ان يتساهل الطبع في الخروج من وزن الى وزن يقارب فقط ديجني ذلك من أجل
المقاربة على كثير من الناس وهذه الموازين شروط واحكام تضعها على العروض وليس كل وزن يتفق في
الطبع استعماله العرب في هذا الفن وانما هي اوزان مخصوصة تسعيها أهل تلك الصناعة بالبحر وقد
حصرها في خمسة عشر بحرا يعني أنهم لم يجدوا للعرب في غير هاهنا الموازين الطبيعية نظما واعلم ان فن
الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم وشاهد صوابهم
وخطئهم واصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن الملكات
كلها والملكات اللسانيات كلها انما تكنسب بالصناعة والارتباط في كلامهم حتى يحصل شبهة في تلك
الملكة والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد ان يكتب ملكته بالصناعة من المتأخرين
لاستقلال كل بيت منه بانه كلام تام في مقصوده يصلح ان ينقردون ماسوا فيه يحتاج من أجل ذلك الى
نوع تلطف في تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر
العرب ويرزقه مستقلة بنفسه ثم يأتي بيت آخر كذلك ثم يبيت ويسر تكمل الفنون الواقية بمقصود
ثم يناسب بين البيوت في موالات بعضها بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة واصحوبة
منحاه وغرابة فنه كان محكالا للرائع في استجداء أساليبهم وشذذ الافكار في تنزيل الكلام في قوالبه ولا يكفي
فيه ملكة الكلام العربي على الاطلاق بل يحتاج بخصوصه الى تلطف ومحاولة في رعاية الاساليب التي
اختصتها العرب بها واستعمالها ولذا ذكره ناسلوك الاسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في
اطلاقهم فاعلم انها عبارة عندهم عن المنوال الذي يشجع فيه التراث كيب والقالب الذي يفرغ فيه ولا
يرجع الى الكلام باعتبار افادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار افادته كمال المعنى من
خواص التراث كيب الذي هو وظيفة الالاف والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي
هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة تخرج عن هذه الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورة
ذهنية للتراث كيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة يشترعها الذهن من
أعيان التراث كيب وأشخاصها او يصيرها في الخيال كالقالب او المنوال ثم ينتقى التراث كيب الصحيحة عند

التدبير فرعى رعيته بفضل
نعمته وجاها المؤيدات
واوردها المعشبات وذادها
عن الاكسين والقهها
بالرفق واللين انعاما من الله
تعالى عليه وتثيبا لما في
يديه واسأله ان يبارك له
فيما آناه ويخير له فيما
استرعاه ويرفع قدره في
السماء ويشترز كره تحت
المساء حتى لا يبقى له بينهما
مناوى ولا يجد له فيما
مدانى واستوهب له حياة
لا تنغصص فيها وقدره
لا شاذ عنها وما كالا بؤس
فيه وعافية تدب له البقاء
وتكثر له النما وعزايثومنه
من انقلاب رعيه او هجوم
بليه فانه مولى الخير ودافع
الشرفاخر الملك فحشى فيه
بشيم الجواهر ورفيعه ولم
يدفع حدائنه مع نبيل
كلامه ان استوزر وقدره
خير وشبهه فكان أول
داخل وآخر خارج (وقال)
عمر بن عبد العزيز بالله

على العاقل نعمة بعد الاسلام افضل من مباينة هذه السقلة بالفهم والعقل ولولم يكن هذا
ما عرف الله تعالى الابالجهل الا ترى ان الله تعالى خاطب اولي النهى وذوى الالباب وذوى البصائر ويحب على العلية ان يحمدوا الله
تعالى على مباينتهم هذه السقلة بالعقول والافهام كالحمدونه على جميع النعم (وقيل) لمروان بن محمد وهو آخر ملوك بني أمية ما الذي
أصارك الى هذا قال الاستبداد برأى لما كثرت على كتب نصر بن سيار ان أمده بالاموال والرجال قلت في نفسي هذا رجل يريد
الاستكثار من الاموال والجنديا يظهر لي من فساد الدولة قبله وهيئات ان ينتفض على خراسان فانتفضت دولته من خراسان وقال
الواقدي قال الفضل بن سهل لم ادعى للمؤمن في كور خراسان بالخلافة جاء تناهدا بالملوك سرورا وكانه من الخلافة ووجه الملك

كالبسة ثمان شيخا يقال له ذوبان وكتب يذكرانه قدوجه بهدية ليس في الارض اسنى منها ولا ارفع ولا أنبل ولا أفخر منها فاعجب المأمون وقال سل الشيخ ما معه فسأله فقال ما معي شيء أكثر من علمي قلت وأي شيء علمك قال رأيي يتعم وتديبر يقطع ودلالة تجمع قال فسر المأمون بذلك فأمر بآثره واكرامه وكرمان امره فلما اجتمع على التوجه الى العراق لقتال اخيه قال لذوبان ما ترى في التوجه الى العراق قال رأيي وثيق وخزم مصيب وملاك قريب فالسير ماض فاقض ما انت قاض قال له فنوجه قال الفتى الا عود الطاهر الا طهر يسير ولا يعثر قوى مرهوب مقاتل غير مغلوب قال فكمن توجه من الجند قال اربعة آلاف صوارم الاسياف لا ينشققون العدد ولا يحتاجون الى المدد فسر المأمون بذلك ووجه بطاهر بن الحسين قال وفي اي وقت يخرج قال مع طلوع الفجر يجمع (٣٦٩) لك الامر ويصير الى النصر نصر

سريع وقتل ذريع
وتفريق تلك الحجوم
والنصر له لاعليه ثم يرجع
الامر اليك واليه فظفر طاهر
وكان له النصر وقتل على بن
عيسى وزير الامين واستولى
على عسكره وحاز امواله فامر
المالك لذوبان بمائة الف
درهم فلم يقبلها وقال ايها
المالك ان ملكتي لم يوجهني
اليك لا نقصك مال فلا
تقبل ردي لنعمتك تسخطا
وسا قبل ما بيني هذا المال
ويزيد عليه قال المأمون
وما هو قال كتاب يوجد
بالعراق فيه مكارم
الاخلاق وعالم الاق
من كتب عظيم القرس
فيه شفاء النفس من صنوف
الآداب ليس في كتاب
عندنا قل لييب ولا فطن
اريب يوجد تحت ايوان
بالمداين فيعاس بالذرعان
في وسط الايوان لازيادة
ولا نقصان فاحفر المدر
واقطع الحجر فاذا وصلت الى

العرب باعتمار الاعراب والبيان في رصا كلفه البناء في القالب او النساج في المنوال حتى يتسع
القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتمار ما ملكت اللسان
العربي فيه فان لكل فن من الكلام اساليب تختص به وتوجد فيه على انحاء مختلفة فسؤال الطول في
الشعر يكون بخطاب الطول كقوله * يادارمية بالعلماء فالسند * ويكون باستدعاء الصب للوقوف
والسؤال كقوله * فانسأل الدار التي خف أهلها * او باستدعاء الصب على الطل
كقوله * فقا نيك من ذكرى حبيب ومنزل * او بالاستفهام عن الجواب كخطاب
غير معين كقوله * ألم تسأل فتخبرك الرسوم * ومثل تحية الطول بالامر لخطاب غير معين بتحياتها كقوله
حي الديار بجانب الغزل * او بالدعاء لها بالسقيا
كقوله اسقى طلولهم أحش هديم * وغدت عليهم نضرة ونعيم
او سؤاله السقيا لها من البرق كقوله

يا برق طالع منزلا بالبرق ■ واحد السحاب لها حذاء الانيق

او مثل التفتيح في الجزع باستدعاء البكاء كقوله

كذا فاحجل الخطب وليقذع الامر * وليس لعين لم يقض ماؤها عذر

او باستعظام الحادث كقوله * أرايت من جملوا على الاعواد * او بالتسجيل على الاكوان بالمصيبة لفقده

كقوله منابت العشب لاحام ولا راع * مضى الردي بطويل الرمح والباع

او بالانكار على من لم يتفجع له من المجادات كقول الخارجية

يا شجر الخابور مالك مورقا ■ كانك لم تجزع على ابن طريف

او بتثنية فريقه بالراحة من ثقل وطأته كقوله

التي الرماح ربيعة بن نزار * أودى الردي بقر يلق المغوار

وأما مثل ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه وتنظيم التراكيب فيه بالجملة وغير الجملة انشائية
وخبرية اسمية وفعلية متفقة وغير متفقة مفصلة وموصولة على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي
في مكان كل كلمة من الاخرى يعرفك فيه ما تستقيده بالارتياض في أشعار العرب من القالب السكلى المجرد
في الذهن من التراكيب المعينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها فان مؤلف الكلام هو كالبنة او
النساج والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يبنى فيه او المنوال الذي ينسج عليه فان خرج عن القالب
في بنائه أو على المنوال في نسجه كان فاسدا ولا تقوان ان معرفة قوانين البلاغة كافية في ذلك لانا نقول

(٤٧ - ابن خلدون)

الساحة فاقطعها لتجد الحاجة ولا تلزم لغيرها فيلزمك غب ضرها فاسر المأمون الى ايوان كسرى
فحفر وافي وسطه فوجدوا صندوقا صغيرا من زجاج عليه قفل منه فعمل الى المأمون فقال لذوبان هذا يغيبك قال نعم ايها الملك قال خذها
وانصرف فتكلم بلسانه وتفتح في القفل فانه فتح فخرج منه خرقة ديباج فنشرها فاسقط منها اوراق فعددها مائة ورقة ولم يكن في الصندوق شيء
غيرها فأخذ الاوراق وانصرف الى منزله قال الفضل بن سهل فحشته فسأله فقال هذا كتاب جاويدان خرد تأليف كيجور وزير ملك
ايران شهر فطلبت منه شيئا فدفعت الى ورقاته منه وترجها الى الخضر بن علي ثم أخبرت المأمون فقال اجل الى الورقات فعملتها اليه فقرأها
فقال والله هذا الكلام لا ما نحن فيه من لى السننا * (فصل في نوادر برزجر حكيم الفرس نحني النجاة ووعظي الوعاء شفقة

ونصيحة وتأديب فلم يعطني أحد مثل شي ولا تخفى مثل فكري ولقد استضأت بنور الشمس وضوء القمر فلم استضي بشئ أضوأ من نور قلمي كنت عند الأحرار والعبيد فلم يأسكني أحد ولا قهرني غيره وهاوي وعاداني الأعداء فلم أر أعدى لي من نفسي إذا جهلت واحد ترتزت لنفسي بنفسى من الخلق كلهم حذر أعليها وشقة فوجدتها أشرف النفس لنفسها ورأيت أنه لا يأتيها الفساد إلا من قبلها وخرجني المضائق فلم يزحني مثل الخلق السوء ووقعت من أبعاد البعد وأطول الأطول فلم أقع في شئ أضر علي من لسانى ومشيت على الجرو ووطئت على الرمضاء فلم أر أرا أحمر من غضبي إذا تمكنت منى وطالبني الطلاب فلم يدركنى مدرك مثل إنسانى ونظرت ما لداة القتال ومن أين نالني فوجده من معصية ربى سبحانه والتست الراحة (٣٧٠) النفسى فلم أجد شيئاً أروح له من تركها مالا يعينها ورأيت البحار ورأيت الأهوال

قوانين البلاغة أنما هي قواعد علمية قياسية تفيد جواز استعمال التراكيب على هيأتها الخاصة بالقياس وهو قياس على صحيح مطرد كما هو قياس القوانين الاعرابية وهذه الأساليب التى نحن نقرردها ليست من القياس فى شئ إنما هي هيئة ترسخ فى النفس من تتبع التراكيب فى شعر العرب بحرياتها على اللسان حتى تستحكم صورتها فتستفيد بها العمل على مثلها والاحتذاء بها فى كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك فى الكلام باطلاق وأن القوانين العلمية من العربية والبيان لا تفيد تعليمه بوجه وليس كل ما يصح فى قياس كلام العرب وقوانينه العلمية استعماله وإنما المستعمل عندهم من ذلك أنحاء معروفة يطالع عليها المحفظون لكلامهم تندرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية فإذا نظر فى شعر العرب على هذا النحو وبهذه الأساليب الذهنية التى تصير كالقوالب كان نظار فى المستعمل من تراكيبهم لا يفهم حقيقة القياس ولهذا قلنا أن المحصل لهذه القوالب فى الذهن أنما هو حفظ أشعار العرب وكلامهم وهذه القوالب كما تكون فى المنظوم تكون فى المنثور فإن العرب استعملوا كلامهم فى كلا الفنين وجاهبه مفصلاً فى النوعين وفى الشعر بالقطع الموزونة والقوافى المقعدة واستعمال الكلام فى كل قطعة وفى المنثور يعتبرون الموازنة والتشابه بين القطع غالباً وقد يقيده بالاسجاع وقد يرسى لونه وكل واحدة من هذه معروفة فى لسان العرب والمستعمل منها عندهم هو الذى يبنى مؤلف الكلام عليه تاليفه ولا يعرفه إلا من حفظ كلامهم حتى يتجرد فى ذهنه من القوالب المعينة للشخصية قال كلى مطلق يحذو حذوه فى التاليف كما يحذو البناء على القالب والنساج على المنوال فلماذا كان من تأليف الكلام منه قد راعى نظار النحوى والبيانى والعروضى نعم إن مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيه لا يتم بدونها فإذا انحصرت هذه الصفات كلها فى الكلام اختص بنوع من النظر لطيف فى هذه القوالب التى يسعونها أساليب ولا يفقه إلا حفظ كلام العرب نظماً ونثراً وإذا تقرر معنى الأسلوب ما هو فلنذكر بعده هذا الورع بالشعر به تفهم حقيقة معناه على صعوبة هذا الغرض فإننا لم نقف عليه لاحد من المتقدمين فيما رأينا من قول العروضيين فى حده أنه الكلام الموزون المقتضى ليس بهذا الشعر الذى نحر بصدده ولا رسم له وصناعتهم إنما تنظر فى الشعر باعتبار ما فيه من الأعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة فلا يحرم أن حدهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بد من تعريف يعطينا حقيقة من هذه الحشية فنقول الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف المفصلة بأجزاء متفقة فى الوزن والروي مستعمل كل جزء منها فى غرضه ومقصده مما قبله وبعده الجارى على أساليب العرب المخصوصة به فقولنا الكلام البليغ جنس وقولنا المبني على الاستعارة والأوصاف فصل عما يخصه من هذه فانه فى الغالب ليس بشعر وقولنا المفصلة بأجزاء متفقة الوزن

فلم أره ولا مثل الوقوف على سلطان جائر وتو حشت فى البرية والجبال فلم أر مثل القرن السوء وعالجت السباع والضباع والذئاب وعاشرتهم وعاشرتنى وغلبتها فغلبنى صاحب الخناق السوء وأكلت الطيب وشربت المسكر وعانقت الحسان فلم أجد شيئاً أذل من العافية والأمن وتوسطت الشياطين والجبال والسباع فلم أخرج إلا من الإنسان السوء وأكلت الصبر وشربت المر فلم أر شيئاً أمر من الفقر وشهدت الحروب وتعبية الجيوش وباشرت السيوف وصارعت الأقران فلم أر قرناً غلب من المرأة السوء وعالجت الحديد ونقلت الصخر فلم أرحل أثقل من الدين ونظرت فيما يذل العزيز ويكسر القوى ويضع الشريف فلم أر أذل من

ذى فاقة وحاجة ورشة بالشباب ورجت بالحجارة فلم أر أذل من الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق وعمرت النجى وشددت فى الوفاق وضربت بعد الحديدي فلم يهمني مثل ما هدمنى الغم والهوى والحزن واصطنعت الإخوان وانتخبت الأقوام للعدو والشدوة والنائبة فلم أر شيئاً أخير من التكرم عندهم وطلبت الغنى من وجوه فلم أر أغنى من القنوع وتصدقت بالذخائر فلم أر صدقة أنفع من رذوى ضلالة إلى هدى ورأيت الوحدة والغربة والمذلة فلم أر أذل من مقاساة أبحار السوء وشهدت البنين لا عز به واذكر فلم أر شيئاً أرفع من اصطناع المعروفى وليست الكساء الفاخرة فلم ألبس شيئاً مثل الصلاح وطلبت أحسن الأشياء عند الناس فلم أجد شيئاً أحسن من حسن الخلق وسررت بعطايا الملوك وحبائهم فلم أسمع شيئاً أكثر من الخلاص منهم * (فصل) * ومن حكم شهاب السندى

من كتابه الذي سماه منحل الجواهر للملك بن فايز الهندي يا أيها الملك اتق عثرات الزمان وتخس تساط الأيام ولوم علية الدهر واعلم ان
للإعمال جزاء فأتق العواقب وللأيام عثرات فكن على حذر ولا تقدر مغيبات فاستعد لها وللزمان منقلب فاحذر دولته أثم الحركة فقف
سطوته سريع الغرة فلا تأمن دولته واعلم ان من لم يدا ونفسه من سقام الآثم في أيام حياته فما بعده من الشقاء في دار لدوائه بها
ومن أذل حواسه واستبعد ما يقدم من خير لنفسه بان فضله وظهر نبهه ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس
واذا لم يضبط حواسه مع قاتمها وذاتر اصعب عليه ضبط الاعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية في قواصي البلاد
وأطراف المملكة أبعد من الضبط فليبدأ الملك بساطنائه على نفسه فليس من عدوا حقيق (٣٧١) ان يبدأ بالقهر من نفسه ثم يشرع

في قهر حواسه الخمس لان
قوة الواحدة ممنون دون
صواحبه قد تأتي على
النفس القوية الحذرة
فكيف اذا اجتمعت خمس
أنفس على واحدة واعلم
ان لكل واحدة ممنون
شركة ليست للآخرى غيرها
تسلم من شرها واتماها بال
الحى وان بالشهوات لا ترى
أن القرائش يكره الشمس
فيسكن من حرها ويعجبه
ضياء النار فيسكن منها
فتحرقه والظبي على نقار
قلبه وشدة حرصه ينصت
للسماع المونق الملهي
فيمكن القانص من نفسه
وذباب الورد المتبع لطيب
الارايح يطالب ما يقطر
من اذن القبل لطيب
رائحته فانه في طيب رائحة
المسك فيلهيه طيب الرائحة
عن الاحتراس من تحريك
القبل اذنه فينزل في
أصل اذنه فتقع عليه
ضربة الاذن فتقتله

والروى فصل له عن الكلام المنثور الذي ليس بشعر عند السكك وقولنا مسة تقل كل جزء منها في غرضه
ومقصده مما قبله وبعده بيان للحقيقة لان الشعر لا تكون أبياته الا كذلك ولم يقصص به شيء وقولنا
الجارى على الاساليب المخصوصة به فصل له عما لم يجز منه على اساليب العرب المعروفة فانه حينئذ لا
يكون شعر النما هو كلام منظوم لان الشعر له اساليب تخصه لا تكون للمنثور وكذا اساليب المنثور لا
تكون للشعر فما كان من الكلام منظوما وليس على تلك الاساليب فلا يكون شعرا وبهذا الاعتبار كان
الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون ان نظام المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في
شيء لانهم لم يجزوا على اساليب العرب من الامم عندهم يرى ان الشعر يوجد للعرب وغيرهم ومن يرى انه
لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج الى ذلك ويقول مكانه الجارى على اساليب المخصوصة واذا قدر غنا من الكلام
على حقيقة الشعر فاجتمع الى الكلام في كيفية عمله فنقول اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا
اولها الحفظ من جنسه أى من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة يسبح على منوالها ويتخير
الحفوظ من البحر النقي الكثير الاساليب وهذا الحفظ المختار اقل ما يكفي في شعر شاعر من الفحول
الاسلاميين مثل ابن ابي ربيعة وكثير وذى الرمة وجرير وابي نواس وجبيل والبحتري والرضي وابي
فراس وأكثره شعر كتاب الاغانى لانه جمع شعر أهل الطبقة الاسلامية كله والمختار من شعر الجاهلية ومن
كان خالما من الحفظ فنظمه فاصر ردى ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة الحفظ فخن قل حفظه او
عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر اولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء من
الحفظ وشحذ القريحة للنسخ على المنوال يقبل على النظم وبالا كذا ومنه تستحكم ملكته وترسخ وربما
يقال ان من شرطه نسيان ذلك الحفظ لتصح رسمه الحرفية الظاهرة اذهى صادة عن استعمالها بعينها
فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتعش الاسلوب فيها كانه منوال يأخذ بالنسخ عليه بما شأله من كلمات
أخرى ضرورة ثم لا بد له من الحلاوة واستجادة المكان المنظور فيه من المباه والازهار وكذا المسموع لاستئثاره
القريحة باستجماعها وتنشيطها لاذ السمر ورثم مع هذا كله فشرطه أن يكون على جسام ونشاط فذلك
اجمع له وأنشط للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه قالوا وخرير الاوقات لذلك اوقات البكر
عند القبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هؤلاء الجاهل وربما قالوا ان من بواعده العشق
والانثاء ذكر ذلك ابن رشيق في كتاب العمدة وهو السكك الذي انقرب هذه الصناعة واعطاء حقه ولم
يكتب فيها احد قبله ولا بعده مثله قالوا فان استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه الى وقت آخر ولا يكره
نفسه عليه وليكن بناء البيت على القافية من اول صوغه ونسجه بعضها ويبني الكلام عليها الى آخره لانه

والسكك في البحر تحمله لذة الطم ان يتلعه فتحصل الصنارة في جوفه فيكون فيه حفته (وذكر الحكيم) ان خص الامم روفة قتلت بالافراط
فيها ملوكا معروفين فالصيد مات فيه قيده الملك والافراط في العاهات منه سبب الملك والافراط في السكرات فيه حاذق الملك وشدة
الحرص مات منه مهريق الملك والغضب أخرسخى الملك والطمع وائل والفرح واطبات والانفة بوليس والتواني زمير بهروا خلق
بخصال اهل كبت ملوكا كان يحبته الملوكة واعلم ان الرعية تستطى الى الملك العادل استطاء اهل الجلب الى الغيث ويتعشون
بطاعته عليهم كانهما النبات بما يناله من القطر بل الرعية بالمالك العادل اتم نعمتها بالغيث لان المنفعة الغيث وقتامع لوما وعدل
المالك على الدوام لا يتعين له وقت ويحسن بالمالك ان يشبه تصاريه بتدبيره بطباع ثمانية اشياء وهي الغيث والشمس والقمر والريح

والنار والارض والماء والموت فاما شبه الغيث فتواتره في اربعة اشهر من السنة ومنفعة لجميع السنة كذلك ينبغي للملك ان يعطي جنده
وأعوانه في الاربعة اشهر تقدير التمة السنة فيجعل ربيعهم ووضعهم في الحقل الذي يستحقون به من كل ما يسوي المطر بين كل اكمة
مشرقة وغائط مستقل ويغمر كل امة من مائه بقدر حبه ثم يستجيب الملك في الثانية الاشهر حقوقه من غلاتهم وخراجهم كما تستحق الشمس
بحرها وشدة فعلها ندوة الغيث والامطار في الاربعة الاشهر واما شبه الريح فان الريح لطيفة المداخل تسرح في جميع المنافذ حتى لا يقوت
مكان ذلك الملك ينبغي ان يتوكل على قلوب الناس بحواسه وعيونه لا يخنفون عنه بشئ حتى يعرف ما يأترون به في بيوتهم وأسواقهم
وكالهم اذا استهل أيامه فأضاء (٣٧٢) واعتدل نوره على الخلق وسر الناس بضوئه ينبغي ان يكون الملك بهجة وزينة واشراقه

ان غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محالها فربما تجب عافرة قلقه واذا سمع الخاطر
بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه الى موضعه الا ليق به فان كل بيت مستقل بنفسه ولم يتبق الا
المناسبة فليغير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتفحيم والنقد ولا يرض به على الترك اذا لم
يلتج الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذ هو نبات فذكره واختراع قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام
الا الاصح من التراكييب والمخالص من الضرورات اللسانية فليجرحها فانها تنزل بالكلام عن طبقة
البلاغة وقد حذر أئمة اللسان عن المولد ارتكاب الضرورة اذ هو في سعة منها بالدول عنها الى الطبقة
المثلى من الملائكة ويحجب ايضا المعتمد من التراكييب جهده وانما يقصد منها ما كانت معانيه تسابق الفاظه
الى الفهم وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فان فيه نوع تعقيد على الفهم وانما المختار منه ما كانت
الفاظه مطبعا على معانيه او وفيه كانت المعاني كثيرة كان حشوا واستعمل الذهن بالغوص عليها فخرج
الذوق عن استيفاء مدركه من البلاغة ولا يكون الشعر سهلا الا اذا كانت معانيه تسابق الفاظه الى
الذهن ولهذا كان شيوخنا خرجهم الله يعيرون شعر أبي بكر بن خفاجة شاعر شرق الاندلس لكثرة معانيه
وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيرون شعر المتنبي والمعري بعدم النسيج على الاساليب العربية كما
مرف كان شعرهما كلاما منظوما نازلا عن طبقة الشعر والحكا كمثل ذلك هو الذوق وليجنب الشاعر ايضا
الحوشى من الالفاظ والمقصر وكذلك السوق المبذل بالتداول بالاستعمال فانه ينزل بالكلام عن طبقة
البلاغة ايضا فيصير مبتذلا ويقرب من عدم الافادة كقولهم النار طارة والسماء فوقنا ومقدار ما يقرب من
طبقة عدم الافادة يبعد عن رتبة البلاغة اذ هما طرفان ولهذا كان الشعر في الربانيات والنبويات قليل
الاجادة في الغالب ولا يحدق فيه الا الفحول وفي القليل على العشر لان معانيه امتدولة بين الجمه وورق صغير
مبتذلة لذلك واذا تعدد الشعر بعد هذا كله فليعرضه ويعاوده فان القرينة مثل الضرع يدبر بالامتراء
ويجف بالترك والاهمال وبالجملة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمد لابن رشيق وقد ذكرنا
منها ما حضرنا بحسب المجهود من اراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب ففيه البقية من ذلك وهذه نبذة
كافية والله المعين وقد نظم الناس في امر هذه الصناعة الشعرية ما يجب فيها ومن احسن ما قيل في ذلك
وأظنه لابن رشيق

لعن الله صنعة الشعر ماذا ■ من صنوف الجهال منه لقينا ■ يثرون الغريب منه على ما
كان سهلا للسامعين مبينا ■ ويرون الحال معني صحيفا ■ وخسيس الكلام شيا أمينا
يجهلون الصواب منه ولا يد ■ روع للجهل انهم يجهلون ■ فهم عند من سوانا يلامو

في مجلسه وانياسه رعيته
بشره فلا يخص شريفا
دون وضيع بعده
وكالارض في كتمان السر
والاحتمال والصبر والامانة
وكانار على أهل الذعارة
والفساد وكعاقبة الموت
في الثواب والعقاب يكون
نوابه لا يقصر عن اقامة
حد ولا يتجاوز وكالماء في
لبنه لمن لا يئنه وهدمه
واقلاعه عظيم الشجر لمن
حاربه واعلم انه قد يكتنف
السلطان من شرار الناس
والاعوان على الحاجة اليهم
من يستشع ويستكره
كالحيات تكتمف بالصندل
فقتلها الصندل بطيب
رائحته وبرده ويمسه
ويستفح الصندل بها اذ
لا يقرب منه من يريد ان
يقطعه * ليكن فيك مع
تلفك تشدد البلاء فلا
يتجرأ عليك فان القمر
يستنار بضوئه ويظهر له
لكن الشمس يستظل من

حرها ويسكن لها وقد قالت العرب في مثل هذا لا تكن حلوا فتستترط ولا مرافق لفظ اجعل لكل
طبقة من أعدائك أشباههم من أعوانك يسوسونهم فانهم كالماء في الاذن لاحيلة في اخراجه الابار فيق من الماء الذي هو من جنسه
اذا عادت رجلا فلا تعاد جنسه واستبق من دونه أحد افعى تنفع به فان السيف القاتل من جنس الدرع الواقى ولا تطمع في
الكذب والمطبوع على الشر أن تعطفهما بالاحسان فانهما كالقرد كلما سمع باطعام الحلاوة والدم ازداد وجهه قبحا * قد ورد الواحد
كيد الجميع اذا كان عاقلا كما يرد الظل حرشع الشمس اذا كان واقبا غاية ارمى الناس ان يقتل بسهمه واحدا لكن رمية عاقل ذهن
تقتل الجيش بأسره والمالك الشريف العاقل لا يتقديفه قدح أهل النجى من انقطع اليه ولزمه كان كالجوهر المضي وبفوره لا تطفئه

عصوف الرياح من كان قابلاً لما يورد عليه في اصغائه الى كل قول يسمعه كان كالسراج يميل به كل ربح لينته ثم لا يلبث ان يعضد تحت
الرياح ان يطفأ * تدبير الملك المحازم في ساطرانه كتهامد صاحب البستان بنسبته انه يخرج ناحل عدائه وشوك شجره فيحيط به على غمره
وذرع له بقمه من الثمر والفساد كما ينتخب الملك اهل الشكيمة والشوك فيجعلهم في اقصاه وحدوده رد اللمدة * وليكن الملك احذر ما يكون
امن ما يكون (قلت) وقد صدق الشاعر امنتهم ريب المنون ففتم * وبخوف مكن في امان قال الاتري ان بهر شان الملك انامت
المرأة على فراشه رجلاً فلما رام فراشه وثب عليه فقتله وباسراج الملك قتله بخنخال مسعوم ودرورف الملك قتله امرأته بمدية خبأتها في
عقاصها واعلم ان العدو قد علم منك مواضع الحذر وحالات الامن وانما ترصده لك (٣٧٣) في حالات الامن والمواضع التي تظن

العدو ولا يمكن فيها فكن
احذر ما يكون فيها واساير
كم هذا الباب قد قدمتها
في تراجم كتابنا

(فصل) * قال غيره
لا ينبغي للملك ان يكون له
ايام مع لومة يظفر فيها
فان في ذلك خصا لا مذمومة
منها انه قد يعوق عن ذلك
اليوم عسك بهم او بعض
كسل أولذة مغتمة فيلزمه
الخروج على كره ومنها انه
اذا تخلف عن الظهور في
ذلك اليوم لامر ما تطاوت
الاعناق من الرعية وكثر
كلامها وقالوا مرض اومات
او اصابته آفة فيكسب
العدو جراحة وسرور او يكسب
الولي خزانة وجبا ومنه انه
قد يواعد عدوه ليوم
يلتقيان فيه فلا يتم له ذلك
ولا ينبغي ان يكون الملك
كثير التصرف عند فساد
الزمان وخبت الرعية
وعن هذا قالت الحكماء
اذا كان الجمل كثير القفر

نوفي الحق عندنا يعذروننا * انما الشعر ما يناسب في النظم * موان كان في الصفت فنونا
فاني بعضه يشا كل بعضا * واقامت له الص دورا متونا * كل معني اناك منه على ما
تقني ولم يكن او يكونا * فتناهي من البيان الى ان * كاد حسنا يبين لناظرينا
فيكان الالفاظ منه وجوه * والمعاني في ركن فيها عيونا * ان ما في المرام حسب الاماني
يتحلى بحسنه المنشدونا * فاذا ما مدحت بالاشعر حرا * رمت فيه مذهب المشتبهنا
فجعلت الذئب سهلا قريبا * وجعلت المديح صدقا مينا * وتعلبت ما يهجن في الدية
سبح وان كان لفظه موزونا * واذا ما عرضته بهجاء * عبت فيه مذهب المرقبينا
فجعلت التصريح منه دواء * وجعلت التعريض داء دينا * واذا ما بكت فيه على العا
دين يوما للبين والظا غمينا * حلت دون الاسي وذلت ماكا * ن من الدمع في العيون مصونا
ثم ان كنت عاتبا جئت بالوع * دعو عداوا بالصعوبة لينا * فتركت الذي عبت عليه
احذرا آمنا عزير ما مينا * واصح القريرض ما قارب النظم * موان كان واضحنا مستينا
فاذا قبل اطعم الناس طرا * واذا ريم اعجز المعجزينا

ومن ذلك ايضا قول بعضهم

الشعر ما قوم ربح صدوره * وشددت بالتهذيب أس متونه
ورأيت بالاطناب شعب صدوعه * وفجحت بالايجاز عو رعيونه
وجعت بين قريبه وبعيده * وجعت بين محبة ومعينه
واذا ما دحت به جوادا ما جدا * وقضيت به بالاشكر حرق ديونه
أصفيت به بفتنة وش رضىته * وخصصته بخطيره وغمينه
فبكون جزلا في مساق صنوفه * ويكون سهلا في اتفاق فنونه
واذا ما بكت به الديار واهلها * أجريت للمحزون ما مشؤونه
واذا أردت كناية عن ريبه * باينت بين ظه وروه وبطونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه * بثبونه ووطنونه بيقينه

٤٨ * (فصل في ان صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني) *

(اعلم) ان صناعة الكلام نظام ونثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني وانما المعاني تتبع لها وهي اصل
فالصانع الذي يحاول ملة الكلام في النظم والنثر انما يحاول في الالفاظ بحفظ أمثاله من كلام

كان نصيب الذئب * (فصل) * من نوادر كلام العرب من حكما كنم من صيني وهذا رجل كان له عقل وعلم ومعرفة وتجربة وقد علق
الناس عنه حكما لطيفة والفوا فيها تصانيف فن حكمه قال من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء أفضل من السؤال ركوب الاهوال
من حسد الناس بدأ بمضرة نفسه العديم من احتاج الى اثيم من لم يعتبر فقد خسر ما كل عسرة تقال ولا كل فرصة تنال لا وفاله لم يس له حياء
قد يشهر السلاح في بعض المزاج من وفي بالعهذ فاز بالحق المات يدنو والمريه وطول الغضب يورث الوصب رب عتق شر من رق من
اصطنع قوما احتاج اليهم يوما ما الكذب جهت والخاف مقمت من لم يكف اذا له في ماساه الحريه تقاضي للبه نفسه واللثيم يستحسن
تسوية وجسه ليس بانسان من ليس له اخوان أنت عز رب نفسك ان صحبت من هو دونك عليل بالجمالة لمن لا تدوم له مواصلة في

الاسفار يمدوا واختبارا قسدا كل حسب من ليس له أدب افضل الاعمال صيانة العرض بالمال ليس من حادث الجهول يذى معقول ليس
للمخلف مثل الرء من جالس الجهال فليستعد لقل وقال ما جلا عنك النسيان مثل البيان ولا تنفي عنك البهتان مثل البرهان لم ينجم من
الموت غنى لماله ولا فقير لافقائه اذا اردت طرد الحرفه الموهان كثرة العال آية البخل كفر النعمة اثم وصحبة الاحق شؤم ان من اكرم
لين الشيم اياك والخديعة فانها خلق اثم أحض أخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة رب سبب قد هاجه العتاب الصدود آفة المقت
سبب الحرمان التواني من سأل فوق قدره استحق الحرمان ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤب ان من الفساد اضاعه الزاد من
حلم ساد ومن تفهم ازداد لا ترغب (٣٧٤) فيمن يزهد فيك رب بعيد أقرب من قريب المزاح يورث الضغائن سل عن الرفيق

العرب ليكثر استعماله وجره على لسانه حتى تستقر له الملة في لسان مضر ويتخلص من العجة التي ربي
عليها في جيله يفرض نفسه مثل ولید ينشأ في جبل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه
واحد منهم في لسانهم وذلك اننا قدمنا أن لسان ملة من الملة كانت في النطق يحاول تحصيلها بتهكرواها
على اللسان حتى تحصل والذي في اللسان والنطق انما هو الالفاظ وأما المعاني فهي في الضمائر وأيضا
فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا تحتاج الى صناعة وتأليف
الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني فكما ان الاواني التي يغترف
بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف
الجودة في الاواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلاغتها في
الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحده في
نفسها وانما الجاهل يتألف الكلام واسا ليمه على مقتضى ملة لسان اذا حاول العبارة عن مقصوده
ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدها القدرة عليه والله يعلم كم مالم تكونوا تعلمون

٤٩ ﴿فصل في ان حصول هذه الملة بلبثة الحفظ وجودتها بجودة الحفظ﴾

قد قدمنا انه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر جودة الحفظ وطبقته في جنسه
وكثرته من قلته تكون جودة الملة الحاصلة عنه للحافظ فمن كان يحفظه شعر حبيب أو اعلماني أو ابن
المعتر أو ابن هانئ أو الشريف الرضي أو رسائل ابن المقفع أو سهل بن هرون أو ابن الزيات أو البديع أو
الصائغ تكون ملة كتبه أجود وعلى مقاما ورتبة في البلاغة ممن يحفظ شعر ابن سهل من المتأخرين أو ابن
النبية أو ترسل البيهقي أو العماد الاصبهاني لثزول طبقة هؤلاء عن أولئك يظهر ذلك للبصير الناقد
صاحب الذوق وعلى مقدار جودة الحفظ أو السموع تكون جودة الاستعمال من بعده ثم اجادة الملة
من بعدهما فبارتقاء الحفظ في طبقة من الكلام ترتقي الملة الحاصلة له لان الطبع انما يسهج على
منوالها وتنمو قوى الملة بتغذيتها وذلك ان النفس وان كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي تختلف
في البشر بالقوة والضعف في الادراك واختلافها انما هو باختلاف ما ردد عليها من الادراكات
والملة كات والالوان التي تصكفها من خارج فبهذه يتم وجودها وتخرج من القوة الى الفاعل صورتها
والملة كات التي تحصل لها انما تحصل على التدريج كما قدمناه فالملة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر وملة
الكاتب بحفظ الاسجاع والترسل والعلية بمخالطة العلوم والادراكات والابحاث والانظار والفقهية
بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفريعها وتخرج الفروع على الاصول والتصوفية الربانية بالعبادات

قبل الطريق وعن الجار
قبل الدار عنك خير من
سمين غيرك من أجد المسير
أدرك المقل استر عورة
أخيك لما يبع لم فيك
لا تكثر من المزاح فتذهب
هيبك ولا من الضحك
فيستخف بك من أكثر
من شيء عرف به كفى بالحلم
ناصر المنة تهدم الصنعة
نعم الشيء الهدية بين يدي
الحاجة وربما نصح غير
الناصح وربما غش الناصح
الكلام فيما ينفه عنك
خير من السكوت والسكوت
عما يضرك خير من
الكلام لا يفرغ منك من
جاهل قرابة ولا جوار ولا
أف فان أقرب ما تكون
من النار قربا أقرب
ما تكون منها لها بارفص
أهل الدناءة تلزمك المهابة
دع مجالسة أهل الريب
على كل حال فانك ان يسلم
دينك لم تسلم من سوء المقال
الكرم شكر البلاء واللوم

كفر النعمة اكرم الصنائع سلامة الصدور ان تسلم من الناس حتى يسلموا منك من عدم الايمان والاذكار
لم تزد الرواية فقها الحزن مفسدة للعقل ومقطعة للحملة كثرة النوم امانة للقلب شدة المخدر تدل على ضعف اليقين محادثة الحق
والسفهاء تورث سوء الخلق الدليل على الحق اعجاب المرء بعقله من لم يسمع الحديث فارفع عنه مؤنته من حدث من لا يفقه كن قديم
مائدة لاهل القبور من قطع عليك الحديث فلا تحدته فليس بصاحب أدب من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب
لم يقبل صدقه من وصل من يحسده قوى عدوه وقصر بنفسه اغفر زلة صديقك من غضب من غير شيء رضى من لاشي من غضب على
من لا يقدر عليه طال جزه الرجل عبده واهل الجاهل ما عرف عقل العاقل من خاف ربه كف ظلمه كسل الفقير هلا كنه

الغنى فضيخته من لم يتورع في كلامه أظهر فجوره كل شيء لا يوافق الا حق فاعلم انه صواب اذا غلبت امرأتك فيجاهد ما فاقم اعدوك من
لم يعرف الخير من الشر فالحقه بالباطم من طلب ما عند البخيل مات وعاجار الرجل الجواد كجاور البحر لا يخاف العطش وجار البخيل في
المفازة هالك اذا لم تنفع بمصادقة الاحياء فأت أهل القبور من عادي من فوقه ابغضه من تحته الرزق مقسوم والخير يصحح من كثر
كلامه على المسائدة غش بطنه وأبغضه أصحابه العلم زين ومنفعة والمجهل شين ومضرة الجاهل يستطعم الشر والعاقل يمنع نفسه من الشر من
لم يرتح للنساء فليس له نصيب في المروءة اذا كان لك جار و صديق لا يتفجع به فصوره مثله في الحائط فانه أزين للحائط واخف للأونة العاقل
يرغب في الادب والجاهل يهرب منه العاقل اذا فاته الادب لزم الصمت لا تستنطق (٣٧٥) من تكذب العاقل يتهم رأيه في نفسه

والجاهل يقيم على جهله
من لم يملك عقله لم يملك
نفسه من أظهر عحاسنه
ودفن مساويه كمل عقله
من غلب هواه عقله
افتضح من استشاره عدوه
في صديقه أمر بقطيعته
مصادقة الكرام غنمة
ومصادقة اللئام ندامة
لا تدخل على صديقك
الهمة فيرجع لك عن
النصيحة اذا انقطع رجائك
عن صديقك فالحقه
بعدوك من طاب مرضاة
الاخوان بغير شيء فليصادق
أهل القبور والعاقل ليس
في مصادقته مخادعة رأس
مال الا حق الخديعة
وفائدتها الغضب والحليم
رأس ماله الصمت وفائدتها
الحلم اذا جهل عليك
الا حق فالبس له سلاح
الرفق واللاطف صديق
كل امرئ عقله وعدو كل
امرئ حقه من أنزل نفسه
عاقلا أنزله الناس جاهلا

والاذكار تعطيل الحواس الظاهرة بالخلوقة والانفراد عن الخلق ما استطاع حتى تحصل له ملكة الرجوع
الى حسه الباطن وروح هو ينقلب ربا نيا وكذا اسأثرها وللنفس في كل واحد منها لون تنكف به وعلى
حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة أو رداءة تكون تلك الملكة في نفسها فذلك البلاغة العالمة الطبقة
في جنسها فلما تحصل بحفظ العالي في طبقة من الكلام ولهذا كان الفقهاء وأهل العلوم كلهم قاصرين في
البلاغة وما ذلك الا لما سبق الى محفوظهم ويمتلي به من القوانين العلمية والعبارة الفقهية الخارجية
عن أسلوب البلاغة والنزلة عن الطبقة لان العبارات عن القوانين والعلوم لاحظ لها في البلاغة فاذا
سبق ذلك المحفوظ الى الفكر وكثر وتلونت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور
والخبرف عباراته عن أساليب العرب في كلامهم وهذا كذا نجد شعر الفقهاء والنحاة والمتكلمين والنظار
وغيرهم ممن لم يمتلي من حفظ النقي المحرم من كلام العرب (أخبرني) صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن
رضوان كاتب العلامة بالدولة المربنية قال ذا كرت يوما صاحبنا أبا العباس بن شعيب كاتب السلطان
أبي الحسن وكان المقدم في البصر باللسان لعهد فانشدته مطلع قصيدة ابن النحوي ولم أنسبها له وهو هذا
لم ادر حين وقفت بالاطلال * ما الفرق بين جديدها والبالى

فقال لي على البديهة هذا شعر فقيه فقلت له ومن أين لك ذلك قال من قوله ما الفرق اذهي من عبارات
الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب فقلت له لله أبوك انه ابن النحوي وأما الكتاب والشعراء فليسوا
كذلك لتخيرهم في محفوظهم ومخاطبتهم كلام العرب وأسايلهم في الترسيل وانقائهم له الجيد من الكلام
ذا كرت يوما صاحبنا أبا عبد الله بن الخطيب وزير الملوك بالاندلس من بني الاجر وكان الصدر المقدم في
الشعر والكتابة فقلت له أجد استصعابا على في نظم الشعر متى رمت مع بصري به وحفظي للجيد من الكلام
من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب وان كان محفوظي قلب لا وانما آتيت والله أعلم من
قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التأليفية فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى
والصغرى في القراآت وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والاصول وجمل الخونجي في المنطق
وبعض كتاب التسهيل وكثير من قوانين التعليم في انجالس فامتلأ محفوظي من ذلك وخدش وجه
الملكة التي استعدت لها بالحقول الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب فعاقد القريحه عن
بلوغها فنظر الى ساعة معجباً ثم قال لله أنت وهل يقول هذا الامثال ويظهر لك من هذا الفصل وما
تقروقه سر آخر وهو اعطاء السبب في أن كلام الاسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة واذا واقها
من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم فانا نجد سر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والخطبة

من قنع بكذب الثناء أظهر للناس رقايعه السكوت عن الا حق جوابه السكوت يزين الا حق والكلام يشينه من استطال عليك بلبسه
وتحلى بقضله فلا كثر الله في الناس مثله الجواد محبوب والبخيل مبغض اذا جلت البخيل مؤنة أبدى لك الحرمان والعداوة البخيل يمنع
ما عنده ويبخل على الجواد يجوده من طلب من البخيل حاجة فهو شرم منه من بذل لبخيل صلاته ورفع عنه مؤنته دامت له مودته ضيف
البخيل آمن من النخبة من طلب من لئيم حاجة كمن طلب السمك في المفازة عدة الكريم نقد عدة اللئيم تسويف الكريم يوامي
اخوانه في دولته واللئيم يقطعهم لا تخضع للئيم فانه لا يملك انما الصديق الذي يذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند البلية ويحفظك
عند الغيب ويتفعل عند الرجاء اذا صادقت الوزير فلا تخش الامير من لم ينحلك في الصداقة فعاده من غشك في العداوة فلا تلمه من كان

الناس عنه دسوا ولم يكن له أصدقاؤه من صادق الاخوان بالملك كاثرة بالغدر من لم يواس الاخوان في دولته خذل عنه دما منه اياك ان تبني مودة من يحسدك فانه لا يقبل اخاك من حسدك على علمك لم يستمع حديثك الحاسد يفرح بزلك ويعيب صوابك اذ ارايت من يحسدك ويسرك ان تسلم منه فم عليه امورك من صبر على مودة الكاذب فهو مثله وكل شيء شيء ومودة الكاذب لشيء من بدالك يحمله فكافئه يحملك نعمة اول المروعة طلاقة الوجه والثانية التودد والثالثة الفصاحة الفاجر لا يبالى ما قال والورع يتعاهد كلامه من شغل مشغولا فقد أظهر ثقله من صبر على شغل سوء فقد نظر الى سخنة عينه من لم يغلب الحزن بالصبر طال غمه من استطال على الناس بغير سلطان فلا يصبر على الذل والهوان لا تحقر (٣٧٦) الفقير السري ولا ترغب في الغنى الذي من تشبه بالمرأة وغلبت عليه الدناءة فلا تذكره

وجريرو القرزدق ونصيب وغيره لان ذى الرمة والاحوص وشارثم كلام السلف من العرب في الدولة الاموية وصدر من الدولة العباسية في خطبهم وترسلهم ومحاوراتهم للملوك ارفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلمة بن عبدو وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في منشورهم ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك ان هؤلاء الذين أدركوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثليهما الكونها ولجت في قلوبهم ونشأت على أساليبها فوسمهم فنضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية عن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليهم اذ كان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصفى رونقا من أولئك وأرصف مبني وأعدل تنقيها عما استفادوه من الكلام العالي الطبقة وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك ان كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة ولقد سألت يوما شيخنا الشريف أبا القاسم قاضي غرناطة لعهدنا وكان شيخ هذه الصناعة أخذ بسبحة عن جماعة من مشيختهم من تلاميذ الشلوبي واستبحر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية فيه فسأله يوما ما بال العرب الاسلاميين اعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين ولم يكن ليستنكر ذلك بذوقه فسكت طويلا ثم قال لي والله ما ادري فقلت اعرض عليك شيئا أظهر لي في ذلك ولعله السبب فيه وذكرته هذا الذي كتبت فسكت معجبا ثم قال لي يا فقيه هذا كلام من حقه ان يكتب بالذهب وكان من بعدها يؤثر محل ويصيح في مجالس التعليم الى قوتي ويشهد لي بالنباهة في العلوم والله خلق الانسان وعلمه البيان

٥٠ (فصل في ترفع اهل المراتب عن انتحال الشعر) *

(اعلم) ان الشاعر كان ديوانا للعرب فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم وكان رؤساء العرب منافسين فيه وكانوا يقفون بسوق عكاظ لا نشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر لتمييز حوله حتى انتهوا الى المناغاة في تعليق أشعارهم بآذان البيت المحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلمة بن عبدو والاعشى وغيرهم من أصحاب المعاني السبع فانه انما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبية ومكانه في مضر على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات ثم انصرف العرب عن ذلك أول الاسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي وما أدعاهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ثم استقر ذلك وانوس الرشيد من الملة ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظاره وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأتاب عليه فرجعوا حيث نزلوا في دينهم منه وكان

من اغضبته انكرته من أغنيته اعطفته من تعرض لصاحب الدولة انقلب بهزيمة من صانع بحاله لم يحشهم من طلب حاجته من صاحب الكتاب ملوه ومن عاداهم أنكره من شمع ابل بكافه وطمح بصره ولم يدخل عليك فضله فلم ين عليه سلمه السفيه يقطع مودة لم تزل ويكتسب عداوة لم تكن حمل المروعة ثقيل من سالم الناس غنم خذلان الجار لؤم ورجال البلاء قليل احفظ اخاك وانك تذلل اعداءك ما أجل الصبر على ما لا بد لك منه المحروم من طال نصبه وكان لغيره شبه لا قوى أقوى من قوى على نفسه ولا عاجز اعجز عن عجز عنها الخير في أهله غريب ما ضعف قوة من يغالب من لا يغالب (الباب الرابع والستون مشتمل على حكم مشنورة) *

اعلم ايها المر يدان الله تعالى يعجز أنبياءه واصفياءه باعدائه ويضطر أوليائه واحبائه الى أعدائه رفعة وتقربا لانبيائه وتحببهم لاهلهم عنده وزاني لديه تعظيمه لاقدارهم وتشريفهم وترفع الدرجات لهم قال الله سبحانه وتعالى تعز به لندبه محمد صلى الله عليه وسلم اعظم ما كان يلقاه من سطوات أعدائه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وشياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ومن المجرمين يا محمد لا تستوحش منا ولا تنهمنا في سيرة تافعين نجبه ويحبنا فالابلاء على وجهين احدهما الذنب والاخر رفع درجة وتوفير أجر ولذلك كان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالأفضل فالابلاء بلا أن بلاء درجة لتضعيف درجة وتحبص سيئة وبلوغ فضيلة وعلوم منزلة وبلاء عقوبة

لاتنالك حرمة واقتراف معصية لن تخلوا لكاره ان تكون لمحدث رجة فلا رغبة عما أنعم الله به منها وليس شيء من اضاعة فلا غنى عن زاجر عنه فلا ي ذلك كان حلوها عظمت به المنة ووجبت لله به النعمة (وكان جعفر بن محمد) (٣٧٧) رضي الله عنه اذا وقع في شيء يكره يقول اللهم اجعله ادبا ولا تجعله غضبا

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان المؤمن في رأس جبل لقبض الله له من يؤذيه يامن ضاق صدره وخرج قلبه وساء خلقه من عدواؤة له وحاسد حسده طيب نفسا وقرعينا وانعم عشا بشهادة الرسول الك بالايمن وعدوك بالنعاق ينجح ان عنتها أملك في الانبياء اسوة أملك في الصالحين قدوة فلو لم نلقى الله عز وجل من الحسنات الاعمال اقترفناه اختصارا للقينا الله تعالى فقرأ من الحسنات ثقلنا من السيئات قال الشاعر قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم قال بعض الحكماء الذي رأيت انما يحب فيما ذكره أكثر مما رأيت انما يحب فيما يحب وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما أهمني ذنب امهات بعده حتى أصب لي ركة من السجون قبور الاحياء وشعانة الاعداء وتجربة الاصدقاء واسعد الناس من كان القضاء له مساعدا

لعمري بن أبي زيعة كبير قریش لذلك العهد مقامات فيه عالية وطبقة مرتفعة وكان كثير ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه محببا ثم جاء من بعد ذلك الملك والدولة العزيزة وتقرّب اليهم العرب بأشعارهم عند حوزتهم بها ويحيزهم الخلق باعظم الجوائز على نسبة الجوده في أشعارهم ومكانهم من قومهم ويحرصون على استهداء أشعارهم يطلعون منها على الآثار والاختبار واللغة وشرف اللسان والعرب يطالبون وليد هم بحفظها ولم ينزل هذا الشأن أيام بني أمية وصدر من دولة بني العباس وانظر ما نقله صاحب العقد في مسامرة الرشيد للاصمعي في باب الشعر والشعراء تجد ما كان عليه الرشيد من المعرفة بذلك والرسوخ فيه والعناية بالتحال والتبصر بحيد الكلام وديته وكثرة محبة ووظفه منه ثم جاء خلق من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من أجل العجمة وتقصيرها باللسان وانما تعلموه صناعة ثم مدحوا بأشعارهم أمراء العجم الذين ليس اللسان لهم طالين معروفهم فقط لا سوى ذلك من الاغراض كما فعله حبيب والبحري والمقتبي وابن هانئ ومن بعدهم الى علم جراف صار غرض الشعر في الغالب انما هو الكذب والاستجداء لذهاب المنافع التي كانت فيه الاولين كما ذكرناه نفاد وانف منه لذلك أهل المهمل والمراتب من المتأخرين وتغير الحال وأصبح تعاطيه هجنة في الرياسة ومذمة لاهل المناصب الكبيرة والله مقلب الليل والنهار

٥١ * (فصل في أشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد) *

(اعلم) ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية او عجمية وقد كان في القرس شعراء في يونان كذلك وذكر منهم ارسطو في كتاب المنطق او مير وس الشاعر واثني عليه وكان في حمير ايضا شعراء متقدمون ولما فسد لسان مضر واغتهم التي دونت مقاييمها وقوانين اعرابها وفسدت اللغات من بعد بحسب ما خالطها وما زحها من العجمة فكانت تحيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مضر في الاعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات وكذلك المضر اهل الامصار نشأت فيهم لغة اخرى خالفت لسان مضر في الاعراب واكثر الاوضاع والتصاريف وخالفت ايضا لغة الجبل من العرب لهذا العهد واختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات اهل الاقاليم فلاهل الشرق وامصاره لغة غير لغة اهل المغرب وامصاره وتختلفهما ايضا لغة اهل الاندلس وامصاره ثم لما كان الشعر موجودا بالطبع في اهل كل لسان لان الموازين على نسبة واحدة في اعداد متحرركات والسواكن وتقابلها موجودة في طباع البشر فلم يهرش الشعر بقله ان لغة واحدة وم لغة مضر الذين كانوا فحولهم وفرسان ميدانه حس بما اشتهر بين اهل الخلق قبل كل جيل واهل كل لغة من العرب المستعجمين والمخضر اهل الامصار يتعاطون منه ما يطاوعهم في اتحاله ووصف ينائه على مهج كلامهم فاما العرب اهل هذا الجبل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعراض على ما كان عليه سلفهم المستعربون وياتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر واغراضه من النسيب والمدح والثناء والمجاء ويستطردون في الخروج من فن الى فن في الكلام وربما هجموا على المقصود لاول كلامهم وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون فاهل امصار المغرب من العرب يسعون هذه القصائد بالاصعيات نسبة الى الاصمعي رواية العرب في اشعارهم واهل المشرق من العرب يسعون هذا النوع من الشعر بالبدوى وربما يلحنون فيه الخنا بآسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ثم يغنون به ويسعون الغناء به باسم الخواري نسبة الى حوران من اطراف العراق والشام وهي من منازل العرب البادية ومساكنهم الى هذا العهد ولهم فن آخر كثير التداول في نظمهم يحثون به معصبا على أربعة اجزاء يخالف

(٤٨ - ابن خلدون) وكان لمساعدته اهلا غاب على الكريم من بدر اليه الشعلة ثلث عوام الناس عدة نحو اصهم محبي القدر يسبق الخدم من سحر من شيء حاق به من غير شيء ابتلى به الخلق نهب المصائب ماذا كره الرجال تلاحق لابلابها

أقل ما في طالب الحيلة الخروج من الاستكانة جاني العقوبة على نفسه اعظم جرما عليهم من المعاقبة له على اقرابة بغير منفعة بلمية عظيمة
النعمة منعمة كمالك أدباله فسك (٣٧٨) ما كرهته من غيرك الحجة شؤ بوب الجهل الانفة قوام السفة قل انك لم يعقب ذلا

آخرها الثلاثة في روية ويلتر من القافية الرابعة في كل بيت الى آخر القصيدة شبيها بالمرسع والخمس
الذي أحدثه المتأخرون من المولدين ولؤلؤ العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم القحول والمتأخرون
والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد وخصوصا علم اللسان يستند كرهذه القنون التي لم اذا سمعها وبيع
نظمهم اذا أنشد ويعتقد أن ذوقه انما نبأ عنها الاستحسانها وفقدان الاعراب منها وهذا انما أتى من فقدان
الملكة في لغتهم فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه لا غتثا ان كان سليما من الالفات
في فطرته ونظاره والا فلا عراب لا مدخل له في البلاغة انما البلاغة مطابقة الكلام المقصود ومقتضى
الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالا على الفاعل والنصب دالا على المفعول أو بالعكس وانما يدل
على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلىح عليه أهل الملكة فاذا عرف اصطلاح
في ملكة واشتهر صحت الدلالة واذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا مبرة
بقوانين النحاة في ذلك وأساليب الشعر وغنونه موجودة في أشعارهم هذه مع ادراكات الاعراب في أواخر
الكلام فان غالب كلماتهم موقوفة الاخر ويغير عندهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن
الكلام لا بحركات الاعراب فن أشعارهم على لسان الشريف بن هاشم يكي الحجازية بنت سرحان ويذكر
ظنهم مع قومها الى المغرب

قال الشريف بن هاشم على * ترى كبدى حراشكت من زفيرها
يعزل الالام أين مارات خاطرى * يرداء لام البدي يلقى عصيرها
وماذا شكات الروح عمار لها * عذاب ودائع تالف الله خيرها
بحسن قطاع عامرى ضميرها * طوى وهند جاني ذكيرها
وعادت كما خواره في يد غاسل * على مثل شوك الطلح عقدوا يسيرها
تجابدوها انسين والسنز بينهم * على شول لعه والمعافى جريها
وبانت دموع العين ذارقات لاشانها * شبيه دوار السواني يديرها
تدارك منها الحزم - ذراو رادها * مروان يحيى مترا كبا من صيرها
لصب من القيعان من جانب الصفا * عيون ولحمان البريق في غديرها
ها أيقنى منى سنايلت غدة * بغداد ناحت منى حتى فقيرها
ونادى المنادى بالرحيل وشدوا * وعرج غاربها على مستعيرها
وشد لها الادهم دياب بن غانم * على يدماضى وليد مقرب ميرها
وقال لهم حسن بن سرحان غربوا * وسوقوا التجوع ان كان تاهو غيرها
ويدلص وسدهسها بالتسامح * وباليمن لايجحدوا في صيرها
غدرنى زمان السقع من عباس الوغى * وما كان يرمى من حير وميرها
غدرنى وهو زعم صديقي وصاحبى * وناليه مامن درمى ما يديرها
ورجع يقول لهم بلاد بن هاشم * لمخير البالد المعطشة ما يجيرها
حرام على باب بغداد وأرضها * داخل ولا عائله من يعيرها
فصدق درمى من بلاد بن هاشم * على الشمس احوال العظام من هجيرها
وبانت نيران العذارى قوادح * بخر والبحر طان فيبروا أسيرها

الغادر كين لا يؤمن من
ازدحام الكلام مضلة
الصواب عجب لوالقري
قبل سوء الظن والحق
السبة أعجب ما في هذا
الانسان قلبه وله مواد من
الحكمة واضحة من
خلافها فان سمح له الرجاء
اذله الطمع وان هاج به
الطمع أهلكه الحرص
وان ملكه اليأس قتله
الاسف وان عرض له
الغضب اشتد به الغيظ
وان استعد بالرضا نسي
التحفظ وان ناله الخوف
شغله الخدو وان اتسع له
الامن استلبته الفرة وان
حدثت له نعمة اخذته
العزة وان امتحن بمصيبة
فضحه الجزع وان افاد
مالا اطاعه الغنى وان عصته
قافة أشغله البلاء وان
أجهده المجهود قعبه
الضعف وان أفرط في
الشمع كظنه البطنة فكل
تقصير به مضروكل افراط
له مفسد افضل القول
بديهة امرئ وردت في مقام
خوف اشد الناس غما
الذي يرى غيره في الموضع
الذي هو فيه او لا ما اخذ
الله طاقة احد الارفع عنه
طاعته من العجب ان لا
ترضى عن ابغى رضاك

وأعجب من ذلك ان تخط عليه زئير الاسد يشبه صولته علامة العلم العمل بالاعراض عند المذاهدة
لا تعادوا حتى تروا لا تفجروا حتى تفعلوا لا تأنفوا حتى تظلموا الوجه الشفاء برأه الساحة من لزم الحجة والاستقامة لزمه الغبطة والسلامة

قصص الاولين ومواظب الاخرون البحث يوضح الحق كما يورى النوار القدح ليس مع الحسد سرور ولا مع الحرص راحة ولا مع السخط غناء (قال جعفر بن محمد الصادق) عجبتم لمن يلى باربع كيف يغفل عن اربع (٣٧٩) لمن ابتلى بالضر كيف يذهب عنه

ان يقول مسنى الضر وانت
ارحم الراحمين والله تعالى
يقول فاستجبنا له فكشفنا
ما به من ضر وعجبتم لمن يلى
بالغم كيف يذهب عنه ان
يقول لا اله الا انت سبحانك
انى كنت من الظالمين والله
تعالى يقول فاستجبنا له
ونجيناك من الغم وكذلك
تنجي المؤمنين وعجبتم

لمن خاف شيئا كيف يذهب
عنه ان يقول حسبي الله ونعم
الوكيل والله تعالى يقول
فاتقوا الله وانعموا من الله وفضل
لم يمسسهم سوء وعجبتم
لمن مكر به كيف يذهب
عنه ان يقول واقض
امرى الى الله ان الله بصير
بالعباد والله تعالى يقول
فوقاه الله سمات ما مكروا
وعجبتم لمن انعم عليه بنعمة
خاف زوالها كيف يذهب
عنه ان يقول ولولا اذذخات

خنتك قلت ما شاء الله
لا قوة الا بالله كذا سمع الله
سبحانه فمن صدق في
التجائه اليه ولم يتوكل في
مهمات الاعلانية من
مأمة او مذمة الا لما ورد
منجاة من تلفة او قدوم
غائب بعد ان جاءت بالباس
منه الركايب واشهر المصادر
ظفر على قنوط الطبيعة
مخالفة للروية فاصبر لحق

ومن قولهم في رثاء امير زنادة ابنى سعد البقري مقارعهم بافر يقية وارض الزاب ورتاؤمهم له على جهة التمسك
تقول فتاة الحمى سعدى وهاضها * ولها في ظمونها الباكين عويل
اياسائل عن قبر الزناني خليفه * خذ النعمت منى لا تكون هبيل
تراه العالى الواردات وفوقه * من الربط عيساوى بناه طويل
وله ميل الفور من سائر النقا * به الوادى شرفا والبراع دليل
اياهلف كبدي على الزناني خليفه * قد كان لاعتقاب الجياد سليل
قتيل فى الهجاء دياب بن غانم * جراحه كافوا المزدت سليل
يا جاران مات الزناني خليفه * لا ترحل الا ان ير يد رحيل
وبالامس رحلتك ثلاثين مرة * وعشر اوستا فى النار قليل

ومن قولهم على لسان الشريف بن هاشم يذكر ما باوقع بينه وبين ماضى بن مقرب
تبدي لى ماضى الحميد وقال لى * اياشكر ما احناشى عليك رضاش
اياشكر عدى مابق وديننا * ورانا عريب عر بالابسين نماش
نحن عدينا فصادفوا ما قضى لنا * كما صادفت طعم الزناد طشاش
باعدينا يا شكر عدى لبرسلامه * لنجد دومان عر بلاده عاش
ان كانت بنت سيدهم بأرضهم * فى العرب ما ردنا لمن طباش
ومن قولهم في ذكر رحلتهم الى الغرب وغلبهم زنادة عليه

واى جميل ضاع على فى الشريف بن هاشم * واى جميل ضاع قبلى جميلها
انا كنت انا وياه فى زهو بيتنا * منانى كجبه ما عينا فى دليلها
وعدت كاني شارب من مدامة * من الخمر قهوة ما قدر من يميلها
او مثل شططامات مضيون كبدها * غريبا وهى مدوخه عن قبيلها
اتاه زمان السوء حتى ادوخت * وهى بين عرب غافلا عن نزيلها
كذلك انا مما لحسانى من الوحي * شاكى بكبد باديا من عليها
وامرت قومي بالرحيل وبكروا * وقوا وشداد الحوايا جميلها
قد دنا سبعة ايام محبوس نجعنا * والبعد ما ترفع عود قبيلها
تظل الى احداث الثنايا سوارى * يضل الحرف فوق التصاوى نصيلها

ومن شعر سلطان بن مظفر بن يحيى من الزواودة احدث بطون رياح واهل الرياسة فيهم يقولها وهو معتقل
بالمهدية فى سجن الامير ابي ذكرى ابن ابي حفص اول ملوك افر يقية من الموحدون

يقول وفى نوح الدجاجة ذذبة * حرام على ابقان عيني منامها
ايا من اتى خالف الوجه والاسى * وروحاها مى طال ما فى سقامها
ججازية بدوية عربية * عداوية ولها بعي دأرامها
مولعة بالبدول تألف القرى * سوا عابل الوعساوى الى خيامها
عمان ومشتهيا بها كل سرية * محبونة بها ولها صحب غرامها
ومر باعها عشب الاراضى من الحيا * لوانى من الحور الحلايا خسامها

جب عليك وان خالف هواك بهاء المجلس الشريف بالرجل الفاضل اليه بين راحة وروح العمل النافذ بالرجل المدبر كبراء الباقوت
واللؤلؤ فى تيجان الملوك ما انور الهدى ما انظم العمى ما اكرم التقى ما اخدع الهوى ما اسرع البلا ما اجلد الصبا الجودان يهضم الروح حظا

المجدد والاسراف ان يهضم الجسد حفظ الروح والعدل ان يعطى كل واحد منهم ما حظوا به والشخص ان تكشف خطيئتهم ما عندهم ما عدو يخاف الله
 فيما تذكره خير من صديق لا يخافه (٣٨٠) فيما تحب من العجب ان تطاب في صحة كل علم ما ينفقنا ونكمل العلم الى الله تعالى

من غير بحث عن صحته
 لا يترك الباطل مما ترمى
 به ولكن احذر ان يصدع
 عليك الحق فيشهد عليك
 عندك ووجهك من بطل
 وشاؤه بطل منحه الراغب
 فقير بقدر رغبته الحق
 يعطى ويمنع تجاوز عن
 ذنوب الناس لتنجيهم
 واجتنب الذنوب لتقل
 حجتهم عليك الفراغ الفاضل
 عن المحاسن مقسدة المحبة
 احدي العليين الفرق
 ينمي المحبة جاني العلية في
 كلامك وسوي بينهم وبين
 السفلة في احكامك موت
 في عزخير من حياة في ذل
 الا كفء من كل غلط
 متباغضون ما ضاع امرؤ
 عرف قدر نفسه الدعة
 الهنية تكون بعد انقضاء
 العمل لن يفارق الخير
 صاحبه حتى يفارقه خير
 الناس من تواضع عن
 رفعة وعقاعن قدرة الحاسد
 يظهر وده في كلامه وبغضه
 في افعاله فاسم الصديق
 ومعنى العدو الراء يعقد
 العلية والعجب بقصد
 عمل السيرة اذا كثرت
 القدرة قلت الشهوة من
 عرف قدره كغالب نفسه
 كفى بالظفر شفيها للاذنب
 الى الحليم اسان الجاهل

تسوق بسوق العين مما تداركت * عليها من السحب السواري غمامها
 وماذا بكت بالما وماذا تبلطت * عيون عذاري المزن عذابا جمامها
 كان عروس البكر لاحت ثيابها * عليها ومن نور الاقاصي خزامها
 فلاة ودهنا واتساع ومنه * ومرعى سوى ما في مراعي نعامها
 ومشر وبها من مخض ألبان شولها * عليهم ومن لحم الحواري طعامها
 تعاتب على الابواب والموقف الذي * يشيب الفتى مما يقاسي زحامها
 سقى الله ذا الرادى المشجر بالحيا * وبلا ويحيى ما بلى من رمامها
 فكافاتها بالود منى وليتي * ظفرت بأيام مضت في ركامها
 ليالى اقواس الصبا في سوا عدى * اذا قلت لا تخطى من أيدي سهامها
 وفرسى عديد تحت سر جي مسافة * زمان الصبا سر جابدى لجامها
 وكم من دراح أسهرتني ولم أرى * من الخلق أبهى من نظام ابتسامها
 وكم غيرها من كاعب مرجحة * مطرقة الاجفان باهى وشامها
 وصفقت من وجدى عليها طريحة * بكفى ولم ينسى جدامها ذمامها
 ونار يخطب الوجه دتوهج في الخشى * وتوجع لا يطغى من الماضرامها
 أيام وعدنى الوعد هذا الى متى * فنى العدم في دار عماري ظلامها
 ولكن رأيت الشمس تكسف ساعة * ويغنى عنها ثم يبرى غمامها
 بنود ورايات من السعدا قبلت * الينا بعون الله يهتد وعلامها
 أرى في القلابل العين أظعان عزوتى * ورعى على كفى وسيرى امامها
 بحجر عاتق النور من عود شامس * أحب بلاد الله عندى حشامها
 الى منزل بالجمعة قرية للذى * مقيم بها مالد عندى مقامها
 وتلقى سراة من هلال بن عامر * يزيل الصدا والغل عن سلامها
 بهم تضرب الامثال شرقا ومغربا * اذا قاتلوا قوم اسرىع انهمزامها
 عليهم ومن هو في حياهم تحية * من الدهر ما غنى بقبة حزامها
 فدع ذا ولا تأسف على سالف مضى * ترى الدنيا ما دامت لاحد دوامها

ومن اشعار المتأخرين منهم قول خالد بن خزيمة بن عرش شيخ الكعب من اولاد ابي اللبل يعاتب اقاتلهم اولاد
 مهمل ويحيب شاعرهم شبل بن مسكينة بن مهمل عن أبيات فخر عليهم فيها بقومه

يقول وذا قول المصاب الذى نشأ * قوارع قيعان يعانى صعاها
 يريح بها حادى المصاب اذا انتقى * فنونا من انشاد القوافي عرابها
 محبرة مختارة من نشادنا * تحدى بها تام الوشا ملتهاها
 مغرلة عن نافذ في غضونها * محكمة القيعان داني ودابها
 وهيمض يندكارى لها ياذوى الندى * قوارع من شبل وهذى جوابها
 اشبل جنبنا من حبك طرائفا * فراح يريح الموجه بين الغنابها
 نخرت ولم تقصر ولا انت عادى * سوى قلت في جهورها ما عابها

دليل حنقه لاطفر مع بنى ولا صفة مع منهم ولا نناء مع كبر ولا صداقة مع خب من لم يعرف قدره فاكفه
 نفسك احدى ما ردمنا خلف شهادة العقل قطع ظهري وأفسد الدين رجلا ن جاهل ناسك وعالم فاجر ذابده الناس الى جهله بينك

لقولك

وهذا ينظر الناس عن علمه بفسقه من قوى هو اضعف حزمه من ظهر غيظه قل كبدته كفى بالظلم طارد المنفعة وداعا للنقمة من قبل
صانك فقد باعك مروته الهدية تفقأ عين الحكيم عفو الراى خير من استكراه الفكر (٣٨١) من لم يؤمن بالقدر فقد كفر ومن
حمد الله فقد نخر ما كتب

بمثل الكبير من استغنى
بالله افتقر الناس اليه
التقصير يخلخل عن
الصواب الا فرط يعجزك
في الخطا ثلاث خصال
ما اجتماع الان في كريم حسن
الحضر واحتمال الزلة
وقلة المالة وكفى مخبرا عما
بقى ماضى وكفى عبرا
لذوى الابواب ماجربوا
التهاون بالمطوب اول
اسباب حرمانه الشبه ظلمة
ان يضيع امر وصواب
القول حتى يضيع صواب
العمل خير الامور ما سر
عاجله وحسنت عاقبته
لاشرف مع سوء ادب ولا بر
مع شح ولا اجتناب محرم مع
حرص ولا محبة مع زهو
بالجالة الفكر يستخرج
الراى المصيب ويحسن
التأني تدرك المطالب
وبالنصفة يكثر المنة واصولون
الفاشحة عارا لا بد وعقوبة
غدا الشمامسة تعقب الندامة
من سخرا بلى قال الله تعالى
ان تسخرروا منا فانا تسخر
منكم كما تسخرون اذا فقد
المنفعولون هلال المتجهلون
رب صيانة غرست من
لحظة وحر جنت من
لحظة ما شاهد على غائب
بادل من طرف على قلب

لقولك في أم المؤمنين بن حجرة * وحامى حماها عاديا فى حرايها
أما تـ لم انه قامها بعد مالتى * رصاص بنى يحيى وعلاق دابها
ثم ابان امل الامر يشمل خارق * وهل رأيت من جالو غنى واصطلى بها
شواهد طفاها أضرمت بعد طفيه ■ وأنسا طفاها حاسرا لا أهابها
واضرم بعد الطقية بين التي صحت ■ نهاسا الى بيت المنايفة دى بها
كما كان هو يطلب على داتجنت * رجال بنى كعب الذى يتقى بها
وليد اتعابتوا أنا أغنى لانتى * غنيت بعلاق التنا واغتصابها
على ونادفج بها كل مبضع * بالاسيا فنتاش العدا من رفاها
فان كانت الاملاك بغت عرايس * علينا باطراف القنا اختصابها
ولا نقرها الارهاق ودبل ■ وزرق السبايا والمظايار كباها
بني عنما نترضى الذل علة ■ تسير كالسنة الحناش انسلابها
وهى عالم بان المناسبات قبلها * بلاشك والدينا سريع انقلابها
ومنها فى وصف الظعائن

بظعن قطوع البید لا تخشى العدا * فتون بحربات مخوف جنبها
ترى العين فيها قل لشبل عرائف ■ وكل مهاة محتظيا ربابها
ترى أهلها غص الصباح أن يقها * بكل حلوب الجوف ماسد بابها
لها كل يوم فى الارامى قنائل * دور الفاجر المزوج عفا واصبابها
ومن قولهم فى الامثال المحكمية

وطلبك فى الممنوع منك سقاة * وصدك عن صدعك صواب
اذاريت ناسا يعلو واعنك بابهم * ظهـ ور المطايا يفتح الله باب
ومن قول شبل يذكر انتساب الكعوب الى برج

فشايب وشباب من اولاد برج * جميع البرايا تشكى من ضهادها
ومن قوله يعاتب اخوانه فى موالاة شيخ الموحدين ابى محمد بن تافرا كين المستبد بحجابة السلطان بنونس
على سلطانها مكفولة ابى اسحق ابن السلطان ابى يحيى وذلك فيما قرب من عصرنا
يقول بلا جهل فى الجود خالد * مقالة قـ وال وقال صواب
مقالة حيران بذهن ولم يكن ■ هر يحيا ولا فيما يقول ذهاب
تهجست معانابها لا الحاجة ■ ولا هرج ينقاد منه معاب
وليت بها كبدى وهى نعم صاحبه * خزينة فكر والحزين بصاب
تقومت بادى شرها عن ما رب ■ جرت من رجال فى القبيل فراب
بني كعب أدنى الاقرب بين لدننا * بنى عم منهم شايب وشباب
جرى عند فح الوطن منابضهم ■ مصافاة ود واتساع جناب
بعضهم ملناله عن خصمه ■ كما يعلموا قولى يقينه صاب
وبعضهم محروبو من بعض ملنكا * ضرابا وفى حراظهم كتاب

المال ما لا ينفع منه أفضل المال ما صين به العرض وبالأفضال تشرف الاقدار الذى يكون سببا لفساد نفسه اذ لم ينفسه عدوه
اودهره لا تعدين وديعة مالا المشهورة رقى الحريص كليب يعبر على الانسان اللسان وعلى المودة العيان لا شرف اعلى من الاسلام ولا كرم

أغلى من التقوى ولا شفيح أعنى من التوبة أولى الناس بأمر من حافظ عليه الخير موضوع لمن أراد موافقته عمل لله الرغبة مفتاح
الطاب ومطية الحسرة المحرص داع (٣٨٢) الى الحرمان التفضل بالحسنة ينفي السيئة المكافأة بالسيئة دخول فيها البغي سائق

الى الحين اصلاح الرمية
أنفع من كثرة الجنود حق
المذموم التائب وحق
المرحوم المعونة من الجهل
والجفاء اغهار الفرح عند
الحزون الحزون يحقد
على الفرح ويشكر للكتب
من ظل السلامة تدب افاعي
الآفات اعظم الناس
قدرا من لم يجعل الدنيا
لنفسه قدرا ما حدث محدث
بدعة الا ترك بها سنة
عزائم الامور خيارها
ومحدثاتها شرورها الملك
يكتسب من انفاقه والعامه
تنفق من تكسبها من أفنى
عمره في جمع المال مخافة
العدم فقد أشلم نفسه
للعدم (قال الشاعر)
ومن ينفق الساعات في
جمع ماله
مخافة فقر فالذي فعل
الفقر

من لم يقدر على جمع
القضاء فليكن فضائله
ترك الرذائل اذا لم تكن
لها تصلح فلا تكن ذبايا
تفسد اتصال بعض
العدو افضل من اهلاكه
من سعادة المرء ان يطول
عمره يرى في عدوه ما يسره
خير الكتب ما اذا أعاد
قارئه النظر فيه زاد حسنه
أو وقف على خيره أثقل

وبعضهم جانا جرحا تسبحت * خواطر منى للنزول وهاب
وبعضهم تظار فينا بسوة * نقهنا حتى ما عناه ساب
رجح ينتمى عما سقها قبيحه * مرارا وفي بعض المراتب هاب
وبعضهم وشاكي من او غاد قادر * غلق عنه في احكام السقايف باب
فصمناه عنه واقضى منه مورد * على كره مولى الباسقي ودياب
ونحن على دافى المدان طلب العسلا * لهم ما حططنا للفجور نقاب
وخزنا حى وطن بترشيش بعدما * نقهنا عليها سبعا ورقاب
ومهم ذمن الاملاك ما كان خارج * على احكام والى امرها له ناب
بردع قروم من قروم قبيلا * بنى كعب لا واهما الغريم وطاب
جربناهم من كل تأليف العدا * وقناهم عن كل قيد مناب
الى ان عادم لا كان فيهم بهمة * ربيها وخيراته عليه نصاب
وركبوا السبايا المثلثات من أهلها * ولبسوا من انواع الحرير ثياب
وساقوا المطايا باشر الانسواله * جباهير ما يغلو بها بحلاب
وكسبوا من اصناف السمايا ذخائر * ضخام لحزات الزمان تصاب
وعادوا نظير البرمكيين قبل دا * والا هلالا في زمان دياب
وكانوا لنا درعا لكل مهممة * الى ان بان من نار العدو شهاب
دخلوا الدار في جنح الظلام ولا اتقوا * ملامه ولا دار الكرام عتاب
كسوا الحى جلباب البهيم استره * وهم لودرو والبسوا قبيح جباب
لذلك منهم حابس مآدار القنا * ذهل حلى ان كان عقله غاب
يظن ظنه ونا ليس نحن باهلها * غنى يكن له في السماح شعاب
خطاهو ومن واتاه في سوطانه * بالاثبات من ظن القبايح عاب
فواعزوتى ان الفنى بو محمد * وهوب لاف بغير حساب
وبرحت الاوغاد منه وبجسبوا * بروحه ما يحيى بروح سحاب
جروا يطلبوا تحت السحاب شرائع * لاقوا كل ما يستأمله سراب
وهو لوعطى ما كان للرأى عارف * ولا كان في قلبه عطاء صواب
وان نحن مانس تاملوا عنه راحة * وانه باسهم التلاف مصاب
وان ما وطا ترشيش بضيق وسعها * عليه ويمشى بالقزوع لزاب
وانه منها عن قريب مفاصل * خروج عناز هو الها وقباب
وعن فائنات الطرف بيض غوانج * ربوا خلف استار وخلف حجاب
يتيه اذا تاهوا ويصعبوا اذا صبروا * بحسن قوانين وصوت رباب
يضلموه من عدم اليقين ورعيا * يطارح حتى ما كانه شاب
هم حازله زمه وطوع أوامر * ولذمه ما كول وطيب شراب
حرام على ابن تافرا كين مامضى * من الودال ما بديل بحراب

الاجال من اتسمت مروءة وقلت مقدرة استحى من الله بقدر قر به من عقله وأطعه بقدر حاجتك اليه وخفه
بقدر قدرته عليك واعصه بقدر نصرك على النار واعمل للدينا بقدر بقائك فيها واعمل للآخرة بقدر مقامك فيها الملك ينفق ليكتسب

والعامة تكتسب لتنفق الطاعة بقدر الفاقة بحس زوال النعم اذا زال معها التجمل اولى الامور بك اوجبها عليك الدنيا العاقبة
والشباب المحقة اذا قبل الاماسر به واذا اذبر صرح اذا عدل السلطان ملك قلوب (٣٨٣) الرصة واذا جادل بملك منهم الا الرياء

والنصنع الصدقة من سعة
وايدأمن تعول اذا أضرت
النوافل بالفرائض تركت
النوافل وقدمت الفرائض
قدر الرجل على قدره منته
وصدقته على قدر مر وعنه
وشجاعته على قدر انفته
وعفته على قدر غيرته
من اطاع الواشي ضيع
الصدق ومن جعل لنفسه
حظا من حسن الظن روح
قلبه شرم مال ما لزمك اثم
مكتسبه وحرمت منقعة
انفاقه رب مغبوط بليلة
قامت بوا كيه في آخرها
لا ترج خير من لا يرجو خيرا
ولا تأمن جانب من لا يأمن
جانبك تارك الطلب
ضجرا أرحى للعودة من
تاركه خور انمات الشهوات
الخايزي الخصومة تمرض
القلب أعم الاشياء نفعها
فقد الاشرار من استكنفى
الكفاة كفى الاعداء خير
مالك ما اغناك وخير
منه ما وفاقك صولة الكريم
سلمة ذنب أسد خير من
رأس كلب يجبهه العير
يقدي حافر الفرس من
استبد برأيه خفت وطأته
على اعدائه انما لك من
دينك ما أصـ لمحت به
مثواك من أمن الزمان
خانه ومن تعزز عليه اهانه

وان كان له عقل رجح وفطنة * يلجج في اليم الغريق غراب
وأما البـ دالابدها من فباعـل * كبرالى أن تبقى الرجال كباب
ويجـ مى بهما سوق علينا سـ لاعة * ويحماره وصف القنا وجعاب
ويسمى غـ لام طالب رجح ملكا * ندوما ولا يسمى صحج بناب
أياوا كلـ بن الحـ بز تبغوا ادامـه * غاطتوا أدمتوا في السموم لباب
ومن شـ عر على بن عمر بن ابراهيم من رؤساء بني عامر لهذا العهد أحد بطون زغبة يعاتب بنى عمه المتطاولين
الى رياسته
مـبرة كـ الدرفى يدصانع * اذا كان في سـ لك الحـ ير نظام
اباحها منها فـه أسباب ماضى * وشاء تبارك والضـ عون تسام
غدا منه لام الحى حين وانشطت * عصاها ولا صينا عليه حـ كـام
ولكن ضميرى يوم بأن بهم الينا * تبرم على شـ وكـ القناديرام
والا كابر اص التهامى قـ وادح * وبين عواج الكـ انفات ضرام
والا لكان القلب فى يد قابض * أناهـ مـ منشار القـ طيع غشام
لما قلت سـ مان شفا البين زارنى * اذا كان ينسدى بالقـ راق وفخام
ألا ياربوع كان بالامس عامر * يحيى وحـ له والقـ طين لمام
وغـ بدتداني لافطافى ملاعب * دجى الليل فيهم ساهـ ر ونيام
ونعم يشوف الناظرين التهامها * لنا ما يدان مهرق وكـ كظام
وعر ودبـ سـ هـ البـ دعو لسـ بها * واطـ لاق من شرب المها ونعام
واليوم ما فيها سوى اليوم حولها * ينـ وح على اطـ لال لها وخيام
وقفنا بها طوطو ولا نسالها * بعـ ين سـ خـ فـا والدموع سـ حـام
ولا صـ لى منها سوى وحش خاطرى * وسـ قـ مى من أسباب ان عرفت او هام
ومن بعد ذاتى لنصو ربوعى * سـ لام ومن بعد السلام سـ لام
وقـ ولواله يا بولوف كـ رايـكم * دخلتم بحـ و رغامات دهـام
زواخر ما تنقاس بالـ ود انما * لها سـ لـ ات على الفضاوا كام
ولا قـ سـ متوافيقها قياسا يدلكم * وليس البـ و والطاميات تعام
وعناو على هـ كاتكم فى ورودها * من الناس عدمان العقول اثم
أبا عزوة ركبوا الضـ الالة ولا هم * قـ رار ولا دنيا لهـ من دوام
الاعناهمـ مو لو ترى كيف رأيتهم * مثل سرور فلاهـ مـ من تمام
خـ لوالقناو بقوا فى مرقب العلا * مواضع ما هـ بالهـ مـ مقام
وحق النـ والبيت واركانه الذى * وما زارها فى كل دهر وعام
لـ لىالى فى هـ ان طالت الحـ ما * يذوقون من نخط الكساع مدام
ولا برها تبقى البوا دى عوا كف * بكل ردني مطرب وحسام
وكل مسافه كـ السداياه عابر * عليها من اولاد الكرام غـ لام
وكل كـ يت يكتمه عص نابه * يطلـ بصارع فى العنان لجام

كما يجب أن تكون المرأة أضواء من الناظر فيها كذلك يجب ان يكون المؤدب أفضل من يؤدب من ترك العمل بما ينبغي عومل بما
لا ينبغي ليس في الشراسوة ولا في الخطا قدوة ان تكون لله ناصحا حتى تحب عدوك اذا اطاع الله في عداوته وتقلع عما

عاداك عليه وتبعه وليك اذا عصى الله في مواليتك وتزع عما والاك عابه لا تكن على الاساءة اقوى منك على الاحسان الشقي من جمع لغيره وضيق على نفسه (٣٨٤) شر اخلاق الكريم أن يمنع خيره من كانت الاخرة رأس ماله كانت الدنيا ربحه ومن كانت

وتحمل بنا الارض العقيمة مدة * وتولدنا من كل ضيق كظام
بالابطال والقود الهجان وبالقنا * لها وقت جنات البدور فظام
أفجى دنى وانا عقب ذنقة ودها * وفي سن ربحي للعروب علام
ونحن كاضر اس المواقى بنجهم * حتى يقاضوا من ديون غرام
متى كان يوم القسط بامير ابو على * يلقى سعايا صايرين قد دام
كذلك بوجه والى اليسر ابتغاه * وخلى الجهاد العالمات تسام
وخلى رجالا لا يرى الضيم جارهم * ولا يحجموا بدهى العبد وزمان
الايقى موما وعقد دثوسم * وهم عذر عنه دأنا ودوام
وكم نار طعننا على البدو سابق * ما بين صحاصح وما بين حسام
فنى نار قطار الصوى يومنا على * اننا ارض ترك الطاعة بين زمان
وكم ذايحيبوا اثرها من غنيمة * حليف النبا سماع كل غيام
وان جافا جفوه الملوكة ووسعوا * غدا طبعه يحيدى عليه قيام
عليكم سلام الله من لسن فاهم * ما غنت الورقا وناح حسام
ومن شعر عرب غر بنوا حى حوران لاراة قتل زوجها فبعثت الى اخلافه من قيس تغريهم بطاب تاره تقول
تقول فتاة الحى أم سلامه * بعين أراع الله من لارثى لها
تيت بطول الليل ما نالف الكرى * موجهة كان الشقاقى مجالها
على ماجرى فى دارها وبوعيا لها * بلحظة عين البين غير حالها
فقد تاوى شهاب الدين يا قيس كلهم * ونموا عن أخذ النار ما دام قالها
أناقات اذا ورد الكتاب يسرى * ويبردم نيران قلبي ذبالها
أياحين تسريح الذوائب واللى * ويبض العذارى ما حيت واهالها

(الموشحات والازجال للاندلس)

وأما أهل الاندلس فلما كثر الشعر فى قطرهم وتهدبت مناحيه وفنونه وبلغ التتميق فيه الغاية استحدث
المتأخرون منهم فنما منه سموه بالموشح ينظمونه أسماط السماط واغصانا اغصانا يكثرون منها ومن
اعار بضها المختلفة ويسمون المتعد منها بيتا واحدا ويلتزمون عند قوافى تلك الاغصان واوزانها امتتاليا
فيما بعد الى آخر القطعة واكثر ما انتهى عندهم الى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على اغصان عددها
بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كناية على القصائد وتجاروا فى ذلك الى الغاية
واستظرفه الناس بجملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع له ابجزيرة الاندلس
مقدم بن معافر القربرى من شعراء الامير عبد الله بن محمد المرورى واخذ ذلك عنه ابو عبد الله أحمد بن
عبدربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر له ما مع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاته ما فسا كان أول من برع فى
هذا الشأن عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمداح صاحب المرية وقد ذكره الاصل البطلوسى انه سمع أبابكر

ابن زهير يقول كل الوساخين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله
بدرتم * شمس ضحا * غصن نقا * مسك شم
ما تم * ما أوضحا * ما اورقا * ما أنم
لاجرم * من لحا * قد عشقا * قد حرم

الدنيا رأس ماله كانت
الاخرة خسارته أفضل
العلم وقوف الرجل عند
علمه أفضل المال ما قضيت
به الحق وق البدع فخاخ
محبوة قد علقت عليها
ألفاظ طاهرة رحاء العامة
أمنية على ضلالة ورجاء
الخاصة يقين على ثقة
القليل من الملك كالكثيرة
من غيره عطاء الملوكة زينة
وسؤلهم شرف وفى الامثال
جاور بجرأ أوملا كالذا
كذب السفير بطل التدبير
أخبث الأزمنة زمن
لا يتميز فيه الصواب لا تعطوا
فى الفضول ما خفتم العجز
عن الحقوق الاذان أقصاع
تؤدى والقلوب قوابل
تعى من أحب أن يسمى
داهيا لم يظهر دماه لا دليل
أهدى من التوفيق الحلاء
البلاء من عرض نفسه
للتهم فلا يلومن من أساء به
الظن الحفظ قى دالعلم
المدرسة اذ كاه القهم
المقايسة احياء الفطن
استدم النعمة بالشكر
والقدرة بالعفو والطاعة
بالتأليف والنصرياتواصل
لله والرحمة للخلق استقلال
الكثير تعرض للتغيير
ثلاثة أشياء تدل على
عقول أربابها الكتاب يدل

على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديه الم يحكم على العقول حاكم وزعوا
كالعبر ولم يحكمها الحكم كالنجرية من عاب سئلة فقد رفعه ومن عاب سيدا فقه وضع نفسه أحق الناس أن يؤمن على الدنيا أهل الاخرة

صح من صحت سريره وسقم من سقمته ظواهره بالكلية يعرف فضل العلم كماله رسول يعرف قدر المرسل ملاك أموركم الدين
وعصمةكم التقوى وزينتكم الادب وحصن أعراضكم الحلم اذا أعطيت ما لا ترضى فارض (٣٨٥) بما أعطيت كلما ازداد الخير

وزعموا انه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف * وجاءه صليبا خلفه منهم ابن
ارفع راس شاعر المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة قال لو قد أحسن في ابتدائه في موشحته التي طارت له
حيث يقول العود قد ترنم * بابتدع تلحين * وسقت المذائب * رياض البساتين
وفي انتهائه حيث يقول

تخطر ولا تسلم * عسال المأمون * مروع الكائب * يحيى بن ذى النون
ثم جاءت الحيلة التي كانت في دولة المأمون فظهرت لهم البدائع وسابق فرسان حليتهم الاعلى الطليطلى ثم
يحيى بن بتي ولطليطلى من الموشحات المهدبة قوله

كيف السبيل الى * صبرى وفي المعالم اشجان
والركب في وسط الفلا * بالخرد والنوام قدبان
وذ كر غير واحد من المشايخ ان أهل هذا الشأن بالاندلس يذكرون ان جماعة من الوشاحين احتما في
مجلس بشيبيبة وكان كل واحد منهم - ماصطنع - وشحة وتأتق فيها فتقدم الاعلى الطليطلى للانشاد فلما
افتتح موشحته المشهورة بقوله

صاحك عن جان * سافر عن در * ضاق عنه الزمان * وحواه صدى
صرف ابن بتي موشحته وتبعه الباقيون وذكر الاعلى البطلوسي انه سمع ابن زهير يقول ما حدثت قط وشاحا
على قول الابن بتي حين وقع له

أما ترى أحمد * في مجده العالى لا يلقى * أطلعه الغرب * فارنا مثله يامشرق
وكان في عصرهما على الموشحين المطبوعين أبو بكر الأبيض وكان في عصره - ما أيضا الحكيم أبو بكر بن
باجة صاحب الثلاثين المعروفة ومن الحكمايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلوت
صاحب سر قسطة فالتقى على بعض قينانه موشحته

جر الذيل أيماجر * وصل الشكر منك بالشكر
فطرب الممدوح لذلك فلما ختمها بقوله

عقد الله راية النصر * لامير العلاءى بكر
فلما طرقت ذلك التلحين سمع ابن تيفلوت صاح واطرب باه وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وما ختمت
وحلف بالايمن المغاظة لا يمسي ابن باجة الى داره الا على الذهب خفاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بان
جعل ذهباً في نعله ومشى عليه * وذ كر أبو الخطاب بن زهر أنه جرى في مجلس أبي بكر بن زهر - يرذ كر أبى بكر
الأبيض الوشاح المتقدم الذ كر فغص منه بعض الحاضر بن فقال كيف تغص عن يقول

مالذي شرب راح * على رياض الافاح * لولا هضم الوشاح * اذا أسى في الصباح
أوفى الاصيل * أضحى يقول * مالش - مول * اطمت خدى
وللش - مال * هبت فالى * غصن اعتدال * ضمه بردى
ع - ابادال - لوبا * يمسي لنام - تريما * بالحظه رنوبا * وبالماء الشنبيا
برد غليل * صب عليه * لايس - تحيل * فيه عن عهدى
ولايس - زال * فى كل حال * يرجو - والوصال * وه - وفى الصد
واشتهر بعده هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبى الفضل بن شرف قال الحسن بن دويده رأيت حاتم

(٤٩ - ابن خلدون) صنع معك خير فافضعه له والافلا تجحزان تكون مثله الاشجار يتبعون مساوى الناس ويعقلون
من محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع المغلة من الجسد ويدع صحيحه الظرف فطنة ما رجتها عبادة مع حذر وتوق فاذا خلت القطنة من

التوفي فصاحبها لا يستمتع به أهل المروءة وإذا دخلت الفتنة من العبادة وقارنتها فصاحبة فصاحبها غير طيب الظرف الالفاظ التي يرتفع عنها أهل الجلالة من الخاضعين (٣٨٦) في باطن الدنيا والمترفين في ظاهرها (الحال) (وسمعت القاضي) أبا العباس الجرجاني رحمه الله

بالبصرة يقول أول من
نطق بهذه الكلمة عمر بن
الخطاب رضي الله عنه
وذلك أنه أتى بسارق فقال
له أشرقت قل لا فقال الرجل
لا فقال عمر أنك لظريف
جهد البلاء الاقلال والاعمال
يشغى للعالم أن يتطامن
للجاهل بقدر ما رفعه الله
عليه العقل أفقر إلى
الحكمة والادب من الجسد
إلى الطعام والشراب أعظم
الناس غما من زالت نعمته
بعثت شهوته وضاعت
مقدرة قلة العيال أحد
الناس من معالحة الموجود
خير من انتظار المفقود من
عدم الحياء عند الفضيحة
والصبر عند النصيحة سهوات
عليه المعاصي كلها العالم مثل
السراج من مر به اقتبس
منه من تقدم بحسن
النبي نصره التوفيق
إن تكون لله صاحبا حتى
تحب أن يكون عدوك
مطيعا من آذى الناس
بلاسلطان كان مصيره
إلى الهوان ما دخلت عا
ليس فيك مخاطب لغيرك
فجوابه وثوابه ساقدان
عندك المكر والخديعة
في النار الأحداث تأتي من
على ما منه يوثق المحذر
المأكول للبدن والموهوب
للمعاد والمفوظ للعدو من

ابن سعيد على هذا الافتنا
وابن بهرودس الذي له
وابن موهل الذي له

شمس قاربت بدرا * راح ونديم
باليلة الوصل والسعود * بالله عودي
ما العبد في حلة وطاق * وشم طيب
وانما العبد في التلاقي * مع الحبيب

وأبو اسحق الرويني قال ابن سعيد سمعت أبا الحسن بن سهل بن مالك يقول انه دخل على ابن زهير وقد أسن
وعليه زى البادية إذ كان يسكن بحصن أسننه فلم يعرفه فجلس حيث انتهى به المجلس وجرحت المحاضرة
فانشد لنفسه موشحة وقع فيها كحل الدجى يحرق * من مقلعة الفجر * على الصباح

ومع صم النهر * في حلال خضر * من البطاح
فحكرك ابن زهير وقال أنت تقول هذا قال اختر قال ومن تكون فعرفه فقال ارتفع فوالله ما عرفتك قال
ابن سعيد وسابق الحيلة التي أدركت هؤلاء أبو بكر بن زهير وقد شرفت موشحاته وغربت قال وسمعت
أبا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهير لو قيل لك ما أبدع وأرفع ما وقع لك في التوشيح قال كنت
أقول

مالا له وله * من سكره لا يفيق * ياله سكرانا
من غير خمر * مال لك كئيب المشوق * يندب الاوطانا
هل تستعاد * أيا منى بالخليج * وليا لندى
أونس تفاد * من النسيم الاريح * مسك دارينا
وادي كاد * حسن المكان البهيج * أن يحبينا
ونهر ظله * دوح عليه أنيق * مـ ورق فينان
والماء يجري * وعائم وغريق * من جنى الريحان

واشتهر بهدا بن حيون الذي له من الزجل المشهور قوله

تفوق بينهم كل حيين * بماسب من يدوعين
علقت ملج علمت رامي * فليس يخل ساع من قتال
ويعمل بذى العيين منامى * ما يعمل فينا بذى النـمال

وينشد في القصيد

واشتهر معهم ما يومئذ بغرناطة المهر بن القرس قال ابن سعيد ولما سمع ابن زهير قوله

لله ما كان من يوم يـحج * بنهر حص على تلك المروج * ثم انعطفتا على فم الخليج
نقض في حانه مسك الختام * عن عبيد زانه ضافي المدام * ورد الاصيل ضمه كف الظلام

قال ابن زهير كنا نحن عند هذا الردها وكان معه في بلدته مطرف * أخبر ابن سعيد عن والده ان مطرفا هـ ذا
دخل على ابن القرس فقام له وأكرمه فقال لا تفعل فقال ابن القرس كيف لا أقوم لمن يقول
قلوب مصائب * بالمخاط تصيب * فقل كيف يبقى بلا وجد

وبعد هذا ابن جرهمون بمرسية * ذكر ابن الراسين ان يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه فانشده موشحة
لنفسه فقال له ابن جرهمون لا يكون الموشح موشح حتى يكون عاريا عن التكاف قال على مثل ماذا قال على
سئل قولي

ياهاجرى هل الى الوصال * منك سبيل
أوهل ترى عن هوأ سالى * قلب العليل

وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة قال ابن سعيد كان والدى يحب بقوله

غضب على من لا يقدر على غمه عذب نفسه واشتد غيظه اطلب ما يعينك واترك ما لا يعينك فان في ترك ما لا يعينك ان
درك ما يعينك من انك لا تعاديه كل آت قريب الاستغناء عن الشيء خير من الاستغناء به ومن خير خبر ان

تسبح بالمطر لا تخف زولا ولا غنى فيما لا يبقى شر العيوب ما كان معينا على العيوب شر الذنوب ما كان علة للذنوب أبلغ الرسل الكتب
حاول الأمور بالنفقة وأنارهم الك بالظفر من أراد جلالا لتهمة الايام فليحجب (٣٨٧) المروعة والصباية فهم ماذرة الشرف

رب أمره ما بعده من سبق
الملك كان له صقوة من
شر وط المروعة التغاين
للضعيف المروعة ترك
الريبة يكاد استضاء القوي
على الضعيف أن يكون
ظلمة يكاد استضاء الغنى
من الضعيف أن يكون
جود القرآن ظاهرة أنقى
و باطنه عميق أوله حكم
و آخره علم لم المحادثة على
الطعام تزيد في الشهوة
وتذهب المحشمة وتزيل
الانقباض ان تنال ماتحب
حتى تصبر على كثير مما
تكبره وان تجوع مما تكبره
حتى تصبر عن كثير مما تحب
ذهاب البصر خير من كثير
من النظر لا تعد العزم
عزما إذا ساق غمام الرأى
الاول الوهم النظرة بعد
النظرة تعقب لما قبلها
وتزيد لما بعدها ليس
مدح الرجل بما فيه تركية
أنعم الناس من كفى أمر دنياه
ولم يمه دينه الغريب من
فقد أخوانه ونظراؤه وان
كان في وطنه الغريب من
لا صدق له الغريب
الفقير الغريب الاحق
الغريب من لا ناصر له
شأن لا يستحق العاقل
منهم المرض وذو القرابة
الفقير من كانت الدنيا

ان سيل الصباح في الشرق * عاد بحر في اجمع الافق * فتداعت نوادب الورق
أترها خافت من الغرق * فبكّت سحرة على الورق
واشتهر بأشبهية لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والده سمعت سهيل بن مالك يقول
يا ابن الفضل الملك على الوساخين الفضل يقول

واحسر الزمان مضي * عشية بان الهوى وانقضى * وأفردت بالرغم لا بالرضى
وبت على جرات الغضى * أعانق بالفكر تلك الطلول * وأثم بالوهم تلك الرسوم
قال وسمعت أبا بكر بن الصابوني ينشد الاستاذ أبا الحسن الزجاج وشجاعة غير مامرة فما سمعته يقول له لله
دوك الأفي قوله
قسم بالهوى لذى حجر * مالميل مشوق من فجر
نجد الصبح ليس بطرد * مالميل فيما أنطن غد * صحح بالليل انك الابد
أو قطعت قـ وادم النسر * فنجوم السماء لا تسرى
ومن موشحات ابن الصابوني قوله

ما حال صب ذي ضنى واكتئاب * أمرضه يا ويلته الطبيب
عام له محبة وبه باجتناب * ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
جفا جفوني النوم لكنتى * لم أبكه الا لفة دالحبال
وذا الوصال اليوم قد غدرنى * منه كما شاء وساء الوصال
فلسيت باللائم من صدنى * بصـ ورة المحنى ولا بالمثال
واشتهر بين أهل المدونة ابن خلف الجزائرى صاحب الموشحة المشهورة
يد الاصباح قد قدحت * زناد الانوار * فى مجامر الزهر
وابن هزرا الجاني وله من موشحة نثر الزمان موافق * حياك منه باباسام
ومن محاسن الموشحات للتأخرين موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبقة من بعدها فنقول
هل درى ظبي الحى أن قد حى * قلب صب حله عن مكس
فهـ وفي نار وضيق مثل ما * لعبت ربح الصبا بالقبس
وقد نسج على منواله فيما اصاحبه الوزير ابو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب لعصره وقد مر
ذكره فقال

جادك الغيث اذا الغيث هما * يا زمان الوصل بالاندلس * لم يكن وصالك الاحلاما
فى الكرى أو خلسة الخناس * اذ يقول الدهر اسباب المني * تتقل الخطو على مات رسم
زما بين فـ رادى وثنى * مثل ما يدعولوفود الموسم * والحيا قد جلل الروض سنا
فسنا الازهار فيه تبسم * وروى النعمان عن ماء السماء * كيف يروى مالك عن أنس
فكساه الحسن ثوبا معلما * يزدهى منه باهى ملبس * فى ليال كتبت سر الهوى
بالدجى لولا شعوس القدر * مال نجم الكاس فيها وهوى * مستقيم السير سعد الاثر
وطر ما فيه من عيب سوى * انه مر كـ لمع البصر * حين لذنوم منا أو كما
هجم الصبح نجوم المحرس * غارت الشهب بناور بما * أثرت فينا عبون التبرجس
أى شئ لا مرئى قد خلاصا * فيكون الروض قد كن فيه * تهب الازهار فيه القرصا

سبب صلته فانها سبب قطيعته فاحذر ان تجعلها أوسيطا بينك وبين أحد علامة الاشرار أن من خاطبهم لا يسلم منهم ومن تركهم لا يصرفوا
شهرهم عنه وأما الاخبار فمن خاطبهم ربح عليهم ومن غلطهم ترك رشده البر ثلاثة الصدق فى الغضب والجود فى العفو عند القدرة

من عتب على الزمان طالت معتبه ستساق الى كل ما أنت لاق اذا صاحب الارتداد الرشاد وجد المراد ما اعتق من الذم من مله كنه الجهل ولا ظفر بالعزيز من احتمال ما في المعصية (٣٨٨) من الذل ولا خرج من الدنافة من صرف جميع عقله الى الدنيا اخو الظلماء مريب

المسئلة آخر المكسبة ما عد
من اهل الحجي من كان
من اهل الهوى ولا كان
من اهل التقى من حاد عن
سبيل الهدى من ذم أدنى
الاحسان لا امتناع أقصاه
لم يحمدش آمنه من دواعي
الهلكة اضاعة المعرفة
واجبا لمن ينبي داره وجهه
يهدم ولان يهرم أمور الدنيا
وأموره في نفسه تختل قال
على رضى الله عنه من لم
يكن معنسا كان علمنا
والساكت أخو الراضى
السكاتم لا علم لمن لا علم له
أوهو غرير واثق فيه
بالصواب المره مخبوء تحت
لسانه قيمة كل امرئ
ما يحسن العلم بما في المصيبة
من الثواب ينسى المصيبة
شر من المصيبة سوء الخلق
منها الحكمة ربيع القلوب
المخصوصة تكشف العورة
وتورث المعرفة بلا المؤمن
من عاقبته كالنار حرقها
من نورها قد يكون اليأس
ادرا كا اذا كان الطمع
هلا كما من لم يرفع نفسه عن
قدرا الجاهل رفع الجاهل
قدره عليه الذلة مع القلة
تجوع الحريرة ولا تأكل
بشديها موت عاجل خير
من ضنى آجل الغضب
عند المناظرة منساة للحيجة

أمنت من مكره ما تنقيه * فاذا الماء تنجى والحصا * وخلا كل خليل باخيه
تبصر الورد غيورا بدما * يكتسى من غبطة ما يكتسى * وترى الآس ليما فهو ما
يسرق الدمع بادنى فرس * يا أهيل الحى من وادى الغضى * وبقي ما مسكن أنتم به
ضاق عن وحديكم رحب القضاء * لا أبالي شرقه من غربه * فاعيدوا عهد أنس قدمضى
تقدوا عائدكم من كربه * واتقوا الله واحبوا مغرما * يتهلاشى نفسه في نفس
حبس القلب عليه كم كرها * افترضون خراب الحبس * وبقي فيكم ومقرب
باحديث المنى وهو بعيد * قرطاطع منه المغرب * شقوة المغررى به وهو سعيد
قد تساوى محسن أو مذبذب * فى هواه بين وعد ووعيد * ساحر المقلة معسول الهمى
جال فى النفس مجال النفس * سدد السهم وسعى ورمى * بقوادى نهبته المفترس
ان يكن جار وخاب الامل * وفؤاد الصب بالشوق يذوب * فهو للنفس حبيب أول
ليس فى الحب محبوب ذنوب * أمره معتمل ممتل * فى ضلوع قدبرها وقلوب
حكم المحظ بها فاحتكا * لم يراقب فى ضعاف الانفس * ينصف المظلوم من ظلما
ويجازى البر منها والمسى * ماله لى كماله صبا * عاده عيدين الشوق جديد
كان فى اللوح له مكتبا * قوله ان عذائى لشديد * جاب الهم له والوصيا
فهو للاشجان فى جهد جهيد * لا عج فى أضلعي قد أضرم * فهى نار فى هشم البس
لم تدع من مهجتي الا الذما * كبقاء الصبغ بعد الغلس * سلمى يا نفس فى حكم القضا
واعمرى الوقت برجى ومتاب * واتركى ذكرى زمان قد مضى * بين عني قد تقضت وعتاب
واصر فى القول الى المولى الرضى * ملهم التوفيق فى أم الكتاب * الكريم المنتهى والمنتهى
اسد المرح وبدر المجلس * ينزل النصر عليه مثل ما * ينزل الوحي بروح القدس
وأما المشاركة فالتكاف ظاهر على ما عانوه من الموشحات ومن احسن ما وقع لهم فى ذلك موشحة ابن سنا
الملك المصرى اشتهرت شرفا وغر با وأولها

يا حبيبي ارفع حجاب النور * عن العذار
تنظر المسك على الكافور * فى جلتار

كللى يا سحبت تيجان الربى بالحملى * واجعلى سوارها من عطف الجدول
ولما شاع فن التوشيح فى أهل الاندلس واخذ به الج * ورأسلاسته وتغميق كلامه وترصيع اجزائه نسجت
العامه من أهل الامصار على منواله ونظمه وافى طريقته بالغتهم المحضرية من غيران يلتزموا فيه اعرابا
واستحدثوه فناسموه بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم الى هذا العهد فخاؤا فيه بالغرائب واتسع فيه
للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستحمة * وأول من ابدع فى هذه الطريقة الزجلية ابو بكر بن قرمان وان
كانت قببات قبله بالاندلس لكن لم يظهر حلاها ولا انسبكت معانيها واشتهرت وشافتها الا فى زمانه وكان
لعهده الملمين وهو امام الزجالين على الاطلاق قال ابن سعيدي ورايت أنجاله حروبه بيبغدادا كثر عماريتها
بحواضر المغرب قال وصحبت ابا الحسن بن جندر الاشبلى امام الزجالين فى عصرنا يقول ما وقع لاحد من أئمة
هذا الشأن مثل ما وقع لابن قرمان شيخ الصناعة وقد خرج الى منتره مع بعض اصحابه فجلسوا تحت عريش
وامامهم تمثال اسد من رخام يصب المساء من فيه على صفائح من الحجر مدرجة فقال

الاختصارا ثبت لتكلم وأفهم للسامع المكاب فى المحاضرة ينبج الضيف ويدفع الزائر ويرد السائل وعريش
والكباب فى البادية يعين صاحب وينذر بالضيف ويدفع السارق لا تغتر بقول الجاهل المان فى يدك لؤلؤة وانت تعلم انها بيرة

مثل الصلابة مع سائر العبادات مثل السفينة مع جميع من فيها ان سلمت سلم الكل وان أصيبت أصيبت الكل الحب والبغض فتنه
طالب المطمع خرم وطالب المأوى يسر عجز قد ينظر المنطق من يعنى به اذا فسد الزمان (٣٨٩) كسدت الفضائل وضرت

ونفقت الرذائل ونفقت
وصار خوف المومنين أكثر
من خوف المعسر لقاء اهل
الخبر عمارة القلوب لا يصيد
الكثير من لا يصيد لنفسه
الواحدة بالعلم يمحسن
المنطق وبالقوة يتم العمل
الفكرة مرآة من أعظم الناس
من قل ماله وكثر محبه
الأدب مع العقل كالشجرة
المثمرة والعقل بلا أدب
كالرجل النقيم المساءلين
من القول والقلب أقسى من
الحجر وقد يلم المساءل الحجر اذا
كثرت أخطاؤه عليه أشد الأشياء
إخفاء الغافاة أولى الناس
بالرحمة عالم يجرى عليه حكم
جاهل لم يغيب من شهد رأيه
ولم يقن من بقي أثره ولم يمت
من خلفه علمه وقد سبق
المثل ليس به الله من ترك
مثل مالك كما أنه قبيل اذا
ركبنا الخيل أن تجري بنا
حيث أرادت دون أن
نديرها كذلك قبيل أن
يجرى البدن والنفس
بالعقل حيث أرادت من
الشهوات اشق الأمور
معرفة المرء بنفسه عائب
الاجتماع عليه محجوج ليس
شيء من البر الا ودونه عقبة
من الصبر ضرب الانسان
عاري باق وتزمن مطلوب

وعر يش قد قام على دكان ■ بحال رواق
واسد قد ابتلع ثعبان * في غلط ساق
وفتح فيه بحال انسان * فيه الفواق
وانطلق يجري على الصفاح ■ واتي الصباح
وكان ابن قرمان مع أنه قرطبي الدار كثر ما يتردد الى اشبيلية وبيوت بنهرها فاتفق أن اجتمع ذات يوم
جامعة من اعلام هذا الشأن وقد ركبوها في النهر للنزعة ومعههم غلام جميل الصورة من سروات اهل البلد
وبيوتهم وكانوا مجتمعين في زورق للصيد فظهروا في وصف الحال وبدأ منهم عيسى البليدي فقال
يطمع بالخلاص قلبي وقد فاتوني * وقد ضمو عشق وبسهم ما تو
تراه قد حصل مسكن جلاتوني * فقلني ولذلك أمر عظيم صاباتوني
توحش الجفون الكحل اذا عاتوني * وذيك الجفون الكحل ابلا توني
ثم قال ابو عمرو بن الزاهر الاشبيلي

نشب والهوى من لح فيه ينشب * ترى اش كان دعاء يشقى ويتعذب
مع العشق في قام في مالويلعب * وخلق كثير من ذا اللعب ماتوني
ثم قال ابو الحسن المقرئ الداني

نهار ملج تعجبي اوصافو * شراب وملاح من حولي طافو
والمعلمين يقولوا بصفه صافو ■ والنوري أخرى بمقالة توني

ثم قال ابو بكر بن مرتين

الحق يريد حديث تعالى عاد * في الواد مجبر والمنزه والصاد
تنبيه حيتان ذلك الذي يصاد * قلوب الوري هي في شبيه ما تو
ثم قال ابو بكر بن قرمان اذا شعرا كما ويرميها * ترى النور يشرق لذيك الجيها
وليس مراد وان يقع فيها * الا ان يقبل يديدا توني
وكان في عصرهم بشرق الاندلس محلف الاسود وله محاسن من الزجل منها قوله

قد كنت مشبوب واخشيت الشيب ■ وردني ذا العشق لارصعب
حين تنظر الخند الشريف الهبي * تنتهي في الحجره الى ما تنهي

يأطاب الكيمياء في عيني هي * تنظر بها الفضة ترجع ذهب
وجاءت بعد دم حلبة كان سابقها مدغيس وقعت له العجائب في هذه الطريقة فن قوله في زجله المشهور
ورذاذ دق ينزل ■ وشماع اشمس يضرب فترى الواحدي يقضض * وتري الاخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر ■ والغصون ترقص وتطرب وتريد تجيى البناء ■ ثم تسبحي وتهرب
ومن محاسن أزجاله قوله

لاح الضياء والنجوم حيارى * فقم بنا تنزع الكسل * شربت عجز وجامن قراعا
أحلى هي عندي من النسل * يامن يلني كما تقلد ■ قل ذلك الله بما تقول
يقول بان الذنوب به ولد * وأنه يفسد العقل * لارض الحجاز يكون لك أرشد
اش ما ساق لكذا الفضول ■ مرأيت للحج والزيارا * ودعني في الشرب منهمل

(قيل للحكيم) هل للغضب مادة تحسسه قال نعم أن يعلم الانسان انه ليس يجب أن يكون مطاعا ابدا ولا يجب أن يخدم ابدا ولا يجب أن
يحتمل خطوه ابدا ولا يجب أن يصبر عليه ابدا بل قد يطبع ويخدم ويحمل الخطأ ويصبر على النواثب فاذا عقل ذلك لم يغضب وان

نصيب فقابل السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه لا تنفع كثرة العلم لمن لا يعمل كما لا ينفع ضوء الشمس لمن لا يبصر رضي
بالذل من كشف ضره بترك التورع (٣٩٠) وأزرى بنفسه من استشعر الطمع البدع فذو خسرته هاز خرفة الكلام وخدع المال

من ليس لوقدره ولا استطاعا * النية أبلغ من العمل
وظهر بعده هؤلاء بأشبهية ابن جحر الذي فضل على الرجالين في فتح مبرقة بالزجل الذي أوله هذا
من عاندا التوحيد بالسيف يحق * أنا يرى من يعاندا الحق
قال ابن سعيد لقيته ولقيت تليذه المجمع صاحب الزجل المشهور الذي أوله
يا ليتني أن رأيت جمبي * أقبل اذنوب الرسلا ليس اخذ عنق الغزير * وأسرق فم الخيلا
ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك أمام الأدب ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد
الله بن الخطيب أمام النظم والنثر في الملة الإسلامية من غير مدافع فن محاسنه في هذه الطريقة
انزعج الاكواس واملا لي تجدد * ما خلق المال الا أن يمدد

ومن قوله على طريقة الصوفية ونحو منحنى الشترى منهم
بين طلوع ونزول * اختلطت بالغزول * ومضى من لم يكن * وبقي من لم يزول
ومن محاسنه أيضا قوله في ذلك المعنى

البعده عنك يا بني اعظم مصابي * وحين حصل لي قربك نسيت قرايبي
وكان العصر الوزير ابن الخطيب بالاندلس محمد بن عبد العظيم من أهل وادي آش وكان اماما في هذه
الطريقة وله من زجل يعارض به مدغيس في قوله * لاح الضياء والنجوم حيارى * بقوله
حل المحزون يا أهل الشطار * مذ حلت الشمس بالحل * جددوا كل يوم خلاعا
لا تتجسسوا اسمها عيل * اليها يتخافوا في سميل * على خضرة ذلك التنبات
وصل بغداد واجتاز النيل * احسن عندي في ذيك الجهات * وطاقتها الصلح من أربعين ميل
ان مرت الريح عليه وجات * لم يلبث في الغبار امارا * ولا عدا ما يكتمل
وكيف ولا فيه موضع رفعا * الا ويسر فيه النخل

وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فن العامة بالاندلس من الشعرو فيها نظمهم حتى انهم لينظمون بها
في سائر البحور الخمسة عشر لكن بلغتهم العامة ويسمونه الشعر الزجلي مثل قول شاعرهم
لي دهر بعشق جفونك وسنين * وأنت لاشقة ولا قلب يلين
حتى ترى قلبي من اجلك كيف رجح * صنعة السكة ما بين المحاذين
الدموع ترشش والنار تلتهب * والمطارق من شمال ومن عين
خلق الله النصاري للغزو * وأنت تغزو في قلوب العاشقين
وكان من المجدين لهذه الطريقة لأول هذه المائة الأديب أبو عبد الله اللؤس ولله من قصيدة يمدح فيها
السلطان ابن الأجر

طل انصباح قم ياندي نشر بوا * ونضحكو من بعد ما نطربو * سيكة القجر أحلت شققا
في ملاقى الليل وقوم قلبو * ترى غبارا خالص أبيض نقي * فضة هو لكن الشفق ذهبو
وسكرو سكروا عند البشر * نور الجقون من نورها تكسبو * فهو النهار يا صاحبي لا عاش
عيش الفتى فيه بالله ما طيبو * والليل نصا للقبل والعناق * على سرير الوصل يتقبلو
جاد الزمان من بعدما كان بخيل * واش كقلته من ير به عقربو * كما جرع مر وفيما قدمه ضي
يشرب سواه ويا كل طيبو * قال الرقيب يا ادبالاش ذا * في الشرب والعشق ترى تحبو

وتحبوا
ثوبه ما تحسنه وما تعمل به لغيرك ثوره وعليك بوره واغما لمن يختار المذلة في طلب ما يقى على العز في طلب ما يبقى من حذر لك كن بشرك

الناس في الدنيا بالاخوان
وفي الآخرة بالأعمال صديق
الرجل عقله وعدوه حقه
من اجتمعت اليه النعمة
أدبته له الرغبة يحفظ
اللاحق من كل شيء الامن
نفسه لاجود الامال ولا
صداقة الا بوفاء ولا فقه الا

بورع العليل الذي يشترى
أرجى من العجج الذي لا
يشترى قلب الرجال
وحشية فن تألفها أقبلت
عليه اجعلوا بينكم وبين
الحرام سترة من الحلال لقاء
الرجل اخلاعه مسلاة لهم
من لم يصلح على تدبير الله لم
يصلح على تدبير نفسه
والاحلام فرح وهم كاذب
والعامل بها كالمعتمد على

الظل الزائل الدنادول فما
كان منها لك أمان وما كان
عليك لم تقو على دفعه
العافية خير من الواقعة
الكريم لا يستحي من اعطاء
القليل العفاف زينة الفقير
الكرم حسن القناعة واللؤم
سوء التعافل اختلاف كلام

المردليل على ميل الهوى به
من حق النعمة أن يرى
أثرها من كان شبعه في
الطعام لم يزل جائعا ومن
كان غناه في المال لم يزل فقيرا
ومن كان قصده بحوائجه
الحاق لم يزل محروما ومن

استعان في امره بغير الله لم يزل محذولا من خاف من فوقه خافه من تحته ومن لم يخف من فوقه لم يخفنه من

الشفيع جناح الطالب اذا اقبلت الدنيا عليك فانفق منها فانها لا تقني واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى قال الشاعر
فانفق اذا ايسرت غير مقتر * وانفق على ما خلت حين تسمر فلا الجود يقني المال والمحظم قبل * (٣٩١) ولا البخل يبق المال والمحظم دبر

ولغيره

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة
فان يضربها التبذير
والسرف
وان تولت فاحرى ان تجود
بها
فالشكر منها اذا ما ادبرت
خلف

الغريب في كل مكان
مظلوم من سلك المحذاران
العنار لم يحجرا كب القصد
عجايب الله يستجمل الفقر الذي
منه هرب ويفوته الكرم
الذي اتاه يطلبه فعميش في
الدنيا عيش الفـ قراء
ويحاسب في الآخرة حساب
الاغنياء من بطل ذيله يكثر
ويله (وقال على رضى الله
عنه) ما يظل فعل الله
ينطق به غمك خير من
سمين غيرك ان احببت ان
لا يقولك ما تشبهى فاشته
ما يمكنك من قصد اسهل
ومن اسرف او عر القصد
اخواتك شرا السيرة الحقيقية
بوى لنفسك في المجالس
مجلس الا يقصر بك ولا تقام
عنه اقطع الشرم من صدر
غيرك يقطع من صدرك
وازجر المسمى بما تابة المحسن
لسكى يرغب في الاحسان ان
يهلك من مالك ما وعظمت
الخلاف يهدم الراى خير
الناس لغيره خيرهم لنفسه

وتعجبوا عذالى من ذا الخبر * قلت يا قوم عما تعجبوا * يعيش ماله الارقيق الطبايع
علاش تكفروا بالله اوتـ كتبوا * لبس يريح الحس الاشاعر اديب * يقض بـ كر وويدع يثبو
اما لكاس فخرام نعم هو حرام * على الذى ما يدري كيف يشربوا * ويد الذى يحسن حسابه ولم
يقدر يحسن الفاظ ان يجلبوا * واهل العقل والفكر والجون * يغفرونو بهم لـ ذان اذنبوا
ظلي بهى فيها يطفي الحجر * وقلبي في حجر الغضى يلبـ و * غزال بهى ينظر قلوب الاسود
وما لهم قبل النظر يذهبوا * ثم يحيههم اذا ابتسم ضحكوا * ويفرحوا من بـ دماينـ دبوا
فويم كالخاتم وتغر نقي * خطيب الامـ للقبل يخطبو * جوهر ورجان اى عقد يا فلان
قد صدقه الشاظم ولم يشقو * وشارب اخضر ير يد لاش يريد * من شبهه بالـ سـك قد عيبو
يسبل دلال مثل جناح الغراب * لـ الى هجرى منه يستغربوا * على بدن ابيض بلون الحليب
ماـ طراعى للـ غـم يحلبـ و * وزوج هندات ما علمت قبـ لها * ديك الصلاياريت ما اصلبو
تحت العكا كن منها خصر ارقب * من رقـ ويخفى اذا تطلبـ و * ارق هو من ديني فيما تقول
جـ د يدعتبك حتى ما كذبو * اى دين بقالى معاك و اى عقل * من يتبعك من ذا و ذاتـ لـ بو
تحمـ ل اوداف ثقال كالرقب * حين ينظر العاشق و حين يرقبو * ان لم ينفس غـ دراو ينقشع
في طرف ديسا والبشر تطلبـ و * يصـ ير اليك المكان حين تنجى * وحين تغيب ترجع في عيني تبـ و
محاسـ نكـ لـ لخصال الامير * او الرمل من هو الذى يحسـ بو * عماد الامصار و فصيح العرب
من فصاحة لفظه يتقربوا * بحمل العلم ان فردو العلم * ومع بديع الشـ عـر ما كتبـ و
ففي الصدور بالريح ما طعمـه * وفي الرقاب بالسيف ما اضـ بو * من السماء يحسد في اربع صفات
فن يـ عد قـ لـ بى او يحسـ بو * الشمس نورو والـ مـر همـ و * والغيت جود و النجوم منصـ بو
يركب جواد الجود و يطلق عنان * الاغنيا والجـ د حين يركبوا * من خلعتو يلبس كل يوم بطيب
منه بنات المعالي تطيبوا * نعمـ و تظهـ على كل من يحبه * قاصـ د و وارد قط ما خيبـ و
قد اظهـ رالحق وكان في حجاب * لاش بقدر الباطل بعد ما يحجبـ و * وقد بنى بالسـر ركن التقى
من بعد ما كان الزمان خربو * تخاف حين تلقاه كتر تحبـه * فـعـ سمـ احـ و جـ و ما اسـ بو
يلقى الحروب ضاحكا وهى عابـه * غلاب هو لاشى في الدنيا يغلبـ و * اذا جـ د سمـ قـه ما بين الردود
فليس شئ يغـ نـ من يضربـ و * وهو سـى المـصـ طـى والاله * للسلطنة اختار و واستنجـ بو
تراه خليفة امير المؤمنين * يقود جيوشـ و ويزين موكبـ و * لذي الامارة تخضع الرؤس
نعم وفي تقبيل يديه يرغبوا * ببيتـه بـقـ بدور الزمان * يطالعوا في الجـ د ولا يغربوا
وفي المعالي والشرف يـعـدو * وفي التواضع والحـبـا يقربـ و * والله يقيمـ مـ مادار الفلك
واشرقت شمسـه ولاح كوكبـ و * وما يغنى ذا القـصـ يد في عروض * يا شمس خـدـ مـ المـ مـعـر بو
ثم اسـ تحدث اهل الامصار بالمغرب فـنا آ خر من الشـ عـر في اعار بض مزدوجة كالوشـ عـر نظـم و افـهـ بلـغـنـم
الحضرة ايضا و سموه عروض البلاد وكان اول من استحدثه فيهم رجل من اهل الاندلس نزل بفاس يعرف
بابن عمير فنظم قطعة على طريقة الموشع ولم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب مطلعها
أبكاني بشاطى النـ ر نوح الحـمام * على الغصن في البستان قريب الصباح
وكف البحر يحـمـ مـ د اذ انـطـ لام * وماء الـ دى يـجـ رى بـغـ ر الاقـاح

احسان الله مكة وورع عند من أصبح مصر على ذنب مستور بصير التخلق خلفا بالاجتهاد والاعتقاد الحجر الغصب في البنيان رهن على الحراب
وبما شرف شارب الماء قبل ربه رب رأى أنفع من مال وخرم اوقى من رجال من استوعب الحلال تاقت نفسه الى المحرام من ذم الزمان لم

يحمد الاخوان بقلب الاحوال تعلم جواهر الرجال من عرف الزمان لم يحتج الى ترجان من عرف الايام لم يغفل عن الاستعداد رسواك
ترجان عقلك الطاعة غنيمه الاكياس (٣٩٢) عند تقريظ العاجز كلما اشتد الظلام حسن ضوء السراج الثناء باكثر من الاستحقاق

ملق والتقصير عن
الاستحقاق عني او حسد
أولى الناس بالرجعة من
احتاج اليها فخرها من لم
يدرك قدر البلية لم يرحم أهلها
كفالة أدب النفس ما كرهته
غيرها مجالسة الاحق غرر
والقيام عنه ظفر لا تسأل عالم
يكن فان في الذي كان
شغل البخل جامع لمساوي
العيوب وهو زمام يقاد به الى
كل سوء اذا صح القلب وضح
العمل كان التوفيق احراز
العواقب بالاجتهاد
والاجتهاد اربح بضاعة
التوفيق خير قائد لكل
العمل التوفيق من توفيق في
استتمام الحظ من البغية
أدرك وبلغ مقاربة الناس
في اخلاقهم أمن من
غوائلهم لا تنظر الى احد
بالموضع الذي رتب فيه
زمانه ولكن انظر اليه بجمته
في الحقيقة فانها مكانه
الطبيعي أبعد الناس سفرا
من سافر في طلب أخ صالح
ليست البركة من الكثرة
ليكن الكثرة من البركة
(وقال دواود عليه السلام)
ان كان ماترى من الجهل
يقبط اذن يكثر الجهل
ويطول غمك (قيل
لبرجهر) ما لكم لا تعاتبون
الجهلة قال لانما نريد من

باكرت الرياض والطلل فيها افتراق * سر الجواهر في نخور الجوار
ودمع النواير ينهـ رق انهـ راق * يحاكي ثعابين حلقه بالثمار
لو ابالغصون خلتال على كل ساق * ودار الجيع بالروض دور السوار
وايدي الندى تحرق جيوب الحكام * ويحمل نسيم المسك عنهارياح
وعاج الصبا يطلى بمسك الغمام * وجر النسبـ ذيلوا عليه سوافاح
رايت المحام بين الوزق في القضيـب * قد ابليت ارياشو بقطر الندى
تنوح مثل ذاك المسـتهام الغريب * قد اتف من توبوا الجـديدي ردا
واكن بما أجرو ساق وخـصـيب ■ ينظم سـلوك جـوهر وينقـلـدا
جلس بين الأغصان جلسة المسـتهام ■ جناح تـوسـد والتوى في جناح
وصار يشـكي مافي القواد من غرام ■ منها ضم مقارنه لصدده وصاح
قلت يا جام احرمت عيني المجوع * ادرك ما تزال تبـكي بدمع صفوح
قال لي بكيت حتى صفت لي الدموع * بلا دمع نبتى طول حياتي تنوح
عـلى فرخ طاري لم يكن لو رجوع ■ ألقت البكا والحزن من عهـ دنوح
كذا هو الوفاء وكذا هو الزمام * انظر حـفون صارت بحال الجراح
وانتم من بـكي منكم اذا تم عام * يقول عناني ذالـبـكا والنـواح
قلت يا جام لو خضت بـحـر الصـنى * كنت تبـكي وترثى لي بدمع هتون
ولو كان بـقلبك ما بـقلبي انا * ما كان يصير تحنك فروع الغصون
اليـوم نقاسي المجر كم من سـنا * حتى لا سبيل جـله ترائى العيون
ومما كسا جسمى الخول والسقام * اخفى في نحوى عن عيون اللواح
لوجـتى المنايا كان يموت في المقام * ومن مات بعد يا قوم لقد اسـترـاح
قال لي لو رقت لا وراق الرـياض * من خوفى عليه ودالـنـفوس للـقـواد
وتخضت من دمعي وذاك البياض ■ طوق العهـد في عنق لبوم التناد
اما طرف منقارى حديثا واستفـاض * باطراف البلاد والجسم صار في الرماد

فاستحسنه أهل فاس وواعوا به ونظموا على طريقته وتركو الأعراب الذي ليس من شأنهم وكثر سماعه
بينهم واستفعل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافا الى المزدوج والكارى والملمعة والغزل واختلقت اسماءها
بأختلاف ازدواجها ولاحظاتهم فيها فن المزدوج ماقاله ابن شجاع من فحولهم وهو من أهل تازا
المال زينة الدنيا وعز النفوس * يهـى وجوها ليس هى باهيا
فها كل من هو كـثير الفـلوس * ولوه الكلام والترتبة العاليا
يكبر من كثر مالو ولو كان صـغير * ويصـغر عزـيز الـقـوم اذ يفتقر
من ذا ينطبق صدرى ومن ذا يصـير * يكاد ينقع لولا الرجوع للـقـدر
حتى يلتجى من هو فى قـوم كـبـير * لمن لا أصل عنه دوو لا لو خطر
لذا ينبغى يحزن عـلى ذى العكـوس * ويصـبـخ عليه توب فراش صافيا
الى صارت الاذنا بامام الرؤس * وصار يستفيد الواد من الساقيا

ضعف

العميان أن يصروا العشق مرض نفس فارغة لاهمة لها اجالة القكرة واستخراج الفطنة تتبع الاساءة

بالندم وتبـسـع النـدم بالاقـلاع الامن البراءة وكثرة الصديق بالتواضع وأعم الاشياء نفعاً فقد الاشرار من يذر عداوة حصداً دامة البهمنة

للنساء غيلة ولا رجال غيلة (قال المسيح) عليه السلام ما دلم من لم يضرب عند الجهل وما قوة من لم يرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب
سبحانه عبادة النوكى الجحى في غير وقت والجلوس فوق القدر اذا وقعت الضرورة (قيل للحكيم) أخرج الهم من قلبك قال
ليس باذنى دخل من اغتر بحاله قصر فى احتياله اياكم وطلب الامر من غير وجهها فبينكم (٣٩٣) طلمها ولا تدر كوا حظامها هبته

الزال تورث الحصر (قيل

للحكيم) لاى شئ تزوجت

امرأة دمية وانت وسيم قال

اخترت من الشر اقله (وقيل

للحكيم) ما تقول فى الزواج

قال لذته شهر وهم دهر فنته

عالم الى ابليس خير من

غواية الف جاهل تخي

المعائب ولا تقي المعاذير

الموالاة فى الاسلام بمنزلة

الحلف فى الجاهلية سيف

الجاهل للحكمة شريف

لهم عند اهل الفضل لان

الجاهل منسوب الى

فعله وكان الحكيم يتألم

بحديث الجاهل كذلك

الجاهل يتألم بسماع

الحكمة اغنى الناس عن

المخدم من عظم قدره عن

الحذاذة الكبرى المهمة من

الرجال من كان عنيف

الناسخ عنده اطف موقعا

من ملق الكاشع ان كانت

المحدودهى الخطوظفا

بالحرص وان كانت

الامور ليست بدائمة فبال

السروروان كانت الدار

غدارة فبال الطمأنينة

(وقال الشعبي) ما رايت الله

سبحانه وتعالى اعطى عباده

اجل من الحلم (وقال عمر

ابن الخطاب) رضى الله

ضعف الناس على ذل وفسد هذا الزمان * ما يدروا على من يكثر اذا العتاب

اللى صار فلان يصبح يا بوفلان * ولو رأيت كيف يرد الجواب

عشنا والسلام حتى رأينا عيان * أنفاس السلاطين فى جلود الكلاب

كبار النفوس جدا ضعف الأسوس * هم ناحيا والنجس دفى ناحيا

بروا أنهم والناس يروهم تيوس * وجوه البلد والعمة الرأسيا

ومن مذاهم قول ابن شجاع منهم فى بعض مزدوجاته

تعب من تبع قلبوا ملاح هذا الزمان * اهل يافلان لا يلعب الحسن فيك

مامنهم مملح عاهد الاوخان * قليل من عليه تجسس ويحبس عليك

يهبوا على العشاق ويمتعهوا * ويستعمدوا تقطيع قلوب الرجال

وان واسلوا من حينهم يقطعوا * وان عاهدوا خائواء على كل حال

مملح كان هو بتروشت قلبى معو * وصيرت من خدى لقدمون عال

ومهدت لومن وسط قلبى مكان * وقلت لقلبي اكرم لمن حبل فيك

وهون عليك ما يعتربك من هوان * فلا بد من هول الهوى يعتربك

حكمه تواء على واراضيت بوامير * فلو كان يرى حالى اذا بصرو

يرجع مثل درحولى بوجه الغدير * مرديه ويتعطس بحال الخيروا

وتعلمت من ساعاتى بق الضمير * ويقههم مرادوقبل ان يذكرو

ويحتل فى مطلو ولوان كان * عصر فى الربيع اوفى الليالى يريك

ويمشى بسوق كان ولو باص بهان * وايش ما يقل يحتاج يقل لو يحبك

حتى اتى على آخرها وكان منهم على بن المأذن سلمان * وكان لهذه العصور القرينة من فحولهم بزدهون

من ضواحي مكناسة رجل يعرف بالكفيف ابدع فى مذهب هذا الفن ومن احسن ما علق له بمحفوظي

قوله فى رحلة السلطان الى الحسن وبنى مرين الى افر يقبة يصف هزيمتهم بالقيروان ويعزيهم عنها

ويونسهم بمما وقع لغيرهم بعد ان عجزهم على غزاتهم الى افر يقبة فى ملعبة من فنون هذه الطريفة يقول

فى ممة فتحها وهو من ابدع مذهب البلاغة فى الاشعار بالقص دفى مطلع الكلام واقتناحه ويسمى براءة

الاستهلال سبحان مالك خواطر الامرا * ونواصيها فى كل حين وزمان

ان طعناه عطههم لنا قسرا * وان عصيناه عاقب بكل هوان

الى أن يقول فى السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلص

كن مرعى قل ولا تكن داعى * فالراعى عن رعيته مسئؤل

واستفتح بالصلة على الداعى * للاسلام والرضا السنى المكمول

على الخلفاء الراشدين والاتباع * واذا كرههم اذا تحب وقول

أجبا جاجا تحللوا الصبرا * ودواسرح البلاد مع سكران

عس كرفاس المنيرة الغرا * وين سارت بو عزائم السلطان

(٥٠ - ابن خلدون) عنه خمس من لم تكن فيه فلا ترجه انشئ من أمر الدنيا والاخرة من لم تعرف الوثيقة فى أرومته والدمانة

فى خلقه والكرم فى طبعه والنبل فى نفسه والتخاقر عند ربه (قال عبد الله بن حمدون) كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق فركب يوما

الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورهم اخرج فرأى ديرا قد يساهنك حسن البناء بين مزارع وأنهار واشجار فدخله فبينما

هو يطوف اذ بصير برقة قد الصمت في صدره فامر بقلعه فاذا فيه هذه الابيات **أيا منزلا بالدير أصبح خاليا** ■ **تلاعب فيه شمال ودبور**
كانت لم يسكنك ببض او انس ■ **ولم يتجتر في فنائك حور** ■ **وأبناء املاك غواشم سادة** ■ **صغيرهم وعند الاله كبير**
اذا لبسوا ادراعهم فعباس ■ **(٣٩٤)** ■ **وان لبسوا تيجانهم فبدور** ■ **على انهم يوم اللقاء ضراغم** ■ **وانهم يوم التوال بحور**

ليالى هشام بالرفافة قاطن
وفيك ابنه يادير وهو امير
اذا العيش غص والحلافة
لذة

وانت طرب والزمان غريب
وربك مرتاد ونورك مزهر
وعيش بني مروان فيك نصير
بلى فسقاك الغيث صوب
سحاب

عليك لما بعد الرواح بكور
تذكرت قومي فيكم فبكيتهم
بشجوة ومثلي بالبكاء جدير
فعزيزت نفسي وهي نفس
اذاجرى

لما ذكر قومي انه لغير
لعل زمانا جاريوما عليهم
لهم بالذي تهوى النفوس
يدور

في قرح محزون وينعم بائس
ويطلق من ضيق الوثاق
اسير

رويدك ان الدهر يتبعه غد
وان صرف للذرات تدور
فلما قرأها المتنوكل اوتاع
وتطير وقال اعوذ بالله من
شراقداو ثم دعا صاحب
الدير فسأله عن كتبها فقال
لا علم لي به وأما الكتب
وصفاتها فتجل عن الوصف
ولقد أحسن ابن الجهم
في قوله

سهر اذا جالسته كان مسلما

أججا بالنسي الذي زدت * وقطعت لو كلاكل البيدا
عن جيش الغرب حين سألكم * المتلوف في افريقيا السودا
ومن كان بالعطايا يزودكم * ويدع برية الحجاز فعدا
قام قل للسد صادف الجزوا * ويججز شوط بعد ما يخفان
ويزف كر دومتب في الغبرا * أى ما زاد عزهم سيجان
لو كان ما بين تونس الغربا * وبلاذ الغرب سد السكندر
مبنى من شرقها الى غربا * طبعا محديدا ونايا بصفر
لا بد الطيران تجيب نبا * أو يأتى الریح عنهم بفرد خبير
ما أعوصهم من أمور وماشرا * لوتقرا كل يوم على الديوان
لمحرت بالدم وانصدع حجرا * وموت الحراب وخافت الغزلان
أدرى بعقلك الفخاص * وتعلم كرى بخطاك جمع
ان كان تعلم حمام ولا رقص * عن السلطان شهر وقبله سبعا
تظهر عند المهين القصاص * وعلامات تنشر على الصعنا
الاقوم عاريين فلا ستر * محجهم ولين لا مكان ولا مكان
ما يدروا كيف يصوروا كمر * وكيف دخلوا مدينة القيروان
امولاي أبو الحسن خطيما الباب * قضية سبينا الى تونس
فقنا كناعا الى الجريد والزاب * واشلك في اعراب افريقيا القوبس
ما بلغك من عرقى الخطاب * الفاروق فاتح القرى المولس
ملك الشام والحجاز وتاج كسرى * وفتح من افريقيا وكان
ردولدت لو كره ذكرى * ونقل فيها تفرق الاخوان
هذا الفاروق مردى الاعوان * صرح في افريقيا بهذا التصريح
وبقت حى الى زمن عثمان * وفتحها ابن الزبير عن تهيج
من دخلت غنائمها الديوان * مات عثمان وانقلب عليه نار الحرج
وافترق الناس على ثلاثة أمرا * وبقي ما هو للسكوت عنوان
اذا كان ذاتى مدة السبرا * اش نعمل في أواخر الزمان
وأصحاب المحضر في مكناساتا * وفي تاريخ: كائنا وكينا وانا
تذكر في صحتها أيسانا * شق وسطج وابن مرانا
ان مرين اذ انكف برأياتا * لجدا وتونس قد سقط بنيانا
قد ذكرنا ما قال سدد الوزرا * عيسى بن الحسن الرفيع النشان
قال لي رأيت وانا بهذا أدرى * لكن اذا جاء القدر عجت الاعيان
ويقول لك مادى المريضا * من حضرة قاس الى عرب دياب

اراد

فؤادك مما فيه من ألم الوجد يفيدك علما ويزيدك حكمة ■ وغير حسود أو مصر على الحق

ويحفظ ما استودعته غير غافل ■ ولا خائن عهدا على قدم العهد زمان ربيع في الزمان بأسره ■ يبيحك روضا غير ذاو ولا جعد
ينور أحيا نابور بدائم ■ أخص وأولى بالنفوس من الورد وأنشد بعض العجم اذا ما خلا الناس في دورهم ■ بخمر سلاف وخود كعاب

وانسهم في ظلام الليال * لغير الندامى وروها والسحاب
ودرس العلوم شراب العقول * فتوروا على بذلك الشراب
ومن ملج ما ينشد في الكتب اذا ما خلوت من المؤنسين * جعلت المؤنس لي دفتری (٣٩٥) فلم أخل من شاعر محسن * ومن علم صالح منذر
ومن حكم بين انشائها

فوائد للناظر المفكر
وان ضاق صدرى بأسراره
وأودعته السر لم يظهر
وان صرح الشعر باسم الحبيب
بلم أحشهم ولم أحضر
وان عدت من ضجره بالهجا
وسب الخليفة لم أحذر
ونادمت فيه كريم الغيب
لندما نه طيب الخبر
فلمست ادى مؤنسا ما حبيت
عليه نديما الى المحشر
وانشد ابن خزم لبعض
الادباء
ان صحبنا الملوك تاهوا وعلينا
واسئله دوا بالراى دون
الجلس
او صحبنا التجار عدنا الى الفقة
روصنا الى حساب القلوس
فلزنا البيوت نتخذ الحجة
رونغلا به وجوه الطروس
لوتر كنا وذاك كنا ظفرنا
من اماننا بهلق نقيس
غير ان الزمان أعنى بنيه
حسدونا على حيات النقرس
وانشد غيره
أنست الى النقر طول عمرى
فما لي في البرية من انيس
جعلت محادى ونديم نفسي
وانسى دفترى بدل العروس
قداس تغنيت عن فرسى
برجلى

اراد المولى بعت ابن يحيى * سلطان تونس وصاحب الابواب
ثم اخذ في ترحيل السلطان وجيشه الى آخر رحلته ومتمنى امره مع اعراب افرقة واتي فيها بكل غريبة
من الابداع وأما أهل تونس فاستحدثوا في اللعبة ايضا على لغتهم المحضرية الا أن أكثره ردى ولم يعلق
بحقه وظى منه شيء لرداعه وكان لعامة بغداد ايضا فن من الشعر يسمونه المواليا ويحتفه فنون كثيرة يسمون
منها القوما وكان ومنه مفرد ومنه في بيتين ويسمونه دوبيت على الاختلافات المعبرة عندهم في كل
واحد منها وغالبها مزدوجة من أربعة اغصان وتبهم في ذلك أهل مصر القاهرة وأتوا فيها بالغرائب
وتبحروا فيها في أساليب البلاغة فمضى لغتهم المحضرية بخاؤا بالعجائب ومن أعجب ما علق بحفظى منه
قول شاعرهم

هذا جرحى طريا * والدماء تضح
وقاتلى يا أخيا * في الفلايمرح
قالوا واناخذ بنارك * قلت ذا أبيع

ولغيره

طرقت باب الحباقات من الطارق * فقلت مفتون لانا هب ولا سارق
تبسمت لاحلى من نغرها بارق * رجعت حيران في بحر ادعى غارق

ولغيره

عهدى بها وهى لا تأمن على البين * وان شكوت الهوى قالت فذلك العين
لمن تعنى لها غيري غليم زين * ذكرتها الهوى وقالت لك على دين

ولغيره في وصف الحشيش

دى نجر صرف التى عهدى بها باقى * تغنى عن النجرو النجار والساقى
فعبا ومن فعبها تعمل على احراقى * خبيثتها فى الحشيش طالت من احداق

ولغيره

يا من وصالو لاطفال المحبة يح * كم توجده القلب بالمحبة - ران أو هاج
أودعت قلبى حوحو والنصبر يح * كل الورى كخ فى عبنى وشخصك دح

ولغيره

ناديتها ومشيبى قد طواني طى * جودى على بقة - له الهوى يامى
قالت وقد لى كوت داخل فؤادى كى * ما هكذا القطن يحشى فم من هو حى

ولغيره

راني ابسم سبقت سحب ادمعى برقه * ما ط اللثام تبدى بدر فى شرقه
اسبل دجى الشمر تاه القلب فى طارقه * رجع هدا بنا بخيط الصبح من فرقه

ولغيره

يا حادى العيس ازجر بالمطاي زجر * وقف على منزل احبابى قبيل الفجر
وصبح فى حيسم يامن يريد الاحر * ينهض صلى على ميت قبيل الحجر

اذا سافرت او نعل كبوس ولى عرس جديد كل يوم * بطرح الهم فى امر العروس فبطنى سقرنى والخروج جسمى * وهم يانى فى ابد او كيسى
وبيتى حيث يدركنى مسائى * واهلى كل ذى عقل نقيس * ولئن كان الناطقون قد وصفوا فجو دوا قالوا فابغوا فله قد قصر وواجل مدوح
من اسنة قصر فى مدحه المنتهى واستنزل فى نغمة المختل وكيف لا والكتاب نم الانيس فى ساعة الوحدة ونعم المرفقة ببلاد الغربة

ونعم القرن والذخيل ونعم الوزير والنزيل وعالم مائى علميا وظرف حشى طرفا وانا مائى فراجا وحبس ذابسة ثان يحمل في ردن وزر ووضه
تنقلب في حجر هل سمعت بشجرة توفى أكلها كل ساعة بالوان مختلفة وطعموم متباينة هل سمعت بشجرة لا تدوى وزهر لا يتوى وعمر
لا يقنى ومن المكجيس بيقيدك الشئ وخلافه والجنس وضده ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء ان غضبت عليه لم يغضب وان
سخطت عليه لم يجب أكرم من الارض (٣٩٦) وأنهم من الريح والهوى وأخذع من المني وامتع من الفنى وانطق من سبحان

ولغيره

عيني التي كنت اوعا كم بها باتت ■ ترعى التجوم وبالتسهيد اقتاتت
واسمهم البين صابتي ولا فانت * وسلموني عظم الله أكرم ماتت

ولغيره

هو يت في قنطرتكم ياملاح المحكر ■ غزال يملى الاسود الضاري بالافكر
غصن اذا ما انتفى يسي البنات البكر ■ وان تهل فبالبدرة عندو ذكر

ومن الذي يسمونه دوبيت

قد اقس من أحبه بالبارى ■ أن يبعث طيفه مع الاسحار
يانار شوي بقي به فاقه دى ■ ليلا فغسام يهتدى بالنار

واعلم أن الاذواق في معرفة البلاغة كلها انما تحصل من خالط تلك اللغة وكثراستعمالها ومخاطبته بين
أجياها حتى يحصل مدركها كما قلناه في اللغة العربية فلا الانداسي بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب ولا
المغربي بالبلاغة التي في شعر أهل الاندلس والمشرق ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعر أهل الاندلس
والمغرب لان اللسان المحضرى وترا كيه مختلفة فيهم وكل واحد منهم مدرك لبلاغة لغته وذائق محاسن
الشعر من أهل جلدته وفي خلق السموات والارض واختلاف السننكم والوانكم آيات وقد كدنا أن
نخرج عن الغرض وعزما أن نقبض العنان عن القول في هذا الكتاب الاول الذى هو طبيعة العمران
وما يعرض فيه وقد استوفينا من مسائله ما حسبناه كفاية واعل من يأتي بعده ناعنا من يؤيده الله بفكر صحيح
وعلم مبين يغوص من مسائله على أكثر مما كتبنا فليس على مستنبط الفن احصاء مسائله وانما عليه
تعيين موضع العلم وتنويع فصوله وما يتكامل فيه والمتأخرون لمحقون المسائل من بعده شيئا فشيئا إلى أن
يكمل والله يعلم وأنتم لا تعلمون

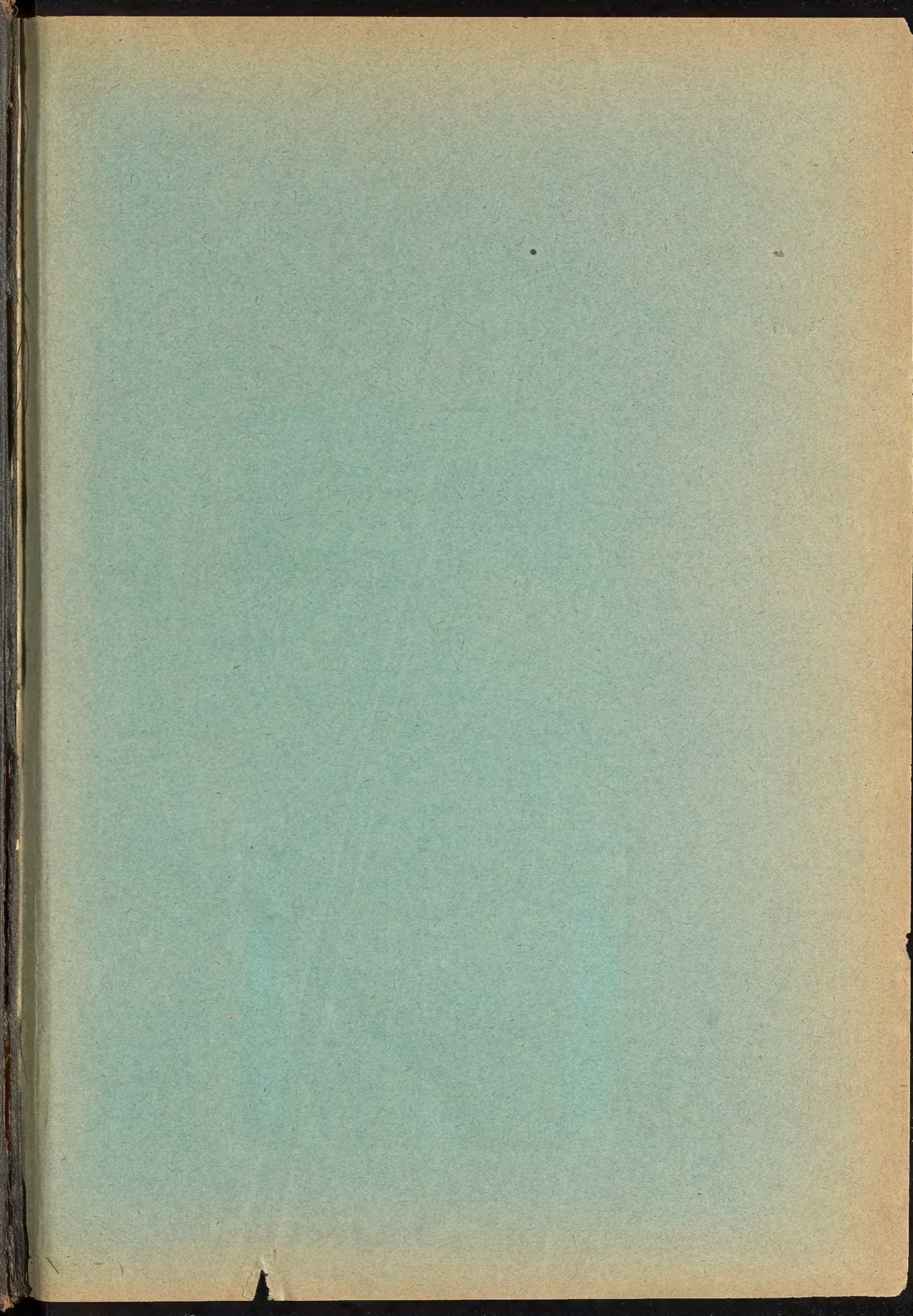
قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه أتممت هذا الجزء الاول بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتهديب في مدة
خمس أشهر آخرها من نصف تمام تسعة وسبعين وسبع مائة ثم تنقيحه بعد ذلك وهذبتة والحقت به تواريج
الامم كما ذكرت في أوله وشرطته وما اكتم فيه والامن عند الله العزيز الحكيم

(يقول محققه عفا الله عنه)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله قد تم طبع مقدمة العالم الشهير والفاضل التحرير
صاحب التأليف العديدة والاقوال المقيمة من أقرب بقصاحته المتقدمون والمتأخرون الاستاذ
الفاضل الشيخ عبد الرحمن بن خلدون بحلة الهوامش بكتاب سراج الملوك للعلامة أبي بكر محمد بن
محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى تفهنا الله بعلمهم آمين وذلك بالمطبعة الفاتكة ذات الادوات
الباهرة الرائقة الموسومة بالازهرية المصرية ادارة الراجى من الله الغفران حضرة السيد محمد رمضان
في غرة ربيع الثانى سنة ١٣١١ هجرية على صاحبها افضل الصلاة والسلام والتحية

واثل وأعي من باقل هل
سمعت بعلم واحد تحلى بحال
كثيرة وجمع اوصاف اغزيرة
عربي فارسي هندي سندی
رومي يوناني ان وعظ اسمع
وان الهى امتم وان أبكى ادمع
وان ضرب اوجع يقيدك
ولا يستفيد منك ويزيدك
ويستزيدك ان جديس
وان فرح فتره قهر الاسرار
وحز الودائع قيد العلوم
وينبوع الحكيم ومعدن
المحارم ومؤنس لا ينام
يقيدك علم الاولين ويخبرك
عن كثير من انباء الآخرين
هل سمعت في الاولين
أو بالغت من احدهم
الساقيين جمع هذه الاوصاف
مع قلة مؤننه وخفة جملة
لا يبرز لك شيئا من ذنبك نعم
الذخر والعدة والمستغل
والحرفة جليس لا يضربك
ودقيق لا يملك يطبعك
بالليل طاعة به بالنهار
ويطبعك في السفر طاعته
في الحضرة ادمت النظر
اليه اطال امتاعك وشجذ
طباعك وبسط لسانك
وجود بنائك ونفخ الفاظك
ان ألقته خلد على الايام

ذكرك وان درسته رفع في الخلق قدرك وان جلته نوه عندهم باسمك يقعد العبيد في مقاعد السادة ويجلس السوق في مجلس الملوك فآكرم به
من صاحب وأعز زبه من مرافق وقد قال فيه الاول لنا جلسا معاغل حديثهم الباءا مأمونون غيبا ومشهدا يقيدوننا من علمهم علم ماضى *
ورأيا وتأديا وعقلا مسددا
بلا فتنة نخشى ولا سوء عشرة ■ ولا تنقي منهم لسانا ولايدا فان قلت اموات فما أنت كاذب *
فهذا ما أردنا ان غلبه في هذا الكتاب فآكتبوا ان شئتم انفاسه ان كانت الانفاس عما يكتب



0035463368

893.7Tb56
T13

DUE DATE

NOV 23 1993

FEB 15 2008

OCT 16 2007

201-6503

Printed
in USA

1649

JUL 10 1964

JUL 10 1964

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58870016

893.71b56 T13

Muqaddimah : al-juz

RECAP



71b56